

تأليف

للإمام الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي
من علماء القرن التاسع عشر



رقم الإيداع ٩٧٩٠ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي 4 - 24 - 5093 - 977

الطبعة الأولى ١٤٢٥ _ ٢٠٠٤



٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - القاهرة ت/ ٥١٠٠٩٣٨ - ٥١٢١٨٠٦



مقدمة الناشر

بين يدى القارئ الكريم كتاب «نزهة المجالس» لمؤلفه الشيخ/ عبدالرحمن ابن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان أبو هريرة الصفورى الشافعى[1] المتوفى سنة ٨٩٤ هـ أربع وتسعين وثمانمائة من الهجرة.

كان- رحمه اللَّه- صاحب تصانيف كثيرة، منها:

«صلاح الأرواح والطريق إلى دار الفلاح» فى المواعظ، و«المحاسن المجتمعة فى الخلفاء الأربعة»، و«منتخب النفائس».

وعنوان الكتاب الذى بين أيدينا يعكس الغرض الذى أُلِّف لأجله، فهو حشد هائل من الأخبار والآثار والحكايات واللطائف والفوائد، ساقها صاحبها على عواهنها- كما أوردها- وقد شرَّق بها وغرَّب، وضرب فى كل واد بسهم، فتكلم عن مسائل شرعية شملت العقيدة والفقه والرقائق والزهد، وعرَّج على السيرة النبوية المشرفة، وفضائل الصحابة خاصة الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، وتطرق إلى الحديث عن أولى العزم من الرسل.

ولم يخل الكتاب عن الإشارة إلى بعض المسائل الطبية كعلاج الأمراض بالفاكهة والأعشاب، ذاكرًا فوائدها وما تعالجه من أمراض، أو محذرًا من أضرارها من حيث النوع أوالكم.

ولا يخفى أن الكتاب ليس مرجعًا لتلك العلوم والمسائل التى تناولها، وإنما وضع لغرض خاص، وهو أن يكون «نزهة» للمجالس، و«منتخبًا» للنفائس كما رآها المؤلف- رحمه اللَّه- ولعل القارئ الكريم يفطن إلى أن كثيراً من المسائل والأخبار والقصص به تحتاج إلى قدح الذهن، وإعمال الفكر، والرجوع إلى المصادر المعتمدة من حيث الإحكام والضبط، والتوثيق والثبت، والذى ينبنى عليه القبول أو الرد، خاصة فى مسائل العقيدة والأحاديث النبوية والأحاديث القدسية، وما تحتاجه بعض المسائل الفقهية من توضيح وتعليل، واستدلال وتأصيل يترتب عليه استنتاج الحكم الشرعى الذى هو مراد اللَّه فى خلقه.

---

(١) انظر ترجمته فى هدية العارفين (١/ ٥٣٣)، كشف الظنون (١٩٤٧)، معجم المطبوعات (١٢١٣)، معجم المؤلفين (٥/ ١٤٤).

ولاشك أن طبيعة العصر الذى عاشه المؤلف المتوفى سنة (٨٩٤ هـ) قد تركت بصماتها على الكتاب ومؤلفه .

لذا نهيب بالقارئ الكريم أن يقرأ الكتاب قراءة متأملة متفحصة حتى يكون بمنأى عن تكذيب خبر صحيح أو تصديق خبر غير صحيح ، أو بمعنى آخر يكون بعيداً عن الإفراط والتفريط ، وكلاهما مذموم .

ونسأل اللّه- جميعًا- أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن ييسر لنا سبل كل ما يرضيه عنا .

* * *

الناشر

المكتب الثقافى

بسم الله الرحمن الرحيم

• مقدمة المؤلف •

الحمد لله الذى قص لنا من آياته عجبًا، وأفادنا بتوفيقه إرشادًا وأدبًا، وأرسل فينا رسولاً كريمًا نجيبًا أطلعه على الحقائق ففاق أخًا وأبا، وعرض عليه الجبال ذهبًا افنأى وأبى، وخصنا بشريعته القويمة وحبا، فآمنا وصدقنا وله الفضل علينا وجبا، لأنه ادخر لنا ذلك فى خزائن الغيب وخبا، أحمده حمدًا أرغم به أنف من جحد وأبى، وأبلغ من فضله الواسع أربًا وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، شهادة تكون للنجاة سببًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المجتبى أشرف البرية حسبًا وأطهرهم نسبًا صلى اللَّه عليه وعلى أهله وأصحابه الذين سادوا الخليقة عجمًا وعربًا.

وأما بعد، فإن النفس لها ارتياح إلى قصص الملاح، وأخبار أهل الصلاة فأجبتها إلى مقصودها راغبًا فى الثواب من معبودها بشرط الإعراض عن فساد الأغراض ألتمس بذلك من أخ نظر فيها دعوة صالحة فللَّه أوقات فيها المقاصد ناجحة، وأستمد من اللَّه العون وأسأله التوفيق والعناية لأكون من فريق السعادة، والهداية وأن يفعل ذلك بوالدى وأقاربى ومشايخى وأحبابى بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين، وأن يشرك فى ذلك من يقول آمين والمؤمنين كلهم أجمعين.

اعلم: وفقنى اللَّه وإياك لما يرضى، وأعاذنى وإياك من سوء القضا أنى أقدم قبل الشروع فى المقصود ما نقله غير واحد عن أبى القاسم الجنيد -رحمه اللَّه تعالى- أنه سئل عن حكايات الصالحين فقال: هى جند من جنود اللَّه تعالى يقوم بها أحوال المريدين ويحيى بها معالم أسرار العارفين، ويهيج بها خواطر المحبين، ويجرى بها دموع المشتاقين. قيل: فهل على ذلك من دليل قال، نعم قوله تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]. فأحببت لقول النبى ﷺ عن ذكر الصالحين: تنزل الرحمة أن أجمع ما تيسر من أخبارهم، وما اشتملوا عليه من العبادة فى ليلهم، ونهارهم وأن أطرز ذلك باللطائف، والفوائد السنية والزواجر للنفوس الغوية من المواعظ القوية مع ما أذكره من المسائل الفقهية، والمنافع الطيبة وقطرة من مناقب خير البرية من هو حى فى قبرة حياة حقيقية، وذاته فى ضريحه المكرم على العرش طرية وأزواجه وأصحابه وأمته المرضية وقد جعلته أبوابًا وفصولاً حوت معانى قوية وسميته.

نزهة المجالس ومنتخب النفائس: وختمته بذكر الجنة، رجاء أن نؤول إليها بالفضل والمنة ومنه التوفيق وبه الإعانة.

❊ ❊

٭ **وهذا سرد ما اشتمل عليه من الأبواب، والكتب، والفصول :**

باب فى الإخلاص كتاب العقائد وفضل الذكر والقرآن الخ، **فصل فى الذكر** ، **فصل فى البسملة** مع فضل سور وآيات ، **فصل فى أذكار غير القرآن** ، **فصل فى أذكار الصباح والمساء** .

باب المحبة ، باب ذكر الموت ، **فصل فى الأمل** ، **فصل فى الصبر** ، **فصل فى الرضا** ، **فصل فى الأدب** .

باب فضل الدعاء ، باب التقوى وفعل الخيرات ، والكف عن المنكرات .

باب فضل الصلاة ليلاً ونهاراً ، ومتعلقاتها باب فى فضل الجمعة ويومها وليلتها ، باب فضل الزكاة فصل فى زكاة الأعضاء ، باب ذم الكبر ، باب ذم الغيبة والنميمة ، كتاب الصوم ، باب فضل رجب وصومه ، باب فضل شعبان وصلاة التسبيح ، باب فضل رمضان والترغيب فى العمل الصالح فيه ، فصل فى ليلة القدر ، باب فضل يوم عرفة والعيدين والتكبير والأضحية ، باب فضل صيام عاشوراء ، باب فضل الجوع وآفات الشبع ، باب فضائل الحج وزيارة النبى ﷺ ، فصل فى أركان الحج ، باب فضل الجهاد ، باب بر الوالدين ، باب الحلم والصفح عن عثرات الإخوان ، باب الكرم والفتوة ورد السلام ، فصل فى كرم اللّه تعالى ، باب فضل الصدقة وفعل المعروف ، فصل فى إكرام الجار ، باب فى الزهد والقناعة والتوكل ، فصل فى القناعة ، فصل فى التوكل باب حفظ الأمانة وترك الخيانة وذكر النساء وفضل الزواج وذم الطلاق والتحذير من اللواط وفضل الزراعة ، فصل فى الزراعة وبيان قوله ﷺ : خلقتم من سبع ورزقتم من سبع . باب الخوف ، باب التوبة ، باب فضل العدل واجتناب الظلم والشفقة على خلق اللّه تعالى والإكرام للمشايخ ، وفضل التسريح والخضاب ، فصل فى فضل العقل ، باب فضل العلم وأهله ، فصل سكنى الشام ، باب مناقب النبى ﷺ ، باب مولد رسول اللّه ﷺ ، فصل فى نسبه ﷺ ، فصل فى رضاعه ، باب فى فضل الصلاة والتسليم عليه ﷺ ، باب فى إسرائه ﷺ ، باب فى وفاته ﷺ ، باب فى مناقب الصحابة وفضائلهم وأمهات المؤمنين رضوان اللّه عليهم أجمعين ، مناقب العشرة –رضى اللّه تعالى عنهم– فاطمة –رضى اللّه تعالى عنها– فصل فى تزويج حواء بآدم ، مناقب الحسن والحسين –رضى اللّه تعالى عنهما– مناقب العباس –رضى اللّه تعالى عنه– مناقب حمزة –رضى اللّه عنه– باب فضائل الأمم وذكر ما فيها من الأنبياء والأولياء ، باب فى ذكر إبراهيم– عليه السلام– باب فى ذكر موسى –عليه السلام– فصل فى ذكر ما تيسر من المشهورين بالكنية بأسمائهم وتواريخهم من الصحابة –رضى اللّه عنهم– باب فى ذكر أشياء من فعلها حرمه اللّه على النار وأعتقه منها ، باب فى ذكر الجنة .

٭٭٭

• باب : الإخلاص •

قال اللَّه تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف: ١١٠]. وقال النبي ﷺ: « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** »، وقال معروف الكرخي: من عمل للثواب فهو من التجار ومن عمل خوفًا من النار فهو من العبيد ومن عمل للَّه فهو من الأحرار. وقال أويس القرني: الدعاء بظهر الغيب أفضل من الزيارة واللقاء، أي لأن الرياء قد يدخلهما.

حكاية : ذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في الإحياء أن رجلاً عابدًا بلغه أن قومًا يعبدون شجرة فخرج لقطعها، فقال له إبليس: إن قطعتها عبدوا غيرها فارجع إلى عبادتك، فقال: لابد من قطعها فقاتله فصرعه العابد، فقال: أنت رجل فقير فارجع إلى عبادتك وأجعل لك دينارين تحت رأسك كل ليلة ولو شاء اللَّه لأرسل رسولاً يقطعها وما عليك إذا لم تعبدها أنت؟ قال: نعم، فلما أصبح وجد دينارين، وفي ثاني يوم لم يجد فخرج لقطعها فصرعه إبليس، فقال له العابد: كيف غلبتك أولاً ثم غلبتني ثانيًا، فقال: لأن غضبك أولاً كان للَّه وثانيًا للدينارين، وقال ابن العربي في قول النبي ﷺ: « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتين في ذات اللَّه ». قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. ولم يعد قوله هذه أختي في ذات اللَّه لأن إبراهيم- عليه السلام- له حظ فيها لأجل صيانة فراشه وحماية زوجته فلا يكون في ذات اللَّه إلا العمل الخالص ولم يذكر قوله عن الكواكب: هذا ربي لأنه كان طفلاً غير مكلف.

حكاية : ذكر الدميري في حياة الحيوان أن آدم – عليه السلام – لما هبط إلى الأرض جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فكان يدعو لكل جنس بما يليق به فجاءته طائفة من الظباء فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك فسألتهن طائفة أخرى عن سبب ذلك، فقالوا: زرنا آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا فساروا إليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن فلم يجدوا شيئًا فقالوا: قد فعلنا مثلكم فلم نر شيئًا مما حصل لكم فقالوا: نحن زرناه للَّه وأنتم زرتموه لأجل المسك.
مسائل:

إحداها: لو قال: صل فرضك ولك على دينار صحت صلاته ولا شيء له ولو صام بقصد الحمية صح صومه أو صلى فرارًا من غريمه صحت صلاته.

الثانية: قال في شرح المهذب: صلاة الكسوفين أفضل من صلاة الاستسقاء بلا خوف لأنها للَّه وصلاة الاستسقاء لطلب الرفاق.

الثالثة: المسك طاهر وكذا فأرته أيضًا إن حصل الانفصال فى حياة الظبية، وقال فى الروضة فى كتاب الإيمان: لو حلف أن لا يشم مشمومًا ما لم يحنث بالمسك وفى كتاب الغصب لو غصب مسكًا أو عبيرًا أو ما يقصد للشم ومكث عنده لزمه أجرته وفى كتاب الإجارة يجوز استئجار المسك والرياحين للشم والتفاح كذلك بخلاف الواحدة.

فائدة: قال ابن الصلاة عن على الطبرى: وفأره المسك تخرج من الظبية كما تخرج البيضة من الدجاجة قال فى نزهة النفوس والأفكار: شم المسك ينفع من جميع علل الرأس كالشقيقة وإذا خلط فى الأكحال يزيد فى نور البصر ويزيل البياض من العين إذا اكتحل به مع العسل، ولحم الغزال ينفع من الفالج، وقال ابن طرخان فى الطب النبوى: المسك يقوى الأعضاء الباطنة شمًا وشربًا وينفع من ضعف القوة ومنافعه كثيرة لذلك كان النبىﷺ يستعمله.

لطيفة: قال النسفى: لما هبط آدم نزل معه أربع ورقات من التين فقصده الحيوانات ليهنوه بالتوبة فسبق أربع وهى الغزالة فأطعمها ورقة فصار منها المسك، والنحلة فأطعمها ورقة فصار منها العسل، والدودة فأطعمها ورقة فصار منها الحرير وبقرة البحر فأطعمها ورقة فصار منها العنبر، ورأيت فى نزهة النفوس والأفكار، قال الشافعى -رضى اللّه تعالى عنه-: أخبرنى عدد ممن أثق به أن العنبر نبات يخلقه اللّه تعالى بحافة البحر ثم العنبر يقوى الدماغ والقلب وينفع من أوجاع المعدة شربًا ودهنًا وأيضًا من النزلة والشقيقة بخورًا أو دهنًا وهو مع دهن البان ينفع من وجع الظهر وهو من أفخر الطيب بعد المسك.

حكاية: قال بعضهم: قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت أصليها فى الصف الأول لأنى تأخرت يومًا فصليت فى الثانى فخجلت من الناس حيث رأونى فعلت. إن نظر الناس إلى الصف الأول كان يعجبنى، قال ذو النون المصرى -رحمه اللّه تعالى-: من علامات الإخلاص استواء المدح والذم. قال أبو سليمان الدارانى -رحمه اللّه تعالى-: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة يريد بها وجه اللّه تعالى، وقال الفضيل -رحمه اللّه تعالى-: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك اللّه منهما.

لطيفة: قال العلائى فى سورة براءة: دخل أعرابى المسجد فصلى صلاة خفيفة فقام إليه على - رضى اللّه عنه - بالدرة وقال: أعد الصلاة فأعادها مطمئنًا فقال: أهذه خير أم الأولى، فقال الأعرابى: الأولى، لأنى صليتها للّه، والثانية، صليتها خوفًا من الدرة.

حكاية: ذهبت ناقة لعبد اللّه بن عمر -رضى اللّه عنهما- قال: فى سبيل اللّه. ثم قيل: إنها فى مكان كذا فوثب إليها ثم رجع، وقال: أستغفر اللّه العظيم، وقال أبو طالب المكى -رضى اللّه عنه- قيل لبعضهم فى المنام: ما فعل اللّه بك، قال: أدخلنى الجنة ثم تأوه، فقيل: مما تتأوه؟ قال: لما دخلت الجنة رأيت فى عليين قصورًا عالية فأردت دخولها، فقيل اصرفوه عنها لأنها لمن أمضى

السبيل لأنك كنت تقول للشيء في سبيل اللَّه، ثم ترجع فإذا أمضيت السبيل أمضينا لك، وقيل لبعضهم في المنام: ما فعل اللَّه بك؟ قال: كل عمل للَّه وجدته حتى ماتت لنا هرة فاحتسبتها عند اللَّه فوجدتها في كفة الحسنات، فلما رأيت ذلك، قلت: قد مات لنا حمار فهاتوه كان مع الهرة، فقالوا: لا لأنك لم تحتسبه، وعن بعض الصالحات أنها وهبت ولدها للَّه ثم جاء إليها بعد مدة فطرق بابها، وقال: أنا ولدك فلان، فقالت: قد وهبتك للَّه فلا أراك بعدها.

فائدة :يستحب لمن أحدث في الصلاة أو في المسجد أن يضع يده على أنفه ليظهر للناس أنه رعف وهذا من الرياء المستحب لأن النبي ﷺ قال: « **إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف** »، ذكره ابن العماد في تسهيل المقاصد.

حكاية: قال في الرسالة القشيرية ،قال بعضهم: إن فتح اللَّه على بشيء من الدنيا دفعته للفقراء فدفع رجل إليه ديناراً، فقال في نفسه: لعلي أحتاج إليه، فهاج به وجع الضرس فقلعه ثم الآخر فقلعه فهتف بي هاتف: إن لم تدفع الدينار إليهم لا نترك لك شيئًا، وقال الحسن: إنما خلد اللَّه أهل الدارين بنياتهم لأن المؤمن ينوي العبادة ما دام حيّا وكذلك الكافر. واتخذ بعضهم ضيافة وأوقد فيها ألف مصباح، فقال له رجل: أسرفت، فقال: قم أطفئ منها ما كان لغير اللَّه فلم يقدر على طفء شيء منها.

حكاية: قيل للجنيد :إن أبا الحسن الثوري يسأل الناس، فوزن له مائة درهم وقبض قبضة بلا وزن، وقال لخادمه: ادفع الجميع إليه فوزن الثوري مائة، وقال: ردها على الجنيد وأخذ الزائد، ثم قال الثوري: يريد الجنيد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن مائة لنفسه لأجل الثواب وقبض قبضة بلا وزن للَّه فأخذنا ما كان للَّه وتركنا ما جعله لنفسه، فأخبرت الجنيد بذلك، فقال: أخذ الذي له وترك الذي لنا.

فائدة: الثوري اسمه أحمد بن محمد البغدادي مات سنة (خمس وتسعين ومائتين) أخبر عن نفسه -رحمه اللَّه- أنه اغتسل يومًا فجاء لص وأخذ ثيابه ثم جاء وضعها مكانها وقد يبست يده فقال: يا رب قد رد ثيابي فاردد عليه يده فردها عليه.

حكاية: قال ابن عباس -رضي اللَّه عنهما-: خرج بعض الملوك يسير في مملكته فوجد رجلاً ومعه بقرة فحلب منها قدر ثلاثين بقرة فتعجب الملك من ذلك ثم نوى وأخذها فلما كان من الغد حلب نصف حليبها، فقال الملك: كيف نقص حليبها ألم ترع مكانها بالأمس؟ قال: بلى، ولكن لعل الملك نوى الظلم فرجع عن نيته فرجع حليبها الأول.

حكاية: خرج الأمير شروان للصيد فأدركه العطش فرأى في البرية بستانًا وعنده صبي فطلب منه ماء، فقال: ليس عندنا ماء، قال: ادفع لي رمانة فدفعها إليه فاستحسنها فنوى أخذ البستان، ثم قال: ادفع لي أخرى فدفع له أخرى فوجدها حامضة، فقال: أما هي من الشجرة الأولى؟ قال: نعم، قال:

كيف تغير طعمها؟ قال: لعل نية الأمير تغيرت فرجع عن ذلك فى نفسه، ثم قال: ادفع لى أخرى فدفع له أخرى فوجدها أحسن من الأولى، فقال: كيف صلحت؟ قال: بصلاح نية الأمير.

حكاية: اتخذ بعض الملوك وزيراً وقربه فنوى شخص إبعاده، فقال الملك: إن الوزير يزعم أنه يخرج من فمك رائحة كريهة فغضب الملك غضبًا شديدًا فأرسل إليه فذهب إليه ذلك الرجل فأطعمه طعامًا فيه ثوم، ثم قال له: إن الملك يطلبك فلما حضر عنده وضع يده على فمه لئلا يضر الملك ريح الثوم فتحقق الملك صدق الواشى فكتب بيده كتابًا إلى بعض عماله يأمره بهلاك الوزير، وقال: اذهب إلى عاملى فلان والناقل ينظر فظن أن الملك لم يصدقه وأنه كتب للوزير جائزة لأنه كان من عادته أن لا يكتب بيده إلا خيرًا، فقال: بأى شىء أمرك الملك، قال: بدفع هذا الكتاب إلى عامله فلان فقال: أنا أذهب به إليه فلما وصل إلى العامل قتله سريعًا ثم بعد أيام دخل الوزير على الملك فتعجب منه، فقال: أما دفعت كتابى إلى عاملى، قال: لا ولكن أخذه منى فلان، فقال: أنت قلت كذا؟ قال: معاذ اللّه. قال: فلم وضعت يدك على فمك، قال: أطعمنى فلان طعامًا فيه ثوم كثير فوضعت يدى على فمى لئلا تجد ريحه فتستنكره، فعرف الملك أنه إنما أراد إبعاده فقربه كما كان أولاً.

فائدة: عن النبى ﷺ أنه قال: « **أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل** ». قيل: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل قال، قولوا: « **اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه** » رواه الطبرانى، وفى رواية غيره: « **يقوله كل يوم ثلاث مرات** ».

* *

• كتاب العقائد •

وفضل الذكر والقرآن وآيات منه وسور

اعلم وفقنى اللَّه وإياك لما يرضى، أنه يشترط لصحة الإيمان صحة العقيدة، وهى أن تعلم أن اللَّه تعالى حي عليم قادر سميع بغير أذن بصير بغير حدقة وأجفان متكلم بغير شفة ولسان مدبر للكائنات بأسرها ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى منزه عن فوق يرفعه وعن تحت ينزله وعن عرش يحمله وعن سماء تكتنفه وعن غمام يظله وعن جهة تحده وعن مكان يقله، قال الإمام أبو حنيفة -رضى اللَّه عنه- لما سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥]. قال: من حصر اللَّه تعالى فى الجَهة الفوقية أو التحتية فقد كفر، وقال الإمام مالك -رضى اللَّه عنه-: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن ذلك بدعة، وقال الإمام الشافعى -رضى اللَّه عنه-: لما سُئِلَ عن ذلك: آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل، وقال الإمام أحمد بن حنبل -رضى اللَّه عنه-: استَوى كما قال لا كما يخطر بالبال. وقال الشبلى -رضى اللَّه عنه- الرحمن لم يزل والعرش محدث وهو بالرحمن استوى.

وسُئِلَ ذو النون المصرى -رضى اللَّه عنه-: عن ذلك فقال: أثبت ذاته وأنف مكانه ومهما تصوره نفَسك فاللَّه بخلافه. وقال الجنيد -رحمه اللَّه- أشرف كلمة فى التوحيد ما قال أبو بكر الصديق -رضى اللَّه عنه- لم يجعل للخلق طريقًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته. وقال أبو محمد الجوينى -رضى اللَّه عنه-: العرش مخلوق من درة بيضاء وهو بالنسبة إلى اللَّه تعالى أحقر من درة فكيف يكون مستقرًا. وقال الأستاذ/ أبو منصور البغدادى -رضى اللَّه عنه- ذهب الأكثرون إلى أن معنى الاستواء هو القهر والغلبة أى الرحمن غلب العرش وقهره وخصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات وذكر أهل السنة للاستواء معنى آخر وهو العلو، فقال تعالى: ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١]. ولم يصفه بالارتفاع لأنه كان ولا عرش ولا غيره. وقال جعفر الصادق -رضى اللَّه عنه-: من زعم أن اللَّه تعالى فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك به إذ لو كان على شىء لكان محمولاً، ولو كان من شىء لكان محدثًا ولو كان فى شىء لكان محصورًا تعالى اللَّه عن ذلك علوًا كبيرًا.

والجواب: عن قوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ [الملك: ١٦]. إن كل شىء عال يسمى سماه وخاطبهم بذلك على زعمهم أن الآلهة فى الأرض هى الأصنام وأنه تعالى إله السماء وليس مقصوده سماء الدنيا ولا غيرها بل معناه أأمنتم من فى العلو وهو علو الجلال كما

يقال: السلطان أعلى من الأمير وإن كانا على فراش واحد ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام: ١٨] . فالفوقية هنا فوقية عظمة ومنزلة ألا ترى إلى فرعون كيف وصف نفسه بالعظيم على بنى إسرائيل، فقال وإنا فوقهم قاهرون، ومعلوم أنه لم يكن مراده بالفوقية هنا فوقية المكان وذكر فى الكشاف معنى آخر وهو أأمنتم من فى السماء ملكوته فحذف المضاف وهو ملكوته وأقام المضاف إليه مقامه وهو السماء وهذا كثير فى القرآن، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[الفجر: ٢٢] . أى أمر ربك واسألهم عن القرية أى أهل القرية، قال الأكثرون: وهى أيلة وقيل طبرية لأنها حاضرة البحر أى على شاطئه.

فائدة: قال اللّه تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾[الملك: ١٦] ، ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[الملك: ١٧] أى حجارة. وقال تعالى فى سورة الأنعام: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾[الأنعام: ٦٥] . فقدم فى تبارك الذى أخره فى الأنعام.

جوابه: لما قدم هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً ناسب أن يثنى بالوعيد بالخسف للأرض، ولما قدم فى الأنعام: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام: ٦١] . ناسب تقديم ما هو جهة الفوق للمشاكلة.

والجواب: عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)﴾[الأنعام: ٣] من وجوه:

الأول: أن كل ما فى السماوات والأرض ملك له، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[الأنعام: ١٢] . قل اللّه وكلمة ما تدخل على من يعقل وغيره، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦)﴾[الشمس: ٥، ٦] - أى بسطها فلو كان اللّه تعالى فى السماوات لكان مالكًا لنفسه، وهذا محال.

الثانى: أن قوله فى السماوات إما أن يكون فى سماء واحدة فلا يجوز أن يقال ذلك لأنه من خلاف ظاهر الآية، وإما أن يكون فى الجميع فإن كان كذلك الحاصل منه فى إحدى السماوات غير الحاصل فى البواقى، وهذا يلزم منه التركيب والتأليف وهذا محال، وإن كان هو فيلزم منه حصول المتحيز فى مكانين، وهذا محال.

الثالث: لو فرضنا أنه فى السماوات فهل يقدر على خلق عالم فوقها أم لا فإن فعل ذلك كان تحت العالم، وهذا لا يقوله أحد، وإن كان لا يقدر اقتضى التعجيز وهو محال، فثبت أنه يمكن إجراء الآية على ظاهره فوجب تأويلها وهو من وجوه.

الأول أنه فى تدبير السماوات كما يقال فى كذا، أى فى تدبيره.

الثانى أن قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣] كلام تام ثم ابتدأ، فقال: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٣] أى يعلم سر الملائكة وجهرهم، وكذا يعلم حال من فى الأرض.

الثالث الآية فيها تقديم وتأخير تقديره وهو اللَّه يعلم فى السماوات وفى الأرض سركم وجهركم.

والجواب: عن الحديث الصحيح ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا الخ. قال القرطبى -رحمه اللَّه تعالى-: هذا الحديث يفسره الحديث الصحيح الذى رواه النسائى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى - رضى اللَّه عنهما- قالا: قال رسول اللَّه ﷺ **« إن اللَّه تعالى يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول هل من داعٍ فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤله »**، وإنما أضاف المناداة إليه فى الحديث الأول على جهة الاهتمام والتعظيم، كما يقال نادى السلطان بكذا وإنما نادى مناد مرة، وقد روى الترمذى وأبو داود فى حديث أبى هريرة -رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ « والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السابعة لهبطتم على اللَّه ». وفى حديث آخر إن ملكين التقيا بين السماء والأرض، فقال أحدهما للآخر: من أين؟ قال: من الأرض السابعة من عند ربى ثم قال الآخر لصاحبه: وأنا من السماء السابعة من عند ربى وسئل إمام الحرمين -رضى اللَّه عنه-: هل الحق سبحانه وتعالى فى جهة فقال: لا، قال: من أين أخذت هذا؟ قال من قوله ﷺ « لا تفضلونى على يونس بن متى فإنه لما قال لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين »، وخاطب اللَّه تعالى محمد ﷺ من فوق سبع سموات فسمع خطاب محمد كما سمع خطاب يونس على حد سواء فلو كان الحق فى جهة لسمع أحد الخطابين أبلغ من الآخر.

فائدة: قال أبو عبد اللَّه المغربى: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت: يا رسول اللَّه لى حاجة إلى اللَّه فبماذا أتوسل، فقال: « من كانت له إلى اللَّه حاجة فليسجد سجدتين وليقل فى سجوده أربعين مرة لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين »، وفى الحديث لا يقولها مكروب إلا فرج اللَّه عنه، وفى حديث آخر فإنه لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب اللَّه له. رواه الترمذى والنسائى، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

والجواب: عن قول الجارية لما سألها النبى ﷺ **« أين اللَّه؟ »**، قالت: فى السماء. أنها كانت من قوم يعبدون الأحجار وينكرون الصانع فلما أقرت بوجود اللَّه صارت بذلك مؤمنة، ولو أنكر عليها ذلك لثبت عندها جحود الصانع من أن الصحابة -رضوان اللَّه عليهم أجمعين- أنكروا عليها فقال ﷺ: **« دعوها فإنها مؤمنة »**. فعرف بإشاراتها تعظيم الخالق كما عرف معنى قول الذين قالوا: صبأ صبأنا وأنكر على خالد بن الوليد -رضى اللَّه عنه- قتلهم، وفى صحيح البخارى عنه ﷺ إذا كان أحدكم يصلى فلا يبصقن قبل وجهه فإن اللَّه قبل وجهه إذا صلى، فلو كان سبحانه وتعالى فى الجهة

الفوقية لما كان للنهى معنى، والجواب عن قوله ﷺ: « **يطوى الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده** »، أنه ثبت بالدليل القاطع أن يد الله تعالى ليست بجارحة، واليد عند العرب بمعنى القوة، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ**﴾ [ص: ١٧] - أى ذا القوة، وبمعنى الملك، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٧٣]، وبمعنى النعمة يقال: فلان له على فلان أياد أى له عليه نعمة، وبمعنى الصلة قال الله تعالى: ﴿**أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**﴾ [البقرة: ٢٣٧].

والجواب: عن قوله ﷺ: « **لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه** ». ما قاله الحسن البصرى -رضى الله عنه- والقدم الذين قدمهم الله من شرار خلقه وأثبتهم لجهنم، وقال غيره القدم خلق يخلقه الله تعالى ثم يطرحه فى جهنم ويؤيده ما فى الصحيح ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشىء الله لها خلقًا فيسكنهم فضلة الجنة، وقد جاء فى رواية أخرى صحيحة قدمه بكسر القاف، وفى رواية أخرى حتى يضع الجبار رجله، والرجل عبارة عن جماعة تقول: جاءنا رجل من الجراد، قال ابن العماد: قال بعضهم: المراد بالجبار فرعون، قال القرطبى: فرعون لقب للوليد بن مصعب، قيل اسمه قابوس فثبت بالعقل والنقل من الكتاب والسنة أن الحق سبحانه وتعالى منزه عن الجارحة والجهة والحركة والسكون. وفى الطبرانى من حديث أبى ذر عن النبى ﷺ: « **من تقرب إلى الله شبراً تقرب الله منه ذراعًا ومن تقرب منه ذراعًا تقرب منه باعًا ومن أقبل إلى الله ماشيًا أقبل الله إليه مهرولاً والله أعلى وأجل ثلاثًا** ».

قال مؤلفه -رحمه الله تعالى-: قوله ﷺ: « **ثلاثًا** ». دليل على أنه سبحانه وتعالى منزه عن الحركة وجميع ما جاء من الآيات والأحاديث التى يقتضى ظاهرها إثبات الجارحة والمكان مؤول عند أهل الحق والتأويل إما بقلوبهم وهم أهل السلامة، وإما بألسنتهم وهم أهل التأويل ودليلهم على التأويل قوله تعالى: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا**﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله ﷺ: « **الحجر الأسود يمين الله** ». فالعقل يشهد بأن الله لا يتحيز ولا يتبعض والحس يشهد بأن الحجر الأسود ليس يمين الله حقيقة بل هو من اليمن والبركة، وقاله ابن عباس -رضى الله عنهما-: سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ [القلم: ٤٢]، إذا خفى عليكم شىء من القرآن فاطلبوه من الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

قد سن قومك ضرب الأعناق   وقامت الحرب على ساق

ثم قال هذا يوم كرب وشدة، وفى رواية أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ [القلم: ٤٢]. يكشف عن نور عظيم، وفى رواية عنه أيضًا فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدًا ويبقى أقوام يريدون السجود فلا يستطيعون،

والجواب عن قوله تعالى: ﴿اللَّهَ نَزَّلَ﴾ [البقرة: ١٧٦] أحسن الحديث: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ①﴾ [القدر: ١]، ونحو ذلك أنه نزل من اللوح المحفوظ على محمد ﷺ بواسطة جبريل أن يكون جبريل سمعه من اللَّه كما سمع موسى كلام اللَّه من اليمين والشمال والفوق والتحت لا من جهة معينة فعبر عنه جبريل فى لغة عربية فهمها محمد ﷺ لأمته بلسان عربى، فالعبارة والمعبر عنه غير عربية عربى فهذا معنى النزول ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] - أى صيرنا قرآن هذا الكتاب عربيًا، وقيل بيناه، وقيل سميناه، وقيل وصفناه، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩] وهى قراءة ثلاثة أئمة، واحد بالشام وهو ابن عامر، وواحد بمكة وهو ابن كثير، وواحد بالمدينة المشرفة وهو نافع، وقرأ الباقون عباد الرحمن بالباء -رضى اللَّه عنهم- وليس معنى النزول انتقال كلام اللَّه عنه بالانحطاط من علو إلى أسفل، فقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦] ومعلوم أنها ما نزلت من علو إلى أسفل، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، ومعلوم أن معدنه من الأرض.

والجواب: عن قوله ﷺ لما سأله أبو زين أين كان اللَّه قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «**كان فى عماء**» ولو سأله أين كان قبل العماء؟ وهو السحاب لأخبره أنه كان ولا شىء معه مع أنه ﷺ قال: «**كان اللَّه ولا شىء معه**»، وقال ﷺ: «**كان اللَّه ولم يكن شىء غيره**» رواه البخارى. فهو الآن على ما كان عليه أولاً من أزل الآزال إلى أبد الآباد، وقال يهودى لعلى بن أبى طالب -رضى اللَّه عنه- أين ربنا؟ قال: الذى أوجد الأين لا يسئل عنه بأين. قال: كيف ربنا؟ قال: الذى كيف الكيف لا يقال عنه بكيف. قال: متى كان ربنا؟ قال: ويحك ومتى لم يكن. والجواب عن قوله ﷺ: «**إن اللَّه كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتى سبقت غضبى فهو مكتوب عنده فوق العرش**» أنه علوى مكانه الأمكان لأن المكان لا يضاف إليه تعالى.

فإن قيل: ما بال الصحابة -رضى اللَّه عنهم- لم يتكلموا فى شىء من ذلك.

فالجواب: نعم تكلم فيه حبر الأمة ابن عباس وابن عمه كما تقدم قريبًا وسيأتى ما قاله على بن أبى طالب -رضى اللَّه عنه- فى المعراج مع أنه لم يكن ثم مجسم ولا معطل، واللَّه المستعان.

فصل: فى الذكر

قال تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ㉘﴾ [الرعد: ٢٨].

فإن قيل: كيف يجمع بين هذه وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]. فالجواب أن المراد بالذكر فى الاتفاق ذكر العظمة وشدة انتقامه ممن عصاه لأنها نزلت عند اختلاف الصحابة فى غنائم بدر فناسب ذكر التخويف، وآية الرعد فيمن هداه وأناب

إليه فناسب ذكر الرحمة وقد جمع بينهما في سورة الزمر، فقال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]- أى إلى رحمته وكرمه، وعن النبى ﷺ: «من أكثر ذكر اللّه أحبه اللّه»، وعنه ﷺ: « مررت ليلة أسرى بى برجل مغيب فى نور العرش، قلت: من هذا! أهذا ملك! قيل: لا، قلت: نبى، قيل: لا، قلت: من هذا؟ قيل: هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب بذكر اللّه، وقلبه معلق بالمساجد »، وعن معاذ بن أنس -رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ، عن ربه عز وجل: « لا يذكرنى عبد فى نفسه إلا ذكرته فى ملأ من ملائكتى ولا يذكرنى فى ملأ إلا ذكرته فى الرفيق الأعلى »، وعن أبى هريرة -رضى اللّه عنه- كان النبى ﷺ يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان بضم الجيم وسكون الميم، فقال: « سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قالوا: وما المفردون، قال: الذاكرون اللّه كثيراً » رواه مسلم. فى الترمذى، قيل: وما المفردون؟ قال: المستهترون بذكر اللّه يضع عنهم الذكر أثقالهم فيأتون للّه خفافًا، قال: فى الترغيب والترهيب: المفردون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة، والمستهترون بفتح التاءين والمثناتين من فوق، المولعون بذكر اللّه وعن النبى ﷺ: «ذاكر اللّه فى الغافلين مثل شجرة خضراء فى وسط شجر يابس وذاكر اللّه فى الغافلين يريه اللّه مقعده فى الجنة وهو حى وذاكر اللّه فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر اللّه فى الغافلين ينظر اللّه إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدًا وذاكر اللّه فى الغافلين مثل مصباح فى بيت مظلم وذاكر اللّه فى الغافلين يغفر اللّه له بعدد كل فصيح وأعجم أى بعدد البهائم وبنى آدم وذاكر اللّه فى السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة».

فائدة: قال أهل التصوف: للذكر بداية، وهى توجه صادق وله توسط وهو نور طارق وله نهاية وهو حال خارق وله أصل وهو الصفا وفرع وهو الوفا وشرط وهو الحضور وبساط وهو العمل الصالح وخاصية وهو الفتح المبين، قال أبو سعيد الخراز -رضى اللّه عنه-: إذا أراد اللّه أن يوالى عبدًا فتح له باب الذكر فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية وكشف عنه الجلال والعظمة، فإذا نظر الجلال والعظمة بقى بلا هو فيصير فانيًا بارئًا عن دعوات نفسه محفوظًا للّه. وقال غيره الذكر ترياق المذنبين وأنس المنقطعين وكنز المتوكلين وغذاء الموقنين وحيلة الراضين ومبدأ العارفين وبساط المقربين وشراب المحبين، وقال ﷺ: « ذكر اللّه علم الإيمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار »، ذكره السمرقندى.

مسألة: سُئِلَ ابن الصلاح -رحمه اللّه تعالى- عن القدر الذى يصير به العبد من الذاكرين اللّه كثيرًا، فقال: إذا واظب على الذكر المأثور مساءًا وصباحًا فى الأوقات المختلفة فهو من الذاكرين اللّه كثيرًا.

حكاية: قال موسى -عليه السلام-: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك، فأوحى اللّه

إليه: أنا جليس لمن ذكرنى، فقال: يا رب إنا نكون على حال لم نجلك أى لم نذكرك كالجنابة، قال: اذكرنى على كل حال، ذكره فى الإحياء.

فائدة: قال الإسنوى فى ألغازه: رجل عليه حدث أصغر ويحرم عليه أن يأتى بنوع من الذكر، صورته إذا أحدث فى خطبة الجمعة لأن الطهارة شرط فيها، وفى الرسالة القشيرية عن بعضهم: أنه دخل غيضة فوجد رجلاً يذكر اللّه تعالى، وعنده سبع عظيم، فقال: ما هذا؟ قال: سألت اللّه أن يسلط على كلبًا من كلابه إذا غفلت عن ذكره.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت صياداً بالهند كلما صاد سمكة دفعها إلى ابنة له فترسلها فى الماء وهو لا يعلم فلما فرغ جاء فلم يجد شيئًا فسألها عن ذلك فقالت سمعتك تقول عن النبى ﷺ: لا تقع سمكة فى شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر اللّه فكرهت أن تأكل شيئًا غفل عن ذكر اللّه، وقيل: إنها كانت السمكة تُسَبِّحُ فى يدها، فقالت البنت: ما دفعت إلى سمكة إلا وسمعتها تقول: سبحان اللّه فقطع الشبكة وتاب عن الصيد.

فائدة: قال على -رضى اللّه عنه-: أكل السمك يذيب البدن وفى النفوس والأفكار أكله يورث بلغمًا غليظًا يضر بالبدن، وأما المستخرج من البحر المالح فأكله ينفع من وجع الوركين والإكثار منه يورث البهق إلا إذا جعل عليه شىء من الزعتر والكراويا، قال الغزالى -رضى اللّه تعالى عنه-: أكثر خلق اللّه السمك، فإن قيل، قال اللّه تعالى: « **أحل لكم صيد البحر وطعامه** »، فما الفرق بين الصيد والطعام؟.

الجواب: أن الصيد ما حصل بالشبكة مثلاً والطعام ما قذفه البحر.

فإن قيل: صيد البحر حلال لمن أحرم بحج أو عمرة بخلاف صيد البر فإنه حرام فما الفرق؟

فالجواب: أن صيد البحر لا يقصد به التنزه بخلاف صيد البر والصيد عند الشافعى ما يحل أكله وسمى أبو حنيفة السبع صيداً فأوجب على المحرم ضمانته إذا قتله.

حكاية: قال إبراهيم الخواص -رضى اللّه عنه-: خرجت أطلب الحلال فأخذت شبكة وألقيتها فى البحر فأخذت سمكة، ثم ثانية، ثم ثالثة، فهتف بى هاتف يا إبراهيم لم تجد معاشًا إلا فيما يذكرنا فقطعت الشبكة، وقال إبراهيم النخعى فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾ [الإسراء: ٤٤]. يسبح له كل شىء حتى صرير الباب، وقال غيره: الآية عامة وهى مخصوصة بالناطق كقوله تعالى: ﴿ **تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وما دمرت إلا ديار عاد كقوله تعالى فى حق بلقيس: ﴿ **وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [النمل: ٢٣]، ولم تؤت ملك سليمان، وقيل: الآية على عمومها فالناطق يسبح بالقال والصامت بالحال، وذلك بمجرد وجود يشهد لصانعه بالصنعة ورأيت فى طبقات السبكى -رضى اللّه عنه- أن الأرجح عندنا أن التسبيح بلسان القال لأنه لاستحالة ويدل

عليه كثير من المنقول قال اللَّه تعلى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) ﴾ [ص:١٨]، ولا يلزم من تسبيحها بالقال أن نسمعها ورأيت فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة الراجح أنها تسبح حقيقة إلا أنه مستور عن الناس فلا ينكشف إلا بخرق العادة، وقد سمعت الصحابة- رضى اللَّه عنهم- تسبيح الطعام وغيره بين يدى النبى ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾ [الإسراء: ٤٤] مناسبًا لحال المخاطبين بالآية من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الغالب على الناس الاشتغال عن تسبيح اللَّه تعالى بخلاف المذكورات فاحتاج المشتغلون إلى الحلم والمغفرة.

الثانى: أنهم لا يفقهون تسبيحها، وقد يكون ذلك لتقصيرهم فى التأمل والتفكر فى أمرها فاحتاجوا إلى الحلم والمغفرة.

الثالث: أن سماعهم تسبيحها قد يوقعهم فى امتهانها ويحملهم على التفريط فى حقوقها فاحتاجوا إلى الحلم والمغفرة ولا شك أن من يستحضر فى ذهنه تسبيح الموجودات أكرمها وعظمها من هذه الوجوه وإن كان الشارع أمره باحتقارها من وجه آخر ثم نقل بعد هذا الكلام حكاية أن بعضهم أراد الاستجمار بأحجار فأخذ حجرًا فكشف اللَّه عنه سمعه حتى سمع تسبيحه فتركه تعظيمًا له ثم أخذ حجرًا آخر فكذلك ثم آخر فكذلك فلما سمع جميع الأشجار والأحجار تسبح توجه إلى اللَّه تعالى فى أن يستر عنه تسبيحًا ليتمكن من إزالة النجاسة فستر اللَّه تعالى عنه ذلك فاستجمر بها مع علمه أنها تسبح لأن المخبر بتسبيحها هو الآمر بالاستجمار بها على لسان الشارع ﷺ ففى إخفاء تسبيح الكليات عن الأسماع حكمة بالغة نعم رأيت فى تفسير الرازى أن الذى أطبق عليه العلماء المحققون أن من لم يكن حيًا لم يكن قادرًا متكلمًا وجزم بأن الجمادات تسبح بلسان الحال، واللَّه أعلم.

حكاية : أهدى للجنيد -رضى اللَّه عنه- طائر فقبله مرة ثم أرسله فقيل له فى ذلك فقال: إنه قال: يا جنيد تتلذذ بمناجاة الأحباب وتسد فى وجوههم الباب فلما أرسله فقال: إن الطيور ما دامت ذاكرة لا تقع فى شدة فإذا غفلت عن ذكر اللَّه وقعت وأنا غفلت عن ذكر اللَّه مرة فعذبنى بالسجن فكيف بمن يغفل عن ذكر اللَّه كثيرًا يا جنيد خذ علىَّ العهد أن لا أعود أبدًا ثم صار يتردد إلى زيارة الجنيد ويأكل من المائدة معه فلما مات الجنيد رمى بنفسه على الأرض فمات فدفنوه فرأى الجنيد بعض أصحابه فى النوم فسأله عن حاله فقال رحمنى برحمتى للطائر.

سُئلَ السبكى -رضى اللَّه عنه- عن قول النبى ﷺ : « **إِذَا رأيتم أهل البلاء فاسألوا اللَّه العافية** » فقال: أَهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر اللَّه تعالى.

لطيفة : رأيت فى حقائق العقائق أن آدم -عليه السلام- لما هبط هرب عنه الطير والوحش فجاء

الخطاف فجلس عنده فعاتبه اللّه تعالى، فقال: يا رب رأيته وحده والوحدانية لك فجئت عنده لأجل ذلك فقيل: أيها الطائر قد رفعت عنك السكين فلا تصاد ولا تذبح نطرح لك الألفة في قلوب أولاده يساكنونك في بيوتهم قيل: إنه كان أبيض اللون فاسود لونه لما لمسه آدم إلا صدره، وقيل: إن آدم شكا إلى ربه الوحشة فآنسه بالخطاف وهو يخطب بقوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ**﴾ الآية [الحشر: ٢١]، ويمد صوته بالعزيز الحكيم.

فوائد - الأولى: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ**﴾ [فاطر: ٣٢]. هو الذاكر بلسانه ومنهم مقتصد هو الذاكر بقلبه ومنهم سابق هو الذى لا ينسى ربه. قال ابن عطاء اللّه: يحتاج قائل كلمة التوحيد إلى ثلاثة أنوار: نور الهداية ونور الكفاية ونور العناية فمن منَّ اللّه عليه بنور الهداية فهو معصوم من الشر ومن مَنَّ اللّه تعالى عليه بنور الكفاية فهو معصوم من الكبائر والفواحش ومن مَنَّ اللّه عليه بنور العناية فهو محفوظ من الخطرات الفاسدة والحركات التى لأهل الغفلات فالنور الأول للظالم، والثانى للمقتصد، والثالث للسابق. وسئل الواسطى -رضى اللّه تعالى عنه- عن الذكر فقال: الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب. ومن خصائص الذكر أنه جعل فى مقابلته ذكر اللّه، قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال موسى - عليه السلام-: يا رب أين تسكن؟ قال: فى قلب عبدى المؤمن، ومعناه سكون ذكره وسيأتى فى آخر المحبة نحوه، وقال محمد ابن الحنفية -رضى اللّه عنه-: إن الملائكة يغضون أبصارهم عن ذكر اللّه كما تغضون أبصاركم عن البرق.

الثانية: جاء فى الخبر أن العبد يأتى إلى مجلس الذكر بذنوب كالجبال فيقوم من المجلس وليس عليه شيء منها فلذلك سماه النبى ﷺ روضة من رياض الجنة، قال: حلق الذكر بفتح اللام وكسر الحاء كما سيأتى فى التقوى، وقال عطاء -رضى اللّه عنه-: من جلس مجلسًا يذكر اللّه فيه كفر اللّه عنه عشر مجالس من مجالس السوء. وقال بعضهم لأبى يزيد البسطامى -رضى اللّه عنه-: إن لى معك سر ميعادك تحت شجرة طوبى، فقال: نحن تحتها ما دمنا فى ذكر اللّه تعالى. وقال على - رضى اللّه عنه-: إن اللّه تعالى يتجلى الذاكرين عند الذكر وقراءة القرآن، وعن النبى ﷺ ما من قوم اجتمعوا يذكرون اللّه لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء بأن قوموا مغفورًا لكم وبدلت سيئاتكم حسنات وعن أبى الدرداء -رضى اللّه عنه- عنَ النبى ﷺ: « **ليبعثن اللّه أقوامًا يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسو بأنبياء ولا شهداء** ». فجثا أعرابى على ركبتيه، وقال: اجلهم يا نبى اللّه أى صفهم لنا قال: « **المتحابون فى اللّه من قبائل شتى وبلاد ومدائن شتى يجتمعون على ذكر اللّه تعالى يذكرونه** »، وقال بعضهم فى قوله تعالى حكاية عن سليمان: ﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا**﴾ [النمل: ٢١] - أى لأبعدنه عن مجالس الذكر، ورجح البغوى نتف ريشه، وقال الجنيد -رضى اللّه عنه- فى قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِي يُمِيتُنِي**﴾ [الشعراء: ٨١] بالغفلة، ﴿**ثُمَّ**

يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ [الشعراء: ٨١] بالذكر، وقال الحسن البصرى -رحمه اللّه تعالى-: ما جلس قوم يذكرون اللّه فيهم واحد من أهل الجنة إلا شفعه اللّه فى الجميع.

الثالثة: قال داود-عليه السلام-: لأسبحن اللّه تسبيحًا ما سبحه أحد من خلقه فناداه ضفدع أتفخر على اللّه بتسبيحك وأنا منذ سبعين سنة ما جف لسانى عن ذكره ولى عشر ليالى لم آكل شيئًا اشتغالاً بكلمتين قال: ما هما؟ قلت: يا مسبحًا بكل لسان ومذكوراً بكل مكان. وفى نزهة النفوس والأفكار أن ملكًا قال له داود: أتفهم ما تقول الضفدع؟ قال: لا، فسمعها تقول: سبحانك وبحمدك منتهى علمك، فقال: والذى جعلنى نبيًا لم أمدحه بمثل هذا، وقال المفسرون: إنها تقول سبحان الملك القدوس، وفى البغوى سبحان القدوس، وفى كلام على -رضى اللّه تعالى عنه- سبحان المعبود فى لجج البحار.

الرابعة: قال على-رضى اللّه عنه- كان فى زمن يونس -عليه السلام- ضفدع بلغ من العمر أربعة آلاف سنة لا تمل من التسبيح فقالت: يا رب ما يسبحك أحد مثلى. قال يونس: قلت: يا رب ما تقول؟ قال تقول: سبحانك أضعاف من قالها من خلقك وسبحانك أضعاف من لم يقلها من خلقك وسبحانك مدى علمك ونور وجهك وزنة عرشك ومداد كلماتك.

الخامسة: إذا مات الضفدع فى ماء نجسه عند الأئمة الثلاثة وخالفهم مالك، وأما الماء فإن كانت بحرية فلا تنجسه عند أبى حنيفة وإن كانت برية نجسته، وقال الشافعى -رحمه اللّه- إن كان الماء كثيراً فلا إن لم يتغير برية كانت أو بحرية. الكثير: مائة وثمانية أرطال وثلث بالدمشقى عند الرافعى وعند الثورى مائة رطل وسبعة أرطال، والسرطان كالضفدع قاله فى شرحه المهذب ولحمه حرام عند الشافعى وأبى حنيفة حلال عند الإمامين وإذا طبخ بالشعير ينفع من وجع الظهر والصلب وإذا علق على شجرة كبر ثمرها وتسبيحه سبحان المذكور بكل لسان.

لطيفة: الضفدع فى المنام رجل صالح لأنه صب الماء على إبراهيم -عليه السلام- والضفادع الكثير عذاب، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ الآية [الأعراف: ١٣٣].

قال الرازى: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فهى عندنا باب السحر فلا نؤمن بك فدعا عليهم فأرسل الله عليهم الطوفان ليلاً ونهاراً شمسًا ولا قمراً فاستغاثوا إلى فرعون فاستغاث فرعون إلى موسى فاستغاث موسى إلى ربه فأمسك اللّه عنهم المطر وأرسل الرياح فنشفت الأرض فأخرجت نباتها بزيادة قالوا: هذا الذى جزعنا منه كان خيراً لنا فكفروا فأرسل اللّه عليهم الجراد فأكل النبات واشتد عليهم الأمر حتى صار عند طيرانه يغطى الشمس فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأرسل اللّه على الجراد ريحًا ألقته فى البحر فقالوا: ما بقى من زرعنا فهو يكفينا فكفروا فأرسل اللّه عليهم القمل؛ قال سعيد بن جبير: إنه السوس الذى يخرج من الحنطة وقال الثعلبى: هو نوع من الجراد ثم قال عطاء الخراسانى: هو

القمل المعروف وقيل: البراغيث وقيل: الجراد الذى لا أجنحة له فلم يدع لهم خضراء إلا أكلها وصار على أبدانهم كالجدرى فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأرسل اللَّه عليهم ريحًا فأحرقتهم فلم يؤمنوا فأرسل اللَّه عليهم الضفادع كالليل الدامس حتى فى زرعهم وطعامهم وعلى فراشهم ذراعًا فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأماتها وأرسل عليها مطرًا فاحتملها إلى البحر فكفروا فأرسل اللَّه عليهم الدم فجرت أنهارهم دمًا وقيل: سلط اللَّه عليهم الرعاف فمكثوا سبع أيام يشربون الدم فقالوا: يا موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك قال: سعيد بن جبير: هذا عذاب سادس وهو الطاعون وقال غيره: إنه عبارة عن الأنواع الخمسة المذكورة فقال الرازى: وهو الأقوى قال وهب: إنهم أقاموا فى كل بلية أربعين يومًا.

السادسة: قال ابن عباس - رضى اللَّه عنهما- قال النبى ﷺ: «خلق اللَّه ملكًا يوم خلق السماوات والأرض وأمره أن يقول: لا إله إلا اللَّه فهو يقول مادًا بها صوته لا يفرغ منها حتى ينفخ فى الصور».

وقال بعض الصحابة من قال: لا إله إلا اللَّه ومدها بالتعظيم كفر اللَّه عنه أربعة آلا ف ذنب من الكبائر فإن لم يكن عليه أربعة آلاف ذنب من الكبائر كفر اللَّه عن أهله وجيرانه وفى الحديث من قال: لا إله إلا اللَّه ومدها بالتعظيم هدمت من ديوان سيئاته أربعة آلاف ذنب فيستحب مدّ الصوت بها كما قال النووى رضى الله عنه. وقال النبى ﷺ: «من قال لا إله إلا اللَّه ومدّ بها صوته أسكنه اللَّه دار الجلال دارًا سمى بها نفسه فقال ذو الجلال والإكرام ورزقه اللَّه النظر إلى وجهه الكريم». وعن أنس- رضى الله عنه- عن النبى ﷺ أنه قال: «معاشر الناس من قال لا إله إلا اللَّه متعجبًا من شىء خلقه اللَّه خلق اللَّه من كلمته شجرة عليها ورق بعدد أيام الدنيا تستغفر له كل ورقة وتسبح له إلى يوم القيامة».

حكاية: اجتمع إبليس بذى القرنين فقال: يا إسكندر ما كفاك ملك الضوء حتى دخلت الظلمة ثم قال: الناس يقولون لا إله إلا اللَّه قال: نعم، فقال: لا يقولها شقى وفى الحديث أنها فى جنب إبليس كالأكلة فى جنب ابن آدم وفى الشفاء عن ابن عباس رضى الله عنهما مكتوب على باب الجنة لا إله إلا اللَّه لا أعذب من قالها.

فوائد: الأولى خلق اللَّه عمودًا من ياقوتة حمراء من نور وأصل ذلك العمود تحت الأرض السابعة ورأسه ملتو على قائمة العرش فإذا قال العبد لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه تحركت الأرض واهتز العرش فيقول اللَّه تعالى اسكن فيقول لا وعزتك حتى تغفر لقائلها فيقول اسكن فإنى كتبت أى حلفت على نفسى قبل أن أخلق خلقى أن لا أجريها على لسان عبد إلا غفرت له قبل أن يقولها.

الثانية: لا إله إلا اللَّه لها أسرار منها جميع حروفها جوفية إشارة إلى أن الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب ومنها أنه ليس فيها حرف معجم إشارة إلى التجرد عن كل معبود سواه ومنها أنها

اثنا عشر حرفًا كشهور السنة منها أربعة حرم وفى الجلالة حرف فرد وثلاثة سر وهى أفضل كلماتها كما أن الأشهر الحرم وهى ذو القعدة و ذوالحجة والمحرم ورجب أفضل الشهور فمن قالها مخلصًا بها كفرت عنه ذنوب السنة ومنها أن الليل والنهار وأربع وعشرون ساعة وهى مع محمد رسول اللّه أربع وعشرون حرفًا كل حرف يكفر ذنوب ساعة ومنها أن كلماتها سبع وأبواب جهنم سبعة كل كلمة تسد بابًا عن قائلها.

الثانية: رأيت فى كتاب الحقائق أن رجلاً وقف على عرفات فى يده سبع حصيات فقال أيتها الحصيات اشهدن لى أنى أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ثم طرحهن من يده فرأى تلك الليلة كأن القيامة قد قامت وقد رجحت سيئاته على حسناته فأمر به إلى النار فرأى الحصيات قد سدت عنه أبواب جهنم فاجتمع عليه جميع الزبانية ليزيلوا حجرًا فعجزوا فانطلقوا به إلى تحت العرش وانطلقت الأحجار خلفه يشفعن فيه فأمر اللّه تعالى به إلى الجنة فسبقته الأحجار إلى أبواب الجنة كل حجر يقول: يا عبد اللّه ادخل من جانبى.

الرابعة: كان فى زمن موسى- عليه السلام- عبد عصى ربه جل وعلا أربعمائة وثمانين عامًا فتداركه اللّه بكرمه فأتى موسى وقال: لا إله إلا اللّه موسى رسول اللّه فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا موسى قد غفر اللّه له ذنوب أربعمائة وثمانين عامًا وذلك أن قوله: لا إله إلا اللّه موسى رسول اللّه أربع وعشرون حرفًا كل حرف يكفر له ذنوب عشرين عامًا ومحمد رسول اللّه أفضل من موسى رسول اللّه فلا عجب أن اللّه يكفر ذنوب سبعين عامًا مثلاً بقول المؤمن لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه.

الخامسة: قال النبى ﷺ: **«ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا اللّه واللّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللّه إلا كفرت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»** رواه الترمذى: وقال: حديث صحيح.

حكاية: رأيت فى تفسير قوله تعالى: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا**﴾ [طه: ٤٤] قال موسى: يا رب كيف يكون القول اللين؟ قال: قل له هل لك فى الصلح رغبة فقد تعبت نفسك أربعمائة وخمسين عامًا فاتبع مرادنا سنة واحدة نغفر لك جميع ذنوبك فإن لم تفعل فأسبوعًا فإن لم تفعل فيومًا واحدًا فإن لم تفعل فساعة فإن لم تفعل فقل فى نفس واحد لا إله إلا اللّه، فأكون لك مصالحًا فلما أدى موسى الرسالة جمع فرعون جنوده وقال أنا ربكم الأعلى فاهتزت السماوات والأرض واستأذنوا ربهم جل وعلا فى هلاكه فقال هو كالكلب ليس له إلا العصا، يا موسى ألق عصاك فألقاها فأسلم السحرة وهرب فرعون إلى مخدعه فقال موسى: إن لم تخرج أمرتها أن تدخل عليك فقال: أمهلنى قال: لم يؤذن لى فأوحى اللّه تعالى إليه أمد له فإنى حليم لا أعجل وصار يتغوط كل يوم أربعين مرة، وكان قبل ذلك فى كل أربعين يوم مرة فلما أمهله إلى يوم الزينة وسيأتى بيانه فى فضل الأدب فى كتاب الموت طغى فأخذه اللّه نكال الآخرة والأولى. أى عذبه بالغرق على الكلمة الأولى وهى ما تقدم وعذبه بجهنم على الأخرى وهى: ما علمت لكم من إله غيرى.

وقال ابن عباس – رضى الله عنهما– : الأولى هذه والآخرة ما تقدم. وكان بينهما أربعون سنة. ورأيت فى زمرة العلوم وزهرة النجوم عن النبى ﷺ «قال لى جبريل: إنى وقفت بين يدى ربى حين قال فرعون: وما رب العالمين فنشرت جناحين للعذاب فقال اللّه تعالى: مه يا جبريل إنما يستعجل بالعذاب من يخاف الفوت» وذكر فى هذا الكتاب أيضًا أن فرعون لما قال: أنا ربكم الأعلى أراد جبريل أن يخسف به الأرض فاستأذن ربه تعالى فلم يأذن له وأمره أن يتجاوز عنه. قال العلائى فى سورة القصص: دخل إبليس على فرعون، وهو فى الحمام وقال: يا فرعون سولت لك كل شىء فما قلت لك ادع الربوبية وضربه أربعين سوطًا.

حكاية: اجتمع قوم من كفار قريش منهم فرعون هذه الأمة وهو أبو جهل عند أبى طالب فى مرضه الذى مات فيه وقال: لقد علمت ما بيننا وبين ابن أخيك فخذ حقنا منه وحقه منا قبل موتك فدعاه فقال: هؤلاء أشراف أقوامك فكف عنهم ويكفوا عنك فقال ﷺ: يعطونى كلمة واحدة فقال أبو جهل لعنه اللّه: نعطيك عشر كلمات فقال: قولوا لا إله إلا اللّه فقال: أتريد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن أمرك لعجيب فتفرقوا فقال أبو طالب: يا محمد ما سألتهم شططًا أى ما سألتهم شيئًا عسيرًا وأما قوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: ٢٢] أى لا تجر فى حكمك يقال: شط الرجل شططًا إذا جار فى حكمه فطمع النبى ﷺ فى إسلام عمه فقال: قلها فأستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فقال: لولا أن تظن الناس أى قريش أنى قلتها جزعًا لقلتها وسيأتى على هذا زيادة فى معجزاته ﷺ وقال الرازى فى سورة الأنعام قال أبو طالب: قل غير هذه الكلمة فإن قومك يكرهونها فقال النبى ﷺ: لا أقول غيرها حتى يأتوا بالشمس من محلها فيضعوها فى يدى فقالوا: اترك شتم آلهتنا وإلا شتمناك وشتمنا من يأمر بهذا فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [الأنعام: ١٠٨].

فإن قيل: سب الأصنام من أفضل الطاعات فلم نهى عنه؟.

فالجواب: لما كان سبها سيؤدى إلى منكر عظيم تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا وهو سب اللّه ورسوله وجب الاحتراز عنه.

لطيفة: شبه اللّه كلمة التوحيد بالماء لأنه يطهر وهذه الكلمة أيضًا تطهر من الذنوب، وشبهها بالتراب لأنه برد الجنة بأضعاف وهذه الكلمة يضاعف ثوابها وشبهها بالنار لأنها تحرق وهذه الكلمة تحرق الذنوب وشبهها بالشمس، لأنها تضىء على العالمين، وهذه الكلمة تضىء على ذلك اليقين، وشبهها بالقمر، لأنه يذهب ظلمة الليل، وهذه الكلمة تضىء فى القبر، وشبهها بالنجوم لأنها دليل المسافرين وهذه الكلمة دليل أهل الضلالة على الهدى، وشبهها بالنخلة قال اللّه تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] فإن النخلة لا تثبت فى كل أرض وهذه الكلمة لا تنبت فى كل قلب والنخلة

أطول الأشجار وهذه الكلمة أصلها في القلب وفرعها تحت العرش والثمرة لا تنقص قيمتها بالنواة والمؤمن لا تنقص قيمته بالمعصية التي بينه وبين اللّه تعالى والنخلة أسفلها شوك وأعلاها رطب وهذه الكلمة أولها تكاليف، فمن أتى بها وصل إلى ثمرتها وهى النظر إلى اللّه تعالى وهى مفتاح الجنة ولا بد للمفتاح من أسنان وأسنانها ترك المحرمات وفعل الواجبات قال اللّه تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] وقال النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا اللّه مخلصًا بها من قلبه دخل الجنة» قيل: وما إخلاصها قال: أن تحجزه عن محارم اللّه وقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة لا إله إلا اللّه، توضع في الميزان».

حكاية: كتب ملك الروم إلى سيدنا عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- أخبرنى رسولى أن ببلدكم شجرة يخرج ثمرها كآذان الحمير ثم ينشق عن أحسن شيء من اللؤلؤ ثم يخضر حتى يكون كالزمرد بالزاى المعجمة ثم يحمر ويصفر فيكون كشذور الذهب وقطع الياقوت ثم يينع أى ينضج فيكون أطيب من الفالوذج ثم ييبس ليكون للمقيم طعامًا وزادًا للمسافر فإن صدق فهذه شجرة من شجر الجنة فكتب إليه عمر بن الخطاب - رضى اللّه عنه- نعم وهى التى ولد تحتها عيسى فلا تدع مع اللّه إلهًا آخر.

فائدة: قال الرازى بين النخلة والحيوان بل الإنسان مناسبة ومشابهة بخلاف غيرها من الشجر ولهذا قال ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من بقية طين آدم - عليه السلام-» أى لأن آدم لما هبط طار شعره وتشعث بدنه فجاء جبريل بالمقراض فقص شعره وظفره وأزال الوسخ عن جسده ودفنه فى الأرض ثم قام فاستيقظ وقد خلق اللّه تعالى النخلة إلى جانبه بدنها أى جذعها من جسده وليفها من شعره وجريدها من ظفره وهى تشرب من أعلاها وغيرها من أسفلها قال على - رضى اللّه عنه-: وأول شجرة استقرت على وجه الأرض النخلة وقد ذكرها اللّه فى القرآن فى مواضع فقال: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ [ق: ١٠] يعنى طوالاً لها طلع نضيد يعنى ثمر بعضه فوق بعض وكان النبي ﷺ يأمر بأكل البلح بالتمر قال ابن آدم: إذا أكله غضب الشيطان ويقول بقى ابن آدم حتى أكل الحديث بالعتيق لأن البلح بارد يابس والتمر حار رطب وفى كل منهما إصلاح للآخر وقد جمع ﷺ بين القثاء والرطب وخبز الشعير والتمر وخلط الماء البارد بالعسل وشربه على الريق طلبًا لدوام الصحة بذلك فإن الحار والبارد إذا اجتمعا دامت الصحة، وقد نهى الحكماء عن الجمع بين السمك والبيض والسمك واللبن وعن الغسل بالماء البارد بعد أكل السمك وعن النوم بعده وعن شرب الماء بعد الجماع وعن دخول الحمام بعد شرب الحليب، قال السمرقندى فى البستان: من دخل الحمام وهو شبعان وأصابه القولنج فلا يلومن إلا نفسه. ومن طب النبي ﷺ أنه إذا كان صائمًا أفطر على الرطب لأن الصوم يضعف المعدة والكبد، والحلو أسرع شيء وصولاً إلى الكبد لأنها تحب الحلو وتقبله خصوصًا الرطب وقال ﷺ: «إذا جاء الرطب فهنئينى يا عائشة» والتمر أفضل الأغذية فى كل البلاد

والجمار بضم الجيم وتشديد الميم وهو قلب النخل يعقل البطن وينفع من الصفراء والحرارة ويزيده لعقة من الزنجبيل المربى بعده وسيأتى ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل.

مسألة: لو حرك لسانه بالطلاق ولم يسمع نفسه لم يقع ولو حرك لسانه بلا إله إلا اللَّه ولم يسمع نفسه أثابه اللَّه تعالى.

فائدة: قال ابن عباس - رضى اللَّه عنه-: علم اللَّه تعالى جبريل دعاء وأمره أن يعلمه للنبىﷺ من قاله كتب اللَّه له سبعين ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة ورفع له سبعين ألف درجة، وهو لا إله إلا اللَّه كما هلل اللَّه كل شىء وكما يجب أن يهلل وكما ينبغى لكريم وجهه وعز جلاله والحمد للَّه كما حمد اللَّه كل شىء كما يجب للَّه أن يحمد وكما ينبغى لكريم وجهه وعز جلاله وسبحان اللَّه كما سبح اللَّه كل شىء وكما يجب للَّه أن يسبح وكما ينبغى لكريم وجهه وعز جلاله. وفى الحديث إذا قال العبد: لا إله إلا اللَّه يصعد بها ملك فيستقبله فى السماء ملك آخر فيقول من أين؟ فيقول وأنت إلى أين؟ فيقول أصعد بها أى بشهادته إلى ربه فيقول الآخر وأنا ببراءته من النار.

حكاية: مر بعض أوصياء عيسى - عليه السلام- على صبيان يلعبون وفيهم ابن الوزير يلعب معهم ثم أخذه ابن الوزير إلى بيته ليكرمه عند أبيه فأحضر له طعامًا فحضرت الشياطين فقال: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ فهربت فسأل الوزير عن أمره فقال: أنا من أصحاب عيسى أرسلنى إليكم لتؤمنوا باللَّه وتتركوا الأصنام فأسلم ثم قال يومًا: قد مات فرس الملك فقال: قل له إن أطاعنى أحيا اللَّه فرسه فأخبره بذلك فقال: نعم فأحضره الوزير عند الملك فقال خذ أيها الملك بعضو الفرس وأمك بعضو وقولوا لا إله إلا اللَّه فلما قالوها تحرك كل عضو بيد قائلها فوثب الفرس حيًا باذن اللَّه تعالى.

لطيفة: فى طبقات ابن سعد أن النبىﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)** ﴾[البقرة: ٢٧٤] من هم؟ قال: هم أصحاب الخيل وقال ابن عباس - رضى اللَّه عنه-: إن الفرس تقول عند القتال سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقال عمر رضى الله عنه: عليكم بإناث الخيل فإن بطونها كنز وظهورها حرز ولحم الخيل يطرد الأرياح ولا يصلح للأبدان اللطيفة لأنه غليظ سوداوى وهو حرام إلا عند أبى حنيفة وحده، وإذا تَبَخَرتْ الحامل بحافره أسقطت الجنين والمشيمة المحتبسة، وإذا شربت المرأة لبن فرس وهى لا تعلم به وجامعها زوجها من ساعتها حملت وإذا بخرت الحامل بروثه وضعت بسهولة والاكتحال بروثه الجاف يزيل البياض من العين ولا زكاة فى الخيل عند جمهور العلماء وأوجبها أبو حنيفة فى الإناث أو الذكور مع الإناث أما الذكور الخلس فلا زكاة فيهن عنده فيعطى صاحبها عن كل واحد دينارًا أو يقومها فيعطى من كل مائتى درهم خمسة دراهم.

فوائد: الأولى قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالى - رحمه اللَّه تعالى- : قيل لزبيدة فى المنام ما فعل اللَّه بك؟ قالت: غفر لى بأربع كلمات الأولى: لا إله إلا اللَّه أفنى بها عمرى. الثانية: لا إله إلا اللَّه أدخل بها قبرى. الثالثة: لا إله إلا اللَّه أخلو بها وحدى. الرابعة: لا إله إلا اللَّه ألقى بها ربى.

الثانية: مر على بن أبى طالب - رضى اللَّه عنه- على مقبرة فقال: السلام عليكم يا أهل لا إله إلا اللَّه كيف وجدتم لا إله إلا اللَّه؟ فهتف هاتف يقول: وجدناها المنجية من كل هلكة.

الثالثة: يكتب للحمى الباردة على أربع ورقات وتشرب كل يوم ورقة الأولى: لا إله إلا اللَّه نارت فاستنارت. الثانية: لا إله إلا اللَّه دارت فاستدارت. الثالثة: لا إله إلا اللَّه حول العرش دارت. الرابعة: لا إله إلا اللَّه فى علم اللَّه غارت. قال ابن عباس - رضى اللَّه عنهما- : معنى لا إله إلا اللَّه لا نافع إلا اللَّه ولا ضار إلا اللَّه ولا معز إلا اللَّه ولا مذل إلا اللَّه ولا مانع إلا اللَّه. وسُئِلَ بعضهم عن قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥] فقال: البئر المعطلة قلبَ الكافر معطل عن قول: لا إله إلا اللَّه والقصر المشيد: قلب المؤمن معمور بلا إله إلا اللَّه. وقال تعالى: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا اللَّه شديد العقاب على من لم يقل لا إله إلا اللَّه فلا عدوان إلا على الظالمين هم الذين لم يقولوها.

الخامسة: قال ابن عباس - رضى اللَّه عنهما- : ينادى من تحت العرش أيتها الجنة وما فيك من النعيم لمن أنت؟ فتقول: لأهل لا إله إلا اللَّه وأنا محرمة على من لم يقل لا إله إلا اللَّه ثم تقول النار وما فيها من العذاب: لا يدخلنى إلا من أنكر لا إله إلا اللَّه ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا اللَّه وأنا محرمة على من قال: لا إله إلا اللَّه ثم تقول مغفرة اللَّه ورحمته: أنا لأهل لا إله إلا اللَّه وناصر لمن قال: لا إله إلا اللَّه ومحب لمن قال: لا إله إلا اللَّه والجنة مباحة لمن قال: لا إله إلا اللَّه والنار محرمة على من قال: لا إله إلا اللَّه.

السادسة: قال الغزالى: التوحيد ينقسم إلى لب ولب ولب، وإلى قشر وقشر وقشر مثاله اللوز له قشرتان عليا وسفلى ولب وهو القلب ولب ولب وهو الدهن فمثال القشرة الأولى أن يقول العبد بلسانه: لا إله إلا اللَّه وقلبه غافل ومثال القشرة السفلى توحيد المنافق فإنه ينفعه ما دام فى الدنيا فإذا مات طرح فى النار ومثال اللب توحيد المؤمن، لكن اللب لا يخلو من أشياء لا فائدة فيها كالقشرة الرقيقة السترة للب فكذلك توحيد المؤمن لأن المؤمن لا يخلو من الالتفات إلى زينة الدنيا ومثال الدهن توحيد العارف فالدهن لا يخالطه شيء فكذلك توحيد العارف صار خالصًا لا يرى إلا اللَّه ولهذا قيل للجنيد فى النزع: قل لا إله إلا اللَّه فقال: ما نسيته فأذكره. وقال ذو النون المصرى - رحمه اللَّه- : ما طابت الدنيا إلا بذكره وما طابت الآخرة إلا برحمته وما طابت الجنة إلا برؤيته.

حكاية: قال الجنيد - رحمه اللَّه- تعالى: خرجت يومًا إلى الحج فتحولت الناقة إلى طريق القسطنطينية مدينة الروم فرددتها نحو الكعبة فتحولت نحو المدينة أيضًا، فتركتها فلما دخلت

القسطنطينية رأيت أهلها فى قيل وقال تساءلت عن ذلك فقيل : إن ابنة الملك أصابها جنون وهم يطلبون طبيبًا فقلت : أنا أداويها فأدخلونى عليها فنادت من داخل الباب : يا جنيد لم تجذبك الناقة إلينا فتردها عنا؟ فلما رأيتها فإذا هى من أحسن النساء والغل فى عنقها ورجليها فقالت : صف لى دواء فقلت لها قولى : لا إله إلا اللّه فرفعت صوتها بذلك فسقط الغل من عنقها ورجليها فقال أبوها : ما أحسنك من طبيب فداونى فقلت له قل كما قالت فأسلم وأسلم معه خلق كثير .

مسألة: يجوز النظر إلى الحاجة بقدرها فإن كانت فصدًا أو حجامة فلا بد من حضور محرم كما شرح الرافعى وزاد فى الروضة معه الزوج أيضًا ، ولا يجوز لرجل طبيب أن يعالج امرأة طبيبة ويمنع الذمى مع وجود المسلم .

حكاية: مرض الشبلى فأرسل الخليفة إليه طبيبًا فعالجه فازداد مرضه فقال : يا شيخ المسلمين لو علمت أن شفاءك فى قطع عضو من أعضائى لفعلت فقال : شفائى فى قطع زنارك فقطعه وأسلم فوثب الشبلى كأن لم يكن به مرض فقال الخليفة : ظننت أنى أرسلت الطبيب إلى المريض وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب .

لطيفة: نظر رجل من الحواريين إلى عيسى وقد خرج من دار امرأة بغى فقال : يا رسول اللّه ما تصنع هاهنا فقال : الطبيب يداوى المريض .

حكاية: قال فى روضة العلماء : كان يحضر فى مجلس الحسن البصرى نصرانى فانقطع ثلاثة أيام فسأل عنه فقيل إنه فى النزع الأخير فدخل عليه فقال له : كيف أنت قال : موت عاجل ولا بد لى وقبر موحش ولا مؤنس لى ونار حامية ولا جلد لى وجنة أزلفت أى قربت ولا وصول لى وصراط ممتد ولا جواز لى وميزان علق ولا حسنة لى ورب غفور ولا حجة لى فقال له الحسن : هنا وقتك قال : حتى يجىء المفتاح فقام الحسن موليًا عنه فقال أتعرض عنى وقد أقبل على قد جاء بالمفتاح أن أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ثم مات فرآه الحسن تلك الليلة فى الجنة فسأله عن حاله فقال : أسكننى أعلى الجنة .

حكاية: قال النسفى : مر بعض العباد على رجل يعبد بقرة فقال : قل لا إله إلا اللّه فقال : لا ، فقال العابد يا بقرة بحق لا إله إلا اللّه كونى جمرة نار فإذا هى جمرة نار بإذن اللّه تعالى فقال : قلها وإلا تصير مثلها .

مسألة: لو أسلم كرهًا لم يصح ، إلا أن يكون حربيًا أو مرتدًا وأتى بالشهادتين بلغة أخرى وهو يقدر على العربية صح إسلامه قال فى شرح المذهب ولو قال : أنت طالق إن كنت من أهل النار لم تطلق إن كانت ملسمة ولو قال : إن كان اللّه يعذب الموحدين فأنت طالق طلقت عند الرافعى . قال

فى الروضة فى زوائده: هذا إذا قصد تعذيب أحدهم فإن قصد تعذيب الكل أو لم يقصد شيئًا لم تطلق، لأن التعذيب يختص ببعضهم.

لطيفة: دخل يهودى على الصالحين وهو يبرى قلمًا فقال له: أسلم قال: لا أسلم، قال: أسلم وإلا أقطع رأس القلم قال: فقطعه فوقع رأس اليهودى عن جسده. حكاه فى روض الأفكار.

حكاية: قال فى الكتاب المذكور: قال مالك بن دينار: وقفت يومًا على صومعة راهب سمعته يقول يا من لاذ بحرمه الخائفون ورغب فيما عنده الطالبون أسألك الخلاص من القصاص وأستغفرك من ذنوب ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها، فناديته يا راهب كيف تركت الدنيا قال: تركتها قبل أن تتركنى، قلت: حدثنى بقصتك. قال: كنت على دين النصرانية فرأيت فى منامى قائلاً يقول: ويحك إلى كم تعبد غير اللّه إن عيسى عبد من عبيد اللّه فقلت له: من أنت؟ قال: أن شفيع المذنبين أنا الذى بشر بى عيسى وشهد بنبوتى موسى أنا فى التوراة موصوف وفى الإنجيل معروف ثم مسح بيده على صدرى وقال: اللهم ألهم عبدك الرشاد ووفقه للسداد فانتبهت ولا شىء أحب إلى من الإسلام فأسلمت وسكنت فى صومعتى هذه. ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب.

لطيفة: رأيت فى رحمة النبى ﷺ أن يأتى قبره الشريف جبريل وميكائيل وإسرافيل قبل يوم القيامة فيقول: إسرافيل يا حبيب اللّه قم بإذن اللّه فلا يجيبه فيقول ميكائيل يا نبى اللّه قم بإذن اللّه فهو أول من تنشق عنه الأرض.

حكاية: كان إبراهيم يبيع أصنامًا ينحتها أبوه وينادى من يشترى شيئًا يضره ولا ينفعه فقالت امرأة: يا إبراهيم أريد إلهًا أشتريه من أبيك فقال: أنا أبيعك صنمًا ثلثه يسخن الماء وثلثه يطبخ الطعام وثلثه يخبز العجين فتفكرت المرأة فى كلامه ثم قال: أنا أدلك على إله من دعاه أجابه ومن استغاث به أغاثه فقالت: كيف الوصول؟ قال: من قال: لا إله إلا اللّه مخلصًا من قلبه وصل إليه فقالت: المرأة: لا إله إلا اللّه فسقط الصنم من يد إبراهيم على وجهه فقالت: يا إبراهيم نعم الرب ربك من أمل غيره خاب والتعب فى غير طاعته ضائع ثم أخذت الصنم وكسرته.

حكاية: كان ببلاد الهند شيخ كبير يعبد صنمًا دهرًا طويلاً ثم حصل له أمر مهم فاستغاث به فلم يغثه فقال: يا أيها الصنم ارحم ضعفى فقد عبدتك دهرًا طويلاً فلم يجبه فانقطع عند ذلك رجاؤه منه ونظر اللّه إليه بعين الرحمة فخطر على قلبه أن يدعو الصمد فرمق بطرفه نحو السماء وقد وقع فى الخجل وقال: يا صمد فسمع صوتًا من الهواء يقول: لبيك يا عبد اطلب ما تريد فأقر للّه بالوحدانية فقالت الملائكة: ربنا دعا صنمه دهرًا فلم يجبه ودعاك مرة واحدة فأجبته فقال يا ملائكتى إذا دعا الصنم فلم يجبه ودعا الصمد فلم يجبه فأى فرق بين الصنم والصمد؟.

حكاية: كان فى بنى إسرائيل رجل يعبد بقرة فدخل بها يومًا إلى البستان فطلعت سحابة مع رعد

وبرق فهربت البقرة فقال فى نفسه: من يفزع من الرعد والبرق لا يكون إلهًا فرفع طرفه إلى السماء وقال: يارب السحاب إن كان لك غنم فابعثها لأرعاها وإن لم يكن لك غنم فأنا أقاسمك غنمى، فأوحى اللّه إلى نبى ذلك الزمان اذهب إلى فلان وأقرئه منى السلام وعلمه أركان الدين فقد قذفت فى قلبه المعرفة وقبلت رجوعه إلى وأردته قبل أن يردنى.

فائدة: قال ابن عباس - رضى اللّه عنهما- من سمع صوت الرعد فقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شىء قدير فإن أصابته صاعقة فعلى دينه حكاه العلائى فى سورة الرعد وقال الرازى وابن عباس - رضى اللّه عنهما-: إن اليهود سألوا النبىﷺ عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخارق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء اللّه وقال إن اللّه ينشىء السحاب فنطق أحسن النطق وضحك أحسن الضحك فمنطقه الرعد وضحكه البرق والعارفون من الصوفية الرعد صفقان الملائكة والبرق زفرات أيديهم والمطر بكاؤهم قال الرازى عند لمعان البرق يخاف وقوع الصواعق وذلك دليل على قدرة اللّه لأن السحاب جوهر مركب من أجزاء رطبة مائية وهوائية والماء جسم رطب والنار جسم حار يابس وظهور الضد من الضد دليل على قدرة الصانع.

حكاية: كان أبو ذر الغفارى - رضى اللّه عنه- يعبد صنمًا لا يفارقه حضرًا ولا سفرًا فخرج يومًا إلى السفر فذهب لحاجته فقال: أيها الصنم احفظ متاعى فلما ذهب جاء الثعلب وبال عليه فلما رجع أبو ذر وجده مبلولاً فقال واعجباه السماء لم تمطر فوجد أثر الثعلب فرمق بطرفه نحو السماء وقال:

أرَبٌّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فلو كان ربًا كان يمنع نفسه ... فلا خير فى رب نأته المطالب

برئت من الأصنام يا رب كلها ... وآمنت باللّه الذى هو غالب

لطيفة: صيد الثعلب فى المنام زواج بامرأة، وأكل لحمه دواء وشرب لبنه شفاء ومن قاتله خاصم بعض أهله وابن آوى كالثعلب.

مسألة: الثعلب حلال عند الشافعى ومالك، حرام عند الإمامين - رضى اللّه عنهم أجمعين.

فائدة: لحمه ينفع من الفالج واللوقة والجذام وطحاله إذا علق على ذى طحال عافاه اللّه وشحمه ينفع من وجع الأذن تقطيرًا ويطلى به رجل المنقرس فيبرأ ودمه ينبت شعر الأقرع دهنًا وأسنانه اليمنى إذا علقت على من يشتكى وجع أذنه اليمنى عافاه اللّه تعالى وكذلك اليسرى لليسرى، ذكر فى كتاب العجائب والغرائب: أن الثعلب ينكح الهرة فيأتى بولد غريب الشكل قال مؤلفه - رحمه اللّه تعالى- إن صح ما ذكره يكون الولد حرامًا تبعًا لأمه لأن الهر الأهلى والوحشى حرام وفيها خلاف، والأهلى أضعف خلقًا فالولد يتبع أحد أصوله فى التحريم والنجاسة وأشرف الأديان ومثال النجاسة إذا نكح

كلب ثعلبة فأتت بولد فالولد نجس تغسل منه سبعًا إحداهن بتراب ومثال أشرف الأديان تزوج مسلم يهودية فالولد مسلم .

حكـاية: لما رجع موسى من مناجاته وجد فى طريقه رجلاً يعبد فرعون فدعاه إلى الإسلام وقال ما حصل لك من عبادة فرعون؟ فقال : وأنت ما حصل لك من عبادة ربك؟ فقال : أنا أعبد طاعة وأنت تعبد فرعون طمعًا فى ماله ، قال : صدقت يا موسى قال : إن فى دارك كنزًا إن أخبرتك به تؤمن باللّه؟ قال : نعم فأخبره به فقال : لا إله إلا اللّه موسى رسول اللّه فبلغ فرعون ذلك فأخذه ووضعه فى دهن على النار فأخرجه جبريل ثلاث مرات فقال الرجل : يا موسى اسأل ربك أن يخلصنى منهم فإن الموت على الإسلام خير من ذاك فأخذه فرعون ووضعه فى الدهن على النار فقال جبريل : يا موسى عظم اللّه أجرك فى صاحبك فقد فتحت الجنة لقدوم روحه .

حكاية: خرج بعض الصالحين فى غزوة فضل عن الطريق فصعد جبلاً ، فوجد قومًا من النصارى وعندهم كرسى فسأل واحدًا منهم فقال يخرج إلينا راهب فى كل عام مرة فيعظنا فلبست مثل ثيابهم فلما صعد الراهب على الكرسى ، فقال : أيها الناس لست لكم واعظًا لأن فيكم رجلاً من أمة محمد ﷺ ثم قال : يا محمدىّ أقسمت عليك بحق دينك قم إلينا حتى نراك فوثب قائمًا فقال : إن سألتك عن شىء تجيبنى؟ قال : نعم . قال : سمعت أن اللّه خلق فى الجنة ثمارًا فهل خلق فى الدنيا مثلها؟ قال : نعم فى الاسم واللون قال : فليس فى الجنة بيت إلا وفيه غصن من شجرة طوبى فهل لها نظير فى الدنيا؟ قال نعم إذا توسطت الشمس فى السماء كذلك . قال : فى الجنة أربعة أنهار مختلفة الطعم تخرج من أصل واحد فهل لذلك نظير فى الدنيا؟ قال : نعم ماء الأذن مر وماء العين مالح وماء الأنف منتن وماء الفم طيب قال : إن فى الجنة سريرًا طوله خمسمائة عام فإذا أراد الرجل أن يصعد عليه تطأطأ له فهل لذلك مثيل فى الدنيا؟ قال : نعم قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴿١٧﴾ ﴾ [الغاشية: ١٧] ، تهوى برأسها إلى الأرض ثم تثب قائمة قال : إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فهل لذلك نظير فى الدنيا؟ قال : نعم الجنين فى بطن أمه كلما اشتهى شيئًا أوقع اللّه تلك الشهوة على أمه فيبلغ الغذاء إليه وهو فى هذه المدة لا يبول ولا يتغوط ، ثم قلت له : أخبرنى عن مفتاح الجنة ، فقال الراهب : إنه سألنى عن مفتاح الجنة وقد قرأت فى الكتب أن مفتاحها لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه فأسلم وأسلم معه خلق كثير .

فـائدة: قـال النبى ﷺ أخبرنى جبريل أن لا إله إلا اللّه أنيس المسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره وقال النبى ﷺ: إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا اللّه فإنه ما من عبد يختم له بها إلا كانت زاده فى الجنة ، وقال السمرقندى : إذا قال العبد : لا إله إلا اللّه وقلبه عند الدنيا كتب له عشر حسنات وإن كان عند الآخرة فله سبعمائة حسنة وإن كان مع اللّه ملأت ما بين المشرق والمغرب حسنات .

مسـألة: لو قال الكافر لا يرحمنى إلا اللَّه أو لا إله إلا الرحمن أو لا إله إلا البارى أو لا بارى إلا اللَّه أو أبو القاسم أو أحمد رسول اللَّه كانت له لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، ويصير بذلك مؤمنًا إلا أن يكون مشبهًا حتى يبرأ منه التشبيه ويعتقد بأنه تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

حكاية: رأى موسى – عليه السلام– شيخًا يعبد نارًا فقال: أما آن لك أن ترجع عنها إلى عبادة اللَّه؟ فقال: إن رجعت إليه يقبلنى؟ قال: نعم فعرض عليه الإسلام فأسلم ثم بكى حتى غشى عليه فحركه موسى فوجده ميتًا، فقال: يا رب عامله كما أنت أهله فقال: يا موسى أما علمت أن من صالحنا صالحناه ومن تقرب إلينا قربناه، وقد أنزلته منازل الموحدين وجعلته فى منازل المقربين.

حكاية: كان فى زمان مالك بن دينار أخوان محدثان يعبدان النار فقال الأصغر للأكبر قد عبدناها مدة طويلة فننظر إن أحرقتنا تركناها وإلا فلازمناها فوضع كل منهما يده فيها فأحرقته فذهبا إلى مالك ابن دينار ليعلمهما الإسلام فغلبت الشقاوة على الأكبر، فقال: لا أعبد غيرها فلما أسلم الصغير ذهب إلى مكان خراب يعبد ربه فلما أصبح قالت له امرأته: اذهب إلى السوق واطلب عملاً تأكل منه فذهب إلى مكان وصلّى فيه إلى الليل ثم رجع فقالت له امرأته: هل عملت شيئًا؟ قال: عملت عند الملك وقال: أعطيك غدًا فباتوا جياعًا فلما كان فى اليوم الثانى خرج للعبادة وقال: يا رب أكرمتنى بالإسلام فأسألك بحق هذا الدين وهذا اليوم يوم الجمعة أن ترفع عن قلبى هم نفقة عيالى، فلما رجع ليلاً وجد عياله فى فرح وعندهم طعام كثير فسألهم عن ذلك، فقالت: جاءنا وقت الظهر رجل معه طبق فيه ألف دينار وقال: قولى لزوجك هذا أجرة عملك فى يومين وإن زدت زدناك فذهبت بدينار إلى الصيرفى وكان نصرانيًا فعرف أن الدينار من هدايا الآخرة فأسلم وأعطانى ألف درهم لما أخبرته بأمرك وأمر الرجل الذى جاءنا بالطبق فسجد زوجها شكرًا للَّه.

فـائدتان: الأولـى: قال فى نزهة النفوس والأفكار: من مضار النار أن إبليس خلق منها قال القرطبى: إنه خلق من نار العزة فلذلك قال ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص: ٨٢] فالعزة أورثته التكبر عن السجود لآدم، ومن منافعها فى الشتاء تدفع البرد وتحسن الوجه، والكى بها ينفع من الفالج، وفى الرأس ينفع من الشقيقة كالنسيان البلغمى وسيأتى فى الصدقة لأنه لا يحل منعها.

الثـانيـة: قال بعض الصالحين على جبل عرفات: الحمد للَّه على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة، فلما كان العام القابل أراد أن يقولها على عرفات فهتف به هاتف: مهلاً يا عبد اللَّه حتى نفرغ من ثوابها بالعام الماضى، وقال عن بعض أولاد على بن أبى طالب: كان إذا رأى من هو على غير دين الإسلام قال: الحمد للَّه الذى فضلنى عليك بالإسلام دينًا وبالقرآن كتابًا وبمحمد نبيًا وبعلى إمامًا وبالمؤمنين إخوانًا وبالكعبة قبلة وقال: من قال ذلك لم يجمع اللَّه بينه وبين النار أبدًا وفى الحديث ما من مسلم قال: إذا رأى يهوديًا أو نصرانيًا أشهد أن لا إله إلا اللَّه واحدًا أحدًا فردًا صمدًا لم

يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولم يكن له كفوًا أحد كتب اللَّه له بكل يهودى ونصرانى حسنة ذكره الترمذى الحكيم.

حكاية: قرأ بعض الصالحين قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾[مريم: ١٧] فقال يهودى: إن كان ما تقول حقًا فنحن وأنتم فيها سواء فقال: نحن ننجو منها بالتقوى فقال اليهودى: ونحن أيضًا من المتقين فقرأ المسلم: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا﴾[الأعراف: ١٥٦] الآية فقال: أريد برهانًا على صدق ما تقول فقال المسلم أطرح ثيابى وثيابك فى النار فمن سلمت ثيابه فدينه صحيح فجعل اليهودى ثيابه فى ثياب المسلم وطرحها فى النار فدخلت إليها فأكلتها دون ثياب المسلم، فعند ذلك أسلم اليهودى.

مسألة: قال بعض العلماء: الإسلام ما ظهر والإيمان ما بطن، فالإسلام: هو الاستسلام والانقياد، والإيمان: هو التصديق بالقلب، وقال بعضهم: الإسلام والإيمان هما عمل بالأركان وإقرار باللسان وتصديق بالجنان ورأيت فى كتاب نثر الدر دخل على بن موسى نيسابور فتعلق العلماء بلجام بغلته وقالوا بحق آبائك الطاهرين حدثنا حديثًا سمعته من آبائك فقال: حدثنى أبى موسى قال حدثنى أبى جعفر قال: حدثنى أبى الباقر قال: حدثنى أبى زين العابدين قال: حدثنى أبى الحسن قال: حدثنى أبى على بن أبى طالب - رضى اللَّه عنهم -، قال: سمعت النبىﷺ يقول: «**الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان**» قال الإمام أحمد لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرأ من جنونه قيل: إنه قرأه على مصروع فأفاق.

لطيفة: من قال فى منامه: لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه فرج اللَّه عنه وختم له بشهادة وعن أنس- رضى اللَّه عنه- عن النبىﷺ: «إذا قال العبد لا إله إلا اللَّه خرقت طبقات السماء حتى يصير فى كتابه مثل القمر وأعماله حولها مثل الكواكب» وفى الحديث: «من قال لا إله إلا اللَّه غرست له شجرة فى الجنة من ياقوتة حمراء منبتها من مسك أبيض طعمه أحلى من العسل وأشد بياضًا من الثلج وأطيب ريحًا من المسك، فقال رجل: يا رسول اللَّه إذًا نكثر من قولها، فقال: خير اللَّه أكثر وأطيب».

فصل: فى فضل البسملة

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾[النمل: ١٥] قال الجنيد: أى علمناهما ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وقال بعضهم: فى قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾[الفتح: ٢٦] هى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وقال القشيرى: إذا قرع هذا اللفظ أسماع أهل المعرفة لم تذهب فهومهم ولا إلى معنى غير وجوده سبحانه، فإذا قال بلسانه: اللَّه أو سمع بأذنه اللَّه أو شهد بقلبه اللَّه فكما لا تدل هذه الكلمة على معنى إلا اللَّه لا يكون شهوة قائلها إلى اللَّه، فيقول بلسانه اللَّه يعرف

بقلبه اللّه ويعلم بفؤاده اللّه ويحب بروحه اللّه ويشهد بسره اللّه ويتعلق بظاهره بين يدى اللّه ويقال: البسملة ربيع الأحباب وأزهارها لطائف الوصلة وأنهارها زوائد القربة فمن أسمعه بسم اللّه الرحمن أدهشه فى كشف جلاله ومن أسمعه الرحمن الرحيم عيشه بلطف أفضاله وقال فى كتاب عظة الألباب: الباء من بسم اللّه بهاؤه والسين سناؤه والميم مجده وعلاه، وقيل الباء بابه والسين سلامه والميم إنعامه، وقيل الباء بركته والسين ستره والميم معرفته وفى غير علام الغيوب الرحمن كشاف الكروب الرحيم غفار الذنوب اللّه مجيب الدعوات الرحمن منزل البركات الرحيم يعفو عن السيئات، وقال النبى ﷺ: «**أول ما نزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هرب الغيم من المشرق إلى المغرب وسكت الريح وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين بالشهب، وأقسم اللّه بعزته لا يسمى باسمه على مريض إلا شفاه اللّه**» وفى رواية ابن عباس - رضى اللّه عنه- ولا على شىء إلا باركه عليه، وقال على - رضى اللّه عنه-: لما نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ضجت الجبال حتى كنا نسمع دويها فقال الكفار سحر محمد الجبال، وقال ﷺ: «**ما من مؤمن يقرأها إلا سبحت الجبال معه لكنه لا يسمع**». وقال ﷺ: «**لا يرد دعاء أوله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**» وسيأتى فى آخر الكتاب إن شاء اللّه تعالى: أن بينها وبين اسم اللّه الأعظم كما بين بياض العين وسوادها، قال النسفى: لما قتل قابيل هابيل اشتد ذلك على آدم فأوحى اللّه عليه قد جعلت الأرض طوعًا لك فقال: يا أرض خذيه فلما همت به قال قابيل يا أرض بحق ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لا تأخذينى، فقال اللّه تعالى: يا أرض خلى عنه.

حكاية: افتتح اللّه كتابه بثلاثة أسماء والخلق ثلاثة أقسام: ظالم ومقتصد وسابق فاللّه للسابقين والرحمن للمقتصدين، والرحيم للظالمين.

فوائد: الأولى: أوحى اللّه تعالى إلى موسى أنى أكرمت أمة محمد ﷺ بثلاثة أسماء قال: يا رب وما هى قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وكان عنده رجل أعمى فقال: يا رب بحق هذه الأسماء رد على بصرى فرد اللّه عليه بصره فى الحال.

الثانية: إذا كان يوم القيامة وزنت أعمال هذه الأمة تتزايد ركعة من صلاتهم على ألف ركعة من صلاة غيرهم فيتعجبون من ذلك فيقال لهم: كانوا يقولون فى صلاتهم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وفى الحديث يا أبا هريرة إذا توضأت فقل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإن الحفظة يكتبون لك الحسنات حتى تفرغ وإذا غشيت أهلك فقل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإن الحفظة يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل، فإذا حصل من تلك الوقعة ولد كتب لك من الحسنات بعدد أنفاس ذلك الولد وبعدد أنفاس أعقابه، يا أبا هريرة إذا ركبت دابة فقل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يكتب لك بعدد كل خطوة حسنة.

الثالثة: عن ابن مسعود - رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ: «من قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كتب اللَّه بكل حرف أربعة آلاف حسنة، ومحا عنه أربعة آلاف سيئة ورفع له أربعة آلاف درجة».

الرابعة: عن على بن أبى طالب- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «إن للَّه داراً فى الجنة يقال لها دار النور، كل شىء خلقه اللَّه فيها من نور وهى فى الهواء ليس لها طريق» قيل: يا رسول اللَّه كيف يصعدون إليها؟ قال: يقال لهم قولوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيطيرون إليها.

لطيفة: إذا كتب السيد على عبده كتابًا عرف رضا سيده وسخطه من عنوان كتابه، واللَّه جعل عنوان كتابه بسم اللَّه الرحمن الرحيم ولم يقل: بسم اللَّه الجبار والقاهر فعلم بذلك رضاه، ذكره النسفى، وقال الغزالى فى جواهر الشعرانى: لما ابتدأ اللَّه كتابه بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ١]، علم سبحانه أن النفوس ترهب من ذلك فعقبه بقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ [الفاتحة] ليجمع فى صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه زاد القرطبى فيكون أعون على طاعته.

مسألة: فإن قيل كرر ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ فى الفاتحة والبسملة آية منها عند الشافعى، فالجواب: ما رأيت فى تفسير النيسابورى تأكيد للرحمة وعناية بها ومع ذلك عقبة بقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤]، لئلا يغتر ثم نقل فروقًا بين ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عن جماعة من العلماء، فقال الضحاك الرحمن بأهل السماء والرحيم بأهل الأرض، وقال عكرمة: الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وقال ابن المبارك: الرحمن إذا سئل والرحيم إذا لم يسئل غضب، ورأيت فى تفسير القرطبى الرحمن لمن آمن والرحيم لمن تاب، وقيل: الرحمن الرحيم إنعام بعد إنعام ورأيت فى تفسير الرازى الرحمن يخلق ما لا يقدر عليه العبد والرحيم يخلق ما يقدر العبد على جنسه.

حكاية: أن رجلاً اعتقل لسانه عن الشهادة عند موته فجاء النبى ﷺ فقال: ما كان يصلى ويصوم؟ قالوا: بلى يا رسول اللَّه. قال: هل عق والدته؟ قالوا: نعم، فدعا بها وأمرها بالعفو عنه، فأبت لأنه قلع عينها فدعا الخطب والنار فقالت: يا رسول اللَّه ما هذا؟ قال: أحرقه بالنار فقالت: حملته تسعة أشهر وأرضعته سنتين قال: فإن رحمته الأم عفوت فعفت عنه، فانطلق لسانه وقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه. قال النيسابورى وغيره: فالرحمن خاص اللفظ فلا يسمى به غير اللَّه عام المعنى لأنه خلقه برزقه، والرحيم عام اللفظ لأنه يطلق على غيره كهذه المرأة فإنها كانت رحيمة لا رحمانة وخاص المعنى بالآخرة فلا يرحم إلا المؤمنين، فإن قيل: الرحمن أعظم قال ابن العربى: إنه اسم اللَّه الأعظم فلم ذكر العظيم بعده والعادة التدريج من الأدنى إلى الأعلى، فالجواب: أن العظيم لا يطلب منه الحقير كما حكى عن بعضهم أنه طلب شيئًا يسيراً من بعض الأكابر فقال: أطلب الحقير من رجل حقير فكأنه يقول تعالى: لو اقتصرت على ذكر الرحمن لاستحييت منى أن تطلب الأمور اليسيرة ولكن علمتنى رحمانًا فاطلب منى الأمور العظيمة كما قال النبى إذا سألتم اللَّه

فاسألوه الفردوس فأنا أيضًا رحيم فاطلب منى ولو ملْحَ قدْرِكَ قال مؤلفه - رحمه اللَّه تعالى - إذا كان الملح حقيرًا فى الطلب فقد روى ابن ماجه عن النَبى ﷺ: سيد إدامكم الملح قال العلماء: سيد الشيء هو الذى يصلحه، حتى الذهب يزاد به صفرة، والفضة بياضًا، ويقلع البلغم من المعدة والصدر ويطرد الأرياح وينفع من وجع الفؤاد ويقلع الحفر من الأسنان إذا دلكها به مع قدره من السكر ويذهب الصفرة من الوجه ويحسن اللون لا سيما إذا استعمل صباحًا وإذ وضع على النار مع الخل ثم جعل فى الفم يسكن وجع الضرس وهو صالح للأورام البلغمية العارضة لأصحاب الاستسقاء ومنافعه لا تحصى، وسيأتى على هذه زيادة فى باب الكرم إن قدر اللَّه.

حكاية: قيل: كانت للنمروذ بالذال المعجمة بنت صغيرة، فقالت: يا أبتى دعنى أنظر إلى إبراهيم فى النار، فنظرت إليه فوجدته سالمًا فقالت: كيف لا تحرقك النار؟ فقال: من كان على لسانه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وفى قلبه المعرفة لا تحرقه النار فقالت: أريد الدخول عندك، فقال: قولى: لا إله إلا اللَّه إبراهيم رسول اللَّه فقالت: فصارت النار عليها بردًا وسلامًا فلما رجعت إلى أبيها أخبرته بذلك فأمرها بالرجوع عن دين إبراهيم فلم ترجع فعذبها عذابًا شديدًا فأمر اللَّه جبريل فأخذها ووضعها عند إبراهيم ثم زوجها بولده فولدت له عشرين نبيّا ورأيت فى عرائس الثعلبى أن إبراهيم وجد فى النار عين ماء ووردًا أو نرجسًا، وكان ابن ست عشرة سنة، قال إبراهيم: ما كنت قط بأنعم أياما من الأيام التى كنت بها فى النار، قال السعدى: أقام بها سبعة أيام، وقيل أربعين.

فوائد: الأولى: جاء فى الحديث عن النبى ﷺ شموا النرجس فإن ما منكم من أحد إلا وله بين الصدر والفؤاد شعبة من برص أو جنون أو جذام لا يذهبها إلا شم النرجس، قال على - رضى اللَّه عنه - عن النبى ﷺ: «شموا النرجس ولو فى اليوم مرة، ولو فى الشهرة مرة ولو فى السنة مرّة ولو فى الدهر مرّة فإن فى القلب حبة من الجنون أو الجذام أو البرص لا يذهبها إلا شم النرجس» نقله الحافظ أبو عبد اللَّه محمد الجزرى بن المقرئ بسنده عن على - رضى اللَّه عنه - قال فى نزهة النفوس والأفكار: شمه ينفع من وجع الرأس الكائن من البلغم ومن الصداع، قال جالينوس: الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح ومن له رغيفان فليجعل أحدهما فى ثمن النرجس.

الثانية: سلطان الأزهار وأحسنها شكلاً ولونًا وريحًا الورد شمه ينفع من الخفقان وشرب مائه يحسن الصوت، وإذا جعل فى الأنف قطع الرعاف وشم الورد يسكن حركة الصفراء ويقوى الأعضاء الباطنة وسيأتى زيادة على هذا فى باب الصلاة على النبى ﷺ.

الثالثة: قال النسفى: إذا احتضر العارف نزل عليه ملك الموت من قبل وجهه فيدفعه الذكر فيأتى من قبل يديه فتدفعه الصدقة فيأتى من قبل رجليه فيدفعه المشى لصلاة الجماعة فيقول له: اكتب اسمى على كفك وأره إياه فيكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا رأته روح المؤمن طارت

شوقًا إلى ربها، وفى رواية تقول الروح لملك الموت: أنت أسكنتنى فى هذا الجسد، فيقول لا فتقول لا يخرجنى إلا الذى أسكننى فيقول أنا رسوله، فتقول: ائتنى بعلامة فيقول اللَّه تعالى: خذ تفاحة من الجنة، فيأخذ تفاحة عليها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا رأتها طارت شوقًا إلى الجنة، قال فى عجائب المخلوقات: شم ظهر التفاح تقوى الدماغ وأكل التفاح يقوى القلب وعصارة ورق شجرة ينفع من السموم.

حكاية: كان يهودى يحب يهودية حبّا حتى ترك الأكل والشرب، فشكا حاله إلى الشيخ عطاء الأكبر، فكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وأمره ببلعها فابتلعها فقال يا شيخ المسلمين قد طلع على قلبى نور أنسانى المرأة وأحببنى الإسلام، أنا أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، فسمعت المرأة بذلك فجاءت إلى الشيخ وقالت: يا إمام المسلمين أنا تلك المرأة، قد رأيت فى المنام قائلاً يقول إن أردت الجنة فاذهبى إلى الشيخ عطاءفقال لها: قولى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فناداها يا قارئة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قد أعطاك اللَّه ما رأيت فانتبهت المرأة وقالت: يارب أدخلتنى الجنة ثم أخرجتنى أسألك بحق ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أن تعيدنى فيها فسقطت ميتة، قال النسفى: تأخذ الزبانية يوم القيامة عبدًا فيقال لهم: ردوه فينظر إلى أعضائه فلا يوجد فيها خير فيقال: أخرج لسانك فإذا عليه بخط أبيض ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيقال له: اذهب فقد عفوت لك.

فائدة: قال ابن مسعود من أراد أن ينجيه اللَّه من الزبانية التسعة عشر فليقل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأن حروفها تسعة عشر وقال غيره: كلماتها أربع والذنوب أربع ذنوب، الليل والنهار والسر والعلانية، فمن قالها كفر اللَّه عنه الذنوب الأربعة، وعن أنس بن مالك- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ: «**ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم إذا نزعوا ثيابهم أن يقولوا:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾» قال فخر الدين الرازى: والإشارة فى ذلك إذا صار هذا الإسم حجابًا لك من أعدائك فى الدنيا فلا يصير حجابًا بينك وبين الزبانية.

حكاية: مر عيسى برجل يصطاد حية عظيمة فقالت يا نبى اللَّه قل له إن لى سمّا قاتلاً فنهاه عنها فلم يرجع، ثم بعد ذلك مر بها عيسى فقال: يا روح اللَّه ما غلبنى بقوته ولكن بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فأبطل سمى.

فائدة: قال النسفى: لما نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ على آدم قال: الآن أمنت على ذريتى من العذاب، فلما مات ارتفعت ثم نزلت على نوح فنجا بها من الغرق ثم ارتفعت بعد موته ثم نزلت على إبراهيم فصارت النار بردًا وسلامًا ثم نزلت على موسى فسلم من البحر ثم ارتفعت فنزلت

على سليمان فاستقام ملكه ثم نزلت على عيسى فأوحى اللّه إليه قد أنزلت عليك آية الأمان، فلما رفعه اللّه ارتفعت ثم نزلت على محمد ﷺ إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة، يأخذ المؤمن كتابه بيمينه ويقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا هو أبيض لا شىء فيه، فيقال: إنه كان مملوءًا من السيئات ولكن محته ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقال القرطبى: البسملة من خصائص هذه الأمة وفى تفسير الرازى عن بردة عن النبى ﷺ: **«ألا أخبركم بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غيرى قلت: بلى يا رسول اللّه قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾»** قال الرازى: أجمع العلماء على أنه يستحب أن لا يشرع فى عمل من الأعمال إلا ويقول: بسم اللّه حتى القابلة إذا أخذت الولد تقول: بسم اللّه فإنه خرج من ظلمات ثلاث، ظلمة الأحشاء وظلمه المشيمة وظلمة الرحم، حكاه البغوى. والبسملة قراءة أهل السموات السبع وأهل سرادقات المجد.

حكاية: لما أرسل سليمان الهدهد إلى بلقيس قالت له الطيور: كيف تذهب وحدك فقال: من كان معه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لا يضام فوضع اللّه على رأسه تاجًا إلى يوم القيامة، فمر على أربعة آلاف صياد يرمون بالبنادق وكانوا لا يخطئون غيره، ولما كتب سليمان إلى بلقيس البسملة أعطاه اللّه ملكها زيادة على ملكه وكانت تحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل وعلى عرش عظيم وهو السرير طوله ثمانون ذراعًا وعرضه كذلك وارتفاعه فى الهواء كذلك قاله مقاتل وصفته تأتى فى مناقب عائشة - رضى اللّه عنها.

ويحكى: عن بعض القضاة أنه وقعت له قضية ليس فيها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: نسوا اللّه فنسيهم أى تركهم ولم يعط السائل شيئًا، فإن قيل: كيف قدم سليمان اسمه على اسم اللّه تعالى؟ فالجواب من وجوه:

الأول: كانت جبارة فقدم اسمه على الاسم الشريف خوفًا من شتمها وقذفها، فلما علم اللّه ذلك من نيته ظفره بها وهى راغمة.

[illegible] لما رأت الكتاب على الوسادة ولم يكن لأحد عليها سبيل ورأت الهدهد علمت أنه من سليمان فقال إنه من سليمان، فلما قرأته وجدت فيه البسملة فقوله إنه من سليمان من كلام بلقيس لا من كلام سليمان.

الثالث: أن سليمان كتب عنوان إنه من سليمان وكتب داخله البسملة كما هو المعتاد، فلما أخذته قرأت عنوانه فلما فتحت قرأت البسملة ورأيت فى كتاب الفاخر وهو إنما قدم اسمه لأنها كانت كافرة والكافر لا يخوف باللّه، ورأيت فى شمس المعارف من كتب البسملة ستمائة مرة وحملها رزقه اللّه الهيبة فى قلوب عباده لأن اللّه أقام بها ملك سليمان ولما أرسل اللّه موسى إلى فرعون وتمادى فى طغيانه فدعا عليه مدة، فقال اللّه تعالى: يا موسى أنت تنظر إلى كفره وأنا أنظر

إلى ما هو مكتوب على باب قصره وذلك أن جبريل - عليه السلام- كتب عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فذلك وصفه اللَّه بالمقام الكريم، وفى تفسير الرازى أن فرعون كتب على باب قصره بسم اللَّه قبل أن يدعى الألوهية.

لطيفة: لما أراد أن يغرق قوم نوح قال اكتب على سفينتك ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود:١]، ولا تكتب الرحمن الرحيم فإن الرحمة والعذاب لا يجتمعان قال الضحاك كان نوح - عليه السلام- إذا قال: بسم اللَّه مجريها جرت السفينة وإذا قال مرساها رست وكان مع نوح خرزتان مضيئتان واحدة مكان الشمس والأخرى مكان القمر قال ابن عباس - رضى اللَّه عنهما-: إحداهما بيضاء كبياض النهار، والأخرى سوادء كسواد الليل، فكان يعرف بهما مواقيت الصلاة، فإذا أمسوا غلب سواد هذه بياض هذه وإذا أصبحوا غلب بياض هذه سواد هذه وآخر من دخل السفينة الحمار وتعلق به إبليس، قال القرطبى فى تفسيره قال الرازى وهذا بعيد لأن إبليس جسم نارى وهوائى فكيف يفر من الغرق وأيضًا لم يرو فيه خبر صحيح.

فائدة: رأيت فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة قال النبى ﷺ أمان أمتى من الغرق إذا ركبوا السفن أن يقولوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١]، ورأيت فى بستان الواعظين لا بن الجوزى عن الحسن البصرى قال ما من عبد يدين إلا دخل ملك فى قبره معه دواة وقرطاس وقلم فيقول اكتب عملك فيكتب عمله وإن كان غير كاتب فإن كان من أهل السعادة فأول ما يجرى به القلم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بإذن اللَّه تعالى فيأمن من عذاب القبر.

حكاية: قال بعض الصالحين: دخل علىَّ أخى وهو سكران فضربته فرجع ووقع فى ماء فغرق، فلما دفنته رأيته فى تلك الليلة فى الجنة فقلت له: لم تموت سكران وأنت فى الجنة؟ قال: نعم لما خرجت من عندك رأيت ورقة فيها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فابتلعتها، فلما دخل على منكر ونكير فقلت لهما تسألانى واسمه فى بطنى فنادى مناد صدق عبدى قد غفرت له.

حكاية: كان بمكة رجل صائم الدهر ولم يره أحد يأكل ولا يشرب غير أنه يخرج من جيبه ورقة عند إفطاره فينظر إليها، فلما مات أخرجها الغاسل من جيبه فوجد فيها البسملة فتعجب من ذلك فهتف به هاتف لا تعجب من ذلك فإنا بالتسمية ربيناه وبالرحمانية غفرنا له وبالرحيمية وفقناه. وقال ابن عطاء: فى اسمه الرحمن عونه ونصره وفى اسمه الرحيم محبته ومودته.

فائدة: يكتب لبكاء الأطفال ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذا يوم لا ينطقون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ﴾ وخشعت الأصوات للرحمن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥]

فوائد: الأولى: خلق اللَّه القلم من درة بيضاء طولها خمسمائة عام ينبع منه النور كما ينبع المداد من قلم الدنيا ثم أمره أن يكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فكتبها فى سبعمائة عام فقال اللَّه عز وجل: وعزتى وجلالى من قالها من أمة محمد مرة واحدة كتب اللَّه له ثواب سبعمائة عام قاله النسفى. وذكر أيضًا أن النبى ﷺ رأى ليلة المعراج قبة من درة بيضاء لها باب من ذهب وقفل من ذهب، لو أن الجن والإنس جلسوا على تلك القبة لكانوا كطير على رأس جبل، فأراد أن يرجع فقيل له: لم لا تدخلها؟ قال: لأنها مقفولة فقيل: مفتاحها معك وهو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فانفتح فرأى فيها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن أى غير متغير يخرج من ميم بسم اللَّه، ونهر من لبن لم يتغير طعمه يخرج من هاء الجلالة، ونهر من خمر لذة للشاربين يخرج من ميم الرحمن، ونهر من عسل مصفى يخرج من ميم الرحيم، فقال اللَّه تعالى: يا محمد من ذكرنى من أمتك بهذه الأسماء لسقيته من هذه الأنهار الأربعة ومن فضائلها أن زليخا لما أغلقت على يوسف سبعة أبواب وهرب منها قال على كل باب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فانفتح له. كذا أبواب الجنة تفتح لقائلها بشرائطها إن شاء اللَّه تعالى.

الثانية: مذهب الشافعى أن البسملة آية من الفاتحة بلا خلاف ومن غيرها من الصحيح وهل البسملة قرآن على سبيل القطع أو على سبيل الحكم، وجهان أصحهما الثانى، فلا يكفر من نفاها ولا من أثبتها، وأما ثبوتها فى النمل فبالإجماع، فمن نفاها كفر وأجمع المسلمون على حذفها من سورة براءة، لأنها نزلت بالسيف والبسملة آية آمان، والأمان والخوف لا يجتمعان، وقيل لأن براءة من جملة الأنفال. قال جعفر الصادق - رضى اللَّه عنه- البسملة تيجان السور، وقالت المالكية: ليست بآية من أول السورة.

الثالثة: يستحب التسمية عند إرسال الصيد، فإن تركها ولو عمدًا حل الصيد عند الشافعى وعند أبى حنيفة، ولو تركها ناسيًا حل وإلا فلا، ووافقه مالك فى سورة العمد واختلف فى الرواية عنه والنسيان وقال الإمام أحمد: لا يحل بترك التسمية مطلقًا فيكون كالميتة المجمع على تحريمها فى حق غير المضطر، وسيأتى بيانه فى فضل الصلاة فإنه يأكل منها سدًا للرمق إن كفاه أو كالخنزير الذى لا يحل أكله ولو لمضطر مع وجود ميتة أخرى غير الآدمى فإن المضطر يأكل من الخنزير ولا يأكل من ميتة الآدمى، قال الرازى فى سورة المائدة: إنما حرم اللَّه لحم الخنزير لأنه مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى الشهوات والغذاء يتولد منه جزء من جنسه فى جوف الآكل فلذلك حرمه اللَّه تعالى وأحل الشاة لأن الحيوان فى غاية السلامة من الأخلاق الذميمة، قال فى نزهة النفوس والأفكار: الشاة اسم للواحد من الضأن والمعز والضأن أفضل والصوف أفضل من الشعر، وقال

الحسن البصرى: من لبس الصوف تواضعًا زاده اللَّه نورًا من بصره ونورًا فى قلبه، وقال غيره: إذا غطى إناء العسل بصوف الضأن لم يقربه النمل ومنافع لحمه تأتى فى مناقب على - رضى اللَّه عنه- والمعز حيوان غيره خصوصًا التيس وبول المعز ينفع شربه من الاستسقاء، وإذا قطر فى الأذن زال وجعها، وبعرها إذا دق وخلط بدقيق الشعير وعجن بالخل وضمد به الركبة المتألمة من الورم زال بإذن اللَّه تعالى.

الرابعة: قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى القواعد يجب قتل الخنزير، وسبقه إلى ذلك البيهقى لأن عيسى قتله كما فى الصحيحين، وقال البلقينى فى الفوائد على القواعد الأصح الاستحباب، وقال غيره: إن حصل معه ضرر استحب وإلا فلا ولحمه حرام عند النصارى واليهود قال فى الروضة: ولا يحنث من حلف لا يأكل لحمًا بأكل لحمه.

الخامسة: أجمع المسلمون على استحباب التسمية على الطعام، فإن تركها ولو عمدًا استحب أن يقول بسم اللَّه أوله وآخره وفى آخره وفى الحديث من نسى أن يسمى على طعامه فليقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١] عند فراغه من الطعام مرة واحدة بنى له مدينة فى الجنة من ياقوتة حمراء، وكتب له بكل لقمة عشر حسنات وينبغى أن يسمى كل واحد من الآكلين، فلو سمى واحد أجزأ عن الباقين كرد السلام.

السادس: قال أبو بكر الصديق - رضى اللَّه عنه-: واللَّه العظيم لقد حدثنى محمد ﷺ وقال: «واللَّه العظيم لقد حدثنى جبريل وقال: واللَّه العظيم لقد حدثنى ميكائيل وقال: واللَّه العظيم لقد حدثنى إسرافيل وقال: قال اللَّه تعالى: وعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ متصلة بالفاتحة مرة واحدة أشهدكم على قد غفرت له، وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عن السيئات» وفى الحديث قال جبريل: يا محمد خشيت على أمتك من النار لما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ㊸﴾ [الحجر: ٤٣]، فلما نزلت الفاتحة أمنت وقال بعضهم: سميت فاتحة الكتاب لأن اللَّه تعالى فتح بها على المؤمن باب النجاة والخطاب فهى أول فاتحة من المواهب لكل نوع من المواهب، قال الجنيد: إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أول ما فتح بها الحق سبحانه وتعالى على من اصطفاه لنفسه وارتضاه.

لطيفة: من قرأ الفاتحة فى منامه أجاب اللَّه دعاءه وصرف عنه شرًا، أو البقرة نال خيرًا من ولده وعمرًا طويلاً وآل عمران نال ولدًا ذكرًا ويكون الولد كثير السفر، أو النساء يرث مالاً كثيرًا ثم يورث عنه وتكون زوجته مخاصمة له، أو المائدة حصل للناس منه فائدة ويبتلى بقوم قاسية قلوبهم، أو الأنعام كثرت نعم اللَّه عليه، أو الأعراف مات غريبًا. وقيل ينال من كل علم، أو الأنفال انتصر على عدوه، أو التوبة أحب الصالحين، أو يونس نجا من الهموم والسقم وشفى من مرضه ودفع عنه كيد

السحرة، أو هود طال عمره وكثر رزقه، أو يوسف نال عداوة من أهله وعزة ورفعة بين الناس، أو الرعد قرب أجله، أو إبراهيم فهو من الصالحين، أو الحجر إن كان تاجرًا فاق على أمثاله، أو عالمًا مات غريبًا أو ملكًا قرب أجله أو قاضيًا حسنت سريرته، أو النحل نال علمًا ورزقًا وأحب النبى ﷺ، أو الإسراء نال من السلطان عقوبة وقيل يرتفع عند اللّه، أو الكهف طال عمره وحسن عمله، أو مريم هداه اللّه بعد الضلالة وحشر مع الأنبياء، أو طه أحب قيام الليل والفعل الحسن، أو الأنبياء رزق حظًا وافرًا من الناس وكان موفقًا للخير، أو الحج حج وإن كان مريضًا مات، أو المؤمنون نال عفة ونجا من البلاء، أو النور نور اللّه قلبه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أو الفرقان أحب الحق وكره ضده، أو الشعراء عسر عليه رزقه، أو النمل ساد ملكًا وفهمًا، أو القصص كثر رزقه وعظم أجره، أو العنكبوت حفظه اللّه وأفرده عن أهله، أو الروم نال علمًا ومالاً وقيل يفتح اللّه على يديه مدينة لأهل الشرك، أو لقمان نال قوة فى اليقين وحكمة، أو السجدة مات فى سجوده ونال خيرًا من ربه وقيل: يحب قيام الليل، أو الأحزاب مكر بإخوانه، أو سبأ يكون شجاعًا وقيل: يكون زاهدًا يسكن الجبال، أو فاطر نال رضاء ربه، أو يس حشر مع النبى ﷺ ويكون عمله صالحًا، أو الصافات نال ولدًا بارًا ورزقًا حلالاً، أو ص أحب النساء، أو تنزيل طال عمره وكان مع المرسلين، أو غافر كان مؤمنًا يفعل الخيرات، أو فصلت كأنه يدعو قومًا للهدى، أو شورى طال عمره، أو الزخرف صغر حظه من الدنيا وكثر فى الآخرة، أو الدخان أمن من عذاب النار، أو الجاثية نال زهدًا، أو الأحقاف قال جعفر الصادق: جاءه ملك الموت فى صورة حسنة ويرفق به وقيل: يكون عاقًا بوالديه ثم يتوب، أو القتال فكالأحقاف ويحشر مع النبى ﷺ، أو الفتح نال الفرج والجهاد وخير الدنيا والآخرة، أو الحجرات أصلح بين الناس، أو ق نال حلمًا، أو صلاحًا، أو الذاريات أطاعه أصحابه، أو الطور نال ولدًا قصير الحياة وقيل: يجاور بمكة أو النجم نال ولدًا صالحًا، أو اقتربت سلم من السحر، أو الرحمن جاور مكة، أو القدس، أو الواقعة وهى القيامة نال سعة فى رزقة وصحة فى بدنه، أو المجادلة غلب خصمه إن كان عالمًا، أو الحشر فإنه يحشره اللّه مع الأبرار، أو الممتحنة فإنه يكون له فى آخر عمره توبة حسنة، وقيل: ينجو من كل شر، أو الصف فإنه ينال شيئًا ومراقبة ووفاء بنذر، أو الجمعة نال حظًا كثيرًا فى الدنيا والآخرة، أو المنافقون طهره اللّه من النفاق، أو التغابن فإنه يبتلى بزوجة سيئة الخلق، أو الطلاق فإنه يبتلى بسيئة الخلق وقيل: يطلق نساءه، أو التحريم اجتنب المحرمات، أو تبارك عاش فى خدمة سلطان وينال منه فائدة أو انتصر على عدوه، أوالحاقة وهى القيامة إن كان رجلاً قائمًا صلب، أو جالسًا مات تحت الضرب، أو امرأة طلقها زوجها، أو المعارج فإنه يقرب إليه البعيد ويكون كثير الصوم، أو نوح سكن مع قوم جاهلين، أو الجن ينتصر بقوم قاسية قلوبهم، أو المزمل نال الفرج بعد الشدة، أو المدثر عسر عليه رزقه، أو القيامة نال خصالاً حسنة، أو الإنسان فكالقيامة، أو المرسلات أمن من كل خوف، أو عم طال عمره، أو النازعات نزع اللّه المنكر من قلبه، وقيل: إنه يؤخر الصلاة عن أوقاتها، وعبس نال توفيقًا

والتكوير فإنه يرزق السفر فى ناحية المشرق ويرزق فيه وقيل : ينال الخشوع والتوبة ، أو الانفطار وقع فى شدة ثم يسلم ، أو المطففين فهو كما قرأ يعنى يخون فى الميزان والمكيال ، أو الانشقاق إن كان ملكًا دعا عليه جمع من قومه ، أو البروج تعلم علم الفلك ، أو الطارق نال أولاداً ذكوراً لا تطول حياتهم ، أو الأعلى فهو يحب التسبيح ، أو الغاشية وهى القيامة ، نال علمًا وزهدًا ، أو الفجر نال هيبة وقيل : يموت قبل فراغ عامه ، أو البلد أطعم المساكين وقيل يصدق يمينه ، أو الشمس جاور ملكًا عادلاً والليل عسر عليه رزقه ، أو الضحى نال شفقة ورحمة ، وألم نشرح أمن من الأمراض ، أو التين نال ندامة ثم كرامة بعده ، أو العلق نال ولدًا صالحًا ، أو القدر طال عمره ، أولم يكن فهو بين خوف ورجاء ، أو الزلزلة يخشى عليه من سلطان ، أو العاديات إن كان مسافراً خيف عليه قطع الطريق ، أو مقيمًا رغب فى الدنيا ، أو القارعة وهى القيامة فهو بين الخوف والرجاء ، أو التكاثر قل رزقه وكثر دينه والعياذ باللَّه ، أو العصر وهو الدهر فهو بين خوف ورجاء ، أو الهمزة فهو صاحب تسمية ، أو الفيل انتصر على أعدائه وقيل : تقع الفتنة فى أى مكان قرأها فيه ، أو قريش تيسر رزقه ، أو أرأيت الذى يمنع الزكاة ويكذب بيوم الدين ، وقيل : ينصر على من خالفه ، أو الكوثر أحب الخير وفعله ، أو الكافرون جالس أهل البدع ، أو النصر فهو منصور إن كان سلطانًا ، وإلا قرب أجله ، أو تبت إن كان غنيًا ذهب ماله ، أو فقيراً فهو يمشى بالنميمة ، أو الإخلاص قوى إيمانه وكثر ماله وقل عياله واستجاب اللَّه دعاءه ، أو الفلق وهو الصبح قال الأكثرون : انتصر على عدوه وحسن حاله ، أو الناس دفع اللَّه عنه شر الجن والإنس والهوام ، وقيل : قراءتها تدل على الاجتماع للأهل ، وإن ختم القرآن فى منامه قضيت حاجته وقراءة آية كقراءة سورتها ، ومن قرأ فى المصحف قوى دينه أو التوراة نال هدى ونوراً .

فوائد : الأولى : يستحب الاستعاذة قبل القراءة ، قال الرازى : وعليه الأكثرون . قال فى شرح المهذب : وهو اللائق إلى الفهم قال نجم الدين النسفى : وعليه عامة المسلمين ، قال : ورد عن النبى ﷺ أنه كان يقول : «أعوذ بعفو اللَّه العظيم من عذابه الأليم ومن همزات الشياطين إن اللَّه لسميع عليم» وعن أبى بكر الصديق – رضى اللَّه عنه – : أعوذ باللَّه الواحد الماجد من كل عدو وحاسد من كل شيطان مارد إن اللَّه هو السميع العليم ، وعن عمر – رضى اللَّه عنه – : أعوذ باللَّه المعين من الشيطان اللعين إلى يوم الدين ، وعن عثمان – رضى اللَّه عنه – : أعوذ باللَّه المعين من الشيطان ومن الكفر والطغيان وهو المنعم المستعان ، وعن على – رضى اللَّه عنه – : أعوذ باللَّه العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، وحكى الرافعى وجهًا أن يقول : أعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم فى شرح المهذب وهو غريب قال القرطبى : قال ابن مسعود – رضى اللَّه عنه – عن النبى ﷺ : أعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنى جبريل على اللوح المحفوظ قال فى شرح المهذب وعليه الجمهور ودونه فى الفضيلة أعوذ باللَّه من الشيطان القوى ويحصل النفوذ بكل ما اشتمل على الاستعاذة باللَّه من الشيطان حتى لو قال أعوذ بكلمات اللَّه من

الشيطان الرجيم كفى ويستحب الإتيان به كل ركعة حتى فى القيام الثانى من صلاة الكسوف وفى الركعة الأولى والثانية على الراجح، ويسر به فى الصلاة ويجهر فى غيرها قال ابن عباس - رضى الله عنهما- إجلال القرآن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومفتاح القرآن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾.

الثانية: جميع ما فى القرآن من التمجيد والتحميد والثناء تحت قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وجميع ما فيه من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا تحت قوله: ﴿ رَبِّ ﴾ وجميع ما فيه من العبادة والطاعة تحت ﴿ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾ وجميع ما فيه من العفو والغفران تحت قوله: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) ﴾ وجميع ما فيه من الوعيد وذكر القيامة تحت قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) ﴾ [البقرة: ٤]، وجميع ما فيه من العبادة والطاعة تحت قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وجميع ما فيه من السؤال والتضرع تحت قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾ وجميع ما فيه من سؤال الهداية وخوف الخاتمة تحت قوله: ﴿ اهْدِنَا ﴾ وجميع ما فيه من الأنعام والإكرام وذكر المقربين تحت قوله: ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وجميع ما فيه من ذكر المشركين تحت قوله: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧) ﴾.

الثالثة: رأيت فى شرح القلوب لا بن الجوزى عن ابن عباس - رضى الله عنهما- عن النبى ﷺ قال: قال جبريل: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول إذا وقف العبد بين يدى الصلاة فيقول: ومن الله فيقول: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾ فيقول: ومن رب العالمين فيقول: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) ﴾ فيقول: ومن الرحمن الرحيم فيقول: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) ﴾ فيقول: يا عبدى أنا مالك يوم الدين، فيقول العبد: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾ فيقول: يا عبدى أنا إياى تعبد وإياى تستعين، سل تعط فيقول ﴿ اهْدِنَا ﴾ فيقول: أى الهدى تريد فيقول: ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) ﴾ فيقول أى الصراط تريد فيقول: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فيقول: يا ملائكتى اشهدوا أنى قد جعلت عبدى من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فيقول العبد: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧) ﴾ فيقول الله تعالى: اشهدوا أنى جعلته من الذين أنعمت عليهم ولم أجعله من المغضوب عليهم ولا الضالين، فيقول العبد: آمين فتقول الملائكة: آمين.

الرابعة: نقل الثعلبى فى تفسيره عن وهب ابن منبه أن آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكًا يقول اللهم اغفر لمن يقول: آمين، قال فى الروضة: لو قال: آمين رب العالمين فحسن قال البيهقى كان النبى ﷺ إذا قال: ولا الضالين قال رب اغفر لى آمين ومعنى آمين اللهم استجب، وقيل لا تخيب رجاءنا وقيل: آمين كنز من كنوز الجنة تنزل به الرحمة، وقيل: لا يعلم تأويلها إلا الله وقيل: درجة فى الجنة تجب لقارئها قاله ابن الملقن فى الإشارات وقيل: هو طابع لدفع الآفات ذكره

ابن حجر فى شرح البخارى وقيل: اسم من أسماء اللّه وقال فى شرح المهذب قيل: هو طابع اللّه على عباده يدفع به عنهم الآفات وقيل: هو كنز من كنوز العرش، وقال الحاكم: لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا أجابهم اللّه تعالى، وقال نجم الدين النسفى عن النبى ﷺ: آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين وقال مجاهد: آمين آية من الفاتحة فاتحة جبريل أمر النبى ﷺ بها وفى شرح المهذب عن الأصحاب يسن التأمين لكن لمن فرغ من الفاتحة لكنه فى الصلاة أشد استحبابًا ويجهر به الإمام والمأموم والمنفرد فى الصلاة الجهرية، فإذا نسيه ثم تذكره أتى به إن لم ينتقل إلى سورة أو ركوع فلو قرأ الإمام الفاتحة قرأ المأموم معه فإن سبقه أمن لقراءة نفسه ثم يؤمن أيضًا لقراءة الإمام فإن فرغا معًا كفاه تأمين واحد، واللّه أعلم.

الخامسة: خلق اللّه ملكًا تحت العرش رأسه كرأس الآدمى له سبعون ألف جناح عن كل جناح أمة من الملائكة مكتوب على خده الأيمن سورة الإخلاص وعلى الأيسر ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ الآية [آل عمران: ١٨]، وعلى جبهته الفاتحة وبين يديه سبعون ألف صف من الملائكة يقرأون الفاتحة فإذا قالوا: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴿٥﴾﴾ سجدوا فيقول اللّه تعالى: ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم، فيقولون: ربنا فارض عمن قرأ الفاتحة من أمة محمد ﷺ فيقول أشهدكم أنى قد رضيت عنهم، قال نجم الدين النسفى فى التفسير: لما نزلت الفاتحة نزل معها سبعمائة ألف ملك وعن ابن عباس- رضى الله عنهما-: الفاتحة مكية وهو الصواب، وقال مجاهد: مدنية.

السادسة: عن كعب الأحبار ومعناه سيد العلماء والكعب هو السيد عندهم والأحبار العلماء، لو كانت الفاتحة فى التوراة والإنجيل لما تهودوا أو تنصروا ولو كانت فى الزبور لما مسخهم اللّه قردة وخنازير، ونزلت هذه الآية على هذه الأمة أرجو أن اللّه لا يضلهم. وفى الحديث يا محمد أكرمت أمتك بسورة ليست فى الكتب من قرأها حرمت جسده على النار، وقال النبى ﷺ: «يبعث اللّه العذاب على القوم فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتب فاتحة الكتاب فيسمعه اللّه فيرفع اللّه عنهم أربعين سنة».

السابعة: من أسمائها الماحية لأن فيها خمسة عشر ميمًا بالبسملة فإذا قرأها العبد خرجت الميمات كالطيور فتتعلق بالعرش فيثقل على الحملة فيقولون عشرين فيقولون ربنا زدنا فيزيدهم مائة وعشرين سيئة لكل ميم فتكون الجملة ألفًا وثمانمائة سيئة تمحى لقارئها فى الصلوات الخمس فى كل يوم وليلة ثلاثون ألفًا وستمائة سيئة.

الثامنة: قال النيسابورى وغيره: أسقط اللّه تعالى منها سبع حروف الثاء من الثبور، وهو الهلاك، والجيم من جهنم والخاء من الخزى والزاى من الزفير والشين من الشهيق والظاء من لظى والفاء من الفراق يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون كقوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا**﴾ [الزلزلة: ٦] فلما أسقطها غلب على الظن أن من قرأها خلصه اللّه تعالى من أبواب جهنم السبعة لأن آياتها سبع.

التاسعة: قال نجم الدين النسفى: دخل لأبى جهل واسمه عمرو بن هشام وهو خال عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه سبع قوافل والنبى ﷺ بين أصحابه ينظر إليها لهم فقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي** ﴾ [الحجر: ٨٧] مكان السبع قوافل وتسميتها بالسبع المثانى لأنها تثنى فى كل صلاة وقيل: نزلت مرتين وقيل فيها كلمات مكررة مثل: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)** ﴾ الرحمن الرحيم فيها وفى البسملة وهى آية منها كما تقدم.

العاشرة: قال أنس - رضى اللَّه عنه -: سئل النبى ﷺ عن الفاتحة فقال: سألت جبريل وجبريل سأل ميكائيل وميكائيل سأل إسرافيل فقال: سألت القلم عنها فقال: لما أمرنى ربى بكتابة: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)** ﴾ هاج نور ملأ العرش والكرسى والحجب والسماوات فجعله نصفين فخلق من الأول درجات الجنة وجعلها بين الحامدين، والثانى سكان السماوات وأمرهم بكتابة ثوابها ثم أمرنى بكتابة ﴿ **الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣)** ﴾ فهاج نور كالأول فخلق اللَّه منه بحر الرحمة ثم أمرنى بكتابة ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)** ﴾ فهاج نور كالأول فخلق منه بحر العدل فيه يعدل أهل العدل ثم أمرنى بكتابة: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)** ﴾ فهاج نور كالأول فجعله نصفين الأول رفعه إلى ميكائيل وقال: هذا بركة رزق عبادى والباقى بحر التوفيق فيه يوفق الخلق لطاعته ثم أمرنى بكتابة: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)** ﴾ فهاج نور كالأول فخلق منه بحر الهداية فإذا أراد اللَّه هداية عبد أرسل منه قطرة إلى قلبه ثم أمرنى بكتابة: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ فهاج نور كالأول فجعله فى جناح جبريل وقال هذا يقين أمة محمد ﷺ فلذلك لا يريدون غير الإسلام دينًا ثم أمرنى بكتابة: ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)** ﴾ فهاج نور فزع منه الخلق فخلق منه الصور فذلك قوله: ونفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض وفى حديث أبى يعلى المصلى، لما فرغ اللَّه من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه لإسرافيل، وتقدم أن القلم أول ما خلقه اللَّه تعالى ثم أمرنى بكتابة ولا الضالين فهاجت ظلمة فخلق اللَّه منها ملكًا لو أمره اللَّه أن يلتقم السموات والأرض لهان عليه، وأمره يحمل النار إلى الثرى ثم خلق اللَّه تعالى صخرة مثل السموات والأرض فوضعها على رأس النار فذلك قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ** ﴾ [القلم: ٤٢] أى يكشف الغطاء عن جهد.

الحادية عشرة: قال الحسن رضى اللَّه عنه: أول الفاتحة نعيم ووسطها تكريم وآخرها رضوان من اللَّه تعالى، وقال غيره: فيها شفاء من كل داء ظاهر وباطن ففى قوله: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ شفاء من الرياء وفى قوله: ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)** ﴾ شفاء من الكبر وفى قوله: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**

﴿٦﴾ شفاء من الضلالة وفى الحديث الفاتحة شفاء من كل سقم وفى الحديث أيضًا قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فإذا قال العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال اللَّه تعالى مجدنى عبدى، وإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ قال: حمدنى عبدى، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ قال: أثنى على عبدى وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ قال: فوض إلى عبدى وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل. وإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ الآيات قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل. قال القرطبى: وسماها صلاة لأنها لا تصح إلا بها وفى رواية قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولم يذكر البسملة فاستدل به من قال إن البسملة ليست من الفاتحة وأيضًا لأن نصفًا يصير أطول من نصف بالبسملة، قال ابن العماد: يجوز أن يكون نصف أطول من نصف ولهذا لو قال: أنت طالق نصف اليوم طلقت عند الزوال مع أن اليوم من الفجر فيكون النصف الأول أطول من النصف الثانى ورأيت فى الروضة أيضًا فى باب الطلاق ولو قال: أنت طالق عند انتصاف الشهر وقع عند غروب شمس الخامس عشر.

الثانية عشرة: لا تجب الفاتحة على المأموم عند مالك وأحمد، وقيل تجب فى السرية دون الجهرية، وقال الشافعى بوجوبها فى كل ركعة على الإمام والمأموم والمنفرد إلا المسبوق وهو من أدرك مع الإمام زمنًا لا يسعها فإنها وإن وجبت عليه على الأصح خلافًا لما يفهمه كلام المنهاج فقد تحملها الإمام عنه وإن أحرم بعد أن ركع فليس له الاشتغال بالفاتحة، وإن علم أنه يدركها ويدرك الإمام راكعًا بل يركع معه لأن متابعته واجبة والفاتحة فى هذه الحالة ليست واجبة ولا مستحبة، قال ابن العماد: قال أبو حنيفة: لا تتعين الفاتحة لقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] حتى لو قرأ مدهامتان مثلاً كفى، وقال صاحباه: لا بد له من ثلاث آيات أو آية طويلة.

الثالثة عشرة: قال النيسابورى وغيره: تَعَوَّذْ باللَّه من الشيطان الرجيم ليدفع عنك العجب، قال نجم الدين النسفى: أسمى ما يكون الشيطان فى إفساد حال العبد عند قراءة القرآن، قال النيسابورى: قل البسملة يفتح لك باب الذكر وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يفتح لك باب الشكر وبقولك: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ يفتح لك باب الرجاء وبقولك: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ يفتح لك باب الخوف وبقولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ يفتح لك باب الإخلاص وبقولك: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ يفتح لك باب الدعاء وبقولك: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية يفتح لك باب الاقتداء بالأرواح الطاهرة.

الرابعة عشرة: قال الرازى فى قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]، دلالة على أنه منزه عن الجهة والمكان فهو رب الزمان والمكان لأن العالم هو ما سوى اللَّه تعالى ومن جملة ذلك الجهة والمكان وهو رب الزمان والمكان وخالقهما والخالق لا بد أن يكون سابقًا على مخلوقاته وفيه

أيضًا دلالة على أنه منزه عن الحلول لأنه لما كان ربًا للعالمين كان خالقًا لكل ما سواه، فكأن ذاته المقدسة موجودة قبل كل محل فكما أنه كان غنيًا من المحل قبل وجوده فهو غنى عنه بعد وجوده أيضًا قال:

فإن قيل: النون فى قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٥ ﴾ [الفاتحة: ٥]، هل هى نون الجميع أو التعظيم إن كان الأول فباطل لأن الواحد لا يكون جمعًا وإن كان الثانى فباطل لأن اللائق بالعبد الخضوع سيما فى العبادة.

الجواب: المراد هنا الجميع وفيه تنبيه على فضل صلاة الجماعة فإن صلى وحده كان المراد أنى أعبدك مع الملائكة وغيرهم.

جواب آخر: إذا قال العبد: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فقد ذكر عبادته وعبادة غيره فكأنه سعى فى إصلاح مهمات المؤمنين، فإذا فعل ذلك قضى اللَّه حوائجه لقوله ﷺ: «من قضى لمسلم حاجة قضى اللَّه حوائجه».

جواب آخر: كأن العبد استحقر عبادته فمزجها بعبادة الصالحين فقل: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وهنا مسألة شرعية وهى إذا باع عشرة عبيد مثلاً لرجل فلا يصح أن يقبل البعض بل يقبل أو يرد الجميع فاللائق بكرم اللَّه تعالى أن لا يرد عبادة العابدين التى من جملتها عبادة هذا الرجل، وإن كانت ناقصة كما لو اشترى عبدين فظهر بأحدهما عيب فليس له أن يرد المعيب وحده إلا برضى البائع.

جواب آخر: كأن اللَّه تعالى يقول: عبدى لما أثنيت على بقولك: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ ٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ ٤ ﴾ عظم قدرى عندك فلا تقصر على مهماتك وحدك ولكن أدخل جميع المؤمنين وقل: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٥ ﴾ فإن قيل: كيف قدم اسمه الكريم هنا بقوله: ﴿ إِيَّاكَ ﴾ وأخره فى أول السورة بقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ٢ ﴾.

فالجواب: أن الحمد يجوز أن يكون لغيره ولا تجوز العبادة إلا له سبحانه وتعالى.

الخامسة عشرة: ذكر اللَّه العالمين فى القرآن على خمسة أوجه:

الأول: للإنس والجن قال تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ ١ ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝ ١٠٤ ﴾ [يوسف: ١٠٤]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الثانى: عالمى زمانهم لقوله تعالى: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ ٤٧ ﴾ [البقرة: ٤٧]، أى زمانهم ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۝ ٤٢ ﴾ [آل عمران: ٤٢] كما سيأتى إن شاء اللَّه تعالى فى فضل عيسى فى باب فضل هذه الأمة.

الثالث: من آدم إلى يوم القيامة إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين.

الرابع: من كان بعد نوح سلام على نوح فى العالمين يثنى الثناء الحسن على نوح يكون فى العالمين بعده.

الخامس: قوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾** [آل عمران: ٩٧]، إلى قوله: **﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾** [آل عمران: ٩٧]، قال أبو العالية الإنس عالم، والجن عالم والأرض أربع زوايا كل زاوية ألف وخمسمائة عالم الرحمن بالنعم الرحيم بالعصمة مالك يوم الدين وهو الحساب والجزاء وخص القيامة بأنه مالكها وهو سبحانه مالك على الإطلاق لأن الخلائق تضطر يوم القيامة للَّه إياك نعبد إخلاصًا وإياك نستعين استخلاصًا إياك نعبد بالتوفيق وإياك نستعين على بساط التصديق إياك نعبد بطريق المجاهدة وإياك نستعين على بساط المشاهدة اهدنا الصراط المستقيم أرنا طريق هدايتك، وقال النبى ﷺ: **«الصراط المستقيم كتاب اللَّه والصراط فى اللغة هو الطريق الواضح والقرآن واضح بمنزلة الطريق الواضح والمغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى»**.

السادسة عشرة: هذه السورة أولها تحميد وآخرها توحيد وقد خصها اللَّه بأمة محمد ﷺ فربهم محمود بقوله: الحمد للَّه ونبيهم أيضًا محمود بقوله: محمد رسول اللَّه فربهم رب العالمين ونبيهم رحمة للعالمين فربهم الرحمن الرحيم ونبيهم بالمؤمنين رؤوف رحيم فربهم مالك يوم الدين ونبيهم شفيعهم يوم الدين عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا فربهم معبودهم بقوله: إياك نعبد، نبيهم قائدهم إذا وردوا المحشر، فربهم هادى المؤمنين بقوله اهدنا ونبيهم كذلك، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم.

حكاية: قال محمد بن العراقى: طلع فى جفنى قطمة لحم فقيل فى بغداد رجل يهودى يقطها، فقلت لا أسلم نفسى له فرأيت فى النوم قائلاً يقول اقرأ عليها فاتحة الكتاب عقب الوضوء ففعلت فبينما أنا أتوضأ ذات يوم إذا بها قد سقطت ببركة الفاتحة، وقيل إن سائلاً سأل بجامع بغداد درهمًا فقال له رجل: اقرأ فاتحة الكتاب وبعنى ثوابها بجميع ما أملكه فقال: أنا سائلك درهمًا من الافتقار لا بيع كلام الجبار ثم خرج فوجد فارسًا عليه ثياب خضر فأعطاه عشرة آلاف درهم، قال: من أنت قال: يقينك.

حكاية: كان فى الزمن الأول رجل يعبد اللَّه فتعجب جبريل فاستأذن ربه فى زيارته فأذن له بشرط أن ينظر فى اللوح المحفوظ فنظر فيه فوجد اسمه مكتوبًا شقيًا، فنزل إليه وأخبره بذلك فقال الرجل: الحمد للَّه فظن جبريل أنه لم يسمع كلامه فأعاد عليه القول فقال: الحمد للَّه لو لم أكن أهلاً لذلك ما فعل بى ربى فالحمد للَّه على الشدة والرخاء فتعجب جبريل منه فقال اللَّه تعالى: يا جبريل انظر فى اللوح المحفوظ فنظر اسمه فوجده قد تحول من الأشقياء إلى السعداء.

فوائد: الأولى: عن على بن أبى طالب- رضى اللَّه عنه -حبس بختنصر، دانيال عليه السلام فى بئر خمسة أيام ومعه أسدان ثم كشف عنه فرآه سالمًا فقال: بم نجوت؟ فقال: قلت الحمد للَّه الذى لا ينسى من ذكره، الحمد للَّه الذى لا يخيب مَنْ دعاه، الحمد للَّه الذى من توكل عليه كفاه الحمد للَّه الذى لا يكل من توكل عليه إلى غيره، الحمد للَّه الذى يجزى بالإحسان إحسانًا وبالسيئات كرمًا وحلمًا وغفرانًا، الحمد للَّه الذى هو رجاؤنا يوم سوقنا بأعمالنا، الحمد للَّه الذى يجزى بالصبر نجاة وعن النبى ﷺ «إذا أنعم اللَّه على عبد نعمة فقال: الحمد للَّه فيقول اللَّه تعالى: انظروا إلى عبدى أعطيته ما لا قيمة له فأعطانى ما له قيمة» وفى رواية أوحى اللَّه تعالى إلى إبراهيم عليه السلام إذا صليت فابدأ صلاتك بالحمد فإنى كتبت على نفسى أن من حمدنى أعينه أربعًا اليسر بعد العسر والغنى بعد الفقر والراحة فى الدنيا والآخرة والأمن من النار. عن نبينا محمد ﷺ: «إذا قال العبد: الحمد للَّه ملأت ما بين السماء والأرض فإذا قالها ثانيًا ملأت ما بين السماء السابعة فإذا قالها ثالثة قال اللَّه تعالى: سل تعط». قال وهب بن منبه: قرأت فى بعض كتب اللَّه أن إبليس ما قال فى عبادته: الحمد للَّه ولو قالها ما مكر اللَّه به وعن ابن عباس- رضىَ اللَّه عنهما- : نزلت فى بيت رجل له ثلاث دعوات، فقالت له امرأته ادع اللَّه أن أكون أجمل الناس أجمل بنى إسرائيل فدعا لها بواحدة فلما صارت جميلة زهدت فيه فدعا بالثانية أن يجعلها كلبة فجعلها كلبة، فقال أولادها: ادع اللَّه أن يردها فقد عيرتنا الناس، قال: فدعا لها فنفدت الدعوات الثلاث فيها.

لطيفة: التحميد فى المنام يدل على زيادة الرزق قال اللَّه تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وعلى ولدين ذكرين لقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: الحمد للَّه الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق، وولده إسماعيل من هاجر قبل أن تلد سارة إسحاق بأربع عشرة سنة.

مسألة: اختلف العلماء فى الحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه أيهما أفضل فقالت طائفة: الحمد للَّه أفضل لأن فيها توحيد فقط ولقائلها عشرون حسنة. وقالت طائفة: لا إله إلا اللَّه أفضل لأنها تدفع الكفر لقول النبى ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه» لا يشترط لفظة أشهد إلا فى التشهد وللَّه بالوحدانية دون الشهادة بالرسالة لمحمد ﷺ على ما صححه النووى والرافعى قال: وفى شرح المهذب لو شهد الكافر بالرسالة لمحمد قبل الشهادة للَّه بالوحدانية لم يصح إسلامه، قال فى باب الوضوء: الموالاة بين الكلمتين فلو قال الكافر أول النهار مثلاً لا إله إلا اللَّه وآخره محمد رسول اللَّه صح إسلامه.

فوائد: الأولى عن على بن أبى طالب رضى اللَّه عنه عن النبى ﷺ قال: «إن آية الكرسى والفاتحة وآيتين من آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]، لما أراد اللَّه أن ينزلها تعلقن بالعرش وقلن أتهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك، فقال:

وعزتى وجلالى لا يقرؤكن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه وسكنته بحظيرة القدس ونظرت إليه كل يوم سبعين نظرة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة» رواه ابن السنى.

الثانية: فى الصحيحين من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه قيل: عن قيام الليل وقيل: من كل آفة وشيطان.

وفى الحديث: من قرأ آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه اللَّه، وفى الأذكار عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ «إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت الفاتحة وقل هو اللَّه أحد فقد أمنت كل شىء إلا الموت».

الثالثة: جاء فى الحديث من سره أن يملأ بيته خيرًا فليقرأ آية الكرسى كثيرًا ومن قرأها عقب الوضوء رفع اللَّه له أربعين درجة وخلق من كل حرف ملكًا يستغفر لقارئها إلى يوم القيامة وفى حديث آخر: «من قرأها عند منامه فتح اللَّه عليه أبواب الرحمة إلى الصباح وأعطاه بكل شعرة على جسده مدينة من نور وإن مات من ليلته مات شهيدًا»، وفى حديث آخر: «من قرأها عند غروب الشمس أربعين مرة كتب اللَّه له أربعين حجة».

الرابعة: قال جابر بن عبد اللَّه –رضى اللَّه عنهما– من قرأ آية الكرسى حين يخرج من بيته وكّل اللَّه به سبعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله. وإن مات قبل أن يرجع أعطاه اللَّه ثواب أربعين شهيدًا، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «من خرج من منزله فقرأ آية الكرسى يبعث اللَّه إليه سبعين ألف ملك يستغفرون له ويدعون له، فإذا رجع إلى منزله ودخل بيته قرأ آية الكرسى نزع اللَّه الفقر من بين عينيه».

الخامسة: أوحى اللَّه إلى موسى من داوم على قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة أعطيته ثواب الشاكرين وأعمال الصديقين قال: ومن يداوم عليها قال: لا يداوم عليها إلا نبى أو صديق ومن فضائلها أيضًا من قرأها مائة وسبعين مرة وذلك عدد حروفها مستلقيًا على قفاه أوفى اللَّه دينه، وقال نجم الدين النسفى فى التفسير: لما نزلت آية الكرسى نزلت مع كل آية منها ثمانون ألف ملك ولعله رحمه اللَّه أراد بالآية الكلمة.

السادسة: عن النبى ﷺ من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة كان الذى يتولى قبض روحه ذا الجلال والإكرام وكان كمن قاتل فى سبيل اللَّه حتى استشهدوا، عن النبى ﷺ من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة خرقت سبع سموات ولم يلتئم خرقها حتى ينظر اللَّه إلى قارئها، وعن على سمعت النبى ﷺ يقول على أعواد المنبر: من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت، وإذا قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه اللَّه على نفسه وجاره وجار جاره والدويرات حوله، ورأيت فى شمس المعارف للبونى عن سلمان الفارسى عن النبى ﷺ من قرأ آية الكرسى هُوِّنَ عليه

سكرات الموت، وما مرت الملائكة ببيت فيه آية الكرسى إلا صفقوا ولا بيت فيه قل هو الله أحد إلا سجدوا، ولا بيت فيه أواخر الحشر إلا جثوا على ركبهم.

السابعة: قال جعفر الصادق: من قرأ آية الكرسى مرة واحدة صرف الله عنه ألف مكروه فى الدنيا أيسره الفقر وألف مكروه في الآخرة أيسره عذاب القبر.

حكاية: رأيت فى بعض المجاميع أن شخصًا كان يقرأها كل ليلة يحوط به غنمه فقرأ بعضها فى ليلة فغلبه النوم فلما استيقظ كمل قراءتها فلم أصبح وجد رجلاً بين غنمه فسأله فقال: كل ليلة أريد أخذ شاة فأرى سوراً، فجئت الليلة فرأيت فى السور طاقة فدخلت منها وأخذت شاة ثم جئت إلى الطاقة فرأيتها قد انسدت. وأيضًا نظيره: قال رجل كنت أخاف اللصوص فأمر على بن أبى طالب بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ الآية [الإسراء: ١١٠]، فقرأتها ثم نسيتها فلما كان فى أثناء الليل قرأتها فلما أصبحت وجدت اللصوص موثوقين فى بيتى فتابوا على يدى ببركة الآية، وقال نجم الدين النسفى: قال جبريل: يا محمد إن عفريتًا من الجن يكيدك فاطرده عنك بآية الكرسى، وعن النبى ﷺ: «لا تقرأ آية الكرسي في مكان فيه شيطان إلا خرج منه» وفى حديث آخر من قرأها مرة محى اسمه من ديوان الأشقياء ومن قرأها مرتين كتب اسمه في ميدان السعداء ومن قرأها ثلاث مرات استغفرت له الملائكة ومن قرأها أربع مرات تشفع له الأنبياء، ومن قرأها خمس مرات كتب اسمه فى ديوان الأبرار ومن قرأها ست مرات استغفرت له الحيتان فى البحار ووقى شر الشيطان ومن قرأها سبع مرات أغلقت عنه أبواب جهنم السبعة ومن قرأها ثمان مرات فتحت له أبواب الجنان الثمانية ومن قرأها تسع مرات كفى هم الدنيا والآخرة ومن قرأها عشر مرات نظر الله إليه ولم يعذبه أبداً.

فوائد: الأولى: قال التميمى فى منافع القرآن من قرأ ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البروج]، على باب منزله عند خروجه لسفره ثلاث مرات أمن فيه من كل آفة ومن قرأها على نفسه وولده أمن من كل سوء، وقال القزوينى من أراد سفراً وخاف عدواً أو غيره فليقرأ لإيلاف قريش وآية الكرسى فإنهما أمان من كل سوء.

الثانية: كان لكسرى قلنسوة ما وضعت على رأس مريض أو مبتلى إلا عوفى فلما هلك اتصلت إلى عمر رضى الله عنه فوجد فيها ورقة فيها كم لله من نعمة فيعرق ساكن ﴿ حم ﴿١﴾ عسق ﴿٢﴾ ﴾ [الشورى: ١، ٢]، ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الواقعة: ١٩]، من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية [آل عمران: ١٨]، وقال ابن عمر رضى الله عنه من قرأها مرة واحدة حرم ثلثه على النار وفى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرأ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨]، ثم قال: وأنا على ذلك من الشاهدين خلق الله تعالى سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة». ورأيت فى شمس المعارف عن ابن عباس-

رضى اللّه عنهما شهد اللّه لنفسه بهذه الشهادة قبل أن يخلق الخلق باثنى عشر ألف عام العام ثلثمائة وستون يومًا كل يوم ألف سنة.

فإن قيل: ما الفائدة فى قوله: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ بعد قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾.

قيل الفائدة: تكرار كلمة التوحيد فإن العبد كلما كررها كان مشتغلاً بأعظم القربات، وذكر النسفى لما تولى يوسف ملك مصر أراد أن يتخذ وزيرًا فأمره جبريل أن يتخذ الصبى الذى شهد له فقال له جبريل: إن له عليك حق الشهادة لما قال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن﴾ الآيات[يوسف: ٢٦]، فهذا شهد لمخلوق فاستحق الوزارة، فكيف بمن شهد للخالق بالوحدانية أفلا يستحق الكرامة.

الرابعة: عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ: «لكل شىء قلب وقلب القرآن ﴿يس ①﴾ [يس: ١]، ومن قرأها كتب اللّه له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» رواه الترمذى. وقال على رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ: «اقرأ ﴿يس﴾ فإن فيها عشر بركات ما قرأها جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روى ولا عار إلا كسى ولا أعزب إلا تزوج ولا خائف إلا أمن ولا مسجون إلا خرج ولا مسافر إلا أعين على سفره ولا من ضلت له ضالة إلا وجدها ولا مريض إلا برئ ولا عند ميت إلا خفف اللّه عنه».

حكاية: قال اليافعى فى روض الرياحين: عن بعض الصالحين أنه دفن ميتًا ببلاد اليمن فسمع فى القبر ضربًا فخرج كلب أسود فقال: الضرب فيك أو فى الميت قال: وجدت عنده سورة ﴿يس﴾ فحالت بينى وبينه، وعن الطبرانى من داوم على قراءة ﴿يس﴾ مات شهيدًا وسيأتى زيادة فى المعراج إن شاء اللّه تعالى. وقال الترمذى: من قرأ فى ليلة الجمعة سورة الدخان استغفر له سبعون ملكًا إلى الصباح.

الخامسة: عن أبى هريرة – رضى اللّه عنه – عن النبى ﷺ: «**فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى:** ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]»، رواه ابن حبان والحاكم ورأيت فيها حكاية كالتى فى يس وورد عن النبى ﷺ أنها فى قلب كل مؤمن رواه الحاكم وعن ابن عباس عن النبى ﷺ: «إنى لأجد فى كتاب اللّه سورة وهى ثلاثون آية من قرأها عند منامه كتب له ثلاثون حسنة ومُحىَ عنه ثلاثون سيئة، ويبعث اللّه له ملكًا يبسط جناحيه عليه ويحفظه من السوء حتى يستيقظ» قال النيسابورى فى سورة البقرة: إنها تقف على الصراط عند قدوم قارئها تشفع له.

السادسة: عن عمر – رضى اللّه عنه – عن النبى ﷺ: «**ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ كل يوم ألف آية، قالوا: ومن يستطيع ذلك قال: أما يستطيع** ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر: ١]». رواه الحاكم.

السابعة: عن أنس بن مالك – رضى اللّه عنه – عن النبى ﷺ قال لبعض أصحابه: «هل

تزوجت؟ قال: لا يا نبى اللّه ما عندى ما أتزوج به قال: أليس معك ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١]، قال: بلى. قال: ثلث القرآن قال: أليس معك ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [النصر: ١]، قال: بلى قال: ربع القرآن قال: أليس معك ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ①﴾ [الكافرون: ١]، قال: بلى قال: ربع القرآن قال: تزوج تزوج قالها مرتين وفى رواية ابن عباس ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١]، تعدل نصف القرآن» رواه الترمذى.

الثامنة: عن أبى هريرة -رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ: «**أنه سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: وجبت فسألته ماذا؟ يا رسول اللّه قال: الجنة**» فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره ثم فرقت أى خفت أن يفوتنى الغد مع رسول اللّه ﷺ وعنه ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرة غفر له ذنوب خمسين سنة وفى حديث آخر ينادى مناد يوم القيامة ألا ليقم مادح الرحمن فلا يقوم إلا من كان فى الدنيا يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وعن ابن عباس من قرأها مائتى مرة فى أربع ركعات كل ركعة بخمسين غفر له ذنوب مائة عام خمسون مقدمة وخمسون متأخرة ورأيت فى كتاب بدر الفلاح عن النبى ﷺ: «من صلى ركعتين بعد العشاء يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرّة و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشرين مرة بنى له قصراً فى الجنة» وعن على بن أبى طالب عن النبى ﷺ: «من سافر فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات صرف اللّه عنه شر ذلك السفر وأعطاه خيراً». وفى رواية من صلى أربع ركعات يقرأ الفاتحة و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم يقول: اللهم إنى أستودعك نفسى ومالى وأهلى وولدى فإن اللّه يحفظه وماله وأهله وولده ويصلح أمره حتى يرجع ورأيت فى شرح المهذب يستحب إذا خرج من منزله أن يصلى ركعتين يقرأ فى الأولى: الفاتحة و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ①﴾ [الكافرون: ١]، وفى الثانية الفاتحة و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ويستحب أن يقرأ بعد السلام آية الكرسى و﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ ①﴾ [قريش: ١]، وإذا نهض قال: اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت اللهم اكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به، اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى وأن يتصدق بشىء عند خروجه وأن يودع جيرانه وأصدقاءه وأصحابه وأهله ويودعوه ويقول كل صاحب لصاحبه أستودع اللّه دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زودك اللّه التقوى وغفر لك ذنوبك ويسر لك الخير حيث ما كنت وأن يرافق من له رغبة فى الخير والصديق القريب الموثوق به أولى، قال القرطبى فى تفسيره عن مالك بن أنس رضى اللّه عنه إذا نقر بالناقوس اشتد غضب اللّه فتنزل الملائكة فيأخذون بأقطار الأرض فلا يزالون يقرؤون: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ليسكن غضبه وعن أنس عن النبى ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أربعين مرة كل يوم بنى له مناراً على جسر جهنم حتى يجتاز الجسر» وعن سهل ابن سعد وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة قال: شكا رجل إلى النبى ﷺ قلة الرزق

فقال: إذا دخلت البيت فسلم على أهلك واقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة فقرأها فأدر اللّه الرزق عليه حتى فاض عليه وعلى جيرانه، وعن واثلة بن الأسقع رضى اللّه عنه وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق عن النبى ﷺ: «من صلى الصبح ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات لم يلحقه في ذلك اليوم ذنب» النيسابورى: ومن أسمائها سورة الإخلاص لأن من قرأها تخلص من النار وسورة المعرفة لأن النبى ﷺ سمع رجلاً يقرؤها فقال هذا عبد عرف ربه وسورة الأساس لأن النبى ﷺ قال أسست السموات السبع والأرضون السبع على ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وسورة الولاية لأن من لازم قراءتها صار وليّا للّه وسبب نزولها أن كفار مكة وغيرها قالوا: يا محمد صف لنا ربك من ذهب أو ياقوت أو زبرجد، قال: إن ربى ليس من شيء لأنه خلق الأشياء فنزلت هذه السورة. قال نجم الدين النسفي: وهى تفسر بعضها بعضًا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال السعدى: الصمد هو المقصود فى الرغائب المستغاث به فى الشدائد، وقال أبو هريرة رضى اللّه عنه: الصمد الذى لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد وفى شرح الأسماء للقرطبى عن الحسن الصمد الباقى بعد فناء خلقه، وقال ابن على رضى اللّه عنهما: هو الشريف الذى كمل شرفه والعظيم الذى كمل فى عظمته والعالم الذى كمل فى علمه، وفيه أيضًا عن النبى ﷺ «من قال: لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له أحد صمد لم يلد ولم يكن له كفوًا أحد كتب اللّه له ألفى حسنة» وسيأتى من رواية الطبرانى أيضًا وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ كما ولدت مريم ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ كما ولد عيسى وهى تعدل ثلث القرآن لأن ثلثه أحكام وثلثه الآخر وعد ووعيد والثالث أسماء وصفات وذلك مجموع فيها قال ابن عباس من قرأها ثلاث مرات بنى اللّه له مائة قصر فى الجنة وعن أبىّ بن كعب رضى اللّه تعالى عنه عن النبى ﷺ «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن وكتب له من الحسنات بعدد من آمن وأشرك».

حكاية: كان بعض الصالحين يزور القبور فأدركه النوم ذات ليلة فرأى الأموات على قبورهم فسألهم: هل قامت القيامة؟ قالوا: لا ولكن مر علينا ثابت البنانى منذ عشرين سنة فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلاثين مرة وجعل ثوابها لنا فنحن نتقاسمها من ذلك اليوم فما استوفيناها بعد، وعن النبى ﷺ من مرّ على المقابر وقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ إحدى عشرة مرة ثم وهب ثوابها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات.

لطائف: الأولى: عن أبى سعيد الجزار أول كلمة دعا اللّه عباده إليها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فتم المراد للخواص ثم زاد بيانًا للأولياء بقوله: ﴿أَحَدٌ ۝١﴾ ثم زاد بيانًا لخواص المؤمنين بقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ ثم زاد بيانًا بقوله للخلق: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ إلى آخرها، وقال ابن عطاء بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ظهر لك منه الإسلام ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ ظهر لك منه اليقين.

الثانية: قال أبو علي الدقاق: وجدنا أنواع الشرك على ثمانية أنواع على كل الكثرة والعدد والنقص والتغلب والعلة والمعلول والأشكال والأضداد فنفى الكثرة والعدد بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ ونفى التنقص والتغلب بقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ②﴾ ونفى العلة والمعلول بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③﴾ ونفى الأشكال والأضداد بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ أي لم يكن له أحد مماثلاً ففيه تقديم وتأخير وهو تقدم خبر كان الذى هو كفواً على اسمها وهو أحد.

فوائد: الأولى: عن عبدالله بن حبيب عن النبى ﷺ: «أنه قال لى: قل فلم أقل شيئًا ثم قال قل: ثم قلت: فما أقول؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ والمعوذتين ثلاثًا حين تصبح وحين تمسى تكفيك من كل شيء». قال الترمذى حديث صحيح.

الثانية: عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه- بينما أنا أسير مع النبى ﷺ إذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة، فجعل النبى ﷺ يتعوذ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١]، وقال: يا عقبة تعوذ بهما ولن تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ [الفلق]، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ [الناس: ١]، فإن استطعت أن لا تفوتك فى صلاتك فافعل ويقال إنهما المقشقشتان تبرئان من النفاق، وقال الأصمعى: يقال المقشقشتان سورة الإخلاص و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ①﴾ [الكافرون: ١].

الثالثة: عن ابن عباس - رضى الله عنهما- قال ليس فى القرآن سورة أشد غيظًا لإبليس من ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ①﴾ فإنها براءة من الشرك وتوحيد وقال رجل: يا نبى الله أوصنى قال: اقرأ عند منامك: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ①﴾ فإنها براءة من الشرك، وسبب نزولها قول الكافرين: يا محمد اعبد آلهتنا عامًا ونعبد إلهك عامًا والتكرار فيها للتأكيد.

حكاية: قال أحمد بن حنبل: رأيت رب العزة فى المنام، فقلت: يا رب بماذا يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بكلامى يا أحمد قلت: بفهم وغير فهم؟ قال: بفهم وغير فهم.

فائدة: رأيت فى خبر للقرطبى عن النبى ﷺ أعطوا العين حظها من العبادة قيل: وما حظها من العبادة؟ قال: النظر فى المصحف. وفى غيره أن النبى ﷺ شكا وجعًا فى عينه إلى جبريل فقال: انظر فى المصحف ورأيت فى التذكار فى فضائل الأذكار للقرطبى عن النبى ﷺ من قرأ كل يوم مائتى آية نظرًا فى المصحف شفع فى سبع قبور حول قبره وعن شداد بن أوس ليس شيء من الطاعات أشد على الشيطان من القراءة فى المصحف، وعن النبى ﷺ: «فضل من يقرأ القرآن نظرًا على من يقرؤه ظاهرًا كفضل الفريضة على النافلة» وسيأتى قريبًا أن الفضيلة متعلقة بالتدبر والتفكير حيث قرأ من

المصحف أو غيره، وسيأتى فى مناقب عثمان- رضى اللّه عنه- عليكم بالشفاءين القرآن والعسل، وروى البيهقى أن رجلاً شكا إلى النبى ﷺ وجعًا فى حلقه فقال: عليك بقراءة القرآن.

حكاية: قال أبو بكر العسقلانى رأيت رب العزة فى المنام فأردت أن أسأله عن أفضل الأعمال فاستحييت فقال: تريد أن تسألنى عن أفضل الأعمال؟ قلت: نعم قال: قراءة القرآن فأردت أن أسأله بطهارة أو غير طهارة فاستحييت فقال: أتريد أن تسألنى بطهارة أو غير طهارة؟ قلت: نعم قال: بطهارة أو غير طهارة فأردت أن أسأله بصلاة أو غير صلاة فاستحييت فقال: أتريد أن تسألنى بصلاة أو غير صلاة؟ قلت: نعم قال: بصلاة أو غير صلاة، فأردت أن أسأله معربًا أو غير معرب فاستحييت فقال: أتريد أن تسألنى معربًا أو غير معرب؟ قلت: نعم، قال: معربًا وغير معرب ثم قال: أتدرى ما للقارئ عندى قلت: لا، قال: له بالحرف المطلق عشر حسنات وبالمعرب عشرين حسنة أتدرى كم الحسنة؟ قلت: لا، قال: ألف رطل والرطل ألف دانق والدانق ألف درهم والدرهم ألف قيراط والقيراط وزن أحد. قال العلامة السيوطى فى «الاتقان» المراد بالإعراب معرفة معانيه.

لطيفة: فى صحيح البخارى: عن النبى ﷺ مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة قال الدميرى فى «حياة الحيوان»: وجه التشبيه أن البيت الذى فيه الأترج لا يدخله الجان كذلك القلب الذى فيه القرآن لا يدخله الشيطان، قال البرماوى فى شرح البخارى: لون الأترج يسر الناظرين ويقوى الهضم ويدبغ المعدة وذكر ابن طرخان عن النبى ﷺ: «أطعموا حبلاكم السفرجل» وعن النبى ﷺ: «كلوا السفرجل فإنه من نعم الطعام يزيد فى السمع والبصر».

لطيفة: قال رجل لا بن سيرين: رأيت فى المنام كأنى أبلع اللؤلؤ ثم أرميه فقال أنت كلما حفظت شيئًا من القرآن تنساه.

فائدة: قال رجل لابن عباس: أنا كثير النسيان، فقال عليك بالكندر أنقعه ليلاً ثم اشربه على الريق فإنه يمنع النسيان، قال فى نزهة النفوس والأفكار: أكل الكندر وهو حصى لبان الذكر يقوى البصر والمعدة وإن أحرقه وتلقى دخانه واكتحل به زاد فى نور البصر، ومضغه يزيد فى الذهن ويجذب الرطوبة من الرأس، وأكله يطرد الريح ويقطع البلاغم وهو جيد للحمى البلغمية وقال رجل لا بن سيرين: رأيت فى المنام كأنى أرمى اللؤلؤ فى الطين فقال أنت تقرأ القرآن فى الطريق، وصرح فى الروضة بعدم الكراهة فى الحمام وأما قراءته بالتمطيط الفاحش خلف الجنازة فحرام، يجب على القادر منعه وفى شرح المهذب لا يحرم على الرجل لبس اللؤلؤ بخلاف الحرير والذهب، واللّه أعلم.

فائدة: قال فى الأذكار: القراءة فى المصحف أفضل من القراءة من حفظه وحكاه عن الأصحاب، وأول من سماه المصحف أبو بكر- رضى اللّه عنه- وفى الروضة لو علق طلاقها على وضع الدنيا والآخرة بين يديها فخلاصها أن يضع المصحف فى حجرها.

فـائدة: روى الطبراني عن عمر- رضى اللَّه عنه- القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأ القرآن فله بكل حرف زوجة من الحور العين، وروى الترمذى من قرأ حرفًا من كتاب اللَّه فله بالحسنة عشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف، ربنا تقبل إنك أنت السميع العليم.

فصل: فى الأذكار غير القرآن

* وفيه فوائد:

الأولـى: مر يحيى- عليه السلام- على قبر دانيال عليه السلام فسمع صوتًا من القبر سبحان من تعزز بالقدرة والبقاء وقهر العباد بالموت من قالها استغفرت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن. ورأيت فى كتاب العرائس للثعلبى إن دانيال كان نبيّا غير مرسل عالمًا بالتعبير حكيمًا فى زمن بختنصر، ودخل أبو موسى الأشعرى رضى اللَّه عنه مدينة فوجد فيها خزانة مختومة بالرصاص ففتحها فوجد فيها ميتًا فى كفن منسوج بالذهب فتعجب أبو موسى من طوله حتى قاس أنفه فزاد على شبر فكتب إليه عمر: ادفنه فى مكان لا يقدر عليه أهل تلك البلدة بعد أن تصلى عليه.

الثانـية: جاء أعرابىٌّ إلى قبر النبى ﷺ فقال: يا نبى اللَّه قلت فسمعنا قولك ووعيت عن اللَّه فوعينا عنك وكان فيما أنزل اللَّه عليك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا اللَّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللَّه توابًا رحيمًا، وقد ظلمت نفسى وجئتك مستغفراً. فنودى من القبر الشريف قد غفر اللَّه لك.

فإن قـيل: أليس لو استغفروا اللَّه وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة فما الفائدة فى ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم.

فالـجواب: أنهم لم يرضوا بحكم الرسول فوجب عليهم أن يعتذروا من ذلك الجواب يطلبون منه أن يستغفر لهم، لأن استغفاره مقبول واستغفارهم وحده قد لا يقبل.

قـال الرازى عن أهل المعـانى: دلت الآية ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]، على أن الاستغفار أمان من العذاب، قال ابن عباس كان فيهم أمانان الرسول والاستغفار أما الرسول فقد مضى وأما الاستغفار فباق وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤]، أى فى الآخرة بخلاف عذاب الدنيا فقد رفعه اللَّه عنهم بالنبى ﷺ.

قال الرازى: فى قوله تعـالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، دلت الآية على أنـه ﷺ يشفع لأهل الكبائر فى الدنيا لأن الآية نزلت فى الذين فروا يوم أحد فما أمره اللَّه بالاستغفار لهم إلا ويريد أن يستغفر لهم ويجيب سؤالهم. قال فى الكشاف: فاعف عنهم فيما يتعلق بحقك

واستغفر لهم فيما يتعلق بحق اللّه تعالى، قال ابن أبى جمرة فى إملائه على بعض أحاديث البخارى: شفاعته ﷺ فى الدنيا والآخرة مستمرة على الدوام فلا يزال يشفع. قال أبو هريرة- رضى اللّه عنه-: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ولم يذكر شفاعته فى الدنيا لأنه عرفها وعاينها قال فى الروضة وله ﷺ فى القيامة خمس شفاعات.

الأولى: الشفاعة العظمى فى الفصل بين أهل الموقف.

الثانية: فيمن استحق دخول النار فلا يدخلها.

الثالثة: فيمن دخل النار فيخرجون منها.

الرابعة: فى جماعة يدخلون الجنة بغير حساب.

الخامسة: فى رفع درجات الجنة وزاد القرطبى وغيره.

السادسة: فيمن مات فى المدينة.

السابعة: فى تخفيف العذاب عن عمه أبى طالب.

الثامنة: فيمن صلى عليه ﷺ.

التاسعة: فيمن استوت حسناته وسيئاته فيدخل الجنة، وأهل الأعراف يدخلون الجنة بشفاعته ﷺ.

العاشرة: فى دخول أمته الجنة قبل الأمم.

الحادية عشرة: شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من الأمة. وروى ابن أبى الدنيا عن النبى ﷺ ويبقى قوم فيدخلون النار فيعيرهم أهل النار فيقولون كنتم تعبدون اللّه لا تشركون به شيئًا أدخلكم فلا تخرجون، فيبعث اللّه ملكًا بكف من ماء فينضح به النار التى هم فيها ويغبطهم أهل النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة، فيقال لهم: انطلقوا لتضيفوا الناس فلو أن جميعهم نزلوا برجل واحد كان عنده لهم سعة. اللهم أدخلنا الجنة بشفاعة نبينا محمد ﷺ من غير عذاب يسبق برحمتك الواسعة واللّه أرحم الراحمين.

فوائد: فى قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، «منها» الاقتداء به ﷺ فى المشورة «ومنها» أن علوم الناس متفاوتة فلا يبعد أن يخطر بقلب الإنسان من المصالح ما لم يخطر بقلب الآخر لا سيما فى أمور الدنيا، وعنه ﷺ أنتم أعلم بدنياكم، وأنا أعلم بآخرتكم ذكره الرازى فى تفسير الآية «ومنها» لما شاورهم فى الخروج إلى أحد فأشاروا عليه بذلك فحصل ما حصل من فرارهم فلو لم يشاورهم لتوهموا أن فى قلبه ﷺ من تلك المشورة شيئًا فأزال اللّه تعالى ذلك التوهم بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ﴾ قال الرازى كانت المشورة فيما لا نص فيه وهذا الأمر يقتضى

الوجوب، وحمله الشافعي على الاستحباب، قال في الروضة ومن الواجبات عليه ﷺ المشاورة على الصحيح.

الثالثة: قال رجل: يا نبي الله علمني عملاً يدخلني الجنة. قال: **لا تغضب فأعاد عليه القول، فقال: لا تغضب ثم قال: استغفر الله قبل صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب سبعين عامًا،** قال: ما لي ذنوب سبعين عامًا، قال: لأمك، قال: مالها ذلك قال: لأبيك قال: ماله ذلك قال: لإخوانك، قال: نعم وفي الحديث أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتحب الأمان من أهوال القيامة؟ قال: نعم، قال: قل: استغفر الله العظيم لي ولوالدي والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، فإن من قالها كل يوم خمسًا وعشرين مرة كتب الله له أجر سبعين صديقًا، وفي الإحياء عن النبي ﷺ من قال سبحانك ربي ظلمت نفسي وعملت سوء فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت كمدب النمل، وعن النبي ﷺ: **«من أذنب ذنبًا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر»** قال الفضيل بن عياض معنى أستغفر الله أقلني يا الله.

مسألة: فإن قيل الاستغفار أفضل أو لا إله إلا الله.

فيقال: الاستغفار كالصابون فهو أفضل لمن كثر سقطه ولا إله إلا الله كالطيب فهو أفضل لمن حفظه الله من الذنوب، وكان النبي ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة وعن النبي ﷺ ما من مؤمن إلا وله كل يوم صحيفة فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ. ذكره النسفي، وعن النبي ﷺ طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً رواه ابن ماجه وعن النبي ﷺ: **«من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار»** رواه البيهقي وعن النبي ﷺ: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب»** رواه أبوداود والنسائي. وعن النبي ﷺ: **«ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في يوم وليلة سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب، وقد خاب عبد أو أمة عمل في كل يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب»** رواه البيهقي وقال رجل: واذنوباه مرتين أو ثلاثًا فقال النبي ﷺ: **«قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي فقالها، ثم قال عدها فعاد ثم قالها مرة أخرى، فقال له النبي ﷺ: قم قد غفر الله لك»** رواه الحاكم.

حكاية: قال رجل: يا نبي الله إن لي جاراً في داره نخلة يسقط رطبها في داري فيأكله أولادي فاسأله أن يجعلني في حل، فقال: اجعله في حل وأضمن لك في الجنة مثلها فلم يفعل فقال: اسأله يا نبي الله أن يبيعني إياها، فقال: بألف دينار وكان الرجل فقيراً فوزنها عنه عثمان- رضي الله- فنزل جبريل وقال: يا محمد قد غرس الله لعثمان نخلة في الجنة فصارت حديقة مثل حديقة عثمان، وفي حديث آخر: «يا جبريل أخبرني بثواب من قال: سبحان ربي الأعلى فقال: ما من عبد يقولها في

صلاة أو فى غير صلاة إلا كانت فى ميزانه أثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا، ويقول اللَّه تعالى صدق عبدى أنا فوق كل شىء أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت له وأدخلته الجنة وإذا مات زاره ميكائيل كل يوم فى قبره، فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه وأوقفه بين يدى اللَّه تعالى فيقول رب شفعنى فيه فيقول شفعتك فاذهب به إلى الجنة» ذكره البيهقى.

مسألة: تسبيح السجود سبحان ربى الأعلى أفضل من تسبيح الركوع وهو سبحان ربى العظيم ثلاثة وهو أدنى الكمال وأكمله من تسع إلى إحدى عشرة وفى الأخيرتين سبعًا بتقديم السين ولو سبح مرة واحدة حصل التسبيح قال فى شرح المهذب: ويستحب أن يقول: وبحمده بعد سبحان ربى العظيم وربى الأعلى قاله فى شرح المهذب أيضًا، ولا يخفى أن ذلك للمنفرد وأما الإمام فلا يزيد على الثلاث والتسبيح المذكور وقوله سمع اللَّه لمن حمده وجميع التكبيرات إن رضى من وراءه واجب عند الإمام أحمد، فإن ترك شيئًا منه عمداً بطلت صلاته وإن نسيها سجد للسهو.

حكاية: قال وهب: مر سليمان على بساط الريح فرآه حراث فقال لقد أوتى آل داود ملكًا عظيمًا فحملت الريح كلامه وألقته فى أذن سليمان فنزل إليه وقال تسبيحة واحدة يتقبلها منك خير لك مما أوتى آل داود فقال أذهب اللَّه همك كما أذهبت همى.

فائدة: عن ابن عباس- رضى اللَّه عنه- نزل إسرافيل على النبى ﷺ وقال سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم عدد ما علم اللَّه ووزن ما علم اللَّه ومثل ما فى علم اللَّه فمن قالها مرة واحدة كتب اللَّه له ست خصال من الذاكرين اللَّه كثيراً، وكان أفضل ممن ذكر اللَّه بالليل والنهار وكن له غراسًا فى الجنة وتساقطت ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر ونظر اللَّه إليه ولم يعذبه بالنار، وفى الحديث من قال سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم وعدد ما فيه علم اللَّه ودوام ملك اللَّه تنقطع الدنيا وأهل الدنيا ولا ينقطع ثواب قائلها.

فوائد: الأولى عن النبى ﷺ إذا كان يوم القيامة يأتى لا إله إلا اللَّه أمام قائلها وسبحان اللَّه من ورائه والحمد للَّه عن يمينه واللَّه أكبر عن يساره ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم على رأسه مثل القبة فلا يُصيبُهُ من شر الناس شىء ذكره ابن العماد فى الذريعة.

الثانية: قال بعض الصحابة: صلينا العصر خلف النبى ﷺ فقال رجل من المسلمين: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى وارحمنى وتب على إنك أنت التواب الرحيم، فلما قضى النبى ﷺ صلاته قال: من صاحب هذا الكلام؟ قال الرجل: أنا يا رسول اللَّه. قال: والذى نفسى بيده ما خرج آخرها من فيك حتى نظرت إلى اثنى عشر ملكًا يبتدرون أيهم يكتبها ثم مازلت أراها تخرج من سماء إلى سماء حتى وضعت تحت العرش حتى تعطاها ومثلها يوم القيامة.

الثالثة: عن النبى ﷺ: «إذا قال العبد سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر وتبارك اللّه قبض عليهم ملك فضمهن تحت جناحه وصعد بهن يمر بهن على جميع من الملائكة إلا استغفروا لقائلها حتى يجيء بهن وجه الرحمن جل وعلا» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

الرابعة: قال أبو السعادات: كان إسماعيل- عليه السلام- يقول سبحان من هو مطلع يعلم جوارح القلوب سبحان من يحصى عدد الذنوب سبحان من لا يخفى عليه خافية فى السموات ولا فى الأرض سبحان اللّه الرؤوف الودود من قالها مرة واحدة كتب له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة.

الخامسة: قال ابن عباس- رضى اللّه عنهما- إن إبراهيم اجتمع بذى القرنين فقال له: بم قطعت الدهر وأنت ملك المشرق والمغرب فقال بقولى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ① ﴾ [الإخلاص: ١]، بهؤلاء الكلمات من قالها كتب اللّه له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة، فقال إبراهيم اعرضهن على فقال سبحان من هو باق لا يفنى سبحان من هو عالم لا ينسى سبحان من هو قيوم لا ينام سبحان من هو دائم لا يسهو سبحان من هو واسع لا يتكلف سبحان من هو قائم لا يلهو سبحان من هو عزيز لا يضام، وقال أبو السعادات: كان موسى عليه السلام يقول: سبحان من هو فى علوه دان وفى دنوه عال وفى إشراقه منير وفى سلطانه قوى من قالها كل يوم عشر مرات فكأنما حج أربعين ألفَ حجة، قال أبو السعادات: كان آدم عليه السلام يقول: سبحان الخالق البارئ سبحان اللّه العظيم وبحمده من قالها عشر مرات أعطاه اللّه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن يونس عليه السلام يقول سبحان القاضى الأكبر سبحان الخالق البارئ سبحان القادر المقتدر سبحانه اللّه العظيم وبحمده، قال أبو السعادات: من قالها كل يوم مرة وكل اللّه به ألف ملك يحفظونه من كل سوء وكأنما أعتق ألف رقبة هكذا رأيته فى كتاب عن بعض الأكابر مكتوب عليه تأليف أبى السعادات ولم أقف له على ترجمة صلاح ولا علم، واللّه أعلم.

فصل: فى أذكار الصباح والمساء للإمام النووى رحمه اللّه تعالى

قال آدم- عليه السلام -: يا رب شغلتنى بكسب يدى فعلمنى شيئًا فيه مجامع الحمد والتسبيح فأوحى اللّه إليه إذا أصبحت يا آدم فقل ثلاثًا وإذا أمسيت فقل ثلاثًا الحمد للّه رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافئ مزيده فذلك مجامع الحمد والتسبيح ومعنى يوافى نعمه أى يلاقيها، ومعنى يكافئ مزيده أى يقوم بما زاده من النعم وعن النبى ﷺ مَنْ قال حين يصبح ثلاثًا: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ① **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ② ﴾ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، صرف اللّه عنه سبعين نوعًا من البلاء أدناه الهم، وعن عثمان بن عفان عن النبى ﷺ ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم اللّه الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات

فلا يضره شيء رواه الترمذى، وقال حديث حسن صحيح، قال أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه يا رسول اللّه مرنى بكلمات أقلهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه أعوذ باللّه السميع العليم من الشيطان الرجيم فإن من قرأها وقال ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل اللّه به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدًا رواه الترمذى، وعن ابن عباس عن النبى ﷺ: **«من قال إذا أصبح سبحان اللّه وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من اللّه وكان آخر يومه عتيق اللّه»** رواه الطبرانى وغيره، وعن أبى الدرداء رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ: **«من قال حين يصبح وحين يمسى حسبى اللّه لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه اللّه ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة»** رواه أبوداود. عن النبى ﷺ: **«من قال حين يصبح وحين يمسى اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت اللّه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك أعتق اللّه ربعه من النار فإن قالها مرتين أعتق اللّه نصفه من النار فإن قالها ثلاثًا أعتق اللّه ثلاثة أرباعه من النار فإن قالها أربعًا أعتقه اللّه من النار»** رواه النسائى وعن ثوبان رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ من قال: إذا أصبح وإذا أمسى رضيت باللّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً كان حقًا على اللّه أن يرضيه رواه الترمذى، وفى رواية أبى داود وجبت له الجنة، وفى رواية الإمام أحمد بن محمد بن حنبل يقول ذلك ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسى ويستحب أن يقول بمحمد نبيًا ورسولاً جمع بين الروايتين فلو اقتصر على إحداهما كان عاملاً بالحديث، وعن أبى أيوب الأنصارى عن النبى ﷺ: **«من قال كل يوم لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب اللّه له بهن عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات ورفع له بهن عشر درجات حتى يمسى وإذا قالهن عند المساء كذلك»** رواه النسائى وروى أيضًا من قال: لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد كتب اللّه له ألف ألف حسنة وعن أبى كاهل رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له مستيقنًا بها قلبه كان حقًا على اللّه أن يغفر له بكل مرة ذنوب سنة» وقال النبى ﷺ لبعض بناته الأربع زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة وهى أصغرهن وأفضلهن: قولى سبحان اللّه وبحمده ولا حول ولا قوة إلا باللّه ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن اللّه على كل شيء قدير وأن اللّه قد أحاط بكل شيء علمًا فإن من قالها حين يصبح حفظ وحتى يمسى ومن قالهن حين يمسى حفظ حتى يصبح رواه أبو داود والنسائى، وعن عبد اللّه بن بشر - رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ من استفتح فى أول نهاره بخير وختمه بخير قال اللّه تعالى لملائكته لا تكتبوا على عبدى ما بين ذلك رواه الطبرانى بإسناد حسن، فالحمد للّه. وتقدم فضل المعوذتين وقل هو اللّه أحد إذا أصبح وإذا أمسى وحديث من صلى على حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً أدركته شفاعتى يأتى إن شاء اللّه تعالى فى باب فضل الصلاة على النبى ﷺ.

باب: المحبة

قال اللَّه تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال بعض العارفين: لن تنالوا محبتى وفى قلوبكم محبة غيرى ولا تكون المحبة إلا فى قلب حى وحياته بموت النفس. ثم روى فى المعنى حكاية: كان بعضهم له درة فصيحة الكلام فلما أراد السفر إلى بر السودان قالت له يا مولاى أقرئ أصحابى السلام وقل لهم: عندى طير منكم فى قفص حديد لا يستطيع الطيران إليكم فانظروا ما فى أمره فلما أدى الرسالة إلى جنسها من الطيور ضربوا بأجنحتهم وأظهروا له أنهم ماتوا فندم على تبليغ الرسالة شفقة عليهم، فلما رجع أخبرها بذلك فضربت بأجنحتها وألقت نفسها إلى الأرض كأنها ميتة فأخرجها من القفص وألقاها فطارت، وقالت: يا مولاى إن أصحابى ماتوا ولكن علمونى طريق الخلاص وصحح فى المنهاج تحريم أكلها. ويقول موت النفوس حياتها وقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

فإن قيل: كيف قدم محبته على محبتهم له وقدم ذكرهم على ذكره إياهم قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فالجواب: ما قاله الشيخ عبد القادر الكيلانى إن الذكر مقام طلب مكانه أمر بالطلب منه فقد ذكرهم له وأما المحبة فهى تحفة إلهية ليس للعبد فيها اختيار فلا يصح وجودها إلا بعد بروزها من جانب الغيب على يد المشيئة فلهذا قدم محبته لنا على محبتنا له، وله الفضل والمنة ومعنى محبة اللَّه توفيقه إياهم لطاعته والآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى اللَّه عنه وعن النبى ﷺ اللهم صلّ على أبى بكر فإنه يحبك ويحب رسولك قاله فى الرياض النضرة، وذكر أيضًا عنه ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين، والحب فى اللَّه من الإيمان وفى الإحياء أوحى إلى عيسى لو عبدتنى بعبادة أهل السماء والأرض وحب فى اللَّه ليس معك وبغض فى اللَّه ليس معك ما أغنى عنك ذلك شيئًا وعن النبى ﷺ من أعرض عن صاحب بدعة آمنه اللَّه يوم الفزع الأكبر، ومن سلم على صاحب بدعة ولقيه بالبشر واستقبله بما يسره فقد استخف بما نزل اللَّه على محمد ﷺ وعن الفضيل: مصارمة الفاسق قربة إلى اللَّه عز وجل، وعن النبى ﷺ: «**أفضل الأعمال الحب فى اللَّه والبغض فى اللَّه**» رواه أبو داود وعن النبى ﷺ «**قال اللَّه تعالى: المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم القيامة أى يوم لا ظل إلا ظلى**» رواه الإمام أحمد وعن ابن مسعود رضى اللَّه عنه عن النبى ﷺ «المتحابون فى اللَّه على ياقوتة حمراء على رأس عمود عليه سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضىء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس لأهل الدنيا فيقال لأهل الجنة انطلقوا إلى المتحابين فى اللَّه فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة ثيابهم السندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى اللَّه». وعن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة عمدًا من ياقوتة عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضىء كما تضىء الكواكب. قيل يا نبى اللَّه من يسكنها؟ قال المتحابون

فى اللَّه» رواه البزار، وروى أيضًا: ما من عبد أتى أخاه يزوره فى اللَّه إلا ناداه مناد من السماء أن طبت وطابت لك الجنة، وروى الطبرانى إذا زار المسلم شيعه سبعون ألف ملك يصلّون عليه يقول: اللهم صله كما وصله فيك وقال أبو مسلم الخولانى واسمه عبد اللَّه لمعاذ بن جبل: إنى أحبك فى اللَّه فقال أبشر فإنى سمعت النبى ﷺ يقول: «**ينصب لطائفة من أمتى كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء اللَّه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قيل: يا رسول اللَّه من هم؟ قال: المتحابون فى اللَّه**» **قاله فى عوارف المعارف.**

واعلم: أن المحبة تكون مباحة بأن يحب عامة الناس وتكون مكروهة وهى محبة الدنيا وتكون نافلة وهى محبة الأهل والولد، وتكون فرضًا وهى محبة اللَّه ورسوله ومحبة الرسول مستلزمة لمحبة اللَّه تعالى قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال سهل بن عبد اللَّه فى قوله تعالى: ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً**﴾ [لقمان: ٢٠] وهى اتباع النبى ﷺ وباطنة وهى محبته، وقيل: الظاهرة الإسلام والباطنة غفران الذنوب وقرأ أبو عمر ونافع نعمه بفتح العين وضم الهاء والباقون بسكون العين والتنوين ومن علامة المحبة اتباع المحبوب فى الأوامر النواهى، وإلا فليست بمحبة تامة كما قال القائل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعتــه ... إن المحب لمن يحب مطيع

لطيفة: عن النبى ﷺ: «**حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة**» وقال أبو بكر الصديق: وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث: الجلوس بين يديك، والصلاة عليك، وإنفاق مالى عليك. وقال فى الرياض النضرة: قالت عائشة- رضى اللَّه عنها- : أنفق أبو بكر على النبى ﷺ أربعين ألفًا. وقال عمر رضى اللَّه عنه: وأنا حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإقامة الحدود. وقال عثمان- رضى اللَّه عنه- : وأنا حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام. وقال على- رضى اللَّه عنه- : وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث: الضرب بالسيف، والصوم فى الصيف، وإقراء الضيف. فنزل جبريل وقال: يا نبى اللَّه وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث: النزول إلى النبيين، وتبليغ الرسالة للمرسلين، والحمد للَّه رب العالمين، ثم قال: إن اللَّه تعالى يقول: وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وجسد على البلاء صابر، فالعمل بهذا كله من علامات المحبة لمن أراد الدخول فى قوله ﷺ: «من أحبنى كان معى فى الجنة» وفى أول الحديث إشارة تأتى فى أول باب الزهد إن شاء اللَّه تعالى ولما وصل هذا الحديث إلى الأئمة الأربعة قال الإمام أبو حنيفة- رضى اللَّه عنه- : وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث تحصيل العلم فى طول الليالى وترك الترفع

والتعالى وقلب من حب الدنيا خال وقال الإمام مالك- رضى اللّه عنه- : وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث : مجاورة روضته ﷺ، وملازمة تربيته، وتعظيم آل بيته . وقال الإمام الشافعى رحمه اللّه : وأنا حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث : عشرة الخلق بالتلطف، وترك ما يؤدى إلى التكلف، والاقتداء بطريق التصوف . وقال الإمام أحمد رحمه اللّه تعالى : وأنا حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث : متابعة النبى ﷺ فى أخباره، والتبرك بأنواره، وسلوك طريق آثاره .

حكاية: ذُكرَ فى الإحياء عن بعضهم قال : رأيت النبى ﷺ فى المنام ومعه جماعة وإذا بملكين نزلا من السماء ومع أحدهما طست من ذهب ومع الآخر إبريق من فضة فغسل النبى ﷺ يده ثم واحد بعد واحد حتى أتوا عندى فقال أحدهما ليس هو منهم فقلت يا نبى اللّه أنت قلت المرء مع من أحب، وأنا أحبك وأحب هؤلاء فقال ﷺ : «صبوا على يديه فإنه منهم» . وعنه ﷺ: «من أحبنى كان معى فى الجنة» . وعنه ﷺ: «من أحب أزواجى وأصحابى وأهل بيتى ولم يطعن فى أحد منهم وخرج من الدنيا على محبتهم، كان معى فى درجتى يوم القيامة» وسيأتى إن شاء اللّه تعالى زيادة فى فضائلهم إجمالاً وتفصيلاً وعن النبى ﷺ سألت ربى عز وجل فيما اختلف فيه أصحابى فأوحى إلى أصحابك يا محمد عندى بمنزلة النجوم بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ شيئًا مما هم عليه من اختلافهم فهو على هدى، ذكره فى أول الرياض النضرة .

لطيفة: المحبة أربعة أحرف ميم وحاء وباء وهاء فالعبد يستعمل حرفين الميم من الندامة والحاء من حفظ الرحمة، واللّه تعالى يجازى عبده بحرفين الباء من البر والهاء من الهداية، وقال الشبلى سميت المحبة محبة لأنها تمحو عن القلب ما سوى المحبوب، وقال غيره المحبة كالحبة إذا وقعت فى أرض طيبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة فالحبة إذا حصلت فى قلب طيب تفرع منها سنابل الطاعات، وفى الرسالة القشيرية قلوب المشتاقين منورة بنور اللّه فإذا تحرك الشوق أضاء ما بين السماء والأرض فيعرضهم اللّه على ملائكته فيقول هؤلاء المشتاقون إنى أشهدكم أنى إليهم أشوق .

حكاية: رأيت بمكة شرفها اللّه تعالى فى فردوس العارفين قال أبو يزيد البسطامى : رأيت فى المنام كأنى فى السماء الرابعة فاستقبلتنى ملائكة يقطر منهم النور، تبرق منه السماوات فسلموا على فرددت عليهم السلام ثم التمع نور شوقى إلى ربى فأضاءت منه السماوات كلها فصار نور الملائكة مع نور شوقى كسراج مع الشمس وقال أبو الدرداء- رضى اللّه عنه- : إن للّه عبادًا تطير قلوبهم إلى اللّه اشتياقًا لا يدركها البرق الخاطف فيتقلبون فى بساتين الأنس بالنزهة ويسكنون على سرير بالقرب منه .

حكاية: لما تزوجت زليخا بيوسف عليه السلام لم تنظر إليه فسألها عن ذلك فقالت : من وجد

حب اللّه فكيف يحب غيره، قيل لما تولى الملك رآها على الطريق لتنظر إليه فشكا إلى ربه فعلها معه وقال: يا رب أهلكها فقال جبريل: إن اللّه تعالى يريد أن يملكها ولا يهلكها لأنها أحبت محبوبنا.

وعن الجنيد: قيل للّه تعالى: لو لم تطعك جهنم ما كنت تصنع بها قال كنت أسلط عليها نارى الكبرى، وهى نار المحبة التى أوقدتها فى قلوب أحبابى.

حكاية: مر عيسى - عليه السلام- على قوم يعبدون اللّه تعالى فسألهم عن عبادتهم، فقالوا: نرجو الجنة ونخاف من النار فقال: مخلوقًا رجوتم ومخلوقًا خفتم، ثم مر بآخرين فسألهم عن عبادتهم فقالوا: نعبده حبًا له وتعظيمًا لجلاله فقال: أنتم أولياء اللّه أمرت أن أكون معكم، وفى الإحياء مر عيسى عليه السلام بقوم قد تغيرت ألوانهم فسألهم قالوا: خوف النار غيرنا فقال: حق على اللّه أن يؤمن خوفكم، ثم مر بآخرين أشد منهم ضعفًا فسألهم فقالوا: شوقًا إلى الجنة فقال: حق على اللّه أن يعطيكم ما ترجون، ثم مر بآخرين أشد منهم ضعفًا فسألهم فقالوا: حب اللّه تعالى فقال: أنتم المقربون وقال بعضهم فى قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، أى يعبده للدنيا ومنهم مقتصد أى يعبده للآخرة ومنهم سابق بالخيرات أى يعبده لوجهه الكريم، وقيل الظالم من يشتاق إلى الجنة، والمقتصد من تشتاق له الجنة والسابق من يشتاق له المولى ونقل عن الشيخ عبد القادر الكيلانى أنه قال: ورد عن اللّه تعالى أنه قال للدنيا: انظرى إلى أحبابى قد أعرضوا عنك فقالت: يا رب أنزل عليهم البلاء فإن صبروا فهم صادقون فصب عليهم البلاء فصبروا فقالوا: مرحبًا وتلقوه بالرضى والصبر فقال: البلاء يا رب الغوث الغوث أحرقنى هؤلاء بأنفسهم فرفعه عنهم فقالت الجنة: يا رب لو رآنى أحبابك لاشتغلوا عن خدمتك فكشف لهم عنها فأعرضوا عنها فقالت: يا رب إن يرضوا بى فأنا أرضى بهم، فقال تعالى: هؤلاء لى وأنا لهم لا يشاركنى فيهم مشارك.

حكاية: دخل بعض العارفين على مريض من النصارى وهو فى النزع فقال: أسلم ولك الجنة قال: لا حاجة لى بها قال: أسلم ولك النجاة من النار قال: لا أبالى بها قال: أسلم ولك النظر إلى وجه اللّه الكريم فأسلم، ففاضت روحه فرؤى تلك الليلة فى المنام، قيل له: ما فعل اللّه بك قال: أوقفنى بين يديه وقال لى: أسلمت شوقًا إلى لقائى قلت: نعم قال: لك عندى الرضا واللقاء قاله النسفى وحكاه فخر الدين الرازى عن يهودى وقيل: إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة وبقى رجل فى الموقف من المحبين فتأتيه الملائكة بسلاسل من نور فيقودونه إلى الجنة وهو غائب فى سكرة المحبة فإذا صار إلى باب الجنة أفاق من سكره فيجذب من السلاسل ويرجع مهرولاً وهو يقول دلونى على رب الجنة والملائكة يردونه إليها فيقول اللّه تعالى خلوا بينى وبينه.

فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، هم الرجال من بين الرجال على الحقيقة لأن اللّه حفظ سرائرهم عن الرجوع إلى غيره فلا تشغلهم الدنيا وزهرتها ولا الآخرة ونعيمها عن اللّه تعالى لأنهم فى بساتين الأنس.

حكاية: قال السرى السقطى: رأيت الحق سبحانه وتعالى فى المنام فقال: خلقت الخلق فدعوا محبتى فخلقت الدنيا فاشتغل عنى من كل عشرة آلاف تسعة آلاف، فبقى ألف فخلقت الجنة فاشتغل بها تسعمائة فبقى مائة فسلطت عليهم البلاء فاشتغل به تسعون، وبقى عشرة فقلت لا الدنيا أردتم ولا فى الجنة رغبتم ولا من البلاء ضجرتم فقالوا: ألست الفاعل بنا ذلك؟ قلت بلى قالوا: رضينا فقلت لهم أنتم عبيدى حقّا، وقيل لما شاع موت الشبلى جاءه أصحابه فسألهم فأخبروه فقالوا: جئنا لجنازتك فقال: واعجبًا من أموات زاروا أحياء فقيل له هل اشتقت إلى اللّٰه تعالى، قال: لا لأن الشوق إلى غائب وما غاب عنى طرفة عين.

حكاية: قال ذو النون المصرى: رأيت صبيانًا يرجمون رجلاً فقلت لهم فى ذلك فقالوا: إنه مجنون يزعم أنه يرى ربه فدنوت منه فأخبرته بذلك فقال لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين ثم قال:

طلب الحبيب من الحبيب رضاه ... ومن الحبيب إلى الحبيب لقاء
أبدًا يلاحظه بأعين قلبه ... والقلب يعرف ربه ويراه
يرضى الحبيب من الحبيب بقربه ... دون العباد فما يريد سواه

فقلت: له أمجنون أنت؟ قال: عند أهل الأرض نعم وأما عن أهل السماء، فلا، فقلت له: كيف أنت مع اللّٰه؟ قال: ما جفوته منذ عرفته قلت: متى عرفته؟ قال: لما جعل اسمى فى المتحابين.

حكاية: قال الخواص: رأيت بالبصرة عبدًا يباع بعيوب ثلاثة لا ينام من الليل إلا القليل، ولا يأكل بالنهار ولا يتكلم إلا عند الحاجة فقلت لسيده: كيف تبيعه؟ قال: رأيت درجته أرفع من درجتى فكلما قدمت على باب الخدمة وجدته يسبقنى فأردت بيعه غيرة منه، فقلت: بعنى إياه؟ قال: نعم أنت مجنون والعبد مجنون والمجنون بالمجنون أليق فقلت: من أين عرفتنى؟ قال: لأنى أراك كل ليلة واقفًا على الباب فعرفت أنك من جملة الأحباب.

حكاية: قال الشبلى: رأيت صبيانًا يرجمون مجنونًا بالحجارة فمنعتهم عنه فقالوا يزعم أنه يرى ربه فدنوت منه، وإذا به يرمق بطرفه نحو السماء ويقول: يا مولاى أجميل منك أن تسلط على هؤلاء الصبيان، فقلت: له تزعم أنك ترى ربك فقال: وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بقربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين، ثم ولى وهو يقول:

جمالك فى عينى وذكرك فى فمى ... وحبك فى قلبى فأين تغيب

وقال بعض أصحاب أبى يزيد البسطامى: وكان من أصحاب الكشف لما صار أبو يزيد فى قبره وسأله منكر ونكير قال لهما: أنا طريح بين يديه ولكن اسألاه هل أنا عبده، فإن قال: نعم فلى الكرامة

فقالا: هذا كلام عجيب قال: عندى أعجب منه لما أخرجنى من ظهر آدم مع اسم نبيه وقال: ألست بربكم؟ فقلت معهم: بلى هل كنتما حاضرين قالا: لا قال: فخلوا بينى وبينه، فقال أحدهما لصاحبه: هذا أبو يزيد عاش سكرانًا من المحبة ومات كذلك ووضع فى قبره كذلك ويبعث كذلك، وقال السرى السقطى: رأيت كأن القيامة قد قامت فرأيت الناس شاخصين بأبصارهم إلى رجل محمول وهو يتمايل بسكره على أجنحة الملائكة وهم يزفونه بالتسبيح وإذا بمناد يقول: يا أهل الموقف هذا ولينا معروف الكرخى سكر من حبنا فلا يفيق إلا بالنظر إلينا وقال علِّى بن الموفق: رأيت حظيرة القدس فى المنام ثم دخلت سرادقات العرش فرأيت رجلاً شاخصًا ببصره إلى اللّه تعالى فقلت: يا رضوان: من هذا؟ قال معروف الكرخى أخلص العبادة إلى اللّه تعالى فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة.

وقيل لبشر الحافى: بعد عودته فى المنام ما فعل اللّه بك قال أجلسنى على مائدة وقال: كل يا من منع نفسه من الشهوات، قيل: فإن الإمام أحمد قال على باب الجنة يشفع لمن يقول القرآن كلام اللّه غير مخلوق.

وقال فى شرح المهذب: عن كثير من الأصحاب تصح الصلاة خلف من يقول بخلق القرآن قال صاحب العدة وهو المذهب ومن قال بكفره فهو محمول على كفران النعمة واللّه أعلم، وقال يحيى ابن معاذ الرازى إذا نظر أهل الجنة إلى ربهم ذهبت عيونهم فى قلوبهم من لذة النظر ثمانمائة عام وفى الإحياء استغنى أهل مصر بالنظر إلى يوسف عليه السلام عن الطعام والشراب أربعة أشهر، قال فخر الدين الرازى فى تفسير سورة يوسف كان يوسف عليه السلام إذا سار فى المدينة لمع وجهه على الحيطان كنور الشمس.

حكاية: مر عيسى- عليه السلام- براهب فى صومعة فسأله عن حاله، فقال: مكثت سبعين عامًا أطلب من اللّه حاجة قال ما هى قال يسقينى من سر محبته زنة ذرة فدعى له عيسى ثم بعد أيام رأى عيسى الصومعة مدكدكة والأرض من تحتها تشققت نزل عيسى عليه السلام إلى شق فرأى الراهب شاخصًا ببصره فاتحًا فمه فسلم عليه فلم يرد عليه فهتف به هاتف أسقيناه من المحبة جزء من سبعين ألف جزء، فكيف لو زدناه وقال أبو يزيد إن للّه شرابًا فى الدنيا ادخره فى كنوز ربوبيته ليسقيه أولياء فى ميدان محبته على منابر كرامته، فإذا شربوا طربوا، فإذا طربوا طاشوا فإذا طاشوا عاشوا فإذا عاشوا طاروا وإذا طاروا وصلوا فإذا وصلوا اتصلوا فهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وكتب يحيى بن معاذ الرازى إلى أبى يزيد قد سئمت مما شربت من المحبة، فقال أبو يزيد: غيرك لو شرب بحار السماء والأرض ما روى قال:

شربت الحب كأسًا بعد كأس ... فلا نفد الشراب ولا رويت

ورأيت فى تفسير نجم الدين النسفى فى قوله تعالى: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) ﴾ [الإنسان: ٢١]، هو شراب ادخره اللّه تعالى فإذا شربوا طربوا فإذا طربوا هاموا فإذا هاموا طاشوا فإذا طاشوا طاروا فإذا طاروا طلبوا فإذا طلبوا وجدوا فإذا وجدوا نزلوا فإذا نزلوا قربوا فإذا قربوا كشفوا فإذا كشفوا شاهدوا، فإن قيل كيف يحب الرجل زوجته وولده وربه والقلب واحد، فيقال محبة الزوجة فى النفس وتسمى الشهوة ومحبة الولد فى الكبد وتسمى الشفقة ومحبة الرب فى القلب وقيل: خرج يوسف عليه السلام إلى صيد فرأى أعرابيًا من الشام فسأله عن يعقوب فقال: كثير الأحزان وقد انحنى ظهره وذهب بصره على فقد ولده يوسف، فوقع مغشيًا عليه من البكاء فقالوا: ما هذا البكاء؟ فقال: أخبرنى هذا الأعرابى أن يعقوب أشرف على الهلاك، فقالوا: وإذا هلك ماذا يكون؟ ثم قالوا: أله ذنب قال: نعم اتخذ محبوبًا مع اللّه تعالى.

حكاية: جاءت امرأة إلى الجنيد فقالت: زوجى يريد أن يتزوج على قال: إن لم يكن له أربع جاز قالت: لو جاز النظر إلى الأجانب لكشفت لك عن وجهى حتى تنظر إلى فتعرف أن من له مثلى لا ينبغى له أن يتزوج غيرى فوقع الجنيد مغشيًا عليه، فلما أفاق سئل عن ذلك قال: كان الحق سبحانه وتعالى يقول: لو جاز لأحد النظر إلى فى الدنيا لكشفت له الحجاب عن وجهى حتى ينظرنى فيعرف أن من له مثلى لا ينبغى أن يكون فى قلبه سواى، ورأيت فى قواعد ابن عبد السلام شعرًا:

ولو أن ليلى أبرزت حسن وجهها لهام بها اللـــــوام مثل [illegible]

ولكنها أخفت محاسن وجـــهها فضلوا جميعًا عن حضور [illegible]

وقال أهل الإشارة إبراهيم – عليه السلام – ادعى محبة اللّه تعالى ونظر إلى ولد بعين المحبة فلم يرض حبيبه بمحبة مشتركة، فقيل له: اذبح ولدك فلما أسلم قيل له: ليس المراد ذبح الولد إنما المراد أن ترد قلبك إلينا فلما رددته إلينا رددنا عليك ولدك، والذبيح إسماعيل على الصحيح حكاه القرطبى فى سورة مريم عن المعظم لكن صحح فى الصافات أنه إسحاق، وقيل لمريم: ألا تتزوجين؟ فقالت: لسانى مشغول بذكره وجوارحى بخدمته وقلبى بمحبته فرزقها اللّه عيسى من غير أب كما سيأتى مبسوطًا فى فضل الأمة، وقال وهب: قرأت فى بعض كتب اللّه تعالى: قال موسى – عليه السلام – لإبليس: لم لم تسجد لآدم؟ فقال: ما أردت أن أكون مثلك فإنى ادعيت محبته فما أردت السجود لغيره واخترت العقوبة على كذب دعواى، وأنت ادعيت محبته فقال لك انظر إلى الجبل فنظرته ولو غمضت عينيك لنظرت إليه، وقال سهل بن عبد اللّه: ما من ساعة إلا ويطلع اللّه على عباده فأى قلب وجد فيه غيره سلط عليه إبليس وقال الشبلى فى قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠]، غض أبصار الروس عن المحرمات وغض أبصار القلوب عن غير اللّه تعالى.

لطيفة: السلحفاة لا تحضن بيضها بل تنظر إليه فيؤثر نظرها فيه فيصير فرخًا فكيف إذا نظر الخالق إلى عبده المؤمن كما ورد فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة، قال النسفى أوحى اللَّه تعالى إلى موسى عليه السلام أنى خلقت فى جوف عبدى بيتًا وسميته قلبًا وجعلت أرضه المعرفة وسماءه الإيمان وشمسه الشوق وقمره المحبة وترابه الهمة ورعده الخوف وبرقه الرجاء وغمامه الفضل ومطره الرحمة وشجره الوفاء وثمره الحكمة ونهاره العراسة وهى الضياء وليله المعصية وهى الظلمة وله باب من العلم وباب من الحلم وباب من اليقين وباب من الغيرة، وله ركن من الأنس وركن من التوكل وركن من اليقين وركن من الصدق وعليه قفل من الفكر لا يطلع على ذلك البيت غيرى، وعن يحيى بن معاذ الرازى قلب المؤمن مضغة جوفانية حشوها جوهرة ربانية حولها روضة فردانية تحتها ساحة نورانية، وفى كتاب اللؤلؤيات عن النبى ﷺ: «ألا وإن للَّه آنية فى الأرض وهى القلوب فأحبها إلى اللَّه أصفاها وأصلبها وأرقها أصفاها من الذنوب وأصها فى الدين وأرقها على الإخوان» وقال داود عليه السلام: يا رب لكل ملك خزانة فما خزانتك قال: لى خزانة أعظم من العرش وأوسع من الكرسى وأطيب من الجنة وأنور من الشمس وهى قلب المؤمن، وقال الشيخ عبد القادر الكيلانى: أول ما يطلع فى قلب المؤمن نجم الحلم ثم قمر العلم ثم شمس المعرفة فبضوء نجم الحلم ينظر إلى الدنيا وبضوء قمر العلم ينظر إلى الآخرة وبضوء شمس المعرفة ينظر إلى المولى النفس المطمئنة نجم والقلب السليم قمر والسر الصافى شمس مقام النفس فى الباب ومقام القلب فى الحضرة ومقام السر قائم بين يدى اللَّه تعالى، يلقن القلب وهو يلقن النفس وهى تملى على اللسان واللسان يملى على الخلق.

فوائد: الأولى: أن اللَّه اشترى الأنفس دون القلوب لكثرة عيوبها فاشتراها ليصلحها ولأن القلب وقف على محبة اللَّه، والموقوف لا يصح بيعه وسيأتى زيادة فى باب الجهاد إن شاء اللَّه تعالى. قال القشيرى: ثمن النفس الجنة وثمن القلب المشاهدة.

الثانية: أعطى اللَّه تعالى مفتاح الجنة لرضوان ومفتاح جهنم لمالك ومفتاح الكعبة لبنى شيبة وفيهم نزلت إن اللَّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها لما قبض النبى ﷺ المفتاح فقال لعثمان بن طلحة هاك أمانة اللَّه خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ولا يعط مفتاح قلب المؤمن لأحد لأنه خزانة فلا يقدر أحد من الشياطين عليها كما لا يقدر أحد على خزانة أحد من ملوك الدنيا فذلك قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الثالثة: زين اللَّه السماء بالنجوم وحفظها من الشياطين كذلك قلب المؤمن زينه بالمعرفة وحفظه له، بل هو أحق من السماء بالحفظ وقيل فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح أى زينا قلوب الأولياء بالمعرفة وجعل فيها مصابيح الهداية وقلوب المحبين بالشوق وقلوب المتوكلين باليقين وقلوب العارفين بالخوف والرجاء.

الرابعة: لما قصد أبرهة خراب الكعبة أرسل اللّٰه طيراً أبابيل أى كثيرة ترميهم بحجارة من سجيل أى من طين مشوى مع كل طير حجر فى فمه وحجران فى رجليه ويمرق الحجر من الفارس وفرسه كذلك الشيطان إذا قصد فساد قلب المؤمن يرسل اللّٰه عليه حجارة اللعنة.

الخامسة: خلق اللّٰه اللسان واحداً والقلب واحداً دون غيرهما من الأعضاء إشارة إلى أنه لا يذكر بالواحد إلا الواحد ولا يكون فى الواحد إلا الواحد، وفيه حكمة أخرى القلب محل الاجتهاد والنية فلو كان له قلبان لحصل الاختلاف فى النية والاجتهاد فلو نوى بلسانه صلاة الظهر مثلاً وبقلبه صلاة العصر فالعبرة بما فى القلب وفى الأذكار للإمام النووى الأذكار المشروعة فى الصلاة وغيرها لا بد فيها من التلفظ بلسانه بحيث يسمع نفسه فلا يكفى الإتيان بها فى القلب ولا يحنث من حلف لا يأكل لحمًا بأكل القلب.

السادسة: قال القرطبى: قال جميل بن معمر الفهرى لى قلبان أعقل بهما أكثر من قلب محمد، فلما انهزم يوم بدر وإحدى نعليه فى رجله والأخرى فى يده فقيل له فى ذلك قال ما شعرت إلا أنهما فى رجلى فعرفوا أنه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده فكذبه اللّٰه تعالى بقوله: ما جعل اللّٰه لرجل من قلبين فى جوفه.

وفى تفسير الرازى: سورة آل عمران على الأكثرين لم تقاتل الملائكة إلا فى غزوة بدر، وفى غيرها يحضرون كالمدد للمسلمين.

فائدة: قال أبو بكر الكتانى وكان من أصحاب الجنيد مات سنة ثمان وعشر وثلثمائة: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت له ادع اللّٰه أن لا يميت قلبى قال: قل كل يوم أربعين مرة يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت أسألك أن تحيى قلبى اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وسلم فقلنا ثلاثة أيام فأحيى قلبى، قال النسفى: الشمس لها شروق وغروب ولولا ذلك لفسد العالم والقلب له شروق وهو الرجاء وله غروب وهو الخوف ولولا ذلك لفسد القلب، وقال أبو سعيد الخراز: رأيت إبليس فى المنام عريانًا فأردت ضربه بالعصا فقيل إنه لا يخاف من العصا بل يخاف من نور القلب.

فـائدة: قال جعفر الصادق: أكل الرمان ينور القلب وقال ابن عباس ما افتتحت رمانة قط إلا نظرت منها الجنة، وفى الحديث ما من حبة منها تقوم فى جوف رجل إلا نورت قلبه وأخرست عنه شيطان الوسوسة أربعين يومًا، وفى الحديث من أكل رمانة حتى يستكملها نور اللّٰه قلبه أربعين يومًا قال ابن طرخان: إنه جيد للمعدة ونافع للحلق والصدر والسعال وله خاصية عظيمة إذا أكله مع الخبز هكذا قاله فى الطب النبوى، وطعام حامضه ينفع المعدة ويقطع الإسهال ويزيل الصفراء والعطش ويقوى الأعضاء وماؤه مع دهن البنفسج إذا وضع على نار لينة يزيل الحكة من الجسد شربًا ودهنًا ورأيت فى نزهة النفوس والأفكار فى خواص الحيوان والنبات والأشجار وشراب الحلو يسكن لهيب المعدة وينفع من النزلات وصفته أوقية من ماء الرمان وأوقية من السكر يعقد على النار وشراب

حامضه ينفع من غلبة الصفراء أو كثرة القيء والغثيان وصفته ثلاث أواق من السكر ونصف أوقية من مائه، وفى الإحياء للغزالى أنفع ما دخل فى المعدة الرمان الحلو، وأضر ما دخلها الحامض، وقيل الحامض أنفع من كثيره كأنه يشير إلى ذم الأكل الكثير وسيأتى فى باب فضل الجوع.

لطيفة: قال الخواص: أصابتنى شهوة الرمان فخرجت فى طلبه فرأيت رجلاً فى البرية والزنابير نحوه قد آذته فقلت له لو كان لك حال مع اللَّه لدفع عنك ذلك، فقال وأنت لو كان لك حال مع اللَّه لدفع عنك شهوة الرمان.

فائدة: رأيت فى زاد المسافر وهو كتاب حسن فى الطب إذا سحق قشر الرمان ناعمًا وخلط بعصارة السداد وقطر فى الأذن المتألمة زال ألمها بإذن اللَّه تعالى.

مسألة: فضل قوم السمع على البصر من وجهين:

الأولى: أنه يدرك المسموعات من كل جهة والبصر لا يدرك المرئيات إلا من جهة واحدة وهى المقابلة ومن خصائص نبينا محمد ﷺ أنه كان يرى من ورائه كما يرى من أمامه ورأيت فى شرح البخارى للكفورى كان له ﷺ عينان بين كتفيه.

الثانية: لو حلف أن يأكل هذه الرمانة فأكلها إلا حبة واحدة حنث ولزمته الكفارة، وهى إما عتق رقبة مؤمنة إن شاء اللَّه أو كسوة عشرة مساكين أو إطعامهم من غالب قوت البلد كل واحدة ثلاث أواق وربع بالشامى من الحب السليم فلا يجزى الدقيق والخبز عند الشافعى، فإن عجز عن ذلك صام ثلاثة أيام ولو فى كل شهر يومًا ويجب تتابعها عند الإمام أحمد وعنده تجب الكفارة إذا حلف بالنبى ﷺ خاصة دون غيره من الأنبياء، ولو قال إن لم تأكلى هذه الرمانة فأنت طالق فأكلتها إلا حبة واحدة لم يقع الطلاق، كما لو حلف أنه لا يلبس هذا الثوب فانتزع منه خيطًا مثلاً لم يحنث بلبسه.

الثالثة: لو حلف أن لا يأكل فاكهة حنث بأكل الرمان عند الشافعى، ويصح السلم فيه بالوزن قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- يجتمع على الرمانة فى الجنة جمع فيأكل كل واحد منها لونًا غير الذى يأكل الآخر اللهم اجعلنا منهم فى عافية بلا محنة.

فائدة: قال على بن أبى طالب- رضى اللَّه عنه- : كل الرمان بلبه فإنه دماغ المعدة وفى نزهة النفوس والأفكار شحم الرمان فى عين صاحب الجدرى أمان لبصره والهوام تهرب من قشره كما تهرب من دخن خشبه، واللَّه أعلم.

قال الإمام النسفى وغيره: لما دخل موسى على شعيب عليهما الصلاة والسلام ليرعى غنمه قال له: ادخل البيت وخذ لك عصا فنادته عصاه فأخذها، فقال شعيب: خذ غيرها فاختصما فأرسل اللَّه إليهما ملكًا وأمره بغرزها وقال: من قلعها فهى له فلم يستطع شعيب مع شرفه قلعها مع حقارتها وقد

غرزها مخلوق فكيف يستطيع الشيطان مع دناءته أن يقلع الإيمان من قلب المؤمن والله تعالى هو الذى غرزه.

قال القرطبى وغيره: كانت عصا موسى من آس الجنة تخاطبه وتنور عليه ليلاً وتظله من الحر وتثمر له وإذا تعب ركبها وإذا أراد الشرب من بئر صارت ثقبتاها كالدلو وإذا نام تحرسه وطولها اثنا عشر ذراعًا، وفى تفسير الرازى وغيره عشرة أذرع على طول موسى وهو الصحيح واسمها عليق وكان له فيها ألف معجزة ونبينا محمد ﷺ سعت له الأشجار وسلمت عليه وصار بعضها خلف ظهره لما قضى حاجته ثم رجعت إلى أماكنها لما فرغ من حاجته بإشارته ﷺ وسيأتى فضل إمساك العصا فى باب الزهد إن شاء الله.

حكاية: لما ظهر فرعون على إيمان آسية- رضى الله عنها- أحضر الجزار وقال اصنع بها كما تصنع بالشاة إذا ذبحتها فقالت الملائكة: ربنا قد وقعت هذه المرأة فى بلاء فرعون، فقال: إنها قد اشتاقت إلى لقائنا فلما صارت إلى النزع قال الله تعالى: يا جبريل إنها تحرك شفتيها فاسمع ما تقول وهو أعلم فقال: يا رب إنها تطلب بيتًا فقال الملائكة: بلاؤها شديد وصبرها كثير وسؤالها حقير. فقال الله تعالى: فاسمع منها فى أى مكان هذا البيت وعند من تنزل فقال: يا رب إنها تقول رب ابن لى عندك بيتًا فى الجنة فقالت الملائكة: هذا سؤال عظيم وبيت شريف لأنه فى جوارك ومبنى فى دارك فقال الله تعالى: بنيته لها قبل سؤالها فكانوا يسلخونها وهى تنظر إليه وتقول الله، وقال البغوى: إن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة، وقالت: رب ابن لى عندك بيتًا فى الجنة فنظرت إليه وهو من درة بيضاء وانتزعت روحها فألقوا الصخرة على جسد لا روح فيه، وقال الحسن وغيره: رفعها الله إلى الجنة فهى تأكل وتشرب وقال نجم الدين: كانوا يعذبونها فى الشمس فإذا انصرفوا عنها أظلها الملائكة وقال الثعلبى فى كتاب العرائس إن موسى عليه السلام مر بها وهى فى العذاب فشكت إليه بأصبعها فدعا الله تعالى أن يخفف عنها فلم تجد ألمًا فلما نظرت إلى البيت ضحكت، فقال: انظروا الجنون الذى بها تضحك وهى فى العذاب، قال القرطبى فى قوله تعالى: «أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» وكانوا ألف وستمائة ألف لم ينج منهم إلا آسية وابن عم فرعون والذى كتم إيمانه واسمه حزقيل وقال خير، وقال رجل للأوزاعى: رأيت طيوراً بيضاء تخرج من البحر أفواجًا لا يحجبهم إلا الله تعالى فيأخذون ناحية المغرب ثم يرجعون فى الليل سودًا قال: تلك الطيور فى حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا فترجع إلى أوكارها وقد احترق ريشها فينبت لها فى الليل ريش أبيض ثم تغدو فيعرضون على النار وهكذا إلى يوم القيامة.

لطيفة: إنما قالت آسية فى الحكاية المقدمة عندك أولاً اختيارًا منها للجار قبل الدار، وقالت بيتًا وما قالت دارًا لأن الغالب لا يسكن البيت إلا واحد فأرادت الخلوة مع الحبيب فهذه السعيدة كان لها عند ربها قدم صدق، قال الليث القدم الصدق السابقة أى سبق لهم عند الله خير، وقيل القدم الصدق العمل الصالح فالمعنيان موجودان فى هذه المرأة لها من الله السابقة الحسنى فلذلك آمنت بالله ونبيه

موسى وهما إن شاء اللَّه موجودان فينا أيضًا لأنا آمنا باللَّه وبجميع رسله ولذلك إن شاء اللَّه دليل السابقة الحسنى لأنا لا نعجب من تخصيص اللَّه بعض عباده بالرسالة والنبوة كما عجب الكفار من نبوة محمد ﷺ ، قال فى تهذيب الأسماء واللغات فى ترجمة عمران بن الحصين قال النبى ﷺ لأبى الحصين: كم تعبد اليوم إلهًا؟ قال: سبعة، ستة فى الأرض وواحد فى السماء، قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك قال الذى فى السماء قال: يا أبا حصين ألا إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك فلما أسلم قال علمنى قال: قل: اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى.

حكاية: حلف بعضهم على زوجته أن لا تتصدق فتصدقت فى بعض الأيام على رجل فرآها زوجها فقال لها: كيف خالفت أمرى؟ قالت: فعلت شيئًا للَّه تعالى فأوقد تنوراً، وقال ادخلى فيه لأجل اللَّه فلبست حليها وحللها فسألها عن ذلك فقالت: إن المحب إذا زار حبيبه تزين له ثم ألقت نفسها فى التنور فأطبق عليها ثلاثة أيام ثم كشف عنها فرآها تتبسم فتعجب من ذلك فهتف به هاتف أن النار لا تحرق أحبابنا فتاب توبة حسنة، قال أبو يزيد البسطامى: من عرف اللَّه كان على النار عذابًا ومن جهله كانت النار عليه عذابًا ثم قال رضى اللَّه عنه لو رأتنى جهنم لخمدت.

إن أحببت دخول النار فأنت طالق فقالت أحببت دخولها ففى وقوع الطلاق وجهان أحدهما لا يقبل قولها لأن أحدًا لا يحب دخول النار فيقطع بكذبها والثانى يقبل فتطلق، لأنه لا يعرف إلا من جهتها حكاه العلائى فى قواعده.

أوحى اللَّه إلى داود عليه السلام بلغ أهل الأرض عنى أنى حبيب لمن أحبنى وجليس لمن جالسنى وأنيس لمن أنس بى ومصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى، فإنى خلقت طينة أحبائى من طينة إبراهيم وموسى ومحمد ﷺ ونورت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بحلالى وعن ابن مسعود- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «إن للَّه فى الأرض ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الواحد أبدل اللَّه مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل مكانه من الخمس وإذا مات من الخمسة أبدل مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل مكانه من الثلثمائة وإذا مات من الثلثمائة أبدل اللَّه مكانه من العامة» قال اليافعى رحمه اللَّه عن بعضهم: لم يذكر النبى ﷺ قلبه لأن اللَّه تعالى لم يخلق أشرف من قلبه وهو بالنسبة إلى قلوب الأنبياء كالشمس عند الكواكب.

لما أخرج أهل الكهف وكانوا سبعة شبانا بعد عيسى عليه السلام تبعهم كلبهم أصفر اللون فطردوه مراراً فلم يرجع، ثم قال: قال لهم: لا تخافوا منى فإنى أحب أحباب اللَّه وقد عرفت اللَّه قبلكم فحملوه على أعناقهم.

قال النسفي: ويدخل معهم الجنة وكذلك ناقة صالح وعجل إبراهيم وسيأتي إن شاء اللَّه تعالى في باب الكرم، وكبش إسماعيل وهو الذي قربه هابيل وبقرة بني إسرائيل وسيأتي ذكرها في برالوالدين وحوت يونس وسيأتي في باب الأمانة ونملة سليمان وستأتي في باب الزهد وهدهد بلقيس وسيأتي في الكرم وناقة محمد ﷺ وستأتي في مناقب فاطمة- رضي اللَّه عنها- وحمار العزير عليه السلام وزاد غيره وذئب يعقوب أيضًا وسيأتي في ذكر الغيبة والنميمة.

قال مؤلفه- رحمه اللَّه تعالى-: ويدل عليه كلب أهل الكهف لما صحبهم صار ذكره في القرآن إلى يوم القيامة ويمر معهم على الصراط فإذا صار على باب الجنة منعه رضوان فتخرج النداء دعه يدخل معهم ويجعل اللَّه له روضة في الجنة طولها خمسمائة عام وقصور أهل الجنة تشرف على الروضة فحيث ما التفت الكلب رآهم، قال القشيري في تفسيره لما صحبهم لم تضرهم نجاسته ولا خساسة قيمته فكلب بسط ذراعيه بالوصيد أي باب الأولياء فصار يقال له يوم القيامة: وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فالمؤمن من يرفع يديه إلى ربه خمسين مرة مثلاً أتراه يردهما خائبتين، وقال في صفة أهل الكهف: يقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الآية وقال في هذه الأمة مايكون من نحو ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم، قال علي- رضي اللَّه عنه- : عند أهل الكتاب أن أصحاب الكهف لبثوا ثلثمائة سنة شمسية واللَّه تعالى ذكر ثلثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة ثلاث سنين فلذلك قال وازدادوا تسعًا، وسيأتي إن شاء اللَّه تعالى زيادات حسنة في باب فضل أبي بكر وعمر رضي اللَّه عنهما.

فائدة: جاء في الحديث عن النبي ﷺ من أراد الجلوس مع اللَّه فليجلس مع أهل التصوف، وقال رجل للإمام أحمد بن حنبل هؤلاء الصوفية جلسوا في المسجد بلا علم فقال العلم أجلسهم في المسجد إن أحدهم يرضى بكسرة وما أحسن ما يرضى من الدنيا بكسرة فقال إنهم يرقصون ويتواجدون قال من فرحهم باللَّه تعالى.

حكاية: قال إبراهيم بن أدهم- رضي اللَّه عنه- : رأيت في المنام كأن ملكًا نزل من السماء فسألته عن حاله، فقال: نزلت أكتب المحبين مثل ثابت البناني ومالك بن دينار وذكر جماعة فقلت هل أنا منهم قال: لا فقلت: إذا كتبتهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين فقال الملك قد أمرني ربي في هذه الساعة أن أكتبك في أولهم.

قال مؤلفه: ورأيت نظيره عن مالك بن دينار أنه رأى رجلين يكتبان في اليقظة فسألهما فقالا: نكتب أسماء المحبين فقال: باللَّه هل أنا منهم؟ فقالا: لا، فوقع مغشيًا عليه ثم رأى في منامه قائلاً يقول: أنت منهم ومعهم المرء مع من أحب وأوحى اللَّه إلى موسى هل عملت لي عملاً قال: صليت وصمت وتصدقت وسبحت وقرأت فقال: الصلاة لك نور والصوم لك جنة بضم الجيم والصدقة لك ظل والتسبيح لك أشجار والقراءة لك جواز فأين الذي عملته لأجلي قال دلني عليه قال هل واليت وليًا أو عاديت لي عدواً فعلم موسى أن أفضل الأفضال الحب في اللَّه والبغض في اللَّه.

حكـاية: نقل الإمام الرازى عن جماعة من المفسرين: أن ثوبان- رضى اللّه عنه- مولى رسول اللّه ﷺ كان شديد الحب للنبى ﷺ قليل الصبر عنه فجاء يومًا قد تغير لونه ونحل جسمه فسأله فقال: يا نبى اللّه ما بى من وجع ولكنى ذكرت الآخرة وقد مضى يوم لم أرك فيه فاشتقت إليك فكيف يكون حالى فى الآخرة فإن دخلت الجنة أكون مع العبيد وأنت مع النبيين فلا أراك أبدًا وأنا لا أصبر عنك فأنزل اللّه تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [النساء: ٦٩]، قال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات ثوبان بن بُجدد بموحدة مضمومة ثم جيم ساكنة ثم دال مهملة مكررة الأولى مضمومة اشتراه النبى ﷺ ثم أعتقه وروى عن النبى ﷺ مائة وسبعة وعشرين حديثًا.

مسـألة: أم أمه لا يرث منها شيئًا لأنه من ذوى الأرحام وهى ترث منه السدس وأما أبوه فيرثها إن لم يكن لها ابن ولا أب فإن كان لها بنت فلها النصف والباقى له، فإن كان لها بنتان فلهما الثلثان والباقى له، فإن مات فهو عن أمه وأم أبيه فيشتركان فى السدس.

قـال مـؤلفـه: تحير بعضهم فى مسألة سئل عنها وهى ثلاث إخوة متفرقين فكان من جوابه أن قال: لا يقسم المال حتى يجتمع الإخوة فقيل إنهم فى الحضرة فقيل كيف يكونون فى الحضرة وهم متفرقون؟ فالجواب عن هذه المسألة أن الأخ من الأم له السدس والباقى للأخ من الأبوين ولا شىء للأخ من الأب بخلاف الأخوات المتفرقات فإن للأخت من الأبوين النصف وللأخت من الأم السدس وللأخت من الأب السدس أيضًا واللّه أعلم، فإن اجتمع الجميع بأن مات عن أخ وأخت لأبوين وأخ وأخت لأب وأخ وأخت لأم أصلها من ثلاث وتصبح من ثمانية عشر لولدى الأم ستة بينهما بالسوية يبقى اثنا عشر لأولاد الأبوين، للأخ ثمانية ولأخته أربعة أولاد الأب لاشىء لهم.

حـكايـة: إذا علم المؤمن بقلبه ما يجب له وما يستحيل عليه فكأنه وحده وهذا النفى والإثبات مجموع فى كلمة التوحيد أولها نفى وآخرها إثبات والاسم الأعظم فى آخر الكلمة إشارة إلى أنه لا شىء بعده.

فائدة: قال النسفى- رحمه اللّه-: جاء فى الخبر إذا أرادت المرأة الولادة أرسل اللّه إليها ملكين عن يمينها وشمالها فإذا أراد صاحب اليمين إخراجه زاغ إلى جهة الشمال، وإذا أراد صاحب الشمال إخراجه زاغ إلى جهة اليمين فتتوجع المرأة فيخاف الملكان فيقول الملكان: ربنا عجزنا عن إخراجه فيتجلى اللّه تعالى فيقول: عبدى من أنا فيقول أنت اللّه الذى لا إله إلا أنت ويسجد فيخرج فى سجوده على رأسه.

فـــائدة: إذا شربت معوقة الولادة أربعة مثاقيل من قشر خيار الشنبر اليابس خرج الولد سريعًا وينبغى للحامل إذا قربت ولادتها أن تدخل الحمام كل يوم، قال الرازى: ومما جربته مرارًا فوجدته

نافعًا سقى المعوقة وزن درهمين زعفرانًا فإنها تلد سريعًا بإذن اللَّه، ثم شم الزعفران ينفع من الشقيقة ومن وجع الظهر شربا وإذا وضع فى الطعام أو الشراب حسن اللون أو فى بيت لا يدخله سام أو برص أو فى ثياب الصوف دفع عنها العتة، قال فى الحاوى: إنه يصلح البلغم ويقوى القلب ويهيج الباء ويزيل النسيان ويفرح النفس وينشط.

لطيفة: قال رجل لابن سيرين: رأيت فى المنام ديكًا يقول اللَّه اللَّه اللَّه فقال: بقى من أجلك ثلاثة أيام فكان كما قال نسأل اللَّه تعالى أن يختم أعمالنا بالتوحيد فى عافية.

باب: فى ذكر الموت والأمل وفضل الصبر والرضا والأدب

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)﴾ [الزمر: ٣٠]، بدأ به ﷺ تسلية للنفوس وقال ﷺ: «**الموت تحفة المؤمنين**» وتقدم عن بعض العارفين الدنيا بلا موت لا تساوى دانقًا وقالت عائشة: يا رسول اللَّه هل يحشر مع الشهداء أحد قال: نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة، وفى حديث آخر يا على من قال كل يوم إحدى وعشرين مرة: اللهم بارك فى الموت وفيما بعد الموت لم يحاسبه اللَّه بما أنعم عليه من الدنيا وفى حديث آخر مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه فإذا خرج بكى فإذا رأى الضوء لم يحب أن يرجع إلى الدنيا، وقالت عائشة- رضى اللَّه عنها- : قال النبى ﷺ: «**إذا عاين المؤمن الملائكة، قالوا: نرجعك إلى الدنيا فيقول دار الهموم والأحزان بل قدومًا إلى اللَّه عز وجل**».

فائدة: يكره تمنى الموت لمن أمن على دينه، قال الرازى فى قوله عز وجل: يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى قدم الفعل إخراج الحى لأنه أشرف من الميت فوجب الاعتناء بإخراج الحى من الميت أكثر من إخراج الميت من الحى، فلهذا قدم الأول قبل الحى المؤمن يخرج من الكافر وبالعكس، وقيل: النبات من الحب وبالعكس، وقيل البيضة من الدجاجة وبالعكس ورأيت فى الشفا أن رجلاً أتى النبى ﷺ فذكر أنه طرح بنتًا له فى وادى كذا فانطلق معه فناداها يا فلانة فقالت لبيك يا رسول اللَّه قال إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أدلك عليهما فقالت: لا حاجة لى بهما وجدت اللَّه خيرًا منهما، قال كعب الأحبار- رضى اللَّه عنه- من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وفى الحديث أن اللَّه تعالى إذا رضى عن عبده قال لملك الموت اذهب إلى فلان فأتى بروحه لأريحه من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب، فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة جديدة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لقدوم روحه ومعهم الريحان، فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه وصاح فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول ألا ترون إلى ما أعطى هذا العبد من الكرامة، أين كنتم عنه قالوا قد جهدنا به فكان معصومًا قال العلائى فى تفسيره رأيت فى بعض الكتب أن ملك الموت مكتوب على جبهته لا إله إلا اللَّه فإذا رآها المؤمن تذكر الشهادة.

موعظة: قال القرطبى :فى تذكرته عن بعضهم من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة النفس والنشاط فى العبادة، ومن نسى ذكره عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة، وقال ﷺ: لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا.

حكاية: مر عيسى – عليه السلام– وراع يرعى إبلاً فوجد بعيرًا سمينًا يفرح بنفسه ويعض واحدًا بعد واحد فأخذه عيسى بأذنه وقال له: إنك ميت ثم مر بعد أيام على ذلك الرجل وهو يرعى إبله فوجد البعير قد هزل واعتزل وحده وترك الأكل والشرب، فسأل الراعى عن ذلك فقال: ياروح اللَّه لا أعلم إلا أن رجلاً مر به كلمه فى أذنه فأصابه ما ترى، فكان عيسى إذا ذكر الموت قطر جلده دمًا وكان سفيان الثورى إذا ذكر الموت لا ينتفع به أيامًا، وإذا سئل عن شيء قال: لا أدرى. قال النووى: وسفيان الثورى من تابع التابعين، وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ ما رأيت فيهم أفضل من سفيان الثورى فى العلم والورع وضيق العيش.

فائدتان: الأولى: عن النبى ﷺ قال: «إن للموقف ألف هول أدناها الموت وإن للموت تسعة وتسعين جذبة لألف ضربة بالسيف أهون من جذبه منها، فمن أراد أن يؤمنه اللَّه تعالى من تلك الأهوال فعليه بعشر كلمات خلف كل صلاة وهى اللهم إنى أعددت لكل هول لا إله إلا اللَّه لكل هم وغم ما شاء اللَّه ولكل نعمة الحمد للَّه ولكل رخاء وشدة الشكر للَّه ولكل أعجوبة سبحان اللَّه ولكل ذنب أستغفر اللَّه ولكل مصيبة إنا للَّه وإنا إليه راجعون، ولكل ضيق حسبى اللَّه ولكل قضاء قد توكلت على اللَّه ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم».

الثانية: قال فى الحقائق: اعلم أن السماع ثلاثة أقسام.

قسم: يجذب الجسد وهو سماع الشيطان.

وقسم: كالمزمار ورجح الثورى تحريمه من القصب وجوزه غيره، وقال فى نزهة النفوس والأفكار: إن من منافع القصب أن عتيقه إذا أحرق واكتحل به صاحب البياض الذى فى العين قلعه أو اكتحل بالندى الذى على ورقة الأخضر فكذلك إذا أحرق أصله وخلط بمثله من الحناء وخضب به الشعر قواه وأعانه على إنباته وإذا دق ورقه الأخضر ووضع على الحمرة والأورام الحارة نفعها بإذن اللَّه تعالى، وأما الدف فهو مباح مثله طبل الصمادية ويكره فى المسجد ويحرمان عند قراءة القرآن ويحرم ضرب الكف على الكف متواليًا للرجال وأما سماع الصوفية فلا إنكار فيه إذا صحت النية وسلمت العين من الخيانة.

فإن قيل: يتواجد المتواجد عند سماع الشعر دون سماع القرآن حتى انفتح لبعض المتفقهة باب الإنكار بهذا.

فالجواب: أن القرآن: كلام ثقيل لا يليق مع وجوده إلا السكون والإنصات ولأنه يتكرر فى الأسماع ولأن الشعر كلام البشر فبينهما مناسبة، وأما كلام اللّه فلا مناسبة بينه وبين البشر قال البغوى فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ⟨٥⟩﴾ [المزمل: ٥] قال الحسن بن الفضل: قولاً خفيفًا على اللسان ثقيلاً فى الميزان.

وقسم: يجذب الروح وهو سماع الخطاب من الغيب وذلك أن عزرائيل عليه السلام ينزل على المؤمن فيجذب الروح من الجسد فلو جذبها بألف سلسلة ما خرجت فيقول اللّه دعها فإنها لا تخرج إلا بسماع فيناديها يا أيتها النفس المطمئنة فتخرج طائرة من حلاوة الخطاب فلا تزال طائرة إلى يوم القيامة فيقال لها ارجعى إلى ربك أى جسدك فتفرح بالجسد ويفرح الجسد بها فتقول: أنا ما قر لى قرار ويقول الجسد أنا أكلنى الدود والتراب فيناديها مناد ليس بعد هذا الاجتماع فراق، ويأتى إليه ملك فيقول أبشر كلما اندرست عظامك محيت آثامك، ويؤيده قول النبى ﷺ الموت كفارة لكل مسلم.

حكاية: ذكر النسفى فى زهر الرياض: إذا دنت منية العبد نزل عليه أربعة من الملائكة فيقول الأول: السلام عليك يا عبد اللّه قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك خطوة تخطوها ثم يقول الثانى: السلام عليك يا عبد اللّه قلبت أنهار الدنيا فلم أجد لك شربة ثم يقول الثالث: السلام عليك يا عبد اللّه قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك لقمة فيها ثم الرابع: السلام عليك يا عبد اللّه قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد لك نفسًا تتنفس به.

مسألة: قال القرطبى رحمه اللّه فى التذكرة: اختلف الناس فى الروح اختلافًا كثيرًا فمذهب أهل السنة أنه جسم لطيف وذكر قبل هذا بيسير أن الروح بعينين ويدين، ثم ذكر بعد هذا أن الروح تكون تارة فى الأرض على أفنية القبور وتارة فى السماء لا فى الجنة قال عمرو بن دينار: ما من ميت يموت إلا وروحه فى يد ملك تنظر إلى جسدها كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به فيجلس فى قبره ويقال له: اسمع ثناء الناس عليك ذكره الحافظ أبو نعيم، وقيل: إن الأرواح تزور قبورها كل جمعة على الدوام فلذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويومها قال ﷺ: «حسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون فى قبورهم»، ثم قال القرطبى: قال أهل السنة: إن الروح ترفعها الملائكة إلى اللّه تعالى فإن كانت سعيدة قال: سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها قدر ما يغسل فإذا غسل وكفن صارت بين جسده وكفنه، فإذا حمل على النعش سمع كلام من تكلم بخير أو شر.

قال فى شرح المهذب: قال جماعة بكراهة الكلام خلف الجنازة حتى قول القائل: أستغفر اللّه ومن الجماعة الحسن البصرى وابن جبير وإسحاق بن راهويه، والصواب أن الاشتغال بالذكر خلف الجنازة مستحب كما قاله فى الأذكار ويكون سرًا واللّه أعلم، فإذا دخل قبره دخلت الروح فى

الجسد لأجل السؤال والنعيم والعذاب عليهما ويلحقهما ثواب الصدقة والدعاء، وقال النبى ﷺ مثل المؤمن فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء ينتظر دعوة من والد أو ولد أو أخ أو صديق ليدخل على قبور الأموات دعاء الأحياء من أهل الأنوار أمثال الجبال، والدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء من أهل الدنيا فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك أو قريبك فيفرح بها كما يفرح الحى بالهدايا.

فوائد: الأولى: عن أنس عن النبى ﷺ قال: «ما من عبد يقوم على قبر مؤمن فيدعو بهذا الدعاء إلا غفر اللَّه لذلك الميت: الحمد للَّه الذى لا يبقى إلا وجهه ولا يدوم إلا ملكه وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له إله واحد صمد وتر لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأشهد أن محمدًا عبده ورسورله» جزى اللَّه محمدًا النبى الأمى ما هو أهله.

الثانية: عنه أيضًا عن النبى ﷺ قال: **«إذا قرأ المؤمن آية الكرسى وجعل ثوابها لأهل القبور أدخل اللَّه فى كل قبر من أهل المشرق والمغرب أربعين نوراً ووسع اللَّه عليهم مضاجعهم، وأعطى اللَّه للقارئ ثواب ستين نبيًا ورفع له بكل حرف درجة وكتب له بكل ميت عشر حسنات»**.

الثالثة: رأيت فى كتاب المختار ومطالع الأنوار عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يأتى على الميت أشد من الليلة الأولى فارحموا موتاكم بالصدقة فمن لم يجد فليصل ركعتين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وآية الكرسى وألهاكم التكاثر وقل هو اللَّه أحد إحدى عشرة مرة ويقول: اللهم إنى صليت هذه الصلاة وعلم ما أريد اللهم ابعث ثوابها إلى قبر فلان بن فلان، فيبعث اللَّه من ساعته إلى قبره ملك مع كل ملك نور وهدية يؤنسونه فى قبره إلى أن ينفخ فى الصور ويعطى اللَّه المصلى بعدد ما طلعت عليه الشمس حسنات ويرفع اللَّه له أربعين ألف درجة وأربعين ألف حجة وعمرة ويبنى اللَّه له ألف مدينة فى الجنة ويعطى ثواب ألف شهيد ويكسى ألف حلة». قال مؤلف الكتاب المذكور: وهذه فائدة عظيمة ينبغى لكل مسلم أن يصليها كل ليلة لأموات المسلمين.

الرابعة: من دخل المقابر وقال: اللهم رب هذه الأرواح الفانية والأجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليهم رحمة منك وسلامًا منى، كتب له من الحسنات بعدد الأموات. حكاه القرطبى عن الحسن البصرى، وفى ربيع الأبرار بعدد من مات من بنى آدم إلى يوم القيامة وأن النبى ﷺ كان يقولها إذا دخل الجبانة ونظيره عن أنس- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف اللَّه عنهم وكان له بعدد من مات فيها حسنات» وعن النبى ﷺ «أيما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض روحه ملك الموت حتى يجيئه رضوان خازن الجنان بشربة من شراب الجنة فيشربها على فراشه فتقبض روحه وهو ريان وأيما مسلم قرئت عنده سورة يس إذا نزل به ملك الموت نزل بكل حرف عشرة آلاف ملك يقومون بين يديه صفوفًا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله وجنازته ودفنه» ذكره ابن العماد فى الذريعة.

الخامسة: زيارة القبور مستحبة للرجال لأنها أنفع للقلوب وتزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة وقد أمر النبى ﷺ بها، ومكروهة للنساء وقيل تحرم، لأن النبى ﷺ لعن زائرات القبور وقيل: تباح إذا أمنت الفتنة: وجزم به الغزالى. قال فى شرح المهذب: والذى قطع به الجمهور أن زيارة القبور مكروهة للنساء كراهة تنزيه ثم حكى عن بعضهم تفصيلاً وهو إن كانت زيارتهن لتجديد الحزن والبكاء والنواح فحرام وإن كانت للاعتبار فمكروهة إلا أن تكون نحو عجوز لا تشتهى فلا يكره، كحضورها الجماعة فى المسجد ولا كراهة فى زيارتهن قبور العلماء والصالحين، ويقول الزائر مستقبلاً للقبر: السلام عليكم دار قوم مؤمنين.

السادسة: قال أنس- رضى اللَّه عنه-: عن النبى ﷺ: «من رأى جنازة فقال: اللَّه أكبر صدق اللَّه هذا ما وعد اللَّه ورسوله اللهم زدنا إيمانًا وتسليمًا كتب له عشرون حسنة من يوم يقولها إلى يوم القيامة» ، وقيل للإمام مالك رحمه اللَّه تعالى بعد موته: ما فعل اللَّه بك قال: غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان- رضى اللَّه عنه- عند رؤية الجنازة لا إله إلا اللَّه سبحان الحى الذى لا يموت، وقال الروياني: يستحب أن يقول عند رؤية الجنازة: لا إله إلا اللَّه الذى لا يموت وقال النبى ﷺ: «إذا مات رجل من أهل الجنة استحى اللَّه أن يعذب من تبع جنازته ومن صلى عليه» وروى البزار عنه عن النبى ﷺ: «أول ما يجازى به العبد بعد موته أن يغفر اللَّه لجميع من تبع جنازته» وسيأتى أن مشيع الجنازة يحشر فى زمرة الأنبياء. ولا دناءة فى حمل الجنازة ولو كان الميت امرأة وينبغى أن يكون على جنازة المرأة ما يسترها عن أعين الناس كتابوت وسماه الشيخ نصر المقدسى مكبة والماوردى قبة وصاحب البيان خيمة، وأول ما فعل ذلك بفاطمة بنت النبى ﷺ وقال ابن حبان: أول ما فعل ذلك بزينب بنت جحش أم المؤمنين- رضى اللَّه عنها- وقيل بزينب بنت النبى ﷺ قال فى شرح المهذب: وهذا باطل غير معروف وقال عبد اللَّه المزنى صاحب الشافعى: إذا غمضت الميت فقل: بسم اللَّه وعلى ملة رسول اللَّه ﷺ، وإذا حملته فقل: بسم اللَّه ثم سبح ما دمت حامله.

مسألة: لو حفر قبرًا لنفسه لم يكن أحق به من غيره لأنه لا يدرى أين يموت والأولى أن لا يزاحم عليه، فإن مات عقب الحفر فهو أحق به وعن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: **«إن ملك الموت لينظر فى وجوه العباد كل يوم سبعين مرة»**.

حكاية: كان عثمان بن عفان- رضى اللَّه عنه- إذا ذكر القبر بكى دون الناس فسُئلَ عن ذلك، فقال: سمعت النبى ﷺ يقول: **«القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»** وقالت عائشة- رضى اللَّه عنها- يا رسول اللَّه حدثنى عن صوت منكر ونكير وضغطة القبر، فقال: يا عائشة إن صوت منكر ونكير فى سماع المؤمن كالإثمد فى العين وضغطة القبر كالأم الشفوقة يشكو إليها ابنها الصداع فتقدم إليه فتغمز رأسه رفقًا.

حكاية: لما ماتت صفية بنت عبد المطلب **عمة النبي ﷺ** وقف على قبرها وقال: قولي هذا النبي محمد ابن أخي فقيل: ما هذا يا رسول اللّه؟ قال: إن منكرًا ونكيرًا سألاها عن دينها فتحيرت فقلت لها قولي النبي محمد ابن أخي فقالوا: يا رسو ل اللّه أنت لقنت عمتك فمن يلقنا فأنزل اللّه تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾[إبراهيم: ٢٧]، قال الرازي: القول الثابت أن يقول: اللّه ربي ومحمد نبيٍّ وديني الإسلام لأن هذه الآية نزلت في سؤال الملكين، وقيل هذا جواب قول المؤمن: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ⟨٦⟩ ﴾[الفاتحة: ٦]، وعن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد يقول ثلاث مرات عند قبر ميته اللهم بحق محمد وآل محمد لا تعذب هذا الميت إلا رفع اللّه عنه العذاب إلى يوم ينفخ في الصور**». عن أبي أمامة- رضي اللّه عنه- عن النبي ﷺ: «**إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يستوى قاعدًا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يقول: أرشدنا رحمك اللّه تعالى ولكن لا تسمعون فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه وأنك رضيت باللّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا وبالقرآن إمامًا، فإن منكرًا ونكيرًا يتأخر كل واحد منهما ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون اللّه حجيجهما دونه فقال رجل: يا رسول اللّه، فإن لم يعرف أمه قال: بنسبه إلى أمه حواء**» قال القاضي حسين والمتولي والرافعي: يستحب هذا التلقين. قال تقي الدين بن الصلاح: هذا التلقين هو الذي نختاره ونعمل به والمختار أن يكون قبل أن يهال عليه التراب، وقال في الروضة: يقول يا عبد اللّه ابن أمة اللّه، وقال في شرح المهذب يا فلان اذكر ما خرجت عليه إلخ. ولا يلقن طفل ولا مجنون.

قال مؤلفه رحمه الله تعالى قد اعتاد كثير ممن يلقن الموتى قراءة قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾[آل عمران: ١٨٥]، وعندي قراءة قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ⟨٣٠⟩ ﴾[فصلت: ٣٠].

مسألة: قال الإمام الشافعي وأحمد تستحب الصلاة على الميت في المسجد وقال الإمامان بكراهتها والأفضل أن تكون الصفوف ثلاثة فإن لم يحضر إلا النساء فصلاتهن فرادى واحدة بعد واحدة أفضل، وبه قال مالك في شرح المهذب وفيه نظر، وينبغي أن تسن لهن الجماعة كجماعتهن في غيرها وبه قال الإمام أحمد وسفيان الثوري وغيرهما؛ وتكره الصلاة على الجنازة في المقبرة وأما في القبر فالصلاة عليه جائزة وإن كان قد صلَّى عليه وقال أبو حنيفة: يصلى على القبر إلى ثلاثة أيام، وقال الإمام: إلى شهر، واللّه أعلم.

* *

فصل: في الأمل

قال اللّه تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٣]، وقال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، وعن النبي ﷺ: **«أيكم يحب أن يدخل الجنة** قالوا: كلنا يا رسول اللّه قال: **قصروا الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من اللّه حق الحياء،** قالوا: إنا نستحي من اللّه يا نبي اللّه قال: **ليس ذلك، ولكن من استحى من اللّه حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحى من اللّه حق الحياء»** وكان من دعائه ﷺ **«اللهم إني أعوذ بك من ذنب يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل»** وقال علي- رضي اللّه عنه- : ألا وإن الأمل ينسي الآخرة، وقال داود الطائي: من طال أمله ساء عمله.

حكاية: مر عيسى ابن مريم -عليه السلام -على جبل فوجد شيخًا يعبد اللّه في الحر والبرد فقال: لو اتخذت بيتًا يقيك الحر والبرد فقال: يا روح اللّه أخبرني الأنبياء قبلك أني لا أعيش أكثر من سبعمائة عام فلم يختر عقلي أن اشتغل بالعمارة عن طاعة ربي، فقال عيسى- عليه السلام- : يأتي في أخر الزمان أمة لا تجاوز أعمارهم مائة عام يبنون القصور ذكره في روض الأفكار.

فصل: في الصبر

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر: ١٠]، وقال النبي ﷺ: **«يقول اللّه تعالى إني إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانًا».**

فوائد: **الأولى:** عن ابن عباس- رضي اللّه عنهما- عن النبي ﷺ **من صبر على أداء فرائض اللّه فله ثلثمائة درجة ومن صبر على محارم اللّه فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة.** وقال بعض العارفين الصبر على ثلاث مقامات:

الأولى: ترك الشكوى ويسمى الصبر الجميل وهي درجة التائبين.

الثانية: الرضا بالمقدور وهي درجة الزاهدين.

الثالثة: المحبة بما يصنع به المولى وهي درجة الصديقين، وقال عبد اللّه بن سلام- رضي اللّه عنه- إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة فتقول: الملائكة إلى أين؟ قالوا: إلى الجنة قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم قالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن أهل الصبر قالوا: كيف صبرتم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة اللّه وصبرنا أنفسنا عن معاصي اللّه تعالى وصبرناها على البلاء، ونحن في الدنيا، فتقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فنعم

عقبى الدار، وقيل إن ملكًا قال: يا إلهى ما جزاء الصابرين قال جنة وحريرًا، قال: يا إلهى كيف يكون جلوسهم قال متكئين فيها على الأرائك قال: يا إلهى ما ثوابهم على الحر والبرد قال: لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا قال فإن صبروا عن لذات الدنيا قال: ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً قال يا إلهى من يخدمهم فى الجنة قال يطوف عليهم ولدان مخلدون، قال: ما صفتهم قال: إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا قال: يا إلهى ما صفة نعيم الجنة قال: لا يوصف وإذا رأيت ثم رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا، قال يا إلهى ما صفة الملك الكبير قال لكل واحد قصر فى الجنة مسيرة الشمس أربعين يومًا من درة بيضاء له أربعون ألف باب يدخل عليه كل يوم من كل باب سبعون ألف ملك يسلمون عليه.

الثانية: قال داود- عليه السلام-: يا رب ما جزاؤه الحزين الذى يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال: جزاؤه عندى أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبدًا، وعن أبى بكر الصديق- رضى اللّٰه عنه- من سود الباب والثياب فعليه من الوزر بعدد أنفاسه فى عمره، وعن عمر- رضى اللّٰه عنه- عليه من الوزر بعدد قطر النيل وعن عثمان بن عفان- رضى اللّٰه عنه- : عليه من الوزر بعدد أيام الدنيا ولياليها وعن على- رضى اللّٰه عنه- : عليه من الوزر بعدد أنفاس الملائكة ورأيت فى المورد العذب للبونى رحمه اللّٰه تعالى إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل اللّٰه تعالى من له على اللّٰه دين فليقم يأخذ حقه من اللّٰه تعالى فيقال ومن له دين على اللّٰه، فيقول من ابتلاه بما يحزن قلبه ويبكى عينه فيقوم خلق فيقال ليست الدعوى بلا بينة فمن كان فى صحيفة الصبر والرضا فهو ممن له على اللّٰه دين فتأخذ الملائكة بيد الصابرين إلى باب الجنة، فيقول رضوان سمعت قول اللّٰه: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ⦗١٠⦘﴾ [الزمر: ١٠]، فيفتح لهم فيدخلون الجنة ويجلسون على شراريفها خمسمائة عام يتفرجون على حساب الناس حتى يحكم اللّٰه بينهم وقال ﷺ: «**المصيبة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه**» وقال ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى اللّٰه وما عليه خطيئة**» وقال: «**ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر اللّٰه من خطاياه**» رواه البخارى، النصب والتعب والوصب المرض قال بعضهم: فلا يجمع اللّٰه على عبده عذابين فى الدنيا والآخرة لقول النبى ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**» وقال ابن العماد: وسبب هذا الحديث أن رجلاً ضربه بالسيف فأخطأه فقال: كنت مازحًا ثم ضرب النبى ﷺ فأخطأه فقال: كنت مازحًا فقتله النبى ﷺ. ثم قال: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**»، وقال موسى عليه السلام يا إلهى أى منزل الجنة أحب إليك، قال: حظيرة القدس قال: ومن يسكنها. قال: أصحاب المصائب، قال: يا رب من هم قال: الذين إذا ابتليتهم صبروا وإذا أنعمت عليهم شكروا وإذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا للّٰه وإنا إليه راجعون.

الثالثة: عن النبى ﷺ قال إن المسلم إذا خرج من بيته يعود أخاه المسلم خاض فى الرحمة إلى

حقويه، فإذا جلس عند المريض غمرته الرحمة وعمت المريض، وكان المريض فى ظل عرشه والعائد فى ظل قدسه وقال ﷺ: «**ما من مؤمن يعود مسلمًا إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى، وإن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له قصر فى الجنة**» رواه الترمذى. وفى حديث آخر من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبًا يبعد من جهنم سبعين خريفًا رواه أبو داود وقال ﷺ: «**من عاد مريضًا لم يزل يخوض فى الرحمة حتى يجلس فإذا جلس غمسه فيها**» رواه أحمد.

الرحمة: الخوف هو السنة، وذكر الخريف لأنه لا يأتى يوم إلا والذى بعده شر منه فكذلك جهنم، لا يمضى يوم على أهلها إلا بعده أفخر منه، وقال النبى ﷺ: «من زار أخاه المؤمن خاض فى الرحمة ومن عاد أخاه المؤمن خاض فى رياض الجنة حتى يرجع» رواه الطبرانى. وقال ﷺ: «من مشى فى حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك يدعون له ولم يزل يخوض فى الرحمة حتى يفرغ، فإذا فرغ كتب له حجة وعمرة» رواه الطبرانى. وقال: «عودوا مرضاكم وأمروهم أن يدعوا لكم فإن دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور» رواه الطبرانى وسيأتى أن النبى ﷺ قال: «إذا دخلت على مريض فمره أن يدعو لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

الخامسة: قال فى شرح المهذب: عيادة المريض سنة مؤكدة ويستحب أن يصم بعيادته الصديق والعدو ومن يعرفه ومن لا يعرفه حتى الكافر يجوز للمسلم أن يعوده فقد كان غلام يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض فجاءه النبى يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر الغلام إلى أبيه فقال له: أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبى ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذى أنقذه بى من النار، وكان اسم الغلام عبد القدوس. قال زيد بن أرقم- رضى الله عن- عادنى رسول الله ﷺ من وجع كان بعينى رواه أبو داود بإسناد صحيح وسيأتى أن المريض ضيف الله عزّ وجل، وفى الخبر يرسل الله ملكًا يأخذه لذة الطعام وملكًا يأخذ لذة الشراب وملكًا يأخذ لذة النوم فإذا عافاه الله عاد كل ملك بما أخذ إلا ملك الذنوب، فيقول: يا رب أعيدها إليه فيقول: لا بل ألقيها فى البحر نظيره إذا أراد العبد أن يدخل المسجد تقول الملائكة: إنه ملطخ بالنجاسة غير دونه فيقول الله تعالى: كيف وقصدنى عبدى ولكن خذوا عنه ذنوبه حتى يدخل طاهر فإذا خرج قالت الملائكة: أنردها فيقول الله: شىء رفعناه عنه لا نعيده إليه قال النبى ﷺ: «**المريض إذا برئ من مرضه كالبردة تنزل فى صفائها ولونها من السماء**».

السادسة: عن أبى هريرة- رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: «يا أبا هريرة: ألا أخبرك بأمر هو حق، من تكلم به أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير، حتى أطلع وسبحان الله رب العباد والبلاء والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على كل حال الله أكبر كبيرًا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان، اللهم إن كنت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى أرواح من سبقت

لهم منك الحسنى وأعذنى من النار كما أعذت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى فإن مت فى مرضك ذلك فإلى رضوان اللّه والجنة إن كنت قد اقترفت ذنبًا تاب اللّه عليك» رواه ابن أبى الدنيا ودخل النبى ﷺ على على- رضى اللّه عنه- يعوده، فقال: «قل اللهم إنى أسألك تعجيل عافيتك أو صبراً عل بليتك أو خروجًا من الدنيا إلى سعة رحمتك فإنك تعطى إحداهن» وقال النبى ﷺ: «أنين المريض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقه ونومه على فراشه عبادة وتقلبه من جنب إلى جنب كأنما يقاتل العدو فى سبيل اللّه» وقال ﷺ: «ما من مريض يقول سبحان اللّه الملك القدوس الرحمن الديان لا إله إلا أنت مسكن العروق الضاربة ومنيم العيون الساهرة إلا شفاه اللّه تعالى» رواه ابن أبى الدنيا. وقال النبى ﷺ: «فى قوله تعالى: ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧] أيما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أعطاه اللّه أجر شهيد وإن برئ غفر اللّه له جميع ذنوبه» رواه الحاكم. وقال النبى ﷺ: «من قال: لا إله إلا اللّه واللّه أكبر صدقه اللّه فقال: لا إله إلا أنا وأنا وأكبر، وإذا قال: لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له قال: صدق عبدى لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى، وإذا قال: لا إله إلا اللّه وحده يقول اللّه: لا إله إلا أنا وحدى، وإذا قال: لا إله إلا اللّه له الملك وله الحمد يقول اللّه: لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد، وإذا قال: لا إله إلا اللّه لا حول ولا قوة إلا باللّه قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى. وكان يقول: من قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار» رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

السابعة: جاء فى الصحيحين أن امرأة، قال البرماوى فى شرح البخارى: وهى أم بشر بتشديد الشين المعجمة وقال الإمام أحمد: هى أم سليم ووافقه الطبرانى فى الكبير لكنه قال فى الأوسط: إنها أم أيمن قالت: يا رسول اللّه ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا يومًا من نفسك نأتيك فيه تعلمنا مما علمك اللّه فأتاهن فعلمهن مما علمه اللّه قال ما منكن امرأة تقدم بين يديها ثلاثة من ولدها إلا كانوا لها حجابًا من النار فقالت امرأة: واثنين قال: واثنين ونسينا أن نسأله عن الواحدة وقال النبى ﷺ: «**من كان له فرطان من أمتى أدخله اللّه بهما الجنة**» قالت عائشة رضى اللّه عنها: فمن كان له فرط من أمتك قال: «ومن كان له فرط من أمتك بالموافقة» قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك قال: «**فأنا فرط أمتى لن يصابوا بمثلى**».

الثامنة: مات ولد لداود- عليه السلام- فحزن عليه حزنًا شديدًا فأوحى اللّه إليه ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: يا رب كان يعدل عندى ملء الأرض ذهبًا قال لك عندى يوم القيامة ملء الأرض ثوابًا، وقال داود عليه السلام: رأيت فى المنام كأنى دخلت الجنة فرأيت صبيانًا يلعبون بالتفاح ورأيت واحدًا وحده مغمومًا فسألت عنه فقالوا: ببكاء أهله عليه. وقال النبى ﷺ: «**إذا مات ولد العبد قال اللّه تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدى فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدى: فيقولون: حمد واسترجع فيقول: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسموه بيت الحمد**» قال بعضهم: وفيه دليل على

حسن الخاتمة. وعن أنس- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة نودى يا أطفال المسلمين أن اخرجوا من قبوركم فيخرجون من قبورهم ثم ينادى فيهم أن امضوا إلى الجنة، فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا ثم ينادى فيهم الثانية أن امضوا إلى الجنة زمراً فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا فقال لهم فى الرابعة: والديكم معكم فيثب كل طفل إلى أبويه فيدخلونهم الجنة فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذٍ من أولادكم الذين فى بيوتكم»**.

حكاية: كان أيوب عليه السلام إذا أصابته مصيبة قال: اللهم أنت أخذت وأنت أعطيت مهما تبقى نفسه أحمدك على حسن بلائك قال فى العقائق أوحى اللّه إلى أيوب عليه السلام أن سبعين نبيًا لما أخبرتهم بثواب الصبر على هذا البلاء فكل منهم سألنى أن يكون هو المبتلى فلم أعطهم ذلك وجعلته لك حتى تسمع الثناء عليك فى الدنيا والآخرة فإنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب، وكان من أولا د العيص بن إسحاق بن إبراهيم وكان كثير المال والعبادة فحسده إبليس لما سمع ثناء الملائكة عليه، فقال: لو كان فقيراً لما عبد اللّه لو سلطنى عليه لم يكن مطيعًا فسلطه اللّه على ماله فأحرقه فبلغ أيوب ذلك فقال: الحمد للّه الذى أعطانى وأخذ منى فقال إبليس: يا رب سلطنى على أولاده فسلطه عليهم فحرك القصر عليهم من أسفله فهلك الكل وكانوا فى ضيافة كبيرهم، فدخل إبليس فى صورة معلمهم وأخبر أيوب ذلك فقال: لو كان فيك خير لهلكت معهم وقيل: إنه قال ليتنى لم أخلق ففرح إبليس بذلك وصعد إلى السماء فوجد توبة أيوب قد سبقته كذلك العبد إذا وقع منه ذنب وتاب تسبق توبته الكتبة فقال إبليس: يا رب سلطنى على بدنه فسلطه عليه فتعلق به مثل الجدرى ينبع منه القيح والدم فأخرجوه من بلده وأكله الدود غير قلبه ولسانه، فتحير إبليس من صبره فتصور لزوجته رحمة فى صورة حسنة وقال: ما أصاب البلاء أيوب إلا أنه سجد لإله السماء لم يسجد لإله الأرض فقالت: ومن إله الأرض قال: أنا فإذا سجد لى سجدة أرد عليه ذلك فقالت: حتى أستأذنه فاستأذنته فقال: لأجلدنك مائة جلدة حيث لم تقولى له إله السماء وإله الأرض واحد قال الرازى فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، نزلت فى قوم قالوا: إن اللّه خالق الإنسان والنبات وفاعل للخيرات وإبليس خالق العقارب والحيات والسباع والحشرات فكذبهم اللّه تعالى بقوله: وخلقهم فكيف يكون المخلوق شريكًا للخالق، فلما أراد اللّه كشف الضر عن أيوب أرسل جبريل برمانة وسفرجلة فلما أكلهما تناثر الدود ثم أمره أن يضرب برجله اليسرى الأرض فخرج منها ماء حار وماء بارد فشرب من البارد واغتسل من الحار، فرده اللّه إلى أحسن حال فأراد أن يجلد زوجته لأجل القسم فأمره اللّه شفقة عليها بأن يأخذ بيده ضغثًا أى مائة من أصول السنبل كذلك المؤمن تصيبه الحمى فى الدنيا لأجل ما أقسم اللّه بقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وفى رواية أنه كان فى بلائه سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات وذكر الكلاباذى لما عوفى أيوب وقع فى قلبه أنه صبر فنودى بعشرة آلاف صوت من فوق عشرة آلاف غمامة يا أيوب أنت صبرت أم نحن صبرناك، فقال: يا رب صبرتنى وقال القرطبى فى تفسيره:

أوحى اللَّه إليه لولا أنى وضعت تحت كل شعرة صبراً لما صبرت فأرسل اللَّه سبحانه وتعالى سحابة على قدر داره فأمطرت عليه ثلاثة أيام جراداً من ذهب فقال له جبريل: هل شبعت قال ومن يشبع من فضل اللَّه ثم صحح أن مدة بلائه ثمانى عشرة سنة، قال الرازى فى سورة الأنبياء قال النبى ﷺ إن أيوب بقى فى بلائه ثمانى عشرة سنة ثم ذكر أن إبليس صاح من صبر أيوب فاجتمع عليه الشياطين، فقالوا: مالك؟ قال: أعيانى صبر أيوب فقالوا: أين مكرك الذى أهلكت به من مضى فقال ذهب كله فى أيوب فقالوا: كيف أخرجت آدم من الجنة؟ قال: بسبب زوجته حواء فقالوا: خذ أيوب من قبل زوجته فقال لها: قولى لأيوب يذبح هذه السخلة ولا يسمى اللَّه تعالى عليها فيبرأ فجاءته بها فقالت: يا أيوب اذبح هذه السخلة كما قال لها إبليس فقال: كم مكثنا فى الرخاء والنعمة قالت ثمانين سنة فقال: ما أنصفت ربك حتى نصبر ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ولئن شفانى اللَّه تعالى لأجلدنك مائة جلدة، واللَّه أعلم.

حكاية: كتب النبى ﷺ إلى معاذ- رضى اللَّه عنه- لما مات ولده سلام اللَّه عليك فإنى أحمد اللَّه الذى لا إله إلا هو، أما بعد: فأعظم اللَّه لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنى وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا من مواهب اللَّه المستودعة وعواريه المستردة يمتع اللَّه بها إلى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى وكان ابنك هذا من مواهب اللَّه تعالى المستودعة وعواريه المستردة متعك اللَّه به فى غبطة وسرور وقبضه بأجر كثير إن صبرت واحتسبت.

حكاية: قال أبو الدرداء- رضى اللَّه عنه- مات ولد لسليمان عليه السلام فحزن عليه حزناً شديداً، فأتاه ملكان فجلسا بين يديه فى زى خصوم، فقال أحدهما: إنى بذرت بذراً فمر به هذا فأفسده، فسأله سليمان عن ذلك فقال: إنه بذره على الطريق ولا بد من السلوك فقال له كيف بذرت على الطريق وقد علمت أنه لابد للناس من طريق فقال يا نبى اللَّه كيف تحزن على ولدك أما علمت أن الموت طريق إلى الآخرة.

مسألة: يحرم أن يبنى فى الطريق أو يغرس شجرة أو يحفر بئراً بطريق ضيق يضر المارة، فإن لم يضر أذن الحاكم أو لم يأذن فلا ضمان وكذلك إن حفر لمصلحة عامة أو لمصلحة خاصة ضمن، إلا أن يأذن الإمام وإن طرح فى الطريق قمامات أوقشور بطيخ ضمن، إن لم يقصد الماشى وطئها وإن رش الماء فوق العادة ولو لمصلحة عامة كدفع غبار ضمن، فإن كان قدر العادة فلا إلا إذا رش الماء لمصلحة نفسه ولا يمنع الذى من الانتفاع بالطريق ولو ربط دابة بطريق ولو واسعاً ضمن إتلافها ولو ببولها وروثها على المعتمد خلافاً فى المنهاج قال النيسابورى رحمه اللَّه تعالى: ذكر اللَّه المصيبة فى القرآن منكره لتشمل كل حضرة كما روى أن سراج النبى ﷺ انطفأ فقال: إنا للَّه وإنا إليه راجعون فقيل يا رسول اللَّه أمصيبة؟ قال: نعم كل شىء يؤذى المؤمن فهو مصيبة، ومعنى قوله تعالى: إنا للَّه

رضا بقضاء اللّه وإنا إليه راجعون إيمان بقدره لو علمها يعقوب عليه السلام لما قال: يا أسفًا على يوسف، وعن النبى ﷺ: **«ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه اللّه من حلل الكرامة يوم القيامة»** رواه ابن ماجه.

مسألة: تستحب التعزية قبل الدفن وبعده وهو أفضل إلى ثلاثة أيام، فإن كان صاحب المصيبة غائبًا فمتى يحضر وبعد حضوره إلى ثلاثة أيام لجميع أهل الميت إلا الشابة فلا يعزيها إلا محرمها وزوجها ولا بأس بتعزية الكافر غير الحربى، بقوله: أخلف اللّه عليك ولا نقص عددك لأن كثرتهم تنفع فى الدنيا بأخذ الجزية وفى الآخرة يكونون فداء للمسلمين من النار وصغارهم خدمًا فى الجنة لكن استشكل فى شرح المهذب ولا نقص عددك لأنه دعاء لبقاء الكافر بدوام كفره، فالمختار تركه واللّه أعلم، وقال عيسى ابن مريم: حب الفردوس وخشية اللّه يباعدان من زهرة الدنيا ويورثان الصبر، وقال المحاسبى- رحمه اللّه-: لكل شيء جوهرة وجوهرة الإنسان العقل والصبر.

موعظة: اعلم أن النياحة حرام بإجماع المسلمين، قال النبى ﷺ: **«النياحة من أمر الجاهلية أما النائحة إذا ماتت قطع اللّه لها ثيابًا من نار ودرعًا من لهب النار»** وقال النبى ﷺ: تخرج النائحة من قبرها شعثاء غبراء مسودة الوجه زرقاء العينين ثائرة الرأس كالحة الوجه عليها جلباب من لعنة اللّه ودرع من غضب اللّه إحدى يديها مغلولة إلى عنقها والأخرى قد وضعتها على رأسها، وهى تنادى يا ويلاه ويا ثبوراه ويا حزنًا وملك وراءها يقول: آمين ثم يكون بعد ذلك حظها من النار، وقال وهب: فى السماء الأولى مائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة وفى السماء الثانية مائتا ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة وفى السماء الثالثة ثلثمائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة وفى السماء الرابعة أربعمائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة وفى السماء الخامسة خمسمائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة وفى السماء السادسة ستمائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة وفى السماء السابعة سبعمائة ألف ملك يلعنون النائحة والمستمعة والراضية، واللّه أعلم.

فصل: فى الرضا

وهو أعلى من الصبر درجة لأن من رضى صبر ولا عكس، قال اللّه تعالى: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [التوبة: ٧٢]، كذلك رضاء العبد عن ربه أكبر من سائر الطاعات، وسأل النبى ﷺ طائفة من أصحابه من أنتم؟ قالوا: مؤمنون قال: وما علامة إيمانكم قالوا: نصبر على البلاء ونشكر على الرخاء ونرضى بمواقع القضاء، فقال: مؤمنون ورب الكعبة وقال النبى ﷺ: **«إذا أحب اللّه عبدًا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضى اصطفاه»**.

موعظة: ورد عن اللّه تعالى أنه قال: خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل، ثم ويل لمن قال: ولم

كيف؟ وقال موسى - عليه السلام - : يا رب دلنى على أمر فيه رضاك حتى أفعله فأوحى اللَّه إليه رضائى فى رضاك بقضائى، وقال سفيان الثورى بحضرة رابعة العدوية : اللهم ارض عنا فقالت : أما تستحى من اللَّه أن تسأل الرضا وأنت غير راض عنه؟ فقيل : متى يكون العبد راضيًا عن اللَّه تعالى، قالت : إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة .

حكاية: مر عيسى عليه السلام برجل أعمى أبرص مقعد قد أخذه الفالج وهو يقول الحمد للَّه الذى عافانى مما ابتلى به كثيرًا من خلقه فقال له عيسى : أى شىء من البلاء قد عافاك اللَّه منه؟ فقال يا نبى اللَّه أنا خير ممن لم يجد فى قلبه معرفة ربه .

قال فى فردوس العارفين: للعارف أربع علامات أن يكون صدره مشروحًا وجسمه مطروحًا وقلبه مجروحًا وباب الملكوت له مفتوحًا، ومن علاماته أن يكون أيضًا قلبه معدن التعظيم والهيبة ولسانه معدن الحمد والمدحة وروحه معدن الأنس والقربة وسره معدن الشوق والمحبة، ونفسه مقبورة تحت سلطان العقل وسيأتى فى باب الدعاء ما يقال عند رؤية المبتلى .

فائدة: قال ثابت البنانى لرجل : إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكى ثم قل بسم اللَّه أعوذ بعزة اللَّه وقدرته من شر ما أجد من وجعى هذا، ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وترًا أى تقولها ثلاثًا أو خمسًا، قال أنس بن مالك : حدثنى أن رسول اللَّه ﷺ حدثه بذلك رواه الترمذى، ورأيت فى فردوس العارفين أن امرأة أصابها وجع الضرس فصاحت فنوديت من لم يصبر على ضربنا فليرتحل من قربنا وقال جبريل : يا محمد إن اللَّه يقرئك السلام ويقول لك : قل لأبى بكر هل وجدت الصحة فتعجب النبى ﷺ من ذلك ثم قال : يا أبا بكر أى علة أصابتك قال : وجع السن منذ سبع سنين فقال : لم لا تخبرنى فقال : كيف أشكو من الحبيب .

فائدة: لوجع الضرس إذا وضع الثوم على النار ثم وضع على الضرس زال وجعه، أو وضع عليه ورق السداب مع زبيبة سوداء ورأيت فى كتاب سبيل الخيرات عن الأصمعى قال : دخلت البادية فرأيت امرأة جميلة مع رجل كريه المنظر، فقلت لها : ترضين أن تكونى معه فقالت : قد أسأت فى قولك لعله أحسن فيما بينه وبين اللَّه فجعله ثوابه، ولعلى أسأت فيما بينى وبينه فجعله عقوبتى أفلا أرضى بما رضى به .

حكاية: طلب رجل من زوجته ماء فجاءته به فوجدته قد نام فقامت عند رأسه إلى طلوع الفجر فلما استيقظ ورآها عند رأسه أعجبه ذلك منها فأراد إكرامها فقال لها تمنى علىّ فقالت : طلقنى، فكره ذلك منها فقالت : إن أردت مكافأتى فطلقنى فانطلقا إلى النبى فعثر فى الطريق، فانكسرت رجله فقالت : ارجع فلاسبيل إلى طلاقك لأنك حدثتنى عن رسول اللَّه أنه قال : «من يرد اللَّه به خيرًا يصب منه» ولك عندى كذا وكذا سنة لم يصبك فعلمت أن اللَّه تعالى لا يحبك، فلما أصابك هذا عرفت أن اللَّه قد أحبك .

فائدة: ذكر الغزالي في الإحياء: أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تمرض، فطلقها وأن النبي ﷺ أراد أن يتزوج بامرأة جميلة فقيل إنها لم تمرض فأعرض عنها وذكرت في كتاب العقائق أن النبي ﷺ سأل جبريل أن يريه شخص الحمى، نزل النبي ﷺ تحت شجرة يومًا وإذا بفارس معه قضيب أصفر فلما قرب من الشجرة تناثرت أوراقهافقال يا جبريل ما هذا الفارس، قال: هي الحمى، فقال ﷺ: «هذا فعلها بالشجرة فكيف فعلها بالبشر» فنودي يا محمد كما جردت الشجرة من ورقها كذلك تجرد أمتك من الذنوب بالعرق فلذلك قال النبي ﷺ: «حمى يوم كفارة سنة» وقال الغزالي- رضي الله عنه- : الإنسان فيه ثلثمائة وستون مفصلاً، كل مفصل يتألم من الحمى فيكفر عن العبد بكل مفصل ذنوب يوم وقيل لأحد الأطباء حمى يوم تذهب قوة سنة وعن النبي ﷺ من حم ثلاث ساعات فصبر فيها شاكرًا لله حامدًا له باهى به الله ملائكته، فقال: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي وصبره على البلاء اكتبوا لعبدي براءة من النار، فيكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم براءة من الله لعبده فلان قد آمنتك من ناري وأوجبت لك جنتي فادخلها بسلام وفي الطبراني عن النبي ﷺ قال: «من مرض ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وقال النبي ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فإن الله تعالى يطعمهم ويسقيهم» رواه الترمذي وابن ماجه، وفي الإحياء عن النبي ﷺ إن من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك.

فائدة: كان الإمام أحمد- رضي الله عنه- يكتب للحمى بسم الله الخ وبسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين، اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك له الحق آمين، ورأيت في طبقات ابن السيف: مرض ولد للإمام أبي القاسم القشيري مرضًا شديدًا، قال والده فرأيت الحق سبحانه وتعالى في المنام فشكوت ذلك إليه فقال سبحانه اقرأ عليه آيات الشفاء واكتبها في إناء واسقه، ففعل ذلك فعوفي الولد وآيات الشفاء ست: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ⦗١٤⦘ ﴾ [التوبة:١٤]، ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس: ٥٧]، و﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩]، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ⦗٨٠⦘ ﴾ [الشعراء: ٨٠]، ﴿ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤].

حكاية: ورد في الأخبار السالفة: أن نبيًا من الأنبياء عليهم السلام شكا إلى الله الفقر والجوع والقمل عشر سنين فما أجابه فأوحى الله إليه كم تشكو هكذا سبق لك مني وهكذا قدرت عليك قبل خلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تريد فوق ما أريد، وعزتي وجلالي لأن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لمحوتك من ديوان النبوة.

حكاية: كان في بني إسرائيل رجل كثير العبادة فزاره موسى عليه السلام ثم قال له: ألك حاجة، قال اسأل ربك أن يرزقني رضاه فأوحى الله إلى موسى قل له: يتعبد ما شاء ليلاً ونهارًا فهو عندي من

أهل النار فلما بلغه موسى الرسالة قال له : مرحبًا بقضاء ربي وحكمه، يا موسى وعزته وجلاله لا أتحول عن جنابه ولو أحرقني ولا أبرح عن بابه ولو طردني، فأوحى اللَّه إلى موسى قل له : تلقيت حكمي بالصبر بالرضاء ورضيت مني بأصعب القضاء، لو ملأت ذنوبك السماوات والأرض والفضاء لغفرتها لك، فبلغه موسى ذلك فسجد سجوداً طويلاً، فإذا به قد مات- رضي اللَّه عنه.

حكاية: قال مسروق- رضي اللَّه عنه- : كان بالبادية رجل له كلب وحمار وديك فالحمار يحمل عليه متاعهم، والكلب يحرسهم والديك يؤقت لهم أي يوقظهم للصلاة فجاء الثعلب فأخذه فقال عسى أن يكون خيراً ثم أصيب الكلب فقال عسى أن يكون خيراً ثم جاء الذئب فأكل الحمار، فقال عسى أن يكون خيراً ثم أصبحوا ذات يوم وإذا بالعدو قد أخذ جيرانهم لما عندهم من الصوت والجلبة ولم يكن عند أولئك شيء يجلب لأنه ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم فكانت الخيرة للرجل وأهله في هلاكهم.

حكاية: كان في بني إسراءيل رجل كثير العبادة فقال لزوجته : إني أشتهي الشواء منذ كذا وكذا سنة وأتركه لأجل الفقراء فقالت وأنا أذبح عشرة من الغنم واحدة لك وتسعة للفقراء، فلما فعلت ذلك قال ولدها الكبير للصغير ألا أريك كيف ذبحت أمي الغنم فذبحه وهرب فوقع في التنور فاحترق، فوضعتهما في خزانة واشتغلت بالفقراء فلما جاء العابد أطعمته حتى شبع ثم قالت له كان عندي وديعتان فأخذهما صاحبهما فشق ذلك علي، فقال : إن صاحب الوديعة أحق بها فقالت إن ابنك قد ذبح أخاه ثم أراد الهروب فوقع في التنور فاحترق، فقال العابد : وفيك هذا الصبر قالت : نعم أنا أولى منك بذلك، ولكن أريد أن أنظر إليهما فقاما إلى الخزانة وأشعلا مصباحًا فوجداهما يضحكان ويلعبان ببركة الصبر والرضا، قال النسفي : قال ذو النون المصري- رضي اللَّه عنه- : إن للَّه عباداً كانت البلايا عندهم عسلاً والشدائد عندهم سكراً والأحزان عندهم رطبًا.

حكاية: قال جابر بن عبد اللَّه- رضي اللَّه عنهما- لزوجته يوم حفر الخندق : عرفت في وجه النبي ﷺ الجوع فهل عندك شيء قالت صاع من شعير فطحنته وعناق فذبحته فأصلحت طعامًا فتوجه جابر إلى الخندق والنبي ﷺ ينقل التراب وكان له ولدان فقال أحدهما للآخر : ألا أريك كيف ذبحت أمي الشاة فذبحه فما شعرت أمه إلا والدم يسيل من الميزاب فصاحت أمه فهرب الصبي فوقع في التنور فمات فأخذتهما وجعلتهما في البيت ودثرتهما بكساء واشتغلت بطعامها لأجل النبي ﷺ فأتى بالمهاجرين والأنصار إلى دار جابر وكانت صغيرة، فقال : يا جابر أتحب أن يوسع اللَّه دارك قال : نعم، قال : فجثى على ركبتيه ودعا قال جابر : فو الذي بعثه بالرسالة إني نظرت إلى السقوف قد ارتفعت وإلى الجدران قد تباعدت فسكب النبي ﷺ الطعام بيده وقال : يا جابر ادع القوم عشرة عشرة حتى أكلوا عن آخرهم ولم يبق إلا أنا وإياه، فقال يا جابر ادع أولادك حتى آكل معهم فذهب إلى زوجته فقالت إنهم نيام فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال : والذي نفسي بيده لا آكل إلا معهم فرجع جابر

إلى زوجته فقالت دونك وإياهم فدخل البيت وكشف عنهما الغطاء فوجدهما بالحياة متعانقين فقعد أحدهما عن يمين النبى ﷺ والآخر عن يساره، فأكلوا حتى شبعوا فتبسم النبى ﷺ وقال: يا جابر أخبرك بما أخبرنى به جبريل، قال: نعم، فأخبره بما أنفق وأمر ولديه فتعجب من ذلك وقد حصل له ولزوجته الفرح والسرور وفى معنى ذلك قال:

إذا ما رماك الدهر يومًا بنكبة　　فهيئ لها صبرًا وأوسع له صدرًا

فإن تصاريف الزمان عجيبة　　فيومًا ترى يسرًا ويومًا ترى عسرًا

حكاية: لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم. فقال: ما أشفق هذا الذئب حيث أكل يوسف ولم يمزق قميصه ثم بكى بكاء كثيرًا، فجاءه جبريل وقال: عليك بالصبر الجميل أى وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوى، فغمض عينيه وكتم حزنه فى قلبه وقال فصبر جميل، فأرسل اللّه عليه النوم وقال: يا جبريل إن يعقوب وجد الصبر الجميل من نفسه فأنزل عليه فى سورة يوسف: فلما رآه بكى وقال أى قرة عينى فأيقظه جبريل وقال: أين الصبر الجميل فأخذ التراب وجعله فى فمه وقال تبت إليك فبكت الملائكة فقال اللّه تعالى: قل له يلقى التراب من فمه فقد غفرت له وأذنت له بالبكاء، ولكن لا يشكون إلى غيرى وقال بعض العارفين: الصبر له باب مفتوح إلى الثناء والثناء له باب مفتوح إلى العطاء، والعطاء له باب مفتوح إلى الجزاء والجزاء له باب مفتوح إلى البقاء والبقاء له باب مفتوح إلى اللقاء ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، ومن نظر إلى اللّه فقد رضى اللّه عنه.

حكاية: قال إبراهيم بن أدهم- رضى اللّه عنه- رأيت رب العزة فى المنام، فقال: قل اللهم أرضنى برضائك وصبرنى على بلائك وأوزعنى أى ألهمنى شكر نعمائك وخرج يومًا إلى الحج ماشيًا فرآه رجل على ناقته فقال له إلى أين يا إبراهيم قال أريد الحج قال أين الراحلة فإن الطريق بعيد قال لى مراكب كثيرة ولكن لا تراه قال ما هى قال إذا نزل بى القضاء ركبت مركب الرضاء وإذا دعتنى نفسى إلى شىء علمت أن ما بقى من الأجل أقل مما مضى فقال سر بإذن اللّه فأنت الراكب وأنا الماشى، وقال الفضيل- رضى اللّه عنه- : الرضا عن اللّه درجة المقربين إلى اللّه ليس بينها وبين اللّه إلا روح وريحان وقال قتادة: الروح الحرمة وقرأ يعقوب من العشرة فروح بضم الراء أى يخرج روح المؤمن فى الريحان والباقون فروح بفتح الراء أى الراحة والريحان قيل هو الريحان الذى يشم، وقال ابن عباس: كل ريحان فى القرآن فهو الرزق قال بعضهم: من حسن الرضا بقضاء اللّه أن لا يقول هذا يوم حار فى معرض الشكاية وقول أيوب مسنى الضر فيه إظهار الافتقار، لأن عدم المبالاة بالبلاء مقاومة للمقدور.

فائدة: عن بعض الصالحين أنه حبسه بعض الخلفاء وأقسم أن يضرب عنقه فقال له رجل فى النوم: اكتب ورقة فيها بسم اللّه الرحمن الرحيم من العبد الذليل إلى الرب الجليل أنى مسنى الضر

وأنت أرحم الراحمين، فبحق محمد وآل محمد اكشف همى وحزنى وفرج عنى واطرح الورقة فى اليم.

مسألة: الرضا بقضاء اللَّه واجب وبغض المعصية واجب ولا شك أنها بقضاء اللَّه فكراهتها كراهة لقضاء اللَّه، فكيف السبيل إلى الجمع بين الرضا والكراهة فى شىء واحد، فالجواب يتضح بمثال ذكره الإمام الغزالى - رضى اللَّه عنه - فى الإحياء فهو أن يكون لك عدوان أحدهما عدو للآخر فيموت أحدهما فتكره موته لأنه سارع فى هلاك عدوك الآخر وترضاه لأنه عدوك فكذلك المعصية لها وجهان وجه إلى اللَّه لكونه بقضاء فترضى بها من هذا الوجه تسليمًا لقضائه، ووجه إلى العبد لكونها من كسبه وسببًا لبعده عن ربه فبهذا الوجه تكره المعصية.

فصل: فى الأدب

قال اللَّه تعالى: ﴿ **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ [التحريم: ٦]، قال الإمام على - رضى اللَّه عنه -: أى أدبوهم وعلموهم، وقال النبى ﷺ: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**» رواه ابن ماجه وقال النبى ﷺ: «**لأن يؤدب أحدكم ابنه خير له من أن يتصدق بصاع طعام**» فجعل تأديب الابن أعلى من الصدقة حكاه ابن أبى جمرة فى شرح البخارى.

فائدة: قال الرازى فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى** ﴾ [المائدة: ١١٦]، أسئله:

الأول: أأنت استفهام وهو على اللَّه لا يجوز لأنه علام الغيوب جوابه أن الاستفهام بمعنى الإنكار.

الثانى: أنه سبحان يعلم أن عيسى ما قال ذلك فيكتب يسأله جوابه أراد توبيخ النصارى، لأنهم يعتقدون أن عيسى خالق المعجزات والخالق إله.

الثالث: كيف جاز لعيسى مع جلالة قدره أن يقول: وإن تغفر لهم مع أن الشرك لا يغفر، جوابه مذهب أهل السنة للَّه تعالى أن يعذب الطائع ويثيب العاصى لا يسئل عما يفعل قال الرازى فى أول البقرة: أوحى اللَّه تعالى إلى إبليس من سرادقات الجلال يا إبليس ما عرفتنى ولو عرفتنى لعلمت أنه لا اعتراض على فى شىء من أفعالى فإنى أنا اللَّه إلا إله إلا أنا، لا أسأل عما أفعل. جواب آخر يجوز أن يكون عيسى عليه السلام جوز توبة بعضهم فطلب لهم المغفرة. جواب آخر قال بعضهم: إن اللَّه تعالى قال له ذلك لما رفعه إلى السماء فيكون المعنى إن توفيتهم على الكفر وعذبتهم فهم عبادك وأنت الحاكم عليهم، وإن أخرجتهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان فغفرت لهم فلك ذلك ثم نقل عن والده أن العزيز الحكيم هنا أبلغ من الغفور الرحيم لأن صفة المغفرة الرحمة تشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة لكل محتاج والعزة والحكمة لا يوجبان ذلك بل يوجب كونه عزيزًا أن يفعل ما يشاء

وأن يكون متعاليًا عن جميع جهات الاستحقاق، فإذا حكم بالمغفرة كان الكرم هنا أتم من الوصف بالمغفرة والرحمة ورأيت فى تفسير القشيرى فإنك أنت العزيز الحكيم أى المعز لهم بالمغفرة ويقال إنك أنت العزيز الذى لا يضرك كفرهم ويقال العزيز القادر على الانتقام والعفو عند القدرة صفة للكريم ورأيت فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة، إنما قال إنك أنت العزيز الحكيم حياء من ربه أن يأتى بما فيه شفاعة لقوم عبدوا غير اللَّه قال الرازى: تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أى تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك وقيل: تعلم ما فى غيبى ولا أعلم ما فى غيبك، واللَّه أعلم. وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ⁽٨٠⁾﴾ [الشعراء: ٨٠]، ولم يقل وإذا أمرضتنى أدبًا مع ربه كذلك النبى ﷺ لما أحسن أدبه مع ربه حيث قال: «إن اللَّه معنا» فقدم اسم اللَّه على اسمه عصم اللَّه أمته من الشرك إلى يوم القيامة بخلاف قوم موسى فإنهم ارتدوا من دينهم إلى عبادة العجل لأنه قدم اسمه على اسم اللَّه تعالى حيث قال: ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢]، وقال البونى سمى نوح عليه السلام نوحًا لأنه رأى كلبًا ميتًا فكرهه فأوحى اللَّه إليه هذا خلقنا فاخلق أنت مثله، فصار يبكى وينوح، وقال فى العقائق إنه رأى كلبًا له أربع عيون فاستقبحه فقال: يانوح أتعيب الصنعة فلو كان الأمر إلى لم أكن كلبًا وأما الصانع فهو الذى لا يلحقه عيب فصار يبكى وينوح.

حكاية: رأى رجل خنفساء فقال: ما أراد اللَّه بخلقها لا صورة حسنة ولا رائحة طيبة فابتلاه اللَّه بقرحة عجز عنها الأطباء فحضر طبيب وقال ائتونى بخنفساء فأحرقها وجعل رمادها على القرحة فبرء بإذن اللَّه تعالى، فقال صاحب القرحة: أراد اللَّه تعالى أن يعرفنى أن أقبح الحيوانات أعز الأدوية عندى.

فائدة: رأيت فى حياة الحيوان للدميرى: أن الاكتحال بما فى جوف الخنفساء ينفع من الرطوبة ويزيل الغشاوة عن العين وإذا وضعت على لسعة العقرب أبرأتها، واللَّه أعلم.

عجيبة: قال مؤلفه رحمه اللَّه تعالى: رأيت الخنفساء تطرد العقرب وهى هاربة منها ثم رأيت بعد ذلك فى نزهة النفوس والأفكار إن بينها وبين العقرب صداقة وأهل المدينة المشرفة يسمونها جارية العقرب ومن به فالج أو حمى عتيقة ولسعته عقرب زال عنه ذلك ورماد العقرب الأسود إذا وضع على البرص معجونًا بالخل زال عنه بإذن اللَّه تعالى، وإذا علق الخنافس على أشجار قرية لم يقربها الجراد، وكان النبى ﷺ إذا دعا على الجراد يقول اللهم اهلك كباره واقتل صغاره وافسد بيضه وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء رواه ابن ماجه.

لطيفة: قال إبراهيم عليه السلام: رب أرنى كيف تحى الموتى فأراه ذلك فى غيره بقوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ [illegible]، وسيأتى بيانها فى باب الزهد والأمانة إن شاء اللَّه تعالى.

حكاية: [illegible] والسحرة عند فرعون فى يوم الزينة وهو يوم عاشوراء

وقيل يوم عيدهم وقيل يوم السبت وقيل يوم سوقهم وقيل يوم الأضحى وقيل يوم كسر النيل، قال رجل أعمى للسحرة: وكان كبيرهم أرى موسى يقوى علينا مع كثرتنا وما ذلك بقوته وأخاف أن يكون الأمر سماويًا فاحترموه وعظموه فإن غلبناه فلا يضرنا وإن غلبنا فنكون قد قدمنا للصلح مقدمة فيكون شفيعنا عند ربه فقالوا كيف نحترمه قال نستأذنه ونقول له إما أن تلقى، وأما أنكون أول من ألقى فلما أحسنوا الأدب معه كان سببًا لسعادتهم، فضحك موسى فقال هارون أتضحك مع كثرتهم وكانوا سبعين ألفًا وقيل سبعين ساحرًا، فقال شممت فيهم رائحة الإيمان فلما قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى سمع قائلاً يقول ألقوا يا أحباب اللّٰه فعند ذلك أوجس فى نفسه خيفة موسى لأن أولياء اللّٰه لا يغلبهم أحد فلما غلبهم موسى سجدوا لربهم وقالوا آمنا برب هارون وموسى، فرأوا فى سجودهم منازلهم فى الجنة.

فائدة: إنما قدموا هارون على موسى فى الذكر لأنه أكبر بثلاث سنين فبدأوا بذكره تعظيمًا له، كما قدم بنات شعيب عليه السلام ذكر الأبوة على الشيخوخة حيث قالوا وأبونا شيخ كبير، وكان أخاه من أمه وأبيه، وإنما قال: يا ابن أم من باب التلطف ومات هارون قبل موسى بثلاث سنين، وكان أتم طولاً وأكثر لحمًا وأبيض جسمًا وأفصح لسانًا من موسى.

لطيفة: قرت عيون السحرة بسجدة واحدة فكيف بمن يسجد للّٰه خمسين سجدة مثلاً بتوفيق اللّٰه وفضله، قال فخر الدين الرازى: سجود سحرة فرعون من أعظم الدلائل على فضل العلم لأنهم كانوا عالمين بحقيقة السحر، وإلا كانوا يقولون لعله أكمل منا فى علم السحر وسيأتى للعلم باب إن شاء اللّٰه تعالى.

فائدة: قال أبو على الروزبارى: العبد يصل إلى ربه بأدبه، وبطاعته إلى الجنة وقال السرى السقطى: صليت ليلة من الليالى فمددت رجلى فى المحراب فنوديت يا سرى هكذا تجلس الملوك، فقلت وعزتك وجلالك لا مددت رجلى أبدًا وقال بعض العارفين: مددت رجلى فى الحرم فقالت جارية لا تجالسه إلا بأدب وإلا فيمحوك من ديوان المقربين، وقال بعضهم: ترك الأدب موجب للطرد فمن أساء أدبه على البساط طرد إلى الباب ومن أساء أدبه على الباب طرد إلى سياسة الدواب وقال إبراهيم بن الأعزب من تأدب بآداب الصالحين صلح لبساط القربة ومن تأدب بآداب الأولياء صلح لبساط المحبة ومن تأدب بآداب الصديقين صلح لبساط المشاهدة.

مسألة: لو جلس بين جماعة ومد رجله مكشوفة مرارًا من غير عذر سقطت عدالته وردت شهادته.

حكاية: قال أبو يزيد البسطامى - رضى اللّٰه عنه- وصف لى عابد فقصدت زيارته، فرأيته قد بصق فى جهة القبلة فرجعت عن زيارته لأنه غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون مأمونًا على الأسرار؟

موعظة: قال ﷺ: «من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه» رواه أبو داود وفى الطبرانى من رواية أبى أمامة من بزق فى القبلة ولم يوارها جاءت يوم القيامة أحمى ما يكون حتى تقع ما بين عينيه، قال فى شرح المهذب بزق وبصق وبسق ثلاث لغات ولغة السين قليلة ورأى النبى ﷺ رجلاً يصلى بقوم فبصق إلى القبلة فقال لا يصلى بكم، فأراد الرجل أن يصلى بعد ذلك فمنعوه وأخبروه بقول النبى ﷺ فذكر لرسول اللّه فقال نعم قال الراوى: وحسبت أنه قال إنك آذيت اللّه ورسوله رواه أبى داود وعن أبى أمامة- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «إن العبد إذا قام فى الصلاة فتحت له الجنان وكشفت له الحجب بينه وبين ربه واستقبله الحور العين مالم يتمخط أويتنحنح» رواه الطبرانى.

فائدة: قال النبى ﷺ: «لكل شىء زينة وزينة المجالس استقبال القبلة» وقال النبى ﷺ: «إن لكل شىء شرفًا وإن أشرف المجالس ما استقبل القبلة» وقال النبى ﷺ: «إن لكل شىء سيداً وأن سيد المجالس قبالة القبلة» وقال بعضهم: ما فتح اللّه على ولى إلا وهو مستقبل القبلة.

قال مؤلفه عن والده رحمهما اللّه تعالى: إن رجلاً علم ولدين القرآن على السواء فكان أحدهما يقرأ وهو مستقبل القبلة فحفظ القرآن قبل صاحبه بسنة، قال الخليفة للإمام مالك- رضى اللّه عنه- : أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل النبى ﷺ فقال: كيف تصرف وجهك عنه وهو فى وسيلتك ووسيلة أبيك آدم استقبله وتشفع به ﷺ يشفعه اللّه فيك فعلى هذا يكون استقباله ﷺ فى مسجده أفضل من استقبال القبلة وهو كذلك وقد صرح بعض العلماء بأن المشى إلى قبره الشريف أفضل من المشى إلى الكعبة.

مسألة: يحرم استقبال القبلة واستدبارها ببول أو غائط إلا أن يكون أمامه أو خلفه سترة ثلثى ذراع فأكثر وبينه وبينها ثلاثة أذرع فأقل وتحصل السترة بإسبال ثوبه أمامه إن استقبل القبلة وخلفه إن استدبر ها كما هو عادة القرى، وقال عبد اللّه بن المبارك: من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة.

فائدة: قال أهل التصوف: إذا صحت المحبة سقط الأدب واستشهدوا لذلك بما نقل عن خطاف أنه راود خطافة وقد دخلت قصر سليمان ﷺ فقال: إن لم تخرجى قلبت قصر سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال: يا نبى اللّه إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم وأن الأدب أفضل من امتثال الأمر واستشهدوا بأن الصديق- رضى اللّه عنه- تأخر عن المحراب ولم يمتثل أمر النبى ﷺ له بإتمام الصلاة.

مسألة: لو اشترى عبداً فوجده يسىء الأدب فلا خيار له قاله فى الروضة.

لطيفة: قيل للعباس- رضى اللّه عنه- أنت أكبر أم النبى ﷺ هو أكبر منى وأنا ولدت قبله وذلك من أدبه -رضى اللّه عنه- وقال بعضهم شعراً:

ما وهب اللّه لامرئ هبـة أفضل من عقله ومن أدبه
هما جمالان للفتى فإن فقدا فالممات أجمـل به

باب: فضل الدعاء

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠] أى عن دعائى قاله الأكثرون ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، أى صاغرين وقال تعالى: ﴿قُلْ﴾ [الفرقان: ٧٧]، أى لا قدر لكم عنده لولا دعاؤكم إياه فى الشدائد، وقيل معناه ما خلقتكم ولى إليكم حاجة إلا أن تدعونى فأستجيب لكم وتستغفرون فأغفر لكم وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

لطيفة: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، أى الفاضل عن حاجتكم ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، قل قتال فيه كبير وهكذا فى السؤال عن الأنفال والروح وذى القرنين والساعة واليتامى كل ذلك يخرج الجواب بقوله قل إلا فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فلم يقل قل فكأنه تعالى يقول عبدى تحتاج إلى الواسطة فى غير الدعاء وأما فيه فلا واسطة بينى وبينك ذكره النيسابورى فى تفسيره الكبير.

وقال الثعلبى - رضى اللّه عنه - فى طه:

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه: ١٠٥]، فخرج الجواب بالفاء دون ما تقدم من الأجوبة.

فالجواب: إن تلك سألوا عنها وهذا سؤال لم يسألوا عنه لكن علم اللّه أنهم يسألون عنه فأجاب قبل السؤال تقديره فإن سألوك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفًا، قال مجاهد: والعوج والانخفاض والأمت والارتفاع.

فـائدة: رأيت فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة قال النبىﷺ: **«ما أذن اللّه تعالى لعبد فى الدعاء حتى أذن له فى الإجابة»** وفى شرح البخارى لابن أبى جمرة عن النبىﷺ: **«من فتح له باب الدعاء فقد فتحت له أبواب الخيرات»** وفى الترغيب والترهيب عنهﷺ: **«من فتح لـه منكم باب الدعاء فقد فتحت له أبواب الرحمة»** وعن أبى هريرة - رضى اللّه عنه - عن النبىﷺ: **«ليس شىء**

أكرم على اللَّه من الدعاء» وعنه أيضًا ﷺ قال: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض» وعن جابر بن عبد اللَّه عن النبى ﷺ قال: «يدعوا اللَّه المؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول له عبدى إنى أمرتك بالدعاء ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعونى فيقول نعم يا رب فيقول أما إنك لن تدعونى بدعوة إلا استجبت لك أليس دعوتنى يوم كذا وكذا بغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك، فيقول: نعم يا رب فيقول: إنى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجًا قال نعم يا رب، فيقول إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا، ودعوتنى فى حاجة أن أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول: إنى أعجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لحاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها، فيقول نعم يا رب فيقول إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا» قال ﷺ: «لا يدع اللَّه دعوة دعا بها عبده إلا بين له إما أن يكون عجل له بها فى الدنيا وإما أن يكون ادخر له بها فى الآخرة فيقول المؤمن فى ذلك المقام يا ليته لم يكن عجل له شىء فى الدنيا من دعائه» وعن أبى الدرداء عن النبى ﷺ: «دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ويوكل اللَّه ملكًا يقول آمين ولك مثل ما دعوت» وقال النبى ﷺ: «أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب» رواه أبو داود والترمذى. وقال النبى ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن دعوة المسافر ودعوة المظلوم ودعوة الوالد لولده» رواه أبو داود والترمذى وفى رواية البزار ثلاث حق على اللَّه أن لا يردهن دعوة الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع. وعنه ﷺ دعوة الوالد لولده مثل دعاء النبى لأمته وعنه ﷺ دعوتان ليس بينهما وبين اللَّه حجاب دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب وعن عبد اللَّه بن أبى بردة أن النبى ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال له لقد سألت اللَّه بالاسم الأعظم الذى إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِىَ به أجاب رواه أبو داود والترمذى.

قال فى الترغيب والترهيب: لم يرد فى باب الدعاء حديث أجود إسنادًا منه وعن أنس - رضى اللَّه عنه - قال: سمع النبى ﷺ رجلاً يقول: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، فقال: دعا اللَّه بالاسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى رواه الإمام أحمد وأبو داود، وعن عائشة - رضى اللَّه عنها - عن النبى ﷺ قال: «يا عائشة قد علمت أن اللَّه تعالى قد دلنى على الاسم الذى إذا دعى به أجاب فقلت: يا رسول اللَّه علمنيه فقال: لا ينبغى لك يا عائشة فقمت وتوضأت وصليت ركعتين قلت اللهم إنى أدعوك اللَّه وأدعوك الرحمن وأدعوك الرحيم وأسألك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم أن تغفر لى وترحمنى» قالت فضحك رسول اللَّه ﷺ ثم قال: «إنه لفى الأسماء التى دعوت بها» رواه ابن ماجه ورأيت فى شرح أسماء اللَّه الحسنى للقرطبى بمكة شرفها اللَّه عن عائشة - رضى اللَّه عنها - قالت: يا رسول اللَّه علمنى اسم اللَّه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب قال: «قومى فتوضئى

وادخلي المسجد وصلي ركعتين ثم ادعي حتى أسمع» ففعلت وجلست فقال: «اللهم وفقها» فقالت: اللهم إني أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم وأسألك باسمك العظيم الكبير الأكبر الذي من دعاك به أجبته ومن سألك به أعطيته فقال ﷺ: «أصبتيه والذي نفسي بيده».

فوائد: الأولى: قال النسفي - رحمه الله تعالى -: خلق الله ملكًا يقال له دردايل له جناح بالمشرق من زبرجد أخضر، وجناح بالمغرب من ياقوتة حمراء مكللة بالدر والياقوت والمرجان رأسه تحت العرش ورجلاه في الأرض السابعة ينادي كل ليلة هل من سائل فيعطى سؤله، هل من داع فيستجاب له، هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له حتى يطلع الفجر والفرق بين الدعاء والسؤال أن الأول ما لا طلب فيه نحو يا الله يا رحمن يا رحيم والثاني ما فيه الطلب نحو اللهم ارزقني اللهم أغني.

الثانية: الياقوت أربعة ألوان أصفر وأزرق وأبيض وأحمر وأعلاه قيمة الأحمر، ويكفي فيه قول النبي ﷺ في صفة الجنة: «حصباؤها اللؤلؤ والياقوت ومعدنه جبل طويل في جزيرة خلف جزيرة سرنديب ومن تختم بالياقوت الأحمر أو علق عليه انتفى عنه الصرع والطاعون» وحمل الياقوت الأصفر والتختم به يمنع الاحتلام ومن حمل الأبيض اتسع رزقه وقال ابن مسعود المرجان هو الخرز الأحمر وسيأتي في باب الجنة.

الثالثة: عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: **«من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل ركعتين ثم ليثن على الله تعالى وليصل على النبي ﷺ ثم ليقل لا إله إلا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضاء إلا قضيتها يا أرحم الراحمين»** رواه الترمذي.

الرابعة: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «اثنتي عشرة ركعة تصليهن من ليل أو نهار تتشهد بين كل ركعتين، فإذا تشهدت في آخر صلاتك فاثن على الله تعالى وصل على النبي ﷺ واقرأ وأنت ساجد فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسي سبع مرات، وقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير عشر مرات، ثم قل اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك واسمك الأعظم ومجدك الأعلى وكلماتك التامة، ثم اسأل حاجتك ثم ارفع رأسك ثم سلم يمينًا وشمالاً ولا تعلموها السفهاء فإنهم يدعون فيستجابون» وذكر في الترغيب والترهيب أن جماعة جربوه فوجدوه حقًا.

الخامسة: عن عثمان بن حنيف – رضى اللَّه عنه– قال: جاء رجل أعمى إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول اللَّه ادع اللَّه أن يكشف لى عن بصرى قال: انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه إلى ربى بك أن يكشف لى عن بصرى اللهم شفعه فى وشفعنى فى نفسى فرجع وقد كشف اللَّه عن بصره رواه الحاكم وابن ماجه والنسائى والترمذى وقال: حسن صحيح.

فائدة: وجد موسى ﷺ رجلاً يدعو مراراً فلم يجب إلى سؤاله فقال: يا رب لو أجبته فقال: أنه بخيل يدعو لنفسه فأخبره موسى بذلك فدعا لنفسه وللمسلمين فقبل اللَّه دعاءه، ورأى موسى عليه السلام رجلاً يبكى ويتضرع فقال يا رب لو كانت حاجته بيدى لقضيتها له فأوحى اللَّه إليه يا موسى أنا أرحم به منك ولكنه يدعونى وقلبه عند غنمه وأنا لا أستجيب لمن يدعو لى وقلبه عند غيرى وقال وهب: الدعاء بلا عمل كالقوس بلا وتر وقال سفيان الثورى – رضى اللَّه عنه–: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فإن اللَّه تعالى أجاب إبليس لما قال أنظرنى إلى يوم يبعثون وقال موسى– عليه السلام– يارب إذا دعاك المصلى والصائم والمجاهد فبماذا تجيبهم قال: أقول لبيك قال يارب إذا دعاك العاصى قال: أقول لبيك لبيك لبيك قال: يا رب تجيبه بالتلبية ثلاث مرات قال: لأنه اعتمد على كرمى وغيره اعتمد على عمله.

حكاية: عن بعض الصالحين قال: دخل عظم فى رجلى فتألمت منه ألمًا شديداً فجلست تحت شجرة وتضرعت إلى اللَّه بأسمائه الحسنى فغلبنى النوم فرأيت حية تمص رجلى وتمج القيح والدم وأخرجت العظم، فاستيقظت فرأيت الدم والقيح والعظم على الأرض قال الإمام الرازى – رضى اللَّه عنه–: والدعاء بأسماء اللَّه الحسنى شروط أحسنها أن يكون مستحضراً عن الربوبية وذل العبودية وأن يعرف معانى تلك الأسماء وها أنا أذكر بعض ما يحتاج إليه ذلك.

اللَّه: معناه الجامع لصفات الألوهية المتصف بأوصاف الربوبية وهو الاسم الأعظم.

الرحمن الرحيم: تقدم الفرق بينهما فى الفاتحة فى فضل البسملة.

القدوس: معناه المنزه عن كل معنى يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم، قال الغزالى – رضى اللَّه عنه–: ولست أقول منزه عن العيوب لأن ذلك يقرب من ترك الأدب فليس من الأدب أن يقال ملك البلد ليس بحثك.

السلام: معناه الذى سلمت ذاته مما تقدم وأفعاله سلمت من الشر والسلام من العباد من سلم قلبه من الحقد والحسد والغش.

المؤمن: معناه من التجأ إليه صار آمنًا من كل شر والمؤمن العباد من الناس من هو فى أمان.

المهيمن: معناه العالم بخلقه وأرزاقهم وآجالهم وهو من أسماء اللَّه فى الكتب القديمة.

الخالق البارئ المصور: قال الغزالي - رضى اللّه عنه-: قد يظن أن هذه الثلاثة بمعنى واحد وليس كذلك ثم قال: البناء مثلاً يحتاج إلى الأخشاب حتى يبنى له قدر الخشب ثم بعد ذلك إلى من ينقش ظاهر البناء ويزين صورته وحاصل كلامه أن الصنعة لا تقوم بواحد، كما ذكر فى الإحياء أن الرغيف لا يوضع على المائدة إلا بثلثمائة وستين صانعًا واللّه تعالى غنى فى صنعته عن غيره فإن احتاجت الصنعة إلى موجد فهو خالقها وإن احتاجت إلى مخترع يخترعها ويصورها فهو مصورها وخالقها، وإن احتاجت إلى زينة فهو مصورها فى أحسن زينة وأتم حالة.

القابض الباسط: معناه يقبض القلوب بالخوف ويبسطها بالرجاء كما فعله النبىﷺ مع أصحابه لما قال يقول اللّه تعالى: يا آدم اخرج بعث النار فيقول كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فانقبضت قلوبهم فلما رأى ذلك منهم بسطها بقولهﷺ: «**إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود**» وقيل يقبض الرزق عن الفقراء ويبسطه على الأغنياء، وقيل يقبض الأرواح عن الأشباح.

الخافض: لأهل الشقاوة.

الرافع: لأهل السعادة والخافض الرافع من العباد الذى يخفض الباطل وأهله ويرفع الحق وأهله.

اللطيف: معنا العالم بدقائق المصالح وموصلها إلى أهلها بالرزق واللطيف من العباد من يعلم الطريق إلى اللّه تعالى بغير عنف.

الغفور: بمعنى الغفار لكنه أبلغ من الغفور.

لطيفة: رأيت فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة من أسماء اللّه تعالى غفار وغافر وغفور، وسمى العبد بثلاثة أسماء ظالم لنفسه وظلوم كفار وظلام وهو المسفر على نفسه فكأنه سبحانه وتعالى يقول أنا للظالم غافر وللمظلوم غفور وللظلام غفار، وقيل معنى غافر مزيل للذنب من الصحيفة وغفور منس للملائكة ذلك الذنب وغفار منس للمذنب ذنبه، وقيل: غافر فى الدنيا وغفور فى القبر وغفار فى القيامة.

الشكور: معناه يجازى بيسير الطاعة كثير الدرجات.

الكبير: معناه القديم يقال فلان أكبر من فلان إذا كان أقدم منه فى الزمان.

المقيت: معناه خالق الأقوات.

الحسيب: معناه الكافى.

فائدة: قال الرازى فى قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)**﴾[آل عمران: ١٧٣]، أى نعم الكافى لأن نعم توضع

بين كلامين متناسبين تقول اللّه رازقنا ونعم الرزاق وخالقنا ونعم الخلاق كذلك ههنا يكفينا اللّه ونعم الكافى، قال ابن عباس - رضى اللّه عنهما- : لما عزم أبو سفيان على الانصراف من المدينة إلى مكة نادى يا محمد موعدنا بدر الصغرى فرميتك بها إن ثبت، فقال النبى ﷺ إن شاء اللّه فلما حضر الأجل خرج أبو سفيان فألقى اللّه تعالى عليهم الرعب فرجعوا من أثناء الطريق فلقى نعيم بن مسعود فقال: يا نعيم إنى واعدت محمداً أن نجتمع ببدر وهذا عام مجدب فارجع إليه فثبطه عن القتال فإن خرج ولم نخرج إليه ازداد جراءة فإن فعلت ذلك فلك عندى عشرة من الإبل، فرجع إلى المدينة فوجد الناس يتجهزون فقال: لئن خرجتم لا يرجع منكم أحد فوقع ذلك فى قلوب بعضهم، فقال النبى ﷺ: «**والذى نفسى بيده لأخرجن إليهم وحدى فتبعه سبعون رجلاً وقالوا حسبنا اللّه ونعم الوكيل فلم يجدوا ببدر أحداً يقاتلهم فباعوا فى موسم بدر فربح الدرهم درهمين ورجعوا سالمين غانمين**» فذلك قوله تعالى: ﴿**فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ**﴾ [آل عمران: ١٧٤]، قال مجاهد والسدى: النعمة هنا هى العافية والفضل ما ربحوه فى بيعهم، وقيل: النعمة منافع الدنيا والفضل منافع الآخرة، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ**﴾ [آل عمران: ١٧٥]، يعنى نعيم بن مسعود وسماه شيطانًا لكفره بخوف أولياءه فإن قيل إنما خوف المسلمين وليسوا أولياءه.

فالجواب: تقديره يخوفكم أولياء لأن الخوف يتعدى إلى المفعولين بغير حرف جر.

الجليل: معناه: الموصوف بصفة الجلال وهو الغنى والملك والقدرة والعلم وغيرها من صفات الكمال.

الواسع: مشتق من السعة والسعة تضاف إلى العلم والرزق فإن نظرنا إلى علم اللّه فلا ساحل لبحر معلوماته وإن نظرنا إلى نعمته فلا نهاية لها.

الحكيم: معناه العالم بأفضل الأشياء وأفضل العلوم باللّه فمن عرف ذلك فهو حكيم وقال النبى ﷺ: «**رأس الحكمة مخافة اللّه**».

الودود: الذى يحب الخير لجميع خلقه.

المجيد: هو الشريف فى ذاته الجميل فى أفعاله الجزيل عطاؤه.

الشهيد: بمعنى العالم.

الحق: هو الذى يكون وجوده ثابتًا لذاته أزلاً وأبدًا.

الوكيل: الذى توكل الأمور كلها إليه.

المتين: هو بمعنى القوى لكنه أبلغ.

الوالى: هو الناصر لأوليائه القاهر لأعدائه.

الحميد: هو الذى يحمد نفسه أزلاً ويحمده عباده أبدًا، وهو محمود قبل حمد الحامدين وقد تقدم فى الفاتحة.

المحصى: هو بمعنى العالم.

المبدئ: للأشياء قبل وجودها على غير مثال سبق.

المعيد: لها بعد العدم على مثال سبق.

القيوم: هو القائم بذاته وكل شىء قائم به ورأيت فى الأسماء والصفات للبيهقى - رضى اللَّه عنه- أن قوم موسى- عليه السلام- قالوا أينام ربنا قال: اتقوا اللَّه إن كنتم مؤمنين فأوحى اللَّه إليه أن خذ قارورتين واملأهما ماء ففعل فنعس فسقطتا من يديه فانكسرتا فأوحى اللَّه إليه إنى أمسك السماوات والأرض أن تزولا ولو نمت لزالتا.

الواجد: بمعنى المجيد وقد تقدم.

الواحد: هو الذى لا يتجزأ ولا ينقسم.

الأحد: الذى لا نظير له وقال البغوى: لا فرق بينهما وقال القرطبى فى شرح الأسماء: الأحد اسم بمعنى الذات والواحد وصف لها والغزالى - رضى اللَّه عنه- أسقط الأحد من شرح الأسماء لسقوطه من الروايات.

الصمد: تقدم فى فضل السورة.

المقتدر: بمعنى القادر لكنه أبلغ.

المقدم والمؤخر: أى يقدم أولياءه ويؤخر أعداءه.

الأول الآخر: أى لا ابتداء له ولا انتهاء له.

الظاهر: بالأدلة للعقول فلا ينكر وجوده.

الباطن: الذى لا يعلم كنه حقيقته إلا هو.

البر: المحسن.

العفو: بمعنى الغفور لكنه أبلغ قال العفو وهو محو الذنوب والغفر هو الستر لها والمحو أبلغ من الستر.

الرؤوف: الرأفة شدة الرحمة.

ذو الجلال والإكرام: هو الذى لا جلال ولا كمال إلا هو له ولا مكرمة إلا هى منه قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل: ٥٣]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[إبراهيم ٣٤].

الولى: هو الذى يدير أمور خلقه.

المتعال: بمعنى العلى والمراد علو الجلال والسلطان لا علو الجهة والمكان.

المقسط: الذى ينصف المظلوم من الظالم.

الجـامع: بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فى الحيوانات ويجمع الناس ليوم لا ريب فيه.

النـور: قال الغزالى - رضى اللّه عنه-: هو الظاهر فى نفسه المظهر لغيره قال الجنيد - رضى اللّه عنه- نور قلوب الملائكة حتى قدسوه ونور قلوب الرسل حتى عرفوه ونور قلوب المؤمنين حتى وحدوه.

البديع: هو الذى لا يسبقه شىء بل هو قبل كل شىء.

الرشيد: هو الذى لا يحتاج إلى مشير وأفعاله فى غاية الكمال.

الصبور: هو الذى لا يعجل على الشىء قبل أوانه.

مسـألة: الأسماء غير المسمى وقيل هو وهو باطن من وجهين الأول أن الأسماء كثيرة والمسمى واحد ولو كان هو هو لكان كل من ذكر النار أو الثلج حصل له حرارة أو برودة فإن قيل لو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق بقوله مثلاً: زينب طالق.

فالجواب: معناه أن الذات التى يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا السبب وقع الطلاق، فإن قيل ما الجواب عن قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]، فإن المتبارك المتعالى هو اللّه تعالى لا الصوت والحرف.

فـالجـواب: كما يجب علينا أن ننزه اللّه عنه النقائص فكذلك يجب علينا أن ننزه الألفاظ الموضوعة لتعريف ذاته عن العيب.

لطيـفة: لما ادعت الملائكة الفضل على آدم علمه اللّه جميع الأسماء ثم عرضها على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء عجزوا وأطلق اللّه لسانه بذكر الأسماء فلما عرف آدم أسماء المخلوقين ظهر له الفضل على الملائكة فكيف إذا عرف المؤمن أسماء الخالق وذكر النسفى - - رحمه اللّه- نعالى-أن الطيور اجتمعوا فى الهواء لما ألقى إبراهيم فى النار فألقى الهزار نفسه معه فأمر اللّه جبريل أن يمسكه قال اسأله عن فعله فقال فى محبة اللّه تعالى فقال اللّه له هل من حاجة قال الطير نعم يعلمنى أسماءه الحسنى فعلمه إياها فهو يترنم بها إلى يوم القيامة.

مسـألة: قال فى الروضة: يصح استئجار الهزار لسماع صوته قال الجوهرى: والعندليب طير يقال له الهزار وهو نوع من العصفور وسمى عصفوراً لأنه عصى وفر، لحم العصفور من حيث

الجملة حار يابس يزيد فى الباء خصوصًا الدورى ويسمى الفأر الطيار لكثرة إيذائه ويشارك بهائم الطير هى التى تأكل الحب ويشارك سباعها وهى التى تأكل اللحم فهو يأكل الحب والجراد ولا يعيش أكثر من سنة لكثرة جماعه، ولحم القنبر ينفع من القولنج وحبس البطن والفالج والاكتحال بزبل العصافير الدورية يجلو بياض العين.

فائدتان: الأولى خلق اللَّه تعالى ملكًا له ألف رأس فى كل رأس ألف وجه فى كل وجه ألف فم فى كل فم ألف لسان يسبح اللَّه تعالى فقال يومًا يا رب هل خلقت خلقًا أعبد لك منى، قال نعم خلقت رجلاً من بنى آدم فاستأذن فى زيارته فأذن له فلم يجده يزيد على الفرض فقال هل لك من علم غير هذا قال: نعم أذكر أسماء اللَّه الحسنى كل يوم بعد صلاة الصبح عشر مرات، قال القرطبى سميت بالحسنى لما فيها من التعظيم والثواب قال النبى ﷺ: **«من أحصاها أى حفظها دخل الجنة»** أو لحسن سماعها فى القلوب، وقال أيضًا يدعو كل اسم بما يناسبه فيا رحيم ارحمنى ويا رزاق ارزقنى، ورأيت فى كشف الأسرار لابن العماد عن النبى ﷺ: **«يسلط اللَّه على الكافر تسعًا وتسعين تنينًا لو نفخ تنين منها على الأرض لما أنبتت خضرًا»** والحكمة فى التسعة والتسعين لأنه كفر بأسماء اللَّه وهى تسعًا وتسعون.

الثانية: نقل أبو السعادات - رضى اللَّه عنه- أن اللَّه تعالى خلق ملكًا له أربعمائة ألف رأس فى كل رأس أربعمائة ألف وجه فى كل وجه أربعمائة ألف فم فى كل فم أربعمائة ألف لسان لكل لسان لغة لا تشبهها الأخرى فقال: يا رب هل خلقت أحدًا أكثر لك منى ذكرًا قال: نعم عبد يوشع بن نون، فاستأذن فى زيارته فأذن له فسأله عن ذكره فقال أقول إذا أصبحت عشر مرات وإذا أمسيت عشر مرات سبحان اللَّه وبحمده عدد ما سبحه به خلقه، أضعاف ذلك كله حتى يرضى ربنا وكما ينبغى لكرم وجهه عز جلاله وعظمت ربوبيته، وكما هو له أهل وأهلله كذلك وأحمده كذلك وأشكره كذلك.

حكاية: كان ببلاد الكفر راهبان يخدمهما أسير مسلم وكان كثير التلاوة للقرآن فحفظا منه آيتين.

الأولى: واسألوا اللَّه من فضله.

الثانية: وقال ربكم أدعونى أستجب لكم، فأكلا طعامًا فى بعض الأيام فَغَصَّ أحدهما بلقمة فناوله الأسير خمرًا فلم ينتفع له فقال فى نفسه يا رب قلت واسألوا اللَّه من فضله وأنت قلت ادعونى أستجيب لكم فإن كان ذلك حقًا فاسقنى ماء فخرج ماء من صخرة فشرب منه فذهبت غصته، فكان ذلك سببًا لإسلامهما وأما الأسير فإنه مات كافرًا نعوذ باللَّه من سوء الخاتمة.

حكاية: كان رجل يتجر على عهد النبى ﷺ فرآه لص فأراد قتله، فقال خذ المال ودعنى فقال لابد من قتلك فقال أمهلنى حتى أصلى ركعتين فلما فرغ منهما رفع يديه، وقال: يا ودود يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما تريد أسألك بنور وجهك الذى ملأه أركان عرشك وبقدرتك

التى قدرت بها على خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شىء، يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى ثلاث مرات فنزل ملك وقتل اللص وقال للتاجر أعلم أنى من ملائكة السماء الثالثة ولما قلت يا مغيث أغثنى سمعنا لأبواب السماء قعقعة وفى الثانية فتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار وفى الثالثة نزل جبريل وقال من لهذا المكروب فقلت أنا.

واعلم: يا عبد اللَّه أن من دعا به فى كربه فرج اللَّه عنه، ثم جاء إلى النبى ﷺ فأخبره بذلك، فقال: لقد لقنك اللَّه أسماءه الحسنى التى إذا دُعِىَ بها أجاب وإذا سُئِلَ بها أعطى.

لطيفة: قال بعضهم: عند اشتداد الكرب تبدو مطامع الفرج قال ابن عباس - رضى اللَّه عنه-: لما استعمل سليمان- عليه السلام- الشياطين فى البناء وشدد عليهم شكوا ذلك إلى إبليس فقال تكفيكم الراحة فى رجوعكم من عملكم إلى منازلكم، فبلغ ذلك سليمان فاستعملهم فى ذهابهم وإيابهم فشكوا ذلك إلى إبليس فقال يكفيكم الراحة بالليل، فبلغ ذلك سليمان فاستعملهم ليلاً ونهاراً فشكوا ذلك إلى إبليس فقال الآن جاءكم الفرج، فمات سليمان بعد ذلك بيسير ولذلك قال بعضهم عند اشتداد الكرب تبدو مطامع الفرج.

حكاية: رأيت فى تفسير الرازى أن زيد بن حارثة- رضى اللَّه عنه- صاحب النبى ﷺ خرج مع رجل من المنافقين إلى موضع خراب فنام زيد فأوثقه المنافق كتافًا فسأله زيد عن ذلك، فقال أريد ذبحك لأنك تحب محمداً فقال يا رحمن وفى غيره يا أرحم الراحمين أغثنى فسمع المنافق صوتًا لا تقتله فخرج فلم يجد أحداً فهم بقتله فقال يا رحمن أغثنى فسمع صوتًا أقرب من الأول لا تقتله فخرج ونظرفلم يجد أحداً فهم بقتله فقال: يا رحمن أغثنى فسمع صوتًا على باب الخرابة لا تقتله فخرج فوجد رجلاً معه حربة فقتله، ثم دخل فأطلق وثاق زيد فسأله فقال: أنا جبريل كنت فى المرة الأولى عند سدرة المنتهى وفى الثانية على سماء الدنيا وفى الثالثة على باب الخرابة وقد قتلت المنافق.

فـائدة: زيد بن حارثة القرشى أصابه سبى فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة- رضى اللَّه عنها- ووهبته للنبى ﷺ فأعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت له أسامة روى أسامة عن النبى ﷺ مائة وثمانية وعشرين حديثًا وروى زيد حديثين فقط فأيمن وأسامة أخوان من أم أيمن صحابيان - رضى اللَّه عنهما- وعن أبى أمامة - رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: إن ملكًا موكلاً بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثًا قال الملك إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأله رواه الحاكم، ومر النبى ﷺ برجل يقول: يا أرحم الراحمين فقال له سل فقد نظر اللَّه إليك.

وفى كتاب الدعوات للطبرانى: أن من قال يا رب ثلاثًا قال اللَّه تعالى: سل تعط وقال النبى ﷺ «إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد اللَّه بالدعاء» رواه الترمذى، وقال حديث غريب وقال الحاكم صحيح الإسناد.

حكاية: طلب الحجاج رجلاً من الأكابر فلما قدر عليه جعله بالسجن وأمر أن يقيد فلما صار فى السجن ووضع القيد فى رجليه رفع رأسه وقال لا حول ولا قوة إلا بك لك الخلق والأمر، فلما جن الليل أغلق السجان الأبواب فلما أصبح وجد القيد مطروحًا ولم ير للرجل أثرًا فخاف من الحجاج فجاء إلى أهله فودعهم ثم جاء إلى الحجاج وأخبره بأمر الرجل فقال: هل قال شيئًا قال: نعم لما جعلت القيد فى رجليه رفع رأسه إلى السماء، وقال لا حول ولا قوة إلا بك لك الخلق والأمر، فقال الحجاج: إن الذى ذكره وأنت حاضر خلصه وأنت غائب.

قال فى الإحياء: قال عمر بن عبد العزيز - رضى اللَّه عنه-: رأيت الحجاج فى النوم على شفير جهنم فقلت له ما تنتظر هنا، فقال: ما ينتظره الموحدون، قال النووى - رضى اللَّه عنه-: لا يجوز لعنه ثم ذكر فى تهذيب الأسماء واللغات أنه استولى على العراق عشرين سنة فحطم أهلها، ثم مات بواسطة سنة خمس وتسعين وما مس قبره وأجرى عليه الماء.

فوائد: الأول: لما هرب سعيد بن المسيب - رضى اللَّه عنها- من الحجاج استخفى فى بعض حجر للنبىﷺ فكان لا يعلم أوقات الصلوات إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبىﷺ ثم بعد أيام سمع صوتًا يقول يا ابن المسيب قل اللهم أنت الملك وأنت على كل شىء قدير وما تشاء من أمر يكون، فما قلتها واللَّه فى كربة إلا فرج اللَّه عنه.

الثانية: لما اجتمعت اليهود ليلقوا عيسى - عليه السلام- جاءه جبريل- عليه السلام- بهذا الدعاء، اللهم إنى أسألك باسمك الأحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الأحد الصمد وأدعوك باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذى ملأ الأركان كلها أن تكشف عنى ما أصبحت وما أمسيت فيه، فلما دعا به رفعه اللَّه إلى السماء وقال النبىﷺ: «يا بنى هاشم ويا بنى عبد مناف اسألوا ربكم بهؤلاء الكلمات فو الذى نفس محمد بيده ما دعا بهن عبد مؤمن إلا اهتز العرش والسماوات السبع والأرضون السبع ويقول اللَّه تعالى لملائكته اشهدوا أنى قد استجبت للداعى بهن وأعطيته عاجل دنياه وآجل آخرته».

الثالثة: قال الربيع - رضى اللَّه عنه-: طلب الخليفة الشافعى - رضى اللَّه عنه- حال غضبه فلما صار على الباب استأذنت له وأنا خائف عليه فرأيته يحرك شفتيه فلما دخل عليه قام له وقبله بين عينيه وأكرمه بمال جزيل، فخرج من عنده وفرقه قبل أن يصل إلى منزله فقلت له رأيتك تحرك شفتيك قبل الدخول فقال حدثنى مالك عن نافع عن ابن عمر - رضى اللَّه عنهم- أن النبىﷺ قرأ يوم الأحزاب أى لما تحزبت عليه اليهود وكفار قريش والعرب: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[آل عمران: ١٨]، ثم قال وأنا أشهد بما شهد اللَّه به أستودع اللَّه هذه الشهادة وهى لى وديعة عند اللَّه يؤديها إلى يوم القيامة اللهم إنى أعوذ بنور قدسك وعظيم ركنك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن، اللهم أنت عياذى فبك أعوذ وأنت

غياثي فبك أستغيث وأنت ملاذي فبك ألوذ، يا من ذلت له قلوب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أعوذ بك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والانصراف عن شكرك، أنا فى حرزك وكنفك ليلي ونهاري نومي وقراري وظعني وإقامتي وحياتي ومماتي ذكرك شعاري وثناؤك ثاري لا إله إلا أنت، تعظيمًا لاسمك وتنزيهًا لسحبات وجهك أجرني من عذابك وشر عبادك واضرب على سرادقات حفظك وأدخلني فى حفظك وعنايتك يا أرحم الراحمين.

الرابعة: قال جبريل - عليه السلام -: يا محمد ما بعثت إلى أحد أحب إلى منك أفلا أعلمك دعاء خبأته لم أعلمه لأحد قبلك تدعو به فى الرغبة والرهبة، فقال قل: «يا نور السماوات والأرض يا قوام السماوات والأرض يا عماد السماوات والأرض يا زين السموات والأرض يا جمال السموات والأرض يا عماد السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرم يا غوث المستغيثين، ومنتهى رغبة العابدين ومنفسا عن المكروبين ومفرجًا عن المغمومين وصريخ المستصرخين ومجيب دعوة المضطرين كاشف السوء إله العالمين».

الخامسة: حبس هارون الرشيد موسى بن جعفر الكاظم - رضى اللّه عنه - فى بغداد ثم أمر بإخراجه وأعطاه ثلاثين ألف درهم فسئل عن ذلك فقال: رأيت عبدًا أسود معه حربة وقال إن لم تخرج موسى وإلا قتلتك ثم قال موسى: رأيت النبي ﷺ فى المنام، وقال: «يا موسى حبست ظلمًا فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة فى الحبس فقل يا سامع كل صوت يا سابق كل فوت ويا كاسي العظام ومنشرها بعد الممات أي الموت أسألك بأسمائك العظام وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليمًا بخلقه يا ذا المعروف الذى لا ينقطع معروفه أبدًا ولا يحصى له عددًا فرج عني ففرج اللّه عنه».

حكاية: ذكر أبو جعفر النيسابوري - رحمه اللّه - تعالى: أن شابًا كان يقول كثيرًا يا قديم الإحسان أحسن إلى بإحسانك القديم فسئل عن ذلك فقال: كنت ألبس ثياب النساء وأحضر معهن فى كل عرس ووليمة أنظر إليهن فحضرت معهن فى عرس أمير فلما فرغ العرس صاح خادم الأمير احفظوا الباب فقد ضاع لنا جوهرة فصاروا يفتشون النساء فألهمني ربي أن أقول يا قديم الإحسان أحسن إلى بإحسانك القديم وعاهدت اللّه أن لا أعود، فلما وصلوا إليَّ نادى مناد اتركوا الحرة فقد وجدنا الجوهرة، فكدت أموت فرحًا فخرجت وأنا أقول يا قديم الإحسان أحسن إلى بإحسانك القديم.

ورأيت فى الرياض النضرة فى مناقب العشرة: أن بعضهم رأى النبي ﷺ فى المنام فقال: يا نبي اللّه علمني دعاء أدعو به فى سفري وحضري فقال: «عليك بثلاث دعوات فادع بها فى وقت كل شدة وفى كل صلاة قل: يا قديم الإحسان يا من إحسانه فوق كل إحسان، يا ملك الدنيا والآخرة» وفى غيره أوحى اللّه تعالى إلى داود عليه السلام يا داود تملق إلى، قال: كيف أتملق إليك وأنت رب

العالمين، قال: قل: يا قديم الإحسان يا دائم الخير يا كثير المعروف فمن تملق إلى بهذه الكلمات كان كمن أتى بعبادة أهل المشرق والمغرب.

فوائد: الأولى: روى الطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد حسن عن النبى ﷺ: **«من دعابهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل اللّه تعالى شيئًا إلا أعطاه، لا إله إلا اللّه واللّه أكبر لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، لا إله إلا اللّه، ولا حول ولا قوة إلا باللّه»**.

الثانية: مر عيسى عليه السلام ببقرة قد عسر عليها خروج ولدها فقالت يا روح اللّه ادع لى بالخلاص، فقال يا خالق النفس من النفس خلصها فألقت جنينها، وقال ابن عباس - رضى اللّه عنهما-: إذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها هذا الدعاء ولابأس أن يضاف إليه الفاتحة وسورة الإخلاص والمعوذتين وإذا السماء انشقت إلى قوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ [الانشقاق: ٤]، اللهم خلص فلانة بنت فلانة مما فى بطنها من ولدها خلاصًا فى عافية إنك أنت أرحم الراحمين ثم يسقى للمعوقة، قال الدميرى - رحمه اللّه- فى حياة الحيوان: وهو مجرب.

الثالثة: الزبد البحرى إذا علق على ذات طلق سهل الولادة وكذا قشر البيض إذا سحق ناعمًا وشربته المعوقة بالماء سهل، وكذا عصارة قثاء الحمار إذا عجن بمرارة البقرة وقثاء الحمار عند أهل الأندلس اسمه العلقم، وأما قثاء الآدميين أكله يسكن الصفراء والحرارة وينفع من الحمى الحارة، ويضر أكله بمن طبعه بارد إلا إذا أكله بالرطب أو التمر أو الزبيب أو العسل فإنه يسمن البدن، وفى الحديث عن النبى ﷺ إذا أكلتم القثاء فكلوا من أسفله.

الرابعة: إذا شربت المعوقة ثلاثين حبة من حب اللوف سهل الولادة أيضًا.

لطيفة: قال فى نزهة النفوس والأفكار اللوف: يقال خبز القرود ورقه يشبه ورق القلقاس وورقه مع أصله نافعان للجراحات الرديئة فإن ذلك يجلوها وينقيها تنقية قوية وأكلها ينفع من الأخلاط الرديئة ومن وجع الكبد والطحال وبذره إذا أكله من به سرطان شفاه اللّه تعالى، وإذا شربت الحامل من بذره نحو ثلاثين حبة بخل ممزوج بماء سقط حملها، وأما القلقاس ويسمى آذان الفيل من منافعه أن أكله يزيد فى الباه ويسمن البدن ويقوى المعدة إذا طبخ فى ماء حتى ينضج ويدق ويضمد به البرص ثلاثين يومًا متوالية قلعه بإذن اللّه تعالى.

الخامسة: إذا تحملت المرأة بشىء من السداب، أو شربت من بزره نصف درهم أو شربت من لبن المرأة وتبخرت بحافر حمار فإن هذا يسهل الولادة بإذن اللّه تعالى فإن استمرت فى الطلق أربعة أيام فاعلم أن الولد قد مات فبادر إلى سقيها بماء السداب فإن ولدت واستمرت الرقيقة فداوها بالعطاس بأن تدخل فى أنفها شيئًا يكثر عطاسها.

السادسة: دخل مسلمة بن عبد الملك بن مروان بلدة من بلاد الكفر فحصل له صداع فألبسه

أهل البلد طاقية فشفى فى الحال فنظر إلى الطاقية فوجد فيها ورقة فيها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦]، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ كهيعص ۝١﴾ [مريم: ١]، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ۝١ عسق ۝٢﴾ [الشورى: ١،٢]، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥]، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٣﴾ [الأنعام: ١٣]، قيل خص الساكن بالذكر لأنه أكثر من المتحرك وقيل ما سكن أى ما خلق فهو أعم واستحسنه القرطبى، فقال المسلمون لأهل البلد من أين لكم هذه الآيات وإنما نزلت على محمد ﷺ فقالوا وجدناها منقوشة على حجر كنسية قبل أن يبعث نبيكم بسبعمائة عام.

السابعة: قال بعض الصالحين: أصابنى وجع شديد فى رأسى فرأيت النبى ﷺ فى المنام فوضع يده على رأسى، وقال: «بسم اللَّه» ربى اللَّه حسبى اللَّه توكلت على اللَّه اعتصمت باللَّه فوضت أمرى إلى اللَّه ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه، ثم قال: «**استكثروا من هذه الكلمات، فإن فيها شفاء من كل داء وفرجًا من كل كرب ونصرًا على الأعداء**».

الثامنة: كان بخراسان رجل عاين يجلس يومًا مع جماعة فمربهم قطار جمال فقال العاين أى جمل تريدون أكله فأشاروا إلى جمل فنظر إليه فوقع فى الحال فقال صاحبه بسم اللَّه عظيم الشأن شديد البرهان ما شاء اللَّه كان حبس حابس من حجر يابس وشهاب قابس، اللهم إنى رددت عين العاين عليه وفى كبده وكليتيه وأحب الخلق إليه لحم رقيق وعظم دقيق فيما يتعلق ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ [الملك]، أى شقوق ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾ [الملك: ٤]، أى ذليلاً ﴿خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك: ٤]، أى منقطع ما شاء اللَّه كان ولا قوة إلا باللَّه فوثب الجمل قائمًا بإذن اللَّه وبرزت عين العاين.

مسألة: لو قتله بالعين فلا شىء عليه إن اعترف بذلك، لأن لا يفضى إلى القتل غالبًا.

التاسعة: إذا علق مخلاب الهدهد على صغير دفع عنه شر العين وإن حمل بجملته مذبوحًا على باب بيت أمن من فيه من السحر والعين والاكتحال بدمه يذهب بياض العين، وإذا بخر المعقود عن النساء بلحمه أبرأه.

العاشرة: رأيت فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب عن النبى ﷺ قال فى كتاب اللَّه تعالى ثمان آيات للعين يقرأها عبد فى دار فلا يصيبهم فى تلك اليوم عين إنس أو جن، فاتحة

الكتاب وآية الكرسى قال الأكثرون إنما قال يعقوب لأولاده عليه السلام لا تدخلوا من باب واحد خوفًا من شر العين، وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ: **«العين حق وإن كان شىء سابق القدر سبقت العين»** وفى البخارى كان النبى ﷺ يعوذ الحسن والحسين بهؤلاء الكلمات، كما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق أعيذ بكلمات اللّه التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، أى صيابة.

فائدة: قال القرطبى فى سورة يوسف: واجب على كل مسلم أعجبه شىء أن يقول تبارك اللّه أحسن الخالقين اللهم بارك فيه.

فائدة: قال فى شرح المهذب: يستحب إن رأى شيئًا فأعجبه أن يدعو له بالبركة وإذا رأى شيئًا يكرهه يقول: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم، وقال فى الأذكار كان النبى ﷺ إذا رأى ما يحب، قال الحمد للّه الذى بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال الحمد للّه على كل حال، واللّه أعلم.

حكاية: أراد رجل أن يتزوج بنت عمه فلم يفعل ذلك أبوها وزوجها غيره فمات ليلة الزفاف، ثم زوجها غيره فمات ليلة الزفاف إلى الرابع فخطبها ابن عمها فتزوجها فلما أراد الدخول بها جاء رجل من الجن، وقال إن لم تقاسمنى وإلا قتلتك كالماضين فقال له قهرًا نعم فقال لى الليل ولك النهار فرضى زوجها ثم قال الجنى أريد الليل أن أسترق السمع ولا بد من ركوبك على جناحى فلم يجد له مخلصًا منه فركب على جناحه حتى لصق بالسماء فسمع الملائكة تقول لا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم فهرب الجنى حتى لحق بالأرض ثم دخل الجنى على المرأة، فقال الرجل: لا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم فاشتعل الجنى نارًا ولم يصل إلى المرأة ذكره النسفى - رحمه اللّه تعالى- فى كتابه زهرة الرياض.

فوائد: الأولى: قال النسفى وغيره: لما خلق اللّه العرش خلق ملكًا من نور وأعطاه قوة سبع سموات، وخلق ملكًا من الرحمة وأعطاه قوة سبع أرضين، وخلق ملكًا من الريح وأعطاه قوة الريح وخلق ملكًا من الماء وأعطاه قوة الماء ثم أمرهم أن يحملوا عرشه فوقعوا تحته سبعين ألف عام فلم يقدروا على رفعه حتى سال العرق منهم كالأنهار ثم زادهم قوة فلما علم عجزهم قال لهم قولوا: لا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم فلما قالوها حملوه بقوته سبحانه وتعالى.

الثانية: قصد بعض الملوك مدينة كرخ بثمانين ألف فيل، فخرج أهلها لقتالهم فلم يستطيعوا من الفيلة، فقال كبيرهم لا حول ولا قوة إلا باللّه العظيم فهربت الفيلة وقطعت السلاسل وانتصروا على عدوهم بإذن اللّه تعالى.

لطيفة: الفيل حيوان عجيب له أذنان متحركتان دائمًا لدفع الذباب عن فمه لأنه مفتوح دائمًا، ويعيش أربعمائة عام ومدى حمل الأنثى منه سنتان وإذا وضعت لم يقربها الذكر إلا بعد ثلاث سنين،

ويحرم أكله ويصح بيعه وعظمه يسمى العاج إذا شربت المرأة من نشارته سبعة أيام متوالية حملت بإذن اللَّه وإن كانت عاقراً.

الثالثة: ذكر النيسابورى فى النزهة عن طاوس اليمانى - رضى اللَّه عنه- من قال: لا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم خلق اللَّه من قوله طيراً رأسه من الياقوت ورجلاه من اللؤلؤ وجناحه من الزعفران وذنبه من الزمرد بالذال المعجمة مكتوب على صدر هذا الطائر من فم فلان يعبد اللَّه مع الملائكة وعبادته لقائلها إلى يوم القيامة ويصير هذا الطائر كالفرس الجواد يركبه صاحبه إلى الجنة، ورأيت فى تنبيه الغافلين عن النبى ﷺ من قالها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ووقى سبعين باباً من السوء وقال النبى ﷺ: «من قال لا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم كل يوم مائة مرة لم يصب فقراً أبداً» وقال ﷺ: «أكثروا من غرس الجنة» قيل: وما غراسها: قال: «ما شاء اللَّه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم» رواه الطبرانى.

الرابعة: قال رجل لأبى الدرداء - رضى اللَّه عنه- قد احترق بيتك فقال لم يكن اللَّه يفعل بكلمات سمعتهن من رسول اللَّه ﷺ من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح، وهى اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم، أعلم أن اللَّه على كل شىء قدير وأن اللَّه قد أحاط بكل شىء علما اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم وتقدم على هذا زيادة فى أذكار الصباح والمساء.

الخامسة: قال بعض العلماء المتقدمين: من قال أول الليل والنهار عقدت لسانه الحية وزبان العقرب ويد السارق يقول: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه أمن من الحية والعقرب والسارق، وقال القشيرى - رضى اللَّه عنه-: أن الحية والعقرب قالتا لنوح- عليه السلام- أحملنا فى السفينة ونعاهدك أن لا نضر أحداً ذكرك، وقال سعيد بن المسيب - رضى اللَّه عنهما-: من قال صباحًا ومساءً سلام على نوح فى العالمين لم يضراه وقال القزوينى: من لسعته عقرب وعلق عليه شىء من ورق الزيتون برى فى الحال، ورأيت فى زاد المسافر أن نخالة الحنطة إذا طبخت بماء ووضعت على موضع اللسعة زال الألم وأكل البندق أو دقه وجعله على موضع اللسعة فيه منفعة عظيمة، وكذلك الفجل إذا وضع على لسعة الحية والعقرب.

لطيفة: أكل الفجل ينفع من البلغم ويزيد فى نور البصر ويزيل ظلمته، وأكله مطبوخًا ينفع من السعال المزمن، وإذا وضع قشره فى بيت هربت منه العقارب ومن شرب لبنًا حليبًا قد طبخ فيه فجل تنظف مثانته من الرمل والحصى وشرب عصير الفجل على الريق يفتت الحصى، وأكله بعد الطعام يعين على هضمه.

مسألة: من لسعته حية فى الصلاة فسدت صلاته وأما عقرب فلا والفرق أن الحية تنهش الظاهر من الجلد فيتنجس من السم، والعقرب تدخل زبانها فى الباطن والباطن لا يجب غسله.

السادسة: عن أبى هريرة - رضى اللَّه عنه- أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة، فقال: أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق لم تضرك رواه مسلم.

السابعة: ذكر فى كتاب الدعوات للمستغفرى، وشرح المقامات للمسعودى عن أبى الدرداء وأبى ذر - رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ إذا أذاك البرغوث فخذ قدحًا من ماء واقرأ عليه سبع مرات: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٢]، ثم تقول: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١)﴾ [البقرة: ٩١]، فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك فتنام آمنًا من شرها، وقال بعض العلماء: إذا نقع السداب فى ماء ورشه فى بيت ماتت براغيثه وإذا بخر بالمحلب هرب البق وكذلك جلد الجاموس وبزر الجوز وهو الفتائل التى تخرج قبل الورق وإذا بخر البيت بورق الزيتون أو بورق الدباء طرد الذباب وفى جناحه الأيمن شفاء وفى الآخر داء ومثله النحل وما فى معناه فإذا وقع شىء منه فى طعام فأغمس جميعه فيه، ثم الذباب يأكل البق ولولاه لكثر فساد البق وحرق الذباب وخلطه بعسل ينبت الشعر الذى فسد من داء الثعلبة دهنًا وغسل أصول الشعر بماء السلق أو الاستحمام بالماء المالح أو دهن البدن بدهن القرطم أو بالسيرج مع السداب إذا غلى على النار يطرد القمل وهو آفة لا يسلم منا أحد إلا من به جذام قال ابن الجوزى: وذلك من لطف اللَّه تعالى به لأنه عاجز عن قتله وحك جسده لفقد أظفاره وإذا بدأ الجذام والعياذ باللَّه تعالى فليبادر إلى علف دجاجة بحب القرطم اثنى عشر يومًا ثم يأخذ شحمه ويدهن به فإنه يزول بإذن اللَّه، وأكل القرطم ينفع من الرياح وينفع من القولنج والإدهان به يقتل صبيان القمل ثم إن القملة إذا وضعت فى رأس ذكر من حبس بوله خرج سريعًا بإذن اللَّه تعالى، وإذا أرادت الحامل أن تعرف حملها فتحلب شيئًا من حليبها ثم تجعل فيه قملة إن خرجت من الحليب فالحمل أنثى وإلا فذكر، واللَّه أعلم.

الثامنة: عن ابن عباس - رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ قال: **«من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال سبع مرات أسأل اللَّه العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه اللَّه من المرض»** حديث صحيح.

التاسعة: نقل الشيخ عبد العزيز الديرينى عن الخضر عليه السلام أن المريض إذا لم يحضر أجله ودعا بهذا الدعاء صباحًا سبعًا ومساءً سبعًا عافاه اللَّه تعالى: «اللهم لا تشمت أعدائى بدائى واجعل القرآن العظيم شفائى ودوائى فأنا العليل وأنت المداوى».

العاشرة: رؤى الإمام أحمد بن حنبل - رضى اللَّه عنه- فى المنام، فقيل له: ما فعل اللَّه بك قال: غفر لى وألبسنى نعلين من ذهب وقال يا أحمد ادعنى بالدعوات التى كنت تدعونى بها فى

الدنيا، فقلت اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لى كل شيء ولا تسألنى عن شيء فقال يا أحمد قم فادخل الجنة.

الحادية عشرة: قال ابن عباس - رضى اللّه عنه-: قال رجل: يا رسول اللّه هل من الدعاء شيء لا يرد قال: «نعم. تقول أسألك باسمك الأعلى الأعز الأجل الأكرم».

حكاية: قال الحجاج لأنس: هل بين خيلى وخيل رسول اللّه ﷺ فرق؟ فقال: شتان ما بينهما، كانت أبوالها وأرواثها أجرًا وخيلك اتخذتها رياء وسمعه فقال: لو لا كتاب أمير المؤمنين لقتلتك فقال: ما تقدرعلى ذلك لأن النبى ﷺ علمنى دعاء لا أخاف معه سلطانًا ولا شيطانًا ولا سبعًا قال علمه ولدى، قال لا، وهو هذا الدعاء: «**اللّه أكبر اللّه أكبر اللّه أكبر بسم اللّه على نفسى ودينى بسم اللّه على أهلى ومالى بسم اللّه على كل شيء أعطانيه ربى بسم اللّه خير الأسماء بسم اللّه الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم، بسم اللّه افتتح وعلى اللّه توكلت، اللّه ربى لا أشرك به شيئًا، اللهم إنى أسألك من خير الذى لا يعطيه أحد غيرك عز جارك وعز ثناؤك ولا إله غيرك، احفظنى من كل ذى شر خلقته وأحترز بك منه وأقدم بين يدى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾** [الإخلاص: ١-٤]»، «**ومن خلفى مثل ذلك ومن فوقى مثل ذلك**».

فوائد: الأولى: قال ابن عباس - رضى اللّه عنهما-: يجتمع الخضر وإلياس عليهما السلام فى كل عام على عرفات فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم اللّه ما شاء اللّه، بسم اللّه ما شاء لا يسوق الخير إلا اللّه، بسم اللّه ما شاء اللّه، لا يصرف السوء إلا اللّه، بسم اللّه ما شاء اللّه ما كان من نعمة فمن اللّه، بسم اللّه ما شاء اللّه، لا يأتى بالحسنات إلا اللّه، بسم اللّه ما شاء اللّه لا حول ولا قوة إلا باللّه، فمن قالها حفظ من كل آفة وعاهة وعدو وظالم وسلطان وشيطان وحية وعقرب، وما من أحد يقولها يوم عرفة مائة مرة إلا ناداه اللّه تعالى عبدى قد أرضيتنى ورضيت عنك فاسألنى ما شئت وعزتى لأعطينك.

الثانية: لما طرح سيدنا يوسف عليه السلام فى الجب واستوحش جاءه جبريل عليه السلام بهذا الدعاء: اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير ويا سامع كل نجوى ويا حاضر كل بلوى ويا مؤنس كل وحيد ويا صاحب كل غريب لا إله لا أنت، سبحانك إنى كنت من الظالمين أسألك أن تقذف فى قلبى حبك حتى لا يكون لى شغل ولا هم سواك، وأن تجعل لى من أمرى فرجًا ومخرجًا وأنت رحيمى يا أرحم الراحمين وذكر القرطبى فى تفسيره نحو هذا ذكر أنه أقام فى الجب ثلاثة أيام وكان عمره اثنتى عشرة سنة، ولما دخل السجن فى مصر كان عمره ثلاثين سنة قال وهب ومكث يوسف فى السجن سبع سنين، وقيل: أكثر.

الثالثة: قال في الزهر الفاتح: قال بعضهم: كنت أسيراً فى قسطنطينية ببلاد الروم فنذرت إذا خلصنى اللَّه أن أحج ماشيًا فجاءنى طائر إلى حائط السجن، وقال: قل اللهم إنى أسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث والدهور يا من يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار، وما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار يا من يعلم عدد قطر الأمطار وورق الأشجار ولا توارى عنه سماء سماء ولا أرض أرضًا ولا جبال ما فى وعرها، ولا بحار ما فى قعرها أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار ونور القمر وشعاع الشمس ودوى الماء وهفيف الشجر أنت الذى نجيت نوحًا من الغرق وغفرت لدواد ذنبه وكشفت الضر عن أيوب ورددت موسى على أمه وصرفت عن يوسف السوء والفحشاء، وأنت الذى فلقت البحر لموسى حين ضربه لبنى إسرائيل بعصاه فكان كل فرق كالطود العظيم حتى مشى عليه موسى وشيعته وأنت الذى جعلت النار على إبراهيم بردًا وسلامًا وأنت الذى صرفت قلوب سحرة فرعون إلى الإيمان بنبوة موسى، يا شفيق يا رفيق يا جالى الضيق يا ركين الوثيق يا مولاى الحقيق خلصنى من كل كرب وضيق ولا تحملنى ما لا أطيق أنت منقذ الغرقى ومنجى الهلكى وجليس كل غريب وأنيس كل وحيد ومغيث كل مستغيث فرج عنى الساعة فلا صبر لى على حلمك لا إله إلا أنت ليس كمثلك شىء وأنت على كل شىء قدير، لما دعا به الليلة الثانية أرسل اللَّه ملكًا إليه فحمله إلى منزله فحج من سنته ما شيًا فحدث به رجلاً، فقال له من أين لك هذا الدعاء قال حفظته من طائر بقسطينطينية عن طائر ببلاد الروم فقال حدَّثنى أبى عن جدى عن النبىﷺ أنه دعاء الفرج، ورأيت فى شمس المعارف للبونى أن من كتب محمد رسول اللَّه أحمد رسول اللَّه خمسًا وثلاثين مرة رزقه اللَّه قوة على الطاعة ومعرفة على البركة وكفاه همزات الشياطين.

حكاية: قال الغزالى - رضى اللَّه عنه- قال بعض العارفين ظهر لى إبليس فى صورة رجل نحيف البدن باكى العين مقصوم الظهر فقلت له ما الذى أبكاك قال: خروج الحجاج قلت ما الذى أنحل جسمك، قال: صهيل الخيل فى سبيل اللَّه، قلت ما الذى قصم ظهرك قال: قول العبد اللهم إنى أسألك خاتمة الخير.

قال فى مجمع الأحباب: عن وهب بن منبه - رضى اللَّه عنه- لما أهبط آدم استوحش فقال له جبريل ألا أعلمك شيئًا ينفعك اللَّه به قل اللهم تمم النعمة على حتى تهنئنى المعيشة، اللهم اختم لى بخير حتى لا تضرنى ذنوبى اللهم اكفنى مؤنة الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة فى عافية. وقال بشر الحافى- رضى اللَّه عنه- قال جبريل للنبىﷺ: سل ربك تهنئة العيش فقال: اللهم إنى أسألك تهنئة العيش، وقال سهل بن عبد اللَّه- رضى اللَّه عنه-: أجمع العلماء أن تفسير العافية أن لا يكل اللَّه العبد إلى نفسه وقال: لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة قالوا: فما نقول؟ قال: «اسألوا اللَّه العافية فى الدنيا والآخرة» رواه الترمذى وحسنه، وقال النبىﷺ من رأى صاحب بلاء

يقول: **«الحمد للَّه الذى عافانى مما ابتلى به كثير من خلقه وفضلنى على كثير ممن خلق تنضيلاً لم يضره البلاء»** رواه الترمذى عن أبى هريرة وعمر ورواه الطبرانى عن أبى هريرة فقط ورواه ابن ماجه عن ابن عمر، وعن النبى ﷺ تمام النعمة دخول الجنة، وقال على - رضى اللَّه عنه - تمام النعمة الوفاة على الإسلام.

حكاية: مرّ عيسى - عليه السلام - على قرية خراب فدعا اللَّه أن ينطقها له فأنطقها فقالت: ما تريد يا روح اللَّه قال: كم لك خرابَ قالت: أربعة آلاف سنة قال: كم أهلك قالت: كان لهم صنم من ذهب يخدمه كل يوم ألف رجل وكل ليلة ألف امرأة وكان ملكهم يسجد له كل يوم سبع مرات وبالليل كذلك ويقولون لا نعرف ربًا غيره فباتوا فى ليلة عنده فى لهو وطرب فخسف اللَّه بهم الأرض، وسمع النبى ﷺ رجلاً يقول: **«الحمد للَّه على الإسلام»** فقال لقد حمد اللَّه على عظيم وقال رجل يا رسول اللَّه: أى الدعاء أفضل قال: سل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ثم جاء فى اليوم الثانى، فقال له كذلك ثم جاء فى اليوم الثالث فقال إذا أعطيت العفو والعافية فى الدنيا والآخرة فقد أفلحت وعنه ﷺ ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم نسألك المعافاة فى الدنيا والآخرة.

باب: التقوى وفعل الخيرات والكف عن المنكرات

قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقال على - رضى اللَّه عنه - قال النبى ﷺ: «من اتقى اللَّه عاش قويًا وسار فى بلاد اللَّه آمنا» وقال لقمان لابنه: أى الخصال خير قال: الدين قال: فإن كانت اثنتين قال: الدين والمال قال: فإن كانت ثلاثًا قال: الدين والمال والحياة قال: فإن كانت أربعة فزاد حسن الخلق، قال: فإن كانت خمسًا فزاد السخاء قال: فإن كانت ستًا فقال يا نبى اللَّه: إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو يتقى وللَّه ولى ومن الشيطان برى.

لطيفة: كان لقمان - عليه السلام - حكيمًا وأول حكمته أن قال: طول الجلوس على الخلاء يتتخع منه الكبد ويورث الناسور، وقال: ضرب الوالد لولده كالمطر للزرع وسيأتى على هذا زيادة واسم ابنه ثاران قاله النسفى وقال البصرى: ماثان وقيل أنعم وأشكر واقتصر البغوى على الآخرين واللَّه أعلم، وقال النبى ﷺ: **«من ابتلى فصبر وأعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر»** قيل له: فما له يا رسول اللَّه قال: **«أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»**. وقال السرى السقطى - رحمه اللَّه - فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أى على البلاء رجاء السلامة وصابروا على القتال فى سبيل اللَّه والاستقامة ورابطوا لهوى النفس اللوامة اتقوا اللَّه مما يعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة، ورأيت فى تفسير القشيرى اصبروا بنفوسكم وصابروا بقلوبكم ورابطوا بأسراركم.

حكاية: خرج موسى- عليه السلام- يرعى غنمه فانتهى إلى واد كثير الذئاب فأدركه التعب والنوم، فبقى متحيراً إن اشتغل بالغنم عجز عن ذلك من غلبة النوم والتعب وإن نام غارت الذئاب على الغنم فرمق بطرفه إلى السماء، وقال: أحاذ علمك ونفذت إرادتك وسبق تقديرك ثم وضع رأسه ونام فلما استقيظ وجد ذئبًا واضعًا عصاه على عاتقه وهو يرعى الأغنام فتعجب من ذلك، فأوحى اللّه إليه يا موسى كن لى كما أريد أكن لك كما تريد.

حكاية: سمعتها من والدى- رحمه اللّه تعالى- قال: ركب قوم سفينة فى البحر فظهر لهم شخص على وجه الماء وقال: منى كلمة أبيعها بألف دينار فقال: أحدهم هذه الألف دينار فقال: اطرحها فى البحر فطرحها فقال قل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢،٣]، فقالها فقال: احفظها جيداً فلما حفظها انكسر المركب وبقى الرجل على لوح يقرأ هذه الآية فرماه الموج فى جزيرة فوجد فيها امرأة جميلة فسألها عن أمرها فقالت: أنا من بلد كذا وكل يوم يطلع من البحر جنى فى وقت كذا فيراودنى عن نفسى فيحفظنى اللّه منه، فقال: اجعلينى فى مكان أراه ولا يرانى ففعلت فلما طلع الجنى من البحر ورآه قرأ الآية فالتهب ناراً ففرحت المرأة بذلك ثم أخذت المرأة بيد الرجل إلى كهف فيه من الجواهر واللؤلؤ شيء كثير فمرت بهما سفينة فأشارا إليها فقصدهما أهلها وأخذ كل واحد من الجواهر واللؤلؤ ما لا يعلمه إلا اللّه تعالى.

حكاية: رأيت فى كتاب «الفرج بعد الشدة» :أن راهبًا اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة فقال: عالم من المسلمين لا بدّ من قتله خوفًا على المسلمين أن يفتنهم فقصده بسكين مسمومة، فلما طرق بابه قال: اطرح السكين وادخل يا عالم المسلمين، فطرحها ودخل فقال: من أين لك فور المكاشفة قال: بمخالفة النفس فقال: هل لك فى الإسلام قال: نعم أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه فقال: ما حملك على ذلك، قال: عرضت الإسلام على نفسى فأبت فخالفتها وقال النبى ﷺ: لقوم قدموا من الجهاد: قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل ما هو قال: جهاد النفس قال: بعض العلماء سمى يحيى بن زكريا – عليهما السلام-بهذا الاسم دون غيره كما قال اللّه تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم: ٧]، لأنه أحيا نفسه بإتلافها يقال: موت النفس حياتها لأنه منعها من الشهوات فلذلك سماه اللّه تعالى حصوراً، أى لا يأتى النساء مع القدرة وقيل: يتباعد عن المعاصى فناسب أن يكون ذابحًا للموت فى صورة كبش بين الجنة والنار فلما أحيا نفسه بترك الشهوات كان سببًا لحياة أهل الدارين، وإنما جيء بالموت فى صورة كبش لأن عزرائيل – عليه السلام-نزل على آدم فى هذه السورة كما ذكره فى صلاح الأرواح، قال ابن عيينة: أوحش ما يكون ابن آدم فى ثلاث مواطن يوم ولادته ويوم موته ويوم يبعث فلذلك قال يحيى- عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم: ٣٣].

حكاية: قال بعضهم: رأيت امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت: جوارك فقلت: زوجيني نفسك قالت: اخطبني من سيدى وامهرني قال: وما مهرك فقالت: حبس النفس عن الشهوات ذكره في الإحياء، وقال المرعشي - رحمه اللّه تعالى -: كنت في مركب فكسر بنا فوقفت أنا وامرأة على لوح فعطشت المرأة فسألت اللّه أن يسقيها فنزلت علينا سلسلة فيها كوب ماء فنظرت إلى رجل في الهواء فقلت: كيف جلست في الهواء: فقالت: تركت هواى لهواه فأجلسني في الهواء.

حكاية: قال ابن الجوزى: رأيت راهبًا ضعيفًا فقلت له: أنت عليل قال: نعم قلت: منذ كم قال: منذ عرفت نفسي، قلت له: تداو قال: أعياني الدواء ولكن عزمت على الكي، قلت: وما الكي قال: مخالفة الهوى، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ**﴾ [التوبة: ١١١]، ولم يقل قلوبهم لأن النفس معيوبة فاشتراها ليصلحها قال: في عوارف المعارف لما أهبط إبليس إلى الأرض خلق اللّه النفس من التراب الذى تحت أقدامه والقلب من التراب الذى بينهما.

فائدة: قال وهب: الإيمان عريان ولباسه التقوى وريشه الحياء ورأس ماله العفة، وقال السرى السقطي - رضي اللّه عنه -: من تعبد للّه زاده اللّه قوة ونشاطًا وكان عمرو بن عطية يسبح كل يوم أربعمائة ألف تسبيحة وكان الإمام أحمد بن حنبل يصلى الضحى ثلثمائة ركعة، وقال الإمام النورى - رضي اللّه عنه -: في تهذيب الأسماء واللغات مكث محمد بن جرير من أصحاب الشافعي أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة وكتب تفسيرًا على القرآن في ثلاثين ألف ورقة ثم أمر أصحابه بكتابته فقالوا: أنفنى الأعمار قبل تمامه فقال: إنا للّه وإنا إليه راجعون ماتت الهمم ثم اختصره في ثلاثة آلاف ورقة مات - رحمه اللّه تعالى - سنة عشر وثلثمائة، وقال ابن عباس - رضي اللّه عنهما - في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أي أطيعوه حق طاعته وقال مجاهد: أي يطاع فلا يُعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وزعم بعضهم أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]، وخلفه الجمهور، قال الغزالي في منهاج العابدين: التقوى في القرآن ثلاثة تقوى عن الشرك وتقوى عن المعاصي وتقوى عن البدعة فذلك قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا**﴾ [المائدة: ٩٣].

وقال الرازي: قال الأكثرون: الأول عمل الاتقاء والثاني داوم الاتقاء والثالث اتقاء الظلم للعباد مع الإحسان إليهم والآية نزلت في تحريم شرب الخمر فقالوا يا رسول اللّه: إن أقوامًا شربوها يوم أحد ثم قتلوا فبين اللّه تعالى أن لا إثم عليهم لأنهم شربوها قبل التحريم، والطعام اسم مشترك يقع على المأكول والمشروب.

مسـألة: حلف لا يأكل فشرب ماء أو غيره أولا يشرب فأكل طعامًا لم يحنث أو لا يأكل رمانًا أو عنبًا فشرب عصيرهما أو امتصهما ورمى التفل لم يحنث، وكذا لو حلف لا يأكل ثلجًا للشرب ذائبة لا يحنث ولا يحنث من لو حلف لا يشرب الماء فأكل الثلج.

حكاية: كان فى بنى إسرائيل رجل صالح له زوجة صالحة فأوحى اللَّه إلى نبى زمانهما قل للعابد أنى قد قضيت أن نصف عمره يمضى فى الغنى ونصفه فى الفقر، فإن اختار الغنى فى شبابه أغنيناه أو فى كبره فعلناه فاختار الغنى فى كبره لئلا يشتغل بالكسب عن العبادة فى آخر عمره واختارت الزوجة أن يكون الغنى فى صغرها لأنه أقوى لها عن العبادة والكبيرة لا يليق به إلا الزهد الانقطاع إلى ربه فـأوحى اللَّه إلى النبى ﷺ قل لهما لما آثرتما طاعتى واجتهدتما على عبادتى قد قضيت أن جميع عمركما يكون فى الغنى لتحصل لكما الدنيا والآخرة.

حكاية: كانت امرأة صالحة لها زوج يصوغ الحلى ولها رجل سقا يدخل عليها منذ ثلاثين سنة لا ينظر إليها فدخل يومًا وقبض على يدها شديدًا فلما جاء زوجها قالت له: هل وقع منك اليوم ذنب قال: لا غير أن امرأة اشترت منى سوارًا فلما رأيت يدها أعجبتنى، فقبضت على معصمها شديدًا فقالت له قد وقع القصاص فى زوجتك كما فعلت فى زوجة أخيك المسلم كان الغد جاء السقا معتذرًا، فقالت له: لا بأس عليك إنما الفساد من زوجى ويؤيد ذلك قول النبى ﷺ: «**عفوا عن نساء الناس تعف الناس عن نسائكم**».

مواعظ قال: مكحول يهب على أهل النار ريح كريهة فيقولون: يا ربنا ما وجدنا ريحًا أنتن من هذا فيقال لهم: هذا ريح الزناة وفى الحديث من زنا أو شرب الخمر نزع اللَّه منه الإيمان كما ينزع الإنسان القميص من رأسه.

الثانية: قال ابن عباس وأبو هريرة- رضى اللَّه عنهما- قال النبى ﷺ: من زنى بامرأة مسلمة حرة أو أمة فتح اللَّه عليه فى قبره ثلثمائة ألف باب من النار يخرج عليه منها حيات وعقارب، وشهب من النار فهو يعذب إلى يوم القيامة ذكره تحفة الحبيب.

لطيـفة: قال رجل يا رسول اللَّه: ائذن لى فى الزنا فزجره الناس فقال له النبى ﷺ اجلس فـقال له: أتحب الزنا لأمك قال: لا واللَّه قال: أتحبه لابنتك قال: لا واللَّه قال: أتحبه لأختك قال: لا واللَّه أتحبه لعمتك قال: لا واللَّه قال: أتحبه لخالتك قال: لا واللَّه قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يلتفت الشاب إلى شىء بعد ذلك.

الثانية: لما قصد موسى عليه السلام: حرب الجبابرة قال قوم بلعام بن باعوراء: أن موسى معه جنود كثيرة فقال: أجملوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن فى عسكره ليبعن وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها فلو زنى واحد كفيتموهم ففعلوا، فأرسل اللَّه الطاعون على قوم موسى فمات منهم

فى يوم واحد سبعون ألفًا لأن الفاحشة إذا فشت فى قوم فشافيهم الطاعون وإذا نقصوا الكيل والميزان جاءهم القحط وجور السلطان وإذا منعوا الزكاة حبس عنهم المطر قال أبو هريرة- رضى اللّه عنه- : للزانى ست عقوبات ثلاثا فى الدنيا قصر العمر وطول الفقر وذهاب نور الوجه، وثلاث فى الآخرة سخط الرب وشدة الحساب والخلود فى النار أى إن استحله أو يحمل الخلود على الزمان الطويل أو يخرج منها، ورأيت فى صحيح البخارى عن عمرو بن ميمون قال: رأيت قردًا زنى بقردة فرجمهما القرود فرجمتهما معهم، قال الإمام النووى: أن عمرو بن ميمون أدرك جماعة من الصحابة وحج مائة حجة مات سنة خمس وسبعين ورأيت البرماوى فى شرح البخارى أن قردًا نام وجعل تحت رأس قردة فجاء قردًا آخر فأشار إليها فانسلت منه وجاءت إليه فزنى بها ثم جاءت تريد النوم معه فاستيقظ فشمها فعرف أنها زنت فصاح فاجتمعت القرود إليه فرجموها.

مسألتان الأولى: لو مكنت امرأة من نفسها قردًا فعليها التعزيز كرجل وطئ بهيمة إن شهد عليه أربعة بذلك أو أقر ثم إن كانت الدابة مأكولة وجب ذبحها وعليه التفاوت ما بين قيمتها مذبوحة وسليمة مثاله كانت تساوى مائة فلما ذبحت صارت تساوى خمسين مثلاً فيلزمه خمسون وأكلها حلال.

الثانية: بيع صحيح وحكى القرطبى فى سورة الأنعام وجها فى مذهب الشافعى إنه يحل أكله ولم أره فهو غريب منكر، قال ابن عبد السلام: ولا أعلم بين علماء المسلمين خلافًا فى أن القرد لا يؤكل.

فائدة: رأيت فى قوله تعالى: ﴿لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤]، قيل: إنه رأى شخصًا خرج من حائط فكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢]، فتحول يوسف - عليه السلام- إلى الحائط الآخر وإذا بالقلم يكتب ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١)﴾ [الإنفطار: ١٠، ١١]، فتحول إلى الحائط الآخر فكتب ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾[غافر:١٩]، فتحول إلى الحائط فكتب ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)﴾ [المدثر: ٣٨]، فنظر إلى الأرض فكتب ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦)﴾ [طه: ٤٦]، فنظر إلى سقف البيت فرأى جبريل فى صورة يعقوب عاضًا على إصبعه فوقع يوسف مغشيًا عليه من الحياء وقيل رأى الجب الذى كان فيه فقيل له يا يوسف أنسيت هذا وقيل رأى حوراء من الجنة فتعجب من حسنها فقال: لمن أنت فقالت: لمن لا يزنى قال الرازى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤]، هذه الآية من المهمات التى يجب البحث عن تحقيقها فيوسف - عليه السلام-هم بما يليق به من دفعها ومنعها عنه، وهمت بما يليق بها من التوصل إلى مقصودها وقال: غيره همت به أن يصل إليها فى الحرام وهم بها أن يصل إليها بالحلال والبرهان هو هربه منها وفيه فائدتان.

الأولى: «قد القميص من دبر».

الثانية: لو دفعها عنه لتعلقت به ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ الآية [يوسف: ٢٥]، من قبل وربما قتلته ثم قال: وأجود ما يمكن من التأويل أن يقال: اشتهت من اشتهاها لأن المرأة الجميلة إذا تزينت للشاب مال طبعه إليها فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة والفرق بين السوء والفحشاء أن السوء مقمات الزنا كالقبلة واللمس، والفحشاء نفس الفعل وقيل السوء فعله بجهالة فى صغره والفحشاء فى كبره فيوسف - عليه السلام- معصوم فى صغره وكبره وقد شهد اللَّه أنه من عباده المخلصين الذين استثناهم إبليس فيما حكى اللَّه عنه إلا عبادك منهم المخلصين فمن ظن فى هذا الكريم ابن الكريم بما لا يليق بمنصب النبى، فقد خالف إبليس.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت حداداً يأخذ الحديد من النار بيده فلايضره فسألته عن ذلك فقال: كان بجوارى امرأة جميلة فتعلق بها قلبى، ولم أتمكن منها لورعها فحصل فى بعض السنين قحط، فقالت: المرأة أطعمنى شيئًا فقلت حتى تمكنينى من نفسك فقالت لا سبيل لى إلى المعصية فلما كان اليوم الثانى، قالت: أطعمنى شيئًا للَّه فقلت لها كالأول فامتنعت فلما كان اليوم الثالث قالت: أطعمنى شيئًا للَّه فقد أضرنى الجوع فقلت لها: مثل ذلك فدخلت إلى منزلى فجعلت الطعام بين يديها فبكت وقالت: تطعمنى للَّه للَّه فقلت: لا فخرجت فلما كان اليوم الرابع، قالت: أطعمنى شيئًا للَّه فقلت لا فدخلت منزلى فقدمت لها الطعام فتداركنى ربى بلطفه فقلت فى نفسى: هذه امرأة تمتنع من المعصية وأنا لا أنتهى، اللهم أنى أتوب إليك وقلت لها كلى ولا تخافى فإنه للَّه تعالى فقالت: اللهم إن كان صادقًا فحرمه على النار فى الدنيا والآخرة وقد أجاب اللَّه دعاءها، وعن النبى ﷺ: من قدر على امرأة أو جارية حرامًا فتركها مخافة من اللَّه أمنه اللَّه من الفزع الأكبر وحرم عليه النار وأدخله الجنة.

فائدة: رأيت فى زاد المسافر كتابًا نافعًا فى الطب إذا دعك الصمغ ووضع مع بياض البيض على حرق النار برأ أو دق الفحم ووضع فى الشمس مع دهن الورد انتفع به.

فائدة: رأيت فى زاد المسافر من أدوية الملسوع شرب عصارة ورق الآس الأخضر ومن أدويته أيضًا شرب الماء البارد فإن له خاصية فى دفع السموم وأكل الثوم والبصل والكراث، واللَّه أعلم.

فائدة: رأيت فى كتاب العقائق فى قوله تعالى: حكاية عن زليخا وغلقت الأبواب قيل كان بابًا واحدًا فجمعه على سبيل التعظيم كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وهو العدل فجمع الميزان للتعظيم أو باعتبار الموزون فإنه كثير، والميزان واحد بكفتين ولسان كل كفة تسع السموات والأرض كفة من نور عن يمين العرش للحسنات وكفة من ظلمة عن شمال العرش للسيئات توضع فيها صحائف الأعمال من زمرد أخضر كل صحيفة طولها سبعون ذراعًا ولما سأل

داود - عليه السلام- ربه رؤيته ورآه وقع مغشيّا عليه فقال يا رب من يستطيع أن يملأه من الحسنات فأوحى اللّه إليه إذا رضيت عن عبد من عبادى ملأته بثمرة واحدة، وقال النبى ﷺ قال تعالى: يا محمد خمسة تثقل موازين أمتك يوم القيامة شهادة أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه والصلوات الخمس وسبحان اللّه والحمد للّه واللّه أكبر والرابع لا حول ولا قوة إلا باللّه والخامس الاستغفار، يا محمد إنى أجعل بكل حرف من هذه الحروف فى الميزان أثقل من جبل أحد وقال رجل يا رسول اللّه: لا أزيد عن الصلوات الخمس ورمضان وليس لِى مال أتصدق به ولا أحج أين أنا إذا مت قال: فى الجنة قال: معك فتبسم وقال: نعم إن حفظت قلبك من الحسد ولسانك من الكذب وعينك من النظر إلى محارم اللّه وأن لا تزدرى بهما مسلمًا دخلت الجنة معى على راحتى هاتين، وعن النبى ﷺ قال: عائد المريض ومشيع الجنائز وحافر القبور يكونون يوم القيامة فى زمرة الأنبياء، لا يحاسبهم اللّه ولا يحجبهم من الجنة وقال موسى - عليه السلام- يا رب خلقت الخلق وربيتهم بنعمتك ثم تجعلهم يوم القيامة فى النار، فقال يا موسى: ازرع زرعًا فزرعه وحصده ودرسه فأوحى اللّه إليه ما فعلت فى زرعك قال: رفعته قال: هل تركت منه شيئًا قال تركت ما لا خير فيه، قال يا موسى كذلك أدخل النار من لا خير فيه.

فوائد الأولى: عن أنس- رضى اللّه عنه- قال يا رسول اللّه: أرغيف أتصدق به أحب إليك أم مائة ركعة، قال: رغيف تتصدق به أحب إلى من مائتى ركعة تطوعًا قال يا رسول اللّه ترك لقمة من حرام أحب إليك أم ألف ركعة قال: ترك لقمة من حرام أحب إلى من ألفى ركعة تطوعًا قال يا رسول اللّه: ترك الغيبة أحب إليك أم ألف ركعة، قال ترك الغيبة أحب إلى من عشرة آلاف ركعة تطوعًا قال يا رسول اللّه: قضاء حاجة الأرملة أحب إليك أم عشرة آلاف ركعة قال: قضاء حاجة الأرملة أحب إلى من ثلاثين ألف ركعة تطوعًا، قال يا رسول اللّه: الجلوس مع العيال أفضل أم الجلوس فى المسجد قال: جلوس ساعة مع العيال أحب إلى من الاعتكاف فى مسجدى هذا، قال يا رسول اللّه: النفقة على العيال أحب إليك أم النفقة فى سبيل اللّه، قال: درهم تنفقه على العيال أحب إلىَّ من دينار تنفقه فى سبيل اللّه قال يا رسول اللّه: بر الوالدين أحب أليك أم عبادة ألف عام قال يا أنس: جاء الحق وزهق الباطل أى هلك إن الباطل كان زهوقًا بر الوالدين أحب إلىَّ وإلى اللّه من عبادة ألف عام قال أبو ذر يا رسول اللّه أوصنى قال: أوصيك بتقوى اللّه فإنه رأس الأمر كله، فقلت يا رسول اللّه زدنى قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر اللّه فإنه نور لك فى الأرض وذكر لك فى السماء قلت يا رسول اللّه: زدنى قال: إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه، قلت يا رسول اللّه: زدنى قال: قل الحق وإن كان مرا، قلت يا رسول اللّه زدنى قال: لا تخف فى اللّه لومة لائم قلت يا رسول اللّه: زدنى قال: عليك بطول الصمت فإنه مطرد الشيطان وعون لك على أمر دينك، قلت يا رسول اللّه: زدنى قال: عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتى، قال بعضهم الرهبانية: السياحة فى الأرض وكان فى الزمن الأول إذا قوى الخوف على أحدهم ساح فى الأرض ولذا سمى عيسى -

عليه السلام- مسيحًا لسياحته فى الأرض، وقيل: إنه ما مسح ذا عاهة إلا شفاه اللّه وأن الدجال فهو مسيح لأنه يمسح الأرض كلها إلا مكة والمدينة فلا يدخلهما سُمى دجالاً لأن الدجل هوالتمويه والتغطية يقال: رجل دجل وامرأة دجلة إذا موها ودجل الحق أى غطاه بالباطل قلت يا رسول اللّه: زدنى، قال: أحبب المساكين وجالسهم، وسيأتى بيانهم فى باب الزكاة إن شاء اللّه تعالى، قلت يا رسول اللّه: زدنى، قال: انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة اللّه عليك قلت يا رسول اللّه: زدنى قال: «**ليردك عن الناس ما تعلمه فى نفسك وكفى بك عيبًا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك**» رواه ابن حبان فى صحيحه وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

الثانية: قال عبد الرحمن بن سمرة- رضى اللّه عنه- : خرج رسول اللّه ﷺ ذات يوم ونحن فى المسجد فقال: إنى رأيت البارحة رجلاً من أمتى جاءه ملك الموت لقبض روحه، فجاءه بر والديه فرده عنه ورأيت رجلاً من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من بين أيديهم ورأيت رجلاً من أمتى احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من بين أيديهم ورأيت رجلاً من أمتى والنبيون حلقًا حلقًا كلما دنى من حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة وأخذ بيده وأقعده إلى جانبى، ورأيت رجلاً من أمتى أنتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا اللّه ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة.

الثالثة: أن عبد الرحمن بن سمرة راوى الحديث، روى عن النبى ﷺ أربعة عشرًا حديثًا وأبوه صحابى أيضًا روى مائة وثلاثين حديثًا.

لطيفة: قال بعض الصالحين: كنت نائمًا عند قبر النبى ﷺ: فرأيته قد خرج من قبره ومعه صاحباه، فدعا بقرطاس وكتب بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمد رسول اللّه إلى اللّه كتبت ما أنت أعلم به منى إن أمتى قد قرؤوا كتابك وذكروا اسمك وزاروا قبرى رجاء أن تغفر لهم، اللهم اغفر لهم فطارت الصحيفة فبينما نحن كذلك وإذا بصحيفة أخرى قد أقبلت فيها بسم اللّه الرحمن الرحيم من العزيز الحكيم إلى محمد عبدى ورسولى كتبت إلىَّ ما أنا أعلم به منك أن أمتك قد قرؤوا كتابى وذكروا اسمى وزاروا قبرك رجاء أن أغفر لهم قد غفرت لهم.

باب: فضل الصلوات ليلاً ونهاراً ومتعلقاتها

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، قال أنس- رضى اللّه عنه- كان رجل يصلى خمس مع النبى ﷺ ثم لا يدع شيئًا من الفواحش إلا ارتكبه، فأخبروا النبى ﷺ بذلك فقال: إن صلاته تنهاه يومًا فلم يلبث أن تاب وحسن حاله فقال: ألم أقل لكم إن صلاته تنهاه يومًا ذكره الثعلبى.

مسألة: فرضت الصلاة بمكة ليلة المعراج قاله فى الروضة: وأجاب فى الفتاوى بأنها فرضت قبل

الإسراء والصواب الأول قال فى شرح المهذب: من أراد الاستكثار من الصلوات أو الصوم فالصلوات أفضل وصوم يوم أفضل من صلاة ركعتين.

لطيفة: قال نجم الدين النسفى فى تفسيره قالت عائشة- رضى اللّه عنها-: يا رسول اللّه أنت أحسن من يوسف أم هو أحسن منك فقال: هو أحسن منى خَلَقًا وأنا أحسن منه خُلُقًا أى بضم الخاء فنزل جبريل وقال يا محمد: أخبرنى الكريم أن نورك ونور يوسف اقترنا فى صلب آدم فصار الحسن والجمال ليوسف، والصلوات المكتوبة والزكاة المفروضة والسيادة والسعادة والزهد والقناعة والرفعة والشفاعة لك يا محمد.

حكاية: رأيت فى النزهة للنيسابورى: أن رجلاً راود امرأة عن نفسها فأخبرت زوجها بذلك فقال قولى له: صل خلف زوجى أربعين صباحًا حتى أطيعك فيما تريد، فقالت له ففعل ثم دعته إلى نفسها فقال: إنى تبت إلى اللّه عزّ وجل فأخبرت زوجها فقال: صدق اللّه العظيم فى قوله: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

لطيفة: قال العلائى فى تفسير سورة العنكبوت: الصلاة عرش الموحدين فإنه يجتمع فيها ألوان العبادات، كما أن الفرس يجتمع فيه ألوان الطعامات فإذا صلى العبد ركعتين يقول اللّه تعالى: عبدى مع ضعفك أتيت بألوان العبادة قيامًا وركوعًا وسجودًا وقراءة وتهليلاً وتحميداً وتكبيراً وسلامًا، فأنا مع جلالى لا يحصل منى أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة ونعيمها كما عبدتنى بأنواع العبادة وأكرمك برؤيتى كما عرفتنى بالوحدانية، فإنى لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتى فإنى أجد من أعذبه من الكفار وأنت لا تجد إلهًا غيرى يغفر سيئاتك عبدى لك بكل ركعة قصر فى الجنة وحوراء وبكل سجدة نظرة إلى وجهى، وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب عن النبى ﷺ الصلاة مرضاة الرب وحب الملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الإيمان وإجابة الدعاء وقبول الأعمال وبركة فى الرزق وسلاح فى الأعداء، وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت ونور فى قلبه وفراش تحت جنبه وجواب مع منكر ونكير، ومؤنس وزائر معه فى قبره إلى يوم القيامة فإذا كانت القيامة كانت الصلاة ظلاً فوقه وتاجًا على رأسه ولباسًا على بدنه، ونوراً يسعى بين يدى وستراً بينه وبين النار وحجة للمؤمنين وبين يدى رب العالمين وثقلاً فى الميزان وجوازاً على الصراط ومفتاحًا للجنة، لأن الصلاة تحميد، وتسبيح وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء وتمجيد ولأن أفضل الأعمال كلها الصلاة لوقتها.

لما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، غضب اللّه عليهم فأهلك بعضًا وتاب على بعض، منهم منكر ونكير وأمرهم بالوضوء من عين تحت العرش فصلى بهم جبريل ركعتين فهذا أصل الوضوء وصلاة الجماعة وقال عثمان- رضى اللّه عنه-: سمعت النبى ﷺ يقول: «لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» رواه بإسناد حسن وقال ﷺ: «ما من

مسلم يمضمض فاه إلا غفر له كل خطيئة أصابها بلسانه ذلك اليوم ولا يغسل يديه إلا غفر له ما قدمت يداه ذلك اليوم ولا يمسح برأسه إلا كان كيوم ولدته أمه» رواه الطبرانى وقالﷺ: «إذا توضأ المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فإن قعد قعد مغفوراً له» رواه الإمام أحمد والطبرانى.

مســـألة: يستحب أن يصلى بعد الوضوء ركعتين خفيفتين فى أى وقت كان وينوى بهما سنة الوضـوء، وقـال النبىﷺ: **«من توضأ نحو وضوئى هذا ثـم ركع ركعتين لا يحدث نفسه فـيهما إلا بخير، غفر له ما تقدم من ذنبه»**.

وأركـان الـوضـوء: النية عند أول مغسول من الوجه كقوله: نويت فرض الوضوء بقلبه ومع اللسان أفضل، أو استباحة مفتقر إليه كصلاة العيد ولو فى رجب مثلاً ثم غسل الوجه ثم غسل اليدين مع المرفقين ثم مسح القليل من الرأس أو غالبه مع الأذنين عند الإمام أحمد أو كله عند الإمام مالك وأربعة أو ثلاثة أصابع عند أبى حنيفة ثم غسل الرجلين مع الكعبين، ثم الترتيب ويبطله ما خرج من السبيلين إلا النادر كحصاة عند الإمام مالك أو خرج من ثقبة منفتحة تحت معدة وهى المكان المنخفض تحت الصدر من فوقها والسبيلان منسدان خلفه أما إذا انفتح فوقها وهما مسندان لعارض أو تحتها وهما منفتحان فلا يلمسها بباطن كفه فقط وبظاهره أيضًا عند أحمد، واشترط مالك الشهوة وقال أبو حنيفة: لا ينقض مطلقًا ويلمس أجنبية وأن لم تكن شهوة خلافًا لأحمد وقال مالك: إن قصد لمسها ووجد لذة انتقض بلا خلاف وإن فقد فلا خلاف وإن وجد أحدهما انتقض على الراجح قال الإمام: من أكل لحم جزور انتقض وضوؤه وتجب التسمية أول الوضوء عند أحمد لقولهﷺ: **«لا وضوء لمن لم يسـم اللَّه عليه»** فإن تركها عمداً بطل، وقال الأئمة الثلاثة: باستحبابها، قال فى التتار خانية للحنفية يقول: بسم اللَّه العظيم الحمد للَّه على دين الإسلام وفى الروضة بسم اللَّه الحمد للَّه الذى جعل الماء طهوراً وفى طبقات ابن السبكى عن الأستاذ أبى منصور البغدادى: التسمية المسنونة عند غسل الكفين بسم اللَّه وباللَّه وعلى ملة رسول اللَّه، وفى الإحياء بسم اللَّه الخ، وفى شرح المهذب: لو قال بسم اللَّه فقط جعل فضيلة التسمية بلا خلاف، والمضمضة والاستنشاق سنتان لو بوضع الماء فى الأنف والفم وأوجبها الإمام أحمد فى الوضوء والغسل ووافقه أبو حنيفة فى الغسل فقط ويجب إدخال المرفقين والكعبين فى غسل اليد والرجل خلافًا للإمام مالك وزفر صاحب أبى حنيفة، ويستحب أن يستقبل القبلة إذا توضأ وأن لا يتكلم بلا حاجة لما ورد أن فيه تنزل عليه الرحمة إذا توضأ، فإذا تكلم ارتفعت، وقالﷺ: «من توضأ فقال أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وبأن محمداً عبده ورسوله» - قبل أن تتكلم- «غفر اللَّه له ما بين الوضوءين» وأن يقرأ بعده قل هو اللَّه أحد، لأن النبىﷺ أمر على بن أبى طالب- رضى اللَّه عنه- بذلك، وقال: ينادى مناديًا مادح الرحمن قم فادخل الجنة وإن يقرأ أيضًا ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ①﴾[القدر: ١]، عقب وضوئه غفر له ذنوب أربعين سنة.

فإن قيل: كيف خصت هذه الأعضاء الأربعة بالغسل فى الوضوء، قيل: لأن آدم مشى إلى الشجرة برجليه ونظر إليها بعينيه وأخذ منها بيديه ولمس برأسه ورقها، وقيل: لأن العبد إذا غسل وجهه صار فى الآخرة كوجه يوسف وإذا غسل يديه أخذ كتابه بيمينه كما أخذ موسى الألواح بيمينه وكانت بشرة وجهه من زمردة خضراء ووجهه من ياقوتة حمراء، وقال مجاهد: كانت من زبرجدة خضراء وقال النووى: الزمردة بالذال المعجمة، قال القرطبى فى قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، أضاف الكتابة إليه سبحانه وتعالى تشريفًا، والكاتب جبريل بالقلم الذى كتب الذكر استمد من نهرالنور وقوله تعالى: من كل شيء مما يحتاج إليه من دينه وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]، قيل أحسنها الفرائض، والفرائض أحسن من النوافل، وقيل العفو أحسن من القصاص، وقيل الصبر أحسن من الانتصار واللَّه أعلم، وإذا مسح رأسه يوضع عليه تاج العزة كما وضع على سليمان وإذا غسل رجليه ركب النجائب كما ركب محمد البراق، فإن قيل: كيف كان الوضوء بغسل هذه الأعضاء الأربعة والتيمم بمسح الوجه واليدين.

قيل: لأن وضع التراب على الرأس من علامات المعصية والعبد بامتثال أمر سيده من أهل السرور، وقال البلقينى فى الفوائد: على القواعد وفى اختصاص مسح الوجه واليدين بالتراب مناسبة من جهة أن الرجلين ملازمتان للتراب غالبًا. والرأس مستور عنه فلا يناسب مسح الرجلين بالتراب إذا كان يتراكم عليهما التراب فتجتمع الأرساخ بخلاف الوجه واليدين اهـ.

وقيل: خص الوجه بالمسح لأن الخوف عليه فى الآخرة قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠)﴾ [عبس: ٤٠]، وحتى يأخذ كتابه بشماله قال مؤلفه: فإن قيل: ويخاف أيضًا على الرجلين أن تزل على الصراط، فيقال: تطاير الصحف قبل المرور على الصرط فمن أخذ كتابه بيمينه فقد أمن أن تزل قدماه على الصراط، وقيل: إنما خص الوجه واليدين بالتراب لأن اللَّه تعالى نقل العبد من الثقيل إلى الخفيف وهو مسح عضوين فقط ولأن الوضوء أصل والتيمم بدله والبدل يكون أخف من المبدل منه.

مسألة: يقوم مقام غسل الرجلين المسح على الخفين يومًا وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر سفرًا طويلاً فى غير معصية، وقد يجب المسح لمن لبس الخف بشرطه فأحدث وعنده ماء يكفى المسح فقط والمسح أفضل من الغسل لمن يتركه رغبة فى السنة وكان شاكًا فى جوازه، وفى صحيح مسلم: «من رغب عن سنتى فليس منى» وقالﷺ: «من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد» رواه البيهقى.

فائدة: يستحب أن يشرب من فضلة ماء وضوئه وفى زوائد الروضة شرب الماء قائمًا بلا عذر خلاف الأولى، وصرح فى فتاويه بالكراهة وأن يحافظ على الوضوء لما روى فى الخبر يقول اللَّه تعالى: «من أحدث ولم يتوضأ فقد جفانى ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد جفانى ومن أحدث

وتوضأ وصلى ولم يدعنى فقد جفانى، ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين ودعانى ولم استجب له فقد جفوته ولست برب جاف».

حكاية: أرسل عمر بن الخطاب - رضى اللَّه عنه- رسولاً إلى الشام فمر على دير راهب فطرق بابه ففتح له بعد ساعة فسأله عن ذلك فقال: أوحى اللَّه إلى موسى - عليه السلام- إذا خفت سلطانًا فتوضأ وأمر أهلك به فإن من توضأ كان فى أمان مما يخاف فلم أفتح لك حتى توضأنا جميعًا، وفى طبقات ابن السبكى قال اللَّه تعالى يا موسى توضأ فإن أصابك شىء وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك، وقال النبى ﷺ: يا أنس إذا استطعت أن تكون أبدًا على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتبت له شهادة، وقال ﷺ: **«ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم فى صلاته فيعلم ما يقوم إلا خرج كيوم ولدته أمه»** رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

حكاية: كان فى زمن عيسى - عليه السلام-امرأة صالحة فجعلت العجين فى التنور وأحرمت بالصلاة فجاءها الشيطان فى صورة امرأة، وقال: احترق العجين فلم تلتفت إليه فأخذ ولدها وجعله فى التنور فلم تلتفت إليه فدخل زوجها فوجد الولد فى التنور يلعب بالجمر وقد جعله اللَّه عقيقًا أحمر فأخبر عيسى بذلك، فقال: ادعها إلىَّ فدعاها فسألها عن عملها، فقلت: يا روح اللَّه ما أحدثت إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ولا طلب منى أحد حاجة ترضى اللَّه إلا قضيتها له، وأتحمل الأذى من الأحياء كما يتحمل الأموات منهم.

فوائد الأولى: جاء جبريل - عليه السلام- إلى النبى ﷺ ومعه سرير من ذهب قوائمه من فضة مفضضة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد مفروش بالسندس والاستبرق فاستوى على الأرض ببطحاء مكة، فسلم على النبى ﷺ وأقعده على السرير ومعه سبعون ألف ملك فضرب بجناحه الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل وغسل أعضاءه ثلاثًا وتمضمض ثلاثًا واستنشق ثلاثًا ثم قال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأنك محمد رسول اللَّه بعثك بالحق يا محمد قم وافعل كما فعلت ففعل النبى ﷺ مثله، فقال يا محمد: قد غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويغفر اللَّه لمن صنع مثل ما صنعت ذنوبه حديثها وقديمها سرها وعلانيتها عمدها وخطأها وحرم لحمه ودمه على النار.

الثانية: يستحب فى السواك لما فى صحيح البخارى: **«لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء»** ويسن أيضًا للصلاة لقول النبى ﷺ: **«ركعتان بسواك تعدل أربعمائة صلاة بغير سواك، وكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل ويخرج من ذنوبه كما تخرج الشعرة من العجين»** ذكره فى تحفة الحبيب ويسن أيضًا عند تغير الفم والتلاوة وعند الاستيقاظ من النوم ودخول بيته ويبدأ بالجانب الأيمن وينوى به سنة الوضوء، قائلاً نويت سنته وينوى به سنة السواك فيما تقدم غير الوضوء.

الثالثة: رأيت فى الطب النبوى لابن طرحان عن ابن عباس **عن النبى ﷺ: فى السواك عشر خصال يطيب الفم ويشد اللثة وهى لحم الأسنان ويذهب البلغم ويجلو البصر ويزيل الحفر ويصلح المعدة ويوافق السنة ويفرح الملائكة ويرضى الرب ويزيد فى الحسنات**، ورأيت فى الإحياء عن النبى ﷺ قال: «إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها فى الحسنات» ورأيت فى الإحياء عن النبى ﷺ قال: «إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك» وكان ﷺ يأمر بالسواك حتى ظننا أنه ينزل عليه شيء، ورأيت فى صحيح البخارى قال النبى ﷺ: **«لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»** وقال ﷺ: **«إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلى قام الملك خلفه يستمع لقراءته فيدنو حتى يضع فاه على فيه»** رواه البزار.

قال مؤلفه – رحمه اللَّه تعالى– : ومن لا أسنان له يمر بالسواك على موضعهما برفق قياسًا على استحباب إمرار الموس على رأس محرم لا شعر به.

الرابعة: لا تكره الإعانة على الوضوء بإحضار الماء ولا بالصب عند الحاجة بل قد يجب فلو غسل بنفسه بدأ من رؤوس الأصابع وإن صب عليه غيره بدأ من المرفق، قال فى الروضة، : لكنه اختار فى شرح المهذب البدء من الأصابع مطلقًا ونقله عن الإمام والأكثرين، وقال فى المهمات: إن الفتوى عليه وتخليل أصابعه بالتشبيك وتخليل الرجلين بخنصر يده اليسرى ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر رجله اليسرى، وقال النبى ﷺ: «من لم يخلل أصابعه بالماء خللها اللَّه يوم القيامة بالنار» رواه الطبرانى، ويستحب أن تخل لحيته إلا المحرم، قال فى شرح المهذب: والتشبيك نهى عنه فى الصلاة والمسجد وفى طريقه، وقال القرطبى: فى أول البقرة قال النبى ﷺ: **«إذا توضأت فعمدت إلى المسجد فلا تشبكن بين أصابعك فإنك فى صلاة»** ثم قال حديث صحيح، وصحح فى زوائد الروضة: أن الرقبة لا تمسح، واستحبها أبو حنيفة وقال النبى ﷺ: مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة.

الخامسة: جاء فى الحديث عن النبى ﷺ من قال حين يفزغ من وضوئه: اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واغفر لى إنك على كل شيء قدير، وجبت له الجنة، وغفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

السادسة: لو أكره على ترك الوضوء فتيمم نقل الرويانى عن والده أنه لا قضاء عليه.

السابعة: خلق ملكًا تحت العرش له أربعة أوجه بين الوجه والوجه ألف عام الأول ينظر به إلى الجنة ويقول: طوبى لمن دخلك والثانى ينظر به إلى النار، ويقول: ويل لمن دخلك والثالث ينظر به إلى العرش، ويقول: سبحانك ما أعظم شأنك والرابع يخر به ساجدًا، ويقول: سبحان ربى الأعلى وله خمس حركات فى اليوم والليلة عند أوقات الصلاة، فيقال له: أسكن فيقول كيف أسكن وقد جاء وقت فريضتك على أمة محمد ﷺ فقال: أسكن قد غفرت لمن توضأ وصلى من أمة محمد ﷺ

قال ابن عطاء اللَّه : إذا صلى المؤمن صلاة وتقبلها اللَّه منه خلق من صلاته صورة فى الملكوت يركع ويسجد إلى يوم القيامة ويكون ثواب ذلك لمن صلى .

الثامنة: وجه اختصاصها بهذه الأوقات أن فى الظهر تسعر جهنم فمن صلاها فى وقتها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وفى وقت العصر أكل آدم من الشجرة فمن صلاها فى وقتها حرم اللَّه جسده على النار ، وفى وقت المغرب تاب اللَّه على آدم فمن صلاها فى وقتها لم يسأل اللَّه إلا أعطاه ووقت العشاء يشبه ظلمة القبر وظلمة يوم القيامة ، فمن صلاها فى وقتها أو مشى إليها رزقه اللَّه نوراً فى قبره وفى القيامة ، ومن صلى الفجر فى وقتها أعطاه اللَّه براءتين من النار والنفاق .

التاسعة: مرّ عيسى – عليه السلام- على شاطئ البحر فرأى طيراً من نور انغمس فى الطين ثم خرج فاغتسل فعاد إلى حسنه ثم انغمس فى الطين ثم خرج فاغتسل فعاد إلى حسنه ، وهكذا خمس مرات فتعجب من ذلك فقال جبريل يا عيسى إن الطير جعله اللَّه مثلاً لمن صلى الخمس من أمة محمد ﷺ فالطين كالذنوب والاغتسال فى البحر كفعل الصلوات الخمس .

مواعظ: **أنزل اللَّه تعالى فى بعض كتبه :** تارك الصلاة ملعون وجاره إن رضى ملعون ولولا أنى حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره ملعون إلى يوم القيامة ، وفى الحديث : أن جبريل وميكائيل قالا إن اللَّه تعالى قال : «**من ترك الصلاة فهو ملعون فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان**» وفى حاوى القلوب الطاهرة ذكر النبى ﷺ الصلاة يومًا فقال : «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهانًا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبى بن خلف فى أسفل الدركات**» رواه الإمام أحمد وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم رؤوس الكفر فمن ترك الصلاة لتجارته فهو مع أبى بن خلف ومن تركها لماله فهو مع قارون ومن شغلته عنها رياسة فهو مع هامان وفى السمر قندى قال رجل فى الزمن الأول لإبليس : أحب أن أكون مثلك قال : أترك الصلاة ولا تحلف صادقًا ، ورأيت فى التتار خانية للحنفية : أن من له زوجة لا تصلى فليطلقها وإن عجز عن صداقها ، فإنه إذا لقى اللَّه وفى ذمته مهرها أحب من أن يطأ امرأة لا تصلى ، ورأيت فى طبقات ابن السبكى : أن ابن البارزى أفتى بوجوب ضرب الرجل زوجته على ترك الصلاة ، وقال فى الروضة : يجب على الآباء والأمهات أن يعلموا الصبى الطهارة والصلاة والشرائع لسبع سنين والضرب لعشر سنين .

مسألة: حلف رجل بالطلاق أنه لا يدخل على زوجته إلا فى يوم مشؤوم فسأل جماعة من العلماء عن ذلك فأجابوه بوقوع الطلاق لأن الأيام كلها مباركة ، ثم سأل الشيخ عبد العزيز الديرينى فقال : هل صليت اليوم الصبح ، قال : لا قال فادخل عليها فإنه يوم مشؤوم عليك .

فائدة: قال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا** ﴾[آل عمران: ٢٠٠] ، على صلاة الصبح ﴿ **وَصَابِرُوا** ﴾ على صلاة الظهر ﴿ **وَرَابِطُوا** ﴾ على صلاة العصر ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ فى

صلاة المغرب ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، بصلاة العشاء وفى الحديث تقول الملائكة: لتارك صلاة الفجر يا فاجر ولتارك صلاة الظهر يا خاسر ولتارك صلاة العصر يا عاصى ولتارك صلاة المغرب يا كافر ولتارك صلاة العشاء يا مضيع ضيعك اللَّه.

فـائدة: رأيت فى النزهة للنيسابورى- رحمه اللَّه- : أن آدم - عليه السلام- هبط ليلاً فلما طلع الفجر ركع ركعتين شكرًا للَّه تعالى على خروجه من الظلمة إلى النور وإبراهيم - عليه السلام- اجتمع عليه أربع هموم الذبح وهم الفداء وأداء الأمر والغربة فلما أنقذه اللَّه من ذلك ركع أربع ركعات بعد الزوال شكرًا للَّه ويونس - عليه السلام- اجتمع عليه أربع ظلمات ظلمة الغضب منه على قومه وظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، وقيل إن الحوت كان فى بطن حوت آخر فلما أخرجه اللَّه من ذلك وقت العصر ركع أربع ركعات وعيسى - عليه السلام- ركع ركعتين شكرًا للَّه تعالى على نفى الآلوهية عنه وأمه ركعت ركعة شكرًا للَّه على إثباتها للَّه تعالى وموسى عليه السلام: صلى أربع ركعات شكرًا للَّه تعالى على خروجه من أربع هموم هم الضلالة عن الطريق وهم غنمه لما هربت وهم السفر وهم زوجته لما أخذها الطلق.

مسألة: لو صلى ثم أخبره جمع كثير بأنه صلى ناقصًا لم تجب عليه الإعادة ولو طاف فأخبروه بأنه ما كمل طوافه رجع إلى قولهم لأن الزيادة فى الطواف لا تبطله قال الرافعى فى الحج: فإن قيل كيف أعاد النبى ﷺ الصلاة لما أخبره ذو اليدين بأنه صلى ناقصًا، فالجواب أنه ﷺ تذكر بعدما أخبره.

مـوعظة: رأيت فى النزهة للنيسابورى أيضًا: أن بعض الأكابر ركب البحر فرأى السمك يأكل بعضه بعضًا فتوهم أن القحط وقع فى البحر فهتف به هاتف أنه قد شرب من البحر المالح تارك الصلاة، فلما علم ملوحته قذفه من فمه.

حكـاية: مرّ عيسى- عليه السلام- على قرية كثيرة الأشجار والأنهار فأكرمه أهلها فتعجب من حسن طاعتهم ثم مرّ عليها بعد ذلك بثلاث سنين فرأى الأشجار يابسة والأنهار ناشفة وهى خاوية على عروشها فتعجب من ذلك فأوحى اللَّه إليه قد مرّ على القرية رجل تارك الصلاة فغسل وجهه من عينها فنشفت العين ويبست الأشجار وخرجت القرية، يا عيسى لما كان ترك الصلاة سببًا لهدم الدين كان سببًا لخراب الدنيا.

لـطائـف الأولـى: أول من سجد لآدم سجود تحية إسرافيل قاله القرطبى: فى التذكرة واسمه بالعربية عبد الرحمن فأكرمه اللَّه تعالى بأن كتب القرآن بين عينيه فهذا بسجدة واحدة لمخلوق فكيف بمن يسجد للَّه تعالى سجدات عبادة أفلا تكتب المعرفة والإيمان فى قلبه فإذا سجد يقول الشيطان يا ويلاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فلم أسجد فلى النار.

الثانية: قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، أظهر الضمير ليصح عطف

أملاً آخر عليه وهو زوجك، لأن المعطوف لابدّ له من معطوف عليه فلا يجوز أن تقول اسكن وزوجك نظيره اذهب أنت وربك مع أن الفاعل مستتر وجوبًا بعد فعل الأمر المفرد المذكر فإظهار الضمير هنا للمعنى الذى تقدم، قال النووى فى باب إبليس فى تهذيب الأسماء واللغات: واختلف العلماء فى أنه من الملائكة أم ليس من الملائكة، والصحيح أنه من الملائكة لأنه لم ينقل أن غير الملائكة أمر بالسجود لآدم، والأصل فى المستثنى أن يكون من جنس المستثنى منه، وأما إنظاره إلى يوم الدين فزيادة فى عقوبته وتكثير معاصيه اهـ كلام النووى، وقال الكشاف: إنظاره اختبار للعناد بمخالفته فإن فيها أعظم الثواب، قال الرازى قوله تعالى: ﴿إلاَّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، وهم طائفة من الملائكة يحجبون عن أبصار الملائكة وقيل: الملائكة كلهم سموا بذلك لاجتنابهم أى لاستتارهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ [الصافات: ١٥٨]، وهم الملائكة نسبًا والأكثرون أن جميع الملائكة أمروا بالسجود قال بعضهم ملائكة: الأرض فقط، قال فى الكشاف: لما أكل آدم وحواء من الشجرة بدت لهما سوآتهما وكانا لا يرينها قبل الأكل وبعد الأكل لم يرها أحد غيرهما، قال وهب: كان لبسهما قبل الأكل نور قال ابن جبير: كان من أحسن الأظفار.

الثالثة: لما طأطأ ابن آدم رأسه بالسجود أكرمه اللَّه تعالى بأن رفع الطعام إليه بخلاف البهائم.

الرابعة: الحكمة فى أن السجود مرتان والركوع مرة واحدة قيل: لأن الملائكة لما سجدوا لآدم رفعوا رؤوسهم وجدوا إبليس لم يسجد فعلموا أن اللَّه خذله فسجدوا مرة أخرى شكرًا للَّه إذ لم يخذلهم، وقيل: لأن النبى ﷺ كان مؤتمًا بجبريل فرفع رأسه من السجود فرأى جبريل بعد فى السجود فسجد ثانيًا.

مسألة: لو زاد فى صلاته ركوعًا أو سجودًا عمدًا بطلت إن كان منفردًا، وأما المأموم إذا رفع رأسه ولو عمدًا من الركوع أو السجود قبل إمامه فيستحب له العود، وقيل: لأن السجود أحب إلى اللَّه قال النبى ﷺ: ما تقرب العبد إلى اللَّه بشىء أفضل من سجود خفى وقال النبى ﷺ: **«ما من مسلم يسجد للَّه سجدة إلا رفعه اللَّه بها درجة وحط عنه بها خطيئة»** وقيل: لأن الانحطاط بعد الرفع من الركوع أيضًا ليزول الأشكال ويرتفع السؤال.

الخامسة: إذا قال العبد فى سجوده سبحان ربى الأعلى فيقول اللَّه تعالى: وأنت الأعلى يا عبدى قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

السادسة: من فضائل السجود أنه يعدل عبادة مائة ألف وعشرين ألف عام، وذلك لأن إبليس عبد اللَّه تعالى وهو خازن الجنة أربعين ألف عام وكان يعلم الملائكة أربعين ألف عام وجاهد فى الأرض أربعين ألف عام فلما ترك سجدة واحدة لآدم ردّ اللَّه عليه عبادته. وقال رجل يا سول اللَّه: ادع اللَّه أن يجعلنى من أهل شفاعتك ويرزقنى مرافقتك فى الجنة قال: عليك بكثرة السجود. وقال

ﷺ: من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفى رواية لم يسأل اللّه شيئًا إلا أعطاه.

السابعة: إذا كان يوم القيامة يبعث الناس من قبورهم فتأتى الملائكة إلى المؤمنين فيمسحون التراب عن رؤوسهم فيبقى على جباههم فتمسحه الملائكة فلا يذهب فينادى مناد دعوه فإنه تراب محاريبهم لا تراب قبورهم ليعرفوا فى الجنة أنهم خدامى.

مسألة: يكره مسح التراب عن جبهة المصلى لقول النبى ﷺ: «لغلام كان إذا سجد مسح التراب ترب اللّه وجهك» نعم رأيت فى المنتخب من الحلية عن أنس- رضى اللّه عنه- أن النبى ﷺ كان إذا سلم من صلاته مسح جبهته بيده اليمنى، ويقول: بسم اللّه الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم اللهم أذهب عنى الهم والحزن.

بشارة: إذا كان يوم القيامة يأتى قوم فيقفون على الصراط يبكون فيقال لهم: جوزوا على الصراط فيقولون: نخاف من النار فيقول جبريل- عليه السلام-: وكيف كنتم تمرون على البحر فيقولون: بالسفن فيؤتى بمساجد كان يصلون فيها كالسفن فيركبونها ويمرون على الصراط وعن أنس- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ قال: تحشر مساجد الدنيا كأنها بخت بيض قوائمها من العنبر وأعناقها من الزعفران رؤوسها من المسك وأزمتها من الزبرجد والمؤذنون يقودونها والأئمة يسوقونها والمحافظون على الصلاة يتبعونها فيرتعون فى عرصات القيامة فتقول أهلها: هؤلاء ملائكة مقربون أو أنبياء مرسلون فيقال: هؤلاء الذين حافظوا على صلاة الجماعة من أمة محمدﷺ.

فائدة: جاء فى الخبر أن المؤذنين إذا أتو الصراط يجدون عليه نجائب من نور مسرجة من الياقوت والزبرجد فتطير بهم على الصراط ويشفع كل واحد فى أربعين ألف ويمر فى نور المؤذن ألف رجل وألف امرأة وسيأتى إن شاء اللّه تعالى حديث عظيم فى فضل الأذان فى باب فضل الأئمة، وفى الحديث: لويعلم الناس ما فى التأذين لاقتتلوا عليه بالسيوف، قال ابن حجر- رحمه اللّه-: الخبر والحديث مترادفان أى بمعنى واحد. قيل: الحديث ما كان عن النبى ﷺ والخبر ما كان عن غيره. وعن جابر ابن عبد اللّه عن النبى ﷺ قال: المؤذنون المحتسبون يخرجون من قبورهم وهم يؤذنون وأول من يكسى يوم القيامة من كسوة الجنة محمد ثم الخليل ثم الرسل ثم الأنبياء، ثم المؤذنون المحتسبون فتتلقاهم الملائكة بنجائب من ياقوت أحمر يشيع كل واحد سبعون ألف ملك من قبره إلى المحشر، وقال النبى ﷺ: «يد الرحمن فوق رأس المؤذن وإنه ليغفر له مدى صوته أين بلغ» رواه الطبرانى، وعن النبى ﷺ: إذا قال المؤذن: اللّه أكبر فتحت له أبواب السماء، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه تزينت له أبكار الجنة، فإذا قال: أشهد أن محمداً رسول اللّه، قالت الملائكة: ارفع حاجتك إلى اللّه تعالى فإن اللّه تعالى يقضى لك الحوائج.

لطيفة: من أذن فى منامه وقت الحج حج أو فى غير وقت الصلاة يخشى عليه الخصومة، وإذا

أذنت المرأة مرضت، وقال رجل لا بن سيرين: رأيت فى المنام كأنى أختم على أفواه الرجال وفرج النساء قال: أنت المؤذن فى رمضان قبل الفجر وتمنع الناس من الأكل والجماع.

فائدة: كان لرسول الله ﷺ أربعة من المؤذنين بلال بن رباح واسم أمه حمامة وهو أول من أذن فى الإسلام مات بدمشق سنة عشرين، وأما بلال بن الحارث الصحابى مات بالبصرة سنة ستين. الثانى ابن أم مكتوم وعمه عمر وعند الأكثرين كان يؤذن بالمدينة الثالث سعد بن عائذ بالذال المعجمة وكان مولى عمار بن ياسر، ويقال: سعد بن القرظ - بفتح القاف الذى يدبغ به الجلود لأنه كان كلما اتجر فى شىء خسر فيه فلازم التجارة فيه كان يؤذن بقباء الرابع أبو محذورة، قيل: اسمه سليمان، وقيل: جابر وقيل: سمرة بن معير بميم مكسورة ثم عين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة ثم راء، والله أعلم.

مسائل الأولى: لو أذن الكافر حكم بإسلامه إن لم يكن عيسويًا وهم طائفة من اليهود ينتسبون إلى عيسى بن يعقوب اليهودى يعتقدون أن النبى ﷺ أرسل إلى العرب فقط، ورسالته ﷺ إلى كل مكلف فلا يصح الإسلام إلا باعتقاد عموم رسالته إلى كل مكلف قال الله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ①﴾ [الفرقان: ١].

الثانية: يستحب الأذان فى أذن المولود اليمنى والإقامة فى اليسرى، وعند انتشار الجن ويعرف ذلك بكثرة الصرع ولا يستحب للنساء فإن أذنت لم تزد فى رفع صوتها على سماع صاحبها أو سماع نفسها فإن زادت حرم، وقيل لا يحرم كالتلبية نعم لا يستحب لها الجهر بها ولا الخنثى أيضًا وتستحب الإقامة لهن وللواحدة أيضًا والأذان حتى للوقت فلا يصح فى غيره إلا الصبح فمن نصف الليل وشرط المؤذن الإسلام والتميز والذكورة، ويكره للمحدث الشروع فيه فلو أحدث فيه أتمه بلا كراهة.

الثالثة: لو كبر المبلغ بقصد التبليغ قال الرافعى والثورى: بطلت صلاته والصواب وهو حاصل كلام الحاوى الصغير أنها لا تبطل، وبه جزم الحموى فى شرح الوسيط ويستحب الجمع بين الأذان والإقامة بأن يكون المؤذن إمامًا قاله الماوردى: فإن اقتصر على أحدهما، فالأذان أفضل ورأيت فى شرح المهذب لو رفع الإمام صوته بالتكبير ليسمع المأمومين صحت صلاته بلا خلاف.

فوائد، الأولى: فى الترغيب والترهيب أن النبى ﷺ قام بين الرجال والنساء وقال يا معشر النساء: إذا سمعتم أذان هذا الحبشى وإقامته فقلن مثل ما يقول فإن لكن بكل حرف ألف ألف درجة، فقال عمر - رضى الله عنه - : هذا للنساء فما للرجال قال ضعفان يا عمر: ويستحب أن يجيب على كل كلمة على حدة بعد الفراغ منها بمثلها إلا فى قوله: حى على الصلاة حى على الفلاح أى هلموا إلى الصلاة تفلحوا، فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كما فى صحيح مسلم.

الثانية: قال النبى ﷺ من سمع المنادى بالصلاة فقال مرحبًا بالقائلين عدلاً مرحبًا بالصلاة أهلاً وسهلاً كتب اللَّه له ألفى ألف حسنة ومحا عنه ألفى ألف سيئة ورفع له ألف درجة، قال المحب الطبرى: قوله مرحبًا أى أتيت سعة والرحب المكان الواسع وأهلاً أى فلا تستوحشوا.

الثالثة: قال جابر بن عبد اللَّه: قال النبى ﷺ : «**من قال حين ينادى المنادى: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد وارض عنى رضا لا سخط بعده استجاب اللَّه دعاءه**»، وقال أنس- رضى اللَّه عنه- قال النبى ﷺ إذا أذن المؤذن تزينت الحور العين فإذا قام وقال قد قامت الصلاة فقال العبد اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد وآل محمد وزوجنى من الحور العين قلن آمين، وإذا لم يقل قال بعضهن لبعض: ارجعن فليس له فينا حاجة.

الرابعة: إذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين إلى الجنة فيأتى أول زمرة كالشمس فتقول الملائكة من أنتم؟ قالوا: نحن المحافظون على الصلاة قالوا: كيف كانت محافظتكم على الصلاة قالوا: كنا نسمع الأذان ونحن فى المسجد ثم تأتى زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر، فتقول الملائكة من أنتم؟ قالوا: نحن المحافظون على الصلاة قالوا: كيف كانت محافظتكم على الصلاة قالوا: كنا نتوضأ قبل الوقت ثم نحضر مع سماع الأذان، ثم تأتى زمرة أخرى كالكواكب فتقول الملائكة من أنتم؟ قالوا: نحن المحافظون على الصلاة قالوا: كيف كانت محافظتكم على الصلاة قالوا كنا نتوضأ بعد الأذان.

الخامسة: اعلم أن الأذان والإقامة سنتان، وقيل: فرض كفاية، وقال الأوزاعى وعطاء ومجاهد: الإقامة واجبة فمن تركها بطلت صلاته وعليه الإعادة حكاه القرطبى فى تفسير أول سورة البقرة، وقال أحمد بن بشار من أصحاب الوجوه من أصحاب الشافعى بوجوب الأذان فى الجمعة فقط كما قاله ابن خيران والاصطخرى وفى طبقات ابن السبكى من أذن وأقام الصلاة فى فضاء الأرض ثم حلف صلى فى جماعة لم يحنث لقول النبى ﷺ: «إن الملائكة تصلى خلفه»؛ ووافقه الوالد، يعنى العلامة تقى الدين السبكى- رضى اللَّه عنه.

السادسة: عن أبى هريرة- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «**المشاؤون إلى المساجد فى الظلم أولئك الخواضون فى رحمة اللَّه تعالى**» وقيل فى قوله تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ**﴾ [فاطر:٣٢]، هو الذى يدخل بعد قيام الصلاة والمقتصد من يدخل بعد الأذان والسابق من يدخل قبله، وقال عمر بن عبد العزيز فى قوله تعالى: ﴿**أَضَاعُوا الصَّلَاةَ**﴾ [مريم: ٥٩]، أى أضاعوا مواقيتها، وقال النبى ﷺ: أول الوقت رضوان اللَّه ووسط الوقت رحمة اللَّه وآخر الوقت عفو اللَّه، وعنه ﷺ: لا تسلموا على يهود أمتى قيل: من هم قال من يسمع الأذان ولا يحضر قال كعب الأحبار فى قوله تعالى: ﴿**كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)**﴾ [القلم: ٤٣]، أى من المرض فنزلت فى الذين يتركون صلاة الجمعة.

السابعة: قال ابن عباس – رضى اللّه عنهما – من دخل المسجد أو موضعًا يريد الصلاة فيه فقدم رجله اليمنى فقال بسم اللّه والصلاة والسلام على رسول اللّه ﷺ والسلام على ملائكة اللّه ولا حول ولا قوة إلا باللّه كتب اللّه له عبادة ألف رجل كل رجل يعيش ألف عام، وفى الحديث أنه ﷺ كان إذا دخل المسجد قال أعوذ باللّه العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، وقال فإذا قال قال الشيطان : عصم منى سائر اليوم. قال ﷺ: «إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس اللعين واجتمعت كما يجتمع النحل على يعسوبها فإذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل اللهم: إنى أعوذ بك من إبليس وجنوده، فإنه إذا قالها لم يضره قاله فى الأذكار. ويعسوب النحل ذكوره وكان النبى ﷺ إذا دخل المسجد قال بسم اللّه اللهم صل على محمد وإذا خرج قال: بسم اللّه اللهم صل على محمد. قاله فى الأذكار أيضًا.

الثامنة: قال الزبير بن العوام – رضى اللّه عنه – وعن أمه صفية بنت عبد المطلب قال النبى ﷺ: «ما من رجل يدعوا بهذا الدعاء فى أول ليله أو نهاره إلا عصمه اللّه من إبليس وجنوده بسم اللّه ذى الشأن عظيم البرهان شديد السلطان ما شاء اللّه كان أعوذ باللّه من الشيطان»، وتقدم دعاء ولده عروة – رضى اللّه عنهما – فى أذكار الصباح والمساء.

التاسعة: الزبير بن العوام هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفًا فى سبيل اللّه أسلم قديمًا فى أوائل الإسلام وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل ابن ثمان سنين وولده عروة أحد الفقهاء السبعة الآتى ذكرهم فى باب فضل العلم، قال ابن شهاب كان عروة بَحْرًا لا يدرك. وكان من أعيان التابعين مات سنة تسع وتسعين.

العاشرة: قال ابن عباس – رضى اللّه عنهما – كان النبى ﷺ إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) ﴾ [الجن: ١٨]، اللهم إنى عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور أسألك برحمتك أن تفك رقبتى من النار وإذا خرج قدم رجله اليسرى وقال: اللهم صب على الخير صبًا ولا تنزع عنى صالح ما أعطيتنى ولا تجعل لى الدنيا كدرًا رواه القرطبى فى سورة الجن.

الحادية عشرة: عن أبى ذر عن النبى ﷺ قال: «يا أبا ذر إن اللّه يعطيك ما دمت جالسًا فى المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة فى الجنة وتصلى عليك الملائكة ويكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات وتمحى عنك عشر سيئات» قال ابن بطال فى شرح البخارى الحدث فى المسجد خطيئة يحرم بها المحدث استغفار الملائكة ودعاءهم المرجو بركته وهو عقاب له بما آذاهم من الرائحة الخبيثة بخلاف النخامة فإنها – وإن كانت حرامًا – فلها كفارة وهى دفنها فمن أراد الفضيلة التامة فليمكث فى المسجد متطهرًا، وإن جوز العلماء – رضى الله عنهم – جوز اعتكاف المحدث.

الثانية عشرة: تحية المسجد سنة مؤكدة، وإن كان الخطيب على المنبر يوم الجمعة لأن سليكًا

بضم السين المهملة وفتح اللام دخل المسجد والنبى ﷺ على المنبر فجلس فقال: «يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما» أى خففهما، تقرأ فى الأولى قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الإخلاص، وإن دخل المسجد بعد العصر بغير قصد التحية فليصلها وفى الأوقات المكروهة بعد الصبح حتى تطلع الشمس وعند طلوعها حتى ترتفع قدر رمح وعند الاستواء إلا فى يوم الجمعة وبعد العصر.

الثالثة: عن ابن عمر: أن رجلاً قال يا نبى اللّه أى البقاع خير وأى البقاع شر، قال لا أدرى حتى أسأل جبريل فسأله فقال لا أدرى حتى أسأل ميكائيل فجاء فقال خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق، وقال النبى ﷺ لجبريل أى البقاع خير قال لا أدرى قال فاسأل ربك عن ذلك فبكى، وقال يا محمد ولنا أن نسأله هو الذى يخبرنا بما يشاء فعرج إلى السماء ثم أتاه، فقال خير البقاع بيوت اللّه فى الأرض فقال أى البقاع شر فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال شر البقاع الأسواق رأيت فى المصابيح للبغوى: قال جبريل إنى دنوت من اللّه دنوا ما دنوت منه قط، قال كيف كان بينى وبينه سبعون ألف حجاب من نور؟ فقال: شر البقاع أسواقها وخير البقاع مساجدها.

الرابعة عشرة: كان النبى ﷺ يخرج إلى الأسواق ويشترى لعياله حاجتهم فسئل عن ذلك فقال أخبرنى جبريل أن من سعى على عياله ليكفيهم عن الناس فهو فى سبيل اللّه وأراد رجل أن يحمل معه فقال ﷺ صاحب الشىء أحق بحمله وقال ﷺ الأسواق موائد اللّه وذكر فى الإحياء لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه، وقال على- رضى اللّه عنه- قال النبى ﷺ «إذا دخلت السوق فقل بسم اللّه وباللّه أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه يقول اللّه تعالى عبدى هذا ذكرنى والناس غافلون أشهدكم إنى قد غفرت له»، قال النبى ﷺ «ذاكر اللّه فى السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة» وقد تقدم فى فضل الذكر زيادة وقال النبى ﷺ «لرجل إذا دخلت السوق فقل اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها» وقال ﷺ «السوق دار سهو وغفلة فمن سبح اللّه فيها تسبيحة كتب اللّه له بها ألف ألف حسنة».

الخامسة عشرة: عن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- عن النبى ﷺ قال: «إن اللّه إذا أحب عبداً جعله قيم مسجد وإذا أبغض عبداً جعله قيم حمام» وعن أنس عن النبى ﷺ قال: «من أحب اللّه فليحبنى ومن أحبنى فليحب أصحابى ومن أحب أصحابى فليحب القرآن ومن أحب القرآن فليحب المساجد» فإن المساجد أفنية اللّه تعالى وأبنيته، أذن اللّه برفعها وتطهيرها وبارك فيها فهى ميمونة ميمون أهلها محبوبة محبوب أهلها فهم فى صلاتهم واللّه فى حاجتهم وهم فى مساجدهم واللّه فى نجح مقاصدهم قوله ﷻ أذن اللّه برفعها، قيل: فى البنيان، وقيل: يرفع شأنهم بالتعظيم والاحترام، وقيل: بغلقها آخر الصلاة.

مسألة: لو وضع حنطة فى المسجد مثلاً لزمه أجرة البقعة التى فيها الحنطة فإن أغلقه لزمه أجرة المسجد ثم تصرف فى مصالحه.

السادسة عشرة: عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «الضحك فى المسجد ظلمة فى القبر» وعنه ﷺ لكل شىء قمامة وقمامة المسجد لا واللّه وبلى واللّه، ومن أخرج من المسجد كفًا من تراب كان ثوابه فى الميزان كجبل أحد وفى حديث آخر من أخرج من المسجد أذى بنى اللّه له بيتًا فى الجنة، قال فى الإحياء: قال النبى ﷺ «الحديث فى المسجد تأكل الحسنات كما يأكل البهيمة الحشيش».

السابعة عشرة: رأيت فى تفسير القرطبى فى سورة النور عن النبى ﷺ من أسرج فى المسجد سراجًا لم تزل الملائكة وحملة العرش يصلون عليه ويستغفرون له ما دام ذلك الضوء فيه، وإن نفد أى مهر الحور العين كنفس غبار المسجد، وقال النبى ﷺ: لتميم الدارى لما علق القناديل فى المسجد نورت الإسلام: «نور اللّه عليك فى الدنيا والآخرة لو كانت لى بنت لزوجتكها»، فقال رجل: يا رسول اللّه أنا أزوجه ابنتى فزوجه إياها قال النووى وهو أول من قص على الناس وأول من أسرج فى المسجد وروى ثمانية عشر حديثًا.

الثامنة عشرة: يجوز الجلوس فيه لأكل وشرب ونوم وحجامة فى إناء ومريد إسماع ذكر، ويكره بيع فيه وشراء قال الإمام أحمد لرجل يبيع فى المسجد اذهب إلى أسواق الدنيا فهذا سوق الآخرة، قال ابن العماد والأكل فى المسجد جازت إباحته ما لم يلوث أو يأكل من البصل وسئل النبى ﷺ عن الدنيا فقال سوق الآخرة حكاه الرازى فى تفسير أول سورة البقرة، ويكره أيضًا قضاء الدين فى المسجد وسؤال وإنشاد ضالة ويمنع السكران من دخوله لا كافر عقد أبى حنيفة ووافقه الشافعى إلا فى المسجد الحرام ويحرم بول فيه ولو فى إناء وقال ﷺ: **«من بنى للّه مسجداً بنى اللّه له بيتًا فى الجنة»** ولم يقل عشراً لأن الحسنة بعشر أمثالها.

فالجواب: أن الحسنات بعضها أعظم من بعض وهذا البيت أعظم من عشر بيوت فى الدنيا قاله ابن العماد فى كشف الأسرار وقال أيضًا فى تسهيل المقاصيد له أن اللّه تعالى بنى لكل واحد من الشركاء فى المسجد بيتًا فى الجنة كما إذا اشتركوا فى عتق رقبة يعتقون من النار.

حكاية: كان فى بنى إسرائيل امرأة صالحة محافظة على الصلاة فى وقتها ولها زوج كافر فنهاها عن ذلك فلم تطعه فأودعها مالاً ثم سرقه وألقاه فى البحر فابتلعته سمكة فأخذها صياد وباعها لزوج المرأة فأخذتها لتصلحها فوجدت الصرة التى فيها المال فى جوفها فوضعتها فى مكانها، ثم طلب منها المال فدفعته إليه فتعجب من ذلك فأوقدت المرأة تنوراً لتخبز فيه العجين فرماها الكافر فيه، فقالت: يا واحد يا أحد ليس لى على النار جلد فخمدت النار بإذن اللّه وسيأتى حكم من اشترى سمكة فوجد فيها جوهرة هل يكون للبائع أو له فى باب بر الوالدين.

حكاية: ذكر السمرقندى: أن إبليس صاح عند نزول الصلاة فاجتمع إليه جنوده فأخبرهم بذلك فقالوا ما الحيلة قال اشغلوهم عن مواقيتها فإن الرحمة تنزل أول وقتها قالوا: فإن لم نستطع، قال إذا دخل أحدهم فى الصلاة فليقم حوله أربعة منكم واحد عن يمينه فيقول انظر إلى يمينك وواحد عن

شماله فيقول انظر إلى شمالك وآخر فوقه فيقول انظر فوقك وآخر تحته فيقول انظر تحتك عجل هجل، فإن لم يفعل كتبت له هذه الصلاة أربعمائة صلاة.

فـــائدة: عن عيسى - عليه السلام- طول القيام يعنى فى الصلاة أمان على الصراط، وطول السجود أمان من عذاب القبر، وعن النبى ﷺ من طول القيام خفف الله عنه القيام وفى بعض الآثار طول القيام فى الصلاة يهون سكرات الموت وعنه ﷺ أطيلوا السجود بين يدى الله، فإن الله يحب أن يرى عبده ساجدًا بين يديه، وسئل ابن عباس عن ثواب طول السجدة فقال: الخلود فى الجنة كما أن من سجد لصنم سجدة يكون مخلدًا فى النار.

حكـاية: خرج بعض العباد بالبصرة يشترى حطبًا فوجد صرة مكتوبًا عليها فيها مائة دينار فسمع إقامة الصلاة فبادر إلى الجامع وترك الصرة فخرج إلى السوق فاشترى حزمه حطب، فلما نفضها فى داره وجد الصرة فيها فقال اللهم كما لم تنس عبدك من رزقك فلا تجعله ينساك فى أوقات الصلاة، ذكره اليافعى فى رياض الرياحين.

فـائدة: لم يحتلم نبى قط، وأما قول من قال: إن آدم - عليه السلام- احتلم فوقعت جنابته على أرض فخلق الله منها يأجوج ومأجوج فقد ضعفه القرطبى فى التذكرة، وقال النووى- رحمه الله- فى الفتاوى: يأجوج ومأجوج من أولاد آدم وحواء عند جماهير العلماء، والله أعلم.

فوائد: الأولى: عن أبى هريرة- رضى الله عنه- عن النبى ﷺ من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح إلى المسجد فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا رواه أبو داود والنسائى والحاكم.

الثانية: قالت عائشة- رضى الله عنها- قال النبى ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف**» رواه أبو داود وابن ماجه وعنه ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**» قال يا رسول الله وعلى الثانى» قال: «وعلى الثانى» قال ﷺ: «**لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله تعالى فى النار**» رواه أبو داود وقال ﷺ: «من وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله».

الثالثة: رأيت فى شرح المهذب: لو دخل الجامع والإمام فى الصلاة وعلم أنه إن مشى إلى الصف الأول فاتته ركعة وإن صلى فى آخر المسجد أدرك الصلاة بكمالها قال النووى لم أر فى المسألة نقص، والظاهر أنه يمشى إلى الصف الأول إلا أن يخاف فوات الركعة الأخيرة.

الرابعة: ورد فى الصحيحين من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما- : صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وفيهما من حديث أبى هريرة بخمس وعشرين، قال البرماوى فى شرح البخارى أما رواية السبع والعشرين لأن فرائض اليوم والليلة سبع عشرة ركعة والرواتب عشرة وهى ركعتان قبل الصبح وركعتان قبل الظهر وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد

العشاء فضوعف أجر الجماعة بهذا الاعتبار ورواية الخمس والعشرين، لأن الفرائض خمس فتضربها فى نفسها فبلغ خمسة وعشرين.

الخامسة: قال رجل: يا رسول اللّه رأيت فى المنام كأن فى إحدى يدى عشرين ديناراً وفى الأخرى أربعة فسقطت العشرون من يدى وزلفت الأربعة فقال هل صليت العشاء فى الجماعة قال لا، قال الساقطة من يدك فضل الجماعة وقد فاتتك والأربعة التى صليت فى بيتك لم تقبل منك ذكره النسفى فى كتابه زهرة الرياض وعند الإمام أحمد: من صلى واحدة مع القدرة على الجماعة تصح صلاته ويحرم عليه وفى قول: لا تصح.

السادسة: من فوائد صلاة الجماعة أن المياه القليلة، إذا اجتمعت لا تحمل نجاسة كما فى قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ [الجمعة: ٥]، أى لم يقبلوا حكمها، والماء الكثير قلتان وهما مائة وثمانية أرطال بالدمشقى وثلث عند الرافعى وعند النووى مائة وسبعة أرطال وسبع رطل وهو المراد بقول النبى ﷺ: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث» أى فلا يتنجس إلا بالتغير من طعم أو لون أو ريح فإن كان وقع فيه نجس فيقدر مخالفًا للماء فى أغلظ الصفات مثاله وقع فى ماء كثير قطرة بول فيقدر اللون بالحبر والطعم بالخل مثلاً وفى الرائحة بالمسك، ويكتفى بذلك بأدنى تغير.

السابعة: جاء فى الحديث عن النبى ﷺ قال: «خلق اللّه مدينة فى الجنة يقال لها مدينة الجلال، وفيها قصر يقال له قصر العظمة، وفيه بيت يقال له بيت الرحمة، وفيه أربعة آلاف سرير وأربعة آلاف حوراء، وفيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» قيل يا رسول اللّه لمن هذا قال: «لمن صلى الصلوات الخمس فى الجماعة».

الثامنة: قال النبى ﷺ: **«ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة قوم شهدوا الصبح ثم جلسوا يذكرون اللّه تعالى حتى طلعت الشمس أولئك أسرع غنيمة»** وقال النيسابورى التكبيرة الأولى من صلاة الصبح مع الجماعة خير من الدنيا وما فيها وفى الطبرانى عن النبى ﷺ: **«من توضأ ثم أتى المسجد وصلى ركعتين قبل الفجر ثم جلس حتى يصلى الفجر كتبت صلاته يومئذ فى صلاة الأبرار وكتب فى وفد الرحمن»** وقال ابن عباس - رضى اللّه عنهما - خلق اللّه تعالى نهراً فى الجنة يقال له الأفيح حافتاه اللؤلؤ والجوهر عليه حوريات خلقن من الزعفران يُسبحن اللّه تعالى بسبعين ألف صوت طيب ويقولون: نحن لمن صلى الفجر فى الجماعة.

التاسعة: الجماعة فى الصبح أفضل ثم العشاء ثم العصر قاله فى الروضة، أما الصبح والعشاء فكما ورد فى الحديث من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام الليل أى مع النصف الذى حصل له بصلاة العشاء، وأما العصر فقد ذكر الغزالى أن من صلاها فى جماعة كان له ثواب حجة، ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة.

قال مؤلفه: إنما قوبلت صلاة العصر بثواب حجة والله أعلم، لأن فاعلها لم تنته متعلقاته من الدنيا لبقاء النهار فإعراضه عن الدنيا وإقباله على الصلاة أمر اختيارى منه فقوبل بثواب حجة.

العـاشرة: كـان النبى ﷺ يقول فى سنة الصبح وهو جالس: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد ﷺ أعوذ بك من النار» وقالت أم سلمة- رضى الله عنها- كان النبى ﷺ يقول: «إذا صليت الصبح تقول ثلاثًا سبحان الله العظيم وبحمده تعافى من العمى والجذام والفالج» رواه الإمام أحمد.

الحادية عشرة: لو كانت الجماعة فى بيت أكثر من المسجد فالمسجد أولى قاله الماوردى وهذا تقدم، وخالفه القاضى أبو الطيب، ولو دخل جماعة المسجد فوجد الإمام فى التشهد الأخير قال الرافعى: يصلون جماعة لأنفسهم، وقال القاضى حسين: يقتدون به لأنهم يصيرون أكثر جمعًا، والظاهر أنه المعتمد قال فى الروضة: الصلاة فى بيته جماعة أفضل من صلاته وحده فى المسجد وسيأتى أن فعلها فى أول الوقت فى جمع قليل أفضل من فعلها آخر الوقت فى جمع كثير.

حكاية: أخذ اللصوص لأبى بكر الصديق- رضى الله عنه- أربعمائة بعير وأربعين عبدًا فدخل النبى ﷺ فرآه حزينًا فسأله فأخبره فقال ظننت أنه فاتتك تكبيرة الإحرام، فقال يا رسول الله وفواتها أشد قال ومن ملء الأرض جمالاً، وفى الخبر: من فاته تكبيرة الإحرام فقد فاتته تسعمائة وتسع وتسعون نعجة فى الجنة قرونها من ذهب ذكره النيسابورى.

قال مؤلفه: والحكمة فى تخصيص هذا العدد والله أعلم أن الجلالة أربعة أحرف ولفظة أكبر، كذلك والنقطة التى تحت الباء أقيمت بحرف لما فيها من السر، لأنه ورد كل ما فى الكتب فهو فى القرآن وكل ما فى القرآن فهو فى الفاتحة وكل مما فى الفاتحة فهو فى البسملة وكل ما فى البسملة فهو الباء وكل ما فى الباء فهو فى النقطة التى تحت الباء قاله نجم الدين النسفى فى معانى الكتب فى القرآن ومعانى القرآن فى الفاتحة والبسملة ومعانى البسملة فى الباء ومعناها بى كان ما كان، وبى يكون، ما يكون فصارت الجملة تسعة أحرف لكل حرف مائة تبقى تسعة وتسعون لكل حرف أيضًا أحد عشر، وحروف الجلالة بالبسط أحد عشر قال محمد بن الحسن أبى حنيفة عن حماد عن إبراهيم النخعى عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى ﷺ «ما من أحد تفوته تكبيرة الإحرام عن صلاة الجماعة إلا قدم يوم القيامة تداومه تكون عليه أشد منهم الموت أربعين ألف مرة ومن فزع القيامة أربعين ألف مرة لما يرى من الكرامة حافظ عليها».

مسألة: تنعقد الصلاة عند أبى حنيفة بكل اسم يدل على التعظيم أو الأعظم بغير أكبر.

فـائدة: قال عيسى - عليه السلام-لإبليس أقسمت عليك بالحى القيوم ما الذى يقصم ظهرك فضرب بنفسه الأرض وقال: لولا الحى القيوم لما أخبرتك: صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة.

حكاية: قال إبراهيم بن أدهم: يا رب أرنى رفيقى فى الجنة، فقيل له فى منامه إنها امرأة سوداء اسمها سلامة فى مكان كذا ترعى الغنم فهى زوجتك فى الجنة، فلما سار إليها سلم عليها قالت وعليك السلام يا إبراهيم، قال: من أخبرك إنى إبراهيم قالت له الذى أخبرك إنى زوجتك فى الجنة، فقال: يا سلامة عظينى قالت عليك بقيام الليل فإنه يوصل العبد إلى ربه وإن كنت تدعى محبته فالنوم عليك حرام، وقيل: أوحى إلى داود كذب من ادعى محبتى حتى إذا جن الليل نام عنى وإذا جن الليل بظلامه يقول اللَّه تعالى: «يا جبريل حرك أشجار المعاملة فإذا حركها قامت القلوب على باب المحبوب» ولقد أحسن القائل:

ببابك عبد من عبيدك مذنب ... كثير الخطايا جاء يسألك العفوا

فأنزل عليه الصبر يا من بفضله ... على قوم موسى أنزل المن والسلوى

وقال الفضل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كثرت خطاياك، وقال الحسن- رضى اللَّه عنه- : إن الرجل ليحرم قيام الليل بذنب وقع منه. وقال سفيان الثورى: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب واحد، قيل ما هو؟ قال: رأيت رجلاً يبكى فقلت هذا مراء، ولقد أحسن القائل حيث قال:

أرانى بعيد الدار لا أقرب الحمى ... وقد نصبت للساهرين خيام

علامة طردى طول ليلى نائم ... وغيرى يرى أن المنام حرام

فائدة: أوحى اللَّه إلى بعض الصديقين: أن لى عبادًا يحبونى وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكرونى وأذكرهم، قال يا رب ما علامتهم قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا أجنهم الليل يعنى سترهم واختلط الظلام وفرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلى بإنعامى، فمنهم صارخ وباك ومتأوه وشاك، ومنهم قائم وقاعد وراكع وساجد، فأول ما أعطيهم ثلاث خصال:

الأولى: أن أقذف فى قلوبهم من نورى.

الثانية: لو كانت السماوات والأرض فى موازينهم لاستقللها لهم.

الثالثة: أقبل بوجهى الكريم عليهم؛ أفترى من أقبلت عليه بوجهى ما يعلم أحد ما أريد أن أعطيه.

وقال بعض العارفين: إن اللَّه يطلع على قلوب المستيقظين وقت السحر فيملأها نورًا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم إلى قلوب الغافلين، قال أبو يزيد البسطامى: قمت ليلة أصلى فتذكرت أهل الغفلة من النائمين فكوشفت بأن الرحمة تنزل عليهم كالقائمين فتعجبت من

ذلك فهتف بى هاتف يا أبا يزيد هؤلاء ذكروا عذابى فقاموا وهؤلاء طمعوا فى رحمتى فناموا. ولما كان صغيراً فى المكتب وصل إلى سورة المزمل قال لأبيه من هذا الذى أمره اللّه بقيام الليل، فقال: يا بنى هو محمد ﷺ قال فلم لا نفعل كما فعل محمد ﷺ قال ذاك أمر شرف اللّه به محمداً فلما قرأ: ﴿ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: ٢٠]، قال يا أبت من هؤلاء قال أصحاب محمد فقال يا أبت ولم لا نفعل كما فعل أصحابه، فقال، يا بنى قواهم اللّه على قيام الليل، فقال: يا أبت لا خير فيمن لا يقتدى بمحمد وأصحابه فصار أبوه يصلى الليل، فقال يا أبت علمنى صلاة الليل قال: يا بنى أنت صغير، فقال: إذا جمع اللّه الخلائق يوم القيامة وأمر بأصحاب قيام الليل إلى الجنة أقول: يا رب أردت الصلاة بالليل فمنعنى أبى، قال: يا بنى قم الليل.

لطيفة: ذكر نجم الدين النسفى فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① ﴾ [المدثر: ١]، أمره فى هذه السورة بالقيام بالنهار يدعو الناس للعبادة وفى سورة المزمل أمره بقيام الليل كأنه تعالى يقول: اجعل نهارك فى الشفقة على الخلق، واجعل ليلك فى خدمة الحق، فقم النهار منذراً ليقبل المدبرون بدعوتك، وقم بالليل مصليًا لينجو المذنبون بشفاعتك.

فـائدة: قال ابن عباس: من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات ساجداً للّه وقائماً. عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى ﷺ من انتبه من منامه، فقال: سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر نظر اللّه إليه فإن توضأ غفر له فإن صلى أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① ﴾ [الإخلاص: ١]، إحدى عشرة مرة غفر اللّه له البتة، قال عكرمة واللّه الذى لا إله إلا هو لقد سمعته من ابن عباس، وقال واللّه الذى لا إله إلا هو لقد سمعته من رسول اللّه ﷺ وقال واللّه الذى لا إله إلا هو سمعته من جبريل وقال جبريل واللّه الذى لا إله إلا هو لقد قال اللّه ذلك، وعن النبى ﷺ «ومن أحب أن يحفظ اللّه إيمانه يوم القيامة فليصل كل ليلة ركعتين بعد سنة المغرب يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو اللّه أحد ست مرات والمعوذتين مرة»، قال كعب الأحبار: إن اللّه يباهى الملائكة بمن يصلى بين المغرب والعشاء؛ وفى الإحياء: إذا صلى العبد ركعتين عجبت منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف ملك، لأن الراكعين منهم لا يسجدون إلى يوم القيامة والساجدين لا يرفعون والقائمين لا يركعون إلى يوم القيامة. وعن أبى بكر- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ: **«من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم أسكنه اللّه حظيرة القدس»**، قلت: فإن صلى أربعًا قال: كمن حج حجة، قلت: فإن صلى ستّا، قال: يغفر اللّه له ذنوب خمسين سنة.

فـائدة: ذكر فى عوارف المعارف: أن النبى ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦]، فقال: هى الصلاة بين العشاءين، وقال النبى ﷺ: «من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر» رواه الطبرانى، وقال ﷺ: «من عكف نفسه بين

المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقًا على اللَّه أن يبنى له قصرين فى الجنة، مسيرة كل قصر منهما مائة عام، ويغرس له بينهما غراسًا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم».

حكاية: قال عبد الواحد بن زيد- رضى اللَّه عنه- : كنت فى مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة فرأينا رجلاً يعبد صنمًا فقلنا له: ما هذا؟ إله يعبد وعندنا من يصنع مثله، قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: إلهًا فى السماء عرشه وفى الأرض بطشه، قال: من أخبركم به؟ قلنا: أرسل إلينا رسولاً فأخبرنا به، قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: قبضه بعد ذلك، قال: فهل ترك عندكم من علامة؟ قلنا: ترك عندنا كتاب الملك، قال: فائتونى به، فأتيناه بالمصحف وقرأنا عليه سورة الرحمن، فلم يزل يبكى حتى ختمنا السورة، وقال: ما ينبغى لصاحب هذا الكلام أن يُعْصَى فأسلم وحسن إسلامه وعلمناه شرائع الإسلام فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا، فقال: يا قوم هذا الإله الذى دللتمونى عليه أينام؟ قلنا: هو حى قيوم لا ينام، قال: بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فلما خرجنا من البحر ودخلنا عبادان أردنا أن نعطيه دراهم فقال: لا إله إلا اللَّه دللتمونى على طريق ولم تسلكوها أنا كنت أعبد غيره فلا يضيعنى، فكيف يضيعنى وأنا الآن أعرفه، فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل: إنه فى النزع فدخلت عليه وقلت: هل من حاجة قال: قضى حوائجى الذى أخرجنى من الجزيرة؛ فنمت عنده فرأيت جارية فى قبة روضة خضراء وهى تقول: اللَّه عجلوا به فقد طال شوقى إليه فاستيقظت وقد مات فدفنته فرأيته فى المنام فى تلك القبة وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

حكاية: كان بعض الصالحين يقوم الليل فنام ليلة، فقيل له: قم فصل أما علمت مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل وهم خزنتها.

فائدة: فى الترغيب والترهيب: عن النبى ﷺ صلاة فى مسجدى هذا تعدل بعشرة آلاف صلاة، وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة، وصلاة بأرض الرباط بألفى ألف صلاة، وأكثر من ذلك كله ركعتان يركعها العبد فى جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند اللَّه، وعن أبى مسعود عن النبى ﷺ من قرأ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [آل عمران: ١٨]، الآية فى التطوع بعد العشاء يقول اللَّه تعالى يوم القيامة يا ملائكتى إن لعبدى عندى عهدًا وأنا أولى بوفاء العهد أدخلوه الجنة فنعم الأمين رب العزة، قال فى الإحياء: يستحب أن يقول بعد التسليم من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالعزة والبقاء وقهرت العباد بالموت، وسيأتى فى مناقب فاطمة أن من سجد سجدتين بعد الوتر لم يرفع رأسه حتى يغفر اللَّه له إن شاء اللَّه تعالى. قال فى فردوس العارفين: قال ابن سيرين: لو خيرت بين الجنة وبين ركعتين لاخترت الركعتين لأن فيهما محبة اللَّه ورضاه وفى الجنة محبة النفس ورضاها.

قال النبى ﷺ: «من توضأ ثم أتى المسجد وصلى ركعتين قبل الفجر ثم جلس حتى يصلى الفجر

كتبت صلاته فى صلاة الأبرار وكتب فى وفد الرحمن» وعن أبى هريرة- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «إن اللَّه يبغض كل جعظرى خواض صخاب فى الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة» قال أهل اللغة: الجعظرى: الغليظ الشديد، والخواض، الأكول والصخاب العياط، وقالت أم سليمان عليه السلام: يا نبى اللَّه لا تكثر من النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة، وقال ﷺ: «عليكم بصلاة الليل ولو ركعتين».

مسألة: الصلاة فى نصف الليل الثانى أفضل من الأول، والثالث الأوسط أفضل من الأول والآخر، ويسن التهجد ويكره قيام كل الليل دائمًا قال فى العوارف أوحى اللَّه تعالى إلى داود عليه السلام: «لا تقم أول الليل ولا آخره ولكن قم وسطه حتى تخلو بى وأخلو بك».

فائدة: قال النبى ﷺ «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم ومكفر السيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد» وسأل داود جبريل - عليهما السلام- أى الليل أفضل؟ قال: لا أدرى لأن العرش يهتز وقت السحر أى وهو ما بين الفجر الكاذب والصادق، وقال أبو ذر: يستبشر اللَّه تعالى بمن قام من الليل وترك فراشه ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فيقول اللَّه تعالى ما حمل عبدى على ما صنع فيقولون: ربنا أنت أعلم، فيقول أنا أعلم ولكن أخبرونى فيقولون: رجوته فرجاك وخوفته شيئًا فخافه، فيقول: أشهدكم أنى قد أمنته مما يخاف وأوجبت له ما رجاه.

قال مؤلفه: فمن شق عليه قيام الليل فليفعل ما رواه أنس بن مالك- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ «من صلى صلاة المغرب فى جماعة وصلى بعدها ركعتين من غير أن يتكلم فى شىء من الدنيا يقرأ الفاتحة مرة وآية الكرسى مرة وقل هو اللَّه أحد خمسة عشر مرة بنى اللَّه له ألف مدينة من الدر والياقوت فى جنات عدن» قال الإمام النووى فى الأذكار: اعلم أنه ينبغى لمن بلغه شىء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة ليكون من أهله، وفى الحديث: «ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير من الدنيا وما فيها»، وفى حديث آخر: «إذا قام العبد يصلى فى آخر الليل يقول اللَّه تعالى: أليس قد جعلت لكم الليل لباسًا والنوم ثباتًا أى راحة، فقام عبدى يصلى يعلم أن له ربًا انظروا ماذا يطلب عبدى فيقولون يطلب رضاك ومغفرتك فيقول: أشهدكم أنى غفرت له».

فوائد: الأولى: عن معروف الكرخى بسنده إلى ابن عباس من قال عند منامه: اللهم لا تأمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تكشف عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين، اللهم أيقظنا فى أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك لتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا، بعث اللَّه إليه ملكًا فى أحب الساعات إليه فيوقظه، فإن لم يقم كتب اللَّه له ثواب أولئك الملائكة، وإن قام ودعا استجيب له، قال فى العوارف: فإن لم يقم تعبدت الملائكة فى الهواء ويكتب له ثواب عبادتهم، وقال معروف الكرخى: من قال حين يستيقظ من الليل: سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله

إلا اللَّه واللَّه أكبر أستغفر اللَّه، اللهم إنى أسألك من فضلك ورحمتك فإنهما بيدك ولا يملكهما أحد سواك، قال اللَّه تعالى لجبريل وهو موكل بقضاء حوائج العباد يا جبريل اقض حاجة عبدى.

الثانية: قال النبى ﷺ من قال- إذا آوى إلى فراشه: - الحمد للَّه الذى علا فقهر وبطن فجبر وملك فقدر، الحمد للَّه الذى يحى ويميت وهو على كل شىء قدير خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» رواه الطبرانى وقال النبى ﷺ من قال- إذا آوى إلى فراشه-: «الحمد للَّه الذى كفانى وآوانى الحمد للَّه الذى من على فأفضل فقد حمد اللَّه بجميع محامد الخلق كلهم» وقدمنا أذكار الصباح والمساء.

الرابعة: قال رجل: شكوت إلى النبى ﷺاليرقان فقال: «**قل: اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، يا حى يا قيوم اهد لى ليلى وأنم عينى**» فقلتها فأذهب اللَّه عنى ما أجد. وشكا رجل كثرة النوم إلى النبى ﷺ فقال: احمد اللَّه على العافية.

الخامسة: قال الأطباء: النوم يغور الروح إلى داخل البدن فتبرد الظاهر فلذلك يحتاج النائم إلى غطاء، ونور النهار مضر للبدن ويفسد اللون ويكسل ويورث الأمراض، إلا فى الهاجرة. قال فى الإحياء: وهو لمن يقوم الليل كالسحور للصائم، وقالت عائشة- رضى اللَّه عنها- : من نام بعد العصر فزال عقله فلا يلومن إلا نفسه.

السادسة: رأيت فى التتار خانية للحنفية، النائم كاليقظان فى مسائل فأردت التنبيه على ما وافقه الشافعى فيها أو خالفه.

منهـــا: لو نام فى الصلاة وتكلم فسدت صلاته، وخالفه الشافعى إن كان ممكنًا مقعدته من الأرض بأن نام فى التشهد ولا تبطل بكلام اليقظان الناسى إذا كان الكلام يسيرًا حتى لو قال رجل: بعتك مثلاً يا فلان دابتى بكذا، فقال: وهو فى الصلاة قبلت أو اشتريت صح البيع والصلاة.

ومنها: ولو قرأ آية سجدة فسمعه يقظان لزمه أن يسجد ويلزم إن أخبره بها، وخالفه الشافعى فلا يشرع السجود عنده فى قراءة اليقظان فى مسائل كالجنب وإن سقط الحنث على من حلف أن قرأ فقرأ جنبًا وكالسكران والمجنون ولا من قرأ آية سجدة فى صلاة الجنازة أو غيرها فى غير محل القراءة ويسجد لقراءة الكافر والصبى والمرأة.

ومنها: إذا نام من أول النهار إلى آخره يلزمه قضاء الصلاة، ووافقه الشافعى.

ومنها: إذا تيمم ومر على ماء وهو نائم بطل تيممه، وخالفه الشافعى.

ومنها: إذا وقع فى فم الصائم النائم ثلج مثلاً بطل صومه، وخالفه الشافعى وزفر أيضًا.

ومنها: لو نام فى عرفات أدرك الحج، ووافقه الشافعى.

ومنهـا: إذا نام المحرم وحلق رجل رأسه فعلى النائم الفدية، وخالفه الشافعى بل تكون على الحالق.

ومنهـا: إذا نامت المحرمة وجامعها زوجها لزمتها الكفارة، وخالفه الشافعى كما لو أكرهها وكفارة الجماع ولو بهيمة بعير دخل فى السنة الثانية يذبحه بالحرم الشريف ويفرقه على مساكينه، ولو لثلاثة لا اثنان مع القدرة على ثالث وسيأتى فى الحج زيادة.

ومنها: لو خلا بامرأة عند نائم لم تصح الخلوة بمعنى أنه لا يلزمه مهرها وإن خلت به وهو نائم صحت الخلوة ويلزمه الصداق، قال الشافعى: لا يجب الصداق إلا بوطء أو موت.

ومنها: لو حلف لا يكلمه فرآه نائمًا فقال: قم يا نائم حنث على الصحيح ووافقه الشافعى، إلا إذا علق طلاقها بكلامها فكلمته نائمًا تطلق.

ومنهـا: لو طلقها رجعيّا ثم لمسها أو لمسته بشهوة والملموس نائم حصلت الرجعة وخالفه الشافعى فلا يكتفى باللمس ولا الوطء فى اليقظة أيضًا، كما سيأتى فى مناقب حفصة- رضى اللَّه عنها.

ومنهـا: لو حمل رجل نائمًا فوضعه تحت جدار يسقط عليه ضمان، ووافقه الشافعى إلا أن يكون النائم عبدًا فيضمنه بالاستيلاء.

ومنها: لو انقلب النائم على مال فأبلغه ضمنه، ووافقه الشافعى، وقال فى الروضة: لو أدخلت المطلقة ثلاثًا ذكر نائم حصل التحليل ولو رضعت زوجته الصغيرة من زوجته الكبيرة وهى نائمة فلا غرم عليها ولا مهر للصغيرة وينفسخ، ولو حلف ألا يدخل دارًا فانقلب إليها وهو نائم لم يحنث ولا تحل زكاة نائم ولو قلب السارق نائمًا عن ثوبه فأخذه لم يقطع، ولو لمست يد نائم فرج آدمى أو أجنبية بطل وضوؤه، وسيأتى فى باب الأمانة أن اللامس والملموس ينتقض وضوؤهما بخلاف الماس، فإنه ينتقض وضوؤه دون الملموس، وفى قواعد الزركشى: النائم يعطى حكم المستيقظ فى صور منها بقاؤها على الولاية بخلاف المجذوم والمغمى عليه.

ومنها: صحة وضوئه ولو استغرق جميع النهار.

ومنها: أنه لا يسقط قضاء الصلاة بخلاف الإغماء ولو رأى نائمًا أو من يريد النوم وقد جاء وقت الصلاة وهو لا يعلم فينبغى أن يعلمه لئلا يفوته فإن لم يعلمه حتى نام فخرج الوقت فلا حرج لأن الصلاة تفوت ولا يأثم به لقوله ﷺ: **«لا تفريط فى النوم، وإنما التفريط فى اليقظة»**، قال النووى: إذا نام قبل الوقت واستمر حتى خاف خروجه استحب إيقاظه، قال الزركشى: وأما النوم بعد دخول الوقت فإنه يجوز إذا علم أنه يستيقظ قبل خروجه، واللَّه أعلم.

السابعة: جاء رجل يشكو الوحشة للنبى ﷺ فقال: **«أكثر من قول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت»** فقالها الرجل فذهب عنه الوحشة وأخبر خالد بن الوليد- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ بأهاويل يراها فى الليل، فقال له: ألا أعلمك

كلمات تقولهن ثلاث مرات حتى يذهب اللّه عنك ذلك قال بلى، قال: «**قل أعوذ بكلمات اللّه التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» فقالت عائشة- رضى اللّه عنها-: فبعد ثلاث ليال قال خالد: يا رسول اللّه قسمت بكلماتى ثلاث مرات حتى أذهب اللّه عنى ما أجد فلا أُبالى إن دخلت علىَّ الأسد بليل.

الثامنة: أوحى اللّه تعالى إلى موسى: أتحب أن تدعو لك الجبال الراسية قال: نعم، قال: لا تدع صلاة الضحى وعن أنس- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «من صلى ركعتى الضحى يقرأ فى الركعة الأولى الفاتحة وآية الكرسى عشر مرات، وفى الثانية الفاتحة وقل هو اللّه أحد إحدى عشرة مرة استوجب رضوان اللّه الأكبر» وذكر الشيخ عبد القادر الكيلانى فى الفتية عن النبى ﷺ صلوا الضحى بالشمس وضحاها وسورة الضحى.

لطيفة: قيل: الضحى الجنة والليل جهنم، وقيل: الضحى اليوم الذى كلم اللّه فيه موسى والليل ليلة المعراج، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧]، أى وجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها قاله الطبرى، وقيل: وجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها، وقيل: وجد قومك ضلالاً فهداك إلى إرشادهم وقيل: ضالاً ضائعًا فى قوم يكذبونك فهدى منهم من سبقت له السعادة ببركتك فلهذا قال: فهدى وقيل: ضالاً ناسيًا فهدى أى ذكرك بعد النسيان، وقيل كان يرعى غنم خديجة- رضى اللّه عنها- فضلت بين الجبال عن طرق مكة فهداه اللّه إليها واللّه أعلم، ورأيت فى كتاب النورين فى إصلاح الدارين عن النبى ﷺ صلاة الضحى تجلى الرزق وتنقى الفقر، وقال شقيق البلخى: طلبنا خمسًا فوجدناها فى خمس طلبنا النور فوجدناه فى قيام الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءة القرآن، وطلبنا الجواز على الصراط فوجدناه فى الصدقة، وطلبنا الرى يوم القيامة فوجدناه فى صيام النهار، وطلبنا البركة فى الرزق فوجدناه فى صلاة الضحى، وقال ﷺ «إن فى الجنة بابًا يقال له باب الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى، هذا بابكم فادخلوه برحمة اللّه» رواه الطبرانى وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول اللّه ﷺ «من صلى الضحى اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى وقل هو اللّه أحد ثلاث مرات، نزل من كل سماء سبعون ألف ملك معهم قراطيس بيض وأقلام من نور يكتبون له الحسنات إلى يوم ينفخ فى الصور، فإذا كان يوم القيامة أتته الملائكة مع كل ملك حلة وهدية فيقومون على قبره ويقولون يا صاحب القبر قم بإذن اللّه تعالى فإنك من الآمنين» وقال ﷺ: «من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعًا كتب من العابدين ومن صلى ستّا كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانية كتب من القانتين، ومن صلى اثنتى عشر بنى اللّه له بيتًا فى الجنة» وعن النبى ﷺ: «يكتب للرجل فى ركعتى الضحى ألف ألف حسنة» ورأيت فى القنية للشيخ عبد القادر الكيلانى عن الحسن بن على- رضى اللّه عنهما- عن النبى ﷺ: «من صلى الغداة ثم جلس يذكر اللّه إلى أن تطلع الشمس فإذا طلعت الشمس حمد اللّه وقام يصلى أعطاه اللّه بكل ركعة ألف

ألف قصر فى الجنة فى كل قصر ألف ألف حوراء مع كل حوراء ألف ألف خادم، وكان عند اللَّه من الأولين، قيل هم الذين يصلون الضحى، وقيل يصلون بين المغرب والعشاء» وسيأتى فى حديث آخر باب الجمعة وسيأتى أيضًا باب النوافل بعد الفرائض فى باب ذكر أشياء من فعلها حرمه اللَّه على النار.

مسألتان الأولى: قال فى الروضة: أفضل الضحى ثمان ركعات وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ونقله الرافعى عن الرويانى لكن ضعفه النووى فى التحقيق وحكى فى شرح المهذب عن الأكثرين أن أكثرها ثمان ووقتها من طلوع الشمس إلى الاستواء قاله فى الروضة، قال الأذرعى فى القوت: وهو غريب أو سبق قلم، وقال الماوردى وقتها المختار إلى مضى ربع النهار ويستحب قضاؤها ليلاً ونهارًا ولو بعد العصر، وكان الإمام أحمد بن محمد بن حنبل يصليها ثلثمائة ركعة أى كان يصلى الضحى ويزيد عليها تطوعًا إلى أن تكمل ثلثمائة.

الثانية: حلف لا يأكل ضحوة أو لا يكلمه ضحوة حنث من طلوع الشمس إلى نصف النهار والغدوة من طلوع الفجر إلى نصف النهار والصباح من طلوع الفجر إلى ارتفاع الضحى، ولو حلف لا يتغدى حنث بالأكل من طلوع الفجر إلى الزوال ولا يتعشى فمن الزوال إلى نصف الليل أو لا يتسحر فمن نصف الليل إلى طلوع الفجر، واللَّه أعلم.

لطائف، الأولى: عدد ركعات الفرض والسنة فى الليلة الواحدةأربعة عشرة ركعة فريضة المغرب ثلاثة، وركعتان قبلها وركعتان بعدها وفريضة العشاء أربع وركعتان بعدها وواحدة الوتر والإشارة ذلك إلى أن القمر ليلة أربعة عشر يضىء من أول الليل إلى آخره فكذلك هؤلاء الركعات يضئن على المؤمن من دفنه إلى قيام الساعة.

الثانية: قال إمام الحرمين - رحمه اللَّه تعالى- لو استأجر رجل دابة لحمل مائة رطل مثلاً فجاء آخر وضع عليها زيادة فالضمان عليه، كذلك يقول اللَّه تعالى يوم القيامة يا محمد أنا وضعت على عبادى الفرائض وأنت وضعت النوافل فالضمان علينا وعليك فمنك الشفاعة ومنى الرحمة قاله النسفى فى زهرة الرياض. قال الغلامى فى قواعده لو استأجر دابة لحمل أربعين رطلاً مثلاً فحملها خمسين فتلفت الدابة لزمه نصف قيمتها على قول لأن التلف حصل من جائز وغيره على الصحيح يضمن قسط القدر الزائد فيضمن فى هذه الصورة خمس القيمة.

الثالثة: من صلى الفجر فى منامه ينجز له فى الوعد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)﴾ [هود: ٨١]، والمراد قوم لوط - عليه السلام-كما سيأتى فى قصتهم فى باب الأمانة إن شاء اللَّه تعالى، أو الظهر انتصر على أعدائه أو العصر وهى الوسطى سهل اللَّه أمره بعد عسر، أو المغرب فهو فى أمر قد قارب النهاية أو العشاء فكذلك وإن صلى فى مسجد فهو يؤلف بين الناس، قال النبى ﷺ من أصلح بين الناس أصلح اللَّه أمره، وقال أنس عن النبى ﷺ من أصلح بين

اثنين أعطاه اللّه بكل كلمة عتق رقبة وسيأتى زيادة فى زكاة الأعضاء، وإن صلى على ظهر الكعبة فهو على معصية وكذا إن صلى إلى جهة الشرق أو الشمال إن صلى إلى جهة المغرب حج ومن أدرك ركعة من الصلاة فى الوقت فقد أدركها حاضرة وإلا فتكون قضاء، ومن أدرك الإمام فى الصلاة قبل السلام فقد أدرك فضل الجماعة، نعم لو قال: إن أدركت الظهر مثلاً مع الإمام فأنت طالق فأدركه فى الركعة الثانية لم تطلق فانظر يا أخى إلى كرم اللّه حيث أعطى عبده فضل الجماعة بإدراك جزء مع الإمام ودفع عنه الطلاق مع إدراك معظمها.

مسألة: من شروط الصلاة الخشوع عند الغزالى: وهو سكون القلب والجوارح بأن لا يميل إلى شىء مذموم، وقال على - رضى اللّه عنه - يا رسول اللّه أنا أصلى ركعتين من غير وسوسة فقال: إن صليت أعطيك إحدى الناقتين فاحرم بهما فخطر على قلبه أى الناقتين يعطينى فأخبر النبى ﷺ بذلك وإنما خطر على قلبه ذلك حتى لا يغلب كلام الولاية على كلام النبوة.

فإن قيل: لما سئل خرج السهم من رجله ولم يعلم به ولما جاءه السائل أشار إليه بخاتمه فأين الخشوع الآخر.

فالجواب: أن حضور القلب فى عمل الخضوع الذى أثنى اللّه على أهله فى سورة هود - عليه السلام - بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣]، أى خضعوا وخشعوا له لا ينافى الخشوع وكان عمر - رضى اللّه عنه - يجهز جيشه وهو فى الصلاة وقال إبراهيم النخعى كل صلاة لا وسوسة فيها لا تقبل لأن اليهود والنصارى لا وسوسة فى صلاتهم، وما قاله النخعى ضعيف قال على - رضى اللّه عنه - لأنهم وافقوا إبليس والمؤمن يخالفه قال فى الإذكار لا يقصد الشيطان بيتًا خرابًا وقال الشبلى: لو نظر قلبى إلى الدنيا لاغتسلت أو إلى الآخرة توضأت.

فائدة: يستحب أن يديم نظره إلى موضع سجوده إلا عند الكعبة فينظر إليها كما جزم الماوردى والرويانى ورأيت فى التتار خافية للحنفية، ينظر المصلى فى قيامه إلى موضع السجود وفى ركوعه إلى موضع رجليه وفى سجوده إلى أرنبة أنفه وفى قعوده إلى محجره.

موعظة: تفكرت رابعة العدوية فى سجودها هل اختمر العجين فرأت فى منامها قصرها فى الجنة قد سقطت شرًا، فإنه قال فى الإحياء: صلى رجل فى بستان له فأعجبه ثمره فلم يدر كم صلى فجعله صدقة فى سبيل اللّه فباعه عثمان بن عفان بخمسين ألفًا، قال فى العوارف فمن أدى الصلاة بلا حضور قلب فهو مصل له قال عبد اللّه بن عمر صلينا مع النبى ﷺ فقال رجل اللّه أكبر كبيرًا والحمد للّه كثيرًا وسبحان اللّه بكرة وأصيلاً، فقال النبى ﷺ «من القائل لهذه الكلمات» فقال رجل أنا يا رسول اللّه فقال: «عجبت لها تفتحت لها أبواب السماء».

فائدة: أكل القرنفل يقطع سلس البول والنقطة ونصف درهم منه سحوقًا مع حليب يشد القلب

وجميع الأعضاء الباطنية شربًا وأكل القرنفل يعين على هضم الطعام ويطرد الأرياح المتولدة من فضول الأغذية ويطيب النفس ويقوى المعدة ويقتل الدود ورائحته تنفع الدموع الباردة ويزيد فى نور البصر ويجلو الغشاوة وينفع من السبل اكتحالاً، ولو أرادت امرأة حملاً شربت منه وزن درهم كل ظهر أو عدمه بلعت كل يوم زهرة واحدة وسحق قشور الجوز التركى ولعقه بالعسل فيه منفعة عظيمة للنقطة والله أعلم. وأما صلاة النافلة فتجوز قاعدًا والقيام أفضل.

فائدة: قال النبى ﷺ: **«من دعا بهؤلاء الدعوات دبر كل صلاة مكتوبة حلت له الشفاعة منى يوم القيامة، اللهم أعط محمدًا الوسيلة واجعل فى المصطفين محبته وفى العالمين درجته وفى المقربين داره»** رواه الطبرانى. وقال أبو بكر الصديق- رضى الله عنه- يا رسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال: **«قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم»** قال النووى فى الأذكار معظم الروايات ظلمًا كثيرًا بالثاء المثلثة وفى بعض روايات مسلم كبيرًا بالباء الموحدة وكلاهما حسن. وقال أبو هريرة قال النبى ﷺ: **«من قال دبر كل صلاة: الحمد لله الذى لم يتخذ ولدًا... الآية كان له من الأجر مثل السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما تحتهن»** وقال ﷺ: **«من قال دبر كل صلاة: سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله قام مغفورًا له»** وقال ﷺ: **«من قال دبر كل كل صلاة: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾** الآية [الصافات: ١٨٠]**»**، فقد اكتال بالجزيل الأوفى من الأجر وقال ﷺ: **«ما من عبد صلى الفريضة واستغفر الله عشر مرات لم يقم من مقامه حتى يغفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وجبال تهامة»**.

فوائد الأولى: فى العوارف عن النبى ﷺ **«إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلاً على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**.

الثانية: ليحذر كل الحذر من مسابقة الإمام فى ركوع وقيام وسجود فإنه معصية قبيحة يخشى على فاعلها من أن يجعل الله رأسه رأس حمار، فإن فعله عمدًا حرم، أو سهوًا فلا، ويستحب العود موافقة الإمامه ولا تبطل الصلاة بهذه الزيادة كما تقدم فى هذا الباب، ويستحب لمن رأى من يسابق الإمام أن يسجد سجدة ليشكر فإنها مستحبة عند رؤية متجاهر بالمعصية، وأما عند رؤية مبتلى غير معذور كمقطوع سرقة فلا يسجد من رآه وتستحب أيضًا عند قدوم غائب وشفاء مريض وحدوث ولد قال فى الروضة: ويقال فى سجود السهو: سبحان من لا ينام ولا يسهو.

الثالثة: ليحذر كل الحذر من الدخول فى الصلاة قبل وقتها فلو ظن دخوله فصلى ثم بان أنه صادفه أو أخبره ثقة عن علم أنه صلاها قبل الوقت وجبت الإعادة كما أن الحاكم إذا حكم بغير علم فحكمه باطل، ومثله إذا سقى أباه أو ولده المريض دواء وهو جاهل بالطب فى تلك العلة ومات لم يرث منه شيئًا.

الرابعة: ليحذر من تأخيرها عن وقتها عمدًا بأنها لا تسقط بالقضاء عند ابن بنت.

الشافعي: وداود الظاهرى ونظيره فطر يوم من رمضان عمدًا فلا يقضى بصوم الدهر كما سيأتى فى الصوم.

مسألة: قال الرازى فى تفسير آل عمران: لو وجدت المرأة جماعة نساء وجماعة رجال فالأفضل لها أن تصلى مع الرجال لقوله تعالى: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٣]، ولم يقل مع الراكعات.

لطيفة: أوحى اللَّه إلى موسى – عليه السلام-: أنى أجعل لأمتك الأرض مسجدًا وطهورًا وأجعل لهم أن يقرأوا التوراة عن ظهر قلوبهم وأقبل صلاة الرجل وحده فأخبر موسى قومه بذلك فقالوا: لا نصلى إلا جماعة ولا نصلى إلا بوضوء ولا نصلى إلا فى كنائسنا ولا نقرأ التوراة إلا نظرًا فجعل اللَّه تعالى ذلك كله لهذه الأمة وهو قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية [الأعراف:١٥٦]، وسيأتى فى باب فضل الأمة إن شاء اللَّه تعالى.

باب: فى فضل الجمعة ويومها وليلتها وكرمها

قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية [الجمعة: ٩]، وسيأتى أن وقت التكبير إلى يوم الجمعة من الفجر قال فى الروض الآنق أول من جمع العروبة كعب بن لؤى، وقيل هو أول من سماها الجمعة كانت قريش تجتمع فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكر لهم بعث النبى ﷺ ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم بالإيمان به.

فوائد، الأولى: عن أنس عن النبى ﷺ قال: «إن يوم الجمعة وليلتها أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا وللَّه فيها ستمائة ألف عتيق من النار» وعن أبى موسى الأشعرى- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «إن اللَّه تعالى يبعث الأيام ويوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها تضيء لهم يمشون فى ضوئها، ألوانها كالثلج بياضًا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون فى جبال الكافور وينظر إليهم الثقلان يطوفون تعجبًا حتى يدخلون الجنة» قال فى الزهر الفاتح جبال الكافور بالخاء المهملة وعن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ يغفر اللَّه ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين، وعن الشيخ عبد القادر الكيلانى- رضى اللَّه عنه- فى الغنية رجح جماعة من العلماء تفضيل ليلة الجمعة على القدر لأنها تتكرر فثوابها أكثر قال ابن المتقن فى الحقائق وهذه رواية عن الإمام أحمد، وقال النبى ﷺ: «ألا أبشركم بثلاث بشارات بشرنى بهن جبريل، قالوا بشرنا قال: بشرنى سبعين ألفًا يعتقهم اللَّه من النار كل ليلة جمعة».

الثانية: بشرني بتسع وتسعين نظرة ينظر الله إلى أمتي في كل ليلة جمعة من نظر الله إليه لم يعذبه، وقال علي- رضي الله عنه- كان النبي ﷺ إذا كانت ليلة الجمعة يقول: «مرحبًا بليلة العتق والمغفرة طوبى لمن عمل فيك خيراً وويل لمن عمل فيك شرّاً» وأن الله تعالى يعتق في كل ليلة جمعة مائة ألف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب رواه الطبراني وعن النبي ﷺ إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ إن الله خلق الأيام واختار منها يوم الجمعة وفضل أمتي على سائر الأمم وجعل لهم يوم الجمعة فكل عمل يعمله الإنسان يوم الجمعة يكتب له بسبعين حسنة، فإذا مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويخرج من الدنيا مغفوراً له رواه الطبراني، قال جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجير من عذاب الله يوم القيامة وطبع عليه بطابع الشهداء.

لطيفة: قال الروياني: يتأكد استحباب الصلاة على من مات يوم الجمعة أو ليلتها وحضور دفن ويوم عرفة وعاشوراء والعيد كذلك حكاه ابن الملقن في العمدة، وقال عمر- رضي الله عنه- قال النبي ﷺ: يا عمر عليك بصلاة الجمعة فإنها تهدم الخطايا كما يهدم أحدكم التراب من داره، يا عمر ما من عبد اغتسل يوم الجمعة للصلاة إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه يا عمر ما من عبد خرج من بيته لصلاة الجمعة إلا شهد له كل حجر ومدر ويستغفر له كل حجر ومدر وكل تراب يمشي عليه إلى الجمعة، يا عمر ما من رجل لبس ثيابه الطاهرة وخرج لصلاة الجمعة إلا نظر الله إليه وقضى له كل حاجة يريدها من أمر دنياه وآخرته يا عمر إن الله تعالى ينزل ملائكته يوم الجمعة إلى دار الدنيا فيسمعون في تلك البلدة حتى يؤذن المؤذن فإذا أذن المؤذن ابتدروا المسجد فيدخلون من أبواب المسجد وينظرون من دخل فيه، قيل الأذان: فإذا رأوه راكعًا أو ساجداً قالوا: اللهم اعف عنه وتقبل منه ويقفون على أبواب المساجد يعدون من يدخل ويصافحونه ويستغفرون له إذا وقف الخطيب على المنبر جلسوا بين الصفوف فينظرون إلى وجوه الخلق ويستغفرون لهم فإذا دخلوا في الصلاة دخلوا معهم حتى ينالوا بركة الجمعة فإذا سلم الإمام ودعا قالوا: في جملة الجماعة آمين فيغفر لهم ببركة الملائكة، فإذا انصرفوا طوت الملائكة صحفًا من صلاتهم وتسبيحهم واستغفارهم ثم يصعدون بها إلى السماء حتى يقفوا تحت العرش فيقولون ربنا هذه صلاة تلك الجماعة في البلدة الفلانية فيقول الله اذهبوا بصلاتهم إلى جبريل وقولوا له: إن الله يأمرك أن تذهب بهذه الصلاة إلى الخزانة الفلانية التي فيها كتب تلك الجماعة، فيذهب بها جبريل إلى الخزانة فيعطيها إياها فتكون في خيمة إلى يوم القيامة.

فوائد الأولى: عن النبي ﷺ: إن أهل الجنة لينظرون إلى ربهم في كل جمعة على كثيب من كافور فيه نهر جار حافتاه المسك عليه حور يقرأن القرآن أحسن أصوات يسمعها الأولون والآخرون، فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل منهم بيد من شاء منهن ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم فلولا أن الله يهديهم إلى منازلهم لما اهتدوا إليها لما يجدون لهم في كل جمعة.

الثانية: عن أنس- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ: «من صلى يوم الجمعة أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة وقل هو اللَّه أحد خمس عشرة مرة بنى اللَّه له فى جنات عدن عشرة آلاف مدينة من الذهب فى كل مدينة عشرة آلا ف بيت من الياقوت الأحمر واللؤلؤ الأبيض، فى كل بيت عشرة آلاف سرير على كل سرير قباب من الجوهر واللؤلؤ» وعن ابن عمر- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ: «من صلى ركعتين ليلة الجمعة بعد الغروب يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ ﴾ [الزلـزلة: ١]، خمس عشرة مرة هون اللَّه عليه سكرات الموت، ووقاه عذاب القبر وعدلت له عبادة سبعين عامًا» ورأيت فى تهذيب الأذكار عن النبى ﷺ من قال: «ليلة الجمعة عشرة مرات يا دائم الفضل على البرية يا باسط اليدين بالعطية يا صاحب المواهب السنية صل على محمد خير الورى بالسجية، واغفر لى يا ذا العلى هذه العشية كتب اللَّه له ألف ألف حسنة».

الثالثة: عن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ: «من صلى يوم الجمعة بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسى مرة وقال ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① ﴾ [الفلق: ١]، خمسين مرة وفى الركعة الثانية فاتحة الكتاب و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① ﴾ [الإخلاص: ١]، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① ﴾ [الناس: ١]، خمسًا وعشرين مرة فلم يخرج من الدنيا حتى يرى ربَّه فى المنام ويرى مكانه فى الجنة».

الرابعة: عن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ: «من صلى يوم الجمعة عشر ركعات قبل خروج الإمام يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① ﴾ [الإخلاص: ١]، عشرة مرات ثم يقول على أثر ذلك سبحان اللَّه والحمد ولا إله إلا اللَّه واللَّه وأكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم لم يسأل اللَّه شيئًا إلا أعطاه» وفى الحديث ما من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة فى الجماعة، ولا أحسب من يشهدها إلا مغفورًا له رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط والكبير.

الخامسة: عن على- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ: «من صلى الضحى يوم الجمعة ركعتين كتب اللَّه له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع اللَّه له أربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع اللَّه له ثمانمائة درجة فى الجنة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتى عشرة ركعة كتب له ألفًا ومائتى حسنة ورفع له ألفًا ومائتى درجة» وعن ابن عباس عن النبى ﷺ: «من قال: «بعد ما تقضى الجمعة سبحان اللَّه العظيم وبحمده مائة مرة غفر اللَّه له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب».

السادسة: عن أنس عن النبى ﷺ: «من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجله فاتحة

الكتاب و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١]، **و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾** [الفلق: ١]، **و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾** [الناس: ١]، **سبعًا سبعًا غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأعطى من الأجر بعدد من آمن باللَّه واليوم الآخر، وفى رواية حفظ اللَّه له دينه ودنياه وأهله وولده».**

السابعة: قال ابن مسعود- رضى اللَّه عنه- من قال: بعد قراءة ما تقدم من ذنبه اللهم إنى أسألك يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغننى بفضلك عمن سواك، وبحلالك عن حرامك، أغناه اللَّه تعالى ورزقه من حيث لا يحتسب، وقال أنس- رضى اللَّه عنه- من قال: يوم الجمعة سبعين مرة اللهم اغننى بفضلك عمن سواك، وبحلالك عن حرامك، لم يمر عليه جمعتان حتى يغنيه اللَّه تعالى.

الثامنة: قال بعض السلف: من أطعم مسكينًا يوم الجمعة ثم غدا إلى الجامع مبكرًا وقال حين يسلم الإمام بسم اللَّه الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تغفر لى وترحمنى وأن تعافينى من النار، ثم دعا بما بدا له استجيب له وعن النبى ﷺ من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أعطى نورًا من حيث يقرأ إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى وصلى عليه سبعون ألف ملك وعوفى من الداء وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال، وقال النبى ﷺ: **«من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة»** وفى صحيح مسلم ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة ما خلق فتنة أكبر من الدجال.

التاسعة: قال أبو أمامة- رضى اللَّه عنه- : خطبنا رسول اللَّه ﷺ: فلما ذكر الدجال قال: «لم يكن فى الأرض منذ ذكر اللَّه ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال»، قال أبو سعيد الخدرى- رضى اللَّه عنه- : معه امرأة يقال لها طيبة: لا يقدم قرية إلا سبقته إليها، وتقول هذا الدجال فاحذروا من صفاته القبيحة إنه من بنى آدم، ولكن إبليس شارك أباه فى وطء أمه فجاءت فيه مواد خبيثة إبليسية ومواد إنسية لكنها خبيثة لا تشبه طبائع بنى آدم فلذلك لا يهزم طول السنين، فهو موثوق بالحديد فى جزيرة، وقد وكل به جنى يأتيه برزقه، قيل فعل به ذلك ذو القرنين، وقيل سليمان - عليه السلام- : وهو ضخم الجسم طوله ثمانون ذراعًا ما بين منكبيه ثلاثون، وقيل: طول جبهته ذراعان فيها قرن مكسور الطرف يخرج منه الحيات وشعر رأسه كأنه اغصان شجرة وليس له لحية بل شاربان، على رأسه تاج من ذهب يخرج من أصبهان وقيل من خراسان، على حمار أبتر بين أذنيه سبعون ذراعًا وقيل أربعون ذراعًا من حافره إلى حافره أربعة أميال، وسيأتى أن الميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة من خطاه ثلاثة أيام، وتطوى له الأرض حتى يسبق الشمس إذا طلعت إلى مغربها يخوض البحر بحماره إلى ركبتيه ويتناول الحساب بيديه وإذا نزل أردن بضم الهمزة والدال ونون مشددة بالقرب من مدينة صفد دعا الجودى وجبل الطور حتى يتناطحا كما يتناطح الثوران، ثم يقول لهما عودا إلى مكانكم وأكثر اتباعه اليهود والنساء وأولاد الزنا وفى الحديث: **«أن معه جنة ونارًا فناره جنة وجنته**

نار فمن ابتلى بناره فليستغث بالله ويقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه بردًا وسلامًا»، وقد بسطنا الكلام فى صلاح الأرواح على الدجال أعاذنا الله منه، ورأيت فى العمدة لابن الملقن عن النبى ﷺ: «من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس» رواه الطبرانى.

قال مؤلفه - رحمه الله- تعالى: عن بعض شيوخه: «من قرأ آل عمران يوم الجمعة غربت الشمس بذنوبه» وقال وهب: «من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كانتا له نورًا يملأ ما بين عرين وجرين، قال فى الوجوه المسفرة عرين الأرض السابعة وجرين السماء السابعة».

فوائد الأولى: خلق الله ملكًا تحت العرش له أربعون ألف قرن بين القرن والقرن ألف عام، على كل قرن أربعون صفًا من الملائكة فى وجهه شمس وفى ظهره قمر، وعلى صدغيه كواكب فإذا كان يوم الجمعة يسجد لله تعالى، ويقول: «اللهم اغفر لمن صلى الجمعة من أمة محمد ﷺ».

الثانية: وجد موسى - عليه السلام- قومًا من أمته يعبدون ربهم فى بيت المقدس لباس الصبر على أبدانهم، وعمائم الشكر على رؤوسهم وعصا التوكل بأيديهم، ونعال الخشية فى أرجلهم ففرح موسى بذلك فأوحى الله إليه يا موسى لأمة محمد ﷺ يوم ركعتان فيه خير من هذا؟ فقال: يا رب أى يوم هذا قال: يوم الجمعة السبت لك والأحد لعيسى والاثنين لإبراهيم والثلاثاء لزكريا والأربعاء ليحيى والخميس لآدم والجمعة لمحمد ﷺ.

الثالثة: رأيت عيون المجالس لأبى طاهر الحداد - رحمه الله- تعالى عن النبى ﷺ: «فى الجنة درة مطبقة ما رآها نبى مرسل ولا ملك مقرب فإذا كان يوم الجمعة أوحى الله إليها أيتها الدرة انطقى، فتقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ①﴾ [المؤمنون: ١]، من أمة محمد ﷺ ثم يبعث ملكًا إلى قبرى، فيقول يا محمد: إن الله يقرئك السلام ويقول: قر عينًا فى أمتك فإن لى فى يوم الجمعة ثلاث نظرات أعتق فى كل نظرة منها ستين ألفًا».

الرابعة: جاء فى الحديث إذا كان يوم الجمعة يأمر الله تعالى الملائكة فيأتون البيت المعمور فى السماء الرابعة أربعة أركان ركن من ياقوت أحمر وركن من زبرجد أخضر وركن من ذهب أحمر وركن من فضة بيضاء، فيصعد جبريل منارة من فضة وينادى بالأذان وهو أول من أذن، قال الأصطخرى وغيره من أصحاب الشافعى: بوجوب الأذان للجمعة فقط، ثم يصعد ميكائيل على منبر من ياقوت أحمر فيخطب عليه ثم ينزل ويصلى الجمعة، ويقول جبريل: يا ملائكة ربى أشهدكم أنى قد جعلت ثواب هذا الأذان لأمة محمد ﷺ فيقول الله تعالى: «أتتكرمون على وأنا معدن الكرم أشهدكم أنى قد غفرت لهم أى لأمة محمد ﷺ» وعن النبى ﷺ «إذا كان ليلة الجمعة أمر الله تعالى الملائكة بفتح أبواب السماء فيشرف على عباده فيرى فيهم القائم والنائم فيقول سأجازى القوام على قيامهم والنوام على قدر نومهم، فإذا كان آخر الليل أشرف المرة الثانية فيراهم كذلك فيقول سبحانه

وتعالى ما البخل شأنى أشهدكم يا ملائكتى أنى وهبت النائمين للقائمين» وتقدم نظيره عن أبى يزيد البسطامى فى قيام الليل.

الخامسة: إذا صار أهل الجنة فيها نادى بهم يوم السبت أحضروا ضيافة أدم فى جنة الخلد، ثم ينادى يوم الأحد احضروا ضيافة نوح فى جنة النعيم، ثم ينادى بهم فى يوم الإثنين احضروا ضيافة إبراهيم فى جنة الفردوس، ثم ينادى بهم يوم الثلاثاء احضروا ضيافة موسى فى جنة المأوى، ثم ينادى بهم يوم الأربعاء احضروا ضيافة عيسى فى جنة عدن، ثم ينادى بهم يوم الخميس احضروا ضيافة محمد ﷺ تحت شجرة طوبى، وهى شجرة عظيمة أصلها فى دار النبى ﷺ لو سقط منها ورقة لأظلت الأخبار، ثمرها فيه من كل طعم ولون إلا السواد ولها ثمر يخرج منه الحلى والحلل قال كعب الأحبار: والذى أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والفرقان على محمد ﷺ لو رجل على ناقة ودار بأصلها ما قطعها حتى يموت هرمًا وقال النسفى لو طار طائر من أسفلها إلى أعلاها لم يبلغه حتى يموت هرمًا ثمرها يخرج منه لقوم خيل مسرجة ملجمة ولقوم إبل برحالها ولقوم حلى وحلل، ولقوم الفاكهة ثم ينادى بهم يوم الجمعة احضروا ضيافة رب العالمين فيضيفهم رضاه فذلك قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وسيأتى إن شاء اللّه تعالى زيادة فى آخر الكتاب.

السادسة: خلق اللّه السموات والأرض والنجوم والبحار السبعة والأيام السبعة فى يوم الأحد وهو أول الأسبوع كما قال أهل اللغة ووافقهم النووى فى شرح المهذب فى صو م التطوع وجزم الرافعى بأن أوله السبت ووافقه فى الروضة وصوبه الأسنوى فيستحب فيه البناء.

السابعة: خلق اللّه السموات والقمر ورفع إدريس وذهب موسى إلى الطور وولد النبى ﷺ ومات وتعرض عليه أعمال أمته ونزل دليل وحدانية اللّه وتفتح أبواب الجنة يوم الأثنين، فيستحب فيه الصوم والسفر، وأن يكون السفر فى زيادة الهلال لا فى نقصانه لأن النبى ﷺ قال لتاجر أراد أن يخرج فى نقصان الهلال أتريد أن يمحق اللّه تجارتك استقبل الهلال بالخروج، ورأيت فى عجائب المخلوقات للقزوينى من مرض أول الشهر له قوة فى دفع المرض أقوى من المريض آخره والبطيخ والقثاء والخيار وغير ذلك من الزرع يكبر فى أول الشهر أكثر من آخره، والغراس فى أول الشهر أسرع نباتًا وحملاً من آخره ولبن الحيوان يكثر فى أول الشهر أكثر من آخره، والفواكه التى أصابها ضوء القمر فى زيادة أحسن من الفاكهة التى يصيبها ضوؤه فى نقصانه.

الثامنة: خلق اللّه الوحش والطير والبهائم وأنزل الحديد وحاضت حواء وقتل ابن آدم قابيل أخاه هابيل، قال الزهرى: وغيره وولدتهما حواء مع أختيهما فى الجنة حكاه النووى فى تهذيب الأسماء واللغات، وقتل يحى بن زكريا وسحرة فرعون وامرأته آسية وبقرة بنى إسرائيل وجرجيس النبى ﷺ سبعين قتله أمشاط الحديد وطبخ على النار، فعل ذلك به ملك فلسطين ثم أسلمت امرأته

فقتلها ثم حبسه فى بيت عجوز فدعا لابنها وكان أصم أبكم أعمى فعافاه اللَّه تعالى فأسلما، فقال جرجيس: يا رب ارزقنى الشهادة وعذبهم فقتلوه فأنزل اللَّه عليهم ناراً يوم الثلاثاء فيستحب فيه الحجامة والفصادة، وقال النبى ﷺ: «**احتجموا على بركة اللَّه يوم الخميس والإثنين والثلاثاء**» وقال ﷺ: «**الحجامة فى الرأس شفاء من الجنون سبع والجذام والبرص ووجع الأضراس وظلمة العينين والصداع**» قال ﷺ: «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشر كان دواء لداء السنة» وقد حجمه ﷺ أبو طيبة وهى على الريق أنفع وتزيد فى العقل، ويستحب أن يقرأ عند الحجامة آية الكرسى قاله النووى فى شرح المهذب، وقاله فى الأذكار: قال النبى ﷺ: من قرأ آية الكرسى عند الحجامة كانت منفعة حجامته، ويأكل بعدها لبنًا ولا شيئًا منه كالجبن بل يأكل الحلو والخل ولا يقرب النساء بعد ولا قبلها بيوم فى كتاب البركة الجبن داء والجوز داء وإذا اجتمعا صارا شفاء، ورفعه إلى النبى ﷺ والجبن الطرى يخصب البدن. ويلين الطبيعة والجبن العتيق كثير الضرر.

التاسعة: خلق اللَّه الأنهار وأهلك جماعة من الكفار منهم عوج بن عنق وفرعون وقارون والنمروذ وقوم لوط بن قاران أخى إبراهيم وقد أهلك زوجة لوط واسمها واعلة، قال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات: وشداد بن عاد وقوم هود وقوم صالح لما عقروا الناقة فى يوم الأربعاء، وما أنزل اللَّه بلاء إلا فيه فيستحب فيه شرب الدواء، قال القزوينى: فى عجائب المخلوقات أربعاء آخر الشهر نحس مستمر محمود فيه الأغتسال.

العاشرة: خلق اللَّه الجنة والنار زاد ابن العماد والدواب أيضًا واستدل على أن الدجاجة خلقت قبل البيضة والنخلة قبل النواة ودخل النبى ﷺ مكة يوم الفتح واجتمع يعقوب بيوسف فى مصر ودخلها إبراهيم وأعطاه ملكها جارية وهى هاجر ودخلها إخوة يوسف أولاً وثانيًا يوم الخميس فيستحب السفر أوله لقول النبى ﷺ: «**اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم الخميس**» وأما السفر فى آخره فيأتى قريبًا» وعنه ﷺ: من أراد أن يأمن شكاية العين والفقر والرجى والجنون فليقص أظافره يوم الخميس بعد العصر.

الحادية العشرة: خلق اللَّه آدم وحواء وزوجها به ،فقال بعد أن تزينت الجنة واجتمعت الملائكة تحت شجرة طوبى الحمد ثنائى والعظمة إزارى والكبرياء ردائى الخلق كلهم عبيدى وإمائى، خلقت الأشياء كلها زوجين على أنهم يوحدونى أشهدكم أنى قد زوجت آدم بحواء، على أن يصدقها عشر صلوات على النبىِّ محمد ﷺ وتزوج سليمان بلقيس، قال النووى: فى تهذيب الأسماء واللغات كان تحت يدها اثنان عشر ألف ملك تحت يد كل ملك مائة ألف وتزوج يوسف بزليخا وموسى بصفوريا بنت شعيب، ومحمد ﷺ بعائشة- رضى اللَّه عنها- وتزوج على بفاطمة كل ذلك يوم الجمعة ذكر ابن الملقن فى الحدائق من حضر يوم الجمعة عرس مسلم فكأنما صام يومًا فى سبيل اللَّه اليوم بسبعمائة يوم.

الثانية عشرة: ذكر الثعلبى عن أبى هريرة- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ: «خلق اللَّه الأرض يوم السبت»، وذكر غيره أنه لم يكن فيه خلق فلذلك اتخذته اليهود يوم بطالة وزعموا قبحهم اللَّه أن اللَّه استراح يوم السبت، وعن النبى ﷺ من بكر يوم السبت فى طلب حاجة فأنا ضامن له بقضائها، وذكر الهدانى فى كتاب السبعيات أن النبى ﷺ سمى السبت يوم مكر وخديعة، لأن قريشًا مكرت به ﷺ فيه وكذلك قوم موسى وقوم نوح وقوم صالح وإخوة يوسف وقوم عيسى وبنو إسرائيل مكروا يوم السبت من اللَّه تعالى حرم عليهم الصيد بوم السبت فأخذوا حبالاً وربطوا فيها الحيتان يوم السبت وأكلوها يوم الأحد، فظنوا جواز ذلك فمسخهم اللَّه تعالى، قال قتادة: مسخ الشيوخ خنازير والشباب قردة ونقل العملائى- رضى اللَّه عنه- أن اللَّه خلق السموات قبل الأرض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار وقدم اللَّه ذكر الظلمة فى أول سورة الأنعام، لأن اللَّه تعالى خلق الخلق فى الظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور شىء اهتدى، فالظلمة مقدمة على النور كما قاله قتادة، وقيل: إنما جمع الظلمات ووجد النور لأن طرق الضلال كثيرة وطريق الحق واحد.

الثالثة عشرة: كان قتادة بن دعامة، بكسر الدال المهملة أحفظ أهل البصرة صحب أنس بن مالك ما سمع شيئًا إلا حفظه، له اليد فى التفسير وغيره مع أنه ولد أعمى، وأما قتادة بن النعمان فصحابى قلعت عينه يوم أحد فردها النبى ﷺ، روى سبعة أحاديث ومات بالمدينة سنة ثلاث وعشرين.

الرابعة عشرة: خلق اللَّه تعالى مدينة فى الهواء حيطانها كقشور البيض لها سبعون ألف باب، فيها من الملائكة ما لا يعلم عدده إلا اللَّه تعالى فإذا كان يوم القيامة يقولون: «**اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة**» وقال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما-: إذا اغتسل الرجل وزوجته خلق اللَّه من كل قطرة من مائهما ملك يستغفر لصاحبه إلى يوم القيامة.

الخامسة عشرة: مرّ عيسى بن مريم - عليه السلام- بصياد قد صاد ظبية فقالت: يا روح اللَّه استأذن لى الصياد أرضع أولادى وأعود إليه فأخبره بذلك، فقال الصياد: إنها لا تعود فقالت يا رسول اللَّه: إن لم أعد فأكون ممن وجد الماء يوم الجمعة ولم يغتسل فاطلقها فأرضعتهم ثم رجعت فأخذ عيسى لبنة من ذهب ليدفعها إلى الصياد عوضًا عن الظبية فوجده قد ذبحها فدعا عليه برفع البركة فصارت دعوته فى الصيادين إلى يوم القيامة، وقال الشافعى- رضى اللَّه عنه- : ما تركت غسل الجمعة حضراً ولا سفراً، وعن ابن عمر وأنس بن مالك- رضى اللَّه عنهم- قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: إن تحت العرش مدينة وقال القرطبى: فى تفسيره سبعين مدينة مثل الدنيا سبعين مرة مملوءة من الملائكة كلهم يقولون: «**اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة وأتى الجمعة**» وقال ﷺ: «**إن الغسل يوم الجمعة ليغسل الخطايا من أصول الشعر استلالاً**» رواه الطبرانى فى الكبير، ورواته ثقات وفى الكبير والأوسط من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه فإذا أخذ فى المشى كتب له بكل خطوة عشرون حسنة، فإذا انصرف من صلاته أجزى بعمل مائتى سنة، واعلم أنه لو

غتسل الجمعة والجنابة فتقديم نية الجنابة أولى، قال ابن العماد: ويجب غسل الجنابة على الفور فى ثلاث صور الزانى ومن خاف فوات الوقت أو كان فى المسجد، والجنب وعنده ماء لم يتمكن من الخروج ولو نوى غسل الجنابة حصل بلا خوف وفى حصول غسل الجمعة قولان أصحهما عند البغوى يحصل وبه قال الإمام أحمد أيضًا.

السادسة عشرة: رأيت فى كتاب النورين فى صلاح الدارين **عن النبى ﷺ من قلم أظفاره يوم الجمعة حفظ من الجمعة إلى الجمعة وسيأتى حديث جامع لأيام الأسبوع فى تقليم الأظفار فى فضل هذه الأمة فى ذكر إبراهيم - عليه السلام- وعن ابن عمر- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ:** من أخذ شاربه يوم الجمعة ومس من طيب امرأته إن كان لها ولبس من صالح ثيابه لم يتخط رقاب الناس ولم يلغ عند المواعظ كان كفارة لما بينهما، ومن تخطى رقاب الناس ولغا كانت له ظهرًا، وفى الحديث المشهور: «إذا قلت لصاحبك أنصت فقد لغوت» أى خبت من الأجر وقيل أخطأت، وقيل: بطلت فضيلة جمعتك.

السابعة عشرة: قال فى الروضة: **ويتطيب يعنى يوم الجمعة بأطيب ما عنده ويستحب أن يتطيب** بما خفى لونه، وظهرت رائحته فلهذا قال النبى ﷺ: **«حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة»** فالصلاة لتعظيم قدرة اللّه والطيب لحق اللّه فحبه ﷺ الطيب لا لنفسه بل وفاء لحقوق الملائكة لأنه ﷺ غنى عن الطيب وأمر على بن أبى طالب أن يحمل ثلث مهرابنته فاطمة للطيب وكان مهرها أربعمائة درهم وثمانين درهمًا تقدم فى باب الإخلاص أن النبى ﷺ كان يستعمل المسك كثيرًا وقال النبى: **«أطيب الطيب المسك، فيتطيب به الرجل يوم الجمعة لأنه تظهر رائحته ويخفى لونه ولا يختص الطيب والتزين بيوم الجمعة بل فى كل جمع من مجامع المسلمين غير الاستسقاء لكن الجمعة آكد وغسلها آكد الاغتسال المسنونة»** وقال النبى ﷺ: **«ليس من أعياد أمتى عيد أفضل من يوم الجمعة»**.

الثامنة عشرة: أفضل الثياب يوم الجمعة البيض **لقوله ﷺ: «البسوا من ثيابكم البيض فإنها أطيب وأطهر وكفنوا فيها موتاكم»** رواه الترمذى قال فى الإحياء: لبس السواد ليس من السنة بل كره جماعة النظرة إليه، قال فى شرح المهذب: يجوز لبس الثوب الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر وغير ذلك من الألوان ولا كرهة فى شىء منه، وقال فى الروضة: ويستحب للقاضى إذا دخل البلد أن يدخلها يوم الإثنين فإن تعذر فالخميس وإلا فالسبت، وتكون عمامته سوداء وأول من أحدث السواد بنو العباس فى خلافتهم، لأن العباس كانت رايته يوم فتح مكة سوداء وراية الأنصار صفراء حكاه فى فى شرح المهذب.

التاسعة عشرة: تستحب العمامة يوم الجمعة **لقول النبى ﷺ: «إن اللّه وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة»** وفى حديث آخر رأيته فى الذريعة لابن العماد بخطه صلاة بعمامة

أفضل من خمس وعشرين بغير عمامة وجمعة بعمامة أفضل من سبعين بغير عمامة، ورأيت فى سيرة ابن هشام قال على- رضى اللّه عنه- العمائم تيجان العرب وكانت عمائم الملائكة يوم بدر بيضاء ويوم حنين حمراء، وبدر مكان معروف بين مكة والمدينة فيه بئر حفره رجل اسمه بدر فنسب إليه وحنين واد بالطائف.

العشرون: قال النبى ﷺ: «من لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد اللّه الذى كسانى ما أوارى به عورتى، وأتجمل به فى حياتى ثم عمد إلى الثوب الذى خلق فتصدق به كان فى كنف اللّه تعالى وفى حفظ اللّه وفى ستر اللّه حيّا وميتًا» رواه الترمذى، وقال الإمام مالك- رضى اللّه عنه- :

حسن ثيابك ما استطعت فإنها ... زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التخشن فى الثياب تواضعًا ... فاللّه يعلم ما تكن وتكتم
فرثاث ثوبك لا يزيدك رفعة ... عند الإله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعد أن ... تطع الإله وتتقى ما يجرم

الحادية والعشرون: لبس الكتان يقوى البدن ويصلح الأمزجة الحارة ويأكل العفونة من البدن والقطن حار رطب لبسه أنفع شىء لمن مزاجه بارد وعصارة ورقه ينفع من إسهال الأطفال، وشجر القطن معروف لكنه فى بلاد الهند يكبر حتى يكون كشجرة المشمش ويبقى فى الأرض عشرين سنة.

الثانية والعشرون: قال القرطبى فى تفسير سورة الجمعة عن ابن سيرين: كانوا يكرهون النوم والإمام يخطب ويقولون فيه قولاً شديدًا وعن النبى ﷺ: «إذا نعس أحدكم فليتحول إلى مقعد صاحبه وليتحول صاحبه إلى مقعده ويحرم عليه أن يقيم أخاه مجلسه ويجلس مكانه بغير رضاء».

الثالثة والعشرون: قال كعب الأحبار- رضى اللّه عنه- : كان داود - عليه السلام- يصوم يومًا ويفطر يومًا فإذا وافق صومه يوم الجمعة أعظم فيه من الصدقة، ويقول إن صيامه يعدل صيام خمسين ألف سنة كطول يوم القيامة، نعم أفراده بصوم مكروه وتخصيص ليلته بقيام مكروه وقول داود - عليه السلام- : كطول يوم القيامة هذا فى حق الكافر أما فى حق المؤمن فيكون كالصلاة المكتوبة.

الرابعة والعشرون: نقل ابن العماد عن بعضهم من الأكثرين إن ساعة الإجابة عند غروب الشمس، وقال ﷺ: فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح حكاه فى شرح المهذب لكنه قال فى الروضة الصواب. إن ساعة الإجابة ما ثبت فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «هى ما بين أن يجلس الخطيب على المنبر إلى أن تقضى الصلاة»، وكان المتعبدون يستحبون قراءة قل هو اللّه أحد يوم الجمعة ألف مرة ويقال قراءتها فى عشر ركعات أو عشرين أفضل من ختمة، وفى فضائل الأعمال للبيهقى عن النبى ﷺ من قرأ قل هو اللّه أحد ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه فى الجنة أو يرى له».

الخامسة والعشرون: قال النبى ﷺ: «من صلى علىّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفر اللّه له ذنوب ثمانين سنة ، قيل يا رسول اللّه كيف الصلاة عليك قال تقولون : اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وتعقد واحدة فإن قلت : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذى وعدته ، وأجزه عنا أفضل ما جازيت نبيًا على أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين ، تقول هذه سبع مرات وقد قيل من قالها سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته ﷺ» . ذكره فى الإحياء وعن ابن أبى أوفى عن النبى ﷺ: «من أراد أن يموت فى السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات ، اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آل محمد ، وعن النبى ﷺ من قرأ سورة يس ليلة الجمعة غفر له ومن قرأ حم الدخان يوم الجمعة أو ليلتها بنى اللّه له بيتًا فى الجنة» .

مسائل الأولى: لو قال لزوجته أنت طالق فى أفضل أيام الأسبوع طلقت يوم الجمعة أو فى أفضل أيام الدنيا طلقت يوم عرفة إن صادف يوم الجمعة حكاه الغزالى - رحمه اللّه تعالى - فى الإحياء عن بعض السلف أو فى أفضل ساعة فى اليوم طلقت بأوله لأن أفضل ساعاته من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، أو فى أفضل الساعات يوم الجمعة فيحتمل أن تطلق بأوله لما تقدم ويحتمل أن تطلق فى ساعة الإجابة فلا يتحقق وقوع الطلاق إلا بغروب الشمس ، وكانت فاطمة - رضى اللّه عنها - ترسل من يخبرها بغروب الشمس وترى أن ذلك وقت إجابة وبه قال كعب الأحبار واستشكله أبو هريرة لقوله ﷺ: **«لا يوافقها عبد يصلى إلا استجيب له»** .

الثانية: يحرم السفر على من لزمته الجمعة بعد الفجر إلا أن تمكنه وقال : الجمعة فى طريقه أو يتضرر أو يستوحش بتخلفه عن الرفقة بل قال إبراهيم النخعى - رحمه اللّه تعالى - : لا يجوز السفر بعد دخول وقت العشاء وقال المحب الطبرى عن بعضهم يكره السفر ليلة الجمعة ، ووقت التكبير من الفجر لما فى الصحيحين من اغتسل غسل الجمعة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة وهى ذكر أو أنثى من الإبل ، ومن راح فى الثانية فكأنما قرب بقرة قال : فى شرح المهذب وتقع على الذكر والأنثى وسميت بقرة لأنها تبقر الأرض أى تشقها ومن راح فى الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن وصفه بذلك لأنه أحسن وأكمل فى الصورة ومن راح الرابعة فكأنما قرب دجاجة بفتح الدال وكسرها ، ويقع على الذكر والأنثى ومن راح فى الخامسة فكأنما قرب بيضة وفى رواية النسائى ست ساعات فى الأول بدنه والثانية بقرة الثالثة كبش والرابعة بطة والخامسة دجاجة والسادسة بيضة .

الثالثة: غسل الجمعة سنة لمن حضرها لقول النبى ﷺ: **«من جاء منكم الجمعة فليغتسل»** أى إذا أراد المجىء نظيره فإذا قرأت القرآن فاستعذ باللّه أى إذا أردت القراءة وفى حديث آخر : **«من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل»** بخلاف غسل العيد فإنه مستحب لكل أحد ، والفرق أن الجمعة لا تصح من المنفرد إلا فى مسألة واحدة وهى إذا أحدث الإمام فى الركعة الثانية ولم

يستخلف فأتم كل واحد صلاته صحت جمعتهم، فإذا لم تجب عليه لا يستحب له الغسل وأيضًا غسل الجمعة سنة للصلاة لا اليوم على الأظهر فهو لإزالة الرائحة الكريهة لئلا يتأذى به الحاضرون فاختص بمن يحضرها، وغسل العيد للزينة وغسل الجمعة وقته من الفجر وغسل العيد من نصف الليل.

الرابعة: قال فى شرح المهذب عن صاحب الحاوى: إذا جلس على المنبر الإمام حرم على من فى المسجد أن يبتدئ صلاة نافلة فإن دخل فى آخر الخطبة وخاف إن اشتغل بالتحية فاتته تكبيرة الإحرام انتظر قائمًا ولا يجلس بلا تحية، وإن أمكنه مع التحية إدراك تكبيرة الإحرام صلاها ويستحب للإمام أن يزيد فى الخطبة قدرًا يمكنه الصلاة لقول النبى ﷺ: **«والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه»**.

الخامسة: لو حلف بالطلاق أنه لا يصلى خلف زيد فتولى زيد إمامة الجماعة فهل تسقط عنه الجمعة بهذه اليمين فلو نشزت زوجته فاشتغل بردها إلى الطاعة فإن الجمعة تسقط عنه بذلك ابن العماد فى كتاب اللمعة فى فضل الجمعة إن أمكنته المخالفة فعل وإلا فيرفع أمره للحاكم ويسأله أن يلزمه بصلاة الجمعة ليتخلص من الحنث، ثم قال: ويحتمل تحريمه على الخلاف فيما حلف أن يطأ زوجته فى هذه الليلة فحاضت فإنه لا يلزمه شيء والجامع بين المسألتين أن إيجاب الجمعة منزل منزلة الإكراه الشرعى أى فيصلى الجمعة ولا حنث كما أن تحريم الوطء فى الحيض منزل منزلة الإكراه الشرعى، أى فلا يطأ ولا حنث وصورة المسألة إذا يمكنه الجمعة فى بلد قريب من بلده.

السادسة: يستحب أن يقرأ فى الركعة الأولى من صبح الجمعة ألم السجدة وفى الثانية ﴿**هَلْ أَتَىٰ**﴾ [الإنسان: ١]، والحكمة فى ذلك لما فى السورتين من مبدأ خلق الإنسان وذكر القيامة فإن آدم خلق يوم الجمعة وفيه تقوم الساعة ولو قرأ فى الأولى غير السجدة قرأهما معًا فى الثانية وكراهة تطويل قراءة الثانية على الأولى لا يقاوم فضيلة السورتين كما لو ترك الجمعة فى الركعة الأولى من صلاة الجمعة فإنه يقرأها مع المنافقون فى الثانية، ويسن أيضًا أن يقرأ سبح اسم ربك الأعلى والغاشية فى صلاة الجمعة على الصواب وذكره فى الإحياء أن النبى ﷺ: كان يقرأ فى صلاة المغرب من ليلة الجمعة أيضًا: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ①﴾ [الكافرون: ١]، و﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ①﴾ [الإخلاص: ١]

السابعة: قال النبى ﷺ: «من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها ثم سمعها فلم يأتها طبع الله على قلبه وجعل قلبه قلب منافق، ولو سمع واحد من قرية لا جمعة عليهم النداء من بلد تلزمهم الجمعة وجب على جميع أهل القرية السعى إلى صلاة الجمعة فلو لازم أهل الخيام موضعًا فسمع واحد منهم لزمته الجمعة ولو سمع النداء من بلدين فالأولى أكثرهم جماعة» وعن النبى ﷺ: **«إن الله فرض** عليكم الجمعة فى يومكم هذا فى شهركم هذا فى سنتكم هذه فمن تركها استخفافًا بها، **ألا فلا صلاة**

له ألا فلا صوم له ألا فلا زكاة له ألا فلا حج له ألا فلا جمع اللَّه شمله ولا بارك فى عمره فمن تاب تاب اللَّه عليه». وعنه ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره». وقال الماوردى يستحب لمن ترك الجمعة أن يتصدق بدينار أو بنصفه إذا كان غير معذور.

الثامنة: اختلفوا فى وقت فريضة الجمعة، فقال النووى فى سورة الأعراف: فرضت بالمدينة وفى شرح المهذب عن أبى حامد أنها فرضت بمكة.

التاسعة: قال البغوى والقاضى حسين: لا يصح إحرام من لا جمعة عليه كالعبد والمرأة والغريب، إلا بعد إحرام أربعين من أهل الكمال وهم الأحرار الذكور البالغون المكلفون المستوطنون وعند أبى حنيفة تصح بدون الأربعون لأن الصحابة انفضوا والنبى ﷺ على المنبر، لما جاء دحية بالتجارة إلا اثنى عشر رجلاً وهم العشرة وجابر بن عبد اللَّه وعمار بن ياسر فقال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده لو خرجوا جميعًا لأضرم اللَّه عليهم الوادى نارًا» وتصح الجمعة من العبد والمسافر والمرأة ولا تنعقد بهم وتلزم السكران المعتدى والمرتد ولا تصح بهم ولا تنعقد بهم ولا بدّ من القضاء والإعادة، لأن السكران ينتقض وضوؤه وأما المرتد فلا ينتقض وضوؤه بالردة كما تقدم فى أن الصلاة تصح من المريض ولا تلزمه وتنعقد به، وجمعة على قاتل أو قاذف يرجو العفو وتجب على الزانى وكل عذر أسقط الجماعة أسقط الجمعة. واللَّه أعلم.

باب: فضل الزكاة

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وسيأتى الفرق بين الفقير والمسكين فى باب الصدقة، وأما فضل الفريقين فأذكر يسيرًا منه، قال النبى ﷺ: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» ورواه البخارى ومسلم فى رواية الإمام أحمد بإسناد جيد، فرأيت أكثر أهلها الأغنياء» وقال ﷺ: «التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير كانا فى الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ما شاء اللَّه أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقى الفقير، فقال يا أخى ماذا حبسك واللَّه لقد خشيت حتى خفت عليك فقال: يا أخى إنى حبست بعدك حبسًا فظيعًا كريهًا ما وصلت إليك حتى سال منى العرق ما لو ورده ألف بعير لصدرت عنه» رواه الإمام أحمد بإسناد جيد قوى، وسيأتى على هذا زيادة فى مناقب النبى ﷺ. وقال النبى ﷺ: «**اللهم أحينى مسكينًا وأمتنى مسكينًا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة» قالت عائشة: ولمَ يا رسول اللَّه؟ قال: «لأنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا يا عائشة لا تردى مسكينًا ولو بشق تمرة، يا عائشة أحبى المساكين وقربيهم فإن اللَّه يقربك يوم القيامة**» رواه الترمذى. قال القرطبى المراد بالمساكين أهل التواضع.

موعظة: قال النبى ﷺ: «ويل للأغنياء من الفقراء يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا فيقول وعزتى وجلالى لأدنينكم ولأبعدنهم».

مسألة: لو امتنع مستحق الزكاة من أخذها أثم بخلاف ما لو امتنع المنذور له من قبول النذر فإنه لا يأثم، والفرق أن النادر هو الذى ألزم نفسه بذلك بخلاف رب المال فإن الشارع ﷺ أوجب عليه الزكاة وفى الامتناع من أخذها تعطيل أحد أركان الإسلام نظيره يجوز الفطر لمن سافر فى رمضان، ولا يجوز الفطر فى صيام نذره قال النووى فى الفتاوى: ولا يجوز دفع الزكاة لمن بلغ تاركًا للصلاة لأنه سفيه لا يصح قبضه بل يقبضها له وليه، هذا إذا استمر تاركًا للصلاة إلى حين دفع الزكاة فإن بلغ مصليًا ثم تركها بعد ذلك ولم يحجر عليه جاز دفعها إليه وصح قبضه.

فائدتان: الأولى: قال بعض المفسرين فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، إنما خص هذه الأعضاء بذكرها دون غيرها لأن السائل إذا جاء إلى رب المال تغير وجهه فيسأل ثانيًا فينحرف بجنبه فيسأل ثالثًا فيوليه ظهره، قال الإمام فخر الدين الرازى: ظاهر الآية أنهم يكوون بجميع المال لا بقدر الزكاة فقط لتعلقها بجميع المال.

الثانية: أفرد اللَّه الضمير فى قوله تعالى: ﴿وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، لأن الفضة أكثر من الذهب كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، لأن التجارة أكثر من اللهو وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، لأن الصلاة أكثر من الصوم على تفسير مجاهد الصبر بالصوم، وقيل أفرده لأن كلاً منهما داخل فى الآخر.

حكاية: كان فى زمن ابن عباس - رضى اللَّه عنهما - رجل كثير المال فلما مات حفروا قبره فوجدوا فيه ثعبانًا عظيمًا، فأخبروا ابن عباس بذلك فقال احفروا غيره فحفروا فوجدوا الثعبان فيه حتى حفروا سبع قبور فسأل ابن عباس أهله عن حاله فقالوا إنه كان يمنع الزكاة فأمرهم بدفنه معه.

قال مؤلفه: حكى من أثق به حول الكعبة أن رجلاً أودع رجلاً مائتى دينار ثم مات فجاء ولده وطلب الوديعة فدفعها إليه فادعى الولد الزيادة على ذلك فترافعا إلى الحاكم فقال احفروا قبر الميت فوجدوا فيه مائتى كية بالنار، فقال الحاكم: أن الكيات على قدر الوديعة، ولو كانت أكثر لكانت الكيات على قدرها لأنه كان يمنع الزكاة وهذا يؤيد ما تقدم عن الرازى عن على بن أبى طالب - رضى اللَّه عنه - عن النبى ﷺ إذا أراد اللَّه بعبده خيراً بعث إليه ملكًا من خزان الجنة فيمسح ظهره فتسخو نفسه بالزكاة.

حكاية: كان فى زمن النبى ﷺ رجل يقال له ثعلبة فشكا فقره إلى النبى ﷺ فجمع له مالاً ودعا له بالبركة فكثر ماله، فطلب منه النبى ﷺ الزكاة فقال إن الجزية تؤخذ من اليهود والنصارى لا من قريش فطلب منه ثانيًا، وقال ﷺ: «إما الزكاة وإما السيف» فأرسل إليه غنمًا ضعافًا فنزل جبريل وقال: يا محمد إن اللَّه تعالى قد نزع لباس الإيمان من قلبه وألبسه لباس الكفر، فذلك قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٥]، الآية حكاه الرازى عن غير ثعلبة ثم أنه جاء بالصدقة فلم يقبلها النبى ﷺ منه.

فإن قيل: كيف جاز للنبى ﷺ أن لا يقبلها وقد أمره تعالى بأخذها قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣].

قال الرازى: لا يبعد أن اللَّه تعالى منعه من قبولها لئلا يمتنع غيره من أدائها ويحتمل أنه أتى بها على وجه الرياء.

موعظة: قال النبى ﷺ: «**ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جاءه يوم القيامة شجاع من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**» وذكر فى الحديث الإبل والبقر والغنم إذا لم يؤد زكاتها تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وقال ﷺ: «**ما تلف مال فى بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة**». وقال - عليه السلام- «الزكاة قنطرة الإسلام» رواه الطبرانى.

لطيفة: الكافر يحرم دمه وماله بأخذ الجزية منه ،كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار فى الآخرة إذا أخرج الزكاة بطيب نفس.

فصل: فى زكاة الأعضاء وهى كفها عن المحرمات

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال الغزالى ضرر الكلام الذى يقع فى الأذن أشد من ضرر الطعام الذى فى البطن، فإن الإنسان يتغوطه والكلام قد يبقى جميع العمر والمستمع شريك المتكلم وفى الحديث من سمع حديث قوم وهم يكرهون، صب فى أذنيه الآنك وهو بالمد الرصاص المذاب، وقال ﷺ: «**كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم اللَّه وعين سهرت فى سبيل اللَّه وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية اللَّه وعين بكت من خشية اللَّه وعين كفت عن محارم اللَّه**» وقال النبى ﷺ: «**ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء ويل للنساء من الرجال**».

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت رجلاً فى الطواف وهو يقول: اللهم إنى أعوذ بك من سهم غائر، فسألته عن ذلك، فقال كنت طائفًا فنظرت بعينى الواحدة إلى غلام حسن الوجه فأصابنى سهم من الهواء فأخرجته من عينى فرأيت عليه مكتوبًا نظرت إلى الحرام بعينك الواحدة للعبرة فرميناك بسهم الأدب، ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة على قلبك حتى تنكر معرفتنا والغائر هو الذى لا يعلم راميه.

مسألة: يحرم النظر إلى الأمرد الحسن بشهوة وغيرها ويحرم على الرجل أن ينظر إلى أمه أو أخته

أو عمته مثلاً بشهوة حتى إلى جاريته قبل الاستبراء وهو حيضة كاملة أو شهر إن لم تحض إلا أن تكون مسبية فيحل نظره إليها لا وطؤها حتى تستبرئ، والله أعلم.

لطيفة: يوسف - عليه السلام- لما حفظ عينيه سلم من البلاء وزليخا مدت عينيها فوقعت فى البلاء، وآدم نظر إلى الشجرة فهبط من الجنة وقابيل لما نظر إلى أخت هابيل وقع فى العذاب وإبراهيم لما نظر إلى ولده إسماعيل أمر بذبحه فلذلك قيل لمحمد ﷺ ﴿**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ**﴾ [الحجر: ٨٨].

لطيفة: دخل رجل الجامع وفيه الإمامان الشافعى وأحمد فقال الشافعى: أتفرس فى هذا الرجل أنه نجار، فقال الإمام أحمد: أتفرس فيه إنه حداد وكان الرجل يصلى فلما فرغ دعاه الشافعى فسأله عن حرفته فقال كنت فى العام الماضى نجاراً وأنا فى هذا العام حداداً قال مؤلفه فراسة الشافعى أبلغ لخفاء حرفة النجار وبعد المسافة، بخلاف الحداد فإن صنعته تظهر غالبًا.

حكاية: قال فى الإحياء كان أبو كبر الصديق- رضى الله عنه- يضع فى فمه حجراً يمنع نفسه عن الكلام يشير إلى لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد، قال ابن مسعود: والله الذى لا إله إلا هو من شىء أحوج إلى طول السجن من اللسان وقال غيره من خطر اللسان جعل الله عليه ما بين الأسنان والشفتين وقال ﷺ: «**أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه ومن كف لسانه ستر الله عورته**» وقال ﷺ: «**رحم الله من قال خيراً فغنم أو سكت فسلم**» وقال ﷺ: «من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى» وقال عيسى - عليه السلام- العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت وجزء فى الفرار من الناس، وقيل للقمان اذبح هذه الشاة وأطعمنا أطيب ما فيها فجاء بقلبها ولسانها ثم قيل له اذبح شاة وأطعمنا أخبث ما فيها فجاء بقلبها ولسانها فسئل عن ذلك، فقال ليس فى الجسد مضغتان أخبث منهما إذا خبثا ولا أطيب منهما إذا طابا.

مسألة: إذا حلف لا يأكل لحمًا فأكل لسانه حنث أو قلبًا أو كرشًا أو كبدًا أو طحالاً أو عينًا أو أمعاء أو دمًا أو سمكًا أو ميتة فلا ولو حلف لا يأكل حرامًا فأكل ميتة مضطراً حنث العلامة فى قواعده عن فتاوى القاضى حسين قال فى المنهاج: والإلية والسنام ليسا لحمًا ولا شحمًا أى فلا يحنث من حلف أن لا يأكل لحمًا أو شحمًا فأكلها.

فوائد: قال إمامنا الشافعى- رضى الله عنه-: من أراد أن ينور الله قلبه فليترك الكلام فيما لا يعنيه، وقال أيضًا- ثلاثة تزيد فى العقل مجالسة العلماء ومجالسة الصالحين وترك الكلام فيما لا يعنيه، وقال معروف الكرخى: الكلام فيما لا يعنيه خذلان من الله وقال مالك بن دينار: وإذا رأيت قسوة فى قلبك وحرمانًا فى رزقك فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك، وعن أبى هريرة- رضى الله عنه- عن النبى ﷺ: «أكثر الناس ذنوبًا أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيهم»، ورأيت فى فردوس العارفين

التقوى ألف جزء أيسرها ترك ما لا يعنيه ورأيت فى حادى القلوب الطاهرة أن سليمان - عليه السلام- بعث بعض عفاريته وبعث نفراً ينظرون ما يقول العفريت ويخبرونه قال: فأخبره أنه مر على السوق فرفع رأسه إلى السماء وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون وعجبت من الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون، أى عجبت من الناس فإنهم لا يتركون الكلام والملائكة يكتبون كلامهم.

حكاية: دخل لقمان على داود - عليه السلام- وهو يصنع الدروع فجعل يتعجب من ذلك وأراد أن يسأله فمنعته حكمته من الكلام فيما لا يعنيه فلما فرغ داود قال: نعم الدرع أنت للحرب فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله وقال سليمان - عليه السلام-: إن كان الكلام من فضة يكون السكوت من ذهب ولقد أحسن القائل حيث قال:

وكم ساكت نال المنى بسكوته   وكم ناطق يجنى عليه لسانه

فوائد: الأولى: يستحب فى الصلاة الجهرية للإمام خمس سكتات لطيفة الأولى عقب تكبيرة الإحرام، وقال أبو هريرة: يا رسول اللّه أسكتانك بين التكبيرة والقراء ما تقول قال: أقول: «اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد». والثانية عقب دعاء الافتتاح. والثالثة عقب الضالين. الرابعة عقب آمين. الخامسة عقب السورة قبل الركوع.

الثانية: قال الشافعى: لا ينسب إلى ساكت قول إلا فى مسائل منها البكر إذا زوجها وليها المجبر واستأذنها فيكفى سكوتها ولو بغير كفء ولا يكفى سكوتها لغير الأب بدون مهر المثل والقول قولها فى البكارة والثيوبة ولو خلقت بلا بكارة أو زالت بلا وطء فحكمها حكم الأبكار، ولو اشترى جارية بشرط الثيوبة فخرجت بكراً فلا خيار له أو تزوجها بشرط الثيوبة فكانت بكراً فكذلك وشرط البكارة فخرجت ثيبًا فله الخيار على الفور ولا يحتاج إلى حاكم، فإن قالت زالت البكارة عندك فأنكره فالقول قولهابيمينها حلفت لم ينفسخ النكاح وإن قالت كنت بكراً فافتضنى فأنكر الزوج فالقول قولها فى البكارة لدفع الفسخ وقوله بيمينه لدفع كمال المهر ولا ينفسخ النكاح بل إن طلقها قبل الدخول لزمه نصف مهرها، ومنها لو حلف لا يدخل الدار فحمل وأدخل إليها وهو ساكت قادر على الدفع لم يحنث على الأصح.

لطيفة: القطاطير معروف يقول فى صياحه: من سكت سلم وأكل لحمه ينفع من الاستسقاء وضعف الكبد لكنه عسر الهضم ويورث السوداء وإذا طبخ بالخل ودهن بالسيرج زال ضرره وإذا أحرقت عظامه ودقت ثم جعلت فى زبد لأصحابه ودهن به الأقرع رأسه نبت شعره بإذن اللّه تعالى قال ابن مسعود- رضى اللّه عنه- : يا رسول اللّه أى الأعمال أفضل قال الصلاة على ميقاتها قلت:

ثم ماذا يا رسول اللَّه قال أن يسلم الناس من لسانك وقال النبي ﷺ لأصحابه أى الأعمال أحب إلى اللَّه فكتبوا قال: **«هوحفظ اللسان»** وقال ﷺ: **«كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكر اللَّه تعالى»**.

مسألة: قال إن سكت عن طلاقك فأنت طالق ولم يطلقها فى حال وقع طلقة وإن طلقها ثم سكت وقع طلقة أخرى وانحلت اليمين قاله فى الروضة.

حكاية: قال أنس بن مالك- رضى اللَّه عنه- : قتل شاب من المسلمين يوم أحد فقالت أمه هنيئًا له الجنة، فقال النبى ﷺ: **«لعله كان لم يتكلم فيما لا يعنيه»** وقال عيسى - عليهما السلام- من كثر كذبه ذهب جماله ومن ذهب جماله ساء خلقه ومن ساء خلقه عذب نفسه، وقال- رضى اللَّه عنه- أعظم الخطايا عند اللَّه اللسان الكذوب وقال النبى ﷺ: **«إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به»** قال فى الروضة: الميل أربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة أقدام، وقال ابن الرفعة أربعة آلاف خطوة بخطوة البعير المحمل وقال فى شرح المهذب الميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعًا معترضة معتدلة المراد بالذراع ذراع الآدمى وهو شبران وقال ﷺ: **«كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما»** وقال النبى ﷺ: **«من أصلح بين الناس أصلح اللَّه أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه»** وقال النبى ﷺ: **«يا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبها اللَّه ورسوله، قال: بلى، قال: تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا»** قال ﷺ: **«الكذب ينقص الرزق»** وقال النبى ﷺ فى مبايعته لأصحابه: **«ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم»** قال البرماوى فى شرح البخارى: البهتان هو الكذب، وإنما قال بين أيديكم وأرجلكم لأنه نشأ من القلب وهو فى الجنب الأيسر فهو بين اليدين والرجلين.

فائدة: قال فى الرسالة القشيرية الصدق عماد الدين وبه تمامه وفيه نظامه وهو ثانى درجة النبوة، وقال النبى ﷺ: **«عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار»** وفى حديث آخر: **«عليكم بالصدق فإنه يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة»** ورأيت فى بستان العارفين للنووى عن ذى النون المصرى الصدق سيف فما وضع على شىء إلا قطعه، وقال النبى ﷺ: **«والذى نفسى بيده لا يكذب رجل على مثل جناح بعوضه إلا كانت كية فى قلبه يوم القيامة»** وسيأتى حكم اليمين الغموس وكفارتها فى النبوة وقال النبى ﷺ: **«إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هى من اللَّه فليحمد اللَّه عليها أو ليحدث بما رأى وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هى من الشيطان فليستعذ باللَّه من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»** وقال الترمذى: حديث صحيح وفى مسلم فليستعذ باللَّه من الشيطان ثلاثًا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه، وقال ﷺ: **«أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا»** حكاه القرطبى.

لطيفة: قال الذهبى فى الطب النبوى: أكل الأرز يورث أحلامًا حسنة وعكسه الفول ومن جعل فى فراشه الرجلة وهى البقلة لم ير فى منامه ما يكره، وقال النبى ﷺ فى حقها بارك اللّه فيك انبتى حيث شئت.

حكاية: كان لسليمان - عليهما السلام- ستون امرأة وقيل أكثر فطاف عليهن فى ليلة واحدة لتأتى كل امرأة بولد فولد له ولد برجل واحدةويد واحدة وعين واحدة فشق ذلك عليه فقال له وزيره آصف نجتمع أنا وأنت وأم الولد ويصدق كل واحد منا فى شىء، فقال: أما أنا فقد ملكت المشرق والمغرب ومع ذلك أحب الهدية وقال آصف: وأنا أقول لا أريد الوزارة وقلبى يحبها وقالت المرأة لو كنت يا سليمان مع سواد لحيتك فقيرًا لكان أحب إلى من بياضها مع الملك، ثم دعوا فرد اللّه الصبى كاملاً ببركته قال النبى ﷺ: «من أطاع اللّه فقد ذكر اللّه وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوة القرآن» رواه الطبرانى.

لطيفة: قال الرازى فى تفسيره: لا تكون المعصية إلا من الأعضاء السبعة وهى الأذنان والعينان واللسان واليدان والبطن والفرج والرجلان، وأبواب جهنم سبعة ولا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه سبع كلمات كل كلمة تكفر معصية عضو وتسد بابًا من أبواب جهنم بفضل اللّه، وقيل للقاضى أبى الطيب قد كبر سنك ولم تتغير أعضاؤك فقال حفظتها فى صغرى فحفظها اللّه فى كبرى.

حكاية: [illegible] شيخ عبد القادر [illegible] - رضى اللّه عنه-: بنيت أمرى على الصدق وذلك أنى خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتنى أمى أربعين دينارًا وعاهدتنى على الصدق فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب فأخذوا القافلة فمر واحد منهم، وقال ما معك، قلت أربعون دينارًا فظن أنى أهزأ به فتركنى فرآنى رجل آخر فقال: ما معك فأخبرته فأخذنى إلى كبيرهم فسألنى فأخبرته فقال ما حملك على الصدق قلت: عاهدتنى أمى على الصدق فأخاف أن أخون عهدها فصاح ومزق ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد اللّه ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة وقال أنا تائب للّه على يديك فقال من معه أنت كبيرنا فى قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة فتابوا جميعًا ببركة الصدق.

✻ ✻

باب: فى ذم الكبر

قال اللَّه تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، أى تكبرًا وقال النبى ﷺ: «**لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر**» أى لا يدخل الكبر مع صاحبه الجنة بل يخرج منه فى عرصات القيامة بما يحصل للعبد من الأهوال والتوبيخ فى ذلك اليوم إذا أوترت جهنم بالمتكبرين والمتجبرين والمتكبر: هو المتعاظم بما ليس فيه والمتجبر الذى لا يتوصل إليه وأوثرت الجنة بالضعفاء وهم من يتبرأ من حوله وقوته ويتمسك بحول اللَّه وقوته، ودخل رجل على النبى ﷺ فارتعد الرجل من هيبته ﷺ فقال له هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد قال الماوردى فى أدب الدنيا والدين: أراد النبى ﷺ بذلك حسم مواد التكبر وقطع ذراع الإعجاب وقال النبى ﷺ: «**إن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**».

لطيفة: رأيت فى كتاب شرف المصطفى: **أن النبى ﷺ أمر أصحابه فى سفر بذبح شاة فقال رجل على ذبحها، وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها، فقال النبى ﷺ: «وعلى أنا أجمع لكم الحطب»**.

موعظة: ارتفع سليمان - عليهما السلام - يومًا بجنده فى الهواء حتى سمع تسبيح الملائكة ثم نزل حتى أصاب بقدميه البحر فسمع صوتًا يقول: لو فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من الكبر لخسف به، وركب يومًا على سرير ملكه مع جنده فى الهواء فأعجبه نفسه فأراد السرير أن ينقلب به فقال سليمان: استقم قال: حتى تستقيم أنت وكان سريره من ذهب وحرير نسجه الجن فرسخًا فى فرسخ وعليه ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة فجلس الأنبياء معه على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة.

حكاية: قال الشيخ القدوة عبد الرحمن الطفسونجى - رضى اللَّه عنه - ويتكلم على الكرسى أنا بين الأولياء كالكركى بين الطيور وأطولهم عنقًا فوثب إليه رجل، وقال: دعنى أصارعك فنظر إليه الشيخ نظرة ثم أطرق برأسه ثم قال نظرت إليه فوجدت تحت كل شعرة فى جسده قنطارًا من عناية اللَّه، قال الهمدانى فى كتاب السبعيات خلق اللَّه فى الآدمى مائة ألف شعرة وأربعًا وعشرين ألف شعرة ثم قال الشيخ للرجل من أين أنت قال من بغداد من أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلانى، فقال الشيخ عبد الرحمن: ما أسمع بذكر الشيخ عبد القادر الكيلانى إلا فى الأرض وقد مكثت أربعين سنة على باب القدرة ما رأيت الشيخ عبد القادر لا داخلاً ولا خارجًا وكان الشيخ عبد القادر فى تلك الساعة يتكلم مع أصحابه فقال يا فلان يا فلان اذهبا إلى طفسونج وقولا للشيخ عبد الرحمن عبد القادر يسلم عليك ويقول لك أتيت على الباب وهو فى الحضرة ومن على الباب لا يرى من فى الحضرة والعلامة على ذلك خروج خلعة لك جديدة بيضاء طرازها قل هو اللَّه أحد خرجت لك على يدى بشهادة اثنى عشر ألف ولى فلما ذهبا وجدا أصحاب الشيخ عبد الرحمن فى الطريق فردهما فلما

دخلوا على الشيخ عبد الرحمن قالا: إن الشيخ عبد القادر الكيلانى يسلم عليك ويقول كذا فقال صدق الشيخ عبد القادر- رضى اللّه عنهما.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت رجلاً فى الطواف ومعه خدم يمنعون الناس من الطواف لأجله ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يسأل الناس فسألته عن ذلك فقال تكبرت فى موضع تواضع النا س فأهاننى فى موضع يتكبر الناس فيه، وقال موسى أيضًا يا رب أحبس عنى ألسنة الناس فقال: هذا شيء ما اصطفيته لنفسى فكيف أصطفيه لك وفى صحيح مسلم وما زاد اللّه عبدًا يعفو إلا عزًا وما تواضع أحد للّه إلا رفعه اللّه تعالى وقال ﷺ: «من تواضع للّه درجة يرفعه اللّه درجة حتى يجعله فى أعلى عليين ومن تكبر على اللّه درجة يضعه اللّه درجة وحتى يجلعه فى أسفل سافلين».

حكاية: قال أنس - رضى اللّه عنه- لما ركب نوح السفينة تعلق بها إبليس فقال له نوح: من أنت؟ قال: إبليس، قال: ما الذى تريد؟ قال: أطلب لى من ربك التوبة فأوحى اللّه إليه توبته أن يأتى قبر آدم فيسجد له فأخبره بذلك فقال: أنا ما سجدت له حيًا فكيف أسجد له ميتًا.

عجيبة: ذكر النسفى - رحمه اللّه تعالى- أن إبليس لعنه اللّه يمكث فى جهنم مائة ألف عام ثم يخرجه اللّه منها ويخرج آدم من الجنة ثم يقول يا إبليس هذا آدم أدخلتك النار بسببه فاسجد له فيقول عصيته أولاً فلا أطيعه آخرًا، قال ابن عيينة: إذا كانت معصية العبد من الشهوة ترجى من التوبة كآدم وإن كانت من الكبر فلا كإبليس.

لطيفة: نظر يوسف فى المرآة فأعجبته نفسه وقال: لو كنت مملوكًا لساويت مالاً عظيمًا فباعه إخوته وكانوا أحد عشر باثنين وعشرين درهمًا لكل درهمان، إلا يهو ذا فإنه لم يأخذ شيئًا.

فائدة: قال ابن عباس- رضى اللّه عنه- كان النبى ﷺ إذا نظر فى المرآة يقول: «**الحمد للّه رب العالمين الذى أحسن خلقى وسوى خلقى وجعلنى بشرًا سويًا ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم**» قال ابن عباس ما تركتها منذ سمعتها منه ﷺ وكان يقول لا يمس وجه من قالها سوء أبدًا، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ لا ينظر فى المرآة بالليل فإنه يورث حول العينين.

حكاية: دخل إبليس على فرعون فقال: أنت تدعى الربوبية قال: نعم، قال: بأى حجة قال: بألف ساحر فقال اجمعهم لى فجمعهم فألقوا سحرهم فتنفس إبليس فصار سحرهم هباء منثورًا، وتنفس ثانيًا فظهر سحره أكثر من سحرهم فقال: يا فرعون سحرهم أقوى أم سحرى فقال بل سحرك، فقال: يا فرعون أنا مع هذا لا يرضانى اللّه تعالى أن أكون عبده فكيف يرضاك مع عجزك أن تكون شريكه.

حكاية: قالت آسية- رضى اللّه عنها- لفرعون أريد منك اللعب من غلب يخرج عريانًا إلى باب القصر فأجابها إلى ذلك فكانت هى الغالبة فقالت أوف بالعهد واخرج عريانًا فقال: اصفحى عنى

ولك خزانة لؤلؤ فقالت إن كنت إلهًا فأوف بالشروط فإن الوفاء بالعهد من شروط الألوهية فتجرد من ثيابه فلما رأته الجوارى كفرن به لقبح صورته وآمن باللَّه، وكانت آسية قبل ذلك تعرض عليهن الإسلام فلا يطعنها.

مسألة: لو حلف لا تخرج إلى العرس فخرجت له ولم تصل إليه لم يحنث لأن الغاية لم توجد، بخلاف قوله إن خرجت للعرس فخرجت فإنه يحنث وإن لم تصل إليه.

موعظة: لما خلق اللَّه العرش على ثلثمائة وستين قائمة كل قائمة قدر الدنيا بين القائمة والقائمة خمسمائة عام وله ألف ألف وستمائة ألف رأس وفى كل رأس مثلها وجوهًا وفى كل وجه مثلها فما وفى كل فم مثلها ألسنة وعلق فيها مائة ألف قنديل كل قنديل يسع الدنيا، قال: لم يخلق اللَّه خلقًا أعظم منى واهتز تعاظمًا فطوقه اللَّه بحية رأسها من لؤلؤ بيضاء وعيناها ياقوتة حمراء وأسنانها من زمردة خضراءوبدنها من ذهب أحمر طولها سبعمائة ألف عام لها سبعون ألف جناح فى كل جناح سبعون ألف ريشة فى كل ريشة سبعون ألف وجه، فى كل وجه سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها من التسبيح بعدد قطر المطر وورق الشجر وعدد أيام الدنيا فلما رآها العرش قال: يا رب لم خلقت هذه؟ قال: حتى تنسى عظمتك وتنظر إلى عظمتى ولما خلق اللَّه تعالى الشمس خلقها على قدر الدنيا بمائة وستين مرة وهى فى السماء الرابعة أيام الصيف وفى السماء السابعة أيام الشتاء عند عرش الرحمن، قاله ابن عمر- رضى اللَّه عنهما- حكاه القرطبى فى سورة نوح ولها محراب تحت العرش وهى مخلوقة من نوره فتسجد تحته وتسبح اللَّه حتى تصبح فإذا أصبحت استعفت من الطلوع لأنهم يعبدونها من دون اللَّه فيقال لها اخرجى فليس عليك من ذلك شىء فتطلع ووجهها إلى فوق وهى على عجلة من نورلها ثلثمائة وستون عروة كل عروة بيد ملك يجذبونها فإذا أراد اللَّه أن يخوف عباده وقعت عن العجلة فى بحر الفلك فيكسف بعضها أو كلها فتنادى يا عظيم العظماء الغوث فتعيدها الملائكة على العجلة بإذن اللَّه فيسيرون بها فى يوم واحد من المشرق إلى المغرب وسأل النبى ﷺ جبريل هل زالت الشمس قال: لا نعم فسأله عن ذلك فقال: بين قولى لا ونعم سارت الشمس خمسمائة فرسخ، ووكل بهما سبعون ألف ملك يضربونها بالثلج عند طلوعها ولولا ذلك لحرقت الأرض ومن عليها فتكبرت فقهرها بالسحاب يسترضوءها فعرفت عجزها ثم خلق القمر على قدر الدنيا بمائة وعشرين مرة، قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- وجهه يضىء لأهل الدنيا وظهره يضىء لأهل السماء حكاه القرطبى فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ [نوح: ١٦]، ثم ذكر فى سورة يس أنه فى غلاف من ماء فكل ليلة يظهر منه شىء حتى يتكامل بدره، ثم يعود فى الغلاف قليلاً قليلاً حتى يعود بالعرجون القديم، وهو جريد النخل فيقطع الفلك فى ثمان وعشرين ليلة ثم يختفى ثم يطلع هلال وهو مخلوق من نور الكرسى وهو فى سماء الدنيا وقال القزوينى فى عجائب المخلوقات الإكثار من النوم والجلوس فى ضوء القمر يضعف البدن ويهيج الزكام والصداع وقدره أربعمائة

وأربعة وأربعون ميلاً، وزاد غيره أن القمر يؤنس الخلان وينحل الأبدان ويبلى الكتان له فوائد تقدم بعضها فى باب الجمعة قال القزوينى وجميع فوائد القمر من فوائد الشمس وهو يستمد النور من نورها فتكبر فابتلاه اللَّه بالنقصان فعرف عجزه ولما خلق اللَّه الجنة قالت أنا الطيبة فأدخل فيها آدم فخالف أمره نسيانًا فعرفت عجزها ثم خلق آدم فنظر إلى نفسه لما سجدت له الملائكة فابتلاه اللَّه بأكله من شجرة الحنطة، ولما خلق اللَّه الأرض تكبرت فقهرها بالجبال الراسية أعظمها جبل قاف خلقه اللَّه من زمردة خضراء قال النووى: الزمردة بالزاى المعجمة طوله خمسمائة عام وخضرة السماء منه وخلق خلفه سبعين أرضًا من السمك ثم سبعين أرضًا من الكافور ثم سبعين أرضًا من العنبر ثم سبعين أرضًا من المسك ثم سبعين أرضًا من الذهب ثم سبعين أرضًا من الحديد وأحاط هذه الأرضين بحية رأسها عند ذنبها فتبارك الملك القادر على ما يريد ويختار، فتكبرت الجبال فقهرها بالحديد يقطع صخورها فتكبر الحديد فقهره بالنار فتكبرت النار فقهرها بالماء فتكبر الماء فقهره بالسحاب يفرقه يمينًا وشمالاً، فتكبر السحاب فقهره بالريح يسر به شرقًا وغربًا فتكبر الريح فقهره بالآدمى يبنى له البيوت تمنعه من الرياح فتكبر الآدمى فقهره بالنوم فتكبر النوم فقهره بالمرض فتكبر المرض فقهره بالموت، فتكبر الموت فقهره بالذبح يوم القيامة بين الجنة والنار يذبحه يحيى - عليه السلام- وقيل جبريل.

لطيفة: رؤيا العرش والكرسى فى المنام دليل على حسن العمل، ومن رأى الشمس قد طلعت مضيئة إن كان حاكمًا نال قوة وإلا نال رزقًا حلالاً، وإن كانت امرأة رأت من زوجها خيرًا ومن تبعها فى منامه حتى غابت قرب أجله، قال رجل لا بن سيرين: رأيت كأنى أخذت من الشمس أربعة أرغفة قال تموت بعد أربعة أيام والمريض والمسافر إذا رأيا الشمس قد طلعت من مغربها فهو دليل على السلامة وغيرها بضده ومن رأى القمر على الأرض ماتت أمه أو فى بيته قدم له غائب، ورؤياه للمريض مكروه ومن رأى كوكبًا سقط من مكان حدث فيه مصيبة وإن اجتمعت فيه فخير ومن أخذ كوكبًا رزق ولدًا صالحًا، قال الغزالى وأصغر كوكب فى السماء على قدر الدنيا ثمان مرات قال فى العرائس بعضها معلق كالقناديل فى المسجد وبعضها مركب كتركيب الفص على الخاتم وقال القرطبى فى سورة الحجر الكوكب إذا أحرق الشيطان عاد إلى مكانه، ثم قال الأكثرون إن الرمى بالنجوم كان قبل بعثة النبى ﷺ وقال الزجاج: كان بعده ثم قال القرطبى: ولا يبعد أن يقال انقضاض الكواكب كان قبل النبى ﷺ ثم صارت رجومًا للشياطين بعده، قال فى شرح المهذب يقال عند انقضاض الكواكب ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه.

فـــائدة: خلق اللَّه الكرسى بعد العرش بألفى عام من لؤلؤة بيضاء وجعل بين حملة العرش والكرسى سبعين حجابًا من ظلمة وسبعين حجابًا من نور غلظ كل حجاب خمسمائة عام، ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسى من نور حملة العرش والأرض والسموات والكرسى كحلقة بأرض فلاة

وهو وهنَّ فى العرش كحلقة بأرض فلاة وذكر فى العرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور وفى غيره أن حملة العرش أربعة، أقدامهم تحت الأرض السابعة، ولكل واحد أربعة أوجه.

لطيفة: حصل لموسى - عليه السلام- مرض شديد فشكا إلى اللَّه تعالى فأوحى اللَّه إلى جبريل خذ قميص العافية وألبسه لموسى ففعل فما مرض بعدها إلا مرض الموت، فلما مات قال جبريل يا رب وما أصنع بقميص العافية فقال شىء آخر جناه من خزائن كرمنا لا نعود فيه فقال: يا رب وما أصنع به فقال: ألبسه للشمس ففعل ولا جرم أن الأمراض تثور بالليل، فإذا طلعت الشمس توجد الراحة وترى الدواب تستقبل الشمس بوجوهها والأزهار تدور معها كيف دارت، وعنه ﷺ قال: «**يا على استدبر للشمس ولا تستقبلها فإن استقبالها داء واستدبارها شفاء**» ورأيت فى بستان العارفين للنووى عن عمر بن الخطاب- رضى اللَّه عنه- عليكم بالشمس فإنها حمام العرب قال القرطبى فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ** ﴿١١٨﴾﴾ [طه: ١١٨]، أى لا يصيبك يا آدم فى الجنة عطش ولا حر شمس.

حكاية: قال ملك من الملائكة يا رب ائذن لى أن أطير حتى أرى جميع عرشك قال: إنك لا تقدر على ذلك قال: فأعنى عليه فأذن له فطار عشرين ألف عام ثم نظر فإذا العرش كما هو، فقال يا رب قونى فزاده اللَّه أجنحة كل جناح كما بين المشرق والمغرب فطار سبعين ألف عام ثم قال يا رب كم قطعت من عرشك قال نصف ساعة فقال سبحان ربى الأعلى فقال اللَّه تعالى أنا العظيم فوق كل عظيم ارجع إلى مقامك فرجع وقد احترقت أجنحته من الهيبة، فلما كانت ليلة المعراج قال يا محمد اشفع لى عند ربك فشفع له فرد اللَّه أجنحته عليه.

فائدة: قال جابر بن عبد اللَّه: قال النبى ﷺ: «**ما أنعم اللَّه على عبده نعمة فقال الحمد للَّه، إلا أدى شكرها فإن قالها ثانيًا جدد اللَّه ثوابها فإن قالها ثالثًا غفر اللَّه له ذنوبه**» وقال ﷺ: «**ما أنعم اللَّه على عبد نعمة فحمد اللَّه عليها إلا كان ذلك أفضل من تلك النقمة وإن عظمت**» وقال النبى ﷺ: «**إذا أنعم اللَّه على عبد نعمة فأراد بقاءها فليكثر من لا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم**» رواه الطبرانى.

باب: فى ذم الغيبة والنميمة

قال اللَّه تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴿١﴾﴾ [الهمزة: ١]، قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : هما المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة وقيل الهمزة الغيبة فى الوجه واللمزة الغيبة فى القفا، وقال أيضًا فى قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ**﴾ [التوبة: ٥٨]، أى يغتابك، وقيل يعيب عليك لأعدائك، وقيل الهمزة تكون بالعين واللمزة تكون باللسان، ومثل الهمزة همّاز وهو الوليد ابن المغيرة واللماز هو أبى بن خلف وقال: مقاتل الأول كان كثير الحلف مهينًا ضعيفًا حقيرًا أثيمًا

فاجراً ثم عقل سيء الخلق بعد ذلك أي مع هذه الصفات زنيم أى ليس من القوم وقيل أبو جهل قال لأمه: هذه الصفات كلها إلا فى قوله زنيم هل أنا من أبى قالت لا بل مكنت عبداً منى فأنت منه فصار الزنيم هو ولد الزنا، وقال ابن عباس- رضى اللّه عنهما- وغيره فى قوله تعالى: ﴿ **وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ** ④ ﴾ [المسد: ٤]، أنها كانت تمشى بالنميمة، وقيل: كانت تطرح الشوك ليلاً على طريق محمد ﷺ فيكون تحت أقدامه كالحرير.

فائدة: قال النبى ﷺ: «من أخرج من طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم كتب اللّه له ألف حسنة، ومن كتب اللّه له عنده حسنة أدخله الجنة» وعن النبى ﷺ: «من أرشد إلى طريق أو إلى منزل من يسأل كتب اللّه له ألف ألف حسنة وحط عنه ألف ألف خطيئة ورفع له ألف ألف درجة».

موعظة: قال يحيى بن أكثم: بالثاء المثلثة- رضى اللّه عنه- النمام شر من الساحر فإنه يعلم فى يوم ما لا يعلمه الساحر فى شهر وعدها فى الروضة من الكبائر، والغيبة من الصغائر وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**» وأوحى اللّه تعالى إلى موسى - عليهما السلام- من مات تائبًا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرّا عليها فهو أول من يدخل النار، وقال النبى ﷺ: «**من كف لسانه عن أعراض الناس أقال اللّه عثرته يوم القيامة**» قال أبو عمر إن الغيبة فاكهة الفقراء وضيافة الفساق وبساتين الملوك ومراتع النساء ومزابل الأتقياء وإدام كلاب الناس وقيل كلاب أهل النار، وقال النبى ﷺ: «**مررت ليلة أسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظافرهم وهى من نحاس فقلت من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم**».

مسألة: ضابط الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره وإن كان فيه، ولو بقلبك نعم غيبة الذمى محرم أيضًا، وقال النبى ﷺ: «**أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه فى الدنيا كان حقّا على اللّه أن يرميه بها فى النار يوم القيامة**» قال الرازى فى قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ⑪⑫ ﴾ [النساء: ١١٢]، قيل الخطيئة الصغيرة والإثم الكبيرة، وقيل الخطيئة الذنب الذى يختص به الإنسان، والإثم الذنب المتعدى كالظلم والقتل وقيل الخطيئة كل ما لا ينبغى فعله سواء كان عمدًا وسهواً والإثم ما حصل بالعمد فقد احتمل بهتانًا أى ذمّا فى الدنيا وإثمًا مبينًا أى عذابًا فى الآخرة لصاحب هذا الفعل مذموم فى الدنيا ومعاقب فى الآخرة، ولا فرق فى تحريم الغيبة بين أن تكون لفظًا أو خطأ أو إشارة وضابط كل ما أفهمت به غيرك نقصًا فى مسلم فهو غيبة وكما أن الغيبة تحرم يحرم استماعها أيضًا ويجب إنكارها إن لم يخف ضرر وإلا فيفارق ذلك المجلس، وإن لم يقدر على المفارقة اشتغل بذكر أو غيره فلا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع وقال النبى ﷺ: «من رد عن عرض أخيه رد اللّه عن وجهه النار يوم القيامة» وقال ﷺ: «من حمى عن عرض أخيه فى الدنيا بعث اللّه ملكًا يحميه عن النار يوم القيامة» وقال ﷺ: «من

اغتيب عنده أخوه فاستطاع نصرته فنصره نصره اللَّه فى الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره أذله اللَّه فى الدنيا والآخرة».

واعلم: أن الغيبة تباح فى ست مسائل:

الأولى: التظلم كأن يقول لمن هو قادر على إنصافه ظلمنى فلان بكذا.

الثانية: الاستعانة على تغيير المنكر فيقول لمن يرجو قدرته على إزالته فلان يعمل كذا، ويكون قصده إزالة المنكر وإلا حرم.

الثالثة: الاستفتاء فيقول المفتى ما تقول فى رجل أو شخص من غير تعيين، وإن كان ذلك جائزاً يفعل كذا فهل له ذلك.

الرابعة: التحذير بأن يراه يأخذ العلم من مبتدع أو فاسق فيخبر الطالب بحال المعلم على قصد النصيحة أو يراه يخطب امرأة فاسقة فيبين له ما يعلمه من حالها إن لم يندفع إلا بذلك.

الخامسة: أن يكون مجاهراً بفسقه كتارك الصلاة فتحل غيبته ورأيت فى المهذب عن النبى ﷺ أذكر الفاسق بما فيه يحذره الناس.

السادسة: التعريف كفلان الأعرج.

لطيفة: سواد بلال- رضى اللَّه عنه- يجعله اللَّه شامات فى وجوه الحور العين يوم القيامة، وفى الحديث خير السود ثلاثة بلال ولقمان، ومهجع عبد عمر- رضى اللَّه عنه- وهو أول قتيل فى الإسلام.

حكاية: مر داود الطائى - رحمه اللَّه تعالى- يومًا بموضع فوقع مغشيًا عليه فحمل إلى منزله فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: ذكرت إنى اغتبت رجلاً فى هذا الموضع فذكرت مطالبته لى بين يدى اللَّه تعالى.

حكاية: قيل للحسن البصرى- رضى اللَّه عنه- أن فلانًا اغتابك فأرسل إليه طبقًا فيه رطب قال: بلغنى أنك أهديت إلى من حسناتك فأحببت أن أكافئك، وقال حاتم الأصم: المغتاب والنمام قرد أهل النار والكذاب كلب أهل النار والحاسد خنزير أهل النار.

حكاية: رأى عيسى - عليهما السلام- إبليس فى إحدى يديه عسل وفى الأخرى رماد فسأله عن ذلك فقال: العسل أجعله فى شفاه المغتابين والرماد أجعله فى وجوه الأيتام حتى يرمدوا فيستقذرهم الناس فلا يفعلوا بهم خيراً.

* *

باب: فى الإحسان لليتيم

قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠)﴾ [الضحى: ٩، ١٠]، وقال تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)﴾ [الماعون: ٢،٣]، أى يقهره ويزجره ويدفعه عن حقه والدع: الدفع قاله الثعلبى، وقال النبى ﷺ: «**والذى بعثنى بالحق نبيًا لا يعذب اللَّه يوم القيامة من رحم اليتيم وألان له الكلام ورحم يتمه**» وضعفه قال ﷺ: «**إن أحب البيوت إلى اللَّه بيت فيه يتيم يكرم**» وقال النبى ﷺ: «**خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه**» وعن أبى الدرداء- رضى اللَّه عنه- شكا قسوة قلبه إلى النبى ﷺ فقال له: أرحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك وعنه ﷺ: «**من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا للَّه كان له بكل شعرة مرت عليها يده عشر حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو كهاتين فى الجنة**» وفرق بين السبابة والوسطى.

حكاية: كان رجل كثير المعاصى فوجد يتيمًا فكساه ثوبًا فلما كان تلك الليلة رأى فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد أمر به إلى النار فلما قرب منها وإذا باليتيم يقول خلوا عنه فإنه كسانى ثوبًا، فقالوا لم نؤمر بهذا، فخر النداء من قبل اللَّه تعالى خلوا عنه كرامة لليتيم.

مسألة: قال فى الروضة: لو نذر أن يكسو يتيمًا لم يكف يتيم ذمى واليتيم صغير لا أب له، واليتيم من الدواب من لا أم له ويحرم التفريق بين البهيمة وولدها بغير ذبح قبل أن يستغنى عن لبنها وبين الآدمى وأمه قبل أن يميز بغير عتق ووصية والجد عند فقد الأم كالأم، وكذا الأب فى الأصح ويجوز بيعه مع أمه لا مع أبيه وإن رضيت الأم واللَّه أعلم وعن النبى ﷺ قال: «**إذا بكى اليتيم اهتز عرش الرحمن، فيقول يا ملائكتى من الذى أبكى هذا اليتيم الذى غيبت أباه فى التراب فيقول الملائكة ربنا أنت أعلم فيقول اللَّه تعالى يا ملائكتى اشهدوا أن من أسكته وأرضاه أرضية يوم القيامة**» وعنه ﷺ قال: «**إياكم وبكاء اليتيم فإنه يسرى بالليل والناس نيام**» وقال السدى- رضى اللَّه عنه- فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، تخرج النار من جميع منافذ بدنهم يوم القيامة وسيأتى أن الآدمى اثنى عشر منفذًا فى باب الأمانة وعن النبى ﷺ قال: «**يبعث يوم القيامة قومًا من قبورهم تتأجج النار من أفواههم**» فقيل يا رسول اللَّه من هم فقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠].

لطيفة: قال بعضهم: كتبت ستين مصحفًا فكل لفظة يقع عليها الذباب إلا قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال النبى ﷺ: «**إن للجنة بابًا لا يدخله إلا من عفا عن من ظلمه**».

حكاية: ذكر النسفي - رحمه اللَّه تعالى - أن يوسف - عليهما السلام - لما ألقى في الجب ذكر اللَّه بأسمائه الحسنى فسمعه جبريل، فقال: يا رب أسمع صوتًا فقال عز وجل: ألستم قلتم أتجعل فيها من يفسد فيها، وكذلك إذا اجتمع المؤمنون للذكر تقول الملائكة ربنا ائذن لنا أن نكون معهم فيقول يا ملائكتي من استعاب أحدًا أخذ من حسناته وقد فعلتم ذلك فاجعلوا طاعتكم لأمة محمد ﷺ قال مؤلفه: ولعل هذا من خصائص هذه الأمة لشرف نبيها لأن قول الملائكة كان عامًا.

حكاية: كان عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - يطوف بالمدينة ليلة فنظر من خلال الباب فإذا بشيخ يشرب خمرًا فصعد إلى جدار البيت ونزل منه، فقال: يا أمير المؤنين أنا عصيت اللَّه في واحدة وأنت في ثلاث قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، وأنت تجسست علينا، وقال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه وقال تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، وأنت لم تفعل ذلك فعفا عنه، وخرج وهو يقول ويل لعمر إن لم يغفر اللَّه له وكان الرجل يختفي من جاره والآن يقول رآني عمر.

فائدة: قال النبي ﷺ: «لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله اللَّه بها الجنة ومن ستر ملسمًا ستره اللَّه في الدنيا والآخرة» وقال ﷺ: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر اللَّه عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المؤمن كشف اللَّه عورته حتى يفتضح بها في بيته».

مسألة: قال العلماء - رضي اللَّه عنهم -: يجب على من حمل إليه نميمة أن لا يصدقه لأنه فاسق وخبره غير مقبول إلا في عشر مسائل الأولى إذا كان إمامًا وقال لمن خلفه: أتموا فأنا مسافر وإذا غابت المعتدة ثم قالت أنقضت عدتي بالأشهر أو وضع الحمل إلا إذا علق طلاقها به فلا بد من البينة على الوضع أو أنها استحلت أو ذبح هذه البهيمة أو بإسلام كافر فيصلى عليه أو بالتوقان وجب على الابن إعفافه وأن ما يأخذ من النفقة لا يكفيه أو كان خنثى وأخبر بميل طبعه إلى الرجال والنساء أو أخبر الولد المتشبه بميل طبعه إلى أحد الواطئين أو أقر على نفسه بالزنا أو قصاص أو مال حكاه ابن العماد في القول التام في موقف المأموم والإمام وزاد الأسنوي في التمهيد.

حكاية: قال رجل لعمر بن عبد العزيز كلامًا فقال: إن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ⑪﴾ [القلم: ١١]، فقال الرجل: أتوب إلى اللَّه يا أمير الؤمنين. ورأى موسى - عليهما السلام - رجلاً في ظل العرش فسأل ربه عنه فقال: كان لا يحسد الناس ولا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة.

موعظة: قال النبي ﷺ «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» وقال ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا».

ورأيت: فى حادى القلوب الطاهرة أن الحاسد لا ينال فى المجالس إلا مذمة ولا ينال من الملائكة إلا لعنة ولا ينال من الخلائق إلا جزعًا ولا ينال عند النزع إلا شدة ولا ينال فى القيامة إلا فضيحة.

فائدة: قال النبى ﷺ: **«من قال إذا أمسى: أمسينا وأمسى الملك للّه والحمد للّه أعوذ باللّه الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ من الشيطان وشركه عصم من كل ساحر وشيطان وكاهن وحاسد»**.

فائدة: النمام من بنى آدم مذموم عند اللّه وعند عباده.

موعظة: قال أبو هريرة – رضى اللّه عنه –: كنا نمشى مع رسول اللّه ﷺ فمررنا بقبرين فأقام وأقمنا معه فجعل لونه يتغير حتى ارتعد كم قميصه فقلنا مالك يا رسول اللّه، قال: هذان رجلان يعذبان فى قبورهما عذابًا شديدًا بذنب هين كان أحدهما لا يستبرئ من البول، وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه ويمشى بالنميمة فدعا بجريدتين رطبتين فغرزهما عليهما وقوله ﷺ: **«هين»** أى هين عندهما، وقيل هين لأنه لا مشقة فى ترك النميمة وفى النظافة من البول، وقال النبى ﷺ: **«أكثر عذاب القبر من البول»** وقال ﷺ: **«اتقو البول فإنه أول ما يحاسب به العبد فى القبر»**.

مسائل: الأولى: يجب الاستنجاء بماء أو حجر وجمعهما أفضل وخصه الأسنوى فى ألغازه بالغائط فإن اقتصر على أحدهما فالماء أفضل والأنثى فى ذلك كالذكر والخنثى كذلك إلا فى البول فلا يكفيه الحجر وسيأتى حكم الحائض فى الاستنجاء بالحجر فى باب الكرم ويسن للمستنجى بالماء أن يبتدئ بقبله وفى معنى الحجر كل جامد ولو من ذهب وجوهر قالع للنجاسة إلا بزجاج وقصب غير مختوم كعظم ولا يقضى حاجته تحت شجرة مثمرة ولا فى ظل الناس أيام الصيف ولا مشتمسهم أيام الشتاء ولا فى طريقهم وصرح فى الروضة بكراهة البول فى الطريق، وأما الغائط فحكى فى كتاب الشهادات عن صاحب العدة أنه حرام ومتحدث الناس كالطريق، وعن أبى هريرة – رضى اللّه عنه – عن النبى ﷺ **«من لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها فى الغائط كتب اللّه له حسنة ومحا عنه سيئه»** رواه الطبرانى.

الثانية: قال ابن العماد: يجب إزالة النجاسة على الفور فى صور منها المسجد ومنها إذا نجس ثوب غيره أو خرجت من ميت بعد الغسل أو تعدى بتنجيس بدنه أو لم يتعد لكن ضاق وقت الصلاة وكذا الوشام إذا تعدى به فى بدنه.

الثالثة: قال فى الروضة: ويستبرئ من البول يتنحنح وينتر ذكره برفق ولا بأس يمشى وأكثره سبعون خطوة.

لطيفة: لما اجتمع يوسف بيعقوب – عليهما السلام – وجاءه الذئب مهنئًا فقال: هل كنت تعلم

بيوسف؟ قال: نعم، قال: فلم لا أخبرتنى قال: خشيت النميمة قال فى كتاب العقائب: لما وصل الذئب إلى يعقوب قال: أنت أكلت يوسف؟ قال: لا، قال: فأخبر أولادى قال: لا، قال: ولم قال: لأن كلام الذئب كرامة العاصى ليس من أهلها وقيل أنه قال له: أيها الذئب من أين أنت قال: من مصر جئت أطلب أخالى بأرض الشام وأخبرنى الذئب أنه صاده الملك ويريد ذبحه غدًا ولى سبعة عشر يومًا لم آكل شيئًا. فقال يعقوب: أيها الذئب أعندك خبر عن يوسف قال: نعم، قال: أخبرنى به قال: النمام لا يدخل الجنة قال: فأنا أشفع فى أخيك عند الملك، قال: وأنا أسأل ربك أن يجمع بينك وبين يوسف.

فائدة: من جلس على جلد الذئب أمن من القولنج، ومن شرب من روثه من به قولنج قلعه ومن به حمى عتقية إذا دهن جسده بمرارته صار مكرمًا عند الناس، ولحمه حلال عند مالك- رضى الله عنه- مع الكراهة.

حكاية: رأيت فى تفسير نجم الدين النسفى أن أبا يوسف أخذ ذئبًا فقال له: أنت آكل يوسف؟ فقال: أنا لا أدور حول غنمك فكيف آكل ولدك قال: أهو حى؟ قال: نعم، قال: أين هو؟ قال: سل جبريل قال: إنه لا يخبرنى قال: إن لم يخبرك فكيف أخبرك أنا فلما أخذته السيارة وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً كبيرهم مالك وهو الذى اشترى يوسف ودخلوا مصر وأرادوا بيعه لعزيز مصر قال له يوسف: لا تأخذ لى ثمنًا فإنى حر وأخبره بخبره فقال مالك للعزيز: أريد منك رأس مالى وهو عشرون درهمًا فلما باعه مالك للعزيز قال ليوسف: قد فعلت ما أمرتنى به فلم آخذ غير رأس مالى ولى إليك حاجة قال ما هى؟ قال: اسأل ربك أن يرزقنى أولادًا فنظر يوسف إلى جبريل فقال: كيف أدعو قال قل: يا من يضع ويرفع ويعطى ويمنع ويا من يعز ويذل يا من هو على كل شىء قدير أرزق الشيخ الكبير أولادًا ذكورًا وكان لمالك اثنتى عشر جارية فطاف عليهن تلك الليلة فحملت كل جارية بذكرين.

حكاية: قال كعب الأحبار- رضى الله عنه-: خرج موسى - عليه السلام- يستسقى بنى إسرائيل فأوحى الله إليه لا استجيب لكم لأن فيكم رجلاً نمامًا فقال: يا رب بينه لنا فقال: يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمامًا فتابوا فنزل المطر بإذن الله تعالى فخرج الزرع بلا سنبل فشكا الناس ذلك إلى الله تعالى فقال الله: يا موسى إنهم سألونى المطر وما سألونى الرزق يا موسى أوقد تنورًا والق فيه البذر ففعل، فإذا بالحنطة قد نبتت وسنبلت فى وسط النار فقال: انظر يا موسى فإن من قدرتى أن أنبت الزرع فى النار ولا أنبتها فى وسط الماء.

* *

باب: فضل رجب وصومه

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني - رضي اللَّه عنه- في الغنية يقال في أول ليلة من رجب إلهي تعرض إليك في هذه الليلة المتعرضون وقصدك القاصدون وأمل معروفك وفضلك الطالبون، ولك في هذه الليلة نفحات ومواهب وعطايا تمن بها على من تشاء من عبادك وتمنعها عمن لم تسبق له منك عناية وها أنا عبدك الفقير إليك المؤمل فضلك ومعروفك فجد على بفضلك ومعروفك يا رب العالمين وعد في الروضة من الليالي التي يستجاب فيها الدعاء أول ليلة رجب وذكر السبكي في طبقاته عن بعض الأعيان أنه سأل اللَّه تعالى الوفاء أول ليلة من رجب ورأيت في كتاب البركة عن النبي ﷺ: «من صام أول خميس من رجب كان حقًا على اللَّه أن يدخله الجنة».

فوائد: الأولى: عن النبي ﷺ: «من قال كل يوم من العشر الأول من رجب سبحان الحي القيوم مائة وكل يوم من العشر الثاني مائة مرة سبحان اللَّه الأحد الصمد ومن العشر الثالث مائة مرة سبحان الرؤوف لم يصف الواصفون ما يعطى من الثواب».

الثانية: عن النبي ﷺ: «ألا إن رجب شهر اللَّه وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي فمن صام يومًا من رجب إيمانًا واحتسابًا استوجب رضوان اللَّه الأكبر وأسكن الفردوس الأعلى، ومن صام منه يومين فله من الأجر ضعفان كل ضعف مثل جبال الدنيا ومن صام منه ثلاثة أيام جعل اللَّه بينه وبين النار خندقًا طوله مسيرة سنة، ومن صام منه أربعة أيام عوفي من البلاء والجنون والجذام والبرص ومن فتنة المسيح الدجال ومن صام منه خمسة أيام أمن من عذاب القبر، ومن صام ستة أيام خرج من القبر ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر ومن صام منه سبعة أيام تغلق عنه أبواب جهنم السبعة ومن صام منه ثمانية أيام وإن للجنة ثمانية أبواب يفتح له بكل صوم يوم باب من أبوابها ومن صام تسعة أيام خرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا اللَّه ولا يرد دون الجنة، ومن صام منه عشرة أيام جعل اللَّه له على كل ميل من الصراط فراشًا يستريح عليه وقدمنا أن الميل أربعة آلاف خطوة ومن صام منه أحد عشر يومًا لم ير في القيامة أفضل منه إلا من صام مثله أو زاد عليه ومن صام منه اثنا عشر يومًا كساه اللَّه حلتين الحلة الواحدة خير من الدنيا ومن صام منه ثلاثة عشر يومًا توضع له مائدة تحت العرش فيأكل منها والناس في شدة ومن صام منه أربعة عشر يومًا أعطاه اللَّه ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن صام منه خمسة عشر يومًا يوقفه اللَّه يوم القيامة موقف الآمنين ومن صام منه ستة عشر يومًا كان في أول من يزور الرحمن وينظر إليه ويسمع كلامه ومن صام منه سبعة عشر يومًا نصب له على الصراط مستراح يستريح عليه ومن صام منه ثمانية عشر يومًا زاحم إبراهيم في قبته ومن صام منه تسعة عشر يومًا بنى اللَّه له قصرًا بإزاء قصر إبراهيم وآدم- عليهما السلام».

وقال مؤلفه- رحمه اللَّه تعالى-: ولعل هذا يفسر ما قبله من المزاحمة واللَّه أعلم، ومن صام منه عشرين يومًا نادى مناد من السماء يا عبد اللَّه أما ما مضى فقد غفر اللَّه لك فاستأنف العمل فيما

بقى ذكره كله الشيخ محيى الدين عبد القادر الكيلانى- رضى اللّه عنه- فى القنية وتقدم عن أذكار النووى أنه يستحب العمل بالحديث الضعيف.

الثالثة: عن النبى ﷺ: «من صام يومين من رجب لم يصف الواصفون من أهل السماء والأرض ما له عند اللّه من الكرامة» وعنه ﷺ: «أكرموا رجب يكرمكم اللّه بألف كرامة يوم القيامة» ومن اغتسل أول رجب وأوسطه وآخره خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وقال على- رضى اللّه عنه- : صوم ثالث عشر رجب كصيام ثلاثة آلاف سنة، وصوم رابع عشر رجب كصيام عشر آلاف سنة وصوم عشرين كصيام مائة ألف عام وسيأتى نظيره فى الأيام البيض وعن النبى ﷺ: «فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام» وعنه ﷺ: «من صام يومًا من رجب فكأنه صام أربعين سنة». وعنه ﷺ: «من صام عشرة أيام من رجب جعل اللّه له جناحين موشحين بالدر والياقوت يطير بهما كالبرق اللامع على الصراط» وعنه أيضًا: «إن فى الجنة قصرًا لا يدخله إلا صائم رجب» وعنه أيضًا: «إن فى الجنة نهرًا يقال له رجب أشد بياضًا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل من صام يومًا من رجب سقاه اللّه من ذلك النهر» وعن أبى الدرداء عن النبى ﷺ: «من صام يومًا من رجب فكأنه عبد اللّه عمره صائمًا قائمًا فإذا صام رجب نودى من السماء أبشر يا ولى اللّه بالكرامة العظمى، وسقاه عند موته شربة فيموت ريانًا ويدخل قبر ه ريانًا ويخرج منه ريانًا ويرد الجنة ريانًا» قال أبو الدرداء- رضى اللّه عنه- : عند الكرامة العظمى هى النظر إلى وجهه الكريم.

الرابعة: عن ثوبان- رضى اللّه عنه- «أن النبى ﷺ مر على قبور فبكى فقال يا ثوبان هؤلاء يعذبون فى قبورهم فدعوت اللّه أن يخفف عنهم يا ثوبان لو صام هولاء يومًا من رجب وقاموا ليلة ما عذبوا، فقلت يا رسول اللّه بصوم يوم وقيام ليلة يمنع عذاب القبر قال نعم والذى نفسى بيده ما من مسلم ولا مسلمة يصوم يومًا من رجب ويقوم ليلة إلا كتب اللّه له عبادة سنة صوم نهارها وقيام ليلتها» وعنه ﷺ: «ينادى مناد من قبل اللّه تعالى يا صوامى رجب ادخلوا الجنة فى جوار اللّه تعالى» ورأيت فى طبقات ابن السبكى أن البهى ضعف حديث النهى عن صوم رجب، ثم حكى الشافعىِّ فى القديم أنه قال أكره أن يتخذ الرجل صوم شهر كامل غير رمضان لئلا يظن الجاهل وجوبه وإن فعل فحسن، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام-رضى اللّه عنه- : من نهى عن صوم رجب فهو جاهل والمنقول استحباب صيام الأشهر الحرم وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهو أفضلها ووقع فى زيادة الروضة عن البحر أن أفضلها رجب وليس كذلك بل الذى فى البحر أن أفضلها المحرم، ولو قال أنت طالق فى أول الأشهر الحرم وهو فى شوال وقع الطلاق بأول المحرم عند الكوفيين، وعند الجمهور بأول ذى القعدة.

الخامسة: إذا كان يوم القيامة يقال أين الرجبيون فيخرج نور من الحجاب فيتبعه جبريل وميكائيل وإسرافيل حتى يتم الرجبيون بذلك النور فيبلغون الموضع الذى أعد لهم ارفعوا رؤوسكم فقد قضيتم ذلك فى الدنيا وارتحلوا إلى منازل عزكم، وعن النبى ﷺ رجب شهر اللّه، فقيل ما

معناه، قال: لأنه مخصوص بالمغفرة وفيه تحقن الدماء وفيه تاب اللّٰه على أنبيائه وأنقذ أوليائه من أعدائه ومن صامه استوجب على اللّٰه ثلاثة أشياء: مغفرة لجميع ما سلف وعصمة لما بقى من عمره والثالثة يأمن العطش يوم العرض الأكبر فقال رجل أنا ضعيف عن صيامه كله قال صم أوله وأوسطه وآخره فإنك تعطى ثواب من صامه كله.

السادسة: سئل النبي ﷺ عمن عجز عن صيام رجب ما يصنع قال يتصدق كل يوم برغيف. قيل: فإن لم يجده قال يقول سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان الأعز الأكرم سبحان من له العز وهو له أهل، وعنه ﷺ: «إذا كان أول ليلة من رجب اطلع اللّٰه عز وجل فيها على أمتى فيغفر للمذنبين ويكرم التائبين ويقرب الذاكرين ويواصل المجتهدين فمن قام تلك الليلة أصبح مغفوراً له ومن صام ذلك الشهر كله ناداه اللّٰه تعالى عبدى قد وجب حقك على فاسألنى وعزتى وجلالى لا رددت لك دعاء وأنت جارى تحت عرشى، وأنت حبيبى من خلقى وأنت الكريم على أبشر فلا حجاب بينى وبينك» حكاية فى روض الأفكار عن كتاب النور قال أبو سعيد: دخلت على النبى ﷺ فى أول يوم من رجب فقال: «يا أبا سعيد أى يوم ما أكثر خيره وأى يوم ما أعظم بركته قلت: وما ذاك يا نبى اللّٰه؟ قال: أخبرنى جبريل إذا كان أو ليلة من رجب أمر اللّٰه ملكًا ينادى ألا إن شهر التوبة قد استهل فطوبى لمن استغفر اللّٰه فيه»، وعنه ﷺ: «من صام أول يوم رجب تباعدت عنه جهنم بقدر ما بين السماء والأرض» وعن ابن مسعود- رضى اللّٰه عنه- : من صام ثلاثة أيام من رجب وقام ليلها فله من الأجر كمن صام ثلاثة آلاف سنة وقام ليلها يغفر اللّٰه له بكل يوم سبعين كبيرة ويقضى له سبعين حاجة عند النزع وسبعين حاجة فى قبره وسبعين حاجة عند تطاير الصحف وسبعين حاجة عند الميزان وسبعين حاجة عند الصراط».

السابعة: رأيت فى الغنية للشيخ عبد القادر الكيلانى- رضى اللّٰه عنه- عن النبى ﷺ قال: «إن شهر رجب شهر عظيم من صام منه يومًا كتب له صوم ثلاث آلاف سنة» وعن سهل بن سعد عن النبى ﷺ: «ألا إن رجب من الأشهر الحرم وفيه حمل اللّٰه نوحًا فى السفينة فصامه وأمر من كان معه بصيامه فأنجاه اللّٰه من الغرق، وطهر اللّٰه الأرض من الكفر والطغيان». وعنه ﷺ: «من تصدق فى رجب باعده اللّٰه من النار كمقدار غراب طار فرخًا حتى مات هرمًا»، وعن سلمان الفارسى عن النبى ﷺ: «من صام يومًا من رجب فكأنما صام ألف سنة، وكأنما أعتق ألف رقبة ومن تصدق فيه بصدقة فكأنما تصدق بألف دينار، وكتب اللّٰه له بكل شعرة على جسده ألف حسنة، ورفع له ألف درجة ومحا عنه ألف سيئة، وكتب اللّٰه له بكل يوم يصومه وبكل صدقة يتصدق بها ألف حجة، وألف عمرة وبنى له فى الجنة ألف قصر».

الثامنة: قال آدم - عليه السلام-: «يا رب أخبرنى بأحب الأوقات إليك وأحب الأيام إليك قال: أحب الأيام إلى النصف من رجب فمن تقرب إلى يوم النصف من رجب بصيام وصلاة وصدقة

فلا يسألنى شيئًا إلا أعطيته ولا استغفرنى إلا غفرت له يا آدم من أصبح يوم النصف من رجب صائمًا ذاكرًا حافظًا لفرجه متصدقًا من ماله لم يكن له جزاء إلا الجنة»، وعن النبى ﷺ: «من صام النصف من رجب عدل له بصيام ثلاثين سنة، وقال فى عيون المجالس: ليلة النصف من رجب هى التى كلم اللّه فيها موسى، ورفع إدريس فيها إلى السماء، ويقول اللّه تعالى فى هذه الليلة للملائكة المتوكلين بدواوين العباد انظروا إلى دواوينهم فكل سيئة امحوها واجعلوا مكانها حسنة».

التاسعة: قال مقاتل- رضى اللّه عنه- : «خلق اللّه تعالى خلف جبل قاف أرضًا بيضاء مملوءة من الملائكة مع كل ملك لواء مكتوب عليه لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، يجتمعون كل ليلة من رجب ويستغفرون لأمة محمد ﷺ» وعنه ﷺ: «رجب من الأشهر الحرم وأيامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة فإذا صام الرجل منه يومًا أتم صيامه بتقوى اللّه فغلق الباب، فقال: يا رب اغفر لعبدك، وإذا لم يتم صومه بتقوى اللّه لم يستغفر له، وقال خدعتك نفسك».

العاشرة: قال وهب بن منبه: قرأت فى بعض كتب اللّه عز وجل أن من استغفر اللّه بالغداة والعشى فى رجب سبعين مرة حرم جسده على النار، وقال على- رضى اللّه عنه- : قال النبى ﷺ: «أكثرو من الاستغفار فى شهر رجب فإن للّه تعالى فى كل ساعة منه عتقاء من النار وإن للّه مدائن لا يدخلها إلا من صام رجب»، وعن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- عن النبى ﷺ: «من قال فى رجب وشعبان ورمضان فيما بين الظهر والعصر أستغفر اللّه العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، أوحى اللّه تعالى إلى الملكين احرقوا كتاب سيئاته من ديوان صحيفته»، وفى الخبر يقول اللّه تعالى فى كل ليلة من رجب: «رجب شهرى والعبد عبدى والرحمة رحمتى، والفضل بيدى وأنا غافر لمن استغفرنى فى هذا الشهر ومعط من سألنى فيه»، ورأيت فى عيون المجالس رجب شهر التهليل وشعبان شهر التسبيح ورمضان شهر التحميد.

الحادية عشرة: عن النبى ﷺ: «**من صام يوم السابع والعشرون من رجب كتب اللّه له ثواب ستين شهرًا**» وعن أبى هريرة وسلمان الفارسى- رضى اللّه عنهما- قالا: قال النبى ﷺ: «إن فى رجب يومًا وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان له من الأجر كمن صام مائة عام قامها، وهى لثلاث بقين من رجب» حكاه الشيخ عبد القادر الكيلانى فى الغنية، ورأيت فى الجامع الشافعى فى الوعظ الكافى: من صام يوم السابع والعشرين من رجب وتصدق فيه كتب اللّه له بصيامه ألف حسنة وعتق ألف رقبة، وجاء فى الخبر مرفوعًا: «من صلى ليلة السابع والعشرين من رجب ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو اللّه أحد عشرين مرة، فإذا فرغ صلّى على النبى ﷺ عشر مرات ثم يقول اللهم إنى أسألك بمشاهدة أسرار المحبين، وبالخلوة التى خصصت بها سيد المرسلين حين أسريت به ليلة السابع والعشرين أن ترحم قلبى الحزين وتجيب دعوتى يا أكرم الأكرمين فإن اللّه

يجيب دعاءه ويرجو نداءه ويحيى قلبه يوم تموت القلوب» وقال النبى ﷺ: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يصلى فى هذا الشهر ثلاثين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو اللَّه أحد ثلاث مرات، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات إلا محا اللَّه عنه ذنوبه وأعطاه من الأجر كمن صام الشهر كله وكان من المصلين إلى السنة المقبلة ورفع له كل يوم عمل شهيد فإن صام الشهر كله وصلى هذه الصلاة أنجاه اللَّه من النار وأوجب له الجنة».

الثانية عشر: عن النبى ﷺ: «لا تغفلوا عن ليلة أول جمعة من رجب فإنها ليلة تسميها الملائكة ليلة الرغائب وذلك لأنه إذا مضى ثلث الليل لا يبقى ملك فى السموات والأرضين إلا ويجتمعون فى الكعبة وحولها فيطلع اللَّه تعالى عليهم فيقول يا ملائكتى سلونى ما شئتم، فيقولون ربنا حاجتنا إليك أن تغفر لصوام رجب فيقول اللَّه قد فعلت ذلك»، وعن أنس قال: «لقيت معاذ فقلت له من أين قال من عند النبى ﷺ فقلت: ما قال؟ قال: سمعته يقول من صام يومًا من رجب يبتغى به وجه اللَّه تعالى دخل الجنة فدخلت على النبى ﷺ فقلت: يا رسول اللَّه حدّثنى معاذ عنك بكذا فقال صدق أنا قلت ذلك أنا قلت أنا قلت ذلك»، وعن النبى ﷺ: «من فرج عن مؤمن كربة فى رجب أعطاه اللَّه فى الفردوس قصرا مد بصره».

الثالثة عشر: مر عيسى- عليه السلام- على جبل يتلألأ نوراً فقال يا رب أنطق لى هذا الجبل فقال يا روح اللَّه ما الذى تريد قال أخبرنى بخبرك قال فى جوفى رجل قال عيسى يا رب أخرجه فانفلق الجبل عن شيخ حسن الوجه، وقال يا عيسى أنا من قوم موسى سألت الحياة إلى زمن محمد ﷺ لأكون من أمته ولى ستمائة عام أعبد اللَّه تعالى فى هذا الجبل فقال عيسى يا رب هل على وجه الأرض أكرم عليك من هذا فقال يا عيسى من صام من أمة محمد يومًا من رجب فهو أكرم على من هذا.

لطائف: الأولى: رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة اللَّه والجيم جوده والباء بره.

الثانية: رجب اسمه الأصب لأن الرحمة تصب فيه صبّا، واسمه أيضًا الأصم لأن الحروب ترفع فيه فلا يسمع فيه للسلاح صلصلة، وقيل: لأنه يرفع إلى اللَّه إذا انقضى فيسأله اللَّه تعالى عن عمل عباده فيسكت ثم يسأله ثانيًا فيسكت ثم يسأله ثالثًا فيسكت ثم يقول يا رب أنت أمرت عبادك أن يستر بعضهم بعضًا وسمانى نبيك محمد ﷺ الأصم فأنا الأصم سمعت طاعتك دون معاصيهم، واسمه أيضًا رجب واشتقاقه من الرجيب وهو التعظيم يقال رجبت الشىء إذا عظمته واسمه أيضًا رجم بالميم لأن الشياطين ترجم فيه لئلا يؤذوا المؤمنين.

الثالثة: رجب لاستغفار الذنوب وشعبان لستر العيوب ورمضان لتنوير القلوب، وقيل: رجب خص بالمغفرة من اللَّه وشعبان بالشفاعة ورمضان بتضعيف الحسنات، وقيل رجب شهر التوبة وشعبان شهر المحبة ورمضان شهر القربة، واللَّه أعلم.

باب: فضل شعبان وفضل صلاة التسابيح

عن النبى ﷺ: «من صلى أول ليلة من شعبان اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى الركعة الأولى فاتحة الكتاب مرة وقل هو اللّه أحد خمس مرات أعطاه اللّه تعالى ثواب اثنى عشر ألف شهيد وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولا يكتب عليه خطيئة إلى ثمانين يومًا»، ورأيت فى كتاب البركة عن النبى ﷺ: «من صام أول خميس من شعبان وآخر خميس منه كان حقًا على اللّه أن يدخله الجنة وآخر خميس محمول على من له عادة» وقالت عائشة- رضى اللّه عنه- : كان أحب الشهور إلى النبى ﷺ شعبان وقال ﷺ: «شعبان جُنة النار فمن أراد أن يلقانى فليصمه ولو بثلاثة أيام» قال بعض العلماء: الجنة بضم الجيم هى ما يجنك أى يسترك ويقيك ما تخاف، وعن النبى ﷺ: «شعبان شهرى ورمضان شهر أمتى»، شعبان هو المكفر ورمضان هو المطهر، وعن أسامة بن زيد قال قلت: يا رسول اللّه رأيتك تصوم من شعبان صومًا لا تصومه فى شهر من الشهور إلا فى شهر رمضان قال: ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان وترفع فيه أعمال الناس فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم، وعن أنس- رضى اللّه عنه- سُئلَ النبى ﷺ عن أفضل الصيام فقال: صيام شعبان تعظيمًا لرمضان وعنه أيضًا: «نقوا أبدانكم بصوم شعبان لصيام شهر رمضان فما من عبد يصوم ثلاثة أيام من شعبان ثم يصلى على مرارًا قبل إفطاره إلا غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه» وأخبرنى جبريل أن اللّه تعالى يفتح فى هذا الشهر ثلثمائة باب من الرحمة وعنه أيضًا قال: أتدرون لم سمى شعبان قلنا اللّه ورسوله أعلم قال: «لأنه يتشعب فيه خير كثير».

وعن أنس- رضى اللّه عنه- سُئلَ النبى ﷺ أى الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: «شعبان» وعن النبى ﷺ: «فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام وفضل شعبان على سائر الشهور كفضلى على سائر الأنبياء، وفضل رمضان على الشهور كفضل اللّه على خلقه» وعنه أيضًا: «من صام من شعبان يومًا حرم اللّه جسده على النار، وكان رفيق يوسف فى الجنان وأعطاه اللّه ثواب أيوب وداود فإن أتم الشهر كله هون اللّه عليه سكرات الموت، ودفع عنه ظلمة القبر وهو منكر ونكير وستر اللّه عورته يوم القيامة» وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «جاءنى جبريل ليلة النصف من شعبان وقال: يا محمد ارفع رأسك إلى السماء فقلت: ما هذه الليلة قال: هذه ليلة يفتح اللّه فيها ثلثمائة باب من أبواب الرحمة، يغفر اللّه لجميع من لا يشرك به شيئًا، إلا أن يكون ساحرًا أو كاهنًا أو مصرًا على الزنا أو مدمن خمر» وعنه ﷺ قال: «يطلع اللّه على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا المشرك والمشاحن يعنى المصارم لأخيه المسلم» وعن النبى ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن اللّه تعالى يقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مبتل فأعافيه ألا من مسترزق فأرزقه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر».

وفى كتاب البركة إن الجن والطيور والسباع وحيتان البحر يصومون يوم النصف من شعبان عن النبى ﷺ «من أحيا ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

وذكر فى الإقناع: أن جبريل نزل على النبى ﷺ ليلة البراءة وقال: يا محمد اجتهد فى هذه الليلة فإن فيها تقضى الحاجة فاجتهد النبى ﷺ قائمًا فأتاه جبريل مرة ثانية فقال: يا محمد بشر أمتك فإن اللَّه تعالى غفر لجميع أمتك من لا يشرك به شيئًا ثم قال: ارفع رأسك فرفع رأسه فإذا أبواب الجنة وفى رواية أبواب السماء مفتحة وعلى الباب الأول ملك ينادى طوبى لمن ركع فى هذه الليلة وعلى الباب الثانى ملك ينادى طوبى لمن سجد فى هذه الليلة، وعلى الباب الثالث ملك ينادى طوبى لمن دعا فى هذه الليلة وعلى الباب الرابع ملك ينادى طوبى لمن بكى من خشية اللَّه فى هذه الليلة، وعلى الباب الخامس ملك ينادى طوبى لمن عمل خيراً فى هذه الليلة وعلى الباب السادس ملك ينادى هل من سائل فيعطى سؤله، وعلى الباب السابع ملك ينادى هل من مستغفر فيغفر له فقلت يا جبريل إلى متى تكون هذه الأبواب مفتحة قال إلى طلوع الفجر، ثم قال: إن للَّه تعالى فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب.

حكاية: قال فى روض الأفكار: مر عيسى ابن مريم – عليه السلام– على جبل فرأى فيه صخرة بيضاء، فطاف بها عيسى وتعجب منها فأوحى اللَّه إليه أتريد أن أبين لك أعجب مما رأيت قال: نعم فانفلقت الصخرة عن رجل بيده عكازة خضراء وعنده شجرة عنب فقال: هذا رزقى كل يوم فقال: كم تعبد اللَّه فى هذا الحجر فقال: منذ أربعمائة سنة فقال عيسى: يا رب ما أظنك خلقت خلقًا أفضل منه فقال: من صلى ليلة النصف من شعبان من أمة محمد ﷺ ركعتين فهو أفضل من عبادته أربعمائة عام، قال عيسى ليتنى من أمة محمد ﷺ.

فائدة: قال الشيخ عبد العزيز الديرينى– رضى اللَّه عنه– : ومما كان الصالحون يحافظون عليه صلاة التسبيح، قال فى روض الأفكار: ينبغى أن يصليها بعد الزوال قبل الظهر وكيفيتها ما رواه عكرمة عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال للعباس– رضى اللَّه عنه– : يا عماه ألا أمنحك ألا أعطيك ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر اللَّه ذنبك أوله وآخره وقديمه وحديثه وعمده وخطأه وسره وعلانيته، أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص أربع مرات، قال فى روض الأفكار: ينبغى أن تكون من المسبحات، الحديد أو الحشر أو الصف أو الجمعة أو التغابن فإذا فرغت من القراءة فقل سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً ثم ترفع رأسك فتقولها عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً، ثم تسجد ثانيًا فتقولها عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً قبل القيام، فذلك خمس وسبعون تسبيحة فى كل ركعة قال فى الترغيب والترهيب: إن من صلاها ليلاً سلم من كل ركعتين، وأن من صلاها نهاراً فهو مخير إن شاء صلاها

بتسليمتين أو تسليمة، نعم رأيت فى شرح المهذب أن الأفضل فى صلاة الليل والنهار أن يسلم من كل ركعتين وبه قال مالك وأحمد، لقول النبى ﷺ: صلاة الليل والنهار مثنى مثنى رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وفى كتاب البركة: عن النبى ﷺ من صلى ليلة النصف من شعبان اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو اللّه أحد عشر مرة محيت عنه سيئاته وبورك له فى عمره.

لطيفة: أظهر اللّه تعالى البراءة لأنها ليلة القضاء والحكم، فيه تنسخ الآجال وترفع الأعمال وقال ﷺ: «يسح اللّه الخير سحّا فى أربع ليال ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر والأضحى وعرفة» وأخفى ليلة القدر لأنها ليلة الرحمة والعتق من النيران فأخفاها لئلا يتكلوا، وقال النسفى - رحمه اللّه- تعالى: أخفى ليلة القدر حتى يجتهد فى الشهر كله وكذلك ساعة الإجابة من يوم الجمعة وأخفى اسمه الأعظم فى أسمائه الحسنى حتى ندعوه بها كلها، وأخفى الولى حتى لا تحتقر أحد من المؤمنين وعنه ﷺ: «أخفى اللّه تعالى ثلاثًا فى ثلاث رضاه فى طاعته فلا تحتقرن من الطاعة شيئًا وغضبه فى معصيته فلا تحتقرن من المعصية شيئًا وأخفى وليه فى خلقه فلا تحتقرن منهم أحدًا».

قال كعب الأحبار - رضى اللّه عنه-: يبعث اللّه ليلة النصف من شعبان جبريل إلى الجنة فيأمرها أن تتزين ويقول إن اللّه تعالى قد أعتق فى ليلتك هذه عدد نجوم السماء وعدد أيام الدنيا ولياليها، قال عطاء بن يسار: ما بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان وهى من الليالى التى يستجاب فيها الدعاء.

لطيفة: شعبان خمس أحرف ش ع ب ا ن فالشين من الشرف والعين من العلو والباء من البر والألف من الألفة والنون من النور، فهذه العطايا من اللّه تعالى لعبده المؤمن فى هذا الشهر.

مسألة: يحرم الصيام بعد النصف من شعبان لمن لا عادة له لما صححه الترمذى عن النبى ﷺ **«إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يأتى رمضان»**، وقال الإمام مالك- رضى اللّه عنه-: بالاستحباب.

فإن قيل: فى البخارى من رواية عائشة - رضى اللّه عنها- ما رأيت النبى ﷺ استكمل شهرًا إلا رمضان وما رأيته أكثر صيامًا منه فى شعبان، وفى الصحيح أيضًا قالت عائشة- رضى اللّه عنها-: كان يصوم شعبان كله فالجمع بين الروايتين أن المراد بالكل الغالب.

فائدة: مكتوب فى التوراة من قال فى شعبان لا إله إلا اللّه ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون كتب اللّه له عبادة ألف سنة ومحا عنه ذنوب ألف سنة وخرج من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر وكتب عند اللّه صديقا، واللّه أعلم.

* *

باب: فضل رمضان والترغيب فى العمل الصالح فيه وما فيه من الفضل وفيه فائدتان

الأولى: رأيت عجائب المخلوقات للقزوينى - رحمه اللَّه تعالى - عن جعفر الصادق - رضى اللَّه عنه - خامس رمضان الماضى أول رمضان الآتى وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فوجدوه صحيحًا.

الثانية: عن أنس بن مالك - رضى اللَّه عنه - عن النبى ﷺ: «ما من عبد مؤمن رأى الهلال فحمد وأثنى عليه ثم قرأ الفاتحة سبع مرات إلا عافاه اللَّه تعالى من شكاية العين ذلك الشهر» وقال على - رضى اللَّه عنه - : قال النبى ﷺ: «إذا رأيت الهلال أو الشهر فقل اللَّه أكبر ثلاثًا، الحمد للَّه الذى خلقنى وخلقك وقدر لك منازل وجعلك آية للعالمين يباهى اللَّه بك الملائكة ويقول يا ملائكتى اشهدوا أنى قد أعتقت هذا العبد من النار».

وفى الأذكار للنووى - رضى اللَّه عنه - كان النبى ﷺ إذا رأى الهلال قال: **«اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك اللَّه»** رواه الترمذى. وكان النبى ﷺ إذا رأى الهلال يقول: **«هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقت ثلاث مرات»**.

وفى ربيع الأبرار للزمخشرى: يقال عند رؤية الشمس سبحان من صورك ودورك ونورك ولو شاء لكورك.

قال مؤلفه: إنما ذكرت هذه الفائدة الثانية هنا لأن الناس يهتمون برؤية هلال رمضان أكثر من غيره.

مسائل: الأولى: لو قال أنت طالق إن رأيت الهلال فأخبرها غيره به أو تم العدد وقع الطلاق، فإن قال أردت المعاينة قبلنا قوله باطنًا وكذا ظاهرًا على الصحيح، إن كانت بصيرة ولو قال إن رأيت بضم التاء الهلال فأنت طالق فالحكم كذلك إن كان بصيرًا ورؤية الهلال فى الليلة الثانية كالأولى والعبرة برؤيته قبل الغروب.

الثانية: نية صوم رمضان واجبة كل ليلة وقتها من الغروب إلى الفجر عند الإمامين وعند أبى حنيفة من الغروب إلى الزوال كنية النفل عند الشافعى وفى قول يصح صومه النفل بنية بعد الزوال أيضًا، وقال مالك: تكفيه واحدة من أول رمضان عن كل ليلة.

الثالثة: لو نوى أول ليلة من رمضان صوم الشهر كله فهل يصح صوم اليوم الأول فيه خلاف صحح فى الروضة الصحة، ولو شك هل نوى أم لا فإن تذكر قبل الغروب أو بعده صح صومه، وإن لم يتذكر وجب القضاء ولو شك هل نوى قبل الفجر أو بعده وجب القضاء، والنية بالقلب والصبى كالبالغ فى وجوب النية قبل الفجر قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] قال على- رضى اللَّه عنه- : كتب الصيام على آدم فمن بعده ثم زاد فيه النصارى، وقيل إنهم نقلوه من أيام الصيف إلى الشتاء وقال النبى ﷺ: «**للصائم فرحتان فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه**» وقال النبى ﷺ: «من حضر مجلسًا من مجالس الذكر فى رمضان كتب اللَّه له بكل قدم عبادة ويكون يوم القيامة معى تحت العرش ومن داوم على الجماعة فى رمضان أعطاه اللَّه بكل ركعة مدينة من نور ومن بر والديه بما تنال يده نظر اللَّه إليه بالرأفة والرحمة وأنا كفيله وما من امرأة تطلب رضا زوجها فى رمضان إلا كان لها عند اللَّه ثواب مريم وآسية، ومن قضى حاجة مسلم فى رمضان قضى اللَّه له ألف ألف حاجة ومن تصدق فيه بصدقة إلى فقير ذى عيال كتب اللَّه ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة» عن أنس عن النبى ﷺ قال: «من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب اللَّه له بكل خطوة سبعين حسنة ومحا عنه سبعين سيئة إلى أن يرجع من حيث فارقه» وقال ﷺ: «إن للَّه خلقًا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم وهم الآمنون من عذاب اللَّه» رواه الطبرانى، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يقضيها له ثبت اللَّه قدميه يوم تزل الأقدام، وقال النبى ﷺ: «**لا يزال اللَّه فى حاجة العبد ما دام العبد فى حاجة أخيه**» رواه الطبرانى.

لطيفة: حلف رجل بالطلاق أن يطأ زوجتهفى رمضان نهارًا فسأل جماعة من العلماء فعجزوا عن خلاصه، فقال أبو حنيفة: يسافر بها ويجامعها فى السفر فلا شىء عليه.

قال مؤلفه: وهذا الحكم عند الشافعىإن فارق العمران قبل الفجر وإلا فيلزمه الإمساك والقضاء وعتق رقبة، فإن لم يجد فإطعام ستين مسكينًا كل مسكين مد طعام من غالب قوت البلد، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين وتكون الكفارة على والزوج الزوجة وفى قول عليها كفارة أخرى.

مسائل: الأولى: لو قال أنت طالق بالمشرق وهما بالمغرب وقع الطلاق فى الحال قياسًا على قوله فى الروضة: أنت طالق بمكة وهما فى مصر مثلاً وقع الطلاق فى الحال.

قال الأسنوى: فى طبقات العباد أنها لا تطلقحتى تدخل مكة وكذا لو قال أنت طالق فى الشمس وهما فى الظل بخلاف ما لو قال أنت طالق فى الشتاء وهما فى الصيف فلا تطلق حتى يجىء الشتاء.

الثانية: ذكر فى مجمع الأحباب عن عبادة بن الصامتعن النبى ﷺ **أنه كان يقول إذا دخل** رمضان: «**اللهم سلمنى لرمضان وسلم رمضان لى وتسلمه منى متقبلاً**» وفى رواية: «**اللهم سلمنا من رمضان وسلمه منا**» وقال النبى ﷺ: «رمضان قلب السنة إذا سلم سلمت السنة كلها»، ورأيت فى كتاب البركة عن المسعودى، من قرأ سورة الفتح أول ليلة من رمضان حفظ فى ذلك العام، وفى الخبر إذا صعد الملك بالصوم إلى اللَّه تعالى فيقول أكرمك عبدى وعظمك فيقول الصوم نعم يا رب

أنزلني فى أشرف المواضع من نفسه ووضعني على مائدة الصلاة والتراويح، وقام يخدمنى وحفظ عينيه عن الحرام وسمعه عن الباطل، فيقول اللَّه تعالى اليوم أنزله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الرابعة: خلق اللَّه تعالى ملكًا تحت سدرة المنتهى طوله ألف عام وله ألف رأس فى كل رأس ألف وجه فى كل وجه ألف فم فى كل فم ألف لسان على كل لسان ألف ذؤابة فى كل ذؤابة ألف لؤلؤة فى كل لؤلؤة ألف بحر من نور فى كل بحر حيتان من نور طول كل حوت مائة عام، مكتوب على ظهورهم لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه فإذا سبح الملك اهتز العرش لحسن صوته خلقه اللَّه قبل آدم بألفى عام فلما رآه النبى ﷺ ليلة المعراج سلم عليه فلم يسمع سلامه لاشتغاله بالتسبيح، فقال له جبريل: هذا محمد يسلم عليك فبسط جناحين أخضرين حتى ملأ السموات والأرض وقبل النبى ﷺ بين عينيه وقال: أبشر يا محمد فقد غفر اللَّه لك ولأمتك ببركة شهر رمضان ورأى ﷺ بين يديه صندوقين على كل صندوق ألف قفل من نور فسأله عنهما فقال فيهما براءة لصائمى رمضان من أمتك وأنا شهيد عليها حكاه النسفى.

الخامسة: قال النبى ﷺ: «إن أبواب السماء وأبواب الأرض لتفتح لأول ليلة من رمضان فلا تغلق لآخر ليلة منه وليس من عبد يصلى فى ليلة منه إلا كتب اللَّه له بكل سجدة ألفًا وسبعمائة حسنة، وبنى له بيتًا فى الجنة فإذا صام أول يوم من رمضان غفر اللَّه له كل ذنب إلى آخر يوم من شهره، وكان كفارة إلى مثله وكان له بكل يوم منه يصومه قصر فى الجنة وكان له بكل سجدة سجدها من ليل أو نهار شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها».

السادسة: قال النبى ﷺ: «فضل الجمعة فى رمضان على أيامه كفضل رمضان على سائر الشهور» وفى حديث آخر: «إذا كان يوم القيامة أوحى اللَّه إلى رضوان أنى أخرجت الصائمين من قبورهم جائعين عطاشى فاستقبلهم بطعام وشراب من الجنة فيصيح رضوان أيها الغلمان والولدن عليكم بأطباق من نور فتجتمع عنده أكثر من الكواكب بالفاكهة والأشربة اللذيذة، فيستقبلون الصائمين والصائمات ويقال لهم: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]»، وهى أيام الصوم كما تقدم.

السابعة: خلق اللَّه تعالى ملكا له أربعة أوجه بين الوجه والوجه أربعة آلاف عام فالأول ساجد للَّه والثانى ينظر به إلى العرش ويقول يا رب اغفر وارحم لصائمى رمضان من أمة محمد ﷺ والثالث ينظر به إلى الجنة ويقول طوبى لمن دخلك والرابع ينظر به إلى جهنم ويقول ويل لمن دخلك، ذكره النسفى - رحمه اللَّه تعالى.

الثامن: خلق اللَّه تعالى ملكًا نصفه من ظلمة ونصفه من نور، وملكًا نصفه من نار ونصفه من ثلج وملكًا نصفه ذهب ونصفه فضة وملكًا نصفه ريح ونصفه تراب يبكون على المذنبين من أمة محمد ﷺ فيقول اللَّه تبكون عليهم وهم يعملون كذا وكذا فيقولون أما أعطيتهم رمضان، فيقول

صدقتم رحمتى لهم فى رمضان كل يوم خمس مرات وقال على- رضى اللّه عنه- : لو أراد اللّه أن يعذب أمة محمد ﷺ ما أعطاهم رمضان وقل هو اللّه أحد.

التاسعة: قال موسى- عليه السلام- : يا رب أكرمتنى بالتكليم فهل أعطيت أحدًا مثل ذلك فأوحى اللّه تعالى إليه: يا موسى إن لى عبادًا أخرجهم فى آخر الزمان وأكرمهم بشهر رمضان فأكون أقرب لأحدهم منك لأنك كلمتنى وبينى وبينك سبعون ألف حجاب فإذا صامت أمة محمد ﷺ حتى ابيضت شفاههم واصفرت ألوانهم أرفع الحجب بينى وبينهم وقت إفطارهم، يا موسى طوبى لمن عطش كبده وأجاع بطنه فى رمضان، وقال كعب الأحبار: أوحى اللّه إلى موسى إنى كتبت على نفسى أن لا أرد دعوة صائم رمضان.

موعظة: يؤتى يوم القيامة بعبد والملائكة يضربونه فيتعلق بالنبى ﷺ فيقول ما ذنبه فيقولون أدرك شهر رمضان فعصى اللّه تعالى فيه فيريد النبى ﷺ أن يشفع فيه، فيقال يا محمد إن خصمه رمضان، فيقول النبى ﷺ أنا برىء ممن خصمه رمضان.

لطيفة: قال ابن الجوزى- رحمه اللّه تعالى- : فى بستان الواعظين: مثل الشهور الاثنى عشر كمثل أولاد يعقوب فكما أن يوسف أحب أولاد يعقوب إليه كذلك رمضان أحب الشهور إلى اللّه فيغفر اللّه لهم بدعوة واحد منهم وهو يوسف، كذلك يغفر اللّه ذنوب أحد عشر شهرًا ببركة رمضان.

ورأيت فى طبقات [illegible] فى قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، أن صيام رمضان بعشرة أشهر يبقى شهران فيغفر اللّه ذنوب شهر برحمته وذنوب شهر بشفاعة محمد ﷺ.

حكاية: رأى مجوسى ابنه يأكل فى رمضان بحضرة المسلمين فضربه وقال: لِمَ لَمْ تحفظ حرمة المسلمين فى رمضان فمات فى ذلك الأسبوع فرآه عالم البلد فى النوم وهو فى الجَنة فقال: ألست كنت مجوسيًا قال: بلى ولكن لما حضرت وفاتى أكرمنى اللّه بالإسلام لاحترامى شهر رمضان.

مسألة: تقضى الحائض الصوم لا الصلاة لكثرتها بخلاف الصوم، قال فى شرح المهذب: سقوط الصلاة عن الحائض عزيمة لا رخصة لأنها مأمورة بالترك وأما الصوم فللشرع زيادة اعتناء به فأوجب قضاءه ثم فرق بين العزيمة والرخصة بأن العزيمة هى الحكم الثابت على وفق الدليل، والرخصة هى الحكم الثابت على خلاف الدليل، وقال فى التتار خانية للحنفية: إنما وجب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة لأن حواء حاضت فى الصلاة فسألت آدم عن ذلك فلم يعلم حتى جاءه جبريل فسأله فلم يعلم فأمره ربه أن يأمرها بتركها فلما حاضت وهى صائمة سألت آدم عن ذلك فأمرها بتركها قياسًا على الصلاة فأمره اللّه أن يأمرها بالقضاء فقال آدم: يا رب كل من الصلاة والصوم عبادة فكيف أمرتها بقضاء الصوم دون الصلاة فأوحى اللّه إليه لأنك فى الصلاة رجعت إلينا وفى الصوم حكمت برأيك.

وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي: جعل اللَّه الحيض لحواء وبناتها كفارة وطهوراً وفي تفسير القرطبي أن حواء لما أكلت من شجرة الحنطة وأصابها ما أصابها كسرتها فشكت الشجرة ذلك إلى ربها، فقال: وعزتي لأدمينها وبناتها إلى يوم القيامة.

فائدة: ذكر ولي اللَّه تقي الدين الحصني في كتاب تنزيه السالك عن النبي ﷺ: **«اشتد غضب اللَّه على من أتى امرأة في حيضها أو نفاسها، اشتد غضب اللَّه على من عمل عمل قوم لوط، اشتد غضب اللَّه على من أتى بهيمة»**.

مسائل مهمة تدعو الحاجة إليها.

الأولى: امرأة رأت الدم أول حيضها على لونين فأكثر كأسود وأحمر وأصفر فالقوي حيض والضعيف استحاضة، بشروط ثلاثة: أن لا ينقص القوي عن يوم وليلة متصلة، الثاني ألا يزيد على خمسة عشر يومًا، الثالث أن لا ينقص الضعيف عن أقل الطهور وهو خمسة عشر يومًا متصلة فإن فقد شرط من هذه الثلاثة فحيضها يوم وليلة فقط وتعتبر القوة باللون فالأسود أقوى ثم الأحمر ثم الأصفر وتعتبر الرائحة أيضًا فكراهة الرائحة أقوى، والتخين أقوى من الرقيق، فإن استوى الدم في الصفات فتعتبر الكثرة فالكثيرة أقوى، والقليل ضعيف فإن تساوى الدم في الكثرة رجع بالسبق فما خرج أولاً فهو الحيض فهذه مبتدأة مميزة.

الثانية: امرأة رأت الدم أول حيضها على لون واحد من أول رمضان مثلاً فإن صامت شيئًا منه غير اليوم الذي رأت فيه الدم يحسب لها ثم تقضي ذلك اليوم فهذه مبتدأة غير مميزة.

الثالثة: امرأة رأت الدم على لون واحد ثلاث سنين مثلاً متوالية وعادتها قبل ذلك من كل شهر خمسة أيام مثلاً، فترد إلى عادتها قدراً ووقتًا فتأكل من رمضان أيام عادتها وتصوم الباقي فهذه معتادة غير مميزة.

الرابعة: امرأة لهاعادةولكنها ترى الدم على لونين فأكثر فهذه معتادة مميزة فالقوي حيض والضعيف استحاضة بالشروط السابقة.

الخامسة: امرأة مستحاضة وهي التي ترى الدم دائمًا فتغسل فرجها وجوبًا قبل الوضوء أو التيمم ويجب عليها حشو فرجها بقطن ونحوه إلا في نهار رمضان ثم تعصبه إن لم تتأذى بالدم، ثم تتوضأ وقت الصلاة وتبادربها فإن أخرتها لمصلحة الصلاة مثل انتظار جماعة لم يضر وإن أخرتها لغير ذلك وجب إعادتها ما تقدم من الوضوء أو غيره فلو انقطع الدم بعد الوضوء أو في أثنائه أو بعد التيمم ولم تعتد انقطاعه وعوده أو اعتادت ووسع زمن الانقطاع الوضوء والصلاة التي توضأت لها وجب إعادة الوضوء لاحتمال الشفاء من هذه العلة، والأصل عدم عودها ولا مكان إيقاع الصلاة على الكمال في وقتها.

السادسة: امرأة جاوز نفاسها ستين يومًا فترجع إلى عادتها إن كان لها عادة بأن ولدت قبل ذلك مثاله عادة نفاسها عشرة أيام مثلاً فوضعت فى أول رجب مثلاً واستمر بها الدم إلى آخر رمضان فنفاسها منها عشرة أيام وإن كان أول نفاسها ورأت الدم على ألوان فالأقوى نفاس بشرط أن لايزيد على ستين يومًا، والضعيف استحاضةولا ضبط للضعيف بخلاف الحيض فإن ضعيفه مضبوط بأقل الطهر وهو خمسة عشر يومًا، وإن جاوز النفاس ستين يومًا فنفاسها لحظة واحدة فى الأظهر، ومن نسيت عادتها فهى متحيرة وقد عرفت حكمها مما تقدم، واللَّه أعلم.

لطيفة: رأيت فى عيون المجالس فى قوله تعالى: ﴿**السَّائِحُونَ**﴾[التوبة: ١١٢]، قيل هم الصائمون لأن السائح كلما رأى بلدة طيبة توجه إليها والصائم كلما رأى فى الجنة مكانًا طيبًا توجه إليه.

موعظة: قال البلقينى فى الفوائد على القواعد نقلاً عن الأوزاعى: أنه يجب فى قضاء رمضان ثلاثة آلاف يوم اهـ قال سعيد بن المسيب: يجب عن كل يوم صوم شهر وهذا محمول على ما إذا أفطر عنادًا، وإلا فلا شىء سوى قضاء ذلك اليوم إن ثبت فى أثنائه ولا يجب الإمساك من أول يوم الشك احتياطًا فى الثبوت فى أثنائه بل محرم فيه الصوم فلا إنكار على من أكل من عاقل إذ لا ينكر إلا المجمع على إنكاره أو ما اعتقد الفاعل تحريمه.

فائدتان: الأولى: جاء فى الحديث عن النبى ﷺ إذا استيقظ المؤمن فى شهر رمضان وتقلب من جنب إلى جنب وذكر اللَّه تعالى يقول له الملك قم يرحمك اللَّه فإذا قام يدعو له الفراش اللهم اعطه الفرش المرفوعة فى الجنة وإذا لبس ثوبه يدعو له اللهم اعطه حلل الجنة وإذا لبس نعله يدعو له اللهم ثبت قدمه على الصراط، وإذا تناول الإناء يدعو له اللهم اعطه أكواب الجنة، وإذا توضأ يدعو له الماء اللهم طهره من الذنوب والخطايا، وإن قام بين يدى اللَّه تعالى يدعو له البيت اللهم نور لحده وسع عليه قبره، ينظر اللَّه إليه ويقول عبدى منك الدعاء ومنا الإجابة وتقدم إن سائل اللَّه فى رمضان لا يخيب، وعن النبى ﷺ: «**نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور وعمله مضاعف**»، وقال النبى ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا أى تصديقًا واحتسابًا أى خالصًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» قال العلماء: المراد بقيام رمضان صلاة التراويح ويقال لها الصلاة الجامعة إن صلاها فى جماعة، وهى عشرون ركعة يسلم فى كل ركعتين وينوى بها سنة التراويح أو من قيام رمضان ويدخل وقتها بفراغ العشاء.

الثانية: لو أحرم بالعشاء خلف من يصلى التراويح فلما سلم من ركعتين قام يكمل العشاء فله أن يأتم بمن يصلى التراويح أيضًا على الصحيح قال فى شرح المهذب قال فى الروضة والأولى أن يصلى العشاء منفردًا ولو صلى أربع ركعات من التراويح بتسليمة لم يصح نقله فى الروضة عن فتاوى

القاضى حسين قال الشعبى - رحمه اللّه تعالى - خلق اللّه تعالى برجا تحت العرش فيه ملائكة لا ينزلون إلى الأرض إلا فى ليالى رمضان يدعون لمن يصلى التراويح .

مسائل الأولى: التيمم رخصة من اللّه تعالى لهذه الأمة دون غيرهم من الأمم، وله سببان أحدهما فقد الماء ولو فى سفر قصير أو مقيم بموضع يغلب فيه الماء الثانى أن يحتاج إليه العطش له أو لرفيقه أو لحيوان محترم ولو مآلا .

الثانية: من تيمم لبرد قضى أو لمرض يمنع الماء مطلقًا كالجدرى إذا عم البدن أو أعضاء التيمم وهو الوجه واليدان وجب القضاء .

الثالثة: التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين على تراب أو شيء فيه غبار طاهر ولو على ظهر كلب قائلاً عند الضربة نويت استباحة فرض الصلاة ثم يمسح وجهه، وضربة لليدين ويجب فيه نزع خاتمه .

فوائد الأولى: قال النبى ﷺ: **«قال تعالى إن أحب عبادى إلى أعجلهم فطرًا»** وقال النبى ﷺ ثلاثة يحبها اللّه: **«تعجيل الفطر وتأخير السحور ووضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة»** وقال النبى ﷺ **«لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»** زاد الإمام أحمد وأخروا السحور وما صلى النبى ﷺ قط صلاة المغرب حتى يفطر واليهود والنصارى يؤخرون فطورهم ولا يتسحرون .

الثانية: يسن أن يقول عند الفطر اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وروى النسائى أن النبى ﷺ كان يقول: **«ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء اللّه تعالى»** .

الثالثة: قال النبى ﷺ **«إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فإنه لم يجد فالماء فإنه طهور»** قال الروياني من أفطر على تمر زيد فى صلاته أربعمائة صلاة وقال أنه وجد فيه حديثًا صحيحًا بإسناد صحيح عن النبى ﷺ فإن لم يجد تمرًا فحلاوة .

الرابعة: قال النبى ﷺ **«تسحروا فإن فى السحور بركة»** وقال أيضًا **«إن اللّه وملائكته يصلون على المتسحرين»** وقال ﷺ **«السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء»** وقال أيضًا **«يرحم اللّه المتسحرين»** .

فالراء رضوان اللّه والميم مغفرة اللّه للعاصين والضاد ضمان اللّه للطائفين والألف ألفة اللّه للمتوكلين والنون نوال اللّه للصادقين وقيل جبريل أمان أهل السماء ومحمد أمان أهل الأرض ورمضان أمان لأمته وسمى رمضان لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها مأخوذ من الرمضاء وهو شدة الحر .

فإن قيل كيف كان رمضان ثلاثين يومًا .

أن اليهود سألوا النبى ﷺ عن ذلك فقال: **«لأن آدم لما أكل من الشجرة بقى الطعام فى بطنه ثلاثين يومًا»** ذكره أبو الليث السمرقندى.

من شرف الصوم إن اللّه تعالى أضافه إليه فقال الصوم لى وأنا أجزى به لأن الصوم لا يتعبد به لغير اللّه، وقال النبى ﷺ **«أتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض اللّه عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب جهنم»**.

قال «شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر وهى صاع من غالب قوت البد» والصاع أربع حفنات بكفى رجل معتدل الكفين حكاه ابن الملقن عن جماعة من العلماء ولو من دقيق، وقال أبو حنيفة: من لم يملك نصابًا لا فطر عليه، واللّه أعلم..

فى ليلة القدر وبيان فضلها

قال اللّه تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ①﴾، يعنى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فوضع فى بيت العز ثم نزل به جبريل مفرقًا فى ثلاث وعشرين سنة أوله: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾، وآخره ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ٢٨١﴾، قال القرطبى: ورأيت فى شرح البخارى ابن أبى جمرة عن بعضهم أول ما نزل من القرآن اقرأ، وقال بعضهم: المدثر والجمع بينهما أن أول ما نزل من التنزيل اقرأ وأول ما نزل من الأمر بالإنذار المدثر.

وهو بشير ونذير، فالجواب: أن البشارة لمن دخل فى الإسلام ووقت نزول هذه السور لم يكن ثم من دخل فى الإسلام واللّه أعلم. قال القرطبى: نزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة منه وصحف إبراهيم فى أوله قال ابن العماد: يستدل بهذه الآية على أن الليل أفضل من النهار واختلفوا فى معنى تفضيلها على ألف شهر وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وذلك ثلاثون ألف حسنة فى غيرها، قال ابن مسعود: ينبغى أن ينوى قيامها من أول ليلة المحرم إلى آخر السنة فيكون قد صادفها قطعًا، وقال النووى: ولا ينال فضلها إلا من أطلعه اللّه عليها قال الماوردى: يستحب كتمانها لمن رآها وقال كثير من المفسرين: العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قال كعب الأحبار- رضى اللّه عنه- : كان فى بنى إسرائيل ملك صالح فأوحى اللّه تعالى إلى نبيهم قل له يتمنى فقال: أتمنى أن أجاهد فى سبيل اللّه بمالى وولدى فرزقه اللّه تعالى ألف ولد فصار يجهز الولد فيجاهد حتى يقتل شهيدًا، ثم يجهز الآخر فيقتل شهيدًا وهكذا حتى قتلوا فى ألف شهر ثم جاهد الملك فقتل، فقال الناس: لا يدرك فضيلته أحد فأنزل اللّه تعالى هذه السورة.

قال الواقدي: وهي أول سورة نزلت بالمدينة، وقال نجم الدين النسفي: نزل بمكة خمس وثمانون سورة أولهن الفاتحة وآخرهن ويل للمطففين ونزل بالمدينة تسع وعشرون أولهن البقرة وآخرهن المائدة، وقال أبو بكر الوراق: كان ملك سليمان - عليه السلام- خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر، فجعل اللّه العمل في هذه الليلة خيرًا من ملكهما ورأيت في روض الأفكار أن النبي ﷺ ذكر يومًا أربعة من بني إسرائيل عبدوا اللّه ثمانين عامًا لم يعصوه طرفة عين فعجب أصحابه من ذلك فجاءه جبريل بهذه السورة فسر النبي ﷺ وأصحابه بذلك واختلفوا في تعيينها فالأكثرون على أنها في السابع والعشرين من رمضان، ومن صلى هذه الليلة أربع ركعات يقرأ الفاتحة والتكاثر مرة وقل هو اللّه أحد ثلاث مرات هون اللّه عليه سكرات الموت، ورفع عنه عذاب القبر وأعطاه أربع عواميد من نور كل عمود ألف قصر.

وقال الشافعي - رضي اللّه عنه-: أقوى الروايات عندي أنها في الحادي والعشرين، وقال صاحب التنبيه: لا تنحصر في العشر الأخير وأنكرها الرافعي اهـ. والذي رأيته عن صاحب التنبيه- رضي اللّه عنه- أنه قال: حروف ليلة القدر تسعة قد ذكرها اللّه تعالى ثلاث مرات فتضرب ثلاث في تسع تبلغ سبعة وعشرين فدل على أنها في السابعة والعشرين وبه قال ابن عباس أيضًا: واحتج بأن اللّه خلق السموات سبعًا والأرض سبعًا والبحار سبعًا والأيام سبعًا وخلقنا من سبع ورزقنا من سبع وهي قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ [عبس: ٢٧]، وهي الحنطة والشعير وسيأتي فضلهما في باب الأمانة ﴿وَعِنَبًا﴾ وسيأتي أيضًا ﴿وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ وقضبًا وهو القصب ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ بساتين عظامًا شجرها فاكه كالتين، ﴿وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ وهو ما تأكله البهائم من العشر وأمرنا بالسجود على سبع وسيأتي هذا كله في باب الأمانة.

فوائد: الأولى: سلم اللّه على نوح في العالمين فأورثه الظفر على الكفرة بعد أن مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، قال مقاتل: أرسله اللّه وهو ابن مائة عام وعاش بعد الطوفان ستين عامًا، وسلم اللّه على موسى فأورثه السلامة في البحر وسلم اللّه على عيسى فأورثه إحياء الموتى وسلم اللّه على إبراهيم فأورثه النجاة من النار، وسلم على محمد ﷺ فأورثه الشفاعة وسلم على أمته ليلة القدر فأورثهم الرحمة.

الثانية: يقول اللّه تعالى ليلة القدر: يا جبريل الطاهر ويا ميكائيل الذاكر ويا إسرافيل الراكع، اختاروا من الملائكة أرحمهم واقصدوا زيارة العصاة فينزلون مع كل ملك منهم سبعون ألف ومعهم أربعة ألوية لواء الحمد ولواء المغفرة ولواء الكرم ولواء الرحمة فيسمع أهل كل سماء حتى الحور العين في الجنان فيقلن: يا رضوان ما هذه الليلة فيقول ليلة العرض تعرض أزواجكن فيرفع الحجاب حتى ينظرون أزواجهن فتنزل الملائكة فينصبون لواء المغفرة على قبر محمد ﷺ وينصب لواء الرحمة فوق الكعبة ولواء الكرامة فوق الصخرة ولواء الحمد بين السماء والأرض، فلا يبقى بيت فيه

مؤمن ولا مؤمنة إلا دخله ملك فمن كان جالسًا سلم عليه الملك ومن كان ذاكرًا سلم عليه جبريل، ومن كان مصليًا سلم عليه الرب سبحانه وتعالى.

الثالثة: رأيت فى عيون المجالس خطر على قلب محمدﷺ ما يفعل اللَّه بأمته فأوحى اللَّه إليه، يا محمد إلى كم تقاسى غم الأمة لا أخرجهم من الدنيا حتى أعطيهم درجات الأنبياء فى الدنيا لأن درجات الأنبياء نزول الملائكة عليهم بالوحى والسلام منى فكذلك أمتك، تنزل عليهم الملائكة ليلة القدر بالرحمة والسلام منى، قال كعب الأحبار: من قال لا إله إلا اللَّه صادقًا ليلة القدر ثلاث مرات غفر اللَّه له بواحدة، ونجاه اللَّه من النار بواحدة، ودخل الجنة بواحدة.

الرابعة: عن على - رضى اللَّه عنه- من قرأ إنا أنزلناه فى ليلة القدر بعد العشاء سبع مرات عافاه اللَّه من كل بلاء ودعا له سبعون ملك بالجنة ومن قرأها يوم الجمعة قبل الصلاة ثلاث مرات كتب اللَّه له من الحسنات بعدد من صلى الجمعة فى ذلك اليوم، وتقدم فضل قراءتها بعد الوضوء ومن كتبها لامرأة معوقة سهل اللَّه عليها الولادة ومن قرأها عقب صلاة مفروضة أعطاه اللَّه نورًا فى قبره ونورًا عند الميزان ونورًا عند الصراط.

الخامسة: قال مؤلفه - رحمه اللَّه تعالى-: رأيت بخط الوالد عن الشيخ أبى الحسن قال منذ بلغت ما فاتنى رؤيا ليلة القدر فإن كان أول رمضان الأحد فهى فى تسعة وعشرين بتقديم المثناة، أو الاثنين فهى فى إحدى وعشرين أو الثلاثاء ففى سبع وعشرين أو الأربعاء ففى تسعة وعشرين أيضًا كالأحد، أو الخميس ففى خمس وعشرين أو الجمعة ففى سبع وعشرين بتقديم السين كالثلاثاء أو السبت ففى ثلاث وعشرين، واللَّه أعلم.

السادسة: لو نذر أن يصلى ليلة القدر لزمه أن يصلى كل ليلة من العشر الأخير، فإن لم يفعل لم يقضها إلا فى مثله. قال الماوردى: قال الرويانى: وهو حسن صحيح ولو قال أنت طالق ليلة القدر وقع الطلاق بمضى العشر الأخير من رمضان.

السابعة: عن ابن عمر - رضى اللَّه عنهما- عن النبىﷺ: «**من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» رواه الطبرانى، وفى رواية كان كصيام الدهر وتتابعها عند الشافعى أفضل خلافًا لمالك وأبى حنيفة وفى رواية عن مالك أنها لا تستحب مطلقًا.

باب: فضل عرفة والعيدين والتكبير والأضحية

قال اللَّه تعالى فى عرفة: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]، فلما نزلت هذه الآية فرحت الصحابة غير أبى بكر الصديق لأنه ما بعد الكمال إلا النقصان، وعاش النبىﷺ بعدها ثمانين يومًا.

فإن قيل: ما الفرق بين التمام و [illegible] فالجواب: أن الكمال لا يقتضى الزيادة والتمام يقتضى الزيادة فنعمه سبحانه وتعالى فى زيادة لا نهاية لها فله الحمد وفرائضه لا زيادة فيها إلا لمن شاء زيادة تطوع فله الحمد، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ من صام يوم عرفة كتب اللّه له بعدد من صام ذلك اليوم وبعدد من يصومه من المسلمين ثوابًا ويتبعه سبعون ألف ملك إلى الموقف وعند نصب الميزان من الموقف إلى الصراط ومن الصراط إلى الجنة ويبشرونه بكل خطوة يخطوها مركوبه ببشارة جديدة، وعن النبى ﷺ من صام يوم التروية أعطاه اللّه ثواب أيواب - عليه السلام- على بلائه ومن صام يوم عرفة أعطاه ثوابًا مثل ثواب عيسى- عليه السلام- ورأيت فى حادى القلوب الطاهرة من صام يوم عرفة غفر اللّه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال الرازى: اليوم الثامن من ذى الحجة يسمى يوم التروية قال النسفى: لأن الناس يملؤون رواياهم فيه لأجل صعود عرفة، وقيل: لأن إبراهيم - عليه السلام- روى فيه الرؤيا التى رآها بذبح ولده من اللّه وقال أنس- رضى اللّه عنه- : صوم كل يوم من أيام العشر بألف يوم ويوم عرفة بعشرة آلاف وعن النبى ﷺ إذا كان يوم عرفة نشر اللّه رحمته فليس من يوم أكثر عتقًا منه، ومن سأل اللّه تعالى فى يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها له وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة والحكمة فى ذلك أنه بين عيدين وهما يومًا سرور للمؤمن، ولا سرور للمؤمن أكثر من غفران ذنوبه ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة لأنه لموسى - عليه السلام- وكرامة النبى ﷺ تتضاعف على غيره، قال الرويانى: ليس لنا عبادة تكفر ما بعدها غير صوم عرفة قال الزركشى فى قواعده: وليس كما قال ففى الحديث الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما وزيادة ثلاثة أيام وزكاة الفطر طهارة للصائم ويجوز تقديمها من أول رمضان وإن تأخرت كانت رافعة، وإن تقدمت كانت دافعة أى تدفع عن الصائم الوقوع فى الإثم ويقع السؤال عن هذا التكفير هل هو ممن عليه ذنب أم هو عام فيقال إن كان عليه ذنوب فيكفرها وإلا فيعطى من الثواب بقدر ما يكفر ذلك القدر لو كان عليه ذنب، وعن عائشة- رضى اللّه عنها- عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة قصوراً من دور ياقوت وزبرجد وذهب وفضة**» قلت يا رسول اللّه لمن هى؟ قال: «**لمن صام يوم عرفة يا عائشة من أصبح صائمًا يوم عرفة فتح اللّه عليه ثلاثين بابًا من الخير، وأغلق عنه ثلاثين بابًا من الشر فإذا أفطر وشرب الماء استغفرله كل عرق فى جسده**».

وعن أم سلمة قالت نعم اليوم يوم عرفة يوم خير وبركة ويوم رحمة ومغفرة فمن صامه جعل اللّه له نصيبًا فى ثواب من حضر الموقف وباعده اللّه من النار سبعين خريفًا وعن الفضل بن العباس- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «**من حفظ لسانه وسمعه وبصره يوم عرفة، غفر له إلى يوم عرفة**» وقال عمر: قال النبى ﷺ «**لا يبقى أحد يوم عرفة فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا غفر له**» فقال رجل: لأهل عرفة يا رسول اللّه أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة.

[illegible] خرجت أنا وصاحب لى فى طلب العلم فمررنا عشية عرفة على مدينة

قوم لوط فقلت لصاحبى، ندخل هذه المدينة ونشكر اللّه على ما عافانا مما ابتلاهم به فبينما نحن نطوف إذ رأيت رجلاً كوسجًا أغبر الوجه فقلت له من أنت فتغافل عنا، فقلنا له: لعلك إبليس، قال: نعم، فقلنا له من أين أقبلت قال: هذا وجهى من عرفات كنت أشفيت صدرى من قوم أذنبوا منذ خمسين سنة فنزلت الرحمة عليهم فى هذا اليوم فجعلت التراب على رأسى وجئت أنظر هؤلاء المعذبين حتى يسكن غضبى.

لطيفة الكوسج من قل شعر وجهه وانحصر عن عارضيه، وقال فى الروضة: الكوسج عند أبى حنيفة من عدد أسنانه ثمانية وعشرون وهى مذكورة فى باب الأمانة.

حكاية: قال العباس بن مرداس – رضى اللّه عنه–: دعا النبى ﷺ عشية عرفة لأمته فأجيب بأنى قد غفرت لهم ما خلا الظالم فإنى آخذ للمظلوم حقه، فقال أى رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجبه عشية عرفة فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل، فضحك النبى ﷺ فسأله أبو بكر وعمر – رضى اللّه عنهما– عن ذلك فقال: إن عدو اللّه إبليس لما علم أن اللّه تعالى قد استجاب دعائى وغفر لأمتى أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكنى ما رأيت من جزعه.

حكاية: قال ابن عباس – رضى اللّه عنهما–: نزل جبريل على النبى ﷺ يوم عرفة وله أربعة وعشرون ألف جناح مكللة بالدر والياقوت منسوجة بألوان الجواهر، وقال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك اذهب إلى الطائف فإن فيها ألفًا وخمسمائة صنم تعبد من دون اللّه، فخرج النبى ﷺ ودعاهم إلى التوحيد فأعرضوا وأرسلوا له جارية فقالت من أنت؟ فقال محمد رسول اللّه فسألته عن مسائل فأجابها فقالت: اكشف عن ظهرك فلما رأت خاتم النبوة قبلته وأسلمت، فلما رجعت إلى أبيها وأخبرته بإسلامها أخذ أوتادًا من حديد محمية على النار وعذبها فقالت: هذا لمن يطلب الفردوس قليل، فلما ماتت طرحوها إلى النبى ﷺ فكفنها وصلّى عليها ثم قال: «والذى نفسى بيده ما ماتت حتى رأت منزلها فى الجنة، ثم جاء جبريل وقال: يا محمد إن القوم قد اجتمعوا على قتلك بكلاب ضارية فلما أقبل النبى ﷺ أرسلوا الكلاب وقالوا عليكم بمحمد، فقال النبى ﷺ: «اللهم بحق يوم عرفة اصرف عنى هذه الكلاب فخصت له فقال: عليك بأصحابك فوثبت الكلاب عليهم فرموها بالأحجار فوقع حجر فى وجه النبى فنزل خمسة من الملائكة وقال كل منهم: إن ربك يأمرنى أن أطيعك فيما تريد، فبكى وقال: إن اللّه تعالى أرسلنى رحمة ولم يبعثنى عذابًا ثم قال: اللهم بحق آدم وإبراهيم ورمضان ويوم عرفة ارزقهم الإيمان» قال ابن عباس: فواللّه لقد صلينا الظهر والقوم أجمعون خلف النبى ﷺ.

حكاية: قال بعض الصالحين رأيت رجلاً بمكة يقول: اللهم بحق صائمى عرفة لا تحرمنى ثواب عرفة فقلت له فى ذلك فقال كان والدى يدعو بهذا الدعاء فلما مات رأيته فى المنام، فقلت ما

فعل اللَّه بك قال: غفر لى بهذا الدعاء ولما وضعت فى قبرى جاءنى نور فقيل لى هذا ثواب عرفة قد أكرمناك به.

فـائدة: أكرم اللَّه هذه الأمة بصيام عرفة وأكرم فيه أربعة من الأنبياء أكرم فيه آدم بالتوبة وموسى بالتكليم، ومحمد بالحج وإكمال الدين وإبراهيم بفداء الذبيح وهو إسماعيل كما تقدم فى باب المحبة.

قال النيسابورى فى تفسيره: هربت هاجر من سيدتها سارة فقال لها ملك: إلى أين قالت أهرب من سيدتى قال: ارجعى واخضعى لها فإن اللَّه تعالى يكثر ذريتك وستحبلين وتلدين ولدًا اسمه إسماعيل يكون عين الناس فلما أمر إبراهيم بذبحه فى المنام لأن منام الأنبياء وحى، وقيل إن اللَّه تعالى أمر جبريل بذلك فقال يا رب بينى وبينه صداقة وهو شيخ كبير وما بشرته إلا بخير فلا أبشره بهذا فحوله اللَّه تعالى فى المنام ليلة عرفة فلما أصبح ذبح مائة من الغنم، فجاءت نار فأكلتها فظن أنه وفى فقيل له ليلة الأضحى خليل الرحمن قرب ولدك إسماعيل، فلما أصبح قال لأمه: اغسلى رأسه وادهنيه ففعلت فلما خرج جاء الشيطان وقال: يا هاجر إن إبراهيم يريد ذبح إسماعيل قالت ولم قال زعم أن اللَّه تعالى أمره فقالت سلمنا الأمر للَّه فلحق إسماعيل وقال له كما قال لأمه فرد عليه كما ردت عليه أمه ثم قال: يا إبراهيم تريد ذبح ولدك قال: نعم، قال جاءك شيطان فى المنام فقال: إليك عنى يا عدو اللَّه فلما وصل إلى الجبل قال: يا بنى إنى أريد أن أذبحك فانظر ماذا ترى قال: يا أبت افعل ما تؤمر ولكن إذا أضجعتنى فشد وثاقى لئلا يصيبك من دمى وكن على البلاء صابرًا، وادفع قميصى إلى أمى ليكون لها تذكرة وأقرئها السلام منى وإن سألتك عنى فقل تركته عند من هو خير منك ومنى، فقال إبراهيم: يا رب ارحم ضعفى وكبر سنى فإن لم ترحمنى فارحم هذا الولد الصبى الصغير الذى لا ذنب له وكان عمره سبع سنين وقيل ثلاثة عشر فضجت الملائكة بالبكاء وفتحت أبواب السماء فصرعه على وجهه ووضع السكين على أوداجه فلم تقطع شيئًا، وقيل: أوحى اللَّه تعالى إلى جبريل أدركه إن قطعت السكين منه شيئًا لأمحونك من ديوان الملائكة.

قـال النسـفى - رحـمـه اللَّه تعـالى -: إن إبراهيم ألقى السكين مغضبًا فقالت أى السكين لم تغضب قال: لأنك لم تقطعى شيئًا فقالت له كيف النار لم تحرق منك شيئًا، قال: خرج النداء من قبل اللَّه يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم فقالت: وأنا خرج لى سبعين مرة لا تقطعى شيئًا، وأن إسماعيل قال لأبيه: حل وثاقى لئلا يقول الناس ذبحه قهرًا ولا يعلمون أنى أبذلك روحى طائعًا مختارًا، ثم قال: يا أبت أنا أكرم منك أم أنت أكرم منى فقال إبراهيم: أنا تكرمت بولدى فقال وأنا تكرمت بروحى ولا أملك غيرها، وقيل: إن إبراهيم أكرم لأن ألم الفرقة يدوم بالموت وألم الذبح يزول بالموت فلما قال ذلك، قال اللَّه تعالى: أنا أكرم منكما فأرسل جبريل بالكبش الذى قربه هابيل فذهب إبراهيم ليأخذه فهرب منه فقال جبريل: ألا أحبسه لك قال: لا، قال: ولم، قال لأنى ما

استعنت بك في الهواء حين طرحوني في النار فكيف أستعين بك وأنا على وجه الأرض فلما نظر إسماعيل إلى الكبش بكى فقيل في ساعة السرور فقال: وكيف لا يبكي من أبعده الحبيب، ولم يرضه للتقريب، فقال جبريل: يا إبراهيم إن الله قد أعطاك بصبرك دعوة لك مستجابة ادع بها ما سألت فقال: اللهم لا تعذب أحدًا من أمة محمد ﷺ فقال جبريل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فقال إسماعيل لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم: ولله الحمد.

لطيفة: قال الهمداني - رحمه الله تعالى -: كان الله تعالى يقول ربيت الكبش في الفردوس أربعة آلاف سنة ليكون فداء لإسماعيل من الذبح، وكذلك ربينا فرعون أربعمائة سنة ليكون فداء لموسى من الغرق وربينا أشنوع اليهودي خمسين سنة ليكون فداء لعيسى من القتل، وذلك أن اليهود أدخلوا رجلاً منهم على عيسى ليقتله فرفع الله عيسى وألقى شبهه على اليهود فدخل اليهود البيت فقتلوا صاحبهم ظنًا منهم أنه عيسى فذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء]، وفي آية أخرى: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ تقدم في باب الدعاء أن جبريل - عليه السلام - علمه دعاء فلما دعا به رفعه الله إليه وكذلك ربى الله اليهود والنصارى برزقه ليكونوا فداء لأمة محمد ﷺ من النار يوم القيامة.

فوائد: الأولى: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**زينوا أعيادكم بالتكبير**» وفي رواية أنس زينوا العيدين بالتهليل والتقديس والتحميد والتكبير ذكرها في المنتخب عن حلية أبي نعيم، قال النبي ﷺ: «**أكثروا من التكبير ليلة عيد النحر إلى آخر أيام التشريق خلف الصلاة ثلاثًا فإنه يهدم الذنوب هدمًا**» قالت فاطمة - رضي الله عنها - قال النبي ﷺ: «**إذا رأيت الحريق فكبري فإنه يطفئ النار**» قال في الروضة تكبيرة ليلة الفطر آكد من تكبير الأضحى، وصلاة العيدين أفضل من صلاة النافلة، ويكبر خلف الفائتة والنافلة والجنازة من صبح عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق وللفطر من ليلته إلى أن يحرم بصلاة العيد.

الثانية: سمى العيد عيدًا لأن فيه عوائد الإحسان وفوائد الامتنان من الله إلى عبيده، وقيل لأنه يعدو كل سنة بفرح جديد ذكره الرازي في المائدة التي نزلت على عيسى وقومه في سفره حمراء بين غمامتين إحداهما فوقها والأخرى تحتها مغطاة بمنديل من حرير الجنة، فكشفه عيسى وقال: بسم الله خير الرازقين فإذا فيها سمكة مشوية عند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها أنواع البقول غير الكرات وحولها خمسة أرغفة على واحد زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس دقيق، فقال شمعون كبير الحواريين: يا روح الله هذا من طعام الآخرة أم من طعام الدنيا؟ فقال: ليس منهما بل هو من طعام اخترعته القدرة فقال: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال: يا سمكة إحيي بإذن الله تعالى فقامت على ذنبها وفتحت فاها ثم عادت مشوية كما كانت فأكلوا حتى شبعوا، ثم طارت ولم تنقص فصار يوم نزولها يوم عيد النصارى إلى يوم

القيامة وهو يوم الأحد «فإن قيل قول الحواريين، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء» ذلك شك فى قدرة اللَّه تعالى وهم مؤمنون فكيف يليق ذلك بهم . .

فالجواب قول عيسى لهم ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾ ، دليل على نقصان إيمانهم فلذلك طلبوا هذه المعجزة السماوية وهى المائدة .

وهو من النعم التى عددها تعالى عليه حيث قال : إذ أيدتك بروح القدس فيكون المعنى هل يقدر جبريل على إنزال مائدة من السماء ، قال القرطبى - رحمه اللَّه تعالى - : نزلت المائدة عليهم أربعين يومًا من وقت الضحى إلى أن يفىء الفىء ثم ترفع فيأكل سبعة آلاف ثم أمر اللَّه تعالى عيسى أن يخص بها الفقراء دون الأغنياء وأمر أن لا يدخروا شيئًا فخالفوا فمسخهم اللَّه قردة وخنازير ، وقيل : سمى العيد عيدًا لأن المؤنين عادوا من طاعة اللَّه تعالى وهى صيام رمضان إلى طاعة رسوله وهى صيام ستة أيام من شوال ، وهى لا تجوز عند الإمام أحمد فى رواية وهى المذهب عند أصحابه ، وقدمها فى المحرر والرعاية ، ورأيت فى كتاب الدرر واللآلئ فى فضائل الأيام والليالى عن النبى من ضحى أضحيته فإذا خرج من قبره وجده قائمًا على رأس القبر فإذا شعره من قضبان الذهب وعينه من ياقوت وقرناه من ذهب فيقول من أنت فما رأيت شيئًا أحسن منك فيقول أنا قربانك الذى قربتنى فى الدنيا اركب على ظهرى فيركب عليه ويذهب بين السماء والأرض إلى ظل العرش ، وقال على - رضى اللَّه عنه - : إذا ضرب العبد قربانه بالأرض فذبحه كان أول قطرة من دمه كفارة لذنبه وله بكل شعرة حسنة ، وفى الغنية للشيخ عبد القادر الكيلانى ، قال داود عليه السلام : إلهى ما ثواب من ضحى من أمة محمد قال : ثوابه أن أعطيه بكل شعرة على جسده عشر حسنات وأمحو عنه عشر سيئات ، وعن النبى «ألا إن الأضحية هى تنجى صاحبها من شر الدنيا والآخرة» وقال على - رضى اللَّه عنه - : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) ﴾ ، أى ركبانًا على نجائبهم ، ونجائبهم ضحاياهم وعن النبى عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم ، وعن النبى من قال سبحان اللَّه وبحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأهداها لأموات المسلمين دخل فى كل قبر ألف نور ويجعل اللَّه فى قبره إذا مات ألف نور وقال أنس عن النبى «من قال فى كل واحد من العيدين لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، أربعمائة مرة قبل صلاة العيد زوجه اللَّه أربعمائة حوراء وكأنما أعتق أربعمائة رقبة ووكل اللَّه به ملائكة يبنون له المدائن ويغرسون له الأشجار يوم القيامة» .

، وقال أنس : ما تركتها منذ سمعتها من رسول اللَّه ، وقال أيضًا : خلق اللَّه تعالى الجنة يوم الفطر ، وغرس شجرة طوبى يوم الفطر ، واصطفى جبريل للوحى يوم الفطر ، وصلاة العيد تستحب للنساء فى بيوتهن ويؤمن إحداهن أو محرم أو صبى

يميز، وقال النبى ﷺ: «**أفضل أيام الدنيا أيام العشر**» يعنى عشر ذى الحجة كما سيأتى قريبًا وفى رواية البزار من أحيا الليالى الخمس وجبت له الجنة، ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان، وعنه ﷺ فى أول ليلة من ذى الحجة ولد إبراهيم ﷺ فمن صام ذلك اليوم كان كفارة ثمانين سنة، وعن النبى ﷺ ما من أيام الدنيا أحب إلى اللّه أن يتعبد له فيها من أيام العشر وإن صيام يوم منها ليعدل صيام سنة، وقال على- رضى اللّه عنه: قال النبى ﷺ: «**فى أول ليلة من ذى الحجة بعد صيام كل يوم منها بقيام ليلة القدر**» رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى.

مسألة: لو قال أنت طالق فى أفضل الأيام طلقت يوم عرفة. وليس للزوج منه زوجته من صيامه ولا من صيام عاشوراء، وسمى عرفة لأن آدم- عليه السلام- عرف فيه أركان الحج، وقيل تعارف هو وحواء وتقدم فى باب الدعاء دعاء الخضر والياس- عليهما السلام- فى يوم عرفة وصوم يوم عرفة فى عرفات مكروه.

فائدتان: الأولى: عن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- عن النبى ﷺ: «من صام آخر يوم من ذى الحجة وأول يوم من المحرم فقد ختم السنة الماضية بصوم واستقبل القابلة بصوم جعل اللّه له كفارة خمسين سنة».

الثانية: من قال فى آخر ذى الحجة: اللهم ما عملته هذه السنة مما نهيتنى عنه ولم ترضه، ونسيته ولم تنسه، وحملت على بعد قدرتك على عقوبتى ودعوتنى إلى التوبة منه بعد جراءتى على معصيتك، اللهم فإنى أستغفرك منه فاغفر لى ما علمت فيه من عمل ترضاه وعدتنى عليه الثواب فأسألك اللهم يا كريم يا ذا الجلال والإكرام أن تقبله منى ولا تقطع رجائى منك يا كريم وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، قال الشيطان تعبنا منه طول سنته فأفسده فى ساعة واحدة.

باب: فضل صيام عاشوراء، وصيام الأيام البيض والسود أيضاً

فائدة: من قال أول المحرم: اللهم أنت الأبدى القديم وهذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربنى إليك يا كريم قال الشيطان أيسنا من نفسه، ويوكل اللّه به ملكين يحرسانه تلك السنة، وعن أنس- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ «من صام أول جمعة من المحرم غفرله ما تقدم من ذنبه، ومن صام ثلاثة أيام من المحرم الخميس والجمعة والسبت كتب اللّه له عبادة تسعمائة عام»، وسيأتى فى باب فضل هذه الأمة أن هذه الرواية وردت فى الأشهر الحرم من غير تقييد بالمحرم، وفى رواية الطبرانى من صام يومًا من المحرم كان له بكل يوم ثلاثون يومًا، قالت عائشة- رضى اللّه عنها- : قال النبى ﷺ: «من صام أيام العشر إلى عاشوراء أورث الفردوس الأعلى» وعن النبى ﷺ: «من صام يوم عاشوراء كتب اللّه له

ألف حجة وألف عمرة وأعطى ثواب ألف شهيد وكتب له أجر ما بين المشرق والمغرب وكان كمن أعتق ألف نسمة من ولد إسماعيل، ويكتب له سبعون ألف قصر فى الجنة وحرم اللَّه جسده على النار» وفى حديث آخر من صام يوم عاشوراء أعطى ثواب عشرة آلاف ملك، ومن قرأ قل هو اللَّه أحد ألف مرة يوم عاشوراء نظر اللَّه إليه بعين رحمته وكتب من الصديقين، ومعنى عاشوراء من حفظ حرمته عاش نورًا أى فى النور فأسقطت النون تخفيفًا وفيه تقلب أهل الكهف من جنب إلى جنب.

فائدة: سمى عاشوراء: لأن اللَّه أكرم فيه جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اصطفى آدم ورفع إدريس واستوت سفينة نوح على الجودى يوم عاشوراء بعد أن مكث الماء على الأرض مائة وخمسين يومًا ونزل الماء فى أربعين يومًا بلياليها فكان ماء العيون أصفر، وماء السماء أحمر وأنطق اللَّه السفينة فقالت لا إله إلا اللَّه، إله الأولين والآخرين أنا السفينة التى من ركبنى نجا ومن تخلف عنى غرق ولا يدخلنى إلا أهل الإخلاص، فنادى نوح على سطح داره أيتها الوحوش الراعية والسباع الضارية والطيور الطائرة هلموا للسفينة المنجية، قال الرازى: الكلام فى طولها وقدرها فضول لا فائدة فيه، وقال مقاتل: طولها ألف ذراع فغطى الماء منها ثمانمائة ذراع فركبها يوم الأربعاء ثانى عشر رجب، وقيل فى مستهلة قال الهمدانى: لما أمر اللَّه نوحًا بالسفينة اتخذها من مائة ألف لوح وأربعة وعشرين ألفًا على ظهر كل لوح نبى وعلى ظهر آخرها اسم محمد ﷺ فلما تمت السفينة احتاج إلى أربعة ألواح أخرى فلما اتخذها ظهر على كل لوح اسم واحد من الخلفاء الأربعة تقول لما أظهر محمد ﷺ واسم أصحابه نجت السفينة من الغرق وكذلك أظهرت حبه وحب أصحابه فى قلوب الموحدين نجاة لهم فى الآخرة من النار واتخذ اللَّه إبراهيم خليلاً يوم عاشوراء، وغفر اللَّه لداود يوم عاشوراء، ورد اللَّه على سليمان ملكه فيه، والسبب فى ذلك أنه- عليه السلام- غزا ملكًا فقتله وتزوج ابنته وكانت جميلة فصارت تبكى ليلاً ونهارًا على أبيها فأمرته أن يأمر الشيطان بأن يتمثل صورة أبيها ففعل، فسجدت لأبيها أربعين يومًا وهو لا يعلم فتوضأ فى بعض الأيام ونزع خاتمه ودفعه إلى بعض أزواجه فجاء الشيطان فى صورة سليمان- عليه السلام- وطلب الخاتم فلما لبسه عكف عليه الطير وجلس للحكم، فجاء سليمان وطلبه فقلت إن سليمان أخذه وجلس للحكم فخرج إلى البحر وأقام عند صياد أربعين يومًا وكان حكم الجنى أنه أباح وطء الحائض فأنكر الناس ذلك وقالوا ليس هذا حكم سليمان لأنه كبيرة، وأما بعد انقطاعه وقبل غسلها أو تيممها فجوزه أبو حنيفة وحرمه الشافعى، فطار الشيطان وألقى الخاتم فى جوفها فعكف الطير عليه وعاد إلى حال الأول، فأخبر جبريل بأن فى بيته من يعبد غير اللَّه منذ أربعين يومًا فعاقب المرأة وكسر الصورة، حكاه القرطبى وغيره لكن منع القاضى عياض صحته، وكشف الضر عن أيوب، وخرج يونس من بطن الحوت بعد أربعين يومًا، واجتمع يعقوب بيوسف بعد أربعين سنة وقيل بعد ثمانين سنة، وولد عيسى ورفع إلى السماء وتزوج النبى ﷺ خديجة وخلق اللَّه السماوات والأرض والقلم وآدم وحواء كل ذلك يوم عاشوراء، وفيه تقوم الساعة، وقال القرطبى: أنها تقوم يوم الجمعة فى آخر ساعة منه

وهى التى خلق اللَّه فيها آدم فى النصف من رمضان .

فـائدة: مكتوب فى التوارة من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله، ومن مسح فيه على رأس يتيم أعطاه اللَّه بكل شعرة شجرة فى الجنة عليها من الحلى والحلل ما لا يعلمه إلا اللَّه تعالى، ومن تصدق فيه فكأنما لم يترك سائلاً إلا أعطاه ومن أرشد فيه ضالاً ملأ اللَّه قلبه نوراً ومن كظم فيه غيظًا كتبه اللَّه من الراضين، ومن أكرم فيه مسكينًا أكرمه اللَّه يوم يوضع فى قبره، وقال النبى ﷺ: «من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع اللَّه عليه سائر سنته» رواه البيهقى، وعنه ﷺ من صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو اللَّه أحد إحدى عشرة مرة غفر اللَّه له ذنوب خمسين عامًا وبنى له منبراً من نور، ومن اغتسل فيه لم يمرض تلك السنة إلا مرض الموت، ومن اكتحل فيه لم يرمد تلك السنة، قال النسفى: أى لم ترمد عينا قلبه.

فـائدة: الاكتحال بماء الفجل يقوى البصر ويزيل الرطوبة من العينين، وتقدم فى باب الدعاء منافع كثيرة فى الفجل وسيأتى فى مناقب عثمان أن العسل يقوى البصر أكلاً واكتحالاً، وأكل الزعتر أيضًا وشرب ماء الورد وشمه وشم النرجس يقوى الدماغ وأكل البندق والإكثار من لبن الضأن يقوى الدماغ البارد وأكل الخس والزيتون الأسود يضعفان البصر، والاكتحال بالفلفل الأسود ينفع من ظلمة البصر ومن الدمعة وعن حذيفة عن النبى ﷺ قال: التكحل فى العينين يحد البصر والسواك يثبت الأضراس، وعن النبى ﷺ: «يا على كل الزيت وادهن به فإن من أدهن الزيت لم يقربه الشيطان أربعين ليلة» ذكره فى تحفة الحبيب، وعنه ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به فإن فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام».

حكاية: كان بمصر رجل لا يمسك إلا ثوبًا واحداً، ، فصلى الصبح يوم عاشوراء فى جامع عمرو بن العاص- رضى اللَّه عنه- ومن عادة هذا الجامع لا يدخله النساء إلا فى يوم عاشوراء لأجل الدعاء فقالت له امرأة: اعطنى شيئًا للَّه أستعين به على أولادى قال: نعم، فرجع إلى بيته وائتزر ودفع ثوبه لها من شق الباب فقالت له ألبسك اللَّه من حلل الجنة فرأى تلك الليلة فى المنام حوراء جميلة ومعها تفاحة لها رائحة طيبة فكسرها فوجد فيها حلة، فقال من أنت قالت أنا عشوراء زوجتك فى الجنة فاستيقظ فوجد البيت قد فاح فيه ريح طيبة فتوضأ وصلى ركعتين، وقال: اللهم إن كانت زوجتى حقًا فى الجنة فاقبضنى إليك فاستجاب اللَّه دعاءه ومات فى الحال.

حـكايـة: رأيت فى الكتاب المذكور فى صيام أيام البيض وغيرهما أن رجلاً سأل ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن الصيام فقال: ألا أحدثك بحديث كان عندى فقال له: إن كنت تريد صيام داود فإنه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا وإن كنت تريد صيام سليمان فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من أول الشهر وثلاثة من وسطه وثلاثة من آخره، وإن كنت تريد صيام عيسى- عليه السلام- فإنه كان يصوم الدهر ويلبس الشعر وحيثما أدركه الليل صف قدميه وصلى حتى تطلع الشمس، وإن كنت تريد صيام

أمه فكانت تصوم يومين وتفطر يومًا وإن كنت تريد صوم خير البريةﷺ فإنه كان يصوم الأيام البيض من كل شهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر حضراً وسفراً.

قال السهروردي في عوارف المعارف: سميت أيام البيض لأن آدم- عليه السلام- لما هبط إلى الأرض أسود بدنه من أثر المعصية، وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني- رضى اللّه عنه- : سئل على- رضى اللّه عنه- لأى شىء سميت أيام البيض فأجاب بأن آدم- عليه السلام- لما هبط من الجنة إلى الأرض واسود بدنه من حر الشمس جاء جبريل وأمره بصيام أيام البيض فابيض فى اليوم الأول ثلث بدنه وفى اليوم الثانى ثلثاه وفى اليوم الثالث جميعه، قال فى العقائد: لما اسود بدن آدم أمره اللّه أن يبنى بيتًا ويطوف به حتى يتوب عليه فبنى الكعبة فجاءه جبريل بالحجر الأسود وكان درة بيضاء فلما رآه آدم بكى فقال الحجر يا آدم أنت الذى فعلت بنفسك حيث أكلت من الشجرة، فقال: يا رب عيرنى كل شىء حتى الحجر فنقل اللّه بياض الحجر إلى جسد آدم ونقل سواد جسد آدم إلى الحجر، وقيل سميت أيام البيض لبيض لياليها بالقمر إذا انشق أى تم ضوؤه ونوره واجتمع ذلك فى هذه الليالى كما أن الليل يجمع ما انتشر فى النهار من الدواب وغيرهما كما قال: ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ** ⑰﴾ [الانشقاق: ١٧]، أى إذا جاء الليل آوى كل شىء إلى مأواه فهما يحولان من نور إلى ظلمة كذلك الأحوال تتبدل فى الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ** ⑲﴾ [الانشقاق: ١٩]، أى حالاً بعد حال من الحياة إلى الموت، ومن الموت إلى الحياة وعن بمعنى بعد.

موعظة: إلى النبىﷺ: «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه اللّه ويبتليك**» رواه الترمذى ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله.

فائدتان الأولى: رأيت فى تحفة الحبيب عن الحسن بن على عن النبىﷺ صوم أيام البيض أول يوم يعدل ثلاثة آلاف سنة والثانى يعدل عشرة آلاف سنة والثالث يعدل ثمانية عشر ألف سنة وفى حديث آخر: «رأيت فى الغنية» للشيخ عبد القادر الكيلانى قال على- رضى اللّه عنه- : كان النبى ﷺ فى الحج فسلمت عليه فقال يا على هذا جبريل يقرئك السلام فقلت عليك و- عليه السلام- ثم قال: يا على يقول لك جبريل صم من كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف سنة وباليوم الثانى ثلاثون وباليوم الثالث مائة، فقلت يا رسول اللّه هذا لى خاصة، فقال يعطيك اللّه هذا الثواب لمن يعمل مثل عملك.

الثانية: قال الماوردى: يستحب صيام أيام السود أيضًا وهى ثامن عشرين وتاسع عشرين ويوم الثلاثين، قال ابن العماد: ويدل عليه فى الحديث صمت من سواد هذا الشهر صيام شيث والسود بفتح السين المهملة هى الثلاثة أيام آخر الشهر ثم قال: ولو صام ثلاثة أيام غير الأيام البيض حصلت السنة لقول أبى هريرة- رضى اللّه عنه- : أوصانى خليلى بثلاثة لا أدعهن، أمرنى بصيام ثلاثة أيام

من كل شهر، وقال فى الروضة يسن صيام آخر يوم من كل شهر.

حكاية [illegible] – رضى اللَّه عنه – : كنت فى قافلة فطلع علينا العرب فأخذوا القافلة ثم مررت عليهم وهم يأكلون شيئًا من طعام القافلة فرأيت كبيرهم صائمًا، فقلت له: تصوم وتقطع الطريق فقال: أترك للصلح موضعًا، ثم بعد مدة رأيته فى الطواف فقال يا شلبى انظر إلى الصيام كيف أصلح بينى وبينه وقال أبو موسى الأشعرى – رضي اللَّه عنه – : كتب فى مركب والريح طيبة فهتف بنا هاتف سبع مرات يا أهل السفينة قفوا حتى أخبركم فقلت أخبرنا قال ألا أخبركم بقضاء اللَّه على نفسه، قلت بلى قال: إن اللَّه تعالى قضى على نفسه أن من أعطش نفسه يوم حار كان حقًا على اللَّه أن يرويه يوم القيامة، وعن أبى هريرة – رضى اللَّه عنه – عن النبى ﷺ قال: «لو أن رجلاً صام يومًا تطوعًا ثم أعطى ملء الأرض ذهبًا لم يستوف ثوابه دون يوم القيامة» وفى حديث آخر: «من صام يومًا فى سبيل اللَّه كأنه جعل بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض».

لطيفة [illegible] وإن صام فى السفرة قرب أجله.

فائدة [illegible] دخل بلال – رضى اللَّه عنه – والنبى ﷺ يأكل فقال يا بلال الطعام قال: يا رسول اللَّه إنى صائم فقال نأكل رزقنا ورزق بلال فى الجنة إن الصائم إذا كان عند قوم يأكلون تسبح أعضاؤه وتصلى عليه الملائكة وتقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما دام فى مجلسه، واللَّه أعلم.

باب فضل الجوع وآفات [illegible]

قال الله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[illegible] فلا يحل له ذلك، قال أبو محمد الجوينى رضى الله عنه: والمكاتب هو عبد مكلف قال له سيده المكلف كاتبتك على ألف مثلا مقسط خمسة أقسام مثلاً فى كل شهر قسطان إذا أديته فأنت حر، ويقول العبد قبلت ولابد أن يكون العبد والسيد رشيدين ويجب على السيد أن يحط على العبد جزءًا من المال ولو درهمًا واحدًا، والله أعلم، وعن النبى ﷺ جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فأن الأجر فى ذلك كأجر المجاهدين فى سبيل الله، وقال أبو هريرة – رضى الله عنه – : دخلت على النبى ﷺ فوجدته يصلى جالسًا فسألته عن ذلك فقال من الجوع فبكيت فقال: لا تبك فإن شدة القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسبه وقال ﷺ «أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعًا وتفكرًا، وأبغضكم إلى الله كل نوام أكول شروب»، وقال ﷺ «الأكل فى اليوم مرتين من الإسراف والله لا يحب المسرفين» رواه البيهقى. وقال ﷺ «سيكون رجال من أتى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الأشربة، ويلبسون ألوان الثياب،

ويتشدقون فى الكلام، أولئك شرار أمتى» رواه الطبرانى . وقال ﷺ: « أكثر الناس شبعًا فى الدنيا أطولهم جوعًا فى الآخرة» رواه ابن ماجه وذكر الغزالى رضى الله عنه فى الإحياء أن الأكل على الشبع يورث البرص ورأيت فى زاد المسافر وهو كتاب حسن فى الطب أن التخمة من كثرة الأكل وذلك من أعظم المضرات للبدن فإن تغير الأكل إلى البلغم كان الجشاء حامضًا وإلى الحرارة كان الجشاء دخانيًا وهذا التغير له أسباب كثيرة الأول كثرة الأكل بحيث تعجز عنه نار المعدة فإن النار اليسيرة تنطفئ بكثرة الحطب الثانى بحسب طبع الإنسان فإنه قد يأكل شيئًا لا تقبله المعدة الثالث بحسب قوة الأعضاء، فإن تصدع الرأس أو ثقل علمنا بذلك ضعف الرأس وحده وإن حصل حمى واقشعر بدنه أو تثائب كثيراً علمنا ضعف جميع البدن فيجب عليه القئ، ، فإن شق عليه فليشرب ماء حارًا فإنه يسهل القئ، وسيأتى فى باب الصدقة : أن شرب اليسير من الماء الحار على الريق فيه منفعة عظيمة ورأيت فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب أن رجلاً قال : يا رسول الله إنى رجل مسقام لا يستقيم بدنى على طعام ولا شراب فادع الله لى بالصحة فقال : إذا أكلت أو شربت فقل بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء يا حى يا قيوم، ولم يصبك منه داء لو كان فيه سم وقال ﷺ: « **نوروا قلوبكم بالجوع وخشن الثياب**» .

فوائد الأولى : قال النبى ﷺ « **من أكل طعامًا ثم قال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه. وقال ﷺ : « **كلوا ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة** » وقال النبى ﷺ : « **طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى الثمانية**» رواه مسلم .

الثانية : قال فى عوارف المعارف: يستحب أن يقول عند أول لقمة بسم الله وفى الثانية بسم الله الرحمن وفى الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم .

الثالثة : قال الحليمى- رضى الله عنه- : أكل العدس بالزيت طعام الصالحين لأن البدن لا يثقل به فيخفف للعبادة وهو من شهوات بنى إسرائيل حيث قالوا لموسى- عليه السلام- ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثابها وفومها وهو الحنطة عند الأكثرين وصححه القرطبى قال فى نزهة النفوس ترياق العدس فى قشره وصحاحه أنفع من مطحونه، وأقل ضرراً وأخف على المعدة وهو أنفع الأغذية لصاحب الجدرى والحصبة ومن ابتلع منه ثلاثين حبة مقشرة نفع من استرخاء المعدة وإذا طبخ دقيقه بماء الكزبرة لخضراء وتدلك فى الحمام من به حكة أوجرب قلعه، قال بعضهم : أكل الكزبرة بالخل والسماق ينفع لمن لا تحتوى معدته على الطعام .

حكاية : مكث عيسى – عليه السلام– يناجى ربه ستين صباحًا لم يخطر على قلبه أكل الخبز، ثم خطر له ذلك فانقطعت عنه المناجاة فبكى عيسى وإذا بشيخ قد أقبل فقال له عيسى ادع الله لى فإنى

كنت على حالة فانقطعت عنى لما خطر ببالى أكل الخبز فقال الشيخ اللهم إن كان خطر ببالى أكل الخبز منذ عرفتك فلا تغفر له ، قال بعض المفسرين كان يعقوب- عليه السلام- يضع الأرغفة على عدد أولاده فيأكل يوسف من رغيف أخيه بنيامين سرّا ويتصدق برغيفه فلذلك سموه سارقًا ، بقولهم إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهو يوسف- عليه السلام- قال القرطبى- رضى الله عنه- : ما أباح اللّه شيئًا وكرهه إلا الطلاق والشبع وقال غيره : أول بدعة حدثت بعد النبىﷺ الشبع قال ابن عبد السلام : فى قواعد البدعة فعل لم نعهده فى عصر النبىﷺ وهى تنقسم إلى واجب كالنحو لأجل القراءة ولحديث النبوية وإلى محرم كمذهب القدرية والمجسمة ، فالرد على هؤلاء من البدع الواجبة وإلى مندوب كصلاة التراويح ، وبناء المدارس وإلى مكروه كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف وإلى مباح كالمصافحة بعد الصلاة وقالﷺ : « **من تمام التحية الأخذ باليد**» رواه الترمذى .

ورأيت فى كتاب شرف المصطفى : من السنة أن يقرأ عند المصافحة ﴿ **وَالْعَصْرِ** ① ﴾[العصر] وقال أنس- رضى اللّه عنه- : ما أخذ النبىﷺ بيد رجل ففارقه حتى يقرأ: ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴿٢٠١﴾ ﴾[البقرة : ٢٠١] ذكره فى الأذكار .

مسألة : فإن قيل كيف سافر موسى - عليه السلام- أربعين يومًا إلى الطور فما جاع وسافر إلى الخضر ساعة فوجد الجوع ، فلذلك قال لفتاه يعنى غلامه إذا أقامه مقام الغلام وفى الخدمة ، وهو يوشع بن نون وأمه أخت موسى : آتنا غداءنا قال ابن عباس- رضى الله عنهما- : كانا يأكلان من الحوت بكرة وعشيّا .

فالجواب: أن سفره إلى الطور سفر طرب وحب لأنه مسافر إلى مناجاة الحق سبحانه وتعالى ، وسفره إلى الخضر كان سفر أدب فكان معه الجوع .

وجواب آخر : السفر الأول كان مبنيّا على الصوم ألا ترى أنه لما تسوك صام عشرة أيام أخر ، والسفر الثانى كان سفر رخصة فجاز معه الأكل والشرب .

وجواب آخر : السفر الأول كان للتعليم وهو بمعنى الأولى .

وقال مؤلفه -رحمه الله تعالى- : وعندى جواب آخر وهو إنما فقد الجوع أولاً ووجده ثانيًا عملاً بالمناسبة فى المقامين فمقام موسى للمناجاة يناسب ترك الأول والشرب لأن ربه متصف بذلك فاتحد المقامان ولابد للعبد أن يتخلق بخلق من أخلاق الله تعالى ، وقد ورد من تخلق بخلق من أخلاق الله دخل الجنة ومقام موسى ومقام الخضر- عليهما السلام- فى الأكل واحد فلذلك وجد الجوع ، والله أعلم .

فائدة : قال إبراهيم بن أدهم- رضى اللّه عنه- معصية الله بعيدة من الجوعان قريبة من الشبعان ، والله المستعان .

باب فضل الحج

قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران : ٩٧] قال القشيرى - رضى الله عنه - : الاستطاعة على فنون فمستطيع بماله ونفسه وهو الصحيح السليم ومستطيع بغيره وهو الزمن والمغضوب قال النووى فى الروضة : لو قال المغضوب وهو العاجز عن الحج بنفسه من حج عنى فله ألف فسمعه رجلان فأحرما عنه مرتبًا صح حج الأول وحج الثانى من نفسه ولا شيء له ، وإن أحرما معًا أوشكا فحجهما لهما ولا شيء لهما من الألف وقال - رضى الله عنه - فى قوله تعالى حكاية عن إبليس لعنه الله : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ⦗١٦⦘﴾ [الأعراف] أى لأصدنهم من طريق الحج وعن النبى ﷺ إذا خرج الحاج من منزله خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه ، وله بكل خطوة عبادة سبعين سنة حتى يرجع إلى منزله ، فإذا رجع فاغتنموا دعاءه فإن دعاءه مستجاب وقال ﷺ «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**» قيل : وما بره قال : «**إطعام الطعام وطيب الكلام**» رواه الطبرانى بإسناد صحيح . وقال ﷺ « **إن الكعبة لها لسان وشفتان ولقد اشتكت وقالت يا رب قل عوادى وقل زوارى فأوحى الله إليها أنى خالق بشراً خشعًا سجداً يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها** » .

[illegible] - عليه السلام - بجنوده على الكعبة والأصنام تعبد من دون الله فبكت الكعبة وقالت : يا رب هذا نبى من أنبيائك وقومه من أوليائك ، مروا على ولم يطوفوا بى فأوحى الله تعالى إليها لأملأنك وجوهًا سجداً وأبعث نبيّا فى آخر الزمان هو أحب الأنبياء إلىَّ وأجعل فيك عماراً من خلق يعبدونى وأفرض على عبادى فريضة يحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان ، ثم أمر الله سليمان أن ينزل بمكة وقرب قربانًا ففعل وذبح حول الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة ، ثم مر على طيبة فقال : هذه دار هجرة نبى آخر الزمان طوبى لمن آمن به وصدقه .

[illegible] أن رجلاً سأل والده عن ابتداء البيت ، فقال : إن الله تعالى قال للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها فغضب عليهم فطافوا بالعرش سبعة أيام يسترضون ربهم فرضى عنهم ، وقال ابنوا لى بيتًا فى الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم فأرضى عنه فبنوا هذا البيت ، وقال مجاهد إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيئًا من الأرض بألفى عام ، وأن قواعده فى الأرض السابعة .

الثانية : بكة اسم المسجد ومكة بالميم اسم لكل البلد ، وقال القشيرى : سميت بكة لازدحام الناس فى الطواف ولأنهم يبذلون الأموال والأرواح فى التوجه إليها .

من كمال الحج أنه لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة، ومن كماله أنه يشبه غيره من العبادات فالإحرام به كالإحرام بالصلاة وأذكار الطواف والوقوف كأذكار الصلاة والسعى والطواف كالركوع والإقامة بمنى ورمى الجمرات كالجهاد والوقوف بعرفة والمشعر الحرام وهو جبل صغير فى آخر المزدلفة كالاعتكاف، والنفقة فيه كالزكاة فمن حج فكأنما أتى بهذه العبادة، وقال النبى ﷺ «الحجاج والعمار وفد الله تعالى يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا الدرهم ألف ألف» رواه البيهقى وفى رواية الطبرانى أيضًا : النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله سبعمائة ضعف، وعنه ﷺ « **إذا خرج الحاج من بيته كان فى حرز الله فإن مات قبل أن يقضى نسكه وقع أجره على الله، وإن بقى حتى يقضى نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر** » وإنفاق الدرهم الواحد فى ذلك الوجه يعدل أربعين ألف ألف فيما سواه أخرجه الحافظ زكى الدين ، وقال النبى ﷺ « **اللهم اغفر للحاج ومن استغفر له الحاج** » رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

- رحمه اللّه تعالى- أن بعض الصالحين حج فلما انصرف من عرفات ذكر أنه نسى هميانه فرجع إلى عرفات فوجد فيه قردة وخنازير ففزع منهم فقيل له لا تخف إنما نحن ذنوب الحجاج تركونا وانصرفوا طاهرين فأخذ ماله وانصرف متعجبًا وقال ﷺ وهو على عرفات أيها الناس أتانى جبريل آنفًا فأقرأنى من ربى السلام وقال إن اللّه غفر لأهل الموقف ولأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات فقال عمر- رضى اللّه عنه- : يا رسول اللّه هذا لنا خاصة قال : لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة فقال عمر : كثر خير اللّه وطاب

قال النبى ﷺ : «ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف ويستقبل القبلة بوجهه ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة، ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة ثم يقول اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة إلا قال الله تعالى : يا ملائكتى ما جزاء عبدى سبحنى وهللنى وكبرنى وعظمنى وأثنى على وصلى على نبيى اشهدوا يا ملائكتى إنى قد غفرت له وشفعته فى نفسه، ولو سألنى عبدى لشفعته فى أهل الموقف» رواه البيهقى . وقال ﷺ « من صلى تحت الميزاب ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ومن صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وأعطى من الحسنات بعدد من صلى خلفه وأمنه الله يوم الفزع الأكبر».

- رحمه اللّه تعالى- : رأيت رجلاً يستقى من ماء زمزم فسقطت ركوته فقال : وعزتك لأن لم تسقنى لأغضبن فطلع الماء إلى أعلى البئر فشرب فلما انصرف قلت له كيف كنت تغضب قال على نفسى فامنعها الماء سنة وقال بعض الصالحين : رأيت رجلاً يستقى من زمزم فقلت اسقنى فأسقانى فإذا هو عسل ثم فى اليوم الثانى رأيته يستقى فقلت له اسقنى فأسقانى فإذا هو عسل

ثم فى اليوم الثانى رأيته يستقى فقلت له من أنت قال سفيان الثورى، قال ﷺ فى ماء زمزم : **«أنه طعام طعم وشفاء سقم»** **وقوله** ﷺ : «طعم» هو بضم الطاء وسكون العين أى يشبع من شربه وكافى ابن عباس إذا شربه يقول : اللهم إنى أسألك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وشفاء من كل علة .

فوائد الأولى : يقال فى الحج : يا رب أتيتك من مشقة بعيدة مؤملاً معروفك فألنى معروفًا من معرفوك تغننى به عن معروف من سواك يا معروفًا بالمعروف .

الثانية : ذكر الحسن البصرى- رضى اللّه عنه- أن حول الكعبة ثلثمائة نبى منهم بين الحجر الأسود والركن اليمانى سبعون نبيًا ماتوا من القملى والجوع وقبر إسماعيل وأمه تحت الميزاب .

الثالثة : قال وهب- رضى اللّه عنه- : مكتوب فى التوراة أن الله تعالى يبعث إلى الكعبة سبعين ألف ملك بسلاسل من ذهب يقودونها إلى المحشر فينادى ملك بالكعبة يا كعبة الله سيرى فتقول حتى أعطى سؤالى فيقال سلى، فتقول يا رب شفعنى فى جيرانى الذين دفنوا حولى من المؤمنين، فيقال لها : قد أعطيتك سؤلك ثم يقال يا كعبة الله سيرى فتقول حتى أعطى سؤالى فيقال سلى فتقول : يا رب عبادك المذنبون الذين جاؤونى من كل فج عميق أسألك أن تؤمنهم من الفزع الأكبر فينادى مناد ألا من زار الكعبة فليعتزل فيجمعهم الله تعالى حول الكعبة بيض الوجوه ثم يقال يا كعبة الله سيرى فتقول لبيك اللهم لبيك، ثم يجرونها بالسلاسل إلى المحشر فأول من يحشر محمد ﷺ فتقول : يا محمد اشتغل بمن لم يزرنى وأما من زارنى فهو فى شفاعتى وقال فى كتاب شرف المصطفى ﷺ إن الكعبة تستأذن ربها فى زيارة قبر المصطفى ﷺ فيأذن لها فتقول : يا نبى الله لا تهتم بثلاثة فإنى أشفع لهم من طاف بى ومن خرج ولم يبلغنى ومن اشتهى الوصول إلى ولم يجد سبيلاً .

الرابعة : لما أمر الله إبراهيم - عليه السلام- ببناء الكعبة أرسل الله إليه جبريل فأخبره بقدر موضعها، وقيل : أرسل الله إليه سحابة فأظللته فبنى على قدرها، وقيل : أرسل الله ريحًا فكشفت له عن أساسها فلما فرغ قال الله تعالى : وأذن فى الناس بالحج فمنك النداء ومنى البلاغ يأتوك رجالاً أى مشاة وعلى كل ضامر من شدة السفر ركبانًا عليها وهى الإبل غالبًا وقيل رجالاً لأن حج الرجال أكثر من حج النساء وكقوله تعالى : يأتوك وهم إنما يأتون الكعبة لأن المنادى إبراهيم فمن قصدها فكأنما قصد إبراهيم لأنه أجاب النداء فصعد على الصفا، وقيل على جبل أبى قبيس ونادى يا عباد الله أجيبوا داعى الله وحجوا بيته فأجابوا من أصلاب الآباء وبطون الأمهات لبيك فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج متين فمن حج مرة أدى فريضة، ومن حج مرتين داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم على النار ذكره فى الشفاء .

الخامسة : ذكر النسفى- رحمه الله تعالى- : إن إبراهيم - عليه السلام-قال : اللهم من حج هذا البيت من شيوخ أمة محمد ﷺ فشفعنى فيه، وقال إسماعيل- عليه السلام- : اللهم من حج هذا

البيت من شباب أمة محمد ﷺ فشفعني فيه وقال إسحاق - عليه السلام- : اللهم من حج هذا البيت من كهول أمة محمد ﷺ فشفعني فيه ، وقالت سارة : اللهم من حج هذا البيت من نساء أمة محمد ﷺ فشفعني فيهن وقالت هاجر : اللهم من حج هذا البيت من أرقاء محمد ﷺ فشفعني فيهم ، فلذلك أمرنا بالصلاة على إبراهيم وعلى آله فى التشهد .

السادسة : **رأيت فى تفسير النيسابورى** : أن الله تعالى أنزل البيت من ياقوتة حمراء من الجنة له بابان من زمرد شرقى وغربى وقال لآدم أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم إليه من أرض الهند ماشيًا فتلقته الملائكة وقالوا أبر الله حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألف عام ، زاد صاحب الترغيب فقال : ما كنتم تقولون فى طوافكم قالوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، قال آدم فزيدوا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، قال آدم : لما بنى الكعبة يا رب إن لكل عامل أجرًا فما أجرى قال إذا طفت به غفرت لك قال يا رب زدنى قال أغفر لأولادك إذا طافوا به قال زدنى ، قال أغفر لمن أستغفر له الطائفون قال : حسبى ، قال الإمام النووى إن الكعبة شرفها الله بنيت ست مرات إحداهن بناء الملائكة ثم آدم ثم إبراهيم ثم قريش ثم عبد الله بن الزبير ثم الحجاج بن يوسف وهو هذا البناء الموجود لذلك وصفه الله بالبيت العتيق وقالت طائفة سمى عتيقًا لأن الله تعالى يعتق فيه رقاب المذنبين من المؤمنين ، وقيل : أعتقه من الغرق أيام الطوفان وقيل : أعتقه من أيد الجبابرة .

السابعة : عن النبى ﷺ من طاف حول البيت سبعًا فى يوم صائف استلم الحجر فى كل طوفة من غير أن يؤذى أحدًا وقل كلامه إلا من ذكر الله تعالى كان له بكل قدم سبعون ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة ورفع له سبعين ألف درجة .

الثامنة : **اختلف العلماء فى عبادة البدن** أيها أفضل فمنهم قال : الصلاة وجزم به صاحب التنبيه ، ومنهم من قال الطواف وعن النبى ﷺ : «من أراد رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر كتب الله له مائة ألف رمضان غيرها» قال العلماء المراد بقيام رمضان صلاة التراويح .

التاسعة : لما خلق الله آدم ونهاه عن شجرة الحنطة وكل الله به ملكًا يحفظه فغاب عنه فأكل منها ، فنظر الله إلى الملك بالهيبة فصار جوهرة لأنه هتك ستر آدم فصار يبكى عند ذلك الحجر فأنطقه الله تعالى ، فقال : يا آدم أنا الملك الذى وكلنى ربى بحفظك ثم انتقل إلى الكعبة وهو الحجر الأسود جعله تعالى فى جبل أبى قبيس وكان من جبال خراسان فلما بنى إبراهيم الكعبة قال : يارب ائذن لى أسلم الوديعة لإبراهيم فأخذه منه ثم قال إبراهيم ادع ربك أن لا يعيدنى إلى خراسان فدعا له فاستمر بمكة .

العاشرة : ذكر فى كتاب شرف المصطفى : أن الحجر نزل كالنجم مع خيمة من ياقوتة حمراء فيها

ثلاثة قناديل من ذهب فلمع نور الحجر فحيث ما انتهى نوره فهو حد الحرم، وقال ﷺ : نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وفى رواية الطبرانى الحجر الأسود من حجارة الجنة وما فى الأرض من الجنة غيره، وقال النبى ﷺ : « اشهدوا هذا الحجر خيرًا فإنه يوم القيامة شافع يشفع له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه» .

الحادية عشرة : قال ابن عباس : جاء جبريل إلى النبى ﷺ وعليه عصابة صفراء وفى وجهه غبار فمسحه النبى ﷺ وقال ما هذا قال إن الكروبيين استأذنوا ربهم فى زيارة البيت الحرام فأذن لهم فازدحموا وهذا الغبار من أجنحتهم يا محمد سل ربك أن يشرك أمتك فى صالح دعائهم فسأل ربه فرجع جبريل سريعًا وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول : من حج هذا البيت من أمتك فله ثواب ملائكة السماء والأرض ولا يرجع إلا مغفورًا له .

الثانية عشرة : قال منصور الحربي : حججت فى بعض السنين فنويت على عرفات أن لا أعود فرأيت شيخًا فسلم على ، وقال : ارجع عن نيتك فقلت من أين علمت نيتى قال ألهمنى ربى فوالله لقد رأيت فى بعض السنين ههنا فى منامى كأن القيامة قد قامت ، ورأيت الجنة والميزان والصراط والنار وسمعتها تقول اللهم فى الحجاج حرى وبردى فقيل له يا نار سلى غيرهم فإنهم ذاقوا عطش البادية وحر عرفات فانتهت فوجدت على كفى مكتوبًا من وقف بعرفات وزار البيت فشفعته فى سبعين من أهل بيته .

الثالثة عشرة : قال الرازى : اختلفوا فى الحج الأكبر ، فقال ابن عباس : هو يوم السحر وقال مجاهد و الثورى : أراد به أيام منى كلها وقال ابن المسيب وطاوس هو يوم عرفة ، وسمى الحج الأكبر ، لأن المسلمين والمشركين اجتمعوا فيه ، قال الإمام النووى : والصحيح الأول .

الرابعة عشرة : لما بنى إبراهيم – عليه السلام – البيت أعانه إسماعيل قال تعالى قد جعلت لكما كنزًا ثم أوحى الله إلى إسماعيل اذهب إلى مكان كذا فادعه فقال يا كنز الله أقبل فأقبلت الخيل وكانت وحشية فأخذ بنواصيها فأطاعها الله له ولما عرض اللّه تعالى على آدم كل شىء قال له اختر من خلقى ما شئت فاختار الخيل ، فقيل له اخترت عزك وعز ولدك إلى أبد الآبدين ، قال السبكى : خلق الله الخيل قبل آدم والذكور قبل الإناث لأن آدم خلق قبل حواء والعربيات قبل البرازين ولحمها حرم عند الأئمة الثلاثة ، وأجازه أبو حنيفة وخالفه صاحباه .

الخامسة عشرة : كان أبو الدرداء يعلف فرسه فسئل عن ذلك فقال سمعت النبى ﷺ يقول : «ما من امرئ يقى لفرسه شعيرًا ثم يعلفه عليه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة» حكاه فى مجمع الأحباب وفى حديث آخر من علق مخلاة على فرس فى سبيل الله كان له حجة مبرورة وعمرة متقبلة .

السادسة عشرة : قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿أَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال : ٦٠] وهى الرمى لما فى صحيح مسلم ألا وإن القوة الرمى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم ، قيل هم الجن واختاره الطبرى لأنهم ينفرون من صهيلها ، وفى الترمذى عن النبى ﷺ : « **خير الخيل الأدهم** » قال عكرمة : وأحبها الإناث لأن بطنهاكنز وظهرها غزو لا تقرب الجن داراً فيها فرس .

حكاية : [illegible] - رضى اللَّه عنه- : إن آدم - عليه السلام-لما هبط إلى الأرض استوحش فيها لأنه لم ير فيها أحدا مثلها فقال : يارب أما لأرضك عامر يسبحك غيرى فقال الله تعالى : سأجعل فيها من ذريتك مَن يسبحني ويقدسنى ، وسأجعل فيها بيوتًا ترفع لذكرى وسأبوؤك منها بيتًا أختاره لنفسى وأخصه بكرامتى وأوثره على بيوت الأرض كلها باسمى وأسميته بيتى وأنطقه بعظمتى وأحوطه بحرمتى وأضعه فى البقعة التى اخترتها لنفسى ، فإنى اخترت مكانه يوم خلقت السماوات والأرض أجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرمًا وأمنًا وأحرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله من حرمه بحرمتى فقد عظم حرمتى ومن أحل فقد أباح حرمتى ومن أمن من أهله فقد استوجب أمانى ومن أخافهم فقد جفانى سكانه جيرانى وعماره وفدى وزواره أضيافى ، أجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السماوات والأرض يأتونه أفواجًا شعثًا غبراً لا يريدون غيرى وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، يعجون بالتكبير عجّا ويضجون بالتلبية ضجّا فمن اعتمره فقد زارنى وضافنى ووفد على وحق الكريم أن يكرم وفده وزواره وأضيافه تعمره يا آدم ما كنت حيّا ثم تعمره من بعدك الأمم والقرون والأنبياء وولدك أمة بعد أمة وقرنًا بعد قرن نبيّا بعد نبى حتى ينتهى إلى نبى بعدك يقال له محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء فأجلعه من عماره وحماته وولاته ، ويكون أمينى عليه ما دام حيّا فإذا انقلب إلى وجدنى قد ادخرت له من الأجر ما يتمكن به من القربة إلى الوسيلة عندى وأجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده ومكرمته لنبى من ولدك يكون قبل هذا النبى وهو أبوه يقال له إبراهيم ، أرفع به قواعده وأقتضى على يديه عمارته وأعلمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة وحده قائمًا بأمرى داعيًا إلى سبيلى أبتليه فيصبر وأعافيه فيشكر استجيب دعاءه فى ولده وذريته من بعده وأجعلهم أهل ذلك البيت وخدمه وحجابه حتى يغيروا ويبدلوا وأجعل إبراهيم إمام ذلك البيت وأهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق والجن والإنس ، عن النبى ﷺ : « **الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس اللَّه نورهما ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما ذو عاهة ولا سقيم إلا شفى** » .

فصل : فى أركان الحج وهى خمسة

الأول الإحـرام : **من الميقات ناويًا بقلبه ولسانه** أو بقلبه الدخول فى الحج أو العمرة أو فيهما أو مطلقًا بأن لا تزيد على نفس الإحرام لكن التعيين أفضل أو نويت عن فلان الحج أو عقدت الإحرام له أو أحرمت عنه وهكذا ينوى الوالد عن ولده الصغير فإن بلغ فى عرفة وقت الوقوف أو عتق العبد أجزاءه عن حجة الإسلام كمن أدرك الركوع فإنه يكون مدركًا للركعة، نعم لو سعى عقب طواف القدوم وجبت إعادته لوقوعه فى حالة النقصان، وإذا أراد الإحرام فليغتسل أو يتيمم حيث لا ماء ويزيل شعره وظفره ويطيب بدنه وثوبه الذى يحرم فيه ولا ينزعه بعد ذلك فإن نزعه ثم لبسه لزمته الفدية وسيأتى بيانها وتخضب المرأة للإحرام يديها وكل ذلك مستحب ويصلى ركعتين والأفضل أن يحرم إذا انبعثت به راحلته أو إذا توجه ماشيًا عقب الركعتين ويرفع الرجل صوته بالتلبية ويكثر منها فى ركوبه ونزوله وصعوده وهبوطه واختلاط رفقته ولفظها لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ويصلى على محمدﷺ ويسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار وإذا رأى ما يعجبه أو يكرهه قال: لبيك إن العيش عيش الآخرة، وإذا أحرم حرم عليه ستر رأسه إن كان رجلاً بما يعد ساترًا إلا لحاجة ولبس مخيط كقميص ولبس الحذاء فى رجله أو قتل ناموسة فإن خالف لزمته الفدية وتتكرر بتكرر اللبس فى أماكن وهى صوم ثلاثة أيام فى أى موضع كان أو ذبح شاة صالحة للأضحية فى الحرم ويفرقها على مساكينه وأقلهم ثلاثة أو يتصدق بثلاثة آصع على ستة منهم لكل مسكين نصف صاع والصاع أربع أمداد ويحرم عليه أيضًا دهن رأسه ولحيته بكل دهن إلا أن يكون أقرع أو أصلع فإن فعل ذلك فى أماكن تعددت الفدية والمرأة كالرجل إلا أنه يجوز لبس الثياب لها ويحرم عليها القفاز وهو شئ يستر اليدين وتجب عليها الفدية لذلك وستر وجهها بثوب مثلاً إلا أن يرتفع عنه بعود ونحوه ويجوز قطع شعر غطى العين من حاجب أو رأس وظفر انكسر وتأذى وبه وتحرم مقدمات الجماع كلمس وقبلة بشهوة فإن فعل ذلك فعليه الفدية المتقدمة وعلى كل من الزوجين مع العلم والاختيار الفدية ذبح بدنه وهى بعير ذكر أو أنثى بشرطه فى الأضحية فإن عجز فبقرة فإن عجز فسبع خن الغنم فإن عجزه قوم البعير بدراهم والدراهم بطعام ويفرق على مساكين الحرم ولو من المجاورين مثاله كان البعير يساوى خمسمائة درهم مثلاً فيشترى به حنطة ثم يفرقها فإن عجز صام عن كل مد يومًا وسيأتى بيان المد فى باب التوبة واللواط وإتيان البهائم كالجماع فى الكفارة ويحرم اصطياد كل مأكول برى ووحشى

الركن الثانى : **الوقوف بعرفة ولو لحظة** بعد الزوال يوم عرفة وإن كان وقته من الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر فيكفى حضوره لحظة ولو مارًا فى طلب دابة أو آبق أو غريمه بشرط كونه أهلاً للعبادة لا مغمى عليه ولا سكران ولا يشترط عليه بأنها عرفات فلو نام حتى خرج الوقت أجزاءه ولو وقفوا فى اليوم العاشر غلطًا أجزأهم إلا أن يقلوا على خلاف العادة فيقضون حجهم فى عام آخر مثاله وقف

على عرفات خمسون مثلا فى اليوم العاشر فيجب عليهم القضاء ، ولو وقفوا فى غير عرفات غلطًا وجب القضاء ، وإن كانوا الركب المعتاد لأن الخطأ فى المكان مأمون فيلزمهم القضاء غير مأمون فى الزمان .

مسألة : يصح وقوف الحائض والجنب فى عرفات كما سيأتى فى باب الكرم .

فائدة : قال النبى ﷺ فى يوم عرفة : «أيها الناس إن الله تعالى تطول عليكم فى هذا اليوم فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم ووهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى لمحصنكم ما سأل » .

الركن الثالث : طواف الإفاضة وشرطه الطهارة على حدث وخبث وعورة قال بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾[الأعراف: ٣٣] ، أى ما ظهر وهو طواف الرجال عراة بالنهار وما بطن وهو طواف النساء عراة بالليل وشرطه أيضًا أن يبدأ بالحجر الأسود ويكون البيت عن يساره ليحاذى القلب بالبيت وأن يكون سعبًا كلما انتهى إلى الحجر ابتدأ منه محاذيًا له فى مروره بجميع بدنه ومن السنة أن يطوف ماشيًا وأن يستلم الحجر أول طوافه ويقبله ويضع جبهته عليه ، فإن عجز عن التقبيل استلم فإن عجز أشار بيده لا بكمه وأن يقول أول طوافه بسم الله والله أكبر اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعًا لسنة نبيك محمد ﷺ ويقول قبالة الباب : اللهم إن البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك وهذا يشير إلى مقام إبراهيم- عليه السلام- مقام العائذ بك من النار ويقول بين الركنين اليمانيين ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويدعو بما شاء .

الركن الرابع : السعى من الصفا إلى المروة مرة وعودة منها إليه أخرى ويستحب أن يرقى على الصفا والمروة قدر قامة ويقول الله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يدعو بما يشاء .

الركن الخامس : الحلق للرجل ويكره للمرأة بل لا يجوز عند قوم لأنه مثلة وتشبيه بالرجال بل تقصر من شعرها قدر أنملة وأقل ذلك لها وللرجل ثلاث شعرات حلقًا أو تقصيرًا أو نتفًا أو بنورة قائلاً : اللهم آتنى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة وارفع لى به درحة واغفر لى فى المحلقين والمقصرين .

فائدة : قال فى المنهاج : ويسن شرب ماء زمزم لما ورد عن جابر مرفوعًا : من طاف خلف البيت سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغًا ما بلغت قال

الماوردی ویغسل به وجهه وصدره ویصب علی رأسه ، قال الزعفرانی : ویستحب أن یکثر من شربه حتی یتضلع أی یمتلئ منه ویکره نفسه علی ذلك فإن المنافقین کانوا لا یتضلعون منه قال عبد الله بن المبارك - رضی الله عنه - : أنا أشربه لعطش القیامة .

فائدة : زيارة قبر النبي مستحبة فی کل وقت خلافًا لتقیید المنهاج حیث قال : وزیارة قبر النبی بعد فراغ الحج قال النبی : « من زار قبری وجبت له شفاعتی » رواه ابن خزیمة وعنه : «من جاءنی زائرًا لم یکن له حاجة إلا زیارتی کان حقًا علی أن أکون شافعًا له یوم القیامة » . وفی عیون المجالس عنه : « من زار قبری بعد موتی فکأنما زارنی فی حیاتی ومن لم یزر قبری فقد جفانی» وقال إسحاق بن سنان : زرت قبره الشریف سبع عشرة مرة کلما زرته مرة قلت السلام علیك یا رسول الله فیقول وعلیك السلام یا ابن السنان . وعنه : « من زارنی بعد موتی فکأنما زارنی فی حیاتی ومن مات بأحد الحرمین بعث من الآمنین یوم القیامة » رواه البیهقی .

حكاية كان الشیخ الصالح سیدی أحمد الرفاعی یبعث السلام مع الحجاج فی کل عام إلی قبر النبی فلما قدر الله له بالحج وقف عند القبر الشریف وقال :

[illegible]

[illegible]

فظهرت له ید النبی فقبلها ولا إنکار فی ذلك فإن إنکار ذلك یؤدی إلی سوء الخاتمة والعیاذ بالله وإن کرامات الأولیاء حق والنبی حی فی قبره سمیع بصیر منعم فی قبره ، وقال بعضهم : بلغنا أن من وقف عند قبر النبی وقرأ هذ الآیة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، ثم قال صلی الله علیك یا محمد سبعین مرة ناداه ملك صلی الله علیك یا فلان ولم تسقط له حاجة ویستحب لمن زاره أن یصلی بین القبر الشریف والمنبر فإنها روضة من ریاض الجنة ، قیل : معناه البقعة تستحق روضة من لحیته ، وقیل : أن تلك البقعة بعینها تکون فی الجنة یوم القیامة قال : « **الصلاة فی المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة فی مسجدی بألف صلاة، والصلاة فی بیت المقدس بخمسمائة صلاة** » رواه الطبرانی وقد صرح بعض العلماء بأن المشی إلی قبره أفضل من المشی إلی الکعبة لأن البقعة التی ضمت أعضاءه الطریة أفضل من العرض والکرسی وکیف لا وقد رفع الله تعالی ذکره وقرن اسمه مع اسمه وکتبه فی کل موضع من الجنة ، وقال ابن عباس - رضی الله عنهما - : علی باب الجنة مکتوب إنی أنا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله لا أعذب من قاله وقال النبی : «ما ضر أحدکم أن یکون فی بیته محمد ومحمدان وثلاثة وعن جعفر ابن محمد عن أبیه إذا کان یوم القیامة نادی مناد ألا لیقم من اسمه محمد فلیدخل الجنة لکرامة اسمه » .

قال فى الشفاء : إن الله تعالى حمى اسم محمد وأحمد أن يسمى بهما غيره قبل زمانه فلما قرب زمانه سمى جماعة من العرب أبناءهم بمحمد طمعًا فى أن يكون أحدهم هو ، قال الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات : أول من سمى فى الإسلام محمد بن حاطب فهو صحابى ابن صحابى ابن صحابية رضى الله عنهم وأبوه حاطب أرسله النبى ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فقال له : صاحبكم نبى قال : نعم، قال : فلم لا يدعو على قومه فقال : ما بال عيسى لم يدع على قومه ؟ فقال له : أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم وأعطاه هدية منها مارية وأختها سيرين بالسين المهملة فأخذ النبى ﷺ مارية لنفسه وزوج أختها لحسان بن ثابت- رضى اللَّه عنه- ثم قال أيضًا فى تهذيب الأسماء واللغات : ولم يسم أحد بأحمد بعد نبينا ﷺ قبل أحمد بن الخليل بالبصرة عام سعبين ومائة ، والله أعلم .

باب : فى فضل الجهاد

قال الله تعالى : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)﴾ آل عمران ، قال ابن عباس - رضى اللَّه عنه- : قال عبد الله بن رواحة : لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه فنزل الجهاد فكرهوه فنزل قوله تعالى : ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢)﴾ الصف ،وقيل لما نزل قوله جل ذكره : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠)﴾ الصف ، فقالوا لو نعلم ما هى لاشتريناها بالأرواح والأموال والأهوال فنزل تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله ففروا يوم أحد فنزل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢)﴾ الصف ، وقيل نزلت فى رجل قال يا رسول الله قتلت فلانًا فقال عمر- رضى اللَّه عنه- إنما قتله كلاب النخل .

فائدة : قال النبى ﷺ : «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله تعالى أرواحهم فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة فتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد، فقال تعالى : أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)﴾ آل عمران » وفى صحيح مسلم من سأل الله الشهادة بصدق أناله منازل الشهداء وإن مات على فراشه وعن على- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال : « إن الغزاة إذا هموا بالغزو كتب لهم براءة من النار فإذا تجهزوا لغزاوهم باهى الله ملائكته ، فإذا ودعهم أهلهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها ويوكل الله بكل رجل منهم أربعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة إلا ضعفت له ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة كل سنة ثلثمائة وستون يومًا

اليوم مثل عمر الدنيا فإذا صاروا بحضرة العدو انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم وشرعت الأسنة وفوقت السهام وتقدم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكة بأجنحتها ويدعون الله لهم بالنصر والتثبيت ونادى مناد الجنة تحت ظلال السيوف فتكون الضربة والطعنة على الشهيد أهنأ من الماد البارد فى اليوم الصائف فإذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله تعالى زوجته من الحور العين فتبشره بما أعده الله له من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله تعالى أنا خليفته على أهله من أرضاهم فقد أرضانى ومن أسخطهم فقد أسخطنى ويجعل الله تعالى روحه فى حواصل طير تسرح فى الجنة حيث شاء يأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سمك كل غرفة كما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين فى كل غرفة سبعون خيمة فى كل خيمة سبعون سريرًا من ذهب قوائمه الدر والزبرجد على كل سرير أربعون فراشًا غليظ كل فراش أربعون ذراعًا على كل فراش زوجة من الحور العين عربًا أى عاشقات لأزواجهن أترابًا أى على سن واحدة لها سبعون ألف وصيف وسبعون ألف وصيفة صفر الحلى بيض الوجوه عليهم تيجان اللؤلؤ وعلى رقابهم المناديل وبأيديهم الأكواب والأباريق، فإذا كان يوم القيامة فوالذى نفسى بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم حتى يأتون بموائد من الجوهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم فى سبعين ألفًا من أهل بيته وجيرانه حتى أن الرجلين ليختصمان أيهم أقرب جوارًا يقعدون معى ومع إبراهيم على مائدة الخلد وينظرون إلى الله تعالى كل يوم بكرة وعشيًا» حكاه العلائى فى آل عمران وعن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ : «من رابط يومًا فى سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق كل خندق منها مثل سبع سموات وسبع أرضين» رواه الطبرانى وقال ﷺ : « **من رابط ليلة فى سبيل الله كانت له كألف ليلة قيامها وصيامها**» رواه ابن ماجه . وقال ﷺ : «**كل ميت يختم له على عمله إلا المرابط فى سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر** » رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

فائدة : قال العلائى فى قوله تعالى : ﴿ **طه** ① ﴾[طه: ١] قيل الطاء طبول الغزاة فى سبيل الله تعالى والهاء هيبتهم فى قلوب أعدائهم ، وقال القرطبى : الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية ، وقيل الطاء طوب أهل الجنة والهاء هوان أهل النار وقيل الطاء طامعًا فى الشفاعة والهاء هادى الأمة وقيل اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء محمد ﷺ فإنه له ألف اسم زاده الله شرفًا وقال أبو بكر الصديق- رضى اللّه عنه- : هو من أسرار الله التى انفرد الله تعالى بعلمها ، وقيل كان النبى ﷺ يصلى على قدم واحد فأنزل الله تعالى طه أى طأ الأرض بقدميك ، وقيل هو قسم من الله تعالى على عدم شقاوته ﷺ لما قال أبو جهل شقيت يا محمد وقال ابن عباس : طه معناه يا رجل وقال القشيرى : طه الطاء طهارة قلب محمد عن غير الله تعالى والهاء هداية قلبه إلى الله تعالى، وقال النبى ﷺ : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾[الأنفال: ٦٠] ألا وإن القوة الرمى .

وفى عيون المجالس : أول سلاح نزل من السماء القوس لأن آدم لما زرع جاء الغراب فقلعه فشكا آدم ذلك إلى الله تعالى فأرسل إليه القوس فرمى به الغراب فسلم الزرع وذكرت الأسلحة عند النبى ﷺ فلما ذكر القوس قال : ما سبقه سلاح إلى خير وقال ﷺ : «**من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة ومن رمى بسهم فى سبيل الله فبلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة كانت له فداء من النار عضواً بعضو**» رواه النسائى بإسناد صحيح .

حكاية : قال عبد الواحد بن زيد- رضى الله تعالى عنه-: خرجنا للجهاد فقرأ رجل : ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة:١١١] فقام غلام ، وقال قد بعت نفسى ومالى لله بأن لى الجنة فلما وصلنا بلاد الروم وإذا به يقول واشوقاه إلى العيناء المرضية فقلنا لعله أصيب فى عقله ثم سألته عن العيناء فقال : كنت نائمًا فقيل اذهب إلى العيناء فرأيت روضة خضراء فيها نهر من ماء غير آسن أى غير متغير عليه حور كالأقمار فقلن : أهلاً وسهلاً بزوج العيناء فقلت أفيكم العيناء فقلن لا نحن خدمها امض أمامك فرأيت نهرًا من لبن لم يتغير طعمه عليه حور كالكواكب فقلن أهلاً وسهلاً بزوج العيناء فقلت أهى فيكم فقلن لا نحن خدمها امض أمامك فرأيت خيمة بيضاء وعلى بابها جارية ما رأيت أحسن منها فضحكت ، وقالت أيتها العيناء قد جاء زوجك فدخلت الخيمة فرأيت العيناء على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت فقالت مرحبًا يا ولى الله أبشرك فإنك فى هذه الليلة تفطر عندنا فاستيقظت ، قال عبد الواحد فقاتل فى ذلك اليوم حتى قتل ذكره اليافعى .

حكاية : قال بعض الصالحين: رأيت رجلاً فى الطواف يقول يا سيدى ما فعلت بالمحروم فسألته عن ذلك فقال : كنا عشرة نجاهد فى سبيل الله فأخذنا العدو ، أمر كبيرهم بضرب رقابنا فنظرت فى الهواء فرأيت عشرة من الحور العين فكلما ضرب عنق واحد نزلت جارية ومعها منديل من الجنة فتأخذ روحه وتصعد بها إلى السماء فلما انتهى إلى السياف تقربت منى جارية فحصل فى شفاعة فتركونى فصعدت وهى تقول يا محروم يا محروم .

حكاية : لما حاصر النبى ﷺ خيبر جاءه عبد أسود فقال يا رسول الله أعرض على الإسلام فأسلم ثم قال يا رسول الله إنى أرعى غنمًا ليهودى فما أصنع بها فقال اضرب فى وجوهها التراب فسترجع إلى صاحبها فرمى فى وجوهها التراب ، وقال ارجعى إلى صاحبك فرجعت إليه كأن سائقًا يسوقها ثم قاتل مع المسلمين حتى قتل فأتوا به إلى النبى ﷺ فأعرض عنه فقيل له يا رسول الله ولم أعرضت عنه قال لأنه معه زوجته من الحور العين تنفض التراب عن وجهه وتقول ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك .

لطيفة : رأيت فى كتاب العرائس للثعلبى- رحمه الله تعالى-: أن رجلاً كان يلعن إبليس كل يوم

ألف مرة ثم نام يومًا فى ظل حائط فأيقظه رجل وقال إن الحائط يريد أن ينقض فما تم كلامه حتى وقع الحائط فقال من أنت فقال إبليس فقال كيف تفعل هذا معى وأنا ألعنك فى كل يوم ألف مرة فقال حتى لا تكون شهيدًا .

فـائدة : الشهداء تسع ، من مات تحت هدم والغريب والمقتول دون ماله والمبطون والمطعون والغريق والحريق وذوات الطلق والمقتول فى سبيل الله خصوصًا إذا غزا فى البحر قال النبى ﷺ غزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر رواه البيهقى والمقتول ظلمًا شهيد أيضًا كماشطة بنت فرعون ، قال ابن عباس – رضى الله عنهما – : سقط المشط من ماشطة بنت فرعون فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون ألك إله غير أبى فقالت إلهى وإله أبيك وإله السماوات والأرض إله واحد فأخبرت فرعون بذلك فطلبها وسألها عن ذلك فقالت نعم فعذبها بالأوتاد ثم ذبح بنتها الكبيرة وهم أن يذبح الصغيرة فانزعجت الأم فقالت الصغيرة يا أماه وهى ممن تكلم فى المهد لا تجزعى فإن الله تعالى بنى لك بيتًا فى الجنة فاصبرى فإنك تصيرين إليه فلما رأت آسية ذلك عاتبت فرعون فقال لعل الجنون الذى أصابها أصابك فقالت ما بى جنون ولكن إلهى إلهك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فمزق ثيابها وضربها ضربًا شديدًا ثم أرسل إلى أبيها ، وقال إن الجنون الذى بالماشطة قد أصاب آسية فقالت أشهد أن ربى وربكم ورب السماوات والأرض واحد فقال أبوها يا آسية حقًا قد زوجك إله العالمين وأنت أجمل النساء فقالت باللّه من ذلك إن كان قولكما فيتوجنى تاجًا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فعاقبها فرعون بالأوتاد ففتح الله لها بابًا إلى الجنة ليهون عليها العذاب فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتًا فى الجنة وقد تقدم فى باب المحبة قال ابن عباس لما أسرى بالنبى ﷺ مرت به رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة قال ريح ماشطة بنت فرعون .

قال مـؤلفه : هاتان السعيدتان – رضى اللّه عنهما – ومثلهما من قتله الكفار أسيرًا ليس من شهداء الدنيا الذين لا يغسلون ولا يصلى عليهم فإن عمر وعثمان قتلا ظلمًا وغسلاً وصلى عليهما فهؤلاء شهداء الآخرة دون الدنيا قلت هذا مذهب الشافعى ، وأما مذهب أبى حنيفة الماشطة وامرأة فرعون وعمر وعثمان وكل من يقتل ظلمًا بمحدد وعلم قاتله يكون شهيد الدنيا والآخرة فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ومثلهم المطعون والمبطون وكذلك الحامل إذا ماتت بعد اجتماع خلق حملها كما أفتى به النووى وأما شهيد الدنيا والآخرة الذى لا يغسل ولا يصلى عليه وله ثواب خاص فى الآخرة فهو الذى مات فى قتال الكفار بسبب القتال فإن عاد إليه سهمه أو وقع عن فرسه أو فى بئر أو جاءه سهم من مسلم أو كافر أو وجد بعد انكشاف الحرب قتيلاً لم يعلم سبب موته وإن لم ير عليه أثر الدم.

حكـاية : ذكر النسفي - رحمه الله تعالى - أن رجلاً كان يجاهد في سبيل الله فإن فرغ من القتال نفض ثيابه وجمع غبارها حتى جمع غبارًا كثيرًا في بعض أيام ثم جعله لبنة وأوصى أن تكون تحت رأسه في قبه ففعلوا ذلك فرآه بعض أصحابه في منامه فسأله عن حاله فقال : غفر لي بركة اللبنة .

حكاية : خرج جماعة من المسلمين للجهات فأخذهم العدو فأمرهم ملك كافر بدخولهم في دينه فأبوا فقتلهم إلا واحدًا رغب فيه ثم أمره أيضًا بالدخول في دينه وله من الأموال كذا وكذا فأبى فأدخله في بيته ووضع عنده جارية جميلة فلم يلتفت إليها وقرأ سورة الفتح إلى قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾[الفتح:٢٩] فبكت الجارية وأسلمت وقالت اخرج بنا إلى بلادكم فخرجا ليلاً فلما طلع الفجر سمعا صهيل الخيل فقالت له الجارية قد جاء الطلب في أثرنا فارجع إليهم لعلهم أصحابك فرجع فإذا هم أصحابه الذين قتلوا فقالوا نحن أصحابك الشهداء أحياء عند الله وستلحق بنا بعد أربعين يومًا ، وقيل إن الله تعالى رزقه منها أولادًا وقاتلوا في سبيل الله تعالى وكان ذلك في أيام عمر - رضي اللَّه عنه - وقال النسفي : أنها كانت في زمن النبي ﷺ .

فـائدة : قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - : إذا قتل العبد في سبيل الله ذهبت روحه مع الملائكة إلى دار الشهداء في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح في أنهار الجنة فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه أي يذبحه فيأكلون لحمه ويجدون فيه كل ريح طيبة ويظل الثور في فناء الجنة يرتفع فإذا أصبح وكزه الحوت فيذكيه فيأكلون لحمه ويجدون فيه كل رائحة طيبة وذكر العلائي أن أرواح الشهداء تركع وتسجد تحت العرش إلى يوم القيامة ويشاركهم في ذلك أرواح المؤمنين إذا ناموا على وضوء ، قال في شرح المهذب : سمي الشهيد شهيدًا لأن الله تعالى ورسوله شهدا له بالجنة ، وقيل : لأن ملائكة الرحمة يشهدون روحه فيقبضونها ، وقيل : لأن روحه تشهد دار السلام وروح غيره لا تشهدها إلى يوم القيامة .

باب : بر الوالدين

قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾[العنكبوت: ٨] حملته أمه وهنا على وهن أي شدة على شدة قال الثعلبي - رضي اللَّه عنه - : لما أسلم سعد بن أبي وقاص - رضي اللَّه عنه - قالت أمه : يا سعد بلغني أنك صبأت فلا أستظل بظل ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمره النبي ﷺ بالإحسان إليها ولا يطيعها في الكفر قال القرطبي : قدمت أم أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - راغمة في سلام ، وقيل راغبة في الشرك وقيل راغبة بالميم أي كارهة للإسلام ، فقالت : يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي كافرة أفأصلها قال : نعم وكان اسمها قتيلة بضم القاف بعدها مثناة فوق ثم بعدها مثناة تحت ، وقيل قتلة بفتح القاف وإسكان المثناة فوق وقال النبي ﷺ : «رضا الله في رضاء الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين » رواه الترمذي .

مسألة : يحرم على من له أبوان أن يجاهد إلا بإذنهما إن كانا مسلمين أو بإذن المسلم منهما لأن أمرهما فرض عين والجهاد فرض كفاية وفرض العين هنا مقدم والأجداد والجدات هنا فى اعتبار الإذن كالأبوين ولو مع وجودهما ولهما منع الولد من حج تطوع ومن سفر تجارة إن كان طويلاً وفيه خوف كركوب بحر وبادية بخوفه .

حكاية : قال أبو يزيد البسطامى- رضى اللّه عنه- : طلبت أمى ماء فجئتها فوجدتها نائمة فقمت أنتظر يقظتها فلما استيقظت ، قالت : أين الماء فأعطيتها الكوز وقد كان سال الماء على أصبعى فجمد عليها الماء من شدة البرد فلما أخذت الكوز انسلخ جلد اصبعى فسال الدم فقالت : ما هذا فأخبرتها فقالت اللهم إنى راضية عنه فارض عنه كانت فى مدة حملها به لا تمد يدها إلى طعام فيه شهية ورأيت فى عيون المجالس أنه قال : كنت ابن عشرين سنة فدعتنى أمى للنوم معها ليلة من الليالى وقد تعلق قلبى بقيام الليل فأجبتها فجعلت يدى تحتها والأخرى أمرها على ظهرها وأقرأ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ① ﴾ [الإخلاص:١] فخدرت يدى فقلت اليد لى وحق الوالدة لله فصبرت على ذلك كله حتى طلع الفجر وقد قرأت قل هو الله أحد عشرة آلاف مرة ولم أنتفع بعد ذلك بيدى التى خدرت فلما مات رحمه الله تعالى رآه بعض أصحابه فى ا لمنام وهو يطير فى الجنان ويسبح الرحمن فقال له بم وصلت إلى هذه المنزلة قال بر الوالدين والصبر على الشدائد وعنه ﷺ : « **العبد المطيع لوالديه والمطيع لرب العالمين فى أعلى عليين** » .

حكاية : قال الخواص- رحمه الله تعالى- : كنت فى البادية فرأيت رجلاً إلى جانبى فقلت له من أنت قال : الخضر قال : فبأى وسيلة رأيتك قال : ببرك لأمك وقال بعض العارفين : للأم ثلاثة أرباع البر لأنها وضعت الولد بمشقة والأب وضعه بشهوة ولأن ماء الرجل يخرج من ظهره وماء المرأة يخرج من بين الترائب وهو الصدر والصدر أقرب إلى القلب من الظهر فصارت شفقتها أكثر من شفقة الأب فاستحقت ثلاثة أرباع البر وقد بدأ الله تعالى بذكرها فى الآية المتقدمة .

مسألة : الولد يتبع أمه غالبًا حتى لو تزوج عبد بجارية فالولد لصاحب الجارية وتقدم فى باب الغيبة والنميمية أنه يجوز بيع الولد مع أمه لا مع أبيه وإن رضيت الأم فإن فرق بينه وبين أمه ببيع أو هبة بطلا .

حكاية : كان فى بنى إسرائيل وإسرائيل هو يعقوب- عليه السلام- رجل صالح له ولد صغير وله عجلة صغيرة من ولد البقر فلما حضره الموت ، قال : اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لهذا الصبى فلما كبر الولد اجتهد فى العبادة فكان يقوم ثلث الليل وينام ثلثه ويتضرع ثلثه ويعمل بالنهار بدراهم فيتصدق بثلثها ويأكل بثلثها ويعطى أمه ثلثاً ثم قالت له أمه إن أباك ترك عجلة فى مكان كذا فانطلق إليها فلما جاء بها قالت اذهب إلى السوق وبعها بثلاثة دنانير ولا تبعها إلا بإذنى فقال له ملك : خذ

ثمنها ستة دنانير ولا تستأذن أمك فقال : لا بد من إذنها فرجع إليها وأخبرها بذلك فقالت : إنه ملك ارجع إليه وقل له تأمرنى ببيعها أم لا فقال أمسكها فإن موسى يشتريها بملء جلدها ذهبًا فقدر الله على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة مكافأة للولد على بر أمه ولبيان القتيل لأنهم كانوا ينكرون البعث فلما ذبحوها وضربوا القتيل ببعضها قيل بلسانها، وقيل بشئ من جلد ظهرها فأحياه الله تعالى وأخبرهم بالذى قتله، وقيل إن الجلدة التى من ظهرها وصلت إلى عمر رضى الله تعالى عنه فكانت درته وكان لأبى بكر- رضى اللّه عنه- القضيب لأن الناس كانوا فى نور النبوة لقرب عهدهم بالنبى ﷺ فكانوا أسرع انقياداً للحق من غيرهم وكان لعمر- رضى اللّه عنه- الدرة لأن الناس طال عهدهم بالنبىﷺ فتباعدوا عن الحق فردهم عمر بالدرة وكان لعثمان - رضى اللّه عنه-السوط لأن الناس زادت خليطهم فأدبهم عثمان- رضى اللّه عنه- بالسوط واتخذ على- رضى اللّه عنه- السيف لأن الناس فرقت الأهوية بين كلمتهم وقد وصف الله تعالى البقرة بصفات فقال لا فارض أى غير مسنة ولا بكر كأنه وصفها بعدم الولادة عوان بين ذلك أى لا كبيرة ولا صغيرة وقال مجاهد العوان هى التى ولدت مرة أخرى فاقع لونها أى لونها خالص الصفرة المعروفة قال الجمهور وقال الحسن : المراد بالصفرة هنا شدة السواد لا ذلول أى يذللها العمل تثير الأرض من غير حراثة بل تثيرها مرحاً ولا تسقى الحرث أى لا يستقى عليها الزرع مسلمة أى سليمة من سائر العيوب لاشية فيها أى ليس فيها ما يخالف معظم لونها بل هى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها .

فوائد الأولى : رأيت فى كتاب شرف المصطفى عن النبىﷺ البسوا النعال الصفر فإنها تقضى الحوائج وفى تفسير القرطبى عن على- رضى اللّه عنه- من لبس نعلاً أسود لم يزل فى كرب وغم ومن تختم بالعقيق لم يزل فى بركة وسرور وسيأتى فى مناقب الصديق- رضى اللّه عنه .

الثانية : قال فى نزهة النفوس: العجل والعجلة من أولاد البقر سمى بذلك لأن بنى إسرائيل استعجلوا فى عبادته وسمى البقر بذلك لأنه يبقر الأرض أى يشقها ولحم العجل محمود طيب لذيذ معتدل الغذاء واللحم الكبير بالفلفل والزنجبيل لا ضرر فيه والاكتحال بمرارة البقر الكبير والصغير لا سيما الأسود يقوى البصر ومن به سعال يطرح مسماراً عتيقًا فى النار حتى يحمر ثم يوضع فى حليب البقر ويشربه على الريق فإنه يزول بإذن الله تعالى وشرب حليبه حال حلبه على الريق ثلاثة أيام يقطع الصفار من الوجه بإذن الله تعالى .

الثالثة : قال موسى - عليه السلام - : يارب أوصنى قال : أوصيك بأمك قال أوصنى قال : أوصيك بأمك حتى قال فى التاسعة : أوصيك بأبيك يا موسى من بر والديه كنت له وليًا فى الدنيا وفى القبر مؤنسًا وفى الحشر رحيمًا وعلى الصراط دليلاً وفى الجنة محدثًا يكلمنى وأكلمه بلا واسطة .

حكاية : رأيت فى الترغيب والترهيب عن بعض التابعين : أنه مر على حى فوجد مقبرة فانشق منها قبر بعد العصر فخرج منه رجل رأسه كرأس الحمار وبدنه بدن آدمى فنهق ثلاث مرات ثم انطبق عليه القبر فسألت امرأة عنه فقالت : كان يشرب الخمر فتقول أمه له اتق الله فيقول لها انهقى كالحمار فمات بعد العصر فهو كل يوم بعد العصر ينشق عنه القبر وينهق ثلاث مرات وكان الحسن - رضى اللّه عنه- لا يأكل مع فاطمة- رضى اللّه عنها- فسألته عن ذلك ، فقال : أخاف أن آكل شيئًا سبق إليه نظرك فأكون عاق لك فقالت كل وأنت فى حل .

حكاية : قال ابن الجوزى : جاء فى الحديث النبوى على قائله أفضل الصلاة والسلام كل الأحاديث فى بنى إسرائيل فحدثوا عنهم ولا حرج ولأحدثنكم بحديث العجوزين ، قال : كان رجل فى بنى إسرائيل له امرأة يحبها ومعه أم عجوز وأم امرأته عجوز أيضًا وكانت تغرى ابنتها بأم زوجها وكان العجوزان قد ذهب بصرهما فلم تزل امرأته حتى خرج بأمه ووضعها فى فلاة من الأرض ليس معها طعام ولا شراب ليأكلها السباع ثم انصرف عنها فغشيتها السباع فجاءها ملك فقال ما هذه الأصوات التى أسمع حولك قالت خيرًا هذه أصوات إبل وبقر وغنم قال خيرًا فيكن إن شاء الله ثم انصرف عنها فلما أصبحت أصبح الوادى ممتلئًا إبلاً وبقرًا وغنمًا فقال ابنها لو جئت فنظرت ما فعلت أمى فجاء فإذا الوادى قد امتلأ من الإبل والبقر والغنم ، فقال أى أماه ما هذه فقالت : يا بنى عققتنى وأطعت امرأتك فاحتمل أمه وساق ما أعطاها اللّه تعالى ورجع بأمه إلى امرأته فقالت له امرأته : والله لا أرضى حتى تذهب بأمى فتضعها حيث وضعت أمك فانطلق بها فلما أمست غشيتها السباع فجاءها الملك الذى جاء لأمه فقال أيتها العجوز ما هذه الأصوات قالت شرًا هذه أصوات سباع تريد أن تأكلنى فقال شرًا فليكن ثم انصرف فجاءها سبع فأكلها فلما أصبحت قالت امرأته اذهب فانظر ما فعلت أمى فذهب فما وجد منها إلا ما فضل عن السبع فأخذ عظامها وأتى امرأته فماتت كمدًا .

موعظة : قال النبى ﷺ : **«من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة ولا يقبل منه صرف ولا عدل»** يعنى فريضة ولا نفلاً قال النووى- رحمه اللّه- فى الفتاوى ولا يؤثم من فضل زوجته على أمه فى النفقة إذا قام بكفايتها أو لزمه والأفضل الأم ، فإن كان ولابد من تفضيل الزوجة فالأفضل أن يخفيه عن الأم .

لطيفة : قال رجل للإمام الليث بن سعد : إن أبى ببلاد السودان وقد كتب إلى أن أذهب إليه فمنعتنى أمى قال : أطع أباك ولا تعص أمك فسأل الإمام مالك عن ذلك ، فقال : أطع أباك ولا تعص أمك .

قال مؤلفه - رحمه اللّه تعالى- : الذى فهمته من قول الإمام مالك عنه أن طاعة الأم أمر لازم وأولى لأن قوله أطع أباك مصلحة ، وقوله لا تعص أمك أمر بترك المفسدة وترك المفاسد أولى من جلب المصالح إلا فى مسألة جلب المصلحة أولى من دفع المفسدة وذلك فيما لو ماتت فى جوفها

ولد يرجى حياته فشق جوفها مفسدة وإخراج الولد مصلحة فإخراج الولد هنا واجب قال فى الروضة فى باب الهبة يسن للولد أن يعدل فى هبته لأبويه كما يسن للوالد أن يعدل فى هبته لأولاده أى البارين فإن أراد الولد أن يزيد أحد أبويه على الآخر فالأم أولى .

حكاية : كان لرجل ثلاثة أولاد فمرض فقال كبيرهم لإخوته : اعدونى خدمته ولكم ميراثه ففعلا فخدمه حتى مات فرأى فى منامه قائلاً يقول اذهب إلى موضع كذا وخذ منه ديناراً ولك فيه التركة قال : لا فتركه ثم رأى فى الليلة الثانية كذلك وفى الثالثة مثلها فلما أصبح أخذه واشترى به سمكة فوجد فيها جوهرين فباعهما للسلطان بستين ألف دينار ثم رأى فى منامه قائلاً يقول له هذا بخدمتك لأبيك .

حكاية : لما خرج موسى - عليه السلام- من أنطاكية يريد الشام فتعب فأوحى الله تعالى إليه أن آوى إلى سفح جبل فيه عبد لى فاسأله شيئًا تركبه فوجده يصلى فلما فرغ قال : يا عبد الله أريد شيئًا اركبه فنظر إلى السماء وإذا بسحابة سائرة فقال أيتها السحابة انزلى واحملى هذا العبد حيث يريد فنزلت حتى لصقت بالأرض فركبها موسى- عليه السلام- فقال الله تعالى يا موسى أتدرى بأى شئ أعطيته هذه المنزلة قال لا يارب قال سألته أمه حاجة عند وفاتها فبادر إلى قضائها فقالت يا إلهى كما قضى حاجتى فاقض حاجته ولو سألنى أن أقلب الخضراء على الغبراء لفعلت .

حكاية : قال رجل للأستاذ أبى إسحاق : رأيتك البارحة فى المنام وكانت لحيتك مرصعة باليواقيت والجواهر فقال صدقت لأنى مسحت بها البارحة قدم أمى وفى الحديث أول شئ كتبه الله فى اللوح المحفوظ : «بسم الله الرحمن الرحيم إنى أنا الله لا إله إلا أنا من رضى عنه والداه فأنا عنه راض» وعن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- عن النبىﷺ : «من أصبح وأمسى مرضيًا لوالديه أصبح وأمسى وله بابان إلى الجنة ومن أصبح وأمسى مسخطًا لوالديه أصبح وأمسى وله بابان إلى النار» فقال رجل : يا رسول الله وإن ظلماه قال : «وإن ظلماه» قال الإمام النووى فى الفتاوى : من كان عاقّا لوالديه وماتا ساخطين عليه فلا طريق له فى عدم مطالبتهما له لكن ينبغى له بعد الندم على ذلك أن يكثر من الاستغفار لهما مع الدعاء والتصدق عنهما ويقضى دينهما ويصل رحمها ويكرم من كان بجوارهما إكرامًا لهما .

حكاية : ذكر ابن الجوزى فى كتاب المنتظم فى تواريخ الإمم : أن موسى - عليه السلام-سأل ربه أن يريه رفيقه فى الجنة فقال تعالى : اذهب إلى بلد كذا تجد رجلاً قصابًا فهو رفيقك فى الجنة فلما رآه فى حانوته وعنده زنبيل فقال الشاب : يا جميل الوجه هل لك أن تكون فى ضيافتى قال موسى : نعم فانطلق معه إلى منزله فوضع الطعام بين يديه فكلما أكل لقمة وضع فى الزنبيل لقمتين فبينما هو كذلك إذا بالباب يطرق فوثب الشاب وترك الزنبيل فنظر موسى فيه وإذا بشيخ وعجوز قد كبرا حتى صارا كالفرخ الذى لا ريش له فلما نظرا إلى موسى تبسما وشهدا له بالرسالة ثم ماتا فلما

دخل الشاب ونظر إلى الزنبيل قبل يده موسى وقال أنت موسى رسول الله قال ومن أعلمك بذلك قال هذان اللذان كان فى الزنبيل أبواى قد كبرا فحلمتهما فى الزنبيل خوفًا عليهما وكنت لا آكل ولا أشرب إلا بعدهما وكانا يسألان الله كل يوم أن لا يقبضهما حتى ينظرا إلى موسى فلما رأيتهما ماتا علمت أنك موسى رسول الله فقال له : أبشر فإنك رفيقى فى الجنة .

حكاية : لما دخل يعقوب - عليه السلام- على ولده يوسف- عليه السلام- لم يقم له فأوحى الله إليه تتعاظم على أبيك أن تقوم له وعزتى وجلالى لا أخرجت من صلبك نبيًا وذكر النسفى أن يوسف- عليه السلام-دخل على أبيه يعقوب وهو على دابته ولم ينزل فأوحى الله تعالى إليه هلا قضيت حق أبيك بالنزول فلو نزلت إليه أخرجت من صلبك سبعين نبيًا مرسلاً .

لطيفة : رأيت فى شرعة الإسلام عن النبى ﷺ حسنة الحر بعشر وحسنة العبد بعشرين .

موعظة : قال النبى ﷺ **«اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما»** وفى رواية : **«ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم العبد الآبق حتى يرجع وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وإمام قوم وهم له كارهون»**.

حكاية : كان فى بنى إسرائيل رجل صالح له ولد صالح فلما حضره الموت قال لولده لا تحلف بالله كاذبًا ولا صادقًا فلما مات تسامع به الناس فسابق إليه بنو إسرائيل فكان الرجل يقول له لى عند أبيك كذا وكذا من المال فيدفعه إليه حتى افتقر فخرج بزوجته وولديه إلى البحر فانكسرت بهم السفينة فصار كل واحد على لوح فوقع الرجل فى جزيرة فناداه مناد أيها الرجل البار بوالديه إن الله تعالى يريد أن يخرج لك كنزًا وهو فى موضع كذا فكشف عنه فوجده فساق إليه بعض الناس فأحسن إليهم فتسامع الناس به فقصدوه وصارت الجزيرة بلدًا وصار الرجل كبيرهم فسمع ولده الأكبر بحسن سيرته فقصده فقربه ولم يعرفه ثم سمع ولده الآخر فقصده وقربه أيضًا ثم سمع زوج امرآته الذى صارت الزوجة إليه فتوجه بها إليه فلما قرب من الجزيرة ترك المرأة فى المركب ودخل عليه ومعه هدية فقربه وقال له نم عندنا الليلة ، فقال : تركت امرأتى فى مركب وعاهدتها لا آكل أمرها إلى غيرى فقال : أنا أرسل لها رجلين يحرسانها هذه الليلة فلما دخلا عليها قال أحدهما للآخر قد أمرنا الملك أن نحفظ هذه المرأة ونخاف من النوم فاذكر لى وأنا أذكر لك ما رأينا من الأخبار فقال أحدهما كان لى أخ اسمه كاسمك فركب والدنا فى البحر من بلد كذا فانكسرت السفينة وفرق الله شملنا فلما سمع كلامه ، قال : كيف كان اسم والدك ؟ قال : فلان ، قال : وأمك قال : فلانة فترامى عليه وقال أنت أخى ورب الكعبة والأم تسمع كلامهما فلما طلع الفجر جاء الرجل من عند الملك فوجدهما فى هم عظيم فغضب ورجع إلى الملك وأخبره بذلك فأمر بإحضارهما وإحضار المرأة فقال لها : أيتها المرأة ما الذى رأيت من هذين فقالت أيها الملك دعهما يذكران كلامهما البارحة فذكرا ذلك فوثب

الملك عن سريره وقال : أنتما والله ولدى وقالت المرأة : والله أنا أمهما ﴿ **هُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ** (٢٩) ﴾ [الشورى : ٢٩] فسبحان من فرقهم وجمعهم .

حكاية : رأيت في الغنية للشيخ عبد القادر الكيلانى - رضى اللّه عنه - أن عليًا - رضى اللّه عنه - سمع رجلاً يقول حول الكعبة :

يا من يجيب دعاء المضطر فى الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حى يا قيوم لم تنم
هب لى بجودك ما أخطأت من جرم ... يا من إليه أشار الخلق بالكرم
إن كان عفوك لم يسبق لمحترم ... فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال : يا حسن أدركه فإذا هو رجل حسن الوجه إلا أنه قد شل جانبه الأيمن ، فقال : أجب أمير المؤمنين فجاء يجر شقه فقال من أنت قال من العرب وكان والدى يتهاون عن المعاصى فلطمته على وجهه فركب ناقته وأتى الكعبة وقال :

يا من إليه أتى الحجاج من بعد ... يرجون لطف عزيز واحد صمد
هذى منازل ما قد خاب قاصدها ... فخذ بحقى يا رحمن من ولدى
فشل منه بجود منك جانبه ... يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال : فما فرغ حتى أصابنى ما ترى فلما رجع ورآنى فى هذه الحالة سألته أن يدعو لى فى الموضع الذى دعا على فيه بعد أن رضى فخرج على ناقته فسقط عنها فمات فقال على - رضى اللّه عنه - : أفلا أعلمك دعاء سمعته من النبى ﷺ وسمعته يقول ما دعا به مهموم إلا فرج الله عنه وهو هذا : اللهم إنى أسألك يا عالم الخفية يا من السماء بقدرته مبنية ويا من الأرض بقدرته مدحية ، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضية ، ويا مقبلاً على كل نفس زكية . ويا مسكن رعب الخائفين وأهل البلية ويا من حوائج الخلق عنده مقضية ويا من نجى يوسف من العبودية . ويا من ليس له بواب ينادى ولا صاحب يغشى ، ولا وزير يؤتى ولا غيره رب يدعى . ولا يزداد على الحوائج إلا كرمًا وجودًا صلى على محمد وآله وأعطنى سؤالى إنك على كل شيء قدير يا حى يا قيوم يا أرحم الراحمين ثم قال - رضى اللّه عنه - تمسك بهذا لدعاء فإنه كنز من كنوز العرش فدعا به الرجل فعافاه الله تعالى ثم رأى النبى ﷺ فى المنام فسأل عن هذا الدعاء فقال هو اسم الله الأعظم .

حكاية : قال [illegible] مالك : كان فى بنى إسرائيل شاب إذا قرأ التوراة خرج الرجال والنساء لحسن صوته وكان يشرب الخمر فقالت له أمه لو علم بك عباد بنى إسرائيل لأخرجوك من جوارهم فدخل ليلة وهو سكران فقرأ التوراة فاجتمع الناس فقالت له أمه قم فتوضأ فضرب وجهها فقلع عينها

وقلع سنها فقالت: لارضى الله عنك فلما أصبح رآها قال: السلام عليك يا أماه فلا أراك بعدها إلى يوم القيامة ، فقالت: لا رضى الله عنك أينما توجهت فذهب إلى جبل يعبد ربه فيه أربعين سنة حتى لصق جلد على عظمه ثم رفع رأسه وقال يا رب إن كنت غفرت لى فاعلمنى فهتف به هاتف رضائى من رضا أمك فرجع إليها ونادى لها يا مفتاح الجنة إن كنت بالحياة واطرباه، وإن كنت ميتة فواعذباه فقالت من هذا فقال ولدك فلان فقالت: لا رضى الله عنك فتقدم إليها وقطع يده وقال هذه التى قلعت عينك لا تصحبنى أبدًا ثم قال لأصحابه: اجمعوا لى حطبًا ونارًا ففعلوا فوثب فيها وقال لجسده ذق نار الدنيا قبل نار الآخرة فأخبروا أمه بذلك فنادته يا قرة عينى أين أنت قال: بين النيران فقالت: يا بنى رضى الله عنك فأمر الله تعالى جبريل فمسح بريشة من جناحه على عينها وسنها فعاد كما كانا ثم مسح على يد ولدها فعادت كما كانت بإذن الله تعالى .

فائدة: روى البيهقى فى شعبه عن ابن عباس عن النبىﷺ من قبل عينى أمه كان له سترًا من النار وروى فى كتاب شرعة الإسلام من قبل رجل أمه فكأنما قبل عتبة الكعبة، وقال فى حادث القلوب الطاهرة: قال النبىﷺ : «**ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة قالوا يا رسول الله وإن نظر كل يوم مائة مرة، قال: نعم الله أكثر وأطيب**» حكاه فى التتارخانية للحنفية .

حكاية: قال رجل من خثعم: أتيت النبىﷺ وهو فى نفر من أصحابه فقلت: أنت الذى تزعم أنك رسول الله قال: «**نعم**» فقلت: أى الأعمال أحب إلى الله قال: «**الإيمان بالله ثم صلة الرحم**» قلت: فأى الأعمال أبغض إلى الله قال: «**الإشراك بالله وقطيعة الرحم**» وفى صحيح البخارى ومسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وعن عائشة - رضى الله عنها- عنهﷺ قال: «**أسرع الخير ثوابًا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم**» وفى الترمذى قال رجل يا رسول الله إنى أذنبت ذنبًا فهل لى من توبة ، قال هل لك أم قال: لا ، قال: فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها .

حكاية: دخل رجلان عند داود - عليه السلام- فأخبره ملك الموت أن أحدهما يموت بعد سبعة أيام ثم رآه داود بعد مدة فسأل ملك الموت عنه، فقال: إنه لما خرج من عندك وصل رحمه فزاد الله فى عمره عشرين عامًا نزل بعضهم معنى الزيادة فى العمل يكتب له ثوابه بعد الموت وقال الضحاك إن العبد يبقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فتصير ثلاثين سنة وأيضًا يبقى من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فتصير ثلاثة أيام .

فائدة: ذكرالمفسرون فى قوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾[الرعد: ٣٩] فيها وجوهًا :

الأول: أنه يزيد فى العمر والرزق وينقصهما ويمحو الشقاوة ويثبت السعادة، وهذا التأويل رواه جابر بن عبد الله عن النبىﷺ .

الثانى : أنه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة ويثبت غيره ولأنهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل .

الثالث : أنه يمحو الذنب من الديوان بالتوبة بعد إثباته .

الرابع : أنه يمحو القمر ويثبت الشمس ، وقال ابن عباس - رضى اللَّه عنهما - : جعل الله تعالى الشمس سبعين جزءا والقمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزء فجعله مع نور الشمس ولولا ذلك لم يعرف الليل والنهار ، وقيل : يمحو الدنيا ويثبت الآخرة .

وقيل : أن الرزق والمصائب يثبتها ثم يمحوها بالدعاء .

فإن قيل : قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم المحو والإثبات .

فالجواب : يمحو ما سبق فى علمه أن يمحوه ويثبت ما سبق فى علمه أنه يثبته ، قال الرازى : وفى إثبات الحوادث فى اللوح المحفوظ لتعلم الملائكة أن الله أعلم بجميع المعلومات فعلى هذا عنده كتابان أحدهما الذى كتبته الملائكة وذلك هو محل المحو والإثبات ، والثانى هو اللوح المحفوظ الذى لا يتغير مكتوبه ولا ينظر فيه إلا الله تعالى .

فائدة : قال موسى - عليه السلام - : يارب كيف أصل رحمى إن تباعدت عنى قال : أحبب لها ما تحب لنفسك وفى شريعتنا المطهرة تحصل الصلة بإرسال الهدية والسلام وعن النبى ﷺ قال : « إن أعمال بنى آدم تعرض على كل خميس ليلة جمعة ولا يقبل الله قاطع رحم» رواه الإمام أحمد وعن النبى ﷺ « من زار قبر والديه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب له براء ة من النار» .

فائدتان : الأولى : عن النبى ﷺ من حج عن والديه بعد موتهما كتب الله له عتقًا من النار وقال الأوزاعى من عق والديه ثم قضى عنهما دينهما بعد موتهما كتب بارّاً وإن كان بارّاً ولم يقض عنهما كتب عاقًا .

الثانية : عن النبى ﷺ من صل ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة وسورة الإخلاص والمعوذتين خمس مرات ، فإذا فرغ استغفر الله خمس عشرة مرة وصلى على النبى خمس عشرة مرة وجعل ثوابها لوالديه فقد أدى حقهما ، ولا يعلم ثوابهما إلا اللَّه تعالى وسيأتى فى المعراج على هذا زيادة مع ذكر شىء من حقهما إن شاء الله تعالى .

❊ ❊

باب: الحلم والصفح عن عثرات الإخوان

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقال النبي ﷺ في حديث العفو: «**لا يزيد العبد إلا عزًا فأعفوا يعزكم الله**» وقال النبي ﷺ: «**ينادى مناد يوم القيامة ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة**» قيل. ما هم قال: «**العافون عن الناس**» رواه الطبراني وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال: إن شراركم الذى ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله، قال: من يبغض الناس ويبغضونه أفلا أنبئكم بشر من ذلك، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره أفلا أنبئكم بشر من ذلك، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة**».

فائدة: قال النبي ﷺ: «من أقال مسلمًا من بيعته أقال الله عثراته يوم القيامة».

مسألة: ولو وكل فى بيع دابة ثم ندم المشترى وطلب الإقالة فلا تكون إلا من الموكل أو بإذنه وإذا حصلت الإقالة رجعت العين المبيعة إلى البائع بزيادتها المنفصلة وغير المنفصلة، والله تعالى أعلم.

وفى الإحياء عن النبى ﷺ: «إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد تحت العرش ثلاث مرات يقول: يا معشر الموحدين إن الله قد عفا فليعف بعضكم عن بعض».

حكاية: دعا علي - رضى اللَّه عنه- غلامه فلم يجبه ثم دعاه ثانيًا فلم يجبه فوثب إليه فرآه مضطجعًا يضحك فقال: ما حملك على ترك جوابى قال: أمنت عقوبتك قال: أنت حر لوجه الله تعالى قال فى روضة العلماء: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم أنت خليلى حسن خلقك ولو مع الكافرين أنزلك منازل الأبرار فإن كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى، وأن أسكنه حظيرة قدسى، وقال النبي ﷺ: «**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء**» رواه أبو داود والترمذى.

فائدتان: الأولى: أوحى الله إلى موسى عليه السلام أتحب أن يدعو لك كل شئ طلعت عليه الشمس والقمر، قال: نعم، قال: اصبر على خلقى وجفائهم كما صبرت على من أكل رزقى وعبد غيرى، وقال بعضهم: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت يا رسول الله أخالط الناس أم أعتزلهم قال: خالط الناس واحتمل أذاهم وذكر فى كتاب شرف المصطفى عن النبى ﷺ المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.

الثانية: قال عمر - رضى اللَّه عنه- : رأيت رب العزة فى المنام فقال: يا ابن الخطاب تمن على فسكت فقال فى الثانية: يا ابن الخطاب أعرض عليك ملكى وملكوتى وأقول لك تمن على وأنت

فى ذلك تسكت فقال : يا رب شرفت الأنبياء بكتب أنزلتها عليهم فشرفنى بكلام منك بلا واسطة فقال : يا ابن الخطاب من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكرًا ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمتى كفرًا ، فإن قيل كيف شكر يوسف ربه عز وجل على إخراجه من السجن ولم يصرح بذلك على إخراجه من الجب .

تعجيب : لما ذكر فى الجب من التوبيخ لإخوته والصفح الجميل هو الذى لا عتاب فيه .

موعظة : قال ابن عباس – رضى اللّه عنهما – فى قوله تعالى : ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا ﴾ [طه : ٤٤] إن موسى – عليه السلام – قال : يارب أمهلت فرعون أربعمائة عام وهو يقول أنا ربكم الأعلى ويكذب بآياتك فأوحى الله إليه يا موسى أنه حسن الخلق سبل الحجاب فأحببت أن أكافئه .

حكاية : قال الثعلبى فى تفسير سورة طه : قال الله تعالى لموسى – عليه السلام – لما خرج بزوجته صفوريا بنت شعيب نحو مصر وجائها الطلق فذهب يطلب نارًا فوجدها تخرج من شجر العناب ، وقيل العوسج لا تزداد النار إلا تلهبًا ولا تزداد الشجرة إلا خضرة فوقف ينظر لعل شيئًا يسقط منها وأخذ شيئًا من نبات الأرض ليشعله فمالت الشجرة نحو كأنها تريده فتأخر عنها فصارت عمود نورًا بين السماء والأرض فنودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى فقال لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ فقال من فوقك وعن يمينك وعن شمالك وأمامك وأنا أقرب إليك منك فعلم أنه ربه لأن كلام المخلوقين يأتى من جهة واحدة وكلام الخالق يأتى من كل جهة وكلام المخلوقين يدركه السامع بواسطة عضو واحد وهو الأذن وكلام الخالق يدركه بجميع الأعضاء إنى أنا ربك إلى قوله تعالى : وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هى حية تسعى قد فتحت فاها ثمانين ذراعًا .

قال الرازى : تقلع الصخرة والحجارة بأنيابها فلما رآها هرب منها فقال خذها ولا تخف فلف ثوبه على يده فإذا هى عصاه كما كانت ثم قال يا موسى ادن منى فلم يزل يدنيه حتى أسند ظهره للشجرة ، فقال : يا موسى قد أقمتك مقامًا لم أقمه لأحد بعدك قربتك حتى أسمعتك كلامى وكنت بأقرب الأمكنة إلى فاسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى فأنت جند من جندى أرعاك بعينى وسمعى وألبسك جنة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى أبعثك إلى خلق ضعيف بطر نعمتى وأمن مكرى حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم أنه لا يعرفنى وإنى أقسم بجلالى وعظمتى لولا الحجة التى بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السماوات والأرض والجبال والبحار إن أمرت الأرض ابتلعته أو الجبال دمرته أو البحار أغرقته أو السماء حصبته أى رمته بالحصا ولكنه هان على ووسعه حلمى فبلغ رسالتى وادعه إلى توحيدى وأخبره إنى إلى العفو والمغفرة أقرب منى إلى الغضب والعقوبة فلا يرعك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته بيدى لا ينطق ولا يتنفس إلا بإذنى قل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعمائة عام فى كلها أنت تبارزه بالمحاربة

وهو يمطر عليك السماء وينبت لك الأرض ولم تستقم ولم تهرم ولو شاء لعجل لك العذاب، ولكنه ذو أناة وحلم فجاهد بنفسك وأخيك إنى لو شئت لأتيته بجنود لا قبل له بها ولكنه ليعلم هذا العبد الضعيف الذى أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة ولا قليل منى تغلب الفئة الكثيرة بإذنى فذهب موسى إليه وقرع بابه بالعصا فأخبر البواب الذى دونه سبعين بوابًا إلى فرعون فأذن له فقال له فرعون ألم نر بك فينا وليداً، فقال له موسى ما ذكره الله فى كتابه : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) ﴾ [الأعراف: ١٠٧] فوثب على عسكره ففروا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وقد تقدم تمامه فى فضل الذكر .

قال فى الكشاف : جاء جبريل - عليه السلام - بفتيا إلى فرعون مكتوب فيها ما يقول الأمير فى عبد نشأ فى نعمة مولاه فكفر بنعمته وجحد حقه فكتب فرعون فى الجواب يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء هذا العبد أن يغرق فى البحر فلما غرق دفع له جبريل خطه بيده فعند ذلك قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين قاله خجلاً وحياء لا إيمانًا ، وقيل إنما لم ينفعه ذلك لأن الإيمان عند رؤية العذاب لا يفيد، وقيل لأنه لم يقر بنبوة موسى - عليه السلام - فإن قيل كيف تكلم مع الغرق .

فالجواب : أنه قال ذلك فى نفسه وكلام النفس هو الكلام الحقيقى .

قال [illegible] دلت الأخبار على أن قوله الآن وقد عصيت قبل من كلام جبريل، وقيل من كلام الله تعالى لقوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس: ٩٢] أى بدرعك وكان من ذهب فأخرجه الله تعالى من البحر حتى عرفه بنو إسرائيل وإسرائيل هو يعقوب - عليه السلام - وقد تقدم أنه لما أدركه الغرق، قال : آمنت فأخذ جبريل الطين فجعله فى فمه حتى لا يقول لا إله إلا الله فيرحمه اللَّه فإن قيل الرضا بالمعصية معصية فكيف رضى جبريل ببقائه على الكفر .

فالجواب : إن وضع الطين فى فمه هو من فعل الله لأنه خالق لأفعال عباده .

فائدة : [illegible] ووجع الكليتين والصدر والصداع والشقيقة ويقوى البدن رطبه ويابسه لكن اليابس يلين الطبيعة والرطب يحصبها وشراب العنب بارد رطب يصلح الدم ويلطفه من أحرقه وينفع من الجدرى وحرارة الكبد والسعال اليابس .

وصنعته : [illegible] ثم يصفى ويضاف إليه كفايته من السكر ثم يغلى على النار وفى الخبر إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة ينادى مناد ألا ليقم أهل الفضل فيقال لهم ادخلوا الجنة فتقول لهم الملائكة إلى أين قالوا إلى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم من أنتم؟ قالوا : أهل الفضل قالوا : وما فضلكم؟ قالوا : كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا غفرنا فقالوا لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين .

ورأيت فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة : عن عائشة- رضى الله عنها- قالت : كنت إذا غضبت عرك النبى ﷺ أدنى وقال يا عويشة قولى اللهم رب محمد اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن، ورأيته فى شرح الأربعين لابن رجب عن أم سلمة- رضى اللّٰه عنها.

لطيفة : قال الفضيل :ثلاثة لا يلامون على غضبهم المريض وا لمسافر والصائم، وقال رجل يا نبى الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لا تغضب ولك الجنة رواه الطبرانى ، قال ابن عباس- رضى اللّٰه عنهما- : ثلاثة من كن فيه فقد استحق ولاية الله حلم أصيل يدفع به سفه السفيه وورع يمنعه من المعاصى وحسن خلق يدارى به الناس .

فـائدة : قال فى الإحياء: الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم وهو تكلف الحلم، والحلم رفع الكلف ككظم الغيظ بالعادة فيكون من هذه صفته حليمًا .

قال بعض المفسرين : فى قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر:٣٢] هو الذى يظلم الناس ويظلمونه والمقتصد هو الذى إذا ظلمه الناس اقتص منهم و السابق هو الذى إذا ظلمه الناس عفا عنهم.

قال الرازى فى قوله تعالى : ﴿لَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] فإن قيل : ما الفرق بين الفظ والغليظ، قيل: الفظ هو السيء الخلق وغلظ القلب هو الذى لا شفقة فيه ولا رحمة قال فى الكشاف : فاعف عنهم أى فيما يتعلق بحقك واستغفر لهم فيما يتعلق بحق الله تعالى أى اطلب لهم المغفرة فما أمره بذلك إلا وهو يريد أن يغفر لهم فالحمد لله على إحسانه .

باب : الكرم والفتوة ورد السلام

قال الله تعالى : ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:٩] قيل : نزلت الآية فى رجل أهدى له دجاجة فدفعها لجاره فدفعها الآخر إلى جاره وهكذا إلى سبعة دور حتى رجعت إلى الدور الأول وفى مجمع الأحباب أن بعض الصحابة- رضى اللّٰه عنهم- قصد ابن عمه بشربة ماء فلما وصل إليه سمع شخصًا يشكو عطشًا فأشار إليه أن اسقه فجاء فوجد آخر يشكو عطشًا فأشار إليه أن أسقه فجاءه فوجده قد مات فرجع إلى الثانى فكذلك ثم أتى ابن عمه فكذلك فتعجب من حسن إيثارهم مع شدة اضطرارهم- رضى اللّٰه عنهم- وكان ذلك فى وقعة اليرموك وهو مكان معروف ينزله الحجاج فى ذهابهم ويسمونه المزيريب وكان ذلك فى خلافة سيدنا عمر- رضى اللّٰه عنه- وفى صحيح البخارى أن النبى ﷺ كان أجود الناس وكان أجود من الريح المرسلة وما رد سائلاً قط وما سُئِلَ عن شيء قط ، فقال لا .

قال النووي - رحمه الله تعالى- في تهذيب الأسماء واللغات :ما قال ﷺلا منعًا من الوجدان وأما اعتذار فقد قالها ﷺ: قال تعالى ﴿قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢]قال في عوارف المعارف عن ابن عينية- رضي اللَّه عنه- إن لم يكن عنده ﷺما طلب منه وعد به ثم قال في عوارف المعارف أيضًا عن جبريل- عليه السلام- ما وجدت أحدًا أشد إنفاقًا لهذا المال من رسول الله ﷺفإن قيل : كيف كان أجود الناس ؟ .

فالجواب :أن الجود ما كان بغير سؤال والكرم بسؤال فالأول أبلغ وفي المنتخب أن يهوديًا رأى النبي ﷺ وعليه قميصان فقال يا محمد أعطني قميصًا فنزع له أجودهما فقال عمر- رضي اللَّه عنه- : يا رسول الله هلا أعطيته الأردأ، فقال: إن ديننا الحنيفة السمحة لا شح فيه كسوته أفضل القميصين ليكون أرغب له في الإسلام .

موعظتان : الأولى :رأى النبي ﷺرجلاً يطوف بالكعبة وهو يقول : اللهم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال : ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون قال بل ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم السماوات، قال : بل ذنبي أعظم، قال : ذنبك أعظم أم العرش، قال : بل ذنبي أعظم قال : ذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم قال : صف لي ذنبك قال : يا رسول الله إني صاحب مال كثير وإذا جاءني سائل فكأنما يأتي بشعلة نار قال : إليك عني لا تحرقني بنارك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار وعن النبي ﷺ: « لما خلق الإيمان قال : يارب قوني فقواه بحسن الخلق ثم خلق الكفر، فقال يارب: قوني فقواه بالبخل» .

الثانية: قالت عائشة- رضي اللَّه عنها- : جاءت امرأة إلى النبي ﷺقد يبست يداها فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يصلح لي يدي فسألها عن ذلك فقالت : رأيت في المنام كأن أمي في واد من جهنم ومعها خرقة صغيرة وشحمة قليلة تتقي بها النار فسألتها عن ذلك، فقالت: كنت مطيعة لله تعالى ولأبيك ولكن كنت بخيلة وهذا موضع البخلاء لم أتصدق إلا بهذه الخرقة والشحمة فسألتها عن أبي فقالت : إنه في دار الأسخياء فأتيت إليه فوجدته على حوضك يا رسول الله يأخذ الكوز من علي- رضي اللَّه عنه- وعلي يأخذه من عثمان وعثمان يأخذه من عمر وعمر يأخذه من أبي بكر وأبو بكر يأخذ منك يا رسول الله فقلت له : إن أمي في جنهم، فقال إنها كانت بخيلة فأخذت منه كوزًا واستيقظت ويدي يابسة وأنا أتوسل بك يا رسول الله في رد يدي فدعا لها فرد الله عليها يدها .

حكاية :كان في زمن النبي ﷺ رجل يقال له أبو دجانة فإذا صلى الصبح خرج من المسجد سريعًا ولم يحضر الدعاء فسأله النبي ﷺعن ذلك فقال : جاري له نخلة يسقط رطبها في داري ليلاً من الهواء فأسبق أولادي قبل أن يستيقظوا فأطرحه في داره، فقال النبي ﷺلصاحبها : «بعني نخلتك بعشرة نخلات في الجنة عروقها من ذهب أحمر وزبرجد أخضر وأغصانها من اللؤلؤ الأبيض» فقال لا أبيع حاضرًا بغائب فقال أبو بكر : قد اشتريتها منه بعشر نخلات في مكان كذا ففرح المنافق

ووهب النخلة التى فى داره لأبى دجانة، وقال لزوجته : قد بعت هذه النخلة لأبى بكر بعشر نخلات فى مكان كذا وهى دارى فلا ندفع لصاحبها إلا القليل فلما نام تلك الليلة وأصبح وجد النخلة قد تحولت من داره إلى دار أبى دجانة .

موعظة : ذكر الشيخ عبد القادر الكيلانى - رضى اللّه عنه- فى الغنية إذا انصرف العبد من الصلاة ولم يحضر الدعاء تقول الملائكة انظرا إلى هذا العبد الذى استغنى عن الله، ورأيت فى الملاذ والاعتصام بالصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام أن رجلاً صاد ظبية، فقالت يا رسول الله : سله إرسالى حتى أرضع أولادى وأعود إليه، وإن لم أعد إليه أكن كمن صلى لم يدع وأشر ممن ذكرت عنده فلم يصل عليك .

فائدة : عن النبىﷺ : «لكل شىء طهارة وطهارة قلوب المؤمنين من الضر الصلاة على » فقال على- رضى اللّه عنه- : لولا أن أنسى ذكر الله ما تقربت إلى الله إلا بالصلاة على محمد، وقال أبو هريرة : الصلاة والسلام على محمد هما طريق الجنة، وعن النبىﷺ : « من صلى على صلاة واحدة أمر الله الحفظة أن لا تكتب عليه ذنبًا ثلاثة أيام» إن صح الحديث فهو محمول على ذنوب بينه وبين الله تعالى وعنهﷺ قال : « **البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على** » وسيأتى باب عظيم فى الصلاة عليه إن شاء الله تعالى .

فائدة قال النبىﷺ : «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه**» رواه الترمذى وصححه، وقال النبىﷺ « **من أنظر معسراً أو وضع له وقاه الله من فيح جنهم**» رواه أحمد بإسناد جيد وقال النبىﷺ « **من أنظر معسر إلى ميسرة أنظره الله تعالى بذنبه إلى توبته**» رواه الطبرانى وقالﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى إدخال السرور على المسلم**» وقال النبى : « **إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق**» رواه الإمام الأحمد .

فائدة : عن النبىﷺ « **إن الله مع الدائن حتى يقضى دينه ما لم يكن فيما يكره الله تعالى** » وكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه : فخذلى بدين فإنى أكره أن أبيت ليلة إلا والله معى .

موعظة : قال النبىﷺ « الدين راية الله فى الأرض فإذا أراد أن يذل عبداً وضعه فى عنقه» رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم : فائدة عن النبىﷺ من مشى إلى غريمه بحقه صلب عليه دواب الأرض وحيتان الماء ونبت له بكل خطوة شجرة فى الجنة ، وقالﷺ: « من انصرف غريمه وهو راض عنه صلت عليه دواب الأرض ونون الماء ومن انصرف غريمه وهو ساخط عليه كتب عليه فى كل يوم وليلة وجمعة وشهر ظلم » رواه الطبرانى وقالﷺ: « نون الماء يعنى دواب البحر» وسيأتى زيادة فى باب فضل العدل » قال على- رضى الله عنه- : « **لرجل ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول اللهﷺ لو كان عليك مثل جبل تبرٍ دينا أداه الله عنك**» فقال بلى : قال : « **اللهم**

اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك» رواه الترمذى وتقدم فى باب الجمعة أن من قالها سبعين مرة أغناه الله .

حكاية : قيل : إن رجلاً كان يأكل دجاجة مع زوجته فجاءه سائل فرده خائبًا ثم بعد مدة ذهب ماله وطلق زوجته فتزوجت غيره فبينما هما ذات ليلة يأكلان دجاجة إذا جاءهما سائل ، فقال لها : ادفعى إليه الدجاجة فدفعتها إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرت زوجها الثانى ، فقال لها : والله وأنا السائل الأول الذى ردنى خائبًا وقال ﷺ: «يا زبير إنى رسول الله إلى الناس عامة وإليكم خاصة أتدرى ماذا قال ربكم : حين استوى على عرشه ونظر إلى خلقه قال: عبادى أنتم خلقى وأنا ربكم وأرزاقكم بيدى فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم فاطلبوا منى أرزاقكم وإلى فارفعوا حوائجكم انصبوا إلى أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم أتدرون ماذا قال : عبدى انفق انفق عليك ووسع أوسع إليك ولا تضيق فأضيق عليك إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سماوات متواصل إلى العرض لا يغلق لا فى ليل ولا نهار لينزل الله فيه من الرزق على كل امرئ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته من أكثر أكثر الله له ومن أقل أقل له يا زبير إن الله يحب السخاء ولو بفلق ثمرة ويحب الشجاعة ولو بقتل حية أو عقرب» .

لطيفة : أسلم الزبير وهو ابن خمس عشرة سنة بعد أبى بكر بقليل وروى ثمانية وثلاثين حديثًا وأمه صفية بنت عبد المطلب ، وهى عمة النبى ﷺ أسلمت بلا خلاف- رضى اللّه عنها .

فائدة : قال ﷺ : «من قتل حية فله سبع حسنات ومن ترك حية مخافة من عاقبتها فليس منا ، ومن قتل وزغة فله حسنة» رواه الإمام أحمد وفى رواية أبى داود من قتل وزغة أول ضربة فله سبعون حسنة وقال ﷺ : «من قتل حية فكأنما قتل مشركًا» رواه الإمام أحمد والبزار إلا أنه قال : من قتل حية أو عقربًا وعد فى الروضة فيما يسن قتله للمحرم وغيره الحية والعقرب والفأرة والكلب العقور والغراب والحدأة والدب والأسد والذئب والنمر والنشر والعقاب والبرغوث والزنبور والبق ، وأما القملة إن قتلها محرم تصدق بلقمة على النص استحباب ، وقيل وجوبًا وفى شرح المهذب إن العقاب مما لا نفع فيه ولا ضرر فلا يستحب قتله .

مسألة : لو ألقى عليه أو الفاه عليها أو قيده بموضع فيه حيات أو عقارب فلا ضمان عليه وإن نهشته حية أو لدغته عقرب يقتل غالبًا فعليه قصاص وإلا فدية .

فائدة : أكل الزبد وشرب السمن يدفع السم وينفع من نهش الحيات ولدغ العقرب وشرب خمسين درهمًا من السمن وخمسة عشر درهمًا من السكر لمن حبس بوله نافع جداً وشرب السمن ينفع من البواسير والاكتحال به مع الزيت يقطع الجرب من الأبدان .

لطيفة الأولى وقف سائل على باب كبير يسأل شيئًا فأعطوه قليلاً فجاء فى اليوم الثانى بفأس

وأراد أن يخرب الباب فقيل له : فى ذلك فقال : إما أن يكون الباب على قدر العطية أو العطية على قدر الباب .

الثالثة : رأيت فى شرح البخارى لابن أبى جمرة أن شابًا وشيخًا اشتركا فى زرع فلما اقتسما صار الشيخ يأخذ من نصيبه ويضعه على نصيب الشاب سرًا، ويقول: لعل فى أجله فسحة والشاب يأخذ من نصيبه شيئًا ويضعه على نصيب الشيخ ، ويقول: هذا الشيخ له عيال وكلما فعل ذلك ازدادت الحنطة كثرة وكبرًا فى حبها فلما أعياهما ذلك أخبر كل واحد صاحبه بما فعله فأخذ ملك زمانهما من الحنطة حبة وجعلها فى خزانته لتكون تذكرة لمن بعد .

حكاية : حصل لعلى بن أبى طالب ولأهله جوع فأخذ من يهودى صوفًا لتغزله فاطمة- رضى الله عنها- بثلاثة أصع من شعير فغزلت أول يوم منه وطحنت صاعًا وخبزته فلما أرادوا الأكل طرق بابهم مسكين، وقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا مسكين من مساكين أمة محمد ﷺ أطعمونى شيئًا لله فدفعوا إليه الأقراص ، وفى اليوم الثانى جاءهم يتيم وقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا يتيم من أيتام أمة محمد أطعمونى شيئًا لله فدفعوا إليه الأقراص وفى اليوم الثالث، جاءهم أسير وقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا أسير من أمة محمد ﷺ أطعمونى شيئًا لله فدفعوا إليه الأقراص، وباتوا على الماء فجاع الحسن والحسين- رضى الله عنهما- جوعًا شديدًا فخرج على إلى النبى ﷺ وأخبره بذلك فطاف على نسائه فلم يجد شيئًا ثم جاء أبو بكر يشتكى الجوع، فقيل يا رسول الله إن المقداد بن الأسود عنده تمور فخرجوا إليه فلم يجدوا شيئًا فقال النبى ﷺ لعلى- رضى الله عنه- خذ هذه السلة واذهب إلى تلك النخلة، وقل: لها إن محمدًا ﷺ يقول: لك أطعمينا من ثمرك فرمت عليهم رطبًا بإذن الله تعالى فأكلوا حتى شبعوا، وأرسلوا إلى فاطمة وولديها ما يشبعهم فأنزل الله تعالى فى حق على ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان:٨] .

حكاية : كان لبعض الصالحين امرأة صالحة وكانوا فقراء ليس لهم إلا شاة فلما كان يوم العيد أراد الرجل أن يذبح الشاة فقالت المرأة قد رخص لنا فى ترك الأضحية فلما كان فى بعض الأيام جاءهم ضيف فقالت المرأة اذبح الشاة لضيفنا فذبحها خارج الدار لئلا يغيظ أولاده فرأت المرأة شاة على جدار الدار فنزلت إليها فظنت أنها قد هربت منه فنظرت إلى زوجها والشاة بين يديه مذبوحة، فقالت: إن الله قد عوض علينا وورد لنا شاة أحسن من شاتنا فكانت تحلب من إحدى ثدييها لبنًا ومن الأخرى عسلاً ، ذكره اليافعى فى روض الرياحين .

لطيفة : مر الحسن والحسين على عجوز فذبحت لهما شاة فغضب زوجها فأرسل الحسن إليها ألف دينارًا والحسين كذلك .

موعظة : رأيت فى كتاب العقائد: أن رجلاً مات فى زمن النبى ﷺ فأرادوا رفع جنازته فلم

يقدروا فقال النبي ﷺ عليه دين قالت زوجته : أربع دراهم من صداقي ، فقال : حلليه ولك أربعة قصور في الجنة فأبت فأعطى ﷺ عليًا رداءه وقال : بعه ليخلص هذا المسلم فباعه بأربعة دراهم فدفعها لها وقال : لا بارك الله لك فيها فلذلك لم يبق في صداق امرأة بركة وماتت المرأة كافرة . قال في الروضة : كان يجب عليه ﷺ قضاء دين من مات معسرًا من المسلمين ، وقيل كان يقضها تكرمًا ، وقال مؤلفه- رحمه اللّه تعالى- فإن قيل كيف دعا عليها النبي ﷺ ولم يوجب عليها براءته .

فالجواب : من وجوه .

الأول : أنها أختارت الدنيا على الآخرة .

الثاني : لبعدها عن الله ولقساوة قلبها حيث لم ترحم مسلمًا والقلب القاسي بعيد عن الله كما جاء في الحديث وقد قال النبي ﷺ « **من لا يرحم الناس لا يرحمه اللّه**».

الثالث : لأنها خالفت النبي ﷺ فيما أمرها به ومن خالفه فقد خالف الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره إن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾[النور: ٥٤] ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾[النساء: ٨٠] ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾[آل عمران: ٣١] ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾[الحشر: ٧] .

الرابع : لعل الله تعالى أجرى على لسانه الدعاء عليها لما سبق لها من الشقاوة وبه المستعان .

فائدة : قال النبي ﷺ : « **السخي قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار** » .

وفي الحديث : من قبل أن ينزل الضعيف بأهل المنزل أربعين يومًا يبعث الله إليهم ملكًا في صورة طير أبيض له جناحان يجاوزان المشرق والمغرب فيقف على عتبة بابهم ثم ينادي يا أهل المنزل بصوت يسمعه من حضر إلا الثقلين فلا يجيبه أحد فينادي الثانية والثالثة فيجيبه جبريل ما تريد بأهل المنزل فيقول يا جبريل بعثني الله إليهم أبشرهم بأن فلانًا ضيفهم يوم كذا في شهر كذا وهذا رزقه معي من الجنة ومعه ورقة مختومة في منقاره فيقول جبريل ما هذه الورقة فيقول فيها براءة لهم من النار فيدفعها إلى جبريل فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله الواحد القهار لفلان ابن فلانة من النار فيتهلل وجه جبريل لأمة محمد ﷺ فيقول لذلك يا جبريل أيسرك هذا فيقول أي والذي نفسي بيده فيقول الملك لأزيدك سرورًا إن الله بعثني إليهم أكتب لهم الحسنات وأحط عنهم السيئات وارفع لهم الدرجات حتى ينزل ضيفهم ليأكل رزقه ويرتحل ، فإذا ارتحل نظر الله إليهم نظرة فيغفر لحيهم وميتهم وشاهدهم وغائبهم وصغيرهم وكبيرهم ذكره في روض العلماء .

حكاية: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً قالت الملائكة: له زوجة وولد فقال الله تعالى ما فى قلبه غيرى إذهبوا فجربوه فجاءه جبريل وميكائيل- عليهما السلام- وهو يرعى غنمًا وله أربعة آلاف كلب فى عنق كل كلب طوق من الذهب فسألاه عن ذلك، فقال: لأن الدنيا جيفة وطلابها كلاب فقدم لهما طعامًا فقالا له: ما نأكله إلا بثمنه فقال ثمنه بسم الله الرحمن الرحيم فى أوله والحمد لله آخره فقالا: يحق لك أن تكون خليلاً ثم قالا بصوت حسن: سبحان الله من قديم ما أقدمه ومن كريم ما أكرمه ومن رحيم ما أرحمه سبوح قدوس رب الملائكة والروح، فقال إبراهيم من الطرب: قولا مرة ثانية فقالا: ما نقول إلا بشىء فقال: قد وهبتكما جميع ما أملكه من الأغنام فقالا بصوت أحسن من الأول فقال: قولاً مرة ثالثة فقالا: ما نقول إلا بشىء فقال: قد وهبتكما جميع ما فى الدار من المتاع والأولاد فقالا بصوت أحسن من الأول فقال: قولاً مرة رابعة فقالا ما نقول: إلا بشىء فقال: قد وهبتكما نفسى أكون لكما راعيًا فقالا له بارك الله فيك وفى مالك وأولادك أنا جبريل وهذا ميكائيل، فقال: وأنا خليل الله فلا أرجع فى هبتى فأمره الله ببيعها ويشترى بثمنها الضياع ويجعلها وقفًا ذكره النسفى فى زهرة الرياض، وقال النبى ﷺ ما جبل الله وليًا إلا على السخاء وقال يحيى بن زكريا- عليهما الصلاة والسلام- لإبليس أخبرنى بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك، قال: أحب الناس إلى المؤمن البخيل وأبغض الناس إلى الفاسق السخى أتخوف أن الله تعالى يطلع على سخائه فيقبله.

حكاية: حضر مجوسى عند إبراهيم- عليه السلام-فجاءه بطعام ثم قال: هل لك فى الإسلام رغبة فترك الأكل وانصرف فأوحى الله إليه يا إبراهيم أنا أرزقه على كفره منذ أربعين سنة وأنت تريد أن ترده عن دينه بأكلة واحدة فخرج فى طلبه فوجده فأخبره بذلك فأسلم ورجع معه إلى طعامه وجاء فى بعض الأيام رجل يعبد نارًا فأكرمه فقالت الملائكة ربنا خليلك يكرم عدوك فقال: أنا أعلم بخليلى منكم يا جبريل اهبط إليه واعرض عليه قول الملائكة: فأخبره بذلك فقال: قل لربى تعلمت الجود منك لأنك تحسن لمن أساء وعن النبى ﷺ الجود من جود الله فجودوا يجد الله عليكم ألا إن الله تعالى خلق خلق فجعله فى صورة رجل وجعل أصله راسخًا فى شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة لأن السخاء من الإيمان والإيمان فى الجنة وخلق البخل من مقته وجعل أصله راسخًا فى أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق ببعض أغصانها أدخله النار لأن البخل من الكفر والكفر فى النار ذكره فى الإحياء قال النبى ﷺ إذا دخل الضيف بيت المؤمن دخل معه ألف بركة وألف رحمة وكتب لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة وقال ﷺ لا تكره الضيف فإنه إذا نزل نزل برزقه وإذا ارتحل ارتحل بذنوب أهل الدار قال شقيق البلخى: ليس شىء أحب إلى من الضيف لأن رزقه على الله وأجره لى بفضل الله، وعن النبى ﷺ: **« من أطعم أخاه حتى يشبع وسقاه من الماء حتى يروى باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام»**

رواه الطبراني والبيهقي ، وقال الحاكم صحيح الإسناد وقال النبي ﷺ : **«الملائكة تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة»**.

وفي كتاب شرعة الإسلام : عنه ﷺ لكل شيء زكاة وزكاة الدار بيت الضيافة وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ : « أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة يوم القيامة وأيما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة وأيما مؤمن كسا مؤمنًا على عرى كساه الله من حلل الجنة» رواه الترمذي وعن النبي ﷺ : « إن الله يباهي ملائكته بالذين يطعمون الطعام على عبيده» ورأيت في كتاب النورين وصلاح الدارين عن النبي ﷺ أيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا كان في حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة .

موعظة . عن النبي ﷺ : **«من مشى إلى طعام لم يدع إليه فقد دخل سارقًا وخرج مغيرًا»** بكسر الغين المعجمة .

حكاية : كان لعبد الله بن المبارك فرس يجاهد عليه فجاء ضيف فذبحه له فخاصمته زوجته فطلقها ثم جاءه رجل، فقال : إن لي بنتًا جميلة فتزوجها وأرسل أبوها معها عشرة من الخيل فرأى عبد الله في منامه قائلاً يقول له : أنت طلقت لأجلنا عجوزًا فقد زوجناك بكرًا وأنت ذبحت لأجلنا فرسًا وقد أعطيناك عشرة .

حكاية [illegible] - رحمه الله- حججت في بعض السنين فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال : إذا رجعت إلى بغداد فاقرئ بهرام المجوسي مني السلام وقل له : الله تعالى راض عنك فلما رجعت إليه قلت : هل لك من خير عند الله قال : زوجت إبني ببنتي وصنعت وليمة فقلت له : هذا حرام فهل عملت غيره قال : تزوجت أنا ببنتي وصنعت وليمة فقلت : له هذا حرام فهل عملت غيره قال : جاءتني مسلمة وأصلحت مصباحًا من سراجي فلما صارت في الباب أطفأته ثم رجعت أشعلته أيضًا ثم اطفأته في الباب وهكذا ثلاث مرات وفي الرابعة أشعلته ومضت فتبعتها إلى منزلها ، وقلت : لعلها جاسوسة فسمعت أولادها يقولون قد أضرنا الجوع فقالت استحييت من الله أن أطلب من غيره فرجعت وأخذت طعامًا وحملته إليهم ، فقلت له : أبشر فإن النبي ﷺ يقرئك السلام ويقول : إن الله راض عنك فأسلم وحسن إسلامه .

حكاية [illegible] يا نبي الله إن لفلان في حائطي يعني بستاني عذقًا وهو عنقود يحمل الرطب وقد أذاني فأرسل إليه النبي ﷺ وقال : بعني عذقك الذي في حائط فلان قال لا قال : فهبه لي قال لا قال : فبعنيه بعذق في الجنة قال لا قال ﷺ ما رأيت الذي هو أبخل منك إلا الذي يبخل بالسلام .

فائدة : قال النبي ﷺ **«من قال: السلام عليكم كتب له عشر حسنات»** ومن قال : **«السلام**

عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة» ومن قال : « **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة»** رواه الطبرانى وعن أبى هريرة- رضى اللّه عنه- أن رجلاً مرّ على النبى ﷺ فقال : «**السلام عليكم فقال عشر حسنات»** ثم مرّ آخر فقال : «**السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة»** ثم مرّ آخر فقال : « **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون حسنة»** وقال النبى : « **إن أولى الناس بالله من بدأهم السلام»** رواه أبو داود وقال ابن عباس : إذا سلم المسلم على المسلمين فلم يردوا عليه نزع الله عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة وإن إبليس ليبكى من سلام المؤمن على أخيه يقول : يا ويلاه لم يتفرقا حتى يغفر لهما ، فإن قيل : ما الحكمة فى أن ابتداء السلام سنة والجواب فرض فالجواب لما خلق الله القلم قال : اكتب توحيدى لا إله إلا الله قال : ثم اكتب محمد رسول الله فلما سمع القلم اسم محمد سجد ، وقال فى سجوده : سبحان الموصوف بالكرم سبحان الرؤوف الأرحم إلهى قد علمت اسمك الأعظم فمن ذا محمد الذى قرنت اسمه مع اسمك فقال : تأدب يا قلم فوعزتى وجلالى ما خلقت خلقى إلا لمحبة محمد فانشق القلم من حلاوة محمد ﷺ وقال السلام عليك يا رسول الله فلم يجد من يرد- عليه السلام- فقال الله تعالى : وعليك السلام ورحمتى وبركاتى فصار ابتداء السلام سنة لأنه من المخلوق والجواب فرض لأنه من الخالق ، والله أعلم .

[illegible] قال النبى [illegible] لأنس بن مالك : ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قال : بلى قال : متى لقيت أحدًا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك ، وإن دخلت بيتك فسلم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الإبرار الأولين .

لطيفة : رأيت فى شرح البخارى لابن أبى جمرة : كان على بن أبى طالب إذا لقى أبا بكر بدأه بالسلام ثم فى يوم من الأيام أعرض عنه فبدأه أبو بكر بالسلام فأخبرنى النبى ﷺ بإعراض على عنه فسأله النبى فقال على : رأيت فى المنام البارحة قصرًا فقلت : لمن هذا فقيل : لمن بدأ صاحبه بالسلام فأردت أن أوثر بذلك أبا بكر على نفسى قال فى تهذيب الأذكار : عن ابن عباس قال : من كرم الرجل سلامه على من عرفه ومن لم يعرفه ولا يترك السلام على غالب ظنه أنه لم يرد عليه فقد تقدم أن الملائكة ترد عليه .

لطيفة : [illegible] – رضى الله عنه– لقوم جاؤوه من عند أبى الدرداء أين الهدية قالوا : ما أرسل معنا إلا السلام فقال : أى هدية أفضل منه ومعنى السلام اسم الله عليكم ، وقيل السلام عليكم أى ملازم لكم ، قال القاضى أو الطيب : اللهم أنت السلام هذا اسم الله ومنك السلام أى السلام من الله فحينا ربنا بالسلام أى اجعل تحيتنا يوم لقائك بسلامتنا من الآفات وقيل : معنى السلام عليكم أى الله معكم وعلى بمعنى مع ، وأما السلام فى التشهد فمعناه السلامة لكم حكاه النووى فى تهذيب السماء واللغات .

لطيفة : وجد رجل امرأة مع عشرة رجال فأنكر عليها فقالت : أحدهم زوجي وخمسة عبيدي وأربعة إخوتي وكلهم من بطن واحدة وصورة ذلك أنها اشترت جارية لها ستة أولاد فاعتقت واحدًا منهم وتزوجت به ثم وهبت الجارية لأبيها فأولادها أربعة أولاد .

مسألة : يستقر المهر على الزوج بخلوته بزوجته عند الإمام أحمد وأبي حنيفة أيضًا ولو كانت نائمة وحدها، وكذا عند الإمام مالك إن ظهرت أمارة الزفاف، وعند الإمام الشافعي: لا يستقر إلا بوطء أو بموت أحدهما .

فائدة : عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ إذا أكلت فابدأ بالملح واختم بالملح ، فإن الملح شفاء من سبعين داء أولها الجذام والبرص ووجع الحلق والأضراس والبطن، وقالت : عائشة - رضى اللَّه عنها- من أكل الملح قبل كل شيء دفع الله عنه ثلثمائة وثمانين نوعًا من البلاء أهونها الجذام وعنه ﷺ سيد إدامكم الملح قال الأطباء : والرعاف الزائد دواء ذلك القدمين بالملح وإذا علق الكارباء قطع الرعاف أيضًا وهو صمغ شخر في بلاد الروم، ورأيت في الطب النبوي لإبن نسيم أن النبي ﷺ لدغته عقرب فوضع الملح في الماء وجعله على موضع اللدغة ورأيت في عوارض المعارف عن عائشة- رضى اللَّه عنها- قالت : لدغ النبي ﷺ إبهام رجله اليسرى ، فقال: على بذلك الأبيض الذي يكون في العجين فجئ له بالملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على موضع اللدغة فسكن عنه .

حكاية : قال سليمان - عليه السلام- لنملة كم رزقك في كل سنة ، قالت : حبة حنطة فحبسها في قارورة وجعل عندها حبة حنطة فلما مضت السنة فتح القارورة فوجدها قد أكلت نصف الحبة فسألها عن ذلك، فقالت : كان اتكالي على الله قبل الحبس وبعده كان عليك فخشيت أن تنساني فادخرت النصف إلى العام الآتي فسأل ربه أن يضيف جميع الحيونات يومًا واحدًا فجمع طعامًا كثيرًا فأرسل الله تعالى حوتًا فأكله أكلة واحدة ثم قال : يا نبي الله إني جائع فقال : رزق كل يوم أكثر من هذا، قال: بأضعاف كثيرة وفي حادي القلوب الطاهرة قال إني آكل كل يوم سبعين ألف سمكة ، وكان طعام سليمان- عليه السلام- لعسكره كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة .

لطيفة : قال هدهد سليمان - عليه السلام- : يا نبي الله أنت في ضيافتي يوم كذا بعسكرك ، فلما كان اليوم أخذهم الهدهد إلى جزيرة في وسط البحر وأتى بجرادة ألقاها في البحر ، وقال : من فاته اللحم فعليه بالمرق فضحك سليمان منه .

فائدة : عن النبي ﷺ تهادوا تحابوا فإنها تضاعف الود وتذهب بغوائل الصدر وعنه ﷺ الهدية رزق من الله فمن قبلها فإنما يقبلها من الله ومن ردها فإنما يردها على الله .

فائدة : إذا بخر البيت بريش الهدهد طرد منه الهوام ومصرانه إذا علق على امرأة بها نريف الدم قطعه وتقدم فى عاشوراء أن عينه إذا علقت على إنسان زال نسيانه وإذا سحقت ودهن به وجه إنسان لا يراه أحد إلا أحبه ولحمه ينفع من القولنج وهو حرام على الأصح عند الإمامين وحلال عند مالك ولا بأس به عند أبى حنيفة .

حكاية : رأيت فى الكتب : أن قاضيًا كان فقيرًا فلما كان عيد الأضحى قال لزوجته : لا بأس بذبح هذا الديك الذى ما نملك غيره فبلغ ذلك جيرانه فبعث هذا بكبش وهذا بكبش فلما رجع القاضى من صلاة العيد وجد فى الدار ثلاثين كبشًا ، فقال لزوجته : ما هذا فأخبرته الخبر فقال : أكرمى ديكنا لعله من ذرية إسماعيل فإن الله فداه بكبش واحد وديكنا فداه بثلاثين كبشًا .

فائدة : قال لقمان لابنه يا بنى لا يكن الديك خيرًا منك فإنه إذا انتصف الليل ذكر ربه وتقدم فى باب التقوى الخلاف فى اسم ابن لقمان وقال : وغيره فى الديك خصال من خصال الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- كثير الذكر شجاع كريم فإنه يؤثر الدجاجة على نفسه وتنام عينه ولا ينام قلبه ورأيت فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب عن النبى ﷺ لا تسبوا الديك فإنه صديقى وأنا صديقه عدو عدوى والذى نفسى بيده لو يعلم بنو آدم ما فى قربه لاشتروا لحمه وريشه بالذهب والفضة فإنه يطرد مد صوته من الجن ، وقال ابن عباس : أبغض الطيور إلى إبليس الديك وأحبهم إليه الطاووس وهو حرام عند الشافعى حلال عند الحنابلة وعن أنس عن النبى ﷺ الديك الأفرق الأبيض صديقى صديق صديقى جبريل وعدو عدوى وعدو الله إبليس يحرس دار صاحبه وستة عشر دار من جيرانه أربعة عن اليمين وأربعة عن الشمال وأربعة من قدام وأربعة من خلف وكان النبى ﷺ يبيته معه فى البيت ، وعن أنس أيضًا عن النبى ﷺ اتخذوا الديك الأبيض فإن كل دار فيها الديك الأبيض لا يقربها شيطان ولا ساحر و الدوايرات حولها ورأيت فى بعض المجامع عن النبى ﷺ من قال عند صياح الديك لا إله إلا الله الحى القيوم خمس مرات غفر الله له ذنوب أربعين سنة ، وفى رياض الصالحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانًا وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا ومن ذبح الديك الأبيض الأفرق ينكب فى ماله وأهله وسيأتى فى مناقب على رضى الله أن لحم الديك العتيق داء لا غذاء .

مسألة : يجوز الاعتماد على صياح الديك المحبوب فى أوقات الصلاة وكان ﷺ يقوم يصلى بالليل حين يسمع صياح الديك .

فائدة : عن النبى ﷺ : «اتخذوا الحمام المقاصيص فإنها تلهى الجن عن صبيانكم» رواه الدارقطنى وصاحب مسند الفردوس ، وقال صحيح الإسناد : ورأيت فى مفردات ابن البيطار أن مجاورة الحمام أمان من الفالج وزبله إذا طبخ بالماء وجلس فيه من به عسر البول نفعه جدًا وشكا-

رضى اللَّه عنه- الوحشة إلى رسول الله ﷺفقال : «اتخذ زوجًا من الحمام تؤنسك وتوقظك للصلاة بتغريدها» وقال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ [الشعراء: ١٢٨]آية تبعثون الربع الطريق والآية اتخاذ بروج الحمام وقال سفيان الثورى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر، ويقال : إن اللعب بالحمام والبندق من عمل قوم لوط إذا طبخ فرخان بشيرج فقط يغمرها وأكلهما صاحب الحصاة برأ بإذن اللَّه تعالى وتسبيح الحمام سبحان ربى الأعلى عدد ما فى سماواته وأرضه ، وقيل إنه يعيش ثمانين سنة .

فصل : فى كرم الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الإنفطار:٦]قال أبو سليمان الدارنى : غره حلمه وكرمه وقال الفضيل بن عياض : ما من ليلة اختلط ظلامها وأرخى سربال ستره إلا نادى الجليل جل جلاله من بطنان عرشه أنا الجواد ومن مثلى يجود على الخلائق وهم عاصون وأنا لهم مراقب أو كأنهم فى مضاجعهم كأنهم لم يعصوا أو أتوا لى حفظهم ، كأنهم لم يذنبوا فيما بينى وبينهم أجود على العاصين وأتفضل على المسيئين من ذا الذى دعانى لهم استجب لهم من ذا الذى سألنى فلم أعطه من ذا الذى أناخ ببابى فطردته أنا المتفضل ومنى الفضل وأنا الجواد ومنى الجود وأنا الكريم ومنى الكرم، وقيل معنى الكريم أنه إذا أذنب عبد غفر لكل من فعل ذلك الذنب وغفر لمن اسمه على ذلك العبد.

فائدة: عن النبى ﷺ : إذا اغتسلت المرأة من حيضها وصلت ركعتين تقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات غفر الله لها كل ذنب عملته من صغيرة وكبيرة ولم تكتب عليها خطية إلى الحيضة الأخرى وأعطاها أجر ستين شهيدًا وبنى لها مدينة فى الجنة وأعطاها كل شعرة على رأسها نورًا وإن ماتت إلى الحيضة الأخرى ماتت شهيدة، وقالت عائشة- رضى اللَّه عنها- : ما من امرأة تحيض إلا كان حيضها كفارة لما مضى من ذنوبها وإن قالت عند حيضها : الحمد لله على كل حال وأستغفر الله من كل ذنب كتب لها براءة. من النار وجواز على الصراط وأمان من العذاب وتقدم أن الحائض إذا استغفرت عند كل صلاة سبعين مرة كتب لها ألف ركعة ومحى عنها سبعون ذنبًا وبنى لها فى كل شعرة فى جسدها مدينة فى الجنة .

فوائد الأولى : دم الحيض من البكر مع منى الرجل يقلع البياض من العين وكذلك البورق الأحمر مع الزيت العتيق أو العسل المسك اكتحالاً صباحًا ومساء ودم الحيض إذا وضع على برص أو بهاق قلعه .

الثانية : لو أرادت المرأة أن تغتسل فعلى الزوج شراء الماء إلا أن يكون الغسل من جماع أو نفاس ومن داس على فعل آخر حال مشيه أو على ثوبه حال قيامه فانشق منه فإنه يغرم له نصف القيمة ولو

أكره امرأة على الزنا فعليه ثمن ماء غسلها ومن خواص الأرنب إذا علقت الحامل شيئًا من جلده على بطنها لم يسقط حملها أو على شجرة عنب لم يضرها البرد الشديد .

فائدة : قال النبي ﷺ: « **لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة** » رواه مسلم وقال ﷺ: « **لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله بها الجنة** » روه الطبراني وقال النبي ﷺ : «**من ستر عورة أخيه ستره الله يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته**» رواه ابن ماجه ، والله أعلم .

حكـايـة : فيها معنى الحلم والكرم والإخلاص والأمانة والكف عن الغيبة نقلها أبو الليث السمرقندى عن والده أن بعض الأنبياء عليهم السلام رأى فى منامه قائلاً يقول له : إذا أصبحت فأول شيء يستقبلك فكله والثانى أكتمه والثالث أقبله والرابع لا تيأسه والخامس أهرب منه ، فلما أصبح أول شيء استقبله جبل أسود فتعجب منه وقال : كيف آكله ثم عزم على امتثال الأمر فكلما دنا منه ليكأله صغر حتى كان كاللقمة الواحدة فأكله فوجده كالعسل ، ثم وجد طستًا من ذهب فدفنه فى الأرض فقذفته ثانيًا وثالثًا ثم تركه ومضى ثم استقبله طير خلفه باز ، فقال الطير : أغثنى يا نبى الله فجعله فى كمه وقال الباز يا نبى الله لا تمنعنى عن رزقى فقطع له قطة من فخده وأطعمه حتى شبع ثم أرسل الطائر ومضى فرأى جيفه فهرب منها ، ثم قال : يا رب بين لى هذا فأوحى الله إليه الجبل الذى أكلته هو الغضب يكون فى أوله كالجبل وفى آخره إذا صبر وكظم صغر وحلا كالعسل والطست هو الحسنة كلما أخفيتها ظهرت ، وأما الطائر فمن ائتمنك فلا تخنه ، وأما الرابع إذا سألك طالب حاجة فاجتهد فى قضائها وأما الخامس أعنى الجيفة فهى الغيبة فأهرب منها .

فائدة : قال بعضهم : الكرم أن تكون بمالك متبرعًا وعن مال غيرك متورعًا وكان عبد الرحمن بن عوف- رضى اللّه عنه- يقول حو ل الكعبة : قنى شح نفسى فسئل عن ذلك ، فقال ومن يوق شح نفسه أى لم يسرق ولم يزن ، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

تم الجزء الأول من كتاب نزهة المجالس ويليه الجزء الثانى

وأوله باب: فى فضل الصدق وفعل المعروف

نزهة المجالس ومنتخب النفائس

الشيخ/ عبد الرحمن الصفورى الشافعى

الجزء الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

باب : فى فضل الصدقة وفضل المعروف خصوصاً مع القريب والجار الغريب

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ [الحديد: ١٨] الآية وقال النبى ﷺ : « **كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس** » وقال ﷺ «**إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة فى ظل صدقته**» رواه البيهقى والطبرانى ، وقال ﷺ : « **عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال ثلاثًا فى الدنيا وثلاثًا فى الآخرة فأما التى فى الدنيا فتزيد فى الرزق وتزيد فى المال وتعمر الديار ، وأما التى فى الآخرة فتستر العورة وتصير ظلاً فوق الرأس وستراً من النار**» وفى شرح البخارى لابن أبى حمزة عن النبى ﷺ « **أذهبوا البلاء بالصدقة واستعينوا على قضاء حوائجكم بالصدقة**» وقال مكحول التابعى- رضى اللَّه عنه- : إذا تصدق المؤمن استأذنت جهنم أن تسجد له شكرًا على خلاص واحد منها من أمة محمد ﷺ من عذابها وقال ﷺ : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** » .

حكاية :اشترت عائشة جارية فنزل جبريل – عليه السلام- وقال : يا محمد أخرج هذه الجارية من بيتك فإنها من أهل النار فأخرجتها عائشة ودفعت إليها شيئًا من التمر فأكلت الجارية نصف تمرة ودفعت النصف إلى فقير رأته فى الطريق فجاء جبريل، وقال : يا محمد إن الله تعالى يأمرك أن ترد الجارية فإن الله تعالى أعتقها من النار لأنها تصدقت بنصف تمرة ذكره ابن الجوزى وقال ﷺ : « **يا عائشة اشترى نفسك من النار ولو بشق تمرة**» رواه أحمد بإسناد حسن ، وعن النبى ﷺ : «**من لم يكن عنده ما يتصدق به فليعلن به اليهود والنصارى** » وفى الحديث الصحيح أن بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة صدقة ، الحديث إلى آخره مشهور .

فائدة : كان ابن مسعود- رضى اللَّه عنه- إذا سمع سائلاً يسأل يقول من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنًا وهو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقال أبو الليث السمرقندى، معناه من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر الله للمؤمنين فإنه صدقة، وفى الحديث الصحيح : « **وتبسمك فى وجه أخيك صدقة**» .

حكاية : خرج النبى ﷺ : إلى السوق بثمانية دراهم يشترى قميصًا فرأى جارية تبكى، فسألها فقالت : خرجت أشترى حاجة لأهلى بدرهمين فذهبا منى فدفعهما لها ومضى إلى السوق فاشترى قميصًا بأربعة دراهم فلما رجع رأى شيخًا يقول : من كسانى ثوبًا كساه الله من حلى الجنة فدفع إليه

القميص، ثم رجع إلى السوق واشترى قميصًا بدرهمين ثم رجع فوجد الجارية تبكى فسألها، فقالت: أخاف العقوبة من أهلى لطول غيبتى فقال: ألحقى بأهلك فتبعها حتى وصل إلى دار أهلها فطرق بابهم وقال: السلام عليكم فلم يجبه أحد فقال: ثانيًا وثالثًا فأجابوه فقال النبىﷺ: «**لم لا أجبتمونى من أول مرة**» فقالوا: لنتبرك بصوتك فسألهم العفو عن الجارية، فقالوا: هى حرة لأجلك يا رسول الله فرجع النبىﷺ وهو يقول: «**ما رأيت ثمانية أعظم من هذه أمنّا جارية بها وعتقنا بها جارية وكسونا بها عريانًا**»، قاله فى كتاب شرف المصطفى.

فائدة: كان أحب الثياب إلى النبىﷺ القميص رواه النسائى وأبو داود عن أم سلمة وأنفعه للبدن فى الصيف الكتان وأفضله البياض وكذا غيره من الثياب، بقولهﷺ: «**أحسن ما زرتم به الله فى قبوركم ومساجدكم البياض وفى الأحياء أحب الثياب إلى الله البياض وسيأتى فى المعراج وفى باب فضل العلم إن شاء الله تعالى فضل الأخضر، وقال على- رضى اللّه عنه-: من لبس نعلاً أصفر قضيت حاجته وعن غيره من لبس ثوبًا أصفر قل همه قال النبىﷺ: «ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله الجنة رفق بالضعيف وشفقة على الوالدين وإحسان إلى المماليك**» رواه الترمذى وقال أبو سلمة: مررت برجل يضرب غلامه فشفعت فيه فعفا عنه، فقال أبو سعيد الخدرى- رضى الله عنه-: سمعت النبىﷺ يقول: «**من أغاث مكروبًا أعتقه الله من النار يوم الفزع الأكبر**» وقال: «**من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار**» رواه الإمام أحمد.

حكاية: كان منصور بن عمار - رضى اللّه عنه- يعظ الناس يومًا فقام رجل من الحاضرين وسأل أربعة دراهم، فقال منصور بن عمار: من أعطاه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فقام عبد ليهودى وأعطاه ثم قال العبد: ادع الله لى بالعتق وأنا فقير فادع الله لى بالغنى وأنا مذنب فادع الله لى بالمغفرة وادع لسيدى بالإسلام فدعا له فلما رجع قال له سيده: ما الذى أبطأك عنى فقال: حضرت مجلس منصور بن عمار وتصدقت بأربعة دراهم ودعا لى أربع دعوات دعوة بالعتق فقال: أنت حر لوجه الله تعالى ودعوة بأن يخلف الله فى نفقتى فقال: لك أربعة آلاف درهم، ودعا لك بالإسلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ودعا لى ولك بالمغفرة، فقال: ليس هذا فى قدرتى فرأى فى منامه قائلا يقول: أنت فعلت ما فى قدرتك وأنا أفعل ما فى قدرتى غفرت لك وللعبد وللواعظ وللحاضرين أجميعن.

حكاية: خرجت امرأة حبيب العجمى - رضى اللّه عنه- لتأتى بنار لتخبز العجين فجاء سائل فدفعه إليه، فلما جاءت قالت: أين العجين قال: تصدقت به فغضبت وإذا برجل يدق الباب ومعه خبز ولحم، فقال: لزوجته انظرى ما أسرع ما رده الله علينا بزيادة وتصدق فى بعض الأيام بعشرة آلاف دينار فى أول النهار فقال: يارب قد اشتريت نفسى منك بهذا ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى، وقال: يا رب هذه شكر لما وفقتنى له ثم أخرج عشرة آلاف أخرى، وقال: يا رب إن لم تقبل الأولى

والثانية فاقبل هذه ثم بعشرة آلاف أخرى وقال : يارب إن قبلت الثالثة فهذه تكون شكرًا لها قال القرطبى- رضى اللّه عنه- : إن عائشة- رضى الله عنها- تصدقت برغيف لا تملك غيره وكانت صائمة فقالت : لها خادمتها فى ذلك وإذا برجل قد أهدى لها شاة مكفنة ، فقالت عائشة- رضى الله عنها- : هذا خير من رغيفك قال القرطبى : كان العرب يلبسون الشاة عجينًا ويجعلونها فى التنور .

حكاية : كان فى بنى إسرائيل رجلان مشتركان فلما اقتسما صار لكل واحد ثلاثة آلاف دينار فذهب أحدهما فتزوج امرأةبألف وكانت كثيرة المال فقال : صاحبه له ما فعلت فقال : تزوجت بألف فانطلق وتصدق بألف وقال : اللهم زوجنى بها عروسًا فى الجنة ، ثم قال : له ما صنعت قال اشتريت غلمانا بألف وقال : فانطلق فتصدق بألف وقال : أن فلانًا اشترى خدمًا يموتون وأنا اشتريت منك غلمانًا فى الجنة ، ثم قال : ما صنعت قال : اشتريت بستانًا بألف فانطلق فتصدق بألف وقال : اللهم إن فلانًا اشترى بستانًا فى الدنيا وأنا اشتريت منك بستانًا فى الجنة ففقد ماله وصار فقيرًا ثم جاء إلى صاحبه وسأله أن يكون خادمًا له فسأله عن ماله ، فقال : أقرضته الله فقال : بئس ما فعلت فقال : كأنك من الذين يقولون : ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣)﴾ [الصافات]، أى محاسبون فلما مات أخبر الله تعالى بما يكون من أمرهما فأما المتصدق فقد وصل إلى أمواله فقال : إنه كان لى قرين يقول : ﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢)﴾ [الصافات : ٥٢] فيقول الله تعالى : ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥)﴾ [الصافات : ٥٤-٥٥] أى فى وسطها فناداه الله ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧)﴾ [الصافات : ٥٦-٥٧] أى من المعذبين .

قال مؤلفه - رحمه اللّه تعالى- : هكذا رأيته عن بنى إسرائيل .

حكاية : كان فى زمن داود- عليه السلام- عجوز فتصدقت فى يوم بثلاثة أرغفة وكانت قد طحنت دقيقًا فطيرته الريح فقالت لداود- عليه السلام- احكم بينى وبين الريح فأعطاها ألف درهم فقال سليمان ارجعى إليه واطلبى منه الحكم فرجعت فأعطاها ألف درهم أخرى فقال سليمان ارجعى واطلبى منه الحكم ، فقال : من يأمرك بالرجوع قالت : سليمان فطلبه وسأله عن ذلك الحكم واجب والصدقة فضل والواجب أولى فطلب داود الريح وقال : ما حملك على إتلاف دقيقها فأحالت على الخازن وأحال الخازن على جبريل وجبريل على ميكائيل ، وميكائيل على رب العالمين فقال : يا جبريل أخبر داود أنى لم أفعل شيئًا عبثًا وذلك أن فأرة نقبت مركبًا كاد أن يغرق فأمرت الريح فألقت الدقيق إلى أهل السفينة فسدوا به الثقب ، فكان ذلك سببا لنجاتهم يا داود خذ ثلث ما فى المركب للعجوز فإذا هو ثلثمائة ألف دينار ، فقال داود : هل فعلت شيئًا من الخير قالت : نعم تصدقت بثلاثة أرغفة .

حكـاية: رأيت فى المورد العذب : أن شابًا صحب داود- عليه السلام- فأخبر ملك الموت بأنه يموت بعد ثلاثة أيام فشق ذلك على داود فلما مضى عليه ثلاثة أيام رآه سالمًا ثم مضى عليه شهر فتعجب من ذلك فجاءه ملك الموت وقال : لما أردت قبض روحه بعد ثلاثة أيام تجلى الله على ، وقال : يا ملك الموت إنه قبل فراغ عمره بيوم خرج فوجد مسكينًا فأعطاه عشرين درهمًا ، فقال : له بارك الله فى عمرك فاستجبت دعوته وأعطيته بكل درهم عامًا ، وقال نبيناﷺ : **« اغتنموا دعوة السائل عند فرحة قلبه بالصدقة»** .

موعظة : قال العلائى : قال عيسى- عليه السلام- : من رد سائلاً لم تغش الملائكة بيته سبعة أيام وقال نبيناﷺ : **«الصدقة تسد سبعين بابًا من السوء»** رواه البيهقى .

لطيفة : رأيت فى تفسير مفتى الجن والإنس : نجم الدين النسفى من أئمة الحنفية كثر الله منهم فى تفسير سورة والضحى أن سلمان- رضى اللّه عنه- أهدى النبىﷺ عنقود عنب فجاءه سائل فأعطاه العنقود فرآه عثمان فاشتراه من السائل وأهداه أيضًا للنبىﷺ وهكذا ثلاث مرات فقال النبى : أتاجر أنت أم سائل فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ** (١٠) ﴾[الضحى: ١٠] .

فائدة : قالت عائشة - رضى الله عنها- : يا رسول الله ما الذى لا على منعه قال : الملح والماء والنار فقلت : يا رسول الله هذا الماء قد عرفنا فما بال الملح والنار قال : من أعطى الملح فكأنما تصدق بجميع ما طيب الملح ومن أعطى النار فكأنما تصدق بجميع ما أنضجت النار ومن سقى مسلمًا شربة ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ، ومن سقى مسلمًا شربة حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياه ، وقال ابن عباس : من وضع الماء على شارع نظر الله إليه بالرحمة كل يوم مرتين .

حكاية : قال سعد بن عبادة : يا رسول الله إن أمى قد ماتت أفأتصدق عنها قال : نعم قال : فأى الصدقة أعظم أجرًا قال : سقى الماء ، كما رأيته فى شرح المنهاج للدميرى فى كتاب الوصايا .

فائدة : قال النبىﷺ : **«الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء »** وكانت عائشة- رضى الله عنها- تقرأ المعوذتين وترش على المريض ، وقال جعفر الصادق- رضى اللّه عنه- : من قرأ الفاتحة أربعين مرة على قدح ماء ونضح به وجه المريض المحموم شفاه الله وعن النبىﷺ : **«خير شراب الدنيا والآخرة الماء»** وعن النبىﷺ : « من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه ، فما من أحد يشرب من سؤر أخيه إلا كتب الله له سبعين ألف حسنة ومحا عنه مثلها ورفع له سبعين ألف درجة» .

فائدة : قال النبىﷺ : **«أربع بركات أنزلها الله من السماء إلى الأرض النار والماء والملح والحديد»** قال القرطبى : من منافعه السكين والفأس وغير ذلك .

وفى نزهة النفوس والأفكار : أن من حمل شيئًا من الحديد قوى الله قلبه وذهبت عنه الأحلام الرديئة ، ومن منافع الملح أنه يحلل الأرياح ويقطع البلغم من المعدة ويذهب الصفرة من الوجه

ويحسن اللون إذا استعمله صباحًا ومساءً، ومن منافع النار أن الله تعالى : جعلها تذكرة يعنى موعظة لجهنم ومتاعًا للمقوين وهم المسافرون وتقدم منافع الماء فى فضل رمضان .

وحكى : أن زوجة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتهى عمر عسلاً فلما قدمته له وأكل منه قال : من أين لكم هذا قلت أرسلت غلامى على خيل البريد بدينارين فاشتراه لك فباعه وأعطانى رأس مالى ورد الباقى إلى بيت المال ثم قال لنفسه يا عمر أتعبت خيل المسلمين فى شئونك .

حكاية : خرج على بن أبى طالب- رضى اللّٰه عنه- يبيع إزار فاطمة- رضى اللّٰه عنها- ليأكلوا بثمنه فباعه بستة دراهم فرآه سائل فأعطاه إياه فجاء جبريل فى صورة أعرابى ومعه ناقة، فقال : يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة فقال : ما معى ثمنها قال : إلى أجل فاشتراها بمائة ثم تعرض له ميكائيل فى طريقه فقال : أتبيع هذه الناقة قال : نعم ولقد اشتريتها بمائة قال : ولك من الربح ستون فباعها له فتعرض له جبريل فقال : بعت الناقة قال : نعم قال : ادفع لى دينى فدفع له مائة ورجع بستين فقالت له فاطمة من أين لك هذا قال : تاجرت مع الله تعالى بستة دراهم، فأعطانى ستين ثم جاء النبى ﷺ فأخبره بذلك فقال : البائع جبريل والمشترى ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة .

حكاية : رأيت فى شرح البخارى لابن أبى جمرة : أن عليًا دخل منزله والأولاد يبكون فسأل فاطمة عن ذلك فقالت من الجوع فاستقرض دينارًا وإذا برجل يقول يا أبا الحسن أولادى يبكون من الجوع فأعطاه الدينار وإذا بالنبى ﷺ يقول : يا على يا أبا الحسن هلا عشيتنى الليلة قال : نعم ثقة منه بالله عز وجل، فدخل منزله فوجد ثريدًا فقدمه للنبى ﷺ فلما أكل قال هذا بالدينار الذى أعطيته على فلانًا.

حكاية : رأى عثمان- رضى اللّٰه عنه- درع على يباع بأربعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة- رضى اللّٰه عنها- فقال عثمان هذر درع فارس الإسلام على لا يباع أبدًا فدفع لغلامه أربعمائة درهم وأقسم عليه أن لا يخبره بذلك ورد الدرع معه فلما أصبح عثمان وجد فى داره أربعمائة كيس فى كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان، فأخبر جبريل النبى بذلك فقال : هنيئًا لك يا عثمان .

حكاية : قال ابن عباس- رضى اللّٰه عنهما- : وقع قحط فى عهد أبى بكر ، فقيل له : إن الناس فى شدة فقال : إنكم لا تمسون حتى يفرج عنكم فلما كان آخر النهار جاءت عير عثمان من الشام فجاءه التجار ، وقالوا : إن الناس فى شدة من القحط وقد قدم عليك مائة راحلة من البر فبعنا إياها قال : كم تربحونى قالوا : العشرة نجعل ربحها درهمين قال : زادونى أكثر من ذلك قالوا : نربحك أربعة، قال : زادونى قالوا : نحن تجار المدينة فمن زادك قال : إن الله تعالى زادنى بكل درهم عشرة قال تعالى : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أشهدكم أنها صدقة للمسلمين ، قال ابن عباس

: فـرأيت النبيﷺ تلك الليلة في المنام على برذون أبلق وعليه حلة حرير من نور وهو مستعجل فقلت : يا نبي الله إني مشتاق إليك ، فقال : يا ابن عباس إن عثمان تصدق بصدقة وإن الله قبلها منه وزوجه عروسًا في الجنة وقد دعينا إلى عرسه .

سؤال : فإن قيل كيف أمر النبيﷺ بالصدقة وقد حرم عليه أكلها .

فالجواب : من وجوه .

الأول : أنه كان يحث عليه فحرم عليه أكلها وعلى كل هاشمي ومطلبي إن كانت واجبة ، وتحرم أيضًا على عبيدهم في الأصح لئلا يتوهم متوهم أنه إنما يأمر بها لأجل نفسه ، وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي له أن يقف موقف التهم .

الثاني : أظهر الله تعالى شرفه حيث أباح له ما طريقه الغزو للقهر وهو الغنائم وحرم الله عليه ما طريقه الذل والانكسار وهو الصدقة .

الثالث : أنه كانﷺ رحمة للعالمين والمتصدق إنما يتصدق على سبيل الترحم فلو أحلت له الصدقة لكان مرحومًا للخلق لا رحيمًا بهم وكانوا له رحمة ولا يكون لهم .

الرابع : لو أحلت له الصدقة لكان المعطى له خيراً منه ، لأنهﷺ قال : «**اليد العليا خير من اليد السفلى**» .

الخامس : عرضت عليه كنوز الأرض فلما يقبلها من ربه فكيف يقبل القليل من غيره ، فإن قيل كيف قالﷺ : « **ما نقص مال من صدقة** » ولا شك أن الصدقة بدرهم من عشر تصير تسعة .

فالجواب : أن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع بيد السائل فيربيها كما يربي أحدكم فلوه فهذا في الحقيقة زيادة لا نقصان ، والفَلُوّ بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو وهو المُهر كما صرح به في رواية أخرى حيث قالﷺ : « **كما يربي أحدكم مُهره أو فصيله**» قال : في الترغيب والترهيب الفصيل ولد الناقة فإن قيل : كيف قالﷺ : « **الصدقة تسد سبعين بابًا من البلاء**» نحن نرى من يتصدق ثم يبتلى .

فالجواب : من وجهين .

الأول : أنها تدفع البلاء حال الصدقة .

الثاني : تدفع بلاء العقوبة لا بلاء المثوبة .

فائدة : الصدقة أربعة أحرف صاد تصون صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة ، دال تدله على طريق النجاة ، وقاف تقربه إلى ربه عزّ وجلّ ، وهاء تهديه إلى الأعمال الصالحات .

حكاية : قال بعض الصالحين : رأيت حية فقالت : أجرنى أجارك الله فقال : من أنت فقالت : أنا من أهل التوحيد ففتح لها فاه فدخلت جوفه فإذا برجل معه سيف فسأله عنها فلم يجدها فرجع الرجل من حيث جاء فقالت : الحية للرجل إن شئت ضربك فى كبدك أو غيره قال : ولم قالت : لأنك عملت المعروف مع غير أهله فقال لها : أمهلينى حتى احفر لى قبراً فنزل عليه ملك فأطعمه شيئًا فنزلت : الحية قطعًا فقال : من أنت قال : أنا المعروف الذى فعلته مع الحية ، قال عيسى - عليه السلام- : استكثروا من شىء لا تأكله النار قيل: ما هو؟ قال : المعروف، وفى الحديث: «أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف» رواه الطبرانى فى الأوسط . قيل : معناه أنهم يكونون فى الآخرة أهلاً لمعروف الله كما كانوا فى الدنيا أصحاب المعروف لأجل الله ، وقيل : وصفهم بذلك لأنهم تكرموا بأموالهم فى الدنيا والآخرة بحسناتهم للمذنبين من هذه الأمة قال النبى ﷺ : « **إذا كان يوم القيامة يأتى الله بقوم من أمتى فيدخلهم الجنة بغير حساب ويأتى الله بقوم فيحاسبهم**» فيقول الله تعالى : يا عبادى من نبيكم فيقولون : نبينا محمد ﷺ فيقول : هى زيد فى سيئاتكم فيقولون : لا فيقول : هل نقص من حسناتكم شىء ؟ فيقولون : لا فيقول : يا عبادى على من كان اتكالكم ، فيقولون : على حسن ظننا بك فيأمر الله رضوان بإخراج الذين أدخلهم الجنة بغير حساب فيدعوهم، فيقول : هؤلاء إخوانكم من أمة محمد ﷺ قد زادت سيئاتهم على حسناتهم فهبوا لهم من حسناتكم فيهبون لهم فيدخلون الجنة فلذلك قال: أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وفى الحديث إن الأسد يقول: اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف .

فائدتان : الأولى: قال ﷺ : « **من استعاذكم بالله فأعيذوه ومن سألكم الله فأعطوه ومن استجاركم بالله فأجيروه، ومن أسدى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**» رواه أبو داود وفى رواية الطبرانى «**حتى تعلموا أن قد شكرتم له فإن الله تعالى شاكر يحب الشاكرين**» ، وقال ﷺ : « **من لم يحمد الناس لم يحمد الله**» حكاه الرازى فى الباب الخامس من تفسير الفاتحة ، وقال النبى ﷺ : « **من لا يشكر الله لا يشكر الناس**» رواه الترمذى وقال : حديث صحيح قال فى الترغيب والترهيب : الهاء من الجلالة والسين من الناس يرفعان وينصبان ويرفع الأول وينصب الثانى ، وعكسه وقال ﷺ : «**إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس**» وقال ﷺ : « **من أسدى إليه معروف فقال : لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ فى الثناء**» .

الثانية : عن النبى ﷺ: «من تبسم فى وجه غريب ضحك الله إليه يوم القيامة ، ومن صافحه وأعانه جاز على الصراط أسرع من طرفة العين وما من مؤمن يموت فى غربته إلا بكت عليه الملائكة رحمة له وفسح له فى قبره بنور يتلألأ من حيث دفن إلى مقصد رأسه أو مسقط رأسه» ، وعن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- عن النبى ﷺ قال: «إذا نظر الغريب عن يمينه وعن شماله وعن أمامه وعن

خلفه لم ير أحدًا يعرفه غفر الله ما تقدم من ذنبه»، وفي حديث آخر «إن الله تعالى لينظر إلى الغريب في كل يوم ألف نظرة» وفي حديث آخر «ما هن غريب يمرض فيرمي ببصره فلا يقع على من يعرفه إلا كتب الله له بكل نفس تنفس سبعين ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة»، وعن النبي ﷺ: «أكرموا الغرباء من أكرمهم فقد أكرمني ومن أحبهم فقد أحبني ومن أكرم غريبًا في غربته وجبت له الجنة» وعنه ﷺ: «ألا لا غربة على مؤمن وما مات مؤمن في غربة غائبًا في والديه إلا بكت عليه السماء والأرض» وعنه ﷺ: «أحب شيء إلى الله الغرباء، قيل: ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يجتمعون على عيسى ابن مريم - عليه السلام- يوم القيامة».

لطيفة: قال رجل لسليمان بن داود - عليهما السلام-: يا نبي الله إن لي حاجة بأرض الهند فمر الريح أن تحملني إليها في هذه الساعة فنظر سليمان- عليه السلام- إلى ملك الموت- عليه السلام- فرآه يبتسم فسأله عن ذلك فقال: تعجبت أمرت بقبض روح هذا الرجل بأرض الهند في بقية هذه الساعة وأراه عندك، فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند في تلك الساعة فقبض روحه هناك.

فصل: في إكرام الجار

قال الله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النساء: ٣٦] وهو الجار القريب ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ وهو الغريب قاله ابن عباس: قال: غيره الأول المسلم والثاني اليهودي فالأول له ثلاثة حقوق، حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، والثاني له حق الجوار والإسلام فإن كان يهوديًا فله حق الجوار فقط، وقال سهل بن عبد الله التستري- رضي الله عنه-: «والجار ذي القربى» يعني: قلبك «والجار الجنب» يعني: نفسك «الصاحب بالجنب» عقلك و«ابن السبيل»: جوارحك، وقال ابن عباس: الصاحب بالجنب هو الرفيق في السفر ورأيت عن الحسن بن علي- رضي الله عنهما- أن جاره اليهودي انخرق جداره إلى منزل الحسن فصارت النجاسة تنزل في داره واليهودي لا يعلم بذلك فدخلت زوجته يومًا فرأت النجاسة قد اجتمعت في دار الحسن فأخبرت زوجها بذلك فجاء اليهودي إليه معتذرًا، فقال: أمرني جدي ﷺ بإكرام الجار فأسلم اليهودي، وقال الحسن البصري: ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار بل حسن الجوار الصبر على أذى الجار، وقال ﷺ **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ومن آذى جاره حرم الله عليه الجنة»**.

موعظة: قال النبي ﷺ: **«من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن حارب جاره فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله»** وقال ﷺ: **«أتدرون ما حق الجوار؟ إن استعان بك فأعنه، وإن استقرضك أقرضه وإن افتقر جد عليه وإن مرض عده وإن مات اتبع جنازته، وإن أصابه خير هنئه وإن أصابته مصيبة عزه ولا تستطل عليه بالبناء فتحجز عنه الريح إلا بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرًا ولا تخرج بها أولادك فيغيظوا بها ولده»**.

لطائف : الأولى: قال رجل لعبد الله بن المبارك - رضى اللَّه عنه- : إن جارنا يشتكى من عبدى ولعله يكذب عليه، فقال : إذا أذنب عبدك ذنبًا فأحفظه عليه فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك فتكون قد أرضيت جارك وأدبت عبدك وعن النبى ﷺ : « حرمة الجار كحرمة الأم » .

الثانية : كان عدى بن حاتم الطائى صحابيًا روى عن النبى ﷺ ستة وستين حديثًا، وكان إذا ركب فرسه تخط رجلاه بالأرض وكان يفت الخبز لمن جاوره من النمل، ويقول : له علينا حق الجوار حكاه النووى فى تهذيب الأسماء واللغات .

الثالثة : رأيت فى لوامع أنواع القلوب : نزل بالنبى ﷺ أضياف فلما توضأ النبى ﷺ شربوا ما فضل منه ومسحوا وجوههم بموقع منه على الأرض، فقال : ما حملكم على ذلك قالوا : حب الله ورسوله لعل الله ورسوله يحبنا فقال : المرء مع من أحب إن كنتم تحبون الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال صدق الحديث، وأداء الأمانة وحفظ الجوار ، فإن أذى الجار يمحو الحسنات .

فائدة : تقدم أن الصدقة على القريب أفضل قال النبى ﷺ : « **يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق نبيًا لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلة يصرفها إلى غيرهم والذى نفسى بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة** » رواه الطبرانى وقال النبى ﷺ « **أيما رجل أتاه ابن عمه يسأله من فضله فمنعه، منعه الله من فضله يوم القيامة** » رواه الطبرانى فى «الأوسط»، وصدقة السر أفضل لأنها تطفئ غضب الرب ومن السبعة الذين يظلهم الله فى عرشه رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، وصورته أن يبيع شيئًا بثمانية يساوى عشرة، قال النبى ﷺ: « **من يسأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر** » قال فى الإحياء : السؤال حرام كالميتة فلا تحل إلا لضرورة وفى شرح البخارى لابن أبى جمرة عن النبى ﷺ: «**لا بأس للمؤمن أن يشكو حاله لأخيه المؤمن**» .

الثانية : التبكير إلى السوق وإسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الصبح وشراء الخبز من الشحاتين وإطفاء السراج بالفم ومنع الخمير من العجين يورث الفقر، وكذا المشى بين الماعز والغنم، فإن كان ولابد فليقرأ سورة ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ①** ﴾[قريش: ١] ، وسمع النبى ﷺ عليًا- رضى اللَّه عنه- يقول : «**اللهم لا تحوجنى إلى أحد من خلقك**» فقال : « **لا تقل كذا قل: اللهم لا تحوجنى إلى أشرار خلقك**» قال : من هم قال : « **الذين إذا أعطوا منعوا وإذا منعوا أعابوا**» .

موعظة : قال النبى ﷺ : « **من احتكر طعامًا أربعين يومًا فقد برئ من الله وبرئ الله منه**» رواه الحاكم .

لطيفتان : الأولى : سعيد بن العاص مات النبى ﷺ وعمره ثلاث وستون سنة ثم مات هو - رضى اللَّه عنه-سنة تسع وخمسين وأوصى فى مرضه بوفاء دينه وقدره ثمانون ألف دينار، قيل له فيما صرفتها قال : فى رجل جاءنى يتزاءى دمه فى وجهه من الحياء فبدأته بحاجته قبل سؤاله، والله أعلم .

باب : الزهد والقناعة والتوكل

قال الله تعالى : ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨] وقال عز وجل : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ [الحديد: ٢٠] قال نجم الدين النسفي : كل صفة لثمان سنين إلى أربعين سنة لعب ثمان سنين ولهو ثمان سنين وزينة ثمان سنين، وتفاخر ثمان سنين وتكاثر ثمان سنين فإذا بلغ أربعين سنة، فإن كان موفقًا أقبل على الآخرة وتزود لها وإلا خسرانًا مبينًا، وقوله: « **كمثل غيث أعجب الكفار نباته** » أي الزراع بكفر لأن الزارع البذر أن يستره في الأرض ثم يهيج أي يصير يابسًا ثم يكون حطامًا أي متكسرًا وفي الآخرة عذاب شديد أي لمن رغب في الدنيا ومغفرة من الله ورضوان لمن تزود منها للآخرة، قال القرطبي : قال رجل : يا نبي الله أخبرني بجلساء الله تعالى يوم القيامة قال : هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرًا، قال : فهم أول الناس دخولاً الجنة فخرج الملائكة فيقولون لهم ارجعوا إلى الحساب فيقولون على ما نحاسب لا أفضيت علينا الأموال في الدنيا فنقبض منها ونبسط وما كنا أمراء فنعدل ونجور ولكن جاءنا أمر الله فعرفناه حتى أتانا اليقين ، قال النبي ﷺ: «اتقوا الله فإنه يقول يوم القيامة صفوتي من خلقي» فتقول الملائكة : من هم يا ربنا فيقول : الفقراء الصابرون الصادقون الراضون بقدري أدخلهم الجنة، فيدخلون الجنة يأكلون ويشربون والأغنياء في الحساب يترددون .

فائدة : أصاب إبراهيم ﷺ حاجة فذهب إلى صديق يستقرض منه شيئًا فلم يستقرضه فرجع مهمومًا ، فأوحى الله إليه ولو سألتني لأعطيتك فقال : يارب عرفت مقتك للدنيا فخشيت أن أسألك إياها فتمنعني فأوحى الله إليه ليست الحاجة من الدنيا ، وقال النبي ﷺ : « **من طلب الدنيا حلالاً واستعفافًا عن المسألة وتعففًا من جاه لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا تكاثرًا وتفاخرًا لقي الله وهو عليه غضبان** » وقال الفضيل - رضي الله عنه - : من أقام نفسه في ذل في طلب الحلال حشره الله مع الصديقين ورفعه إلى الشهداء يوم القيامة .

حكاية : كان رجل يخدم موسى - عليه السلام - ويقول : حدثني موسى كليم الله ثم افتقده موسى أيامًا فسأل عنه فجاء رجل يقول : مسخ خنزيرًا فدعا موسى ربه أن يرده إلى حاله ، فأوحى الله إليه يا موسى لو دعوتني بما دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك ولكن أخبرك بما صنع أنه كان يأكل الدنيا بالدين .

حكاية : رأيت في تفسير العلائي في سورة يس : أن عيسى - عليه السلام - مر على قرية فوجد أهلها أمواتًا على الطرقات من غير دفن فسأل الله عنهم فأوحى الله إليه إذا كان الليل فادعهم فإنهم يجيبونك ، فلما كان الليل ناداهم فقال : واحد منهم لبيك يا روح الله تعالى قال : ما قصتكم؟ قال :

بتنا فى عافية وأصبحنا فى الهاوية قال : ولم ، قال : لحبنا الدنيا كحب الصبى لأمه إذا أقبلت علينا فرحنا بها وإذا أدبرت بكينا عليها ، قال : ما بال أصحابك لا يجيبونى قال : أنهم ملجمون بلجم من نار بأيدى ملائكة غلاظ شداد قال : فكيف أنت أجبتنى من بينهم ، قال : إنى لست منهم بل مررت بهم حال نزول العذاب فأصابنى ما أصابهم وأنا معلق بشفرة على شفير جهنم فلا أدرى أأنجو منها أم لا .

حكاية : قال النسفى فى زهر الرياض : لما تولى سليمان الملك جاءه جميع الحيوانات يهنئونه إلا نملة فإنها جاءت تعزيه فعاتبها النمل فى ذلك ، فقالت : لم أهنئه وقد علمت أن الله إذا أحب عبداً زوى عنه الدنيا وحبب إليه الآخرة ، وقد اشتغل سليمان - عليه السلام - بأمر لا يدرى ما عاقبته فهو بالتعزية أولى من التهنئة وجاءه فى بعض الأيام شراب من الجنة ، وقيل له : إذا شربته لم تمت فشاور جنده إلا القنفذ فإنه كان غائبًا فأشاروا عليه أن يشربه فأرسل الفرس خلف القنفذ فلم يجبه ، فأرسل الكلب إليه فأجابه فسأله سليمان عن الشراب فقال : لا تشربه فإن الموت فى العز خير من البقاء فى سجن الدنيا ، قال : صدقت وأراق الشراب فى البحر فطاب ماؤه ، قال له : كيف لا أطعت الفرس دون الكلب قال : لأنها تعدو بعدوها كما تعدو بصاحبها ، والكلب لا يطيع إلا صاحبه .

حكاية : قال مكحول التابعى - رضى اللّه عنه - : مر سليمان - عليه السلام - على بساط ملكه على الريح بحراث فقال : وددت أنى أكلم سليمان ثلاث كلمات فأخبره الله بذلك فنزل عليه ، فقال : أخبرنى عن الكلمات فقال : يا نبى الله أنت لا تجد لذة أمس ، وأنا لا أجد تعبه فأنا وأنت سواء ، وأنت تموت وأنا أموت فنحن سواء وأنت تحاسب على قدر ما أعطاك وأنا أحاسب على قدر ما أعطانى فبكى سليمان ، وقال : يارب لولا أنك كريم لا ترجع فى هبتك لسألتك الرجوع فيها .

حكاية : قال بعض العباد من بنى إسرائيل : يا موسى اسأل ربك أن يرزقنى فسأل ربه فأوحى الله إليه يا موسى أقليلا سألت أم كثيراً ، فقال : يارب بل كثيراً فلما أصبح موسى وجد السبع قد أكل الرجل ، فقال : يارب سألتك له كثيراً فأكله السبع فقال : يا موسى إنك سألت له كثيراً وكل ما كان فى الدنيا فهو قليل .

حكاية : قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : خرج موسى - عليه السلام - إلى شاطئ البحر فوجد مؤمنًا وكافراً يصيدان السمك المؤمن يذكر ربه فلا يصيد شيئًا والكافر يذكر صنمه فتقع السمك فى شبكته فتعجب موسى من ذلك فأوحى الله إليه انظر يا موسى ، فنظر إلى الجنة فإذا فيها حوض من ذهب مكتوب عليه اسم المؤمن فيه من الحيتان ما لا يحصى عدده إلا الله ، ومثل له جنهم فيها قصر من نار مكتوب عليه اسم الكافر وفيه من الحيات والعقارب ما لا يعلمه إلا الله فأوحى الله إليه يا موسى قل لعبدى المؤمن أيهما أحب إليك أن أسوق إليك حيتانًا بدلاً عن نعيم الجنة فبكى الرجل ، وقال : يارب إن منعت عنى الرزق صبرت طمعًا فى رضاك فكيف الحيتان .

حكـاية : قال بعض العارفين : رأيت كأن القيامة قد قامت والناس يذهبون إلى الجنة زمرًا زمرًا ، فنظرت إلى طائفة من أحسن الناس وجهًا فذهبت لأكون معهم فحالت الملائكة بينى وبينهم فقلت : لهم ولم؟ قالوا : هؤلاء السابقون لا يكون معهم إلا من كان له قميص واحدًا ، وأنت لك قميصان ومن كل شيء إثنان فاستيقظ مرعوبًا فصار لا يملك إلا واحد من كل صنف .

فائدة : قال سهل بن سعد : قال النبي ﷺ : «**ما لبس أحد ثوبًا فقال : الحمد لله الذى كفانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه** ».

مـوعظتـان : الأولـى: نقل أبو الليث السمرقندى- رضى اللّٰه عنه- أن ملكين التقيا فى السماء الرابعة فقال : أحدهما للآخر إلى أين تريد قال : أمرت بشيء عجيب قال : ما هو قال : فى البلد الفلانى رجل يهودى قد دنت وفاته وقد اشتهى سمكة ولم توجد فى بحرهم فأمرنى ربى أن أسوق إليه الحيتان ليصطاد له سمكة ، وذلك لأنه لم يعمل حسنة إلا كافأه الله بها فى الدنيا ، وقد بقيت له حسنة واحدة فأراد أن يبلغه شهوته ليخرج من الدنيا وما له عند الله حسنة وقال : الملك الآخر وأنا بعثنى ربى بأمر عجيب فى البلد الفلانى رجل صالح ما عمل سيئة إلا كافأه عليها وقد دنت وفاته فاشتهى زيتًا وقد بقى عليه ذنب واحد فأمرنى ربى أن أريق الزيت ليحزن على ذلك فيكفر الله عنه ذنبه فيلقاه ولا ذنب عليه ، قال : محمد بن كعب فى قوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** ⑦ ﴾ [الزلزلة: ٧] هو الكافر ثواب خيره فى الدنيا ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ⑧ ﴾ [الزلزلة: ٨] هـو المؤمن يرى جزاء شره فى الدنيا دون الآخرة ، وقال الجنيد : دخلت علي السر السقى فرأيته يبكى ، فسألته فقال : جاءتنى البارحة وقالت : هذه ليلة حارة أفأعلق لك الكوز حتى يبرد قلت : نعم ، فرأيت فى منامى حوراء لم أر أحسن منها فقلت لمن أنت فقالت : لمن لا يشرب المبرد فأخذت الكوز وضربت به الأرض .

موعظة : قال عيسى- عليه السلام- : «مثل الدنيا كمثل رجل يسير فى مفازة فإذا أسد هائج فنظر وراءه فإذا الأسد يريده ونظر أمامه فإذا المفازة ليس ملجأ فلما أدركه الأسد رأى بئرًا فطرح نفسه فيه فتعلق بشجرة فوقف الأسد فوق الجب فنظر إلى أسفل الجب فرأى ثعبانًا فيقول : فى نفسه الأسد فوقى والثعبان تحتى حتى أنظر إلى الشجرة هل لها أصل أتمسك به فإذا أصلها معلق بغصنين، وإذا بفأرة سوداء وفأرة بيضاء يقطعان فى العرقين فلا يزال متفكرًا فيما هو فيه إذ نظر إلى غصن من أغصان الشجرة عليه ثمرة فيتناول منها فلا يشعر بشيء حتى تقطع الفأرتان عرق الشجرة فيهلك فهذا مثل لطالب الدنيا ، أما الأسد فملك الموت وأما الشجرة فأجله وأما الفأرتان فالليل والنهار يقطعان أجله وأما الجب فهو القبر وأما الثعبان فالنار وأما المرأة فحطام الدنيا» وكان عيسى- عليه السلام- يلبس الشعر ويتوسد الحجر ويأكل الشعير ويقول : سراحى القمر وطعامى نبات الأرض ودابتى رجلاى

فهل اغتنى مثلى وأمه مريم- رضى اللّه عنها- وكانت كذلك زاهدة عابدة وأخوها من أبيها هارون كذلك أيضًا سموه باسم هارون أخى موسى وكان بينهما ألف سنة .

حكـاية : قال فى الإحياء : إن عيسى- عليه السلام- اشتد عليه الرعد والبرق والمطر يومًا فجعل يطلب شيئًا يلجأ إليه فرأى خيمة فأتاها فوجد فيها امرأة فتركها ، فإذا بغار فى جبل فأتاه فإذا فيه أسد عظيم فوضع يده على رأسه وقال : يا إلهى جعلت لكل شىء مأوى ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله إليه مأواك فى مستقر رحمتى ولأزوجنك مائة حوراء يوم القيامة ولآمرن مناديًا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى ابن مريم .

حكاية : قال بعض الصالحين : رأيت فى المنام رجلاً يطلب غزالة وخلفه أسد فقتله قبل أن يلحق بالغزالة وهكذا إلى تمام المائة وكلما قتل الأسد واحدًا وقفت الغزالة عند رأسه فتعجب من ذلك ، فقال الأسد : لا تعجب أنا ملك الموت والغزالة هى الدنيا وهؤلاء طلابها أقتلهم واحدًا بعد واحد ، فإن قيل : كيف أمطر الله على أيوب جرادًا من ذهب؟ قيل : جعله الله عوضًا من الدود ، فالجراد نعمة للطائع وعقوبة للعاصى لأنه مخلوق من الذنوب وذلك أن المريض تلقى ذنوبه فى البحر فيخلق الله منها التمساح فإذا مات صار دودًا ثم جرادًا بإذن الله تعالى .

مـوعظة : ذكر العلائى فى سورة النحل إن إبليس يعرض الدنيا على من يريدها كل يوم فيقول : من يشترى شيئًا يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فيقول عشاقها وأصحابها : نحن فيقول : أنها معيوبة فيقولون : لا بأس فيقول : ثمنها ليس بالدرهم ولا بالدينار ولكن بنصيبكم من الجنة فإنى اشتريتها بأربعة أشياء بلعنة الله وغضبه وسخطه وعذابه وبعت الجنة بها فيقولون : نعم فيبيعهم إياها على ذلك ، ثم يقول : بئست التجارة ، ورأيت فى سفينة الأبرار أن الله تعالى خلق الدارين ونصب لهما دلالين فدلال الجنة محمد ﷺ وبائعها المولى وثمنها التوحيد ، وبذل المال والنفس ، ودلال الدنيا إبليس ومشتريها الراغبون وثمنها ترك الدين وقال بعض الحكماء : الدنيا ميراث المغرورين ومسكن البطالين وسوق الراغبين وميدان الفاسقين ومراح الكافرين وسجن المؤمنين ومزبلة المتقين ، زاد مؤلفه ومزرعة للعالمين .

لطيـفة : لما مر سليمان بوادى النمل قالت نملة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل : ١٨] وإنما قالت : ذلك خوفًا على قلوبهم أن تميل إلى الدنيا فلم سلم سليمان عليها قالت : وعليك السلام أيها الفانى المشتغل بملكك فأنت تظن يا سليمان أن ذلك أمرًا ونهيًا فأنا نملة ضعيفة لى أربعون ألف مقدم ، تحت يد كل مقدم أربعون صنفًا من النمل كل صنف من المشرق والمغرب ، فقال : كيف تلبسون السواد قالت : لأن الدنيا دار مصيبة ولباس أهل المصائب السواد قال : فما هذا الحز الذى فى وسطك ، قالت : هذه منطقة الخدمة

للعبودية قال : فما بالكم تبعدون عن الخلق قالت : لأنهم فى غفلة فالبعد عنهم أولى قال : فما بالكم عراة قالت : هكذا ولدنا إلى الدنيا وهكذا نخرج منها ، قال : فكم تأكلين قالت : حبة أو حبتين قال : ولم؟ قالت : لأنا على سفر والمسافر كلما خف حمله خف ظهره قال : اطلبى منى حاجة قالت : أنت عاجز و الطلب منك غير جائز ، قال : لابد من الطلب قالت : زد فى رزقى وفى عمرى قال : اطلبى شيئًا يكون فى يدى قالت : إن الله يقضى حوائج المحتاجين قال : ما اسمك قالت : منذرة أنذر أصحابى من الدنيا الساحرة وأرغبهم فى الآخرة فى رواية اسمها طاحية وفى رواية حر ، ثم قالت : يا سليمان ما أفخر ما أوتيت فى ملكك قال : الخاتم لأنه من الجنة قالت : تعلم معناه يعنى الذى أعطيناك من الدنيا فى يدك بقدر فص الخاتم ثم قالت : هل غير هذا قال : نعم بساط من الجنة على ظهر الريح ، قلت : هذا تنبيه على أن جميع ما معك كمثل الريح اليوم وغدًا يزول ، قال : فإن غدوها شهر ورواحها شهر قالت : فيها إشارة إلى أن عمرك يطير وأنت مستعجل المسير قال : علمينى منطق السير ، قالت : اشتغل بمناجاة الله عن مناجاة الغير قال : أخبرينى بالإنس والجن قالت : فيه إشارة إلى أن الخلق اشتغلت بخدمتك فاشتغل أنت بخدمتى ، قال : إنى استأنس بفص الخاتم لأن عليه اسم الله ، قالت : استأنس بالمسمى يغنيك عن الاسم .

فـــائدة : أراد الحسن أن ينقش على خاتمه فلم يدر ما يكتب عليه فرأى عيسى بن مريم- عليه السلام- فى منامه فسأله عن ذلك فقال : اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، فإنها تذهب عنك الغم والحزن وهى خاتمة الإنجيل وكان نقش خاتم الإمام مالك حسبى الله ونعم الوكيل وخاتم موسى - عليه السلام- لكل أجل كتاب ، وقال : معاذ - رضى اللّه عنه-ركعتان من متختم أفضل من سبعين ركعة من غير متختم ثم قالت النملة : أتدرى لما سمى أبوك داود قال : لا . قالت : لأنه داوى قلبه قالت : أتدرى لما سميت سليمان؟ قال : لا . قالت : لأنك سليم القلب وآن لك أن تلحق بأبيك داود فعند ذلك طلب الإقالة من ربه فى الملك فخرج الجواب «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» .

لطيفة : يا مؤمن لك البشرى هذا سليمان طلب الإقالة من ربه أن تنزع عنه الملك خمسين سنة فما نزعه فكيف ينزع منك الإيمان ، أنت تطلب حفظه مدة عمرك وكان بين موت سليمان ومولد النبى ﷺ ألف وسبعمائة سنة .

مـواعظ: الأولى : قال وهب بن منبه: بينما الخضر - عليه السلام- على شاطئ البحر إذا رجل فقال: سألتك بحق الله أن تعطينى شيئًا لله فقال : لا أملك إلا نفسى وقد وهبتك إياها ، فأخذه فباعه لرجل له بستان فاستعمله فعمل فيه عملاً عظيمًا ، فقال: صاحب البستان بحق الله من أنت قال : أنا الخضر فقال: أنت حر لوجه الله فسجد فنودى يا خضر طلبت الدنيا واتخذتها مسكنًا حتى ابتلاك بالرزق وذلك أنه كان قد بنى صومعة وغرس شجرة .

الثانية : جاء فى الخبر أن الدنيا تمثلت لعلى بن أبى طالب على صورة امرأة قد تزينت له بكل زينة وهى تظن أنه لا يعرفها قال : ألست الدنيا؟ قالت : نعم كيف عرفتنى قال : كشف لى الغطاء قالت : كلمنى قال : أنت مطلقتى وكلام المطلقة حرام اخرجى من دارى ، قالت : الدار دارى قال : صدقت فخرج وتركها فخرجت خلفه لقد قميصه كزليخة مع يوسف- عليه السلام- فلم تجد له درعًا فقالت : سلمت منى يا على قال : اخدعى غيرى وأنشد شعرًا :

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى أكابد دارًا همها ليـــس ينجلى

فقالت نعم يا ابن الكـرام لأننى غضبت عليكم منذ طلقنى على

وقال الشافعى : من زهد فى الدنيا اليوم قرت عيناه غدًا بما يرى من السرور ، وقال على :

وما هى إلا جيفــة مسـتحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كــلابها

فـائدة : قال ابن عباس -رضى الله عنهما- : التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء ، وكان النبى ﷺ يتوكأ عليها ويأمر بالاتكاء عليها وعنه ﷺ العصا من علامة المؤمن وسنة الأنبياء ومن خرج فى سفر ومعه عصا من لوز فقد أمنه الله من سبع ضار ولص عاد ومن كل ذات حمة حتى يرجع إلى أهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من الملائكة ، وقال البرماوى : ذات حُمة تضم المهملة أى ذات سم كالحية والعقرب ، وقال الحسن البصرى- رضى اللّه عنه- : للعكاز ثمانية خصال سنة الأنبياء وزينة الصلحاء وسلاح على الأعداء ، وعون للضعفاء ويهرب من صاحبها الشيطان ، ويخشع منه الفاجر وتكون لصاحبها قبلة وقوة إذا أعى ، وعنه ﷺ : «من بلغ أربعين ولم يأخذ العـصا عدله من الـكبر والعجب» .

فصل : فى القناعة

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المطففين : ٢٢] ، أى فى قناعة ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الإنفطار : ١٤] ، أى فى طمع ، وقال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[النحل : ٩٧] ، قال فى الرسالة القشيرية : قال كثير من المفسرين : المراد بالحياة الطيبة فى الدنيا هى القناعة ، وقيل قوله تعالى ﴿وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٨١] ، أى يميتنى بالطمع ويحيينى بالقناعة ، وقال الجنيد ، فى قوله تعالى : ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل : ٢١] ، أى لألبسنه ثوب الطمع ولأحرمنه ثوب القناعة .

لطيفة : قال فى الرسالة القشيرية : لما مر موسى بالجدار وأقامه الخضر ، قال له موسى : ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرًا﴾ فلما خرجا من القرية دعا الخضر ظبيًا فوقف بينهما فصار الجانب الذى

يلى الخضر لحمًا مشويًا والجانب الذى يلى موسى لحمًا طريًا ، فسأله موسى عن ذلك فقال : لأنك طمعت وأنا قنعت وقال : فى العقائق جاءهما من الهواء طبقان على أحدهما خبز وسمك مشوى فوقع بين يدى الخضر ، والآخر عليه سمك طرى فوقع بين يدى موسى فتبسم الخضر وقال أنا صبرت وأنت لم تصبر ، والقرية هى إنطاكية والجدار كان طوله مائتين وخمسين ذراعًا وعرضه سبعمائة ذراع وكان قد مال على طريق الناس فدفعه الخضر بساعده فساعده موسى فى ذلك فاستوى كما كان .

حكاية : قالت حفصة بنت عمر - رضى اللّه عنهما- : لأبيها يا أبت البس ألين الثياب فقال : يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته قالت : نعم قال : نشدتك الله هل تعلمين أن النبى ﷺ لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله غدوة إلا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة قالت : نعم قال : ناشدتك الله هل تعلمين أن النبى ﷺ كان يغسل ثيابه فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فلا يجد ثوبًا يخرج به إلى الصلاة قالت : نعم قال : ناشدتك الله فما زال يذكرها حال النبى ﷺ حتى بكى وأبكاها وقال النبى ﷺ : **«ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه»** .

فصل: فى التوكل على الله

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق: ٣] ، وقال النبى ﷺ **« من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»** وقال الحسن البصرى : التوكل هو الرضا بفعل الله تعالى ، أى اعتماد القلب على الله وسيأتى الفرق بين التوكل والتسليم والتفويض آخر الباب .

حكاية : رأيت فى كتاب العقائق : أن رجلاً من أهل البصرة اجتمع عليه من الدين ألف دينار ، فطالبه الغرماء فلم يجد من يقرضه فهرب إلى الكوفة ودخل مسجدها ، وقال : يا ملائكة ربى ارفعوا قصتى إلى الله فإنى غريب ومديون فجاء رجل وأيقظه من نومه وقال : ياصاحب القصة اجلس فهذه ثلاثة آلاف دينار فسأله عن ذلك فقال : كنت نائمًا فرأيت قائلاً يقول فى المسجد غريب ومديون قد رفع قصته إلينا فادفع إليه ثلاثة آلاف دينار فإذا نفدت فائتنا وأنا فلان ، فقال : معاذ الله أن أرفع قصتى إلا لمن أرسلك إلىّ .

حكاية : قال فى العقائق أيضا : إن ملكين نزلا من السماء أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ثم رجع إلى آخر النهار فالتقيا فى السماء فقال : أحدهما لصاحبه أين كنت قال : فى المشرق أرسلنى ربى إلى كنز رجل فخسف به الأرض ، فقال : الآخر وأنا أرسلنى ربى بأمر عجيب أمرنى أن أخرج الكنز من قرار الأرض وأجعله بدار رجل فقير بالمغرب ليس له درهم ولا دينار فسمعها رضوان خازن الجنة ، فقال : قصتى أعجب من ذلك إن الله تعالى أمرنى أن أذهب إلى دار ذلك الفقير الذى

صار الكنز فى داره وأعد الكنز كم درهم وكم دينار ثم أمرنى أن أبنى قصوراً فى الجنة بعدد كل درهم ودينار لصاحب الكنز والفقير فقال الملكان : ربنا أطلعنا على هذه الكرامة التى أكرمت بها صاحب الكنز والفقير ، فقال سبحانه وتعالى : لما خسف الكنز قال صاحبه : الحمد لله الذى جعلنى راضيًا بقدره ، وأما الفقير فلم يفرح بالكنز بل قال : إن فى خزانته مالاً يحوجنى إلى غيره .

حكاية : خرج سليمان- عليه السلام- إلى شاطئ البحر فوجد نملة فى فمها ورقة خضراء فلما وصلت إلى الماء خرجت ضفدع فحملتها على ظهرها وغاصت بها قليلاً ثم رجعت ، فسألها سليمان- عليه السلام- عن ذلك فقالت : يا نبى الله فى البحر صخرة صماء وفى وسطها دودة وقد وكلنى الله برزقها كل يوم مرتين وخلق ملكًا على صورة الضفدع فيحملنى إلى الصخرة فتنشق فتأخذها الدودة منى وتقول سبحان من خلقنى وفى البحر أسكننى ومن الرزق لم ينسنى ، اللهم كما لم تنسنى من رزقك فلا تنس أمة محمد ﷺ من عفوك ورحمتك .

حكاية : قال أنس- رضى اللّه عنه- : خرجت مع النبى ﷺ فرأينا طيراً أعمى يضرب بمنقاره على شجر ، فقال النبى ﷺ : **«أتدرى ما يقول»** قلت : الله ورسوله أعلم قال : **«يقول : اللهم أنت العدل وقد حجبت عنى بصرى وقد جعت فأقبلت جرادة فدخلت فى فمى ثم ضرب بمنقاره على الشجر»** فقال ﷺ : **«أتدرى ما يقول»** قلت : لا قال : **«إنه يقول من توكل على الله كفاه »**.

حكاية : قال مالك بن دينار- رضى الله عنه- : خرجت إلى الحج فرأيت طيراً فى منقاره رغيف فتبعته ، فجاء إلى شيخ موثوق وصار يلقمه لقمة لقمة ثم طار وجاءه بماء فى فمه فسكبه فى فم الشيخ ، فقلت له : من أنت قال : من الحجاج أخذنى اللصوص وربطونى ها هنا فصبرت على الجوع خمسة أيام ثم قلت : يا من يجيب دعوة المضطر إذا دعاه فأنا مضطر فارحمنى فأرسل الله لى هذا الغراب قال مالك : فحللته من وثاقه ومضينا .

حكاية : ذكر ابن خلكان عن ابن عباس : أنه كان يأكل مع أصحابه طعامًا ، فجاء قط فطرحوا له لقمة فأخذها وذهب سريعًا ثم رجع فطرحوا له لقمة أخرى ، وهكذا خمس مرات فتبعه رجل إلى بيت خراب فوجد فيه قطًا أعمى وهو يضع اللقمة بين يديه فانقطع الشيخ أبو الحسن إلى الله وترك الاكتساب ، ورأيت فى تفسير الرازى أن عيسى- عليه السلام- مر بالحواريين وهم يصطادون السمك ، فقال : لهم تعالوا حتى نصطاد الناس فقالوا : من أنت؟ قال : عيسى فآمنوا به فلما تركوا الصيد جاءوا فاخبروا عيسى- عليه السلام- بذلك فضرب على الأرض فأخرج لكل واحد رغيفًا ، ثم قالوا : عطشنا فضرب بيده على الأرض فخرج الماء فقالوا : من أفضل منا قال : من يأكل من كسب يمينه .

فائدة : تعوذ النبى ﷺ من جهد البلاء قال عمر- رضى الله عنه- : هو قلة المال وكثر العيال ، وقال غيره : هو الجار السوء والرسول البطئ والمرأة المخاصمة والسراج المظلم وهرة تعوى ، فإن

قيل : ما الحكمة فى أن سليمان- عليه السلام- رد الله عليه الشمس بعد ما غربت حتى صلى العصر ومحمد ﷺ ما ردها عليه حين نام فى الوادى بل صلى الصبح قضاء ، فالجواب أن محمداً ﷺ وكل يقظته إلى مخلوق وهو بلال الحبشى ، وجواب آخر وهو الأحسن أن سلميان حكم عليه الوقت فلا تصح الصلاة إلا فيه ومحمد حكم على الوقت فتصح الصلاة فيه ، وفى غيره قضاء منه ومن أمته مع أنها قد ردت له ﷺ فى بعض الأوقات ، ولقد أجاد القائل- رحمه اللَّه تعالى- :

والشمس بعد غروبها ردت له والبدر بين يديه شق وأفرجا

فإن قيل : ما الفرق بين التوكل والتسليم والتفويض فيقال : التوكل أن تسكن إلى وعد الله والتسليم أن تكتفى بعلم الله ولتفويض أن ترضى بحكم الله عز وجل .

باب : حفظ الأمانة وترك الخيانة وذكر النساء وفضل الزواج وذم الطلاق والتحذير من اللواط وفضل الزراعة وبيان قوله ﷺ خلقتم من سبع ورزقتم من سبع

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾[النساء : ٥٨] وقال تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ** ﴾[النحل: ٩١] .

حكاية : قال فى «الإحياء» : إن رجلاً واعد النبى ﷺ أن يأتيه فى مكانه فنسى الرجل اليوم الأول والثانى ، ثم جاء فى الثالث فوجده ﷺ مكانه فقال : «**يا فتى شققت على أنا ههنا منذ ثلاثة أيام أنتظرك**» وذكر بعض المفسرين فى قوله تعالى : حكاية عن إسماعيل ﴿ **إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ** ﴾ [مريم:٥٤] ، قيل : إن رجلاً قال له : اجلس فى هذا المكان حتى آتيك فجلس فيه سنة ثم جاءه وقال : مكانك حتى آتيك فغاب عنه سنة ، مثل هذا رأيته عنه عن الشيخ عبد القادر الكيلانى والقائل له الخضر- رضى الله عنه- فإن قيل : كل نبى فهو صادق الوعد فلم يخص إسماعيل بذلك ، فالجواب تكرر من مواعيد كثيرة لعباده فوفى بها لأنه من بيت الوفاء ، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ** (٣٧) ﴾[النجم: ٣٧] .

حكاية : قال فى روض الأفكار: خرج رجل من أهل اليمن لزيارة النبى ﷺ فقال له جماعة : سلم على أبى بكر فلما دخل المدينة نسى فرجع من الطريق حتى يبلغ الرسالة فلما فعل ذلك وأراد الذهاب إلى مكة وجد القافلة قد رحلت فرجع إلى قبر النبى ﷺ ونام فرأى النبى ﷺ وأبا بكر وعمر ، فقال أبو بكر : هذا الرجل يا نبى الله؟ قال : نعم فالتفت إلىّ وقال : يا أبا الوفاء قلت : يا رسول الله كنيتى أبو العباس فقال : أنت أبو الوفاء وأخذ بيدى فرفعت فانتهبت فرأيتنى فى المسجد الحرام فأقمت بمكة ثمانية أيام حتى جاء الحجاج .

فـائدة : رأيت فى تفسير العلائى فى سورة براءة عن ابن عمرو بن عباس - رضى الله عنهما- قالا : دخلنا مع جماعة على رسول الله ﷺ فقلنا : يا نبى الله إنك قلت : ثلاثة من كن فيه فهو منافق ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه ثلث النفاق ، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ، فظننا أن لا نسلم منهن أو من بعضهن ولم يسلم منهن كثير من الناس فضحك النبى ﷺ وقال : « **ما لكم ولهن إنما خصصت بهن المنافقين**» أما قولى : إذا حدث كذب فلذلك قوله تعالى : ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ**﴾ الآية [المنافقون: ١]، أفأنتم كذلك قلنا : يا رسول الله قال : «**لا عليكم أنتم من ذلك براء**» وأما قوله : «**وإذا وعد أخلف**» فذلك فيما نزّل الله علىّ : ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِه**﴾ [التوبة: ٧٥]الآيات الثلاث أفأنتم كذلك قلنا: لا يا رسول الله لو عاهدنا الله شيئًا وفيناه فقال : «**لا عليكم أنتم من ذلك براء ، وأما قولى إذا ائتمن خان**» فذلك فيما أنزل الله : ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ**﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢]، فكل مؤمن مؤتمن على دينه فالمؤمن من يغتسل من الجنابة سرًا وعلانية ، أفأنتم كذلك قلنا: نعم يا رسول الله قال : «**لا عليكم أنتم من ذلك براء**».

حكاية : نذر يوسف - عليه السلام- إن خرج من السجن ليصنعن وليمة للفقراء وغيرهم فلما خرج من السجن نسى نذره فذكره جبريل فصنع طعامًا شهرًا وجمع الناس فاجتمع الكبير والصغير ، فقال جبريل : لم يحضره المقصود فقال يوسف : من هو؟ قال : عجوز عمياء فى بيت من جريد النخل ، فأرسل إليها رسولاً فقالت للرسول : قل ليوسف يحضر بنفسه ، وأنشد لسان الحال يقول :

لا تبعثوا لى من النسيم تحية إنى أغار من النسيم عليكم

فرجع الرسول إليه وأخبره بذلك فذهب يوسف إليها ، وقال : أيتها العجوز احضرى دعوتنا ، فقالت : أين قولك يا سيدى من قولك يا عجوز طال ما أنعمنا عليك ونثرنا الجواهر على قدميك فقال يوسف : ما هذا الإذلال قالت : أنا زليخا فبكى يوسف رحمة لها ، فلما حضرت لم يبق فى المجلس أحد إلا قام لها فخلع عليها يوسف الخلع فقالت : قد ملكنا من هذا كثيرًا إن لم تفعل ما أريد رجعت مكانى قال : ما هو قالت : بصرى وشبابى وأن تكون زوجًا لى ، فنزل جبريل وقال : قد أكرمناها لأجلك برد بصرها وشبابها فأكرمها أنت بالزواج فتزوجها فى الحال .

حكاية : قيل : كانت زليخة من بنات الملوك وكان بينها وبين مصر نصف شهر فرأت فى منامها يوسف فتعلق حبه بقلبها فتغير لونها فسألها أبوها عن ذلك ، فقالت : رأيت صورة فى منامى لم أر أحسن منها ، فقال أبوها : لو عرفت مكانه لطلبته لك ثم رأته فى العام الثانى فقالت له : بحق الذى صورك من أنت قال : أنا لك فلا تختارى غيرى فاستيقظت وقد تغير عقلها ، فقيدها أبوها بالحديد ثم رأته فى العام الثالث فقالت : بحق الذى صورك أين أنت قال : بمصر فاستيقظت وقد صح عقلها فأخبرت أباها بذلك ففك القيد منها وأرسل إلى ملك مصر أن لى بنتًا قد خطبها الملوك وهى راغبة

إليك ، فكتب إليه من أرادنا أردناه فجهزها أبوها بألف جارية وألف عبد وألف بعير وألف بغلة ، فلما دخلت مصر وتزوجها الملك بكت بكاءً شديداً ، وسترت وجهها وقالت : للخادم ليس هو الذى رأيته فى المنام فقالت لها الجارية اصبرى فلما رآها الملك افتتن بها وكان إذا أراد النوم معها مثل الله له جنية فى صورتها وحفظها ليوسف ، فلما اجتمع بها وجدها بكراً كما حفظ آسية بنت مزاحم- رضى الله عنه- من فرعون لأنها من زوجات النبى ﷺ فى الجنة ، فإن قيل : إذا كان اللّه تعالى حفظها من فرعون ، فما معنى قوله تعالى : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۝ ﴾ [التحريم: ٥] ، فإن المراد بالثيبات آسية وبالإبكار مريم على أحد الأقوال فالجواب أن المرأة تسمى ثيبًا إذا كانت متزوجة ، وإن لم توطأ ويجرى عليها أحكام الثيب ألا ترى أنه لو مات زوجها وجبت عليها العدة ومريم لم تزل بكارتها لأنها ولدت من سرتها .

حكاية : قال وهب بن منبه- رضى اللّه عنه- : مرض شاب من بنى إسرائيل فنذرت أمه إن شفى الله ولدها لتخرجن من الدنيا سبعة أيام فشفاه الله فحفرت قبراً ، وقالت : لولدها أحث علىّ التراب ثم بعد سبعة أيام أخرجنى منه فلما حثا عليها التراب وجدت فيها بابًا إلى بستان فدخلته فرأت فيه امرأتين على رأس إحداهما طير يروح بجناحيه عليها ، والأخرى على رأسها طير ينقرها ، فقالت : للأولى بم نلت هذا قالت : خرجت من الدنيا وزوجى راض عنى ، وقالت : للأخرى بم نلت هذا قالت : خرجت من الدنيا وزوجى ساخط علىّ فإذا رجعت إلى الدنيا فاسأليه العفو عنى فبعد سبعة أيام أخرجها ولدها فأخبرت زوج المرأة فعفا عنها ، ثم رأتها بعد ذلك فى المنام ، فقالت لها : جزاك الله خيراً قد نجوت من العذاب .

حكاية : مات رجل من بنى إسرائيل وخلف امرأة وثلاث بنات فلما انقضت عدتها تزوجت فلما كان قبل الدخول بليلة رأت زوجها الأول مهمومًا فى المنام فسألته ، وقالت : ما نسيتك ، فقال : لها لو لم يقع النسيان لما تزوجت بفلان فلما أصبحت أخبرت نبى ذلك الزمان عليه الصلاة والسلام ، وقالت : يا نبى الله اسأل فلانًا أن يطلقنى فطلقها فأوحى الله إليه قل للمرأة لما عاملت زوجها بالوفاء غفرنا ما كان بيننا وبينها من الجفاء وأعطيناها بكل شعرة على بدنها جارية تخدمها ويجمع الله بينها وبين زوجها فى الجنة .

فائدة : قال معاذ بن جبل : صلاة من متزوج أفضل من أربعين صلاة من غيره ، وقال ابن عباس : تزوجوا فإن يومًا مع المتزوج خير من عبادة ألف عام ، وقال النبى ﷺ لبعض أصحابه ألك زوجة قال : لا . قال : ولا جارية قال : لا . قال : وأنت موسر بخير ، قال : وأنا موسر بخير قال : أنت من إخوان الشياطين لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم ، إن من سنتنا النكاح شراركم عزّابكم وأراذل موتاكم عزابكم .

موعظتان : قال النبى ﷺ لبعض أصحابه : «تزوج ولا تطلق فإن الله يبغض الذواقين والذواقات» وعن أبى هريرة - رضى اللّه عنه-عن النبى ﷺ من عمل فى فرقة بين امرأة وزوجها ، كان عليه لعنة الله فى الدنيا والآخرة وحرم عليه النظر إلى وجهه ، وعن أبى أيوب الأنصارى عن النبى ﷺ قال : «من فرق بين امرأة وزوجها فرق الله بينه وبين الجنة يوم القيامة» وسيأتى فى باب الخوف : أن الطلاق قد يجب وقد يستحب ، وقد يكره وقد يحرم ، والله أعلم .

حكاية : عن جعفر بن محمد الصادق قال : كان فى بنى إسرائيل رجل صالح وله امرأة جميلة فرآها شاب فعشقته وصنعت له مفتاحًا يدخل عليها متى شاء ، فقال زوجها فى بعض الأيام : قد أنكرت حالك فلابد أن تحلفى لى على عدم الخيانة قالت : نعم فلما خرج من عندها ودخل الشاب أخبرته بذلك ، فقال : كيف الخلاص قالت : ألبس ثياب المكارى وخذ حماراً وقف على باب المدينة فلما جاء زوجها وطلبها أن يحلفها على جبل معظم عندهم يحلفون عنده فخرجت معه فلما رأت المكارى ، قالت : لابد من ركوبى مع هذا فأركبها فلما صعدوا على الجبل ألقت نفسها على الحمار فانكشف شىء من بدنها ، ثم قالت : واللّه ما رآنى غير هذا فاضطرب الجبل من تحتهم اضطرابًا شديدًا فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ [إبراهيم : ٤٦] ، وعن عمار بن ياسر - رضى اللّه عنه-عن النبى ﷺ أيما امرأة خانت زوجها عليها نصف عذاب هذه الأمة ، وسيأتى على هذا زيادة فى المعراج إن شاء الله تعالى .

حكاية : كانت امرأة نوح - عليه السلام- تخونه بأن تأمر الناس بعدم اتباعه ، وامرأة لوط تخونه أيضًا بأن تخبر قومه بالملائكة فلما أن أتوا إليه فى صورة شبان مردان ، قيل : كيف جاز أن تكون امرأة النبى كافرة لا زانية فالجواب أن الأنبياء - عليه السلام- بعثهم الله إلى الكفار ليدعوهم ويبشروهم فوجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم والزنا من أعظم المنفرات بخلاف الكفر فلا يرونه عاراً ، قال العلائى : فى سورة هود إن جبريل وميكائيل وإسرافيل دخلوا على لوط فى صورة حسنة فذهبت زوجته وأخبرت قومه فجاؤوه يهرعون أى يسعون فخاف على الملائكة لأنه لم يعرفهم وضاق بهم ذرعًا أى ضاق صدره كما أن البعير إذا كان حمله خفيفا طال باعه ، وإن كان ثقيلاً ضاق باعه فقال لوط : هذا يوم عصيب أى شديد قال الله تعالى : للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما دخلوا عليه كالضيوف قال لوط : ما بلغكم أمر هذه القرية قالوا : وما أمرها قال : أشهد بالله أنها شر قرية فى الأرض عملاً قال هذا أربع مرات وكل مرة يقول جبريل لمن معه من الملائكة : اشهدوا ثم قال لوط : يا قوم هؤلاء بناتى يعنى أزوجكم بهن ، وقيل أراد بالبنات نساءهم لأن النبى كالأب لقومه ، قال العلائى : وهو الصحيح فقالت : الملائكة إنا رسل ربك ففتح الباب فوضع جبريل يده على أبصارهم فانطمست وعلى أيديهم فيبست ، فرجعوا وهم يقولون : يا لوط اصبر حتى يطلع الصبح ، فقال تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ

امْــرَأَتَكَ ﴾ [هــود: ٨١] الاستثناء فإنه مصيبها ما أصابهم فقال لوط : متى يأتيهم العذاب قال : إن موعدهم الصبح قال : ﴿ **أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ** (٨١) ﴾ [هـود: ٨١] فلما خرج لوط وأخذ أهله قال : لا يلتفت منكم أحد فلما سمعوا صوت العذاب التفتت امرأته، وقالت: واقوماه فصارت حجرًا فأمر الله تعالى جبريل فرفع مدائن لوط وهى خمسة على جناحه حتى سمعت الملائكة صياح الديكة ونهيق الحمير ولم ينتبه لهم نائم ولم يتكسر لهم إناء فجعل عاليها سافلها ، ثم أرسل عليهم حجارة من سجيل، قيل : هو جبل فى السماء ، وقيل : بحر بين السماء والأرض

موعظة : مر سيدنا عيسى- عليه السلام- فى أرض نارًا واشتعل على الصبى، فتعجب من ذلك فدعا الله تعالى فأنطق الله له الرجل فقال : يا نبى الله إنى كنت أفعل الفاحشة بهذا الصبى فجعلنى الله نارًا اشتعل عليه تارة ثم يردنى إلى حالى أولاً ، ويجعل الصبى نارًا يشتعل علىّ تارة إلى يوم القيامة، وقال ابن عباس - رضى اللَّه عنهما- : إذا ركب الذكر على الذكر هرب الشيطان خوفًا من اللعنة أن تصيبه ، وقال ﷺ : « **ملعون معلون ملعون من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط**» وعن النبى ﷺ: «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث فى قبره إلا ساعة واحدة ثم يبعث الله إليه ملكًا يشبه الخطاف فيخطفه برجليه ويطرحه فى قوم لوط ويكتب على جبينه آيس من رحمة اللَّه»، وعنه ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رؤوس فيقول الله تعالى : لهم من أنتم فيقولون : نحن المظلومون فيقول : ومن ظلمكم ؟ فيقولون آباؤنا كانوا يأتون الذكران من العالمين فألقونا فى الأديان، فيقول الله تعالى : سوقوهم إلى النار واكتبوا على وجوههم آيسين من رحمة الله» .

مسألة : حد اللواط كحد الزنا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لو رأينا رجلاً يزنى بامرأة ورجلاً يلوط بصبى ولم نقدر إلا على دفع واحد دفعنا الذى يلوط بالصبى، ولو قال: يا لوطى فالصواب أنه صريح فى القذف كما جزم به صاحب التنبيه فيجب الحد إن قاله المحصن: وهو البالغ العاقل الحر المسلم الذى غيب حشفته بقبل فى نكاح صحيح وهو عفيف عن وطء يحد به ولو فى الدبر لكن قال البغوى : إذا وطئ فى الدبر تبطل حصانة الفاعل فقط، لأن الإحصان لا يحصل بالوطء فيه، فلذلك لا تبطل به الحصانة قال الرافعى : ورأى إبطال حصانتهما لوجوب الحد عليها

حكاية : قال الحارث : خرجت بأصحابى إلى النزهة فرجع واحد منهم فتبعه كلب من كلابنا فدخل الرجل على زوجة الحارث وأوقع الفاحشة بها ، فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث وجدهما ميتين فأنشد فيهما :

فيا عجبًا للخلّ يهتك حرمتى ويا عجبًا للكلب كيف يصون

قال نوح - عليه السلام- : يا رب أمرتنى أن أصنع السفينة فما أصنعه نهارًا يفسده قومى ليلاً ، فقال : اتخذ كلبًا يحرسك فاتخذه فإذا جاءوا ليفسدوا عمله صاح عليهم فيستيقظ نوح - عليه

السلام- فيطردهم، فهو أول من اتخذ الكلب للحراسة، قال: بعض العلماء سبب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة أو كلب لأن الصور فيها مشابهة لخلق الله تعالى والكلب لكثرة أكله النجاسات وقبح رائحته ولأن بعضها يسمى شيطانًا وهو الأسود، فلا يحل صيده وإذا مر بين يدى المصلى بطلت صلاته عند الإمام أحمد بن حنبل .

قال مؤلفه - رحمه اللَّه تعالى- : ينبغى أن يقال : سبب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب لأنه خلق من ريق الشيطان، وذلك أن إبليس لعنه الله بزق على آدم وهو طين فكشطته الملائكة فصار موضع السرة من بنى آدم فخلق الله من التراب الذى أصابه ريق إبليس الكلب ذكره فى العقائق والملائكة والشياطين لا يجتمعان.

عجيبة : إذا ذبح الكلب طهر لحمه وجلده عند أبى حنيفة - رضى اللَّه عنه- .

مسألة : لو كان معه شاة وكلب جائع غير عقور وجب ذبحها للكلب ، إن لم يجد غيرها ولا يحل قتل غير العقور .

لطيفة : قال رجل لابن سيرين- رضى اللَّه عنه- : رأيت فى المنام كأنى أخطب فلانة وهى امرأة سوداء قصيرة ، فقال: اذهب إليها وتزوج بها فإن مالها كثير وعمرها قصير فتزوجها ففى تلك الليل ماتت فورث منها مالاً كثيرًا .

حكاية : جاء صياد بسمكة إلى بعض الملوك فأعطاه أربعة آلاف درهم، فقالت : زوجته أسرفت فقال: كيف آخذها منه فقالت: قل له السمكة ذكر أم أنثى فإن ذكر نوعًا فقل له أريد ضده فسأله عن ذلك فقال: الصياد لا ذكر ولا أنثى بل خنثى فضحك الملك وأعطاه أربعة آلاف درهم فلما أخذها سقط منه درهم فأخذها سريعًا ، فقالت: زوجته إنه بخيل لا يستحق من ذلك شيئًا ، فسأله عن سبب ذلك فقال الصياد: لأن اسم الملك عليه فأعطاه أربعة آلاف آخرى، فنادى أن لا يسمع أحد رأى زوجته، وقال عمر- رضى اللَّه عنه-: خالفوا النساء فإن فى خلافهن البركة، وقال الحسن البصرى: من أطاع زوجته فيم تهوى أكبته فى النار، وقال على- رضى اللَّه عنه- : لا تطيعوا للنساء أمرًا ولا تدعوهن يدبرن أمرًا فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن فى خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن، اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فيهن ثلاث خصال من خصال اليهود يتظلمن وهن ظالمات ويحلفن وهن كاذبات ويتمنعن وهن راغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن ، وكونوا على حذر من خيارهن وعنه- رضى الله عنه- النبى ﷺ استعينوا على النساء بالعرى فإن المرأة إذا عريت لزمت بيتها. والله أعلم ، وعن المقدام قال : خطب النبى ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «إن الله تعالى : يوصيكم بالنساء خيرًا» كررها ثلاثة وعن أبى هريرة - رضى اللَّه عنه- قال النبى ﷺ : «استوصوا بالنساء خيرًا فإن المرأة خلقت من ضِلَع أعوج وإن أعوج شىء

فى الضلـع أعـلاه» ، لأن أعوج ما فيها أعلاها هو لسانها والضلع بكسر الضاد وفتح اللام وسكونها وعن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : «ذروا الحسناء العقيم وعليكم بالسوداء الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ من مشى فى تزويج امرأة لرجل ليجمع بينهما رزقه الله ألف امرأة من الحور العين ، وكان له بكل خطوة خطاها أو كلمة تكلم بها فى ذلك عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها .

فـائدة : عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : « إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها ألف حسنة وغفر لها ألف سيئة واستغفر لها كل شىء طلعت عليه الشمس ورفع لها ألف درجة» وقـالت عائشة : « صرير مغزل المرأة يعدل التكبير فى سبيل الله، والتكبير فى سبيل الله أثقل من السموات و الأرض ، وأيما امرأة كست زوجها من غزلها كان لها بكل لبسة على بدنه مائة ألف حسنة» وقـال أبو قتادة : صرير النساء وقراءة القرآن عند الله سواء جهاد النساء المغزل ، وقال النبى ﷺ : «أول مـا يوضع فى ميزان العبـد نفقته على أهله» وقـال ﷺ : «من اشترى لعياله شيئًا حمله بيده إليهم حط الله عنه ذنوب سبعين سنة» ، حمل النبى ﷺ شيئًا من السوق فأراد رجل أن يحمله فقال : صاحب الشىء أحق بحمله ، وعن أنس عن النبى ﷺ من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئًا فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه ، وفى حديث آخر من أفرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار ورأيت فى كتاب النورين فى إصلاح الدارين أن النبى ﷺ قال : «البيت الذى فيه البنات ينزل الله عليه كل يوم اثنتى عشرة رحمة من السماء ، ولا تنقطع زيارة الملائكة من ذلك البيت ويكتبون لأبويها كل يوم عبادة سنة» .

موعظة : قال النبى ﷺ : « من كان عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط».

مسألة : يجب العدل بين الزوجات فى النوم ليلاً ، فإذا كان عندها ليلاً لم يدخل فيه على الأخرى إلا لضرورة ، ولا تجب التسوية فى الإقامة نهاراً ولا فى الأكل الشرب والجماع .

حكـاية : كان ببغداد رجل متزوج بابنة عمه وكان قد عاهدها أن لا يتزوج عليها فجاءه فى بعض الأيام امرأة إلى دكانه وسألته أن يتزوج بها فأخبرها بعهده مع ابنة عمه فرضيت منه فى كل جمعة يومًا ، فتزوجها واستمر على تلك ثمانية أشهر فأنكرت عليه بنت عمه وأرسلت جاريتها لتنظر إلى أين يذهب فدخل بيتًا فسألت عنه الجيران فقالوا : قد تزوج فأخبرت الجارية سيدتها بذلك ، فقالت : لا تخبرى أحداً فلما مات الرجل أرسلت ابنة عمه جاريتها بخمسمائة دينار وقالت : اذهبى إلى زوجته وقولى : عظم الله أجرك فى فلان فإنه مات وترك ثمانية آلاف دينار ، سبعة لابنه وألف بينى وبينك فلما أخبرتها بذلك دفعت لها ورقة ، وقالت : ادفعيها إلى بنت عمه فإذا فيها براءة من الصداق ولم تأخذ منها شيئًا .

حكاية : قال عبد الله الواسطى : رأيت امرأة على عرفات وهى تقول : من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له فعلمت أنها ضالة : فقلت أيتها المرأة من أين أقبلت ، فقالت : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا** ﴾ [الإسراء: ١] فعلمت أنها من المقدس فقلت : ما الذى جاء بك قالت : ﴿ **لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [آل عمران: ٩٧] فقلت : ألك زوج قالت : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء: ٣٦] فقلت : أتركبين بعيرى قالت : ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ١٩٧] فلما أرادت الركوب قالت : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ [النور: ٣٠] فأعرضت عنها فلما ركبت قلت : ما اسمك قالت : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ** ﴾ [مريم: ١٦] فقلت لها ألك أولاد قالت : ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ** ﴾ [البقرة: ١٣٢] فعلمت أن لها أولادًا فقلت : ما أسماؤهم قالت : ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** (١٦٤) ﴾ [النساء: ١٦٤] ﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** (١٢٥) ﴾ [النساء: ١٢٥] ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ** ﴾ [ص: ٢٦] فقلت فى أى موضع أطلبهم قالت : ﴿ **وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** (١٦) ﴾ [النحل: ١٦] فعلمت أنهم أدلة الركب فقلت : يا مريم ألا تأكلين شيئًا قالت : ﴿ **إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا** ﴾ [مريم: ٢٦] فلما وصلنا إليهم ورأوها بكوا ، قالت : ﴿ **فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ** ﴾ الآية [الكهف: ١٩] ، فسألتهم عنها ، فقالوا : إنها ضلت منذ ثلاثة أيام وقد نذرت أن لا تتكلم إلا بالقرآن ثم بعد ذلك رأيتهم يبكون فسألتهم فقالوا : إنها فى النزع فدخلت عليها وسألتها عن حالها فقالت : ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ** ﴾ [ق: ١٩] فلما ماتت رأيتها تلك الليلة فى المنام فقلت : أين أنت؟ قالت : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ** (٥٤) **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** (٥٥) ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] – رضى اللّه عنها– وعن أمثالها وهم بحمد الله كثيرون وإنما ذكرت هؤلاء على سبيل التبرك .

موعظة : قال ابن مسعود : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول اللّه تعالى له : رددت أمانة فلان ، فيقول لا يارب فيقول : ردها اليوم فيقول : يا رب ذهبت الدنيا ولا شىء معى فيقول : أنا أدلك عليها ثم يقول لملك من الملائكة خذ بيده وانطلق به إلى جهنم وأره تلك الأمانة ، فيقول : له اهبط وأخرجها فيهوى فى النار سبعين عامًا ، فإذا صار على شفير جهنم تفلتت منه فيهبط إليها سبعين عامًا وهكذا حتى يريد اللّه تعالى .

حكاية : قيل أودع رجل رجلاً مالاً كثيرًا ثم سافر إلى مكان بعيد فلما قدم من سفره أراد أن يأخذ ماله ، فوجد الرجل الذى عنده المال قد مات وترك ولدًا فاسقًا قد ضيع أموال والده فى المعصية فخاف الرجل على ماله فسأله عنه ، فقال : إنه محفوظ فلما دفعه إليه قال : كيف حفظته قال : إن

ضيعت دينى فلا أضيع الأمانة فأعطاه ذلك المال وكان عدته خمسة آلاف دينار، فتاب عن المعاصى وبارك الله له فيه وكان ذلك ببركة حفظ الأمانة.

حكاية: قيل: كان بمكة رجل فقير وله زوجة صالحة فقالت: ليس عندنا شىء فخرج إلى الحرم، فوجد كيسًا فيه ألف دينار ففرح به فرحًا شديدًا وأخبر زوجته بذلك، فقالت: له لقطة الحرم لابد فيها من التعريف فخرج فسمع المنادى من وجد كيسًا فيه ألف دينار فقال: أنا وجدته فقال: هو لك ومعه تسعة آلاف دينار قال أتستهزئ بى، قال: لا والله ولكن أعطانى رجل من أهل العراق عشرة آلاف دينار وقال: اطرح منها ألفًا فى الحرم ثم ناد عليها، فإن ردها من وجدها فادفع الجميع إليه لأنه أمين والأمين يأكل ويتصدق فتكون صدقتنا مقبولة لأمانته.

لطيفة: قال بعض المفسرين: فى قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وهى الديك والغراب والطاووس والبط، وإنما خصهم بذلك لأن الخيانة وجدت عندهم، فالطاووس خان آدم، والبط قطع شجرة اليقطين عن يونس والديك خان إلياس لأنه سرق ثوبه، والغراب خان نوح لأنه اشتغل بالجيفة لما أرسله لينظر موضعًا خاليًا من الماء.

فائدة: لما خلق الله الجنة نادى مناد من يشترى دار اللقاء والبقاء، فقالت الملائكة: ما ثمنها؟ قال: بحمل الأمانة فقالوا: لا نحمل ثقلها، فقال آدم قد اشتريتها فقيل له أتحمل ثقلها، قال: بمعونتك وإن عجزت فبمشيئتك بك أستجير وأنت المجير، قال: صدقت أنا جار من استجار بى فلما وقع فى الذلة قال: يا رب أنت قلت أنا جار من استجار بى وقد استجرت بك فخذ بيدى فبشره جبريل بالتوبة.

حكاية: جاء بعضهم إلى ذى النون المصرى - رحمه الله تعالى - ليتعلم منه اسم الله الأعظم فأقام عنده سنة وستة أشهر، ثم أقسم عليه أن يعلمه فدفع إليه إناء عليه غطاء وقال اذهب به إلى فلان فذهب به ثم كشف الغطاء فى أثناء الطريق فوثبت من الإناء فأرة فغضب غضبًا شديدًا، ورجع إلى ذى النون المصرى وقال أتستهزئ بى فقال له: ائتمناك على فأرة فختنتا فيها فكيف أستأمنك على اسم الله الأعظم.

حكاية: خلق الله الأمانة على صورة صخرة فعرضها على السماوات والأرض عرض تخيير لا عرض إلزام فأشفقن منها، فقال آدم: لو أمرت بحملها لحملتها فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها ثم إلى وركيه، وهما عظما الورك ثم وضعها ثم حملها على عاتقه فلما أراد وضعها، قيل له مكانك فهى فى عنقك وعنق أولادك إلى يوم القيامة لأنك حملتها باختيارك وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - : الأمانة هى الصلاة والزكاة والحج والكيل والميزان وزاد غيره غسل الجنابة، لأن التستر عن غير الله تعالى فى الجميع ممكن، وقيل: الأمانة هى الفرج لأنه أول مخلوق من الإنسان والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة، وقال: بعض الصحابة جاء أعرابى إلى باب المسجد فنزل عن ناقته

ودخل صلى صلاة كاملة ودعا دعاء حسنًا ثم خرج فلم يجد الناقة فقال: يا رب أديت أمانتك فأين أمانتى فلم يمكث حتى جاء رجل وقد قطعت يده فسلم إليه الناقة فتعجبنا من ذلك ذكره النيسابورى فى سورة البقرة وحكاه العلائى فى آل عمران عن طاوس اليمانى التابعى، وأنه قال: يا رب فى ضمانك فلما خرج حرم الكعبة ولم يجدها قال: يا رب ما سرق إلا منك وإذا برجل نزل من جبل أبى قبيس قد قطعت يده وهو يقود الناقة قال طاووس: فسألناه ما سبب ذلك فقال: جاءنى رجل على فرس أشهب فقطع يدى وقال لى: رد الناقة، فإن قيل كيف حمل آدم الأمانة دون السماوات والأرض.

فالجواب: لأن آدم ذاق لذة الجنة فاشتاق إليها فحملها ليرجع إليها، وقيل: حملها لأن فيه قوة محمد ﷺ.

لطائف: الأولى: لما حمل المؤمن الأمانة حرم اللّٰه عليه النار، كما حرم اللّٰه على الحمار الأهلى الذبح والنار فى الدنيا لأنه حمل متاع المؤمن والكافر لما هرب من الأمانة سلط اللّٰه عليه القتل فى الدنيا والنار فى الآخرة كالحمار الوحشى لما هرب من المؤمن أباح اللّٰه ذبحه وأكله.

الثانية: إذا حملت الجارية من سيدها حرم اللّٰه بيعها وتحتم عتقها كذلك المؤمن لما حمل الأمانة امتنع بطريق التفضل والامتنان من اللّٰه تعذيبه.

الثالثة: لما ابتلع الحوت يونس قصد إليها صاحبها فقالت: اعتزل عنى فإن معى الأمانة فلا أضيعها لأجل الشهوة فعلى هذا يكون الحوت أنثى كنملة سليمان كما أجاب به أبو حنيفة لقوله تعالى نملة.

حكاية: رأيت فى عقائق الحقائق: أن اللّٰه تعالى عرض على آدم صور المخلوقين ليأنس بشىء منها، فاعرض عنهن لأنهن من غير الجنس فلما نام عرض اللّٰه عليه صورة حواء فمال قلبه إليها لأنها من جنسه، فلذلك جازت الرؤية قبل عقد النكاح للوجه والكفين فقط من الحرة، أما الأمة فينظر منها ما سوى ما بين السرة والركبة، ثم قال تعالى لها كونى فكانت من ضلعه الأيسر من غير أن يجد ألمًا ولو لا ذلك لم يعطف رجل على زوجته ثم أمر بالتقدم إلى آدم وقال زوجتك مصطفاى من خلقى، فلما انتبه من نومه ورآها أغمضت عينيها فقالت الملائكة لآدم: أتحبها يا آدم؟ قال: نعم ثم قالوا لها: أتحبينه؟ قالت: لا وفى قلبها أضعاف ما فى قلبه من المحبة قال: ولما خلق اللّٰه حواء كساها حسن ألف حوراء وأجلسها على سرير وعندها أربعة آلاف حوراء لو نظرت واحدة منهن إلى الدنيا لاستغنت بها عن الشمس والقمر، وهن عند حواء كالسراج عند الشمس فأراد آدم القرب منها فقيل له حتى تؤدى مهرها، قال: قد وهبتها كل شىء فى الجنة فقال: صداقها أكثر من ذلك قال: وما هو قال: أن تصلى على محمد ﷺ عشر صلوات، وقد قال: تقم فى باب الجمعة بأزيد وقيل أن اللّٰه تعالى قال له: وهبتك هذه الشجرة فاجعلها صداقها وقد أبحت لكما جميع ما فى الجنة لأنكما فى

دار ضيافتى وشجرة الحنطة الآن صداق زوجتك فلا تأكلا من معلومكما فى دار ضيافتى شيئًا، فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما ولم تبد لغيرهما ولو بدت لغيرهما لقيل وبدت منهما، وهبط آدم بالهند وحواء بجدة فبكى بكاء شديدًا فسأله جبريل عن بكائه، فقال: دلنى على حواء هل هى بالحياة قال: نعم وهى أصلح منك حالاً تأكل كل يوم سمكة قال: هل عندها منى خبر قال: لا ولكن حفظها اللّه لأجلك ثم اشتد به الجوع فنسى حواء فجاءه جبريل بثورين أحمرين وثلاث حبات من الحنطة، وقال لك حبتان ولحواء واحدة فصار للذكر مثل حظ الأنثيين كل حبة وزنها ألف درهم وثمانمائة درهم فزرع وحصد وطحن وخبز فى أربع ساعات فلما أكل وشبع نام فرآها فى نومه، فقالت: يا آدم أنت نائم أم يقظان فاستيقظ آدم وقد زاد بكاؤه وأنشد لسان حاله، وقال:

كتبت كتابًا لــو قــدرت صــبابة ... لصرت لفرط الشوق فى طيه نشرًا
وما بى من الشوق المبرح نحــوكم ... يَجِلُّ لعمرى أن أحُدَّ له قــــدرًا
عــلى أننى مـــن كل أرض بعيدة ... أزوركم ليلاً وأهجركم فجــــرًا
ومع ذا وذا قلبى لفرط اشــــتياقه ... يزيد بذكراكم على حره حــــرًّا
أبيت قـرير العين أرعـــى خيالكم ... ويصبح كفى من لقائكمو صــفرًا
إذا اشتاقت النفس المشوقة نحوكم ... تطوف بمغناكم فتلمحكم شـــذرًا
فتحظى بوصل منكمو فـــى منامها ... فيا ليت ذاك النوم دام لها شــــهرًا

فقال له جبريل: أبشر فما أراك اللّه إياها فى المنام إلا وقد قرب الاجتماع، قال الثعلبى- رضى اللّه عنه-: فرق اللّه بينهما مائة عام كل عام منهما يطلب فلما تقاربا من مكان سمى مزدلفة، فلما اجتمعا وتعارفا فى مكان سمى عرفات، وتمنيا الخير فى مكان سمى منى.

فصل: فى الزراعة وبيان قوله ﷺ خلقتم من سبع ورزقتم من سبع

عن أنس- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ قال: **«ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»** وعن أبى أيوب الأنصارى- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ: **«من غرس للّه غرسًا أعطاه من الأجر عدد ما يخرج من ذلك الغرس»** وعن جابر بن عبد اللّه عن النبى ﷺ: **«ما من مسلم يزرع زرعًا يأكل منه سبع أو طير أو إنس أو جان إلا كان له صدقة»**.

فائدة: قال جابر بن عبد اللّه- رضى اللّه عنهما-: من غرس غرسًا يوم الأربعاء، فقال: سبحان الوارث الباعث أتته بأكلها.

حكاية: مر بعض الملوك على شيخ كبير يغرس غرسًا فقال له: أنت تؤمل أن تأكل منه؟ قال:

زرعوا لنا فأكلنا ونزرع لهم فيأكلون. فأعطاه ألفًا، فضحك الشيخ، فسأله عن ذلك فقال: عجبت من سرعة ثمرة هذا الغراس فأعطاه ألفًا أخرى فضحك فسأله فقال: الغراس يحمل مرة فى العام وغراسى هذا حمل مرتين فأعطاه ألفًا أخرى وتركه. قال عبدالله بن سلام: لا تدع غراس أرضك وإن خرج الدجال، وقيل لعثمان بن عفان- رضى الله عنه- أتغرس بعد الكبر؟ فقال: لأن تقوم الساعة وأنا من المصلحين خير من أن توافينى وأنا من المفسدين.

فوائد: الأولى: نقل العلائى فى سورة يوسف أن الله تعالى أنزل على موسى ما من فدان يزرع إلا والله تعالى ينزل عليه ألف ملك يباركون فى نباته، فإذا استوى أنزل الله ثلاثة آلاف يباركون فى شطئه أى فى الذى يتفرع منه فإذا آن حصاده أنزل الله ستة آلاف ملك يباركون فى حبه ويهللون رب العزة ويكبرونه، ولن يأكل منه شىء حتى ينزل عشرة آلاف ملك يباركون فى أكله.

الثانية: أنزل الله على داود- عليه السلام- فى الزبور إنى أنا الله رب كل شىء خلقت الدنيا وجعلت قوامها القمح والشعير ولم أخلق شيئًا أعز على منهما، فمن أفسد منهما شيئًا فقد برئت منه ذمتى، قال عبد الله بن سلام: خلق الله القمح والشعير وجعلها رأس كل بركة فيهما أمن الأرض أن تزول، وعن النبى ﷺ: «أكرموا الخبز فإن الله تعالى سخر من بركات السماء والأرض ولا تسندوا به القصعة فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع ومن يتبع ما سقط من السفرة غفر له»، ومن كراماته أن لا ينتظر به لإدام ووجد بعض الصحابة لقمة فأمر غلامه بحفظها فأخذها الغلام فأكلها، فقال: له أنت حر لوجه الله لأن من رفع لقمة وأماط عنها الأذى وأكلها لم تستقر فى جوفه حتى يغفر الله له وأنا أكره استخدام عبدًا غفر الله له.

الثالثة: أنزل الله على إبراهيم خلقت القمح والشعير وخلقت فيهما النفع كله فحذر قومك فساده فإن فساده يرفع الغيث عن العباد.

الرابعة: أول صناعة عملت على وجه الأرض صناعة الحرث وأول من حرث آدم ثم أدركه التعب فى آخر النهار، فقال لحواء: ازرعى ما بقى فصار زرعها شعيراً فتعجب من ذلك فأوحى الله إلى آدم لما أطاعت العدو بدلت لها القمح بالشعير، قال كعب الأحبار- رضى الله عنه- : كانت الحبة فى عهد آدم كبيض النعام.

الخامسة: نقل أبو نعيم فى الطب النبوى عن حذيفة- رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: «أطعمنى جبريل الهريسة أشد بها ظهرى لقيام الليل»، ورأيت فى كتاب العجائب أن الإكثار من أكل الفطير يورث أمراضًا مختلفة ودواؤه أكل الزنجبيل بعده أو الثوم.

السادسة: اختلفوا هل زراعة الحنطة مقدمة على غيرها مقدم عليها، فقال: بعضهم بالأول لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [النبأ: ١٤]، يعنى السحاب ﴿مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ: ١٤]،

أى منصبًا متتابعًا ﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا ﴾ [النبأ: ١٥]، وقال: بعضهم بالثانى، لقوله تعالى: ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) ﴾ [ق: ٩].

السابعة: قوله تعالى: ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) ﴾ [النبأ: ١٦]، يعنى بساتين ملتفًا بعضها على بعض، قال أبو نعيم: كان النبى ﷺ يحب من الفاكهة العنب وقال: غيره إنه يقوى البدن والقطوف بعد يومين انفع من المقطوف فى يومه، وأما الزبيب فإن أكله على الريق ينفع من علل كثيرة، وقال ﷺ: «**نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفئ الغضب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفى اللون**» والوصب المرض والنكهة هى رائحة الفم وفى حديث آخر «عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرة ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم» ورأيت فى كتاب شرعه الإسلام الهادى إلى دار السلام أن الشيطان يغضب من أكل العنب مع الزبيب وأكل الجوز واللوز الأخضرين مع يابسهما.

الثامنة: عن أبى هريرة - رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ: «ما للنفساء عندى شفاء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل»، وقال ﷺ: «أطعموا نسائكم فى نفاسهن التمر، فإنه من كان طعامها فى نفاسها التمر خرج ولدها حليمًا فإنه كان طعام مريم حين ولدت ولو علم اللَّه طعامًا خيراً لها من التمر لأطعمها إياه» وقال ﷺ: «أكل التمر أمان من الفالج».

التاسعة: عن أبى هريرة - رضى اللَّه عنه- أنه قال: أهدى للنبى ﷺ طبق فيه تين فأكل وقال: لأصحابه كلوا فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت: هو التين كلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس وذكر فى العجائب أن أكل يابسه على الريق فيه منفعة عظيمة، وقال ﷺ: «عليكم بأكل البلس فإنه يقطع عرق الجذام ألا وهو التين».

العاشرة: عن عقبة بن عامر قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «عليكم بهذه الشجرة المباركة وهى الزيتون، فتداووا به مصحة للبواسير» وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإن فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام**»، وقال الذهبى: الادهان بالزيت يقوى الشعر والأعضاء ويبطئ الشيب وشربه ينفع من السموم وهو ترياق الفقراء.

فصل: فى قوله ﷺ خلقتم من سبع

يعنى من سلالة وهى النطفة تسل من الظهر سلا من طين أى من مخلوق من طين وهو آدم، قال اللَّه تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ [المؤمنون: ١٤]، أى جعلنا النطفة البيضاء علقة حمراء وهى دم جامد، ثم جعلنا الدم قطعة لحم على قدر ما يمضغه الآكل، ثم قسم أجزاء النطفة إلى عظام وأعصاب وعروق ولحم قال عمرو بن العاص: إذا مكثت النطفة فى بطن الأم أربعين يومًا رفعها ملك إلى اللَّه، وقال: أخلق يا أحسن الخالقين فيقضى اللَّه فيها ما شاء ثم تدفع

إلى الملك، فيقول: يا رب سقط أم تمام فيبين له ثم يقول: يا رب أواحد أم توأمان فيبين له، فيقول: يا رب طويل الأجل أم قصير فيبين له، ثم يقول: يا رب ذكر أو أنثى فيبين له، ثم يقول: يا رب أشقى أما سعيد فيبين له ثم يقول: اقطع رزقه أى قدره فيقدر له رزقه أى قدره فيقدر له رزقه قدر أجله ثم يرجع به إلى بطن أمه قال القرطبى: فى قوله تعالى: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]، أى مختلط قال ابن عباس: العظم والعصب والقوة من الرجل والدم واللحم والشعر من المرأة قال القاضى أبو بكر بن العربى: إذا خرج ماء الرجل أولاً و كان أكثر كان الولد ذكراً بحكم السبق ويشبه أعمامه بحكم الكثرة، وإن خرج من المرأة أولاً وكان أكثر كان الولد أنثى بحكم السبق ويشبه أخواله بحكم الكثرة، وإن خرج ماء الرجل أولاً ولكن كان ماء المرأة أكثر كان الولد ذكراً للسبق ويشبه أخواله لكثرة ماء المرأة، وإن خرج ماء المرأة أولاً ولكن ماء الرجل أكثر كان أنثى لسبق ماء المرأة وتشبه أعمامها لكثرة ماء الرجل.

فائدة: حسن لون الحامل يدل على الذكور، وكذا الثقل فى الجانب الأيمن وكبر حلمة الثدى الأيمن، وغلظ الحليب يدل عليه أيضًا فإن اشتبه فخذ منه شيئًا يسيراً وأجعله على مرآة برفق واجعله فى الشمس، فإن انبسط الحليب فأنثى وإلا فذكر والله أعلم، ثم ركب اللحم على العظم وجعل العظام قوية صلبة من نطفة ضعيفة وجعلها قوامًا للبدن ثم قدرها إلى صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق، ولما كان العبد محتاجًا إلى الحركة لم يجعلها عظمًا واحداً بل جعلها عظامًا كثيرة وهى مائتا عظم وثمانية وأربعون عظمًا فى الرأس منها خمسة وخمسون مختلفة الأشكال فألف بعضها إلى بعض حتى صار الرأس مدوراً فمنها ستة للفخذ وأربعة عشر للحى الأعلى واثنان للأسفل، والبقية هى الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع ثم ركب الرقبة من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها زيادات ونقصان لينطبق بعضها على بعض حتى صارت كالكرسى تحت الرأس وركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظام الفخذ من أربع وعشرين خرزة، ثم خلق فى الإنسان خمسمائة وعشرين عضلة مركبة من لحم وعصب وأغشية فأربعة وعشرين منها لتحريك حدقة العين، وهى مركبة من سبع طبقات لو فقدت طبقة لتعطلت العين من النظر وأظهر فى مقدار عدسة منها السماوات مع اتساعها، وبعد أقطارها وزينها بالأجفان لتحفظها وتصقلها ولم يجعل شعر الجفن أبيض لأنه يضعف البصر ثم شق الآذان وأودعها مآمر الحفظ وسمعها ودفع الهوام عنها وجعل فيها تجويفات واعوجاجات حتى لا يدخل الهوام إليها سريعًا، بل ينتبه الإنسان من غفلته قبل وصول الهوام إلى موضع السمع، وهى أفضل من العين لأن الله تعالى لم يبعث رسولاً أصم، والله أعلم.

لطيفة: قال الإمام أحمد: وطء الحامل يزيد فى سمع الجنين وبصره ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله وأودعه حاسة الشم ليدرك به غذاء القلب وهو الهواء وغذاء البدن وهو روائح الأطعمة فتح الفم وزينه بالأسنان وأحسن صفوفها وبيض ألوانها وأودع فيه اللسان ناطقًا ومترجمًا

عما فى القلب وحوطه بالشفتين حفظًا للطعام والكلام، ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال فى الضيق والسعة والطول والقصر والخشونة والملاحة فاختلفت الأصوات بذلك فلا يشبه صوت صوتًا وتميز بعض الناس عن بعض بالصوت فى الظلمة، ثم خلق اليدين لتمتد إلى المقاصد وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس كل أصبع بثلاثة أنامل ووضع الأربع فى جانب والإبهام فى جانب ليدور على جميع الأصابع فإن بسطها وضم الأصابع كانت مجوفة ثم زينها بالأظافر للحك ولأخذ الشيء الرقيق الذى لا تمسكه الأنامل، ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدور وعظام الكتف وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين وجعل عروقهما متصلة ولكل عضو عضلات بحسب احتياجه إليها، وجعل البطن جامعًا لآلات الأكل والشرب كالأمعاء والكبد والمعدة والطحال والمرارة والكلية والمثانة فالمعدة لطبخ الطعام والكبد يحيله دمًا والطحال يأخذ منه السوداء والمرارة تأخذ منه الصفراء والكلية تأخذ منه المائية إلى المثانة، وهى مكان البول، فإذا دمًا خالصًا أخذته العروق إلى سائر البدن ثم لكل عضو من هذه الأعضاء ملك يديره ويصلح أمره كما أن البر لا يصير طحينًا وعجينًا وخبزًا إلا بالصناع كذلك الغذاء لا يصير دمًا ولحمًا إلا بالصناع وهم الملائكة يصلحون الغذاء فى باطنك وأنت فى الغفلة ومددهم من ملائكة السماء ومددهم من حملة العرش ومدد الجميع من اللَّه تعالى ثم غذاه فى بطن أمه بدم الحيض ثم سهل له الطريق وألهمه بالخروج، ثم غذاه بلبن أمه حارًا فى الشتاء باردًا فى الصيف وألهمه مص الثديين وجعل حملة الثدى على قد فمه وفتح له فى الحلمة ثقبًا ضيقًا لا يخرج اللبن منه إلا بالمص، فإذا تم له عامان لم يغنه اللبن بل يضره، فيحتاج إلى الطعام والطعام يحتاج إلى المضغ والطحن والقطع وأنبت له اثنين وثلاثين سنًا عند الحاجة، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ثم رزقه التمييز والعقل حتى تكامل فصار مراهقًا ثم شابًا ثم كهلاً ثم شيخًا إما شاكرًا وإما كفورًا.

واعلم أن اللَّه تعالى خلق الآدمى من ماء وتراب ونار وهواء فالبصر من النار والسمع من الهواء والشم من الماء والذوق من التراب وجعل فى المولود اثنى عشر منفذًا بعد البروج سبعة منها فى الرأس والفم والمنخران والعينان والأذنان، وخمسة فى البدن الثديان والسرة والقبل والدُّبر وخلق سبعة أفلاك وخلق فى الولد سبعة أعضاء فلا يصح السجود إلا عليها وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان، وفى الفلك سبعة أنجم وفى الولد سبعة ألطاف السمع والبصر والذوق والشم والنطق والعقل واللمس وحركاته كحركات الكواكب وولادته كطلوعه وموته كغروبه وهذا باعتبار العالم العلوى، وأما السفلى فجسده كالأرض وعظمه كالجبال ومخه كالمعادن وعروقه كالأنهار ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ووجهه كالمشرق وظهره كالمغرب ويمينه كالجنوب وشماله كالشمال ونفسه كالريح وكلامه كالرعد وضحكه كالبرق وبكاؤه كالمطر وغضبه كالسحاب وعرقه كالسيل ونومه كالموت وسهره كالخيال وأيام صباه كالربيع وشبابه كالصيف وكهولته كالخريف وشيوخته كالشتاء وخلق اللَّه الشمس ضياء والقمر نورًا والليل ظلمة والهواء لطافة والجبال كثافة والماء رقة

فجعل الضياء حظ الحور العين والنور حظ الملائكة والظلمة حظ الزبانية واللطافة حظ الجن والكثافة حظ التراب، والرقة حظ الشياطين ثم جمع ذلك فى بنى آدم فجعل الضياء حظ الوجه والنور حظ العينين والظلمة حظ الشعر واللطافة حظ الروح والكثافة حظ العظم، والرقة حظ الدماغ فلما جمع بين المتضادين فى صورة واحدة مدح نفسه بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ [المؤمنون: ١٤]

فوائد لعلاج البدن: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عباد اللَّه تداووا فإن اللَّه تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء**».

الأول: عن أبى هريرة - رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ: «من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه ومن لاحى الرجال ذهبت كرامته وسقطت مروءته». لاَحَى أى ضارب وخاصم.

الثانية: احتجم النبى ﷺ من وجع كان برأسه وكان ﷺ إذا أصابه وجع الصداع خضب رأسه بالحناء، وسيأتى منافع الحناء فى باب العدل واجتناب الظلم، ومما ينفع من الصداع بزر قطونا مع الخل يضمد به الرأس وكذلك شم المسك أو ماء الورد أو أكل الخيار أو القثاء وشمهما أو لطخ الرأس بالسدر أو الخل والنزلة ينفعها شم الكمون إذا عجن بالخل والنخالة إذا طحنت ووضعت على حجر الرحى إذا أحمى على النار ورش عليه الخل، ويلتقى بخاره نفع الرأس نفعًا جيدًا، وقال النبى ﷺ: «**ما مررت بملأ من الملائكة ليلة المعراج إلا قالوا: مر أمتك بالحجامة ولا جاءه من يشكو وجعًا فى رجليه إلا أمره بالحناء فيهما**».

الثالثة: وجع الأذن يزيله عصارة السدب مع قشور الرمان إذا وضع على النار وقطر فى الأذن أو قطر فى الأذن دهن لوز مر أو عصارة النعناع مع العسل ينفع.

الرابعة: العين إذا حصل لها مرض غير الرمد يزيله الزعفران إذا خلط بلبن المرأة واكتحل به أو ضمد الجبهة بقشور البطيخ الأصفر أو قشور الجوز الأخضر إذا جف سحق ووضع على مقدم الرأس، قال أبو سعيد الخدرى: دواء العين ترك مسها وقد داوى النبى ﷺ الرمد ومما يقوى البصر أكل السداب وقد تقدم عاشوراء زيارة.

الخامس: عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ «لا تكرهوا أربعة لأربعة لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عروق الفالج ولا تكرهوا الدماميل فإنها تقطع عروق البرص»، وقال ﷺ: «**الشعر الذى فى الأنف والأذنين أمان من الجذام**» وقال النبى ﷺ: «لا تنتفوا الشعر الذى يكون تحت الأنف فإنه يورث الآكلة ولكن قصوه قصًا ومما ينفع مع السعال أكل الملوخية أو أكل البندق أو شرب المصطكى، وأيضًا سعال الصبيان ينفعه أكل الكمون بالعسل».

السادسة: إذا وضع صمغ الزيتون على ضرس أزال وجعه أو الملح أو الفلفل ومما يسهل طلوع

أسنان الصغير دلك اللثة بشحم الدجاج أو زبد البقر وقد تقدم قريبًا أن السفرجل ينفع الصدور، وقال عبد اللَّه بن رواحة: أصابنى وجع الصدر فشكوت ذلك لرسول اللَّه ﷺ فقال: «ادن منى فوالذى نفسى بيده لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن إلا كشف اللَّه كربته» ثم وضع يده على صدرى وقال: «اللهم أذهب عنه ما يجد واشفه بدعوة محمد ﷺ فشفاه اللَّه فى الحال».

السابعة: المغص يزيله شرب الخرنوب إذا دق وطبخ على النار أو أكل قشور الكمون، أو طبخ قشور النارنج وأكلها وقال أنس- رضى اللَّه عنه- : قال النبى ﷺ: «**عليك بالسنا والسنون فإن فيهما شفاء من كل داء**» قال أبو النعيم: السنون هو الكمون وقال أنس- رضى اللَّه عنه- : انطق اللَّه شجرة الزعتر فقالت: يا رسول اللَّه خذنى فو الذى بعثك بالحق ما أنزل اللَّه داء إلا وفى منه دواء، وقال ﷺ: «لو علمت أمتى ما فى الحلبة لا شتروها ولو بوزنها ذهبًا».

الثامنة: قالت عائشة: قال النبى ﷺ: «الخاصرة عرق الكلية إذا تحرك أذى صاحبه ودواؤه الماء المحرك بالعسل».

التاسعة: الطحال، ذكر أبو نعيم أنه يؤخذ سام أبرص ويعلق على موضع الطحال فكلما جف الطحال ويطرحه عند الصلاة إذا صلى ومما ينفع له أيضًا شرب الزعفران وعصارة السلق أو شرب المصطكى وكذا شرب ماء حب الرشاد بالعسل.

العاشرة: جاء فى الحديث: «إذا طاب قلب المرء طاب جسده وإذا خبث خبث الجسد».

الحادية عشرة: عن على بن أبى طالب عن النبى ﷺ: «خير الدواء الحجامة والفصادة» وقال ﷺ: «**الحبة السوداء فيها شفاء من كل داء إلا الموت**»، واللَّه أعلم.

باب: الخوف

قال اللَّه تعالى: ﴿**فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (١٣)﴾ [التوبة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ**﴾ [الفرقان: ٥٣]، أى بحر الرجاء وبحر الخوف فى قلب المؤمن وقال النبى ﷺ: «لا يلج أحد يبكى من خشية اللَّه حتى يعود اللبن فى الضرع» وقال ﷺ: «دمعة العاصى تطفئ غضب الرب» وعن ابن عباس وأبى هريرة قالا: قال ﷺ: «من ذرفت عيناه من خشية اللَّه، كان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل أحد فى ميزانه وله بكل قطرة عين فى الجنة على حافتيها من المدائن والقصور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فإن قيل قد بكى إبليس فما أفاده بكاؤه.

فالجواب: أنه قال: دمعة العاصى وما قال: دمعة الكافر فالمعاصى سموم والدمعة ترياقها نعم، جاء فى الحديث عن النبى ﷺ قال: «إن من أخيار أمتى قومًا يضحكون جهرًا من سعة رحمة اللَّه ويبكون سرًا من خوف عقابه أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء وأرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة».

فائدة: عن عائشة، عن النبى ﷺ قال: «**إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه اللَّه بالحزن فيكفرها عنه**» ورؤى بعضهم فى المنام فقيل له ما الذى رأيت قال: رأيت درجة أرفع من درجة المحزونين وقال أبو البسطامى: بكى شعيب - عليه السلام- حتى عمى فرد اللَّه بصره ثم بكى أيضًا فأوحى اللَّه إليه وهو أعلم إن كان بكاؤك خوفًا من النار أمناك منها، وإن كان بكاؤك شوقًا للجنة فقد أوجبناها لك فقال: يا رب لا لهذا ولا لهذا وإنما أبكى شوقًا إليك فأوحى إليه فابك فما لهذا الداء دواء إلا البكاء.

موعظة: رأى إسرافيل - عليه السلام- فى اللوح المحفوظ أن عبدًا يعبد ربه ثمانين ألف عام، ثم يرد اللَّه عليه عبادته ويلعنه فبكى إسرافيل خوفًا أن يكون هو ذلك العبد فسألته الملائكة عن بكائه فأخبرهم بما رآه فى اللوح المحفوظ فبكوا جميعًا كل منهم يخاف أن يكون هو ذلك العبد، ثم قالوا: نذهب إلى عزرائيل فإنه مجاب الدعوة فيدعو لنا فأخبروه فقال: اللهم لا تغضب عليهم فدعا لهم ونسى نفسه لأنه لم يقل اللهم لا تغضب علينا، وقيل: إن إبليس رأى على باب الجنة مكتوبًا أن للَّه عبدًا من المقربين يأمره ربه بأمر فلا يمتثل أمره فقال: يا رب ائذن لى أن ألعنه فلعن نفسه بنفسه ألف عام وكان اسمه فى سماء الدنيا العابد وفى الثانية الراكع وفى الثالثة الساجد وفى الرابعة الخاشع وفى الخامسة القانت وفى السادسة المجتهد وفى السابعة الزاهد ثم بعد ذلك سمى إبليس لأنه أبلس من رحمة اللَّه، وفى الإحياء قال عيسى - عليه السلام-: يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصى ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر وشكا نبى من الأنبياء الجوع والقمل والعرى سنتين فأوحى اللَّه إليه أما رضيت إن عصمت قلبك أن يكفر بى حتى تسألنى الدنيا فأخذ التراب وجعله على رأسه، وقال: رضيت يا رب فاعصمنى من الكفر.

حكاية: **قال إبليس:** يا رب أخرجتنى من الجنة لأجل آدم وإنى لا أقدر عليه إلا بتسليطك فقال: أنت مسلط عليه قال: زدنى قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله، قال: زدنى قال: صدورهم مساكن لكم قال: زدنى قال: اجلب عليهم أى صح بخيلك ورجلك فكل راكب وراجل فى معصية اللَّه فهو من خيله ورجله وشاركهم فى الأموال بإنفاقها فى المعصية والأولاد بعدم التسمية عند الجماع، وقيل هم أولاد الزنا قال آدم: يا رب قد سلطته على فلا أمتنع منه إلا بك، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من الملائكة، قال: زدنى قال: الحسنة بعشر أمثالها قال: زدنى قال: لا أنزع منهم التوبة ما دامت أرواحهم فى أبدانهم، قال: زدنى قال: أغفر لهم ولا أبالى قال: اكتفيت اكتفيت قال: إبليس: يا رب جعلت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى قال: المهان قال: فما كتبى قال: الوشم قال: فما حديثى قال: الكذب قال: فما القرآن قال: الشعر قال: فما مؤذنى قال: المزمار قال: فما مسجدى قال: الأسواق قال: فما بيتى قال: الحمام، قال: فما طعامى قال: الذى لم يذكر عليه اسمى قال: فما شرابى قال: المسكر وفى رواية قال: وما مصائدى قال: النساء.

موعظة: عن جابر بن عبد اللَّه- رضى اللَّه عنهما- قال: سأل النبىﷺ إبليس عن ضجيعه قال: السكران وعن جليسه قال: الذى يؤخر الصلاة عن وقتها، وعن ضيفه قال: السارق، وعن أنيسه قال: الشاعر وعن رسوله قال: الساحر، وعن قرة عينه قال: الذى يحلف بالطلاق وإن كان صادقًا، وعن حبيبه، قال: تارك الصلاة وعن أعز الناس عليه، قال: من يسب أبا بكر وعمر.

حكاية: قالت عائشة- رضى اللَّه عنها- : كانت لى جارية تخدمنى فاستيقظت فى بعض الليالى وطلبت الماء فلم أجده فى الكوز، فسألتها عن ذلك فقالت: رأيت فى المنام القيامة ورأيت والدى يستغيث من العطش فطلب منى ماء فذهبت إلى الكوز فأخذت منه شربة فسمعت قائلاً يقول: من هذا الذى يسقى شارب الخمر شلت يداه فاستيقظت وقد يبست يداها، وعن ابن عمر- رضى اللَّه عنهما- عن النبىﷺ قال: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب اللَّه عليه وإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا فإن تاب تاب اللَّه عليه فإن عاد فى الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا فإن تاب لم يتب اللَّه عليه» رواه الترمذى وقال الحاكم: صحيح الإسناد وقال ﷺ: **«لعن اللَّه الخمر وشاربها وحاضرها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه»**.

مسألة: يجب على السكران قضاء الصلاة ويقع طلاقه ويصح بيعه ونكاحه وجميع تصرفاته القولية والفعلية له، وعليه إذا شربها مختاراً عالمًا بالتحريم، وقال أبو حنيفة: ضرب الشارب أشد من ضرب القاذف.

حكاية: قال رجل لأبى حنيفة: شربت الخمر، ولا أعلم أطلقت زوجتى أم لا، قال: الزوجة زوجتك حتى يتبين الطلاق فسأله سفيان الثورى فقال: راجع زوجتك فإن كنت طلقتها فقد راجعتها وإلا فلا يضرك فسأل شريك بن أبى نمر فقال: طلقها ثم راجعها فسأل زفر فقال: الحق ما قاله أبو حنيفة: وأضرب لك مثال ذلك كرجل مر بثوبه النظيف على نجاسة ولم يعلم هل أصابته أم لا فثوبه باق على طهارته فما زاده إلا تطهيراً.

حكاية: غرس نوح - عليه السلام- دالية فيبست فشق ذلك عليه فقال إبليس: أنا أحييها لك فذبح عليها أسداً ودباً ونمراً وابن آوى وكلبًا وثعلبًا وديكًا فاخضرت فلذلك يصير شارب الخمر أولاً شجاعًا كالأسد وقويًا كالدب وغضبانًا كالنمر ومحدثًا كابن آوى ومقاتلاً كالكلب ومتملقًا كالثعلب ومصوتًا كالديك فحرمت الخمر على نوح، واسمه عبد الجبار وسمى نوحًا لكثرة نوحه على ذنوب أمته.

حكاية: قال ذو النون المصرى: كنت مسافرًا فرأيت ماء متغيراً يخرج من كهف قد خلت إليه فوجدت إبليس يبكى، فقلت: ما هذا البكاء فقال: وهل يحق البكاء إلا لى كنت من المقربين عند

الله والآن صرت من المطرودين فقلت له كيف خالفت أمره، فقال: لم يكن أمرى عناية ثم قرأ هذه الآية ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧)﴾ [الزمر: ٤٧].

حكاية: رأى يحيى بن زكريا- عليهما السلام- إبليس فى بعض الأودية باكيًا فسأله، فقال: كيف حال من عبد ربه زمنًا طويلاً ثم ذهبت عبادته مجانًا فقال ارجع عن إضلالك للخلق، فقال: يا يحيى إن كنت أضللهم فمن أضلنى، قال: ارجع إلى ربك قال: فكن لى شفيعًا عنده فبكى يحيى فى محرابه، وقال: يا إلهى قد علمت حديث المطرود وقد وقف على باب الصلح فهل له إليه طريق فنزل جبريل، وقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: اشتغل بنفسك وإلا فعلت بك ما فعلت به ورآه أيضًا فى بعض الأيام يبكى فسأله عن ذلك، فقال: على عمل مائة ألف عام وقفت فيها على الباب فخرج ذلك الجواب ليس لك طريق قد أخطأت التوفير فقال يحيى: يا رب هلا صالحته فجاءه جبريل، وقال: إنه يبكى نفاقًا لا رقاقًا قل له يسجد لقبر آدم فأخبر بذلك فضحك، وقال: أنا لم أسجد له حيًا فكيف أسجد له ميتًا.

لطيفة: بكى آدم فى البر والبحر فدمعه فى البر صار قرنفلاً وفى البحر بلخش لأنه هبط من باب التوبة، وحواء بكت فى البر والبحر فدمعها فى البر صار منه الحناء وفى البحر صار لؤلؤ، وإبليس بكى فى البر والبحر فدمعه فى البر صار شوكًا وفى البحر صار تمساحًا، والحية بكت فى البر والبحر فدمعها فى البر صار عقربًا وفى البحر صار سرطانًا والطاووس بكى فى البر والبحر فدمعه فى البر صار بقًا وفى البحر صار علقًا.

قال الراوى: عن النبى ﷺ لو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود لكان بكاء داود أكثر ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح إلى بكاء آدم لكان بكاء آدم أكثر أى على خطيئته.

فائدة: لما خلق الله الخلق من ظهر آدم كالدر وقال لهم: ألست بربكم قالوا: بلى أولهم محمد ﷺ قال القرطبى: هذا دليل على من قال: أن جميع الأطفال فى الجنة قال الكلبى: مسح الله ظهر آدم بين مكة والطائف، وقال السدى: فى سماء الدنيا حين هبط آدم من الجنة قال ابن جريج: خرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء وكل نفس مخلوقة للنار سوداء وفى الحديث أن الله خلق آدم ومسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعلمون ثم مسح ظهره فاستخرج مه ذريته فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، قال رجل: ففيم العمل يا رسول الله فقال: «**إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار**»، وإنما لم يذكر ظهر آدم لأن المعلوم أن كلهم بنوه وأنهم أخرجوا من ظهره قال النسفى: ثم أمرهم بالسجود فسجدت فرقة وتخلفت فرقة ثم إن الساجدين افترقوا أيضًا فرقتين، فرقة فرحت بالسجود وفرقة ندمت فالفرقة الأولى عاشوا مسلمين، وماتوا كذلك والفرقة

النادمة عاشوا مسلمين وماتوا على غيره، والفرقة التى تخلفت عن السجود افترقوا أيضًا فرقتين فرقة ندمت على ترك السجود فعاشوا كفارًا وماتوا مسلمين والذين لم يندموا عاشوا كفارًا وماتوا كذلك.

عجيبة: قال بعض العلماء: سبب هداية أهل الكهف أنهم كانوا قيامًا على رأس ملكهم دقيانوس فوثب هر من ورائه على غفلة فارتاع وفزع فقالوا: لو كان إلهًا ما خاف من السنور فلذلك أخبر اللَّه محمدًا ﷺ بالفرار منهم والفزع لئلا يعتقد أحد فيه الألوهية، وقيل إنما أخبره بالفرار منهم لو رآهم، لأنهم من علامات الساعة فيكون فراره خوفًا من الساعة لا منهم.

حكاية: مرت رابعة العدوية - رضى اللَّه عنها- على رجل معه خروف مشوى فنظرت إليه طويلاً وبكت فقال: تريد أن تأكلى منه شيئًا فقال: ما نظرت إليه من قبل الشهوة وإنما نظرت إليه من قبل أن الحيوانات يدخلون النار أمواتًا وابن آدم يدخلها حيًا.

فائدة: رأيت فى كتاب الثورين فى إصلاح الدارين من قال: خلف كل فريضة لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له إلهًا واحدًا وربًا وشاهدًا لا معبود سواه، ونحن له مسلمون، جعل اللَّه له الصراط أربعة أذرع أى عرض أربعة ذرع قال ابن الجوزى رحمه اللَّه: هو شعرة من جفن مالك خازن النار طولها ألف عام.

حكاية: خرج مالك بن دينار بعد صلاة العشاء لحاجة فرأى الثلج نازلاً من السماء يمينًا وشمالاً، فتفكر فى تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسى حاجته، قالت عائشة- رضى اللَّه عنها- : هل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال النبى ﷺ: **«أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا الأول عند تطاير الصحف والثانى عند الميزان والثالث عند الصراط»** قال أنس بن مالك- رضى اللَّه عنه- : سألتك يا رسول اللَّه أن تشفع لى يوم القيامة فقال: أنا فاعل ذلك غدًا إن شاء اللَّه تعالى، قلت: فأين أطلبك قال: عند الصراط قلت: فإن لم ألقاك قال: عند الميزان قلت: فإن لم ألقك قال: عند الحوض فإنى لا أخطئ هذه الثلاثة، قال بعض العلماء: الصحيح أن الحوض يرده الناس قبل الميزان ومال إليه القرطبى.

مسألة: لو قال: أنت طالق كالثلج أو كالنار وقع الطلاق فى الحال نقله الرافعى فى آخر الباب الأول من أبواب الطلاق ثم نقل أبى حنيفة.

لطيفة: الثلج فى المنام رزق لمن أكله فى وقته وإن كان كثيرًا فهو عذاب لأنه آية من الآيات التى أرسلها اللَّه على بنى إسرائيل ومن وقع عليه ثلج أصابه هم.

لطيفة: رأيت فى عظة الألباب أن بعض الصالحين فى بغداد رأى صبيًا على باب مكتب يبكى

فسأله عن ذلك، فقال: كتب لى المعلم فى اللوح سطرًا أبكانى فقلت: ما هو قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ١- ٥]، تهديد بعد تهديد وتخويف بعد تخويف، يخوف اللَّه به عباده فقال: له أخر بكاءك إلى غد فإنه يكتب لك أبلغ من هذا قال: وما يكتب قال قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥﴾ [التكاثر: ٦]، إلى آخرها فاضطرب الصبى فسقط ميتًا فوثب إليه المعلم، وقال: أنت قتلته فأخبر أهله فرفعوه إلى الخليفة فقص عليه القصة فقال: دعوه فقد أسرع الصبى الصالح إلى منازل السعداء.

حكاية: رأيت فى كتاب نرجس القلوب: كان فى الزمن الأول عبد تمادى فى طغيانه وزاد فى عصيانه فتداركه اللَّه بلطفه، فقال: لزوجته هل من شفيع يشفع لى قالت: لا قال: أتوب إلى اللَّه قالت: لا تذكره فقد أفسدت المعاملة بينك وبينه فخرج إلى الصحراء وقال: يا سماء اشفعى لى ويا أرض اشفعى لى فما زال كذلك حتى وقع مغشيًا عليه فبعث اللَّه ملكًا فأجلسه ومسح وجهه، وقال: أبشر فقد قبل اللَّه توبتك فقال: من كان شفيعى إليه قال: خوفك.

حكاية: خرج عبد اللَّه بن عمر- رضى اللَّه عنهما- ومعه أصحابه إلى السفر فوضعوا سفرة ليأكلوا فمر عليهم راع فدعاه ابن عمر ليأكل فقال: إنى صائم قال: فى مثل هذا الحر وأنت ترعى الغنم، قال: أبادر أيامى الخالية قال: فهل لك أن تبيعنا من غنمك قال: إنها لمولاى قال: فما يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب فولى الراعى، وهو يقول: فأين اللَّه فأين اللَّه فما زال ابن عمر يقول: قال الراعى: أين اللَّه أين اللَّه حتى قدم المدينة فسأل عن الغلام فاشتراه وأعتقه واشترى الغنم ووهبها له، وقال: أعتقتك كلمتك فى الدنيا وأرجو أن تعتقك فى الآخرة.

لطيفة: النخلة إذا نبتت فى الأرض الباردة كانت سريعة التلف وثمرها ردىء كذلك القلب إذا كان باردًا من خشية اللَّه كان عمله قليلاً ويخاف عليه عند الموت من زوال الإيمان والعياذ باللَّه تعالى.

موعظة: قال سفيان الثورى- رضى اللَّه عنه- : قال اللَّه تعالى: لجبريل أدن فدنا ثم قال: ادن فدنا، فقال تعالى: ألم أكرمك ألم أرسلك قال: بلى ولكن وعزتك لا آمن مكرك قال: كذلك كن، ورأى النبى ﷺ جبريل متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول: إلهى إلهى لا تغير إسمى ولا تبدل جسمى، فإن الفراق بعد الوصال شديد والهجران بعد القرب إليم.

حكاية: قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : قدم وفد من العرب على النبى ﷺ وفيهم شاب فقال الشاب: للشيوخ انطلقوا وآمنوا بمحمد وأنا حفظ حالكم ففعلوا، ثم جاء الشاب وتعلق بالنبى ﷺ وقال: أستجير بك من النار فقال القوم: دعه يا غلام فقال: والذى بعثه بالحق لا أفلته حتى يجيرنى من النار فنزل جبريل وقال: أخبره أن اللَّه تعالى قد أجاره منها.

موعظة: في قصة بلعام بن باعوراء وبرصيصًا عبرة لأولى الألباب فالأول عبد الله أربعمائة عام ثم مكر الله به فحول وجهه إلى عبادة الشمس وقد تقدم في فضل الفاتحة أنه لم يشكر الله يومًا من الأيام بزيادة والثاني عبد الله مائة عام وكان مجاب الدعوة فأرسل إليه ملك زمانه ابنته ليدعو لها، فقال إبليس: اتركها عندك الليل فلما كان من الليل وسوس له حتى وقعها فقال: اقتلها وإلا فضحتك بين الناس فقتلها فأخبر إبليس الملك بذلك فأمر بصلبه فجاءه إبليس وقال: من فعل هذا بك قال: أنت قال: من يخلصك قال: أنت قال: فاسجد لي فسجد له بالإشارة فمات كافرًا والعياذ بالله تعالى.

فائدة: قال الترمذي الحكيم: رأيت رب العزة فقلت: يا رب أخاف من زوال الإيمان، قال: قل بين سنة الفجر والفريضة يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا محيي الموتى برحمتك يا أرحم الراحمين.

باب: التوبة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، قال الحسن البصري- رضي الله عنه- : التوبة النصوح هي الندم بالقلب والاستغفار باللسان والترك بالجوارح والإضمار أن لا يعود وعن النبي ﷺ الموت أهون على التائب من شربة باردة للعطشان، فإن قيل كيف أخفى الله الموت والقيامة؟

فالجواب: أن الله تعالى وعد بقبول التوبة فلو بين ذلك تمادى العبد في المعصية إلى ذلك الوقت فيكون كالإغراء له على الفعل وهو لا يجوز ذكره العلائي في سورة طه.

فائدة: قال سهل- رضي الله عنه- : إذا عمل العبد حسنة وقال: يا رب أنت الذي وفقتني وأعنتني، قال الله تعالى: أنت أطعت وأنت تقربت وإن قال: أنا علمت قال الله تعالى: أنا الذي قدرت ثم يعرض عنه إذا عمل سيئة، وقال: يا رب أنت قدرت على غضب الله عليه وقال: أنت عصيت وأنت أسأت، وإن قال: يا رب أنا ظلمت نفسي وأسأت قال تعالى: وأنا قضيت وأنا غفرت وسترت وزاد ابن الملقين في كتاب الحدائق عن بعضهم أنه كان يقول: يا إلهي أنت قضيت وأنت حكمت فهتف به هاتف وقال: هذا شرط الربوبية فأين شرط الاعتراف بالعبودية فقال: يا إلهي وأنا عصيت أنا أذنبت فقال: الهاتف وأنا غفرت وأنا سترت وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة، وقال موسى- عليه السلام- : يا رب إذا سألك الطائع ماذا تقول له قال: أقول لبيك قال: فالزاهد قال: أقول لبيك قال: فالصائم قال: أقول لبيك قال: فالخاطئ قال: أقو لبيك لبيك لبيك، يا موسى كل واحد من هؤلاء يتكل على عمله والعاصي يتكل على رحمتي وأنا لا أخيب عبدًا اتكل عليّ لأني قلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

حكاية: قال بعض الصالحين: كنت أقطع الطريق فرأيت على الدجلة نخلتين إحداهما رطبة عليها رطب والأخرى يابسة ورأيت طيرًا يأخذ ويضعه فى رأس اليابسة فصعدت إليها فرأيت حية عمياء والطير يأخذ الرطب ويضعه فى فمها فقلت: يا رب هذه حية أمر النبى بقتلها أقمت لها طيرًا يأخذ الرطب ويأتى إليها برزقها وأنا أشهد لك بالوحدانية، ثم أقمتنى فى قطع الطريق فهتف بى هاتف يقول: بابى مفتوح للقاصدين فكسرت سيفى، وقلت: التوبة التوبة فقال الهاتف: قد قبلناك وكنت قد انفردت عن أصحابى فسمعونى أقول التوبة التوبة فلما جئتهم سألوا عن ذلك، فقلت: كنت مطرودًا فوقع الصلح فقالوا ونحن نصالح معك أيضًا فنزعنا ثيابنا وخرجنا نريد مكة فدخلنا قرية وإذا بعجوز يقول: أيكم فلان الكردى، فقلت: هو أنا فأخرجت ثيابًا، وقالت: هذه ثياب ولدى أردت أن أتصدق بها فرأيت النبىﷺ فى المنام، وقال: «أعط هذه الثياب لفلان الكردى» فأخذتها وقسمتها بين أصحابى وفى الخبر إذا تاب العبد توقد توبته بين السماء والأرض سبعين قنديلاً وينادى المنادى ألا وإن العبد قد اصطلح مع ربه.

لطيفة: مر بعض الصالحين على راع يرعى غنمًا والذئاب معها، فقال: متى اصطلح الذئب مع الغنم قال: لما اصطلح الراعى مع اللَّه.

فائدة: رأيت فى تفسير النيسابورى عن عائشة - رضى اللَّه عنها- قالت: أراد اللَّه أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعًا وهو يومئذ ربوة حمراء فصلى ركعتين، وقال: اللهم أنك تعلم سرى وعلانيتى فأقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤالى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى، اللهم إنى أسألك إيمانًا يباشر قلبى ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا بما كتبته لى ورضنى بما قسمت لى فأوحى اللَّه إليه يا آدم غفرت لك ذنبك ولن يأتنى أحد من ذريتك يدعونى بمثل ما دعوتنى إلا غفرت له ذنوبه وكشفت غمومه ونزعت الفقر من بين عينيه، وجاءته الدنيا وهو لا يريدها قال النيسابورى: وهذا يقتضى أن التوبة بعد الهبوط والصحيح أنها قبله فلذلك أعاد الأمر بالهبوط مرة ثانية بقوله تعالى: ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا** ﴾ [البقرة: ٣٨]، لأن آدم وحواء لما أكلا من شجرة قال لهما: ﴿ **اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ** ﴾ [البقرة: ٣٦]، فلما تابا وقع فى أنفسهما أن الهبوط ارتفع بالتوبة فأمرهما بالهبوط ثانيًا ليعلما أن حكمه باق وتحقيقًا للوعد بقوله تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة: ٣٠].

لطيفة: وجدت المعصية من المؤمن لأن روحه وجدت بالمجاورة من ريح الكافر فى صلب آدم والكافر يفعل الحسنة لأن روحه وجدت ريح المؤمن أيضًا، فإذا كان يوم القيامة، بسط اللَّه بساط الحكمة ويضع عليه أعمال العباد فتهب ريح فيطير كل جنس إلى جنسه فتطير معصية المؤمن إلى معصية الكافر، وتطير حسنة الكافر إلى حسنات المؤمن ويرث كل من المؤمن والكافر منزل الآخر فى الدار التى أعدها اللَّه له وذلك لأن كلا منهما له منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فإذا

مات المؤمن ورث منزله فى الجنة ومنزل الكافر أيضًا فيصير له منزلان إذا مات الكافر ورث منزل المؤمن فى النار ومنزله فيصير له منزلان ذكره النسفى رحمه اللَّه.

مسألة: اختلف العلماء فى حد الكبيرة على أقوال كثيرة جمعها أبو طالب المكى، فقال: أربع فى القلب: وهى الإصرار على المعصية والشرك باللَّه واليأس من رحمة اللَّه والأمن من مكر اللَّه، وثلاثة فى البطن وهى شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا، وإثنان فى الفرج الزنا واللواط وإثنان فى اليد السرقة والقتل وواحدة فى الرجلين وهى الفرار من الزحف، وواحدة فى جميع البدن وهى عقوق الوالدين، وأربع فى اللسان وهى شهادة الزور وقذف المحصنات والسحر واليمين الغموس وهى التى يتعمد فيها الكذب سميت بذلك لأنه تغمس صاحبها فى الإثم ونار جهنم ولا كفارة لها عند أبى حنيفة وأحمد، وقال الشافعى: يكفرها الصوم وهى ثلاثة أيام ولو فى كل شهر يوم ولا يجوز قطع صومها بخلاف الاثنين والخميس، وإذا كان عاجزًا عن أحد الثلاث عتق رقبة مؤمنة بلا عيب يخل بالعمل والكسب أو كسوة عشر مساكين بما يسمى كسوة وإطعامهم بالسوية وهو الأحق كل مسكين مد طعام وهو ثلاثة أواق بالدمشقى من غالب قوت بلده.

موعظة: أمر نوح- عليه السلام- أن لا يقرب الذكر الأنثى فى السفينة فخالفه الكلب فأخبرته الهرة فطلبه فحلف ثم عاد مرة أخرى فسألت الهرة ربها أن يمسك عليه حتى يراه نوح فاستمر ذلك فيه عقوبة له إلى يوم القيامة، قال القرطبى: فى تفسيره أن العنز امتنعت من الدخول إلى السفينة فمسكها جبريل بذنبها فاستمر ذنبها موقفًا من سوء المخالفة.

فائدة: قال كعب الأحبار: لو لا هولاء الكلمات لجعلتنى اليهود حمارًا، يعنى من سحرهم وهى هذه (أعوذ بوجهه العظيم الذى ليس شىء أعظم منه وبكلماته التامة لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء اللَّه الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ) ونقل العلائى عن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- من قرأ عند النوم ﴿**قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ**﴾ الآية [يونس:٨١]، لا يضره كيد ساحر ولا تكتب على مسحور إلا دفع اللَّه عنه السحر، وقال الكرمانى: فى شرح البخارى ومما ينفع الرجل إذا حبس عن أهله أى منع من الجماع أن يأخذ سبع ورقات سدر أخضر ويدقها بين حجرين ويخلط بماء ويقرأ عليه آية الكرسى وكل سورة أولها: «قل»، ويلحس منه ثلاث لحسات ثم يغتسل بالباقى فإنه أنجح، واللَّه أعلم وفى صحيح مسلم من مشى إلى عراف وصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا وفى غيره إذا دخل منكر ونكير على ميت مشى إلى كاهن، يقول: أحدهما لصاحبه أرى منه ريح الكاهن فينفخ عليه نفخة فيشتعل بها نارًا.

حكاية: يقال: كان فى زمن موسى- عليه السلام- رجل لا يستقيم على توبة فأوحى اللَّه إلى موسى قل له لا تفسد توبتك فإن رجعت إلى معصيتك جافيتك ولا أقبل توبتك فبلغه الرسالة فصبر أيامًا ثم رجع إلى المعصية فأوحى اللَّه إلى موسى قل له إنى غضبت عليه فبلغه الرسالة فخرج إلى

الصحراء. وقال: يا إلهى ما هذه الرسالة التى أرسلتها إلىَّ مع موسى، أنفدت خزائن عفوك أضرتك معصيتى أو بخلت على عبادك وأى ذنب أعظم من عفوك حتى تقول لا أغفر لك فكيف لا تغفر لى والكرم من صفاتك، فإذا أيست عبادك من رحمتك فمن يرجون، وإن طردتهم فمن يقصدون اللهم إن كانت رحمتك نفدت ولا بد من عذابى فاجعل على ذنوب عبادك فإنى فديتهم بنفسى فأوحى اللَّه إلى موسى قل له لو كانت ذنوبك مطبقة بين السماء والأرض لغفرتها لك كما عرفتنى بكمال العفو والرحمة.

حكاية: كان ببغداد رجل مسرف على نفسه وله أم صالحة وكان كلما عمل معصية كتبها فى ديوان فبينما هو ذات ليلة وإذا بالباب يطرق فخرج فوجد امرأة جميلة، فقال: ما حاجتك قالت: عندى أيتام ما أكلوا طعامًا منذ ثلاثة أيام فقال: ادخلى فعرفت منه الفساد فقالت: معاذ اللَّه فجذبها كرهًا عنها فقالت: يا كاشف كل شدة اعصمنى منه، ثم اسمع ما أقول، فقالت:

ألا أيها الناسى ليوم رحيـــــله ... أراك عن الموت المفرق لاهيا

ألم تعتبر بالظاعنين إلـــى البلى ... وتركهـــم الدنيا جميعًا كما هيا

ولم يخرجوا إلا بقطن وخــرقة ... وما عمروا من منزل ظل خاليا

وأنت غدًا أو بعده فى جوارهم ... وحــيدًا فـريدًا فى المقابر ثاويا

ثم بكت وقالت: يا رب أغثنى وخلصنى من هذا الرجل فلما سمع كلامها بكى بكاء شديدًا، فقالت: باللَّه عليك إن كان حصل لك الصلح بينك وبين مولاك فلا تنس كرامة البكاء فأعطاها نفقة وقال لها: أطعمى أولادك واسأليهم أن يدعوا لى بمحو ما فى الديوان قالت: نعم فلما صنعت لهم الطعام سألتهم أن يدعوا له فقالوا: واللَّه لا نأكل حتى ندعوا له فإن الأجير لا يستحق الأجرة حتى يعمل ثم إن الرجل دخل فى أمه ونظر فى الديوان فوجده أبيض ما فيه سيئة فأخبر أمه بذلك فسألته ما السبب قال: جاءتنى امرأة تطلب قوت أولادها فجرى الصلح على يديها ثم توضأ وقال: اللهم محوت الذنوب من المكتوب ألحقنى بك ثم سجد فحركته أمه فإذا هو قد مات.

لطيفة: إنما أمر إبراهيم- عليه السلام- بذبح ولده إسماعيل لأنه رأى عاصيًا فدعا عليه فهلك، ثم ثانيًا ثم ثالثًا، فقال اللَّه تعالى: كف عن عبادى أما تعلم أنى رحيم بهم إن تابوا تبت عليهم ألم يخرج من أصلابهم من يوحدنى فالمشيئة مشيئتى فإذا سألتنى هلاك عبدى فأنا أسألك ذبح ولدك واحدة بواحدة، ذكره ابن عباد فى شرح الحكم.

فائدة: لما خرج يوسف- عليه السلام- من الجب أشرق نوره على جبال كنعان فعرف إخوته بخروجه فلحقوه وباعوه، وقال عكرمة: بأربعين درهمًا وقال ابن عباس: بعشرين درهمًا، كذلك العاصى إذا بكى ندمًا أشرق نوره تحت العرش فتقول الملائكة: ما هذا النور؟ فيقال: هذا عبد خرج

من جب المعصية إلى فضاء الطاعة وقد قدمنا فى باب الخوف أن دمعة حواء صارت فى البحر لؤلؤاً يتقدم فى سوق الجواهر كذلك دمعة العاصى إذا بكى من خشية اللّه تعالى يقول اللّه تعالى: يا ملائكتى قوموا دمعة عبدى فتقول: قيمتها أن تقبل منه الحسنات فيقول اللّه تعالى: قيمتها أكثر من ذلك فتقول الملائكة: قيمتها أن تكفر عنه السيئات، فيقول: قيمتها أكثر فتقول: قيمتها أن تعطيه الجنة، فيقول تعالى: قيمتها أكثر من ذلك فيقولون: ربنا عجزنا عن معرفة القيمة فيقول: قيمتها النظر إلى جمال وجهى.

حكاية: كان فى بنى إسرائيل عبد عصى ربه عشرين سنة ثم نظر فى المرآة يومًا فرأى الشيب فى لحيته، فقال: إلهى عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك تقبلنى فسمع صوتًا اجتنبتنا فاجتنبناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك ورأيت فى تفسير العلائى فى سورة يوسف - عليه السلام- أن اللّه تعالى أنزل فى صحف إبراهيم - عليه السلام- من العزيز الحميد إلى من أبق من العبيد سلام عليكم. هذه رسالتى إليكم بما أختصكم به من نور العلم. وذكاء الفهم فأول ذلك أنى أخرجتكم من العدم إلى الوجود واخترت لكم الجود. وأنشأنا لكم الأبصار فأبصرتم. والأسماع فسمعتم والألسنة فنطقتم والقلوب فعلمتم، والعقول ففهمتم وأشهدتكم على أنفسكم لى بالوحدانية فشهدتم وعند الإقبال أدبرتم. وبعد الإقرار أنكرتم. ونقضتم عهودنا وغيرتم فلا يوحشنكم ذلك منا فإن عدتم عدنا. وزدنا فى الكرم وجدنا فمن عثر أقلنا ومن قطع وصلنا. ومن تاب قبلنا. ومن نسى ذكرنا: من عمل قليلاً شكرنا نعطى ونمنح. ونجود ونسمح ونعفو ونصفح كرمنا مبذول وسترنا مسبول. عبدى انظر إلى السماء وارتفاعها، والشمس وشعاعها. والأرض وأقطارها والأمواج وبحارها والفصول وأزمانها. والأوقات وإتيانها وما هو ظاهر وكامن متحرك وساكن مستيقظ وراكع وساجد وما غاب وما حضر: وما خفى وما ظهر الكل يشهد بجلالى ويقر بكمالى ويعلن بذكرى ولا يغفل عن شكرى عبدى أذكرك وتنسانى. وأسترك ولا ترعانى لو أمرت الأرض لابتلعتك من حينها. أو البحار لغرقتك فى معينها. ولكن أحميك بقدرتى وأمدك بقوتى وأؤخرك إلى أجل أجلته. ووقت وقته فلا بد لك من الورود على، والوقوف بين يدى أعدد عليك أعمالك، وأذكرك أفعالك حتى إذا أيقنت بالبوار، وقلت: لا محالة إنك من أهل النار أوليتك غفرانى ومنحتك رضوانى. وغفرت لك الذنوب والأوزار وقلت لا تحزن فمن أجلك سميت نفسى الغفار وأنشدوا فى المعنى:

أتعرض عنا والجنان فسيح	وتهرب منا إن ذا لقبيح
ويبدو لنا من نحوك الصد والجفا	ومن نحونا ود لديك صحيح
وندعوك للحسنى ونمنحك الرضا	وأنت لأسباب البعاد طروح
وكم مرة جاءتك منا رسائل	وفيها خطاب لو سمعت فصيح

فيا أيها الغصن الرطيب قوامـــــه وفيـــــــه لنا سر يصان وروح

إليك أشرنا بالوداد فكل مــــــا يعـــــــد قبيحًا فهو منك مليح

فـــائدة: لما هبط آدم- عليه السلام- بكى على ذنبه فقال: يا رب إنى تبت وأصلحت أتقبلنى فأوحى اللَّه إلى آدم إنى كتبت على عرشى من قبل أن أخلق السماوات والأرض وإنى لغفار لمن تاب أحشر التائبين ضاحكين مستبشرين ودعاؤهم مستجاب وتقدم قريبًا أن اللَّه تعالى تاب على آدم قبل هبوطه، وذكر الغزالى- رضى اللَّه عنه- فى الإحياء أن العبد إذا كان مسرفًا على نفسه فيرفع يديه ويقول: يا رب حجبت الملائكة صوته أولاً وثانيًا وثالثًا وفى الرابعة يقول اللَّه تعالى: إلى متى تحجبون صوت عبدى عنى قد علم أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم يا ملائكتى إنى قد غفرت له.

فـوائد: الأولـى: ما الحكمة فى تسليط إبليس على المؤمن قال العلائى: فى سورة يوسف قال العلماء: فيه لطف عظيم فإنه تعالى يجعل بمعاصينا عليه قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة:٣٦]، أى فوسوس لهما الشيطان، ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣]، من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين أخوتى، وقال النيسابورى: فى أول تفسيره الحكمة فى تسليط إبليس لعنه اللَّه على المؤمن أنه إذا أوقعه فى معصية وتاب منها يكون أشد عليه ممن لم يوقعه فى المعصية كالصياد إذا وقع فى شبكته صيد ثم ذهب فإنه يكون أشد عليه مما قبل وقوعه قال: أيضًا مثال المؤمن مع إبليس كشجرة مر عليه رجل فأخذ منها سواكًا مثلاً فلا يخاصمه صاحبها لأنها تنبت غيره فإن أخذ فأسًا وأراد قطعها منعه من ذلك وخاصمه فالمعصية كالسواك فيخلفها بحسنة والكفر كالفأس فإذا أراد الشيطان أن يوقعه فى الكفر منعه اللَّه من ذلك.

الثانية: ما الحكمة فى خلق إبليس؟

فالـجواب: أراد اللَّه تعالى أن يغفر ذنوبنا ويردها عليه فيضاعف عليه العذاب وأيضًا فلولا النار لم يظهر طيب العود كذلك لولا الشيطان لم يظهر فضل المؤمن إما بالمخالفة له أصلاً وذلك بتوفيق اللَّه تعالى، وإما بالتوبة عما فعله بوسوسة جمع موافقة القدر لأن المدينة لا بد لها من كناس يدفع عنها القاذوات فلا يغنى عنهم صاحب المسك شيئًا فالقلب مدينة والنفس منتنة فخلق إبليس كناسًا لها وأيضًا فاللَّه تعالى كان قادرًا على نصر المؤمنين فى الحرب فهزمهم ليجدوا الشهادة ثم نصرهم ليجدوا الغنيمة كذلك نصرهم على الشيطان ليجدوا الجنة ثم غلبهم الشيطان مرة أخرى فأوقعهم فى الشهوات، فإذا تابوا فقد حصلت لهم لذة الدنيا والآخرة، قال ابن العماد: فى كشف الأسرار خلق اللَّه إبليس من الظلمة، وقيل من اللعنة وقال الرازى: ردًا على القائلين بأنه من الملائكة أنهم خلقوا من النور وهو من النار، وقال النووى وغيره: الصحيح أنه من الملائكة، وقال القاضى عياض: أنه أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وفى الحديث أن اللَّه تعالى لما أراد أن يخلق لإبليس زوجة ألقى عليه

الغضب فطارت منه شظية فخلق اللّه منها امرأته رسلاً بفتح الراء وإسكان السين المهملة وذكر ابن العماد أن له ذكراً فى فخذه الأيمن وفرجًا فى الأيسر ورؤية الجن على صورهم الحقيقية ممتنعة وتصح الجمعة بأربعين مكلفًا من الجن، أو كان بعضهم إنسًا وبعضهم جنًا إذا تصوروا كصور الآدمين.

الثالث: ما الحكمة فى أعوذ باللّه دون غيره من الأسماء؟ قال النيسابورى: لأن العدو كلما كان شديدًا احتيج له إلى عدة كثيرة وهذا الاسم جامع لجميع صفات الكمال.

الرابعة: ما الحكمة فى الاستعاذة باللّه العظيم من الشيطان الرجيم دون جبريل وغيره من الملائكة؟ مع أن الكفاية من شره تحصل بأصغر الملائكة وهو أصغر من أن يستعاذ منه باللّه العظيم، قال النيسابورى: كأنه تعالى يقول عبدى ما وكلت حفظك إلى غيرى بل توليته بنفسى.

الخامسة: ما الحكمة فى اقتران التعوذ بالبسملة؟ قال النيسابورى: لأن البسملة فيها شفاء المؤمن والاستعاذة فيها اسم الشيطان، وفى الحديث أغلقوا أبواب المعاصى بالاستعاذة وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية.

السادسة: ما الحكمة فى موت الحبيب ﷺ وإبقاء العدو؟

الجواب: أن العدو خصم والحبيب شافع واللّه تعالى قاض فقدم الشفيع قبل الخصم لينوب عنا فى الخصومة، قال النيسابورى: لما أنظره اللّه تعالى قال: وعزتك لا أخرج من قلب بنى آدم ما دام فيه الروح فقال: وعزتى لا أمنعهم التوبة ما دامت أرواحهم فى أجسادهم فقال: ﴿ **لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** (٨٢) ﴾ [ص: ٨٢]، فقال تعالى: ﴿ **لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ** ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فقال: ﴿ **لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [الأعراف: ١٧]، قال العلائى: ينسيهم الآخرة ﴿ **وَمِنْ خَلْفِهِمْ** ﴾ [الأعراف: ١٧]، معناه يزين لهم الدنيا ﴿ **وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ** ﴾ [الأعراف: ١٧]، معناه يصدهم عن الحق ﴿ **وَعَن شَمَائِلِهِمْ** ﴾ [الأعراف: ١٧]، معناه يزين لهم الباطل قال الرازى: لما قال: هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فأوحى اللّه تعالى إليهم أنه بقى بالإنسان جهة الفوق والتحت، فإذا رفع يديه فى الدعاء على سبيل الخضوع أو وضع وجهه على الأرض على سبيل الخشوع غفرت له ذنوب سبعين سنة، فإن قيل من أن علم الملعون أن أكثرهم لا يشكر اللّه حيث قال: ثم لا تجد أكثرهم شاكرين، قيل رأى ذلك فى اللوح المحفوظ وقيل ظن ذلك فأصاب قال اللّه تعالى: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فلما قال: ذلك قال اللّه تعالى: أنا أفتح عليهم باب التوبة فقال لعنه اللّه: وأنا أسده عليهم بطول الأمل فقال اللّه تعالى: هل تقدر أن تمنعنى من المغفرة لهم قال سفيان الثورى- رضى اللّه عنه-: فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [الحجر: ٤٢]، أى ليس لك أن تقدر أن توقعهم فى ذنب أعجز عن مغفرته.

السابعة: ما وجه ذكر خصوص عدوانه للإنسان وهو عدو اللَّه والملائكة وعدو الجن أيضًا قال العلائى: أنه عدو للإنسان لأنه لم يسجد لآدم ظن أن آدم صار سببًا للعنة وهو يزعم أنه لا يعادى اللَّه بدليل قول عمر بن الخطاب رأيت إبليس ضعيفًا فسألته عن ذلك، فقال: من خوف فراق اللَّه وإنما لم يعاد الجن لأنهم آمنوا بأنبياء الإنس قال العلائى: فى سورة النحل أن إبليس لعنه اللَّه قال: يا رب إن أمة محمد ﷺ يقولون: إنا نحب اللَّه ونبغض الشيطان ثم يعصون أمرك ويطيعون أمرى فقال اللَّه تعالى: فبدعواهم محبتى وعقولهم ما فسروا فى حقى وبدعواهم أنهم يبغضونك أغفر لهم ما عملوا بأمرك.

الثامنة: لما نهى اللَّه آدم عن أكل الشجرة وجدها قريبة من سريره فأمره أن يطير فطار السرير ألف عام فى الجنة ثم نزل فوجدها قريبة منه فأمره أن يطير فطار ألف عام أخرى ثم نزل فوجدها قريبة منه فقال: يا رب نهيتنى عنها وجعلتها قريبة منى فقال: لو لم أضع الرحمة بجنب المعصية لم أصنع السرير تحت الشجرة فلما هبط جاءه جبريل بثورين فحرث عليهما ثم ضربهما، فقال: كيف تضربنا، قال: إنكما خالفتم أمرى فقالا: ولمَ لم يعاقبك ربك يا آدم لما أكلت الشجرة فبكى وقال: يا رب عيرنى كل شىء حتى البقر فأخرسها اللَّه تعالى إلى يوم القيامة.

بشارة: قال آدم: يا رب هل غفرت لى فى الجنة فقال: لو غفرت لك فى الجنة لم يظهر كرمى بمغفرتى لرجل واحد ولكن أردت أن تخرج إلى الدنيا وتأتينى بألوف من العصاة فأغفر لهم حتى يتبين كرمى وجودى.

حكاية: كان دانيال- عليه السلام- عارفًا بالطب فأراد أن يظهر نفسه فأمر طباخ الخليفة أن يزيد دانقًا من الملح فى الطعام ففعل ذلك فضعف نظر الخليفة فسأل دانيال عن ذلك، فقال: إن الطباخ زاد فى ملح الطعام فسأله فقال: نعم قال: ولم قال: أمرنى دانيال بذلك فسله فقال: أنك لم تحتج إلى علمى فأردت أن تحتاج إليه كذلك مولانا سبحانه وتعالى له خزانه رحمة فقدر المعصية ليحتاج الخلق إلى رحمته، وقيل لعلى بن أبى طالب هل يرحم اللَّه العصاة فدعا بإناءين أحدهما حسن والآخر قبيح فنزل المطر فملأهما جميعًا، فقال كذلك رحمة اللَّه تعم الطائع والعاصى وقال داود - عليه السلام- : إلهى ما كرمك على عبادك فقال اللَّه تعالى: يا داود إنى لا أرد العصاة عن المعصية بالعذاب بل أردهم بالإحسان ليستحيوا منى فيتوبوا إلىّ يا داود قل للمتلذذين بذكرى هل وجدتم ربّا أكرم منى وأوحى اللَّه إلى موسى قم على بابى فإنى لطيف وأدعنى فإنى مجيب واسألنى فإنى غنى وناجنى فإنى قريب واصحبنى فإنى كريم.

حكاية: رأيت فى كتاب الحدائق لابن الملقن- رحمه اللَّه تعالى- : أن بنى إسرائيل أصابهم قحط فخرج موسى- عليه السلام- يستقى فلم تزداد الشمس إلا حرًا والسماء إلا صحوًا، فقال: يا رب إن كان جاهى خلق عندك فبجاه محمد ﷺ اسقنا الغيث فأوحى اللَّه إليه جاهك غير خلق عندى

ولكن فيكم رجل له أربعون سنة يعصينى فمن أجله منعتكم الغيث فقام موسى فيهم خطيبًا، وقال: يا أيها العاصى الذى له أربعون سنة يعصى ربه أقسمت عليك أن تخرج من بيننا فقال العاصى: إن قمت عرفنى بنوا إسرائيل فوضع رأسه فى جيبه، وقال: يا إلهى تبت إليك فنزل المطر كأفواه القرب، فقال موسى: يا رب بم استقيتنا الغيث قال: بالعاصى فقال: يا رب أرنى إياه فقال اللّه تعالى: يا موسى أنا سترته حال معصيته فكيف أفضحه وقد تاب ورأيت فى حقائق الحقائق أن كل عبد له صورة فى قائم العرش وعليها ستارة فإذا عمل العبد طاعة ارتفعت الستارة فتراه الملائكة، وإذ عمل معصية نزلت عليه الستارة فلا تراه الملائكة، ورأيت فى قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، أن اللّه تعالى يبدل كاتب الحسنات بغيره وكاتب السيئات لا يبدل له والإشارة فى ذلك أن العبد يرد يوم القيامة بشهود كثيرة للحسنات وكاتب واحد للسيئات، فيقول اللّه تعالى: لا أقبل واحد وأترك جماعة.

حكـاية: كان بالبصرة شاب عصى ربه كثيرًا وكانت أمه تنهاه فلا ينتهى، وكانت تحضر مجلس الحسن البصرى- رضى اللّه عنه- وتقول: إنه قال: كذا وكذا لتخوفه فلما حضره الموت، قال: يا أماه اذهبى إلى الحسن واسأليه أن يحضر عندى ليعلمنى التوبة فذهبت إليه فقال: الحسن لا أحضره ولا أصلى عليه فرجعت مكسورة الخاطر وأخبرت ولدها بقول الحسن، فقال: يا أماه إذا خرجت روحى فاجعلى الحبل فى عنقى واسحبينى على وجهى فى البيت وقولى هذا جزاء عبد عصى ربه واجعلى قبرى فى بيتى لئلا تتأذى بى الأموات، كما تتأذى بى الأحياء فلما وضعت الحبل فى عنقه سمعت هاتفًا يقول: ارفقى بولى اللّه ثم دفنته فى بيتها وإذا بالباب يطرق فقالت: من بالباب قال الحسن البصرى: رأيت رب العزة فى المنام فقال: يا حسن تقنط عبدى من رحمتى وتسد الطريق فى وجه عبدى، وعزتى وجلالى غفرت له وأدخلته الجنة.

حكـاية: قال أنس- رضى اللّه عنه- : كان النبى ﷺ يومًا يتفكر فى ذنوب أمته وإذا بطير منظوم بالدر والياقوت فتعجب النبى ﷺ من حسن صورته ثم طار إلى جزيرة من رمل فصار يأخذ بمنقاره من الرمل ويرمى فى البحر ثم جاء إلى النبى ﷺ وأخبره بذلك وقال: أردت أن أرد أمواج البحر فتبسم النبى ﷺ وقال: عجبت من حسن صورتك وضعف عقلك، فقال: إن اللّه جعلنى مثلاً حين علم ما خطر ببالك والذى بعثك بالحق ما ذنوب أمتك فى سعة رحمة اللّه إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره ويرمى به فى البحر.

لطـائف: الأولـى: قال اللّه تعالى: حكاية سليمان فى قصة الهدهد لأعذبنه عذابًا شديدًا، قيل: يبعده عن إلفه، وقيل ينتف ريشه أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين ثم نزل جبريل - عليه السلام- وقال: إن اللّه يقرئك السلام، ويقول: القسمة أربعة العذاب للكافرين والذبح للمنافقين والبرهان للمطيعين والعفو للمذنبين.

الثانية: جاء فى الخبر إذا كثرت ذنوب بنى آدم يثقل العرش على الحملة فيلعنون ذلك فيقولون: يا كريم العفو حتى يخف عنهم، وإذا قال: العبد يا كريم يقول اللّه: ماذا رأيت من كرمى وأنت فى سجن الدنيا اصبر حتى ترى كرمى فى الجنة.

الثالثة: أكبر الأشياء المعرفة وأوسعها أصغر الأشياء، وهو القلب والرحمة أوسع الأشياء، فكيف لا تسع المعصية وهى من أصغر الأشياء.

حكاية: رأيت فى كتاب العقائق: إذا مات العبد عاصيًا وجمع اللّه الخلائق يوم القيامة صفوفًا فيدخل فى صف العلماء فيمنعونه ثم المصلين فيمنعونه فيقول: وافضيحتاه ما بقى إلا النار فيذهب إليها بنفسه فيراه مالك فيقول: إلى أين تذهب فيقول إلى النار فيقول من أى الأمم أنت فيقول من أمة محمد ﷺ فيقول اذهب إليه، فيقول: لا أعلم موضعه فيقول: أنه تحت العرش فيذهب إليه باكيًا مستغيثًا فيقول النبى ﷺ: «**إنى مشغول بالأمة فعند ذلك ينادى يا من لا شريك له ارحم من لا شفيع له**» فيقول النبى ﷺ: يا رب أمرتنى أن لا أشفع فيه ثم تدخله الجنة، فيقول اللّه له: لما انقطع رجاؤه من الخلق رجع إلىّ واعتمد علىّ وأنا الجواد من قصدنى وجدنى، وعن النبى ﷺ قال: انطلقوا به إلى النار ثم يلتفت فيقول اللّه تعالى: مالك تلتفت فيقول يا رب خرجت من الدنيا وما انقطع رجائى منك فيقول اللّه تعالى: وعزتى وجلالى ما كان هذا ظن عبدى، ولكن هذه دعوى ادعاها أشهدكم يا ملائكتى أنى قد قبلت دعواه وغفرت له.

مسائل: يشترط لصحة التوبة أربعة شروط: ندم وإقلاع وعزم على أن لا يعود ورد ظلامة آدمى إن تعلقت به فإن ظلمه بأخذ ماله ومات وجب رده إلى وارثه، لأنه المطالب فى الآخرة فلو أعسر وانتظر الوارث يساره وتاب صحت توبته، قال الماوردى، فإن مات معسرًا وفى اللّه عنه كما سيأتى فى باب فضل العدل ويشترط لصحة التوبة أن يكون قادرًا على المعصية فلو تاب عن الذنب مثلاً لعجزه عنه بهرم أو غيره فلا يشترط أن تكون التوبة للّه تعالى، فلو كان يعصى بماله فترك المعصية لشحه مثلاً فلا تقبل توبته قال الإسنوى: فى المهمات لا يشترط لصحة توبته أن يفضح نفسه عند الحاكم بل عليه أن يستتر بستر اللّه ولا أن يقيم الحد على نفسه لأن العفو فى حقوق اللّه قريب من التائبين، فإن رفع أمره إلى الحاكم كما فعل ما عز- رضى اللّه عنه- حيث شهد على نفسه بالزنا أربع مرات عند النبى ﷺ حتى رجمه بالحجارة فهو الأكمل، وفى الروضة المعصية أفضل من الشهادة بها عند الحاكم وأما مظالم العباد فيجب إظهارها والتمكين من استيفائها وأما غيرها من المعاصى كالنظر إلى غير محرم والقعود فى المسجد مع الجنابة ومس المصحف بغير وضوء، وشرب الخمر وسماع الملاهى فيستحب إن يكفر كل معصية بحسنة تشاكلها فيكفر معصية النظر إلى مالا يحل بالنظر إلى المصحف وسماع الملاهى بسماع القرآن والقعود فى المسجد جنبًا بالاعتكاف فيه، وشرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال ويكفر أذى المسلمين بالإحسان إليهم، ويكفر القتل باعتاق الرقاب قاله

فى الإحياء واعلم أن كفارة القتل بالعتق واجبة إلا إذا كان عاجزاً فيصوم شهرين متتابعين فلو أفطر بمرض وجب الاستئناف ولا يضر الفطر لحيض أو نفاس أو جنون أو إغماء مستغرق جميع النهار.

فوائد: الأولى: قال السرى السقطى لرجل: معنى التوبة أن لا تنسى ذنبك فقال: الرجل بل معنى التوبة أن تنسى ذنبك ووافقه الجنيد لأن ذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء المعصية جفاء والتوبة جفاء، قال النسفى: قال رجل من أصحاب الجنيد له: إنى أصبت ذنبًا فادع اللّه أن يغفره لى فسمع الجنيد هاتفًا يقول: لما كشف ستره لك فاغفر له أنت.

الثانية: قال رجل لابن مسعود- رضى اللّه عنه-: عملت ذنبًا هل من توبة فأعرض عنه ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان بالدموع، فقال له: إن الجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكًا موكلاً لا يغلقه إلى يوم القيامة فلا تيأس من رحمة اللّه، وقيل إنما هلك إبليس لا يعلم يعترف بخطيئة ولم ير وجوب التوبة فلم يتب وتكبر وقنط من رحمة اللّه، وآدم سعد لأنه اعترف بذنبه ورأى أن التوبة واجبة فتاب إلى ربه وتواضع ولم ييأس من رحمة اللّه.

الثالثة: قال عبد اللّه بن سلام- رضى اللّه عنه- : ألا أحدثكم عن كتاب منزل فى بنى إسرائيل أن العبد إذا عمل ذنبًا ثم ندم عليه طرفة عين، سقط عنه أسرع من طرفة عين وقال ﷺ: «إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة» قيل وكيف يا رسول اللّه؟ قال: «يكون نصب عينيه تائبًا فاراً منه حتى يدخل الجنة» قال الغزالى- رضى اللّه عنه- : تجب التوبة على الفور، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ**﴾ [النساء: ١٧]، أى عن قرب عهد بالخطيئة فإذا بادروا بالتوبة سريعًا محيت المعصية كالنجاسة إذا كانت رطبة فإزالتها سهلة، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤]، ولا طاقة لظلمة المعصية مع نور الحسنة كما لا طاقة لكدرة الوسخ مع بياض الصابون.

الرابعة: عن عمر- رضى اللّه عنه- قال: دخلت على مريض من الأنصار مع النبى ﷺ وهو فى سكرات الموت فقال: النبى ﷺ: تب فلم يقدر أن ينطق بلسانه فجال بطرفه نحو السماء فتبسم النبى ﷺ فسئل عن ذلك فقال: لما يقدر بلسانه أومأ بقلبه إلى السماء وندم قال اللّه تعالى: يا ملائكتى عبدى عجز عن التوبة بلسانه فندم بقلبه أشهدكم أنى قد غفرت له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر، وعنه ﷺ: «أنه جاء جبريل عند موته فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بسنة قبلت توبته، فقال: يا جبريل سنة لأمتى كثيرة فغاب ثم رجع وقال: إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بشهر قبلت توبته فقال: يا جبريل الشهر لأمتى كثير فغاب ثم رجع وقال: إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته فقال: يا جبريل الجمعة لأمتى كثير فغاب ثم رجع وقال: إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: من تاب قبل

موته بيوم قبلت توبته فقال: يا جبريل اليوم لأمتى كثير فغاب ثم رجع وقال: ربك يقرؤك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بساعة قبلت توبت فقال: يا جبريل الساعة لأمتى كثير فغاب ثم رجع وقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن كانت السنة كثيرة والشهر كثير والجمعة كثيرة واليوم كثير والساعة كثيرة لمن لم يرجع إلى قبل موته بسنة ولا شهر ولا جمعة ولا يوم ولاساعة حتى بلغت الروح الحلقوم ولم يمكنه الاعتذار بلسانه فاستحيا وندم بقلبه غفرت له ولا أبالى» ذكره النسفى فى زهرة.

الرياض: عن عبادة بن الصامت، عن النبى ﷺ من تاب قبل موته بسنة تاب اللّه عليه ثم قال إن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب اللّه عليه ثم قال إن الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة تاب اللّه عليه، ثم قال إن الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم تاب اللّه عليه ثم قال: إن اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب اللّه عليه، ثم قال إن الساعة لكثيرة من تاب قبل إن يغرغر تاب اللّه عليه.

السادسة: تفكر إبراهيم- عليه السلام- فى أمر آدم- عليه السلام- وقال: يا رب خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته الجنة بلا عمل، ثم نزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من الجنة فأوحى اللّه إليه يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب أمر شديد.

السابعة: لما عصى آدم بكى عليه كل شىء فى الجنة إلا الذهب والفضة فأوحى اللّه إليهما ما لكما لا تبكيان على آدم، فقالا: كيف يبكى على من خالف أمرك فقال: وعزتى وجلالى لأجعلنكما قيمة كل شىء ولأجعلن بنى آدم خدمًا لكما، فإن قيل: كيف حرم اللّه أجساد الأنبياء على الأرض؟

فالجواب: أن التراب أحد الطهورين فهو مطهر للنجاسة الكلية والذنوب أقبح النجاسات إلى الطهارة بالتراب فلذلك تأكل الأرض أجساد غير الأنبياء لأنهم معصومون من الذنوب عمداً وسهواً قَبْلَ النبوة وبعد النبوة.

الثامنة: نختم بها الباب ختم لنا وللمسلمين بخير وعافية وقال النبى ﷺ: «يا على ألا علمك دعاء تدعو به لو كان عليك عدد المذر ذنوبًا غفرت لك قل اللهم لا إله إلا أنت الحليم الكريم تباركت سبحانك رب العرش العظيم».

* *

باب: فى فضل العدل واجتناب الظلم والشفقة على خلق اللـه وإكرام المشايخ وفضل الخضاب

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ الآية[النحل: ٩٠]، قال العلائى: العدل هو الإنصاف والإحسان إلى من أساء إليك والفحشاء هو القبح من قول أو فعل والمنكر هو مالا يعرف فى شريعة ولا سنة والبغى هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان، وقالﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» وقالﷺ: «**قال ربكم عزّ وجل: وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلومًا يقدر أن ينصره**».

حكاية: مر أبو حنيفة فى بعض الطرقات فأصاب بقدمه قدم صبى فقال: يا أبا حنيفة أما تخشى القصاص يوم القيامة فوقع مغشيًا عليه، وقال- رضى اللَّه عنه- : يؤدى الظلم إلى سوء الخلقة والعياذ باللَّه، واللَّه المستعان.

موعظة: مرت على صدر سيدنا سليمان - عليه السلام- نملة وهو نائم فلما أحس بها أخذها وألقاها فقالت يا نبى اللَّه ما هذه السطوة أما علمت أنك تقف بين يدى ملك قاهر يأخذ للمظلوم من الظالم فغشى عليه فلما أفاق، قال لها: تجاوزى عمن ظلمك قالت: نعم بثلاث شروط: الأولى: أن لا ترد سائلاً، الثانى: أن لا تضحك بطرًا فى الدنيا، الثالث: أن لا تمنع جاهك لمن استغاث بك قال: نعم، فعفت عنه.

حكاية: أخذ رجل من أعوان السلطان سمكة من صياد قهرًا عنه فلما أخذها وأصلح أمرها وأراد أن يأكل منها فتحت فاها وعضته على أصبعه عضًا شديدًا فذهب إلى طبيب فقال له الطبيب: اقطع أصبعك ففعل فسرى الألم إلى الكف فقال الطبيب: اقطعه وإلا سرى الألم إلى الساعد فخرج هاربًا ونام تحت شجرة فقيل له اذهب إلى الصياد وأعطه شيئًا وأسأله الرضا عنك ففعل وتاب عن الظلم فرد اللَّه عليه يده كما كانت بإذن اللَّه تعالى قال: فى عوارف المعارف وطئ رجل بقدمه على قدم النبىﷺ بنعل كثيف فقال: أوجعتنى فنفحه بسوط كان فى يده، قال الرجل: فجعلت ألوم نفسى تلك الليلة فلما أصبحت قال لى رجل: أجب النبىﷺ فذهبت إليه وأنا متخوف فقال: نفحتك بالسوط نفحة وهذه ثلاثون نفحة فخذها.

حكاية: كان دين لأبى حنيفة - رضى اللَّه عنه- على مجوسى فذهب إليه ليطالبه فأصاب نعله نجاسة فنفضه فطارت النجاسة على جداره فتحير أبو جنيفة- رضى اللَّه عنه- وقال: إن كنت كشطتها نقص من تراب جداره فطرق بابه فخرج إليه وقال: أمهلنى يا إمام المسلمين فقال: قد تنجس جدارك بسببى فاجعلنى فى حل، فقال يا أبا حنيفة أتريد أن تُطهر جدارى قال: نعم قال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، واللَّه أعلم.

حكاية: اشترى إبراهيم بن أدهم - رضى اللَّه عنه- تمرًا من رجل بمكة فرأى تمرتين بين يديه فأخذهما ظانًا أنهما من التمر الذى اشتراه ثم توجه إلى بيت المقدس فرأى فى منامه ملكين، يقول: أحدهما للآخر من هذا قال إبراهيم بن أدهم: زاهد خراسان غير أن طاعته موقوفه منذ سنة لأنه أخذ تمرتين من مكة فلما طلع الفجر توجه إلى مكة فوجد البائع قدمات فسأل ولده أن يجعله فى حل ففعل ثم رجع إلى بيت المقدس، فرأى الملكين فى منامه فقال: أحدهما لصاحبه هذا إبراهيم بن أدهم قد قبل اللَّه طاعته الموقوفة منذ سنة فبكى إبراهيم من الفرح وكان بعد ذلك لا يأكل إلا فى كل سبعة أيام أكلة من الحلال.

حكاية: قال أبو يزيد البسطامى - رضى اللَّه عنه- : خرجت إلى الجامع يوم الجمعة فى الشتاء فزلقت رجلى فتمسكت بجدار بيت فذهبت إلى صاحبه فإذا هو مجوسى، فقلت: قد استمسكت بجدارك فاجعلنى فى حل قال: أو فى دينكم هذا الاحتياط قلت: نعم قال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وقال الإمام النووى: فى بستان العارفين قيل لأبى سليمان الدارانى بعد موته فى النوم ما فعل اللَّه بك قال: أخذت عودًا من حمل شيح باب الصغير فأنا فى حسابه منذ سنة، وقال الشبلى - رضى اللَّه عنه- : فى مرضه الذى مات فيه على درهم تصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبى شغل أعظم منه، وقال القشيرى: يؤخذ بدانق واحد سبعمائة صلاة. وتوقف فيه القرطبى لقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [القصص: ٨٤]، فلا يحزن إلا مثلها وفى الحديث أن رجلاً قال يا رسول اللَّه: رأيت إن قتلت فى سبيل اللَّه أيكفر اللَّه عنى ذنوبى قال: «نعم وأنت صابر محتسب إلا الدين» وفى حديث آخر «والذى نفسى بيده لو أن رجلاً قتل فى سبيل اللَّه ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة»، قال القرطبى: محله فيمن مات وهو قادر على الوفاء أولم يوص به أما من استدان فى حق ومات وهو معسر فإن اللَّه تعالى يؤدى عنه، بفضله لما رواه أبو بكر الصديق - رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ إن اللَّه يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول له: ابن آدم فيم أضعت حقوق الناس فيم أذهبت أموالهم فيقول: يا رب أفسد ولكن أصبت أما غرقًا وأما حرقًا فيقول: أنا أحق من قضى عنك فترجح حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة، وفى الحديث من أقرض دينًا إلى أجله فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فله بكل يوم مثل الدين صدقة.

فوائد: الأولى: دخل النبى ﷺ المسجد فوجد أبا أمامة - رضى اللَّه عنه- جالسًا، فقال: **«مالى أراك فى المسجد فى غير وقت الصلاة»**، فقال: هموم لزمتنى وديون يا رسول اللَّه قال: **«أفلا أعلمك كلامًا إن قلته أذهب اللَّه همك وقضى عنك دينك»** قلت بلى يا رسول اللَّه قال: **«قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»**.

الثانية: قال أبو بكر الصديق: علمني رسول اللهﷺ دعاء كان عيسى- عليه السلام- يعلمه لأصحابه وقال: لو كان على أحدكم جبل أحد دينًا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه وهو هذا اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك، قال أبو بكر: كان عليّ دين فقضاه الله عني، قال كعب الأحبار: والله أنه لفي التوراة من دعا بهذا لدعاء قضى الله دينه وكفاه عدوه.

الثالثة: امتنع النبيﷺ من الصلاة على ميت لدين عليه فجاء جبريل بدراهم قدر دينه، وقال: صل عليه يا محمد فإنه كان يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾[الإخلاص: ١]، كل يوم مائة مرة.

الرابعة: رأيت في كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا عن معاذ عن النبيﷺ قال: «من كان عليه دين فقال: اللهم منزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم ورب جبريل وميكائيل وإسرافيل ورب الظلمات والنور ورب الظل والحر أسألك أن تفتح لي باب رحمتك، وأن تحلل عقدتي من ذنبي وأن تؤدي عني أمانتي إليك وإلى خلقك قضى الله دينه».

حكاية: كان في بني إسرائيل ثلاثة قضاة فأراد الله أن يمتحنهم فأرسل الله ملكين، أحدهما على فرس ومعها ولدها والآخر على بقرة فدعا صاحب البقرة المهرة فتبعته، فقال: صاحب الفرس هي بنت فرسي وقال: الآخر هي بنت بقرتي فتخاصما إلى قاض منهم فدفع له صاحب البقرة الرشوة فحكم بأنها بنت البقرة، ثم ذهبا إلى الثاني فحكم كذلك ثم ذهبا إلى الثالث، فقال: إني حائض فقال: الرجل يحيض فقال: كيف تلد البقرة فرسًا، فهذا قاضيان في النار وقاض في الجنة.

حكاية: نقل ولي الله تعالى الشيخ العارف بالله تقي الدين الحصني في قمع النفوس أن قاضيًا صالحًا حضره الموت وكان زمنه رجل ينبش القبور ويأخذ الأكفان فدعاه وأعطاه ثمن كفنه لئلا يكشف عنه فلما دفن نبش قبره فلما قرب من اللحد سمع قائلاً يقول: شم قدميه فيهما معصية قال: شم بصره قال: كذب قال: شم سمعه قال: إنه أصغى إلى كلام أحد الخصمين أكثر من الآخر فنفخ فيه فالتهب نارًا، وقال الثعلبي: مر عيسى- عليه السلام- على جماعة قد قلعوا عيونهم فسألهم عن ذلك فقالوا: مخافة من عاقبة القضاء، قال: أنتم الحكماء والعلماء فامسحوا أعينكم وقولوا: بسم الله ففعلوا فإذا هم كما كانوا.

موعظة: قال النبيﷺ: **«من ولي القضاء أو جعل قاضيًا بين الناس فقد ذبح بغير سكين»** رواه أبو داود والترمذي وقال الحاكم: صحيح الإسناد أشار بالذبح بغير سكين لطول التعذيب، وقال النبي ﷺ: **«إن الله مع القاضي ما لم يجر فإذا جار تخلى عنه»** رواه الترمذي والحاكم.

مسألة: القضاء فرض كفاية فمن قام به أسقط الفرض عن الباقين فإن تعين على واحد لزمه طلبه بأن كان أهلاً للقضاء دون غيره.

فائدة: قال الإمام فخر الدين الرازى - رضى اللَّه عنه- : اعلم أن المداخل التى يأتى الشيطان من قبلها ثلاثة : الشهوة والغضب والهوى ، فبالشهوة يصير الإنسان ظالمًا لنفسه وبالغضب يصير الإنسان ظالمًا لغيره وبالهوى يتعدى ظلمه إلى حضرة جلال اللَّه فلهذا قال النبى ﷺ: «الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى اللَّه أن يتركه فالظلم الذى لا يغفر هو الشرك ، والظلم الذى لا يترك هو ظلم العباد والظلم الذى عسى اللَّه أن يتركه هو ظلم الإنسان لنفسه» ، فمنشأ الظلم الذى لا يغفر هو الهوى ومنشأ الظلم الذى لا يترك هو الغضب ومنشأ الظلم الذى عسى اللَّه أن يتركه الشهوة ثم لهذه الثلاثة نتائج البخل والحرص نتيجة الشهوة والعجب والكبر نتيجة الغضب والكفر والبدعة نتيجة الهوى ، فإذا اجتمعت هذه الستة فى بنى آدم تولد له منها سابعة وهى الحسد فلهذا ختم اللَّه مجامع الشرور الإنسانية بالحسد ، قال تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] ، كما ختم مجامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة قال تعالى : ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: ٥] ، فليس فى بنى آدم أشر من الحسد ، بل قيل إن الحاسد أشر من إبليس ، قال فرعون : لإبليس هل تعلم أحد أشر منى ومنك قال : الحاسد وهو أول معصية فى السماء لأن إبليس حسد آدم وأول معصية فى الأرض لأن قابيل حسد هابيل ، فقتله قال الكرابيسى صاحب الشافعى - رضى اللَّه عنهما- : فأصول هذه القبائح ثلاثة ونتائجها سبعة والفاتحة سبع آيات فى مقابلتها ، وأصل الفاتحة البسملة وهى ثلاثة أسماء فى مقابلة أصول القبائح فمن واظب على قراءتها دفع اللَّه عنه هذه الآفات القبيحة إن شاء اللَّه تعالى .

الثانية: قال جعفر الصادق - رضى اللَّه عنه- : من قرأ الفاتحة أربعين مرة على ماء ثم نضح بها وجه محموم شفاه اللَّه تعالى .

فصل: فى العدل

قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨] ، قال الإمام الرازى - رضى اللَّه عنه- : قالت المعتزلة : إما أن اللَّه تعالى يريد أن لا يظلم أحدًا أو لا يظلم أحد أحدًا فإن كان الأول فلا يستقيم على قولكم لأن مذهبكم لو عذب الطائع لم يكن ظلمًا منه ، لأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير وهو سبحانه يتصرف فى ملكه ، وإن كان الثانى فباطل أيضًا على قولكم أن الكل بقضائه وقدره فلا يبقى للآية معنى على مذهبكم ، قلنا فلم يجوز أن يكون المراد الثانى قالوا فإنه تمدح بنفى الظلم فيكون محالاً عليه فاجبناهم جوابان :

الأول: أنه تمدح بنفسه كالسنة والنوم وهما محالان عليه .

الثانى: لو عذب الطائع كان له ذلك لأنه تصرف فى ملكه لكنه لا يفعله ولو فعله لم يكن ظلمًا فى نفسه لكنه يشبه صورة الظلم فأطلق أحد المتشابهين على الآخر وهو مجاز حسن ، ورأيت فى

قواعد ابن عبد السلام لو وجد المكلف مضطرين متساويين ومعه رغيف لو أطعمه لأحدهما عاش يومًا ولو أطعم كل واحد نصفه عاش نصف يوم فالمختار أن تخصيص أحدهما غير جائز لأن أحدهما يكون وليًا للّه تعالى ولأن سبحانه أمر بالعدل والإحسان.

حكاية: دخل شقيق البلخى على هارون الرشيد فقال: عظنى فقال: إن اللّه تعالى أقامك مقام الصديق فيريد منك الصدق، وأقامك مقام الفاروق فيريد منك أن تفرق بين الحق والباطل، وأقامك مقام عثمان فيريد منك الحياء وأقامك مقام على فيريد منك العدل والعلم، قال: زدنى قال: إن للّه تعالى دارًا يقال لها: جهنم وجعلك بوابًا لها تدفع الناس عنها وأعانك بالمال والسوط والسيف وقال لك أيها العبد المأمور ادفع الخلق عن هذه الدار بهذه الثلاثة، فمن جاءك فقيرًا فأعطه من المال ومن لم يطع فأدبه بالسوط ومن قتل بغير حق فاقتص منه بالسيف، قال: زدنى قال: أنت البحر وهم الأنهار فإن صفوت صفوا وإن تكدرت تكدروا.

حكاية: قال نافع: كنت أسمع عمر بن الخطاب كثيرًا يقول: ليت شعرى من هذا الذى يأتى من ولدى يملأ الأرض عدلاً، وقال: بينما أنا مع عمر وهو يعس ليلاً إذا سمع امرأة تقول: لابنتها اخلطى الحليب بالماء فقالت: يا أماه أو ليس قد نادى عمر أن لا يخلط الحليب بالماء، قالت: إنه لا يرانا قالت: مالنا أن نطيعه فى الملأ ونعصيه فى الخلاء فلما أصبح عمر نادى أولاده عبد اللّه وعبيد اللّه وعاصمًا وعرض عليهم الجارية وقال: لو كان لأبيكم من حركة ما سبقه إليها أحد فتزوجها عاصم فولدت له بنتًا ثم ولدت البنت بنتًا وهى أم عمر بن عبد العزيز - رضى اللّه عنه.

لطيفة: روى عن البيهقى: أن رجلاً كان يخلط اللبن بالماء ويبيعه ثم ركب البحر ومعه قرد فأخذ الصرة التى فيها المال المجموع من ثمن اللبن والماء وصعد إلى أعلى المركب وصار يلقى دينارًا فى البحر ودينارًا فى المركب وصاحبه ينظر إليه حتى ألقى نصف المال فى البحر وتقدم فى باب التقوى أنه وكل على وجه رواه الشافعى - رضى اللّه عنه - حكاه القرطبى ويكره اقتناؤه، وكان النبى ﷺ إذا رأى قردًا سجد وفى عجائب المخلوقات وغيره من تصبح بوجه القرد عشرة أيام أتاه السرور، قال: مؤلفه وهذا مردود بسجود النبى ﷺ شكرًا عند رؤيته لأنه على صورة من سخط اللّه عليهم ربما قال العلماء: من كراهة اقتنائه وفى عجائب المخلوقات فى بحر بعض جزائر بحر الصين قردة كالجواميس بيض ألوانها.

حكاية: قال رباح بن عبيدة: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة فرأيت شيخًا يكلمه فقلت من هذا؟ قال: الخضر - عليه السلام - أخبرنى أتولى على هذه الأمة وأعدل فيهم وكان رعاة الشاة يتولون فى ولايته من هذا العبد الصالح الذى قام على الناس فقيل من أخبركم به، قالوا إذا كان الخليفة عادلاً كفت الذئاب عن الغنم فلما كان بعد أيام قالوا: ترى الذئب فى هذا اليوم قد أكل الغنم فجاء الخبر بعد شهر بموت عمر - رضى اللّه عنه -.

حكـايـة: لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خير زوجه فى فراقها أو تقيم عنده وكان قبل الخلافة يلبس أفخر الثياب فلما تولى الخلافة صار له قميص واحد وإزار واحد، قيمتها أربعة عشر درهمًا، وقيل له لو اتخذت حراسًا لطعامك وشرابك كما يفعل الخلفاء، فقال: اللهم إن كنت تعلم أنى أخاف شيئًا غير يوم القيامة فلا تؤمن خوفى وذكر القيامة يومًا فبكى بكاء كثيرًا حتى أغمى عليه ثم ضحك فسئل عن ذلك فقال: رأيت القيامة ومناد ينادى أين أبو بكر الصديق فجىء به فحوسب حسابًا يسيرًا، ثم أمر به إلى الجنة ثم عثمان ثم على بن أبى طالب ثم نادى أين عمر بن عبد العزيز فوقعت على وجهى فأتانى ملكان وأوقفانى بين يدى اللّه فحاسبنى حسابًا يسيرًا ثم رحمنى فبينما أنا مع الملكين إذا رأيت جيفة، فقلت: من أنت؟ قال: الحجاج فقلت: ما فعل اللّه بك؟ قال: وجدته شديد العقاب ثم أنتظر ما ينتظره الموحدون.

فـائدة: قال عمر بن عبد العزيز: رأيت الزهرى فى المنام فقلت له: هل من دعوة قال: قُل لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وتوكل على الحى الذى لا يموت اللهم إنى أسألك العفو والعافية وأسألك أن تعيذنى وذريتى من الشيطان الرجيم، مات عمر سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر فبينما الناس على قبره إذا سقطت ورقة مكتوب فيها بسم اللّه الرحمن الرحيم أمان من اللّه العزيز لعمر بن عبد العزيز فى التوراة مكتوب أن الأرض لتبكى على عمر بن عبد العزيز - رضى اللّه عنه- قالت زوجته: اشتهى عمر عسلاً فلما قدمته وأكل منه، قال: من أين لكم هذا؟ قلت أرسلت غلامى على خيل البريد فاشتراه لك فباعه وأعطانى رأس مالى ورد الباقى إلى بيت المال ثم قال لنفسه: يا عمر أتعبت خيل المسلمين فى شهوتك.

حكـايـة: قال وهب بن منبه: لما أخرب بختنصر بيت المقدس وحرق التوراة ونهب الأموال، وكان ملكه سبعمائة سنة فاحتمل الأموال من بيت المقدس على مائة ألف عجلة وسبعين ألف عجلة وكان سليمان- عليه السلام- قد ابتناه من ذهب وفضة ودر وياقوت وذمرد بالذال المعجمة، قاله النووى: وأسر بنى إسرائيل والأنبياء وكان منهم العزيز فرفع صوته وقاله: اللهم إنك خلقت السماوات والأرض بمشيئتك ثم بوأت بنى إسرائيل الأرض المقدسة وسلطت عليهم عدوك وعدوهم فجاء ملك، وقال: ياعزيز أتريد أن تعلم سر قضاء اللّه تعالى قال: نعم قال: إن اللّه أرسلنى إليك وأريد منك أن تصرلى من الشمس صرة وتزن لى مثقالاً من الريح وتكيل لى كيلاً من النور وترد لى أمس قال: ومن يطيق ذلك، قال: الذى لا يسئل عما يفعل، يا عزيز إن كنت تسئل عن هذا فلا تعرفه فكيف لو قلت لك كم تحت الأرض من ينبوع وكم فى البحر من قطرة وكم عدد أرواح الموتى وأين طريق الجنة، قال العزيز: لا علم إلىّ بشىء من هذا فقال: إذا لم تعلم هذا وأنت تشاهده ببصرك فكيف تعلم علم اللّه الذى حجبه عن خلقه يا عزيز سل البحار ما لأمواجها تعلو وتندفع فإذا بلغت حدها رجعت بزمام القهر، أرأيت لو اختصمت الأرض والبحار إليك ما كنت

تحكم بينهما؟ إذا قالت الأرض: أريد أن أتوسع وأمتد فى البحر، وقالت البحار: أريد أن أتوسع قال: أقول قد جعل اللّه لكل واحد منكما حدّاً لا يتجاوزه قال: نعم حكمت احكم بهذا على نفسك فإن اللّه تعالى جعل لبنى آدم أجلاً واحداً ولهم حدّاً لابد أن يصلوا إليه.

حكـاية: قال موسى- عليه السلام-: يا رب أرنى عدلك قال: اذهب إلى مكان كذا ففعل فوجد عينا وشجرة فجلس تحتها مستخفيًا فجاء فارس فشرب من العين ونسى كيسًا فيه ألف دينار، فجاء صبى فأخذه ثم جاء رجل أعمى فتوضأ من العين فتذكر الفارس كيسه فرجع وسأل الأعمى، فقال: ما وجدته فضربه فقتله فتعجب موسى- عليه السلام- من ذلك فأوحى اللّه إليه اعلم أن الصبى قد أخذ حقه لأن الفارس قد أخذ من والد الصبى ألف دينار، وأما الأعمى فإنه قتل أبا الفارس فأوصلت إلى كل ذى حق حقه.

فائدة: نسج العنكبوت على النبى ﷺ وعلى عبد اللّه بن أنس- رضى اللّه عنه- لما أرسله النبى ﷺ لقتل كافر فقطع رأسه داخل غاراً فنسج عليه العنكبوت فجاء الطلب فلم يروه ونسج على زين العابدين بن الحسين- رضى اللّه عنهما- لما صلبوه مجرداً ونسج على داود- عليه السلام- لما طلبه جالوت، قاله القرطبى: من تركه فى البيت يورث الفقر وفى الاصطبل يورث ضعف الدواب وأصله امرأة ساحرة فمسخها اللّه تعالى، قال ابن الملقن: فى العمدة يستحب قتل العنكبوت لقول النبى ﷺ: اقتلوا العنكبوت فإنه شيطان.

مـوعظة: قال داود- عليه السلام-: يا رب ما من يوم إلا ولك فيه من آل داود صائم وما من ليلة إلا ولك فيها من آل داود قائم فقال: ذلك بقوتهم أو منى فقال: بل منك يا رب، فقال: وعزتى وجلالى لأكلنك إلى نفسك سنة فقال: لا بعزتك قال: شهراً قال: لا بعزتك قال: أسبوعًا قال: لا بعزتك قال: يومًا قال: لا بعزتك قال: لحظة فرضى وجمع حوله ثلاثين ألف مقاتل وجمع قراء الزبور فسقط عليه طير من ذهب فتبعه ليأخذه فوقع نظره على امرأة جميلة فاعجبته فأرسل زوجها إلى الجهاد ثم أرسله من مكان إلى مكان ليقتل فلما قتل تزوجها وهى أم سليمان- عليه السلام- فأرسل اللّه إليه ملكين كالخصمين فلما رآهما قد دخلا عليه من غير باب داره خاف منهما، فقالا: ﴿لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٢، ٢٣]، وكان داود- عليه السلام- متزوجًا بتسع وتسعين امرأة فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه بفعله مع زوج المرأة وخرجا من عنده فعرف أنه قد امتحن فمكث أربعين سنة يبكى حتى نبت العشب من دموعه فأوحى اللّه إليه اذهب إلى زوج المرأة وتحلل منه فناداه فقال: من هذا شغلنى عن لذتى، قال: أنا داود عرضتك للقتل فقال: يا داود عرضتنى للجنة فأوحى اللّه إليه يا داود إنى حكم عدل أخبره بأنك تزوجت امرأته فناداه فقال: من هذا الذى شغلنى عن لذتى فقال: أنا داود فقال: ما تريد أليس قد جعلتك فى حل؟ قال: إنى قد تزوجت امرأتك فلم يرد عليه

فناداه ثانيًا فلم يجبه فحثا داود التراب على رأسه فقال: ويل لداود إذا نصبت الموازين فأوحى اللَّه إليه قد غفرت لك، قال: وكيف تغفر لى ولم يغفر لى صاحبى؟ قال: أنا أرضيه وأستوهبك منه.

حكاية: كان فى بنى إسرائيل عابد عبد اللَّه دهرًا طويلاً فى صومعة وأنبت اللَّه له كرمة عنب يأكل منها كل يوم قطف عنب وإذا عطش مد يده فيقع فيها الماء فمرت به امرأة جميلة، فقالت: يا راهب قد دخل الليل والقرية بعيدة فدعنى أنام عندك هذه الليلة فلما صارت عنده تجردت عن ثيابها فغض بصره فتعرضت له فطالبته نفسه بذلك، فقال: إن الزانى يكتب على جبهته آيس من رحمة اللَّه وخوف نفسه بنار جهنم فلم ترجع فعرض عليها النار الصغرى وملأ سراجه دهنًا وغلظ الفتيلة وأدخل أصبعه فنادى مالك يا نار كلى فأحرقت أصابعه كلها مع يده فصاحت المرأة صيحة فارقت الدنيا فسترها بثوبها وقال إلى الصلاة فلما طلع الفجر صاح إبليس فى المدينة ألا وإن الراهب قد زنى بفلانة وقتلها فركب الملك بعسكره إليه وناداه فأجابه، فقال: أين فلانة قال: عندى قال: دعها تخرج قال: إنها ميتة فقال: ما رضيت بالزنا حتى قتلتها فأخذوه بالسلاسل الحديد ووضعوا المنشار على رأسه، وقال: جروه فلما فعلوا تأوه فقال اللَّه تعالى: يا جبريل قل له قد أبكيت حملة عرشى وسكان سمواتى وعزتى وجلالى لأن تأوه مرة ثانية لأهدمن السماوات على الأرض فصبر واحتسب ولم يخبرهم بحاله فأنطق اللَّه المرأة وقالت: إنه مظلوم واللَّه ما زنى وأخبرتهم بخبره مع النار فلما رأوا يده محترقة ندموا على قتله فحفروا له والمرأة قبرًا فوجدوه مسكًا فنادى مناد من السماء اصبروا حتى تصلى عليهما الملائكة وألقى عليهم كتابًا فيه بسم اللَّه الرحمن الرحيم من اللَّه تعالى إلى عبده أنى قد نصبت المنبر تحت عرشى وجمعت ملائكتى وخطب جبريل وأشهدت الملائكة أنى قد زوجته خمسين ألف عروس من الفردوس ذلك لمن خشى ربه.

فصل: فى الشفقة على خلق اللَّه تعالى

قال اللَّه تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران: ١٣٤]، خصوصًا إلى الدابة والرقيق وقال النبى ﷺ فى حق الرقيق: «**إخوانكم خولكم جعلهم اللَّه تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

مسألة: تجب نفقة الرقيق غير المكاتب على سيده قوتًا وأدمًا وكسوة وسائر المؤن صغيرًا كان أو كبيرًا زمنًا أو سليمًا مرهونًا أو مستأجرًا على حسب كفايته من غالب قوت البلد الذى يطعم منه المماليك ولا يكفى فى كسوته ستر العورة فقط ألا يكون ببلاد السودان، ولو كان له عبيد استحبت التسوية بينهم إلا فى الإناث فيفضل الجميلة على غيرها من الإناث، قال: مؤلفه- رحمه اللَّه تعالى- إنما فضلت الجميلة على غيرها لأن الإستمتاع بها جائز بخلاف الذكور فلا يفضل الجميل على غيره.

وقد تقدم فى باب الأمانة ما أعد اللّه من العذاب لمن تشبه بقوم لوط ويجب شراء ماء الطهارة له وتسقط النفقة بمضى الزمان فإن امتنع من الإنفاق باع الحاكم ما له بعد الاستدانة واجتماع شىء صالح للبيع فإن لم يكن للسيد ما له أمره ببيعه أو إجارته أو عتقه فإن امتنع تول الحاكم ذلك، فإن لم يتيسر أنفق عليه من بيت المال فإن لم يكن فعلى المسلمين، ويجب علف الدابة أو تخليتها للرعى أن كفاها فإن امتنع أجبره الحاكم على بيع المأكول أو ذبحه وخيره على بيعه ولا يزيد فى حلب الدابة بحيث يضر ولدها ويترك للنحل شيئًا من العسل إن لم يكتف بغيره، ويجب عليه تحصيل ورق التوت لدود الحرير فإن امتنع باع الحاكم ما له فى ذلك يجوز تجفيف الدود فى الشمس بعد حصول الغرض منه، وقال النبى ﷺ: «**من لا يرحم لا يرحم**» وقال النبى ﷺ: «**رأيت ليلة الإسراء سبعة** قصور بين كل قصرين كما بين المشرق والمغرب قلت: لمن هذه قيل لمن قاد ضريرًا سبع خطوات، قلت: أبشر به أمتى قيل نعم وأكثر من هذا من قال: من أمتك سبع مرات لا إله إلا اللّه يعطى فى الجنة بقدر الدنيا عشرين مرة» وعن أنس عن النبى ﷺ: «**من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة**» وعن النبى ﷺ: «**من قاد أعمى أربعين ذراعًا أو خمسين ذراعًا كتب اللّه له عتق رقبة**» وعن أبى هريرة- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ: «**من قاد ضريرًا إلى المسجد أو إلى منزله أو إلى حاجة من حوائجه كتب اللّه له بكل قدم رفعها أو وضعها عتق رقبة وصلت عليه الملائكة حتى يفارقه، ومن مشى بضرير فى حاجة حتى يقضيها أعطاه اللّه براءة من النار وبراءة من النفاق ولم يزل يخوض فى الرحمة حتى يرجع**» وقال النبى ﷺ: «**يا أبا هريرة إذا قدت أعمى فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى فإنها صدقة**» وعن ابن عمر عن النبى ﷺ: «**من قاد أعمى أربعين خطوة غفر له اللّه ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» وعن أنس عن النبى ﷺ: «**قال تعالى: إذا أخذت كريمتى عبدى لم أرض له ثوابًا دون الجنة فقيل يا رسول اللّه وإن كانت واحدة قال: وإن كانت واحدة**» وعن النبى ﷺ: «**أول من ينظر إلى اللّه تعالى من كان ضريرًا**».

فوائد: الأولى: عن ابن عمر- رضى اللّه عنهما- عن النبى ﷺ قال: «**إذا خفت سلطانًا أو غيره فقل لا إله إلا اللّه الحليم الكريم سبحان اللّه رب السماوات السبع رب العرش العظيم الحمد للّه رب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز جاهك وجل ثناؤك**» وقال على- رضى اللّه عنه- : قال النبى ﷺ: «إذا دخلت على ذى سلطان فقل اللهم إنى أعزم باسمك العظيم الأعظم الحى القيوم الأحد الصمد على قلب فلان قل سمعه وبصره ويده ولسانه حتى لا يجرى على إلا ما هو خير لى فى دينى ودنياى وعواقب أمرى اللهم ارزقنى واصرف عنى شره واكفنيه يا اللّه يا اللّه فيقول لك ملك: إنك اليوم لدينا مكين أمين».

الثانية: عن النبى ﷺ: «من دخل على ذى سلطان فقال: بسم اللّه ربى اللّه لا إله إلا اللّه وقاه اللّه شره».

قال مؤلفه: فإن زاد ما قاله موسى: حين توجه إلى فرعون كنت وتكون وأنت حى لا تموت تنام العيون وتنكد النجوم وأنت حى قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم فحسن لأنه مما يقال عند الكروب.

الثالثة: رأيت فى رسائل الحاجات للإمام الغزالى بجدة قال: بلغنى من غير واحد من أصحاب القلوب أن من قرأ فى الركعة الأولى من سنة الفجر فاتحة الكتاب وألم نشرح وفى الثانية الفاتحة والفيل قصرت عنه يد كل ظالم وعدو ثم قال الغزالى: وهو صحيح لا شك فيه.

الرابعة: فى التوراة إنى أنا اللّه لا إله إلا أنا ملك الملوك قلوب الملوك بيدى من أطاعنى جعلتها عليه رحمة ومن عصانى جعلتها عليه نقمة وعن أبى الدرداء عن النبى ﷺ يقول اللّه تعالى: إنى أنا اللّه لا إله إلا أنا ملك الملوك ومالك الملوك قلوب الملوك بيدى، وأن العباد إذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة وأن العباد إذا عصونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على ملوككم، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع إلى أكفكم ملوككم، قال الرازى: فى قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩]، أى يبغونكم أشد العذاب.

حكاية: قال موسى- عليه السلام- : يا رب أوصنى بوصية قال: كن مشفقًا على خلقى قال: نعم فأراد اللّه أن يظهر شفقته للملائكة فبعث إليه ميكائيل فى صورة طير صغير وجبريل فى صورة شاهين فجاء الطير الصغير إلى موسى وقال: يا نبى اللّه أجرنى من الشاهين ففعل ثم جاء الشاهين، قال: يا موسى هرب منى طير وأنا جائع فقال: فهل تريد إلا سد الجوع قال: نعم قال: أنا أعطيك لحمًا قال: نعم لكن لا آكل إلا من فخذك قال: نعم قال: لا آكل إلا من عضدك قال: نعم قال: لا آكل إلا من عينيك قال: نعم قال: للّه درك يا كليم اللّه أنا جبريل وهذا الطائر ميكائيل أراد اللّه تعالى أن يظهر شفقتك للملائكة ليرد عليهم قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها.

حكاية: ذبح بعض الصديقين بقرة وولدها ينظر إليها فأسقطه اللّه تعالى من مقامه وسلبه عقله فصار هائمًا على وجهه يلعب به الصبيان فمر على أفراخ طير قد سقطن من وكرهن فرفعهن إليه رحمة لهن فشكر اللّه له ذلك وجعله نبيّا من الأنبياء، ورأيت عن عمر بن الخطاب أنه رأى صبيّا يلعب بعصفور فاشتراه منه وأعتقه فلما رآه بعض أصحابه فى المنام فسأله عن حاله، فقال: لما وضعت فى قبرى حصل لى من الملكين خوف فسمعت قائلاً يقول: لا تخوفوا عبدى فإنه رحم عصفوراً فى الدنيا فرحمته فى الآخرة.

لطيفة: أمر عمر بن الخطاب بكتابة عهد لرجل قد ولاه فبينما الكاتب يكتب جاء صبى فجلس فى حجر عمر فلاطفه بالكلام، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين لى عشرة أولاد مثله ما دنا منى أحد منهم، فقال: عمر للكاتب مزق الكتاب فإن من لا يرحم أولاده كيف يرحم الرعية.

موعظة: قال النبى ﷺ لرجل يحد شفرته وقد أضجع شاة: «**أتريد أن تميتها مرتين هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها**» رواه الطبرانى وقال رجل: للنبى ﷺ إنى لأرحم الشاة إذا ذبحتها، فقال: «إن رحمتها رحمك اللّه» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد قال الإمام النووى: يستحب أن يعرض عليها الماء قبل الذبح وأن لا يذبح بعضها بحضرة بعض وأن لا يحد الشفرة قبالها.

فائدة: قال القرطبى: أوحى اللّه تعالى إلى موسى أتدرى بما اتخذتك كليمًا، قال: لا قال: أتذكر يوم كذا وأنت ترعى غنمًا فهربت منك شاة فتبعتها من واد إلى واد حتى أدركتها ولم تغضب عليها، قال: نعم: قال: فبذلك اتخذتك كليمًا.

لطيفة: رأيت فى طبقات ابن السبكى: أن الشيخ أحمد الرفاعى لما نام يوم الجمعة جاء الهر فنام على كمه فاستيقظ وقت الصلاة فقطع كمه ولم يزعجه فلما فرغ من الصلاة وذهب الهر أعاد كمه إلى موضعه، وفى البخارى فبينما رجل على ركية أى على بئر فرأى كلبًا يأكل الثرى من العطش ويلهث عطشًا فسقاه فغفر له.

حكاية: كان فى بنى إسرائيل رجل فاسق فلما مات ألقاه بنو إسرائيل فى بئر فأمر نبيهم- عليه السلام- بإخراجه وغسله والصلاة عليه ففعل ثم قال: يا رب بما استحق هذه المنزلة، قال: رأى كلبًا أعمى يلهث عطشًا فأخذ عمامته وبلها فى بئر فأسقاه وذكر القرطبى فى قوله تعالى: ﴿**فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ** ﴿٢٤﴾﴾ [المعارج: ٢٤]، قيل هو الزكاة والسائل الذى يسأل الناس من الفاقة والمحروم، قيل هو الذى أصاب ما له عاهة، وقيل الكلب.

حكاية: **قال فى الرسالة القشيرية قال أبو سليمان الخواص:** ركبت حمارًا فى بعض الأيام فجعل يطأطئ رأسه من الذباب فضربته على رأسه فرفع رأسه، وقال: هكذا تضرب على رأسك.

حكاية: مر بعض الأنبياء فعارضه سبع فلطمه النبى- عليه السلام- لطمة فلطمه السبع مثلها، فقال: يا رب أنا نبيك وهذا كلبك فأوحى إليه لطمة بلطمة والبادى أظلم حكاه فى شرح أسماء اللّه الحسنى.

حكاية: قال فى حقائق الحقائق: أن السبع أزعج أهل السفينة فدعا عليه نوح- عليه السلام- فابتلاه اللّه بالحمى فوقع فى زاوية السفينة وله أنين فلطمه نوح- عليه السلام- لطمة شديدة فأوحى اللّه إليه انا الحكم العدل وهذا خلق من خلقى وهو مريض يشكو لى حاله وأنا أحب شكاية المريض فقم وصالحه فقام إليه ووضع يده على رأسه فخفف اللّه عنه ولولا وجود الحمى على الأسد لعظم ضراوة فى الأرض.

لطيفة: لما افتقد سليمان- عليه السلام- الهدهد أرسل العقاب فى طلبه فارتفع فى طلبه فى الهواء فرآه مقبلاً من نحو اليمين فانقض عليه، فقال: بحق الذى قواك على أن ترحمنى فعفا عنه

وأتى به إلى سليمان يجر جناحيه تواضعًا، فقال: سليمان لأعذبنك فقال: الهدهد يا نبى اللّٰه اذكر وقوفك بين يدى اللّٰه فعفا عنه.

فـائدة: إذا ذبح الهدهد وعلق بحملته على باب دار فيها من السحر والعين وأكله مشويًا بسداب يمنع النسيان.

حكـاية: قال الدميرى: فى حياة الحيوان جلس موسى- عليه السلام- تحت شجرة فلدغته نملة فأحرق النمل، فأوحى اللّٰه إليه فهلا نملة واحدة وكان قبل ذلك، يقول: يا رب كيف تعذب قومًا بذنب رجل واحد فأراه ذلك فى النمل ليعلم أن العقوبة قد تعم الطائع والعاصى اهـ باختصار، قال: الرافعى إحراق الحيوان من الكبائر وإذا سحق الكمون ووضع على النمل أو القطران أو الزعتر أو الزيت ارتحل بإذن اللّٰه تعالى وتقدم جواز قتل الذر وهو النمل الصغير أى الأحمر، وقال ابن عباس: فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، أى لا يظلم بقدر رأس النملة الصغيرة.

فـائدة: قال فى كتاب العرائس: عن النبى ﷺ: «عليكم بلباس الصوف فإنكم تعرفون به يوم القيامة فإن النظر فى الصوف يورث فى القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة» وتقدم فى فضل البسملة أن من لبس الصوف تواضعًا زاده اللّٰه نورًا فى بصره ونورًا فى قلبه، وفى عوارف المعارف عن النبى ﷺ: «نوروا قلوبكم بلباس الصوف فإنه مذلة فى الدنيا ونور فى الآخرة» وقال الدميرى: التصوف مبنى على الكرم وهو لإبراهيم- عليه السلام- والرضا وهو لإسحاق- عليه السلام- والصبر وهو لأيوب- عليه السلام- والإشارة وهى لزكريا- عليه السلام- والغربة وهى ليحيى- عليه السلام- ولبس، الصوف وهو لعيسى- عليه السلام- والشجاعة وهى لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين وقال الشبلى: الصوفى من لبس الصوف على الصفا وسلك طريق المصطفى وكانت الدنيا عنده خلف القفا وتقدم أن القفا مقصور وهو مؤخر العنق.

فصل: فى إكرام المشايخ

قـال ﷺ: **«إن من إجلال اللّٰه تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم»** وعنه ﷺ: ما نبى إلا مشى إلىّ وسلم على ليلة المعراج إلا نبى واحد، قال لى: جبريل امش إليه وسلم عليه يا محمد، لا لكونه أفضل منك بل لشيخوخته هذا نوح شيخ المرسلين حكاه النسفى- رحمه اللّٰه تعالى.

قال مؤلفه- رحمه اللّٰه تعالى- : أول من شاب إبراهيم- عليه السلام- وسيأتى بيانه فيكون نوح شيخ المرسلين بكبر سنه لا ببياض شعره، وعن النبى ﷺ: **«الشيب أول منازل الموت»**، وعن النبى ﷺ: «من شاب شيبة فى الإسلام يقول اللّٰه تعالى: مرحبًا بعبدى هذه صفة من أبيضت له شعرة واحدة، ويقول اللّٰه تعالى: قد وهبت سواد صحيفتك لبياض شيبتك» قالت عائشة- رضى اللّٰه عنها- : هذا لمن مات وقد شاب فكيف بمن يموت وهو شاب فقال النبى ﷺ: «أمتى كلهم يقومون

من قبورهم وقد شابت شعورهم لهيبة ملك الموت- عليه السلام-» ويأتى فى باب فضل العلم أمتى كلهم علماء وقال ﷺ: «**طوبى لمن طال عمره وحسن عمله**» وقال ﷺ: «**ألا أخبركم بخياركم، خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً**» وقالت عائشة- رضى اللَّه عنها- : قال النبى ﷺ: «**من بلغ ثمانين من هذه الأمة لم يعرض ولا يحاسب وقيل له ادخل الجنة**» وقال عبد اللَّه بن عمر: قال النبى ﷺ: «**السعادة كل السعادة طول العمر فى طاعة اللَّه**» وقال النبى ﷺ: «**إذا بلغ المرء المسلم** أربعين سنة صرف اللَّه عنه ثلاثًا الجنون والجذام والبرص، وإذا بلغ الخمسين سنة خفف اللَّه ذنوبه» وفى رواية «هون اللَّه الحساب وإذا بلغ ستين سنة رزقه اللَّه الإنابة، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه اللَّه تعالى وأحبه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة قبل اللَّه حسناته وتجاوز عن سيئاته، وإذا بلغ تسعين سنة غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان أسير اللَّه فى الأرض وشفيعًا لأهل بيته يوم القيامة» وفى رواية «وإذا بلغ مائة سنة سمى حبيب اللَّه فى الأرض وحق على اللَّه أن لا يعذب حبيبه» ورأيت فى قوله تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** (١٣)﴾ [نوح: ١٣]، أى ما لكم لا ترجون للَّه ثوابًا قاله عطاء ابن أبى رباح: وقال ابن عباس: ما لكم لا تخشون للَّه عقابًا، وقيل ما لكم لا تعرفون للَّه حقًا وقد خلكم أطوارًا أى أنواعًا صحيحًا وسقيمًا وغنيًا وفقيرًا وقيل أطوارًا يعنى صبيانًا ثم شبابًا ثم شيوخًا، فإذا بلغ الصبى سبع سنين وميز أى فرق بين الحسن والقبيح وقيل يفهم الخطاب ويرد الجواب أمر بالصلاة وفى العشر يضرب عليها والضرب والتعليم واجبان على الآباء والأمهات وفى الخامس عشر يجرى عليه القلم وفى إحدى وعشرين يستيقظ قلبه، وفى الثمانية والعشرين ينتهى عقله وفى الثلاثين تنتهى قوته وفى الأربعين يأمن من الجذام والجنون والبرص، وفى الخمسين تجب إليه الإنابة وفى الستين تعرفه الملائكة وفى السبعين تغفر له ذنوبه وفى الثمانين تمحى سيئاته، وفى التسعين يعتقه اللَّه من النار وإذا بلغ المائة شفعه اللَّه فى سبعين من أهل بيته.

حكاية: قيل ليحيى بن أكثم بالثاء المثلثة- رضى اللَّه عنه- بعد موته: ما فعل اللَّه بك، قال: أوقفنى بين يديه وقال: يا شيخ السوء فعلت وفعلت فقلت: ما بهذا حدثت عنك حدثنى معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة عن محمد ﷺ عن جبريل عنك أنك قلت: إنى لأستحيى أن أعذب شيبة شابت فى الإسلام فقال تعالى: صدق معمر والزهرى وعروة وعائشة ومحمد وجبريل وصدقت أنا اذهب فقد غفرت لك وقال ﷺ: «**من شاب شيبة فى الإسلام كتب اللَّه له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة**» رواه ابن حبان، وأوحى اللَّه تعالى إلى محمد ﷺ «الشيب على عبدى المؤمن نور من نورى وأنا أكرم من أن أحرق نورى بنارى».

حكاية: قال محمد النيسابورى: رأيت بعضهم فى المنام فقلت: له ما فعل اللَّه بك قال: أوقفنى بين يديه وقال: يا شيخ السوء كنت تحمل إلى السلاطين وتنال من دنياهم فقلت: يا رب كانت الدنيا على مكدرة وأنا صاحب عيال فأمر بى إلى النار فقلت: ما هكذا ظنى بك، فقال: وما ظنك بى

فقلت : حدثنى يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن محمد ﷺ عن جبريل عنك أنك قلت : أنا عند ظن عبدى فليظن بى ما شاء فقال : صدق يحيى وصدق شعبة وصدق قتادة وصدق أنس وصدق محمد وصدق جبريل أنا قلت : ذلك فطيبنى وألبسنى سبعين حلة وجعل على رأسى تاجًا ومشى بين يدى الولدان المخلدون إلى الجنة ، وعن النبى ﷺ: «لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن باللَّه تعالى فإن حسن الظن باللَّه تعالى ثمن الجنة» وقال ابن مسعود : واللَّه واللَّه الذى لا إله إلا اللَّه لا يحسن أحد الظن باللَّه إلا أعطاه ظنه حكاه القرطبى فى التذكرة ، ورأيت فى شرح البخارى لابن أبى حمزة : أن بعض الصالحين كان خطيبًا فلما مات قيل له ما فعل بك الملكان فى قبرك ، قال : لما سألانى ارتج على الجواب ساعة ، وإذا بشاب حسن الوجه قد دخل علىّ وعلمنى الجواب فقلت : له من أنت قال : أنا عملك قلت : ما أبطأك عنى قال : كنت تأخذ أجر الخطابة من السلطان فقلت : ما أكلت منها شيئًا بل كنت أفرقها فقال : لو أكلتها ما جئتك . وعن أبى بكر الصديق - رضى اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه حرم الجنة على جسد غذى بحرام**» وقال ابن عباس : لا يقبل اللَّه صلاة امرئ فى جوفه حرام .

فـــائدة: قال رجل : يا نبى اللَّه أدبرت الدنيا عنى وقلت ذات يدى فقال : أين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون أن تقول ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلى الغداة مائة مرة : سبحان اللَّه وبحمده سبحان اللَّه العظيم أستغفر اللَّه تأتيك الدنيا راغمة ويخلق اللَّه من كل كلمة ملكًا يسبح اللَّه تعالى يوم القيامة لك ثوابه .

مــوعـظة: قال الحسن البصرى : مكتوب على وجه الأرض من أحب الدنيا أبغضه اللَّه ومن أبغضها أحبه اللَّه ، قال ابن عباس - رضى اللَّه عنهما - : الدنيا ثلاثة أقسام قسم للمؤمنين يتزودون به إلى الآخرة وقسم يتزين به المنافقون وقسم يتمتع به الكافرون قال الحناطى : الزهد ثلاثة أحرف الزاى ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا .

حكـاية: خرج على بن أبى طالب للصلاة فوجد شيخًا يمشى أمامه فمشى خلفه ولم يتقدم عليه إكرامًا له ، فلما ركع النبى ﷺ وضع جبريل - عليه السلام - جناحه على ظهره فكلما أراد أن يرفع منعه جبريل حتى أدركه على ، لكنه حديث موضوع ، وعن أنس عن النبى ﷺ قال : «إن اللَّه ينظر إلى وجه الشيخ صباحًا ومساءً ويقول : كبر سنك ودق عظمك ورق جلدك واقترب أجلك فاستحيى منى فإنى أستحيى منك» وعن النبى ﷺ قال : أول من جزع من الشيب إبراهيم - عليه السلام - فقال : يا رب ما هذه الشوهة التى شوهت بخليلك فأوحى اللَّه إليه هذا سربال الوقار ونور الإسلام وعزتى وجلالى ما ألبسته أحدًا من خلقى يشهد أن لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى إلا استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانًا أو أعذبه بالنار ، فقال : يا رب زدنى وقارًا فأصبح رأسه ولحيته مثل الثغامة البيضاء ، قال الإمام النووى فى شرح المهذب : الثغامة بفتح الثاء المثلثة وتخفيف

الغين المعجمة نبات له تمر أبيض، قال الحناطى: لما ولدت سارة إسحاق وهى ابنة مائة وعشرين سنة فقال: قومه أما تنظرونه فأين الشيخين قد وجدا غلامًا لقيطًا فاتخذاه ولدًا ألا يولد لمثلهما؟ فألقى اللَّه تعالى شبه إبراهيم على إسحاق- عليهما السلام- ثم ميز اللَّه إبراهيم بالشيب وذلك كفا طلع من السماء وبين أصبعه شعرة بيضاء فجعلت تدنو من إبراهيم حتى ألقاها على رأسه- عليه السلام- وقال ابن عباس: إذا طلبت من أحد حاجة فلا تطلبها ليلاً ولا من ورائه فإن الحيا فى العينين، وقال بعض العلماء: يجب أن يكون عند الحاكم شيخ عالم بمصالح الرعية لأن نظر الشيخ أتم من نظر الشاب، قال بعض الفضلاء:

إن الأمور إذا الأحـــداث دبرها دون الشيوخ ترى فى بعضها خللا

قال النبى ﷺ: «**الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته**».

فـــائدة: قال النسفى- رحمه اللَّه تعالى- : إذا كان يوم القيامة يأمر اللَّه تعالى بشيخ إلى الجنة ويدفع صحيفته إلى ملك، ويقول: له إذا وصل إلى باب الجنة فادفع إليه كتابه، فإذا فعل ذلك يقول الشيخ: للملك قف حتى أقرأه فيقول: ما معى إذن فيفك حتمه ويقرأه فيجد فيه ذنوبًا كثيرة فيخجل ويقول: كيف أدخل الجنة مع هذه الذنوب فيرسل اللَّه ريحًا فيطير الكتاب من يده وتهب ريح الرحمة على قلبه فينزع منه ذكر الذنوب حتى كأنه لم يعلمها.

فصل: فى الخضاب والتسريح

عن أنس- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ: أول من اختضب بالحناء إبراهيم- عليه السلام- وعنه أيضًا عن النبى ﷺ: «إذا دخل المؤمن قبره وهو مخضب بالحناء أتاه منكر ونكير، فقالا له: من ربك ومن نبيك، فيقول: منكر لنكير ارفق بالمؤمن أما ترى نور الإيمان» وعن على- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «الحناء بعد النورة أمان من الجذام» وقال أنس- رضى اللَّه عنه- دخل رجل على النبى ﷺ وهو أبيض الرأس واللحية فقال: ألست مسلمًا؟ قال: بلى قال: فاختضب وعنه أيضًا عن النبى ﷺ اختضبوا بالحناء فإنه يطيب الريح ويسكن الدوخة، وقال النبى ﷺ: «اختضبوا فإن الملائكة يستبشرون بخضاب المؤمن» قال أبو طيبة- رضى اللَّه عنه- : نفقة درهم فى سبيل اللَّه بسبعمائة ونفقة درهم فى خضاب اللحية بسبعة آلاف، وقال: غيره إذا بدأ الجدرى بصغير فاخضب أسافل رجليه بالحناء فإنه أمان لعينيه من الجدرى، قال الذهبى: فى الطب النبوى وهو مجرب شجرة الحناء أحب إلى اللَّه من غيرها ويستحب للنساء وقد يجب بأن يهيىء الزوج أسبابه للزوجة وقد يحرم فى عدة وفاة بأن مات زوجها فيما يظهر من بدنها، أما الخضاب بالسواد والتطريف وهو خضاب بعض الأصابع والنقش فحرام إلا بإذن زوجها أو سيدها ويحرم الخضاب على الرجل فى اليدين والرجلين إلا من ضرورة، وقال النبى ﷺ: «من خضب بالسواد سود اللَّه وجهه يوم القيامة» قال فى

شرح المهذب عن الغزالى والبغوى: أن الخضاب بالسواد مكروه، ثم قال: بل الصواب إنه حرام إلا أن يكون فى الجهاد.

فـائدة: قال أبى بن كعب: قال النبى ﷺ: «من سرح رأسه ولحيته كل ليلة عوفى من أنواع البلاء وزيد فى عمره» وعنه أيضًا «من أمر المشط على حاجبه عوفى من الوباء» وقال على- رضى اللَّه عنه- قال النبى ﷺ: «عليكم بالمشط فإنه يذهب بالفقر ومن سرح لحيته حين يصبح كان له أمان حتى يمسى لأن اللحية زينة الرجل وجمال الوجه» قال: فى الإحياء إن للَّه ملائكة يقولون: فى حلفهم والذى زين بنى آدم باللحاء، وقال وهب بن منبه: من سرح لحيته بلا ماء زاد همه أو بماء نقص همه ومن سرحها يوم الأحد زاده اللَّه نشاطًا أو الاثنين قضى حاجته أو الثلاثاء زاده اللَّه رخاء أو الأربعاء زاده اللَّه نعمة أو الخميس زاد اللَّه فى حسناته أو الجمعة زاده اللَّه سرورًا أو السبت طهر اللَّه قلبه من المنكرات.

لطيـفـة: الشيب فى المنام وقار للكبير وهم للصغر وشيب المرأة فى المنام دليل على فسق زوجها، وإن كان صالحًا تزوج عليها ونتفه فى النوم دليل على أنه لا يكرم المشايخ، وفى اليقظة مكروه قال: فى شرح المهذب ولو قيل يحرم لم يبعد للنهى الصحيح عنه.

مسـألة: شيب الرقيق فى غير وقته عيب يرد به والشيخ ليس كفؤًا للشابة، قاله المولى: وهو مردود واللَّه تعالى أعلم.

باب: فضل العقل

قال اللَّه تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ**﴾ [ق: ٣٧]، أى عقل قاله النبى لابن عباس: وعن النبى ﷺ قال: «**إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والصيام والحج فلا يجرى إلا على قدر عقله**» وعن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ: «لكل شىء آلة وآلة تبرهن العقل، ولكل شىء مطية ومطية المؤمن العقل، ولكل شىء دعامة ودعامة المؤمن العقل، ولكل شىء غاية وغاية المؤمن العقل، ولكل قوم راع وراع العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة الآخرة العقل».

لطيفة: قال قتادة: الرجال ثلاثة رجل وهو العاقل ونصف رجل وهو من لا عقل له ولكن يشاور العقلاء، ورجل لا شىء وهو من لا عقل له ولا يشاور العقلاء، وقال النووى: فى بستان العارفين عن بعضهم خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل.

فـائدة: قال على- رضى اللَّه عنه- : خلق اللَّه العقل من نور مكنون فجعل العلم نفسه والفهم روحه والزهد رأسه والحياة عينيه والحكمة لسانه والخير سمعه والرأفة قلبه والرحمة صدره، والصبر بطنه ثم قيل له تكلم فقال: الحمد للَّه الذى ذل كل شىء لعزته فقال: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقًا

أعز علىّ منك ولأسكنتك فى أحب الخلق إلىّ وعن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- لما خلق اللّه العقل، قال: له أدبر فأدبر قال له: أقبل فأقبل فقال: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقًا أحسن منك لأركبنك فى أحب الخلق إلىّ فبك آخذ وبك أعطى وبك أعاقب، فترى العاقل محبوبًا إلى الناس وإن لم يعمل خيرًا معهم ولما خلق اللّه الجهل قال له: أقبل: فأدبر ثم قال له: أدبر فأقبل فقال: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقًا أبغض إلىّ منك ولا أركبنك إلا فى أبغض الخلق إلىّ فترى الجاهل مبغوضًا إلى الناس وإن لم يعمل معهم شرًا، وقالت عائشة- رضى اللّه عنها- : يا نبى اللّه بم يتفاضل الناس فى الدنيا قال: بالعقل قالت: وفى الآخرة قال: بالعقل.

فائدة: قال الذهبى: فى الطب النبوى عن النبى ﷺ: عليكم بالقرع فإنه يزيد فى العقل وهو أجود للمخمومين وينفع من السعال، وفى الطب النبوى ما من حامل تأكل الكرفس إلا خرج ولدها ضعيف العقل، وعن النبى ﷺ: «أطعموا أحبالكم اللبان فإن يكن فى بطنها ذكر يكون زكى القلب، وإن يكن أنثى حسن خلقها» وقوله ﷺ أى حصى اللبان.

حكاية: قيل لابن المبارك: ما خير ما أعطى الرجل؟ قال: العقل قيل: فإن لم يكن؟ قال: فأدب حسن قيل: فإن لم يكن؟ قال: فصمت طويل قيل فإن لم يكن قال: فأخ صالح يستشيره قيل فإن لم يكن؟ قال: فموت عاجل. وفى الحديث ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وحديث الاستخارة مشهور.

فائدة: صلاة الاستخارة سنة يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ①﴾ [الكافرون]، وفى الثانية الإخلاص قال: فى الروضة كتحية المسجد وقال القرطبى: اختار بعض المشايخ أن يقرأ فى كل ركعة الأولى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ الآية [القصص: ٦٨]، وفى الثانية ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ الآية [الأحزاب:٣٦]، ثم يدعو بدعائها المشهور بعد السلام.

لطيفة: قدم لقمان- عليه السلام- من سفر فلقيه غلامه فقال: ما فعل أبى قال: مات قال: ملكت أمرى قال: ما فعلت أمى قال: ماتت قال: ذهب همى قال: ما فعلت امرأتى قال: ماتت قال: جدد فراشى قال: فما فعلت أختى قال: ماتت قال: سترت عورتى قال: ما فعل أخى قال: مات قال: انقطع ظهرى وقال قتادة: أعظم المصائب مصيبة الدين وموت الأب قصم الظهر، وموت الولد صدع فى الفؤاد وموت الأخ قص الجناح وموت الزوجة حزن ساعة، قال الدميرى: من المروءة أن لا يعزى الرجل فى زوجته.

فوائد: الأولى: دخل عمر وأبو هريرة وأبى بن كعب على النبى ﷺ فقالوا: يا نبى اللّه من أعبد الناس؟ قال: العاقل قالوا: من أعلم الناس؟ قال: العاقل؟ قالوا: من أفضل الناس؟ قال: العاقل

قالوا: يا رسول اللّه أليس العاقل الذى تمت مروءته وظهرت فصاحته وجاد كفه، قال: وإن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا العاقل المتقى الذى يتقى اللّه ومعاصيه.

الثانية: العقل مشتق من عقال الناقة فكما أن العقال يمنع الناقة من الذهاب كذلك العقل يمنع صاحبه من المهالك، وقال: فى العوارف العقل له ألف اسم كل اسم أوله ترك الدنيا ولقد أحسن القائل:

إذا أكمل الرحمن للمـــرء عقله فقد كـــــملت أخلاقه ومآربه

وأفضل قسم اللّه للمـــــرء عقله وليـس من الأشياء شىء يقاربه

الثالثة: قال بعض العلماء: لما هبط آدم جاء جبريل بالدين والمروءة والعقل فقال: إن اللّه يخيرك فى واحد فاختار العقل فقال جبريل: للدين والمروءة اصعدا فقالا: إن اللّه أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان وسيأتى فى باب العلم أن العقل والعلم رفيقان لا يفترقان.

الرابعة: نقل العلائى فى تفسيره فى سورة يوسف- عليه السلام- عن ابن عباس أن اللّه تعالى خلق العقل على ألف جزء فقسمه بين العباد تسعمائة وتسعة وتسعون للنبى ﷺ وواحد لجميع الخلق، ثم قسم ذلك الجزء على عشرة أقسام تسعة للأنبياء وواحد لجميع الخلق ثم قسم ذلك الجزء على عشرة أقسام تسعة للرجال وواحد للنساء ثم نقل عن كعب الأحبار أن اللّه تعالى خلق العقل من نور ثم قسمه ألف جزء فأعطى آدم وذريته جزءًا واحدًا وأعطى محمد تسعمائة وتسعة وتسعين جزءًا فاختار بعقله الزهد فى الدنيا.

الخامسة: اختلف العلماء فى محله وصفته فقال الشافعى: هو نور فى اللب يزيد وينقص، وقال أبو حنيفة وأحمد: وأكثر الأطباء أنه فى الدماغ.

باب: فضل العلم وأهله والشام

قال اللّه تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقيل فى قوله تعالى: يميتنى أبا الجهل ثم يحيينى أى بالعلم وقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال سهل بن عبد اللّه فى قوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقال ﷺ: «من يرد اللّه به خيرًا يفقهه فى الدين» وعنه ﷺ إن للّه مدينة تحت العرش من مسك أذفر علي بابها ينادى كل يوم ألا من زار العلماء فقد زار الأنبياء ومن زار الأنبياء فقد زار الرب ومن زار الرب فله الجنة ذكره فى الفردوس، وعنه ﷺ «قليل العلم خير من كثير العبادة» وقال ﷺ: «تعلموا العلم فإن تعلمه للّه خشية وطلبه عبادة ومذاكراته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة وهو الأنيس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل

على السراء والمعين على الضراء، والسلاح على الأعداء والذين عند الإخلاء يرفع اللّه به أقوامًا فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتفى آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم ترغب الملائكة فى خلقهم وتمسحهم بأجنحتهم يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد من العلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام العمل وتابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء»، ورأيت فى تفسير الرازى فى بعض نسخ الحدائق لابن الملقن أيضًا، وعن النبى ﷺ: **«كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًا ولا تكن الخامس فتهلك»** وعن النبى ﷺ حضور مجلس علم أفضل من ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة قيل يا رسول اللّه ومن قراءة القرآن قال: **«وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم»** وقال النبى ﷺ: «من اتكأ على يده عالم كتب اللّه له بكل خطوة عتق رقبة ومن قبل رأس عالم فله بكل شعرة حسنة» وعن النبى ﷺ: «للّه كل يوم وليلة ألف رحمة تسعمائة وتسعة وتسعون رحمة للعلماء وطالبى العلم والرحمة الواحدة لسائر الناس» وقال ﷺ: «من جاء أجله وهو يطلب العلم لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة» رواه الطبرانى، وفى عيون المجالس سأل النبى ﷺ جبريل عن صاحب العلم فقال: «هو سراج أمتك فى الدنيا والآخرة طوبى لمن عرفهم وأحبهم والويل لمن أنكر معرفتهم وأبغضهم» وفى كتاب الذريعة لابن العماد تكفل اللّه تعالى برزق طالب العلم والعالم إذا خرج من الدنيا كالقنديل يخرج من بيت الظلم، وقال نجم الدين النسفى فى قوله تعال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ [النجم: ١]، أقسم اللّه بالعالم إذا مات وقال النبى ﷺ: **«إن الملائكة لتضع أجنحتهم لطالب العلم رضاء بما يصنع»**.

لطيفة: قال فى عيون المجالس: العلم ثلاثة أحرف عين ولام وميم فالعين من العلوم واللام من اللطافة والميم من الملك، فالعين تجر صاحبها إلى عليين واللام تصيره لطيفًا والميم تصيره ملكًا على العباد ويعطى العالم ببركة العين العز والتمكين وببركة اللام اللطافة وببركة الميم المحبة والهداية والمهابة.

فـائدة: قال ابن عباس: وخير سليمان- عليه السلام- بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطاه اللّه تعالى المال والملك معه وكان ابن عباس- رضى اللّه عنهما- يأخذ بركاب زيد بن حارثة، ويقول هكذا أمرنا أن نعمل بعلمائنا فيأخذ زيد بيده فيقبلها ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل البيت.

لطيفة: قال عيسى ابن مريم- عليه السلام- مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت سرًا فحملت فظهر حملها فافتضحت كذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه اللّه يوم القيامة.

حكاية: رأيت فى روض الأفكار: أن رجلاً سافر سبعمائة فرسخ ليسأل عن سبع كلمات.

الأولى: ما أثقل من فى السماوات والأرض، قال: البهتان على البرى.

الثانية: ما أوسع من الأرض قال: الحق.

الثالثة: ما أغنى من البحر قال القلب الغنى بالقناعة.

الرابعة: ما أبرد من الثلج قال طلب الحاجة من الصديق إذا لم يقضها.

الخامسة: ما أحر من النار قال الحسد.

السادسة: ما أقسى من البحر قال: قلب الكافر.

السابعة: ما أذل من اليتيم قال: النمام عند المقابلة.

فائدة: عن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ قال: «**اللهم اغفر للمعلمين وبارك لهم فى أبدانهم وأطل فى أعمارهم**» وعن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: «**إن اللَّه وملائكته وأهل سمواته وأهل أرضه والحوت فى البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير**» وقال النبى ﷺ أخبرنى جبريل أن فضل المتعلم على سائر الناس كفضل أبى بكر وعمر على سائر أمتى، وكفضل جبريل على سائر الملائكة وعن أنس عن النبى ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى عتقاء اللَّه من النار فلينظر إلى المتعلمين العلم فوالذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب عالم إلا كتب اللَّه له بكل قدم عبادة سنة ويبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة، ويمشى على الأرض والأرض تستغفر له» وعن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ: «**اللهم ارحم خلفائى ومن خلفاؤك قال: الذين يأتون من بعدى ويروون أحاديثى يعلمونها الناس**» وعن النبى ﷺ: «من خاض يوم الجمعة فى الحديث فكأنما أعتق سبعين ألف رقبة وكأنما تصدق بألف دينار وكأنما حج أربعين حجة وهو فى رضوان وفى مغفرته وعفوه» وسئل رسول اللَّه ﷺ لأى شىء كانت قصة يوسف أحسن القصص قال لأن المتكلم بها اللَّه سبحانه وتعالى أحسن القائلين والمخبر عنه أى يوسف أحسن الناس وجهًا قالت: عائشة هو أحسن أم أنت يا رسول اللَّه فقال: هو أحسن خلقًا وأنا أحسن خلقًا، فقالت: لم تخبره به الناس، فقال: أوحى إلى وإنك لعلى خلق عظيم.

لطيفة: قال رجل لابن سيرين: رأيت كأن الحمام يأكل الياسمين فقال الحمام: هو الموت، والياسمين هم العلماء فمات ذلك اليوم عشرون عالمًا، وقيل: إن شم الياسمين يقوى وينفع من الصداع البارد والنزلات الباردة إذا دلك به الكلف قلعه. روى ابن ماجه عن النبى ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضح العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب وأرسل أبو حنيفة- رضى اللَّه عنه- يسأل عن رؤيا كأنه يحفر قبر النبى ﷺ فقال ابن سيرين: يكون أعلم الناس فى زمانه وكان أبو حنيفة هو الرائى.

فـــائدة: قال الإمام الأعظم أبو حنيفة - رحمه اللّه تعالى - : «رأيت رب العزة فى المنام تسعًا وتسعين مرة» فقلت إن رأيته تمام المائة لأسأله عما ينجو به الخلائق يوم القيامة فرأيته فجلست بين يديه فقلت أى رب عزّ سلطانك وعظم شأنك سألتك بك إلا ما علمتنى ما ينجو به الخلائق يوم القيامة منك ، فقال : يا أبا حنيفة من كان قائلاً حين يأوى إلى فراشه وحين يقوم منه سبحان الأبدى الأبد سبحان الواحد الأحد سبحان الفرد الصمد سبحان رافع السماء بغير عمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد نجا وتقدم كتاب الصلاة على النبى ﷺ «**من قال حين يستيقظ: سبحانك لا إله إلا أنت اغفر لى انسلخ من ذنوبه كما تنسلخ الحية من جلدها**» رواه الإمام أحمد .

فــوائد الأولى: قال النسفى - رضى اللّه عنه - : علم اللّه آدم أسماء المخلوقين فوجد الرياسة وسجود الملائكة وعلم سليمان عليه الصلاة والسلام علم منطق الطير والفهم فوجد المملكة والهدهد ، وعلم يوسف موضع الماء فوجد النجاة من السجن فكان اللّه تعالى يقول : وأنت يا مؤمن يا من علمت التوحيد أفلا تجد الجنة .

الثانية: تناظر ملكان فى السماء فقال أحدهما : السماء خير من الأرض لأن العرش فيها ، وقال الآخر : الأرض خير منها لأن الكعبة فيها فتحاكما إلى جبريل فقال : إن اللّه تعالى لم يخلق الكعبة للبقاء ولا العرش للإتكاء فقد كان اللّه تعالى ولا عرش ولا سماء ولا أرض ولا كعبة فجاء ميكائيل ، فقال : أبشروا كتبت أسماءكم فى جملة العلماء من أمة محمد ﷺ فسجد الملكان إلى يوم القيامة كان يوم القيامة ينادى مناد ارفعوا رؤوسكما فقد قامت الساعة وقد كتب اللّه ثواب سجودكما لعلماء أمة محمد ﷺ فتقول الملائكة : ربنا ونحن نجعل ثواب طاعتنا لعلماء أمة محمد ﷺ فيقول اللّه تعالى : يا رضوان أقسم عبادة الملائكة على علماء أمة محمد ﷺ وأقسم الجنة عليهم كذلك فيقول رضوان يا محمد اجمع العلماء فيقول أمتى كلهم علماء فيقول اللّه تعالى صدق كل من شهد لى بالوحدانية فهو عالم ثم قرأ: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ الآية [آل عمران: ١٨]، **الثالثة** قال العلائى : حسد إخوة يوسف - عليه السلام - غلب على علمهم فى الحال ثم إن العلم دعاهم إلى الصلاح فى المال قال تعالى: ﴿ **وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ** ⑨ ﴾ [يوسف: ٩]، أى تائبين لا تأتون بمعصية أبدًا قال بعض العلماء : إن اللّه تعالى علم إبليس عدم السجود لما سبق من شقاوته ولولا ذلك لكان أول من سجد فالعلم نور يقذفه اللّه فى قلب من أراد ، فإن قيل : كيف قال إبراهيم لما قال له ربه : أسلم قال : أسلمت لرب العالمين ومحمد ﷺ لما قال له ربه : فاعلم أنه لا إله إلا اللّه ما قال : علمت ، فالجواب : أنه أجاب عنه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، والإيمان هو العلم وجواب الحق تعالى عنه أعظم من جواب إبراهيم عن نفسه قال بعضهم فى قوله تعالى: ﴿ **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ** ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فسالت أودية بقدرها المراد بالماء العلم وبالأودية القلوب .

الرابعــة: فقهاء المدينة سبعة وهم: عروة بن الزبير والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وسعيد بن المسيب، والمسيب بفتح الياء على المشهور وكان ولده سعيد يكره فتحها، وهو صحابى روى سبعة أحاديث وهو من الذين بايعوا تحت الشجرة، وأما السائب بن يزيد فهو صحابى أيضًا روى خمسة أحاديث والرابع عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود والخامس خارجة بن زيد بن ثابت الفرضى الصحابى روى زيد اثنين وسبعين حديثًا، وأما زيد بن حارثة وولده أسامة فتقدما فى باب الدعاء، والسادس سليمان بن يسار والسابع قيل سالم بن عبد اللَّه بن الخطاب وقيل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام والحارث وسلمة أبناء هشام أخوان وأخوهما عمرو بن هشام هو أبو جهل لعنه اللَّه تعالى.

حكـاية: قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار: أخبرنا عن الأخلاق كيف خلقها اللَّه قال خلقها وقسمها ثم قال للشقاء أين تختار قال البادية قال الصبر وأنا معك ثم قال للفقر تختار قال الحجاز قالت: القناعة وأنا معك ثم قال للغنا: أين تختار قال: مصر قال: الذل وأنا معك ثم قال للبخل: أين تختار قال: المغرب فقال: سوء الخلق وأنا معك ثم قال: للعلم أين تختار قال: العراق فقال: العقل وأنا معك لما قال للحسد أين تختار قال: الشام قال: الشر وأنا معك.

لطيـفة: حضر أبو حنيفة درس الإمام مالك ولم يعرفه فألقى الإمام مالك سؤالاً على أصحابه، فأجابه أبو حنيفة فقال: من أين الرجل قال: من أهل العراق قال: من أهل بلد النفاق والشقاق فقال: تأذن لى أن أقول شيئًا من القرآن قال: نعم فقرأ: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾ [التوبة: ١٠١]، فقال الإمام مالك: ما قال اللَّه هكذا فقال أبو حنيفة كيف قال اللَّه قال: ومن أهل المدينة فقال: الحمد للَّه حكمت على نفسك ووثب من مجلسه فلما عرفه أكرمه.

قال الإمام الرازى: مردوا على النفاق أى ثبتوا أو صبروا عليه سنعذبهم مرتين بالأمراض فى الدنيا وبالنار فى الآخرة، وقيل العذاب الأول قوله ﷺ: «يوم الجمعة على المنبر أخرج يا فلان فأنك منافق والعذاب الثانى عذاب القبر».

مســألة: إذا أسر عالم وجاهل ولم نقدر إلا على خلاص واحد خلصنا الجاهل لأنا نخاف عليه الافتتان بخلاف العالم ولو دخل العالم والعاصى الحمام ولم يوجد إلا سترة واحدة، فالعالم أحق بها حتى لا ينظر العاصى عورة العالم والعالم نظره مكفوف بعلمه.

* *

فصل: فى سكنى الشام

عن على – رضى اللَّه عنه– عن النبى ﷺ: «من مات بالشام أعطى الأمان من ضغطة القبر والجواز على الصراط» ذكر فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب، وعن عبد اللَّه بن خولة قال يا رسول اللَّه: اختر لى بلدة أكون فيها فلو أعلم أنك تبقى لما اخترت على قريتك شيئًا، قال: عليك بالشام فلما رأى كراهتى للشام، قال: أتدرى ما يقول اللَّه فى الشام إن اللَّه يقول يا شام أنت صفوتى من بلادى أدخل فيك خيرتى من عبادى، إن اللَّه تعالى تكفل بالشام وأهله، وعن أبى قلابة عن النبى ﷺ: رأيت فيما يرى النائم كأن الملائكة حملوا عمود الكتاب فوضعته بالشام فأولته أن الفتن إذا وقعت كان الإيمان بالشام وقال عمر– رضى اللَّه عنه– لكعب الأحبار: ألا تتحول إلى مدينة النبى ﷺ فقال: إنى أجد فى كتاب اللَّه المنزل الشام كنز اللَّه فى الأرض وبها كنزه من عباده، وقال النبى ﷺ: «رأيت ليلة أسرى بى عمودًا أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة فقلت ما تحملون قالوا: عمود الكتاب أمرنا أن نضعه بالشام»، عن النبى ﷺ «إذا هلك الشام فلا خير فى أمتى»، وقال كعب الأحبار: تخرب الأرض قبل الشام بأربعين سنة، وفى حديث أبى الدرداء يقول النبى ﷺ «فسطاط المسلمين بأرض يقال لها: الغوطة فيها مدينة يقال لها: دمشق خير منازل المسلمين يومئذ» قال الحاكم صحيح الإسناد وقوله: فسطاط بضم الفاء أى مجتمع الناس.

فائدة: قال سفيان الثورى: صلاة فى مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة قال عمر بن مهاجر الأنصارى صرف الوليد بن عبد الملك: فى عمارة الجامع أربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرين ألف دينار وكل مائة صندوق بألفى ألف وثمانمائة ألف دينار وكان ابتداء عمارته فى سنة ست وثمانين ومائة وكمل فى سنة ست وتسعين ومائة وقال بعضهم: الذى بنى دمشق قيل: إنه نوح– عليه السلام– لما خرج من السفينة وقيل لما رجع ذو القرنين من المشرق، وقال وهب بن منبه: أول من عمر دمشق غلام لإبراهيم – عليه السلام– وهبه النمروذ لما خرج سالمًا من النار.

فوائد الأولى: قال الزهرى– رضى اللَّه عنه– : من صلى فى مقام إبراهيم أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولم يسأل اللَّه شيئًا إلا أعطاه.

الثانية: قال مكحول التابعى: سمعت كعب الأحبار يقول: مغارة الدم موضع الحاجات والمواهب من اللَّه تعالى فإنه لا يرد سائلاً فى ذلك الموضع، وقال ابن عباس: قال النبى ﷺ: «يا ليتنى بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق حتى آتى موضع الأنبياء حيث قتل آخاه ابن آدم فأسأل اللَّه أن يهلك قومى فإنهم ظالمون فأتاه جبريل وأمره بغار حراء».

الثالثة: قال بعضهم: رأيت فى المنام كأنى بمغارة الدم فإذا النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وهابيل بن آدم فقلت بحق الواحد الصمد وحق أبيك آدم وبحق محمد هذا دمك، فقال: أى وحق الواحد الصمد وحق أبى آدم محمد هذا دمى سألت اللَّه أن يجعله مستغاثًا لكل نبى وصديق مؤمن فاستجاب اللَّه لى، فقال النبى ﷺ: ذلك إكرامًا وإحسانًا وإنى آتيه كل خميس وصاحباى وهابيل فنصلى فيه.

الرابعة: قال الزهري: لو يعلم الناس ما في مغارة الدم من الفضل لما هنئ لهم طعام ولا شراب إلا فيها.

الخامسة: سأل كعب الأحبار رجل عن بلده، قال: دمشق، فقال: أنت من الذين يعرفون في الجنة بالثياب الخضر.

قال مؤلفه: خصوصية لأهل دمشق، بالثياب الخضر لقوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ [الإنسان: ٢١]، ثم قال كعب الأحبار لرجل: من أين أنت قال: من الشام قال: لعلك من الذين يشفع شهيدهم في سبعين قال: من هم قال: أهل حمص قال لا، قال لعلك من الذين يعرفون في الجنة بالثياب الخضر قال: من هم قال: أهل دمشق قال: لا قال: لعلك من الذين في ظل عرش الله يوم القيامة قال: من هم أهل الأردن بضم الهمزة والدال وبنون مشددة قال: لا قال: لعلك من الذين ينظر إليهم كل يوم مرتين قال: من هم قال: أهل فلسطين قال: نعم.

باب: ذكر مناقب سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين وهو حي سميع بصير في قبره صلوات الله وسلامه عليه

أعلم ملأ الله قلبي وقلبك من حبه وجعلني الله وإياك من خواص حزبه إن هذا بحر لا ساحل له، وغيث مزن لا حد له ولكني أذكر شيئًا من أنبائه لعلنا نحشر تحت لوائه ووفاء بالوعد السابق وذخيرة ليوم تأتي فيه كل نفس معها سائق قال في الشفاء، قال: علي- رضي الله عنه- سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي، واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وثمرة فؤادي في ذكر ربي وعملي لأجل أمني وشوقي إلى ربي، قال الإمام النووي في الروضة: ومنع ابن خيرون الكلام في الخصائص قال الإمام البلقيني- رضي الله عنه- : في التدريب إنما منع ابن خيرون الكلام فيها بالاجتهاد لا مطلقًا ثم قال النووي: والصواب الجزم بجوازه بل باستحبابه، ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا أو ذكر الحناطي- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ أعطى قوة أربعين نبيًا وأراد علي أن يرفع النبي على ركبته ليعلو على ظهر الكعبة فعجز عن ذلك فرفعه النبي على ذراعه قال: علي لو شئت لعلوت السماء الثانية لقوته ﷺ وقال النسفي: خلق الله رأس محمد ﷺ من البركة وعينيه من الحياء وأذنيه من الغيرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضا وصدره من الإخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده الشفقة وتقدم الفرق بين الفؤاد والقلب في باب العلم وكتفيه من الكرم وشعره من نبات الجنة وريقه من عسلها ولحمه من مسكها وعظمه من كافورها

وأسنانه من اليمن ورجليه من الأرض وعضديه من القوة فلما أكمله اللّه تعالى بهذه الصفة أرسله اللّه تعالى إلى هذه الأمة، وقال: هذه هديتى إليكم فاعرفوا قدره وعظموه.

فائدة: أوحى اللّه تعالى إلى موسى أن فاتحة الزبور محمد رسول اللّه خير من تظله السماء ونبى الرحمة وقائد الغر المحجلين، وإمام المتقين ونور العباد وربيع البلاد معدن الخير وأنه مبعوث إلى الأمة المرحومة وشفيع لم يكن له وسيلة والرحمة تنزل فى زمانه ودولته متوسدة عن فراقة من الدنيا وقبره روضه من رياض الجنة.

حكاية: قال ابن عباس: جلس ناس من أصحاب النبى ﷺ يتذاكرون فقال بعضهم أعجبنى أن اللّه تعالى اتخذ آدم صفيًا، وقال آخر: أعجبنى أن اللّه اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: أعجبنى أن عيسى كلمة اللّه وروحه فخرج النبى ﷺ فسمع كلامهم، فقال آدم: صفى اللّه وهو كذلك وإبراهيم خليل اللّه وهو كذلك وعيسى روح اللّه وهو كذلك ألا وأنا حبيب اللّه، ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق باب الجنة ولا فخر فيفتح اللّه لى فيدخلها معى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين.

فائدة: رأيت فى الإحياء عن النبى ﷺ أنه قال: «**اللهم توفنى فقيراً ولا تتوفنى غنيّا واحشرنى فى زمرة المساكين ولا تحشرنى فى زمرة الأغنياء**» قال النبى ﷺ: «**يسبق الفقراء إلى الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**» وفى رواية بأربعين عامًا، وقال النبى ﷺ: «**خير هذه الأمة فقراؤها**» ورأيت فى كتاب شرف المصطفى أوحى اللّه تعالى إلى موسى - عليه السلام - يا موسى احمدنى أن مننت عليك بالإيمان بأحمد فوعزتى وجلالى لو لم تقبل الإيمان بأحمد ما جاورتنى فى دارى، ولا تنعمت فى جنتى يا موسى أحب لأحمد ما تحب لنفسك وأحبب لأمته ما تحب لنفسك أجعل لك ولأمتك فى شفاعته نصيبًا، وذكر ابن الجوزى - رضى اللّه عنه - أن اللّه أوحى إلى محمد ﷺ يا محمد كل أحد يطلب رضائى وأنا أطلب رضاءك قال النسفى قال موسى - عليه السلام -: يا رب أنا كليمك ومحمد حبيبك فما الفرق بين الكليم والحبيب، فقال: الكليم يعمل برضاء مولاه والحبيب يعمل مولاه برضائه والكليم يحب اللّه والحبيب يحبه اللّه، والكليم يأتى إلى طور سيناء ثم يناجى والحبيب ينام على فراشه، فيأتى به جبريل إلى مكانى فى طرفة عين لم يبلغه أحد من المخلوقين.

مسألة: فإن قيل: هذا فضله وشرفه وهو يقول أنا أول من تنشق عنه الأرض فكيف يسبقه موسى إلى تحت العرش.

فالجواب: أن موسى - عليه السلام - لما وعده ربه بالرؤية فى الآخرة يقوم مسرعًا لأجل الرؤية، ومحمد ﷺ ما عنده حرقة الرؤية كحرقة موسى - عليه السلام - لأنه رأى ربه عزّ وجلّ فى الدنيا.

قال مؤلفه - رحمه اللّه -: وفى النفس من هذا الجواب شىء لشيئين.

الأول: أن منصب النبي ﷺ في المعرفة بالله تعالى أتم من منصب غيره وأكمل بقدر المعرفة تكون المحبة وبقدر المحبة يعظم طالب اللقاء.

الثاني: من شاهد جمال الألوهية وكمال الربوبية يكون أعظم اشتياقًا ممن لم يره لا محالة قيل: الشوق يبرد باللقاء والاشتياق يزداد به.

وجواب آخر: أن محمداً ﷺ يقوم آمنا من هول يوم القيامة متأهبًا للشفاعة لأمته وموسى وغيره يقول نفسي نفسي فليس له التفات إلى غيره قال القرطبي: في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ⑤﴾ [الضحى: ٥]، قال ابن عباس: أعطاه الله ألف قصر في الجنة من لؤلؤ أبيض ترابه المسك وفي صحيح مسلم- رضي الله عنه- أنه ﷺ: قرأ قوله تعالى حكاية عن إبراهيم- عليه السلام-: ﴿**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقرأ قوله تعالى حكاية عن عيسى- عليه السلام-: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ**﴾ الآية [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: اللهم أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب إلى أحمد وقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسيئك فيهم قال النسفي: أمر النبي يهوديًا أن يصنع له خاتمًا ويكتب عليه لا إله إلا الله ففعل فلما جاء به وجد عليه محمد رسول الله فجاء جبريل وقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: أنت كتبت أحب الأسماء إليك وأنا كتبت أحب الأسماء إليّ.

حكاية: قال ابن عباس- رضي الله عنهما- : أن رجلاً من اليهود نظر في التوراة فوجد اسم محمد ﷺ في أربعة مواضع فكشطه ثم نظر في اليوم الثاني فوجده في ثمانية مواضع فكشطها ثم نظر في اليوم الثالث فوجد اسم محمد في اثني عشر موضعًا فسار من الشام إلى المدينة فوجد النبي ﷺ قد مات، فقال لعلي- رضي الله عنه- : أرني ثوب محمد ﷺ فأخرجه له فشمه وقام عند القبر الشريف وأسلم وقال: اللهم إن كنت قبلت إسلامي فاقبض روحي سريعًا فوقع ميتًا فغسله علي ودفنه بالبقيع- رحمه الله تعالى- قال وهب بن منبه: كان في بني إسرائيل رجل عصى ربه مائتي عام فلما مات ألقته بنو إسرائيل على المزبلة فأوحى الله تعالى إلى أن غسله وكفنه وصلى عليه، لأنه نظر في التوراة اسم محمد فقبله ووضعه على عينيه وصلى عليه فغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراء.

حكاية: رأيت في الشفاء أخذ ذئب شاة فأخذها الراعي منه، فقال الذئب: ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي فقال الراعي العجب من الذئب يتكلم بكلام الإنس، فقال الذئب: أنت عجب ترعى غنمك وتركت نبيًا لم يبعث الله قط أعظم منه عنده قدراً، وقد فتحت له أبواب الجنان وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنوده، قال: من لي بغنمي يرعاها فقال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع فسلم إليه غنمه ومضى فلما رأى النبي ﷺ آمن به فقال له: عد إلى غنمك فرجع وذبح للذئب شاة قيل: إن هذا الراعي كان سلمة بن الأكوع- رضي الله

عنه- وكان ذلك سبب إسلامه، وقالت أم سلمة- رضى اللّه عنها- : كان النبىﷺ فى صحراء فنادته ظبية يا رسول اللّه فقال: ما حاجتك؟ فقالت: صادنى هذا الأعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى أذهب فارضعهما وأرجع، فقال: أو تفعلين، قالت: نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فانتبه الأعرابى، وقال يا رسول اللّه: ألك حاجة قال: تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أنك رسول اللّه، ورأيت فى غير الشفاء أخبرت أولادها بخبرها، وأن النبىﷺ ضمنها قالوا لبنك علينا حرام حتى ترجعى إلى رسول اللّهﷺ، وقال كعب الأحبار: وصف اللّه محمداًﷺ فى التوراة فقال: محمد عبدى ورسولى ليس بفظ ولا غليظ أهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والصدق طبيعته والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته والحق شريعته والإسلام ملته وأمته خير أمة أخرجت للناس.

حكاية: قال أبو جهل لعنه اللّه: يا محمد إن أخرجت لنا طاووسًا من صخرة فى دارى آمنت بك فدعا ربه فصارت الصخرة تئنُّ أنين المرأة الحامل ثم انشقت عن طاووس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رآها أبو جهل لعنه اللّه أعرض عن الإيمان، وقال: فى بعض الأيام يا محمد السماوات أقوى أم الأرض، فقال: السماء فقال: ربك أقوى أم الصخرة فقال: قدرة ربى قال: قل له أن يخرج من الصخرة طيراً فى فمه كتاب يشهد لك حتى أصدقك فنزل جبريل وأمره أن يشير إلى الصخرة فانشقت عن طير فى فمه ورقة فيها لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه أمة مذنبة ورب غفور، فقال: أنت أسحر من سحرة فرعون قال: وأنت مقتول أشر من قتل فرعون فلما كان يوم بدر قال جبريل: بدر كبحر فرعون وذلك أن فرعون وقومه هلكوا بالماء وصار محمد وقومه يمشون على الرمل فتغوص أرجلهم فى الرمل فضعفت قوتهم وأصابتهم الجنابة والعطش فأرسل اللّه عليهم المطر فاشتد الرمل تحت أقدمهم واغتسلوا من الجنابة وشربوا ثم انحدر الماء إلى الأرض التى بها أبو جهل وقومه فصارت أرجلهم تغوص فى الطين أهلكهم اللّه، قال اللّه تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾[الأنفال: ١١]، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام وذكر النيسابورى فى سورة اقرأ لما نزلت سورة الرحمن قال النبىﷺ: من يقرأها على رؤساء قريش فقال ابن مسعود: أنا يا رسول اللّه أقرأها عليهم فلما قرأها عليهم ابن مسعود صكه أبو جهل لعنه اللّه فشق أذنه فاغتم النبىﷺ ثم نظر فوجد جبريل يضحك، فقال: ما يضحكك قال: ستعلم يوم بدر فلما كان يوم بدر لم يحضر ابن مسعود إلا بعد فراغ القتال فقال: يا رسول اللّه فاتنى فضل الجهاد فقال: التمس من به حياة فاقتله فلك أجر شهيد فالتمس فوجد أبا جهل، فقال: أخبر صاحبك محمد إنه أبغض الخلق إلى فى الحياة وفى الممات فقطع رأسه ابن مسعود وأراد حمله فلم يستطع فشق أذنه وجره بخيط إلى رسول اللّهﷺ وجبريل يضحك فقال جبريل يا رسول اللّه: أذن بأذن والرأس زيادة فأخبر النبى بما قاله أبو جهل فقال النبى: فرعون

أشد من فرعون موسى لأنه قال: عند موته آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وهذا ازداد عتواً عند موته وإنما لم يقدر ابن مسعود على حمل رأسه لأنه كلب والكلب يقاد ولا يحمل، فإن قيل كيف أكد اللَّه طغيان أبي جهل لعنه اللَّه بقوله: إن الإنسان ليطغى أي يتجاوز الحد ويتكبر على ربه وكان إذا زاد ماله زاد في ثيابه وطعامه وما أكد طغيان فرعون بل قال تعالى: ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ (٢٤)﴾ [طه: ٢٤].

فالجواب: أن فرعون كان يؤذي موسى- عليه السلام- بلسانه فقط وأبا جهل لعنه اللَّه كان يؤذي محمداً ﷺ بلسانه وغيره.

وجواب آخر: أن فرعون صدر منه إلى موسى بعض إحسان حيث رباه صغيراً وأبا جهل لعنه اللَّه من صغره إلى كبره في عداوة محمد ﷺ

وجواب آخر: أن الحبيب كالعين والكليم كاليد والعاقل يخاف على عينيه أكثر من اليد بل يدفع عن عينيه بيده فلهذا كانت المبالغة هنا في طغيان أبي جهل أكثر من طغيان فرعون قاله النيسابوري في تفسيره.

عجيبة: ولا عجب من أمر اللَّه تعالى رأيت في كتاب شرف المصطفى أن تبعًا الأول خرج من بلاده لينظر في الدنيا بعسكر كثير ومعه جماعة من الحكماء فلما قدم مكة أعرض عنه أهلها، فغضب عليهم وعزم على هدم الكعبة وقتل الرجال وأخذ الأموال والنساء فخرج من أذنيه وأنفه ماء له ريح كريهة فسأل الحكماء عن ذلك، فقالوا: نحن نعالج أمراض الدنيا لا أمراض السماء فلما كان الليل قال أحد الحكماء للوزير: إن أخبرني الملك بما نواه عالجته فأخبره بذلك فقال: ارجع عن هذه النية ففعل فانقطع الماء فآمن باللَّه في الحال وستر الكعبة وهو أول من كساها ثم خرج نحو يثرب فنزل على عينها فاجتمع رأي الحكماء على الإقامة بها، فبلغ الملك ذلك فسألهم عن هذه البرية فقالوا سيكون في البقعة خير كثير يسكنها نبي آخر الزمان واسمه محمد مولده بمكة وهجرته إلى هنا فبنى بها أربعمائة دار وكتب كتابًا يا محمد آمنت بك وبربك وأنا على دينك فإن أدركتك فذلك الذي أريد وإلا فاشفع لي يوم القيامة فإني من أمتك الأولين ودفع الكتاب إلى الحكيم الذي سأله عن نيته ورجع إلى الهند فلم يزل الكتاب إلى الحكيم وأولاده وأولاد أولاده منهم أبو أيوب الأنصاري فلما هاجر النبي ﷺ ونزل في دار أبي أيوب دفع الكتاب إليه، فقال النبي ﷺ: مرحبًا بالأخ الصالح ثم نظرا في تاريخ الكتاب وقدوم النبي فوجده ألف عام، واللَّه أعلم اهـ.

فائدتان الأولى: رفع اللَّه عيسى- عليه السلام- إلى السماء ليلة القدر من بيت المقدس وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار أنسيًا ملكيًا وسماويًا أرضيًا فهو يطير مع الملائكة حول العرش.

الثانية: يكره إن يقال للمدينة يثرب الآن لقوله ﷺ: **«من قال للمدينة يثرب فليستغفر اللَّه هي**

طيبة» رواه ابن عازب- رضى اللّه عنه- قال فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة قال البرماوى فى شرح البخارى: يكره إن يقال للمدينة المشرفة يثرب لأنه من التعيير والتوبيخ.

حكاية: لما فتح رسول اللّه ﷺ مكة أسند ظهره إلى جدار امرأة كافرة فسدت الطاقات وغلقت الأبواب حتى لا تسمع كلامه وصوته فنزل جبريل ونهاه عن الاستظلال بجدارها فإنك أبغض الخلق إليها، ثم سرح إلى السماء ثم رجع، وقال يا محمد ربك يقرؤك السلام، ويقول إن كانت المرأة كافرة فجاهك كبير فلأجل وقوفك فى ظل جدار الدار غفرت لها الذنوب والأوزار وقد فتحت أبواب السماء وأبواب قلبها فبادرت المرأة فى الحال بفتح الدار وقبلت قدم النبى ﷺ قاله فى كتاب العقائق، ورأيت فى روض الأفكار، أن المرأة خرجت تسمع كلام النبى ﷺ فقال لها رجل: أتحبينه قالت: نعم، قال: فبحقه ارفعى نقابك حتى أنظر إلى وجهك ففعلت ثم أخبرت زوجها بذلك فأوقد تنوراً ثم قال فبحقه عليك ادخلى التنور فألقت نفسها فيه ثم ذهب فأخبر النبى ﷺ فقال: ارجع واكشف عنها فرجع فرآها سالمة وقد جللها العرق، ورأيت فى قوله تعالى: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]، نزلت فى اثنى عشر رجلاً من أهل اليمن دخلوا مكة للحج فدعاهم النبى ﷺ للإسلام، فقالوا: نريد علامة فأخذ قضيبًا ووضعه على هبل بعد أن جردوه، من الديباج، وقال: يا هبل من أنا فقال بلسان فصيح أنت رسول اللّه فسجدوا كلهم جميعًا وأعلنوا الشهادتين.

قال مؤلفه: هبل: صنم وهو الآن عتبة لباب السلام بمكة كنت كثيراً أخلع نعلى عليه حين أدخل وأضعهما عليه إذا أردت الخروج وأردت لبسهما حين أخرج، ورأيت فى قوله تعالى: ﴿**فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ**﴾ [محمد: ١٥]، أى غير متغير ﴿**وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى**﴾ [محمد: ١٥]، إن نهر الماء لموسى ونهر اللبن لسليمان ونهر العسل لمحمد ﷺ فكما أن العسل فضل على سائل الحلوى كذلك لمحمد ﷺ الفضل على سائر الأنبياء، ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه حتى رأى أهل مكة جبل حراء يلوح بينهما علمًا بين شعلتين، وقال اشهدوا وهم حينئذ بمنى ودعا اللّه أن يرد الشمس على على بن أبى طالب فى خيبر بعدما غربت ونبع الماء من بين أصابعه وحن إليه الجذع اليابس فجاء بخرق الأرض فالتزمه النبى ﷺ ثم أمره فعاد إلى مكانه بعد أن قال له إن شئت أن أردك إلى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر، وإن شئت أغرسك فى الجنة فيأكل أولياء اللّه من ثمرك ثم أصغى له النبى ﷺ يسمع ما يقول فقال: بل تغرسنى فى الجنة يأكل منى أولياء اللّه تعالى وأكون فى مكان لا أبلى فسمع من يليه كلامه، فقال النبى ﷺ قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء، ومن معجزاته ﷺ أنه جىء له بصبى يوم ولد فقال له: من أنا فقال أنت رسول اللّه، قال أنس- رضى اللّه عنه- : أخذ النبى ﷺ كفا من حصا فسبحن فى يده وسبح الطعام بين يديه ونطق الجماد برسالته وكذا البهائم، قال جابر بن عبد اللّه لزوجته عرفت فى وجه

النبى ﷺ الجوع فهل عندك من شىء قالت صاع شعير وعناق فذبحته وكان لها ولدان فقال أحدهما للآخر ألا أريك كيف ذبحت أمى الشاة فذبحه وهرب فوقع فى النار فاحترق فجلتهما فى بيت واشتغلت بطعامها، فجاء النبى ﷺ وأصحابه، وقال أين أولادك حتى أكل معهم فذهب إلى زوجته فأخبرته بالخبر ففتح الباب فوجدهما بالحياة. وقال النبى ﷺ: «أخبرنى جبريل بما اتفق من أمرهما» وقال على- رضى الله عنه- خرجنا مع رسول الله ﷺ بأرض مكة فما مر بشجرة ولا حبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله.

حكاية: قال تميم الدارى: جاء بعير حتى وقف على النبى ﷺ قال له اسكت فإن تك صادقًا فعليك صدقك، وإن تك كاذبًا فعليك كذبك، مع أن الله تعالى قد أمن عائذنا قلنا يا نبى الله ما يقول قال هم أهله بنجره فهرب منهم فبينما نحن كذلك إذا أقبل صاحبه أو قال أصحابه، فقال النبى ﷺ ما هذا آخر المملوك الصالح من مولاه قالوا فإنا لا نبيعه ولا ننجره فقال كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم فاشتراه بمائة درهم، وقال انطلق أيها البعير فأنت حر لوجه الله تعالى فرغا الجمل، فقال النبى ﷺ آمين ثم رغا فقال آمين ثم رغا فبكى النبى ﷺ، فقلنا ما قال يا نبى الله فقال قال جزاك الله أيها النبى خيراً عن الإسلام والقرآن فقلت آمين، ثم قال حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمى فقلت آمين ثم قال لا جعل الله بأس أمتك بينها فبكيت فإن هذه الخصال سألت ربى فأعطانيها ومنعنى هذه وأخبرنى جبريل بالسيف جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقال بعضهم فى قوله ﷺ عن أحد هذا جبل يحبنا ونحبه قال لما دخل مكة وجد الأصنام على الكعبة فكل صنم نطق له برسالة، ومن معجزاته ﷺ عموم رسالته إلى مكلف حتى قيل إلى الملائكة أيضًا ونسخ جميع الشرائع بشريعته ونصره الله بالرعب مسيرة شهر وورد أن أبا جهل اشترى جملاً من رجل وماطله فأخبر قريشًا بذلك فدلوه على محمد استهزاء فجاءه وأخبره فجاء النبى ﷺ معه فطرق باب أبى جهل فخرج أبو جهل، فقال النبى ﷺ أعط هذا الرجل حقه فبادر وأعطاه فسئل عن ذلك فقال رأيت على رأسه ثعبانًا لو امتنعت لالتقمنى وأباح الله له الغنائم، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً وأعطاه المقام المحمود وهو الشفاعة العامة لأهل الموقف كما سيأتى فى فضل أمته ومن أراد الشرب من هذا المنهل العذب فعليه بالشفاء للقاضى عياض والشمائل للترمذى والخصائص لابن الملقن وغيره، وجميع ذلك ما يبلغ أجزاء من عشر ما تضمنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧) ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال ابن عباس: من صدق النبى ﷺ سعد ومن آمن به سلم فى الدنيا، ومن الخسف والمسخ فهو رحمة لجميع الناس فى الدنيا بل قال النسفى: إنه رحمة لجميع الناس فى الآخرة أيضًا ما دام لؤلؤه معقوداً فى الموقف ﷺ ما تضمنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** (٥) ﴾ [الضحى: ٥]، ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** (٤) ﴾ [القلم: ٤]، ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** (٤) ﴾ [الشرح: ٤]، ﴿ **وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** (١١٣) ﴾ [النساء: ١١٣]، وما أحسن ما قاله صاحب البردة.

محمد سـيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيين فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ولم يدانوه فـــى علم ولا كرم

لطيـفة: جاء يهودى إلى عمر- رضى اللَّه عنه- وقال: صف لى أخلاق محمد ﷺ، فقال بلال أعلم منى بذلك، فسأله فقال فاطمة أعلم منى بذلك، فسألها فقالت على أعلم منى بذلك فسأله فقال: صف لى متاع الدنيا وهو قليل فلم يقدر فقال: كيف أصف لك أخلاقه العظيمة ﷺ حكـاه النيسابورى فى تفسيره.

باب: مولد المصطفى وحبيب الله المجتبى سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين وهو حى سميع بصير فى قبره صلوات الله وسلامه عليه

قـال اللَّه تعـالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة: ١٢٨]، قال الإمـام الرازى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أى يشق عليه ما تكرهونه، وقيل: يشق عليه ضلالتكم قال العلائى كان عمر- رضى اللَّه عنه- لا يثبت آية فى المصحف حتى يشهد عليها رجلان، فجاء خزيمة بن ثابت الأنصارى بهذه الآية، فقال عمر: واللَّه لا أسألك عليها بينة قال القرطبى: عاش النبى ﷺ بعد هذه الآية خمسة وثلاثين يومًا، قال العلائى- رضى اللَّه عنه- : جاء الشبلى إلى أبى بكر بن مجاهد فقام إليه وقبله بين عينيه فقيل له فى ذلك فقال رأيت النبى ﷺ فى النوم فعل به ذلك فقلت يا رسول اللَّه أتفعل هذا بالشبلى، قال: نعم إنه يقول بعد صلاته: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ثم يتبعها بالصلاة على والحمد للذى دبر وحكم وأظهر الحكم وخط خط القلم بما جرى على الأمم فى لوح علمه قديمًا صور وخلق ورتق وفتق وأنعم ورزق وقسم رزقه بين خلقه تقسيما. كون الأكوان ودبر الزمان وعلم الإنسان ما لم يعلم. تعطف بلطفه عليه تعليم. لا يقال متى كان ولا فى أى مكان سبق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه قديمًا.

بين بديع عظمته فى خلق العبد وتصوير نسمته ما زال فى صنعه حكيمًا. حرك بنانه وأطلق لسانه وأسمعه ترجمانه وأنشقه نسيماء ركبه من ماء وتراب ونار وهواء، فلزم كل ضده كما يلزم الغريم غريمه ثم أعاده بعد عظيم قدره إلى ظلمات قبره، فصار عظمًا رميمًا ثم إذا نفخ فى الصور خرج من ظلمات القبور من كان فيها مقيمًا فمن كان لربه طائعًا ولأوامره تابعًا قربه وأعطاه نعيمًا ومن كان بالوحدانية كافرًا وعن باب الطاعة نافرًا أبعده وأصلاه جحيمًا. فسبحان العظيم الذى لم يزل فى ملكه قديمًا وفى سلطانه عظيما وبعباده رؤوفًا رحيمًا وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ولا ضد له

ولا ند له ولا شبيه له ولا عديل له ولا صاحبة له ولا ولد له، ولا ناصر ولا مساعد ولا معارض له ولا معاند، شهادة أرجو بها نعيمًا مقيمًا وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ﷺ عبد ورسوله وحبيبه وخليله وأمينه و دليله الذى خصه اللَّه بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة وشفعه فيمن صلى عليه فى الدار الآخرة وقال فى حقه إجلالاً له وتكريمًا ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، توجه بتاج الجمال وألبسه لباس الكمال زينه بأشرف الخصال، فإن سألت عن وجهه فكان صبيحًا منيرًا وإن سألت عن فضله فكان غزيرًا وإن سألت عن شعره فكان ليلاً بهيمًا وإن سألت عن طرفه فكان أدعج ضخيمًا وإن سألت عن حاجبه فكان نونًا وإن سألت عن فمه فكان ميمًا وإن سألت عن وجهه فكان بدر أتمم بالحسن تتميمًا وإن سألت عن صدره فكان سليما وإن سألت عن قلبه فكان رحيمًا، وإن سألت عن خلقه فكان عظيمًا وإن سألت عن كفه فكم أغنى عديمًا، وإن سألت عن قدمه فكم تقدم للطاعة تقديمًا، وإن سألت عن أصله فكان شريفًا كريمًا اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، وأصحابه وأزواجه وسلم تسليمًا.

قال على- رضى اللَّه عنه- لما أراد اللَّه تقدير الخليقة وذرى البرية قبل دخول الأرض ورفع السماء وهو فى انفراد ملكوته وتوحد جبروته لمع نور من نوره ثم اجتمع ذلك النور فى تلك الصورة الخفيفة فوافق صورة محمد ﷺ فقال اللَّه تعالى أنت المختار المنتخب عندك مستودع نورى وكنوز هدايتى من أجلك أسطع البطحاء وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار ثم أخفى اللَّه الخليقة فى غيبه وغيبها فى مكنون علمه ثم نصب العوامل أى السماء والأرض والجبال والمياه والهواء والنار وبسط الزمان وقرن بتوحيده نور محمد ﷺ وعن على- رضى اللَّه عنه- قلت يا رسول اللَّه مم خلقت، قال: لما أوحى إلى ربى ما أوحى قلت يا رب مم خلقتنى قال: يا محمد نظرت إلى صفاء بياض نورى الذى خلقته بقدرتى وأبدعته بحكمتى وأضفته تشريفًا إلى عظمتى فاستخرجت منه جزاء فقسمته ثلاثة أقسام فخلقتك وأهل بيتك من القسم الأول وخلقت أزواجك وأصحابك من القسم الثانى وخلقت من أحبك من القسم الثالث، فإذا كان يوم القيامة رددت النور إلى نورى وأدخلتك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك ومن أحبك جنتى برحمتى، فأخبرهم بذلك عنى، وقال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : لما أراد اللَّه تعالى خلق المخلوقات وخفض الأرض ورفع السماوات قبض قبضة من نوره ثم قال لها كونى حبيبى محمدًا فطاف نور محمد ﷺ بالعرش قبل آدم بخمسمائة عام وهو يقول الحمد للَّه فقال اللَّه تعالى من أجل ذلك سميتك محمدًا، ثم خلق نور آدم- عليه السلام- من نور محمد وخلق جسد محمد من طينة آدم ثم أسكن نور محمد فى ظهر آدم- عليه السلام- فصارت الملائكة تقف صفوفًا ينظرون إلى النور، فقال آدم يا رب ما لهؤلاء الملائكة يقفون خلفى قال: ينظرون إلى نور محمد ﷺ قال يا رب اجعله فى مكان فى جهتى فنقل اللَّه تعالى ذلك النور إلى جبهته فصارت الملائكة تقف أمامه ثم قال آدم يا رب اجعله فى موضع أراه فجعله فى

أصبعه المسبحة فرفعها آدم، وقال أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأشهد أن محمداً رسول اللّٰه فهذا أصل التشهد لهذا سميت المسبحة لأنه يشار بها إلى وحدانية اللّٰه تعالى ولأن عرقها متصل بالقلب، ثم قال آدم يا رب هل بقى من هذا النور شيء، قال: نور أصحابه قال يا رب اجعله فى بقية أصابعى فجعل اللّٰه نور أبى بكر فى الوسطى ونور عمر فى البنصر ونور عثمان فى الخنصر ونور على فى الإبهام فلما هبط آدم- عليه السلام- إلى الأرض انتقلت الأنوار إلى ظهره أى كما كان أولاً فى ظهره فلما قدر اللّٰه الإجتماع بين آدم وحواء على عرفات أرسل اللّٰه إليه نهراً من الجنة فاغتسل وغشى حواء فانتقلت الأنوار إليها ثم لم يزل نور محمد ينتقل من صلب إلى صلب ومن بطن إلى بطن إلى أن انتقل إلى صلب إبراهيم- عليه السلام- فأخرجه اللّٰه من أفضل المعادن وأكرم المغارس شجرة مشرقة الضياء أصلها فى الأرض نابت وفرعها فى السماء ثابت، أصلها أصيل وفرعها طويل وغارسها الرب الجليل وساقيها إبراهيم الخليل وخادمها الأمين جبريل وملقح ثمرها إسماعيل ثم قصد تحول النعمة إلى شجرة المحبة فاستخرج منها حبة فأول ما غمستها فى بحر الحمة خرجت بمنشور ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ثم غمسها فى بحر الرضا فخرجت بخلعه ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى: ٥]، ثم غمسها بحر الكرامة فخرجت بمنشور من يطع الرسول فقد أطاع اللّٰه ثم غمسها فى بحر القربة فخرجت بمنشور ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [النجم: ٩]، ثم اختار لتلك الحبة أرضًا مقدسة لا مدنسة فأنبتت ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور:٣٥]، أى لا يهودية ولا نصرانية فهى شجرة النور أصلها نور وفرعها نور على نور فكان صلب الخليل ناديها وظهر إسماعيل شاطئ واديها سقى بالخليل عودها واخضر بإسماعيل عمودها وتم بمحمد سؤددها فلما قوى أصلها وشب فرعها وثبت تشعبت شعوبًا وتضربت ضروبًا فالحق زهرتها والصدق ثمارها واليقين أغصانها والهدى قنواتها معلقة بالعرش من تمسك بها سلم، ومن تأخر عنها ندم ثم انتقل النور من صلب إلى صلب عبد المطلب فرأى فى منامه كأن سلسلة خرجت من ظهره حتى لحقت بعنان السماء ثم رجعت فصارت شجرة خضراء، ورأى شيخًا قد تعلق بها فقال عبد المطلب من أنت قال نوح فأراد عبد المطلب أن يتعلق بها أو بغصن منها، فقيل له ليس لك فيها نصيب فلما تزوج ولد له عبد العزى وهو أبو لهب ثم أبو طالب واسمه عبد مناف ثم العباس ثم عبد اللّٰه ثم حمزة فهو عم النبى ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب فعلمت أحبار الشام بعبد اللّٰه، لأن فى كتبهم إذا قطرت حبة يحيى- عليه السلام- فقد ولد والد النبى ﷺ فلما كبر عبد اللّٰه قصدوا قتله فأرسل اللّٰه تعالى ملائكة فقتلوهم عن آخرهم، وكان وهب والد آمنة ينظر على رأس جبل إلى هذه الكرامة لعبد اللّٰه فأخبر زوجته برة بنت عبد العزى أم آمنة بذلك وقال هل لك أن تزوجى عبد اللّٰه بآمنة قالت نعم فتوجه وهب وبرة إلى عبد المطلب واسمه شيبة الحمد فخطبا منه عبد اللّٰه لآمنة لما رأى وهب من كرامة والد النبى ﷺ فزوجه بها فى رجب ليلة الجمعة فانتقل النور

إليها، لكن قال الشيخ العارف ولى اللَّه تقى الدين الحصينى كانت آمنة فى حجر عمها وهيب فمشى إليه عبد المطلب بابنه عبد اللَّه فزوجه بها، ثم خطب عبد المطلب فى المجلس هالة بنت وهيب فزوجه بها فتزوج عبد المطلب وابنه عبد اللَّه فى ليلة واحدة قال فى كتاب شرف المصطفى هالة هى أم حمزة- رضى اللَّه عنها- قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : لم يبق تلك الليلة دابة لقريش إلا نطقت وقالت قد حمل بمحمد ورب الكعبة فهو أمان الدنيا وسراج أهلها، وصاح إبليس لعنه اللَّه على جبل أبى قبيس فاجتمعت عليه الشياطين فقالوا ما الذى أصابك قال قد استقر محمد فى بطن آمنة يبعثه اللَّه بالسيف القاطع فيغير الأديان ويكسر الصلبان، وقال فى روضة الأفكار عن سهل- رضى اللَّه عنه- لما أراد اللَّه تعالى خلق محمد ﷺ فى بطن أمه أمر رضوان خازن أبواب الجنة أن يفتح تلك الليلة أبواب الفردوس وأمر مناديًا ينادى فى السماوات والأرضين ألا وإن النور المكنون والمخزون فى هذه الليلة قد استقر فى بطن آمنة، قالت آمنة: ما شعرت أنى حملت بولدى محمد لأنى ما وجدت له وحمًا ولا ثقلاً كما تجد الحوامل ولكنى أنكرت انقطاع حيضى ولقد رأيت وأنا حاملة به نورًا أضاء له المشرق والمغرب حتى رأيت قصور كسرى من أرض الشام، وفى الشهر الأول رأيت رجلاً طويلاً فقال أبشرى فقد حملت بسيد المرسلين، فقلت له من أنت فقال: أبوه آدم وفى الشهر الثانى أتانى آت وقال: أبشرى فقد حملت بسيد الأولين والآخرين، فقلت له من أنت؟ فقال: شيث وفى الشهر الثالث أتانى آت، وقال أبشرى: فقد حملتى بالنبى الكريم، فقلت له من أنت؟ قال: نوح، وفى الشهر الرابع أتانى آت وقال أبشرى فقد حملت بالسيد الشريف والنبى العفيف، فقلت له من أنت؟ قال: إدريس وفى الشهر الخامس أتانى آت وقال أبشرى فقد حملت بسيد البشر، فقلت له من أنت؟ قال: هود وفى الشهر السادس أتانى آت وقال: أبشرى فقد حملت بالنبى الهاشمى، فقلت له من أنت؟ قال: إبراهيم، وفى الشهر السابع أتانى آت وقال: أبشرى فقد حملت حبيب رب العالمين فقلت له من أنت؟ قال: إسماعيل وفيه انشق إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرافة، وفى الشهر الثامن أتانى آت وقال: أبشرى فقد حملت بخاتم النبيين فقلت له من أنت فقال: موسى وفيه خمدت نار فارس وفى الشهر التاسع أتانى آت وقال أبشرى فقد حملت بمحمد فقلت من أنت؟ قال: عيسى وفيه سقط التاج عن رأس كسرى، وقيل فى الشهر الرابع مات أبوه عبد اللَّه ودفن بالمدينة وهو ابن خمسة وعشرين سنة فلما مات عبد اللَّه، قالت الملائكة ربنا بقى نبيك يتيمًا فقال اللَّه تعالى أنا وليه وحافظه قالت آمنة فلما كانت ليلة الولادة أى وهى ليلة الاثنين مع طلوع الفجر، وقيل ليلة الجمعة رأيت جماعة قد نزلوا من السماء معهم ثلاثة أعلام بيض فركزوا علمًا على ظهر الكعبة وعلمًا على سطح دارى وعلمًا على بيت المقدس ودنت منى النجوم حتى إنى أقول ليقعن على وامتلأت الأرض نورًا وفتحت أبواب السماء ثم عكف على منزلى طيور كثيرة مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت ورأيت الديباج قد بسط بين السماء والأرض ورأيت رجالاً فى الهواء بأيديهم أباريق الفضة بسلاسل الذهب وكنت عطشانة فشربت من أحدها فبينما أنا أفكر فى

أمرى وقد ضاق من الوحدة صدرى إذ دخل على جماعة من النساء لم أر أحسن منهن معهن آسية امرأة فرعون وكانت هى القابلة لكن فى الشفاء عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف- رضى اللّه عنهما- قالت: لما سقط محمد ﷺ على يدى من بطن أمه واستهل سمعت قائلاً يقول رحمك اللّه وأضاء لى ما بين المشرق والمغرب كلما اشتد بى الطلق رأيت طيراً عظيم الخلقة حسن الهيئة فمسح بجناحه على بطنى فوضعت ولدى محمداً مستقيمًا أى خرج بأقدامه الكريمة ولم يخرج منكوسًا إشارة إلى أنه ﷺ لم يزل قائمًا فى حدود اللّه ثم تكلم بكلام فصيح وقال اللّه أكبر اللّه أكبر اللّه أكبر الحمد للّه رب العالمين، قال عكرمة: قال ابن عباس عن أبيه العباس عن أبيه عبد المطلب ولد محمد مختونًا مسروراً، أى مقطوع السرة وفى رواية أن عبد المطلب ختنه يوم سابعه.

فائدة: ولد جماعة من الأنبياء مختونين منهم: آدم وشيث وإدريس ونوح ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين، وأول من اختتن من الرجال إبراهيم ومن النساء هاجر كما سيأتى فى فضل الأمة المرحومة وسيأتى فى مناقب الحسين حكم الختان، واللّه أعلم.

قالت آمنة: فلما وضعته وكأن وجهه القمر غيبه رجل عنى الساعة وإذا به قد رده وقال خذيه فقد طافوا به المشارق المغارب والساعة كان عند أبيه آدم فقبله بين عينيه فقال أبشر يا حبيبى فإنك سيد ولدى من الأولين والآخرين فمضى الرجل الذى غيبه وهو يقول يا عز الدنيا ويا شرف الآخرة من قال مقالتك وشهد بشهادتك يحشر يوم القيامة تحت لوائك، قال ابن عباس إنه رضوان بواب الجنة وهو الذى ختم بين كتفيه بخاتم النبوة، قال عبد المطلب كنت تلك الليلة أطوف بالكعبة فتمايلت الكعبة وخرت ساجدة تحوم نحو المقام فتساقطت الأصنام، وقالت اللّه أكبر اللّه أكبر ولد محمد الأزهر الآن طهرنى ربى من أنجاس المشركين وسمعت قائلاً يقول ألا وإن آمنة قد ولدت محمداً وانسكبت عليها سحائب الرحمة فأتيت منزل آمنة فرأيت سحابة قد أظلمت حجرتها فجعلت أمسح عينى وأقول أنا نائم أم يقظان فناديت يا آمنة افتحى الباب ففتحته فإذا السمك يفوح من حجرتها فقلت لها ما الخبر، فقالت: ولد محمد قال دعينى أنظر إليه قالت إنه فى البيت فلما أردت الدخول إليه خرج رجل معه سيف وقال مهلاً حتى تنقضى عنه زيارة الملائكة.

فصل: فى نسبه ﷺ

قال ابن عباس- رضى اللّه عنهما-: ليس قبيلة من العرب إلا وله ﷺ فيها نسب، وعن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «إن اللّه اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم بنى هاشم فاختارنى منهم» قال ابن عباس: إن قريشًا كانت نوراً بين يدى اللّه تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام وعن النبى ﷺ قال: «إن اللّه تعالى لما خلق بنى آدم جعلنى فى خيرهم أبًا ثم جعلهم قبائل وجعلنى فى خيرهم قبيلة ثم لما جعلهم بيوتًا جعلنى فى خيرهم بيتًا»، فلذلك قال ابن

عباس وفاطمة لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء أى من أفضلكم وأشرفكم فهو محمد بن عبد الله واسم أم عبد الله فاطمة بنت عبد المطلب واسم أمه سلمى بنت هاشم واسم أمه عاتكة بنت عبد مناف واسم أمه أيضًا عاتكة بنت قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وتقدم فى باب الحج أن جماعة سموا أبناءهم باسمه طمعًا فى أن يكون منهم محمد رسول الله، قال الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات: نقل القاضى أبو بكر بن العربى عن بعض الصوفية أن النبى ﷺ له ألف اسم قال كعب الأحبار: اسم النبى عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند حملة العرش عبد المجيد وعند سائر الملائكة عبد الحميد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القهار، وعند الجن عبد الرحيم وعبد الجبار وعبد الخالق وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن وعند الحيات عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الطيور عبد الغفار، وعند المؤمنين محمد وأحمد، قال فى كتاب العقائق فى الليلة التى ولد فيها محمداً انطفأت النيران إشارة لطفئها عن أمته وفى الليلة التى ولد فيها عيسى اشتعلت النار إشارة لتوقدها على من اتخذه إلهًا من دون الله، وكان مولد النبى ﷺ بمكة بعد قدوم أصحاب الفيل بخمسين يومًا، قالت عائشة رأيت قائد الفيل أعمى يسأل الناس.

فصل: فى رضاعه ﷺ

قال ابن عباس: نادى منادى الرحمن معاشر الخلائق هذا محمد بن عبد الله طوبى لثدى أرضعه طوبى لعبد كفله فقالت الطير إلهنا نحن نحمله إلى أعشاشنا، ونطعمه من طيبات الأرض، وقال السحاب ربنا نحن نحمله إلى مشارق الأرض ومغاربها ونربيه أحسن تربية وقالت الملائكة إلهنا نحن أحق بتربيته فقال الله تعالى قد أجريت ذلك على يد حليمة السعدية، قال فى كتاب شرف المصطفى كانت حليمة فى ضيق من العيش وكانت تكثر من الحمد لله فلما أراد الله لها بالسعادة قحط بلادها فكانت تأكل من نبات الأرض ثم ولدت غلامًا ومضى عليها سبعة أيام لم تأكل إلا قليلاً فأضرها الجوع فرأت فى منامها رجلاً أخذ بيدها إلى نهر أبيض من اللبن وأحلى من العسل وقال اشربى يا حليمة فشربت كثيرًا، ثم قال: تعرفينى قالت: لا، قال: أنا الحمد الذى كنت تحمدين الله به فى الشدة والرخاء يا حليمة انطلقى إلى مكة فإن لك فيها الرزق الواسع واكتمى شأنك قالت فاستيقظت وأنا من أجمل النساء ولا أطيق أن أحمل ثدى من اللبن فتعجب النساء منى ثم خرجنا يومًا نطلب النبات فسمعن قائلاً يقول ألا وأن والله قد أخرج مولوداً بمكة طوبى لمن أرضعه فلما سمعت النساء بذلك رجعن وأخبرن أزواجهن فخرجن إلى مكة وكانوا عشرة وخرجت معهن على أتان ضعيف فبينما أنا فى بعض الطريق إذ خرج رجل من شجرة ومعه حربة فوكز الأتان وهى الأنثى من الحمير وقال: أسرعى بمرضعة سيد المرسلين، فسبقنا القوم ودخلنا مكة فرآنى عبد المطلب فسألته عن

رضيع فقال عندى غلام يتيم لم تبق امرأة إلا وعرض عليها ولكن لعدم سعدها تأباه إذا قيل لها توفى اللّه أباه، فقالت: رضيت بحاله وليس لى رغبة فى غير وصاله فقال لها ما اسمك قالت: حليمة السعدية فقال حلم وسعد فيهما عن الأبد فادخلنى إلى منزل آمنة فرأيته نائمًا فوضعت يدى على صدره ففتح عينيه وتبسم فخرج منه نور لحق بعنان السماء والعنان بفتح العين هو السحاب، فناولته ثديى الأيمن فشرب حتى روى ثم ناولته الأيسر فامتنع وذلك من عدله وإنصافه لأنه علم أنه له فى اللبن شريكًا، فلما أخذناه من أمه قالت أعيذه باللّه ذى الجلال من شر ما مر على الجبال حتى أراه حامل الكلال. ويفعل الخير مع الموالى وغيرهم من حشوة الرجال. حشوة بكسر الحاء المهملة هم أسافل الناس قالت حليمة فخرجنا وخرجت أمه تودعه ولسان حالها ينشد ويقول:

كيف السبيل وقد شطت بنا الدار ... أم كيف أصبر والأحباب قد ساروا

ومنزل الأنس أضحى بعد ساكنه ... مستوحشًا حين غابت عنـه أقمار

ما كان أحسـنـنا والدار تجمعنا ... والشمل متصل والعيـش مدرار

يا سـاكنين بقلب أينما رحلوا ... وراحلين بقلبى أينما سـاروا

غبتـم فأظلمت الدنيا لغيبتكم ... وضاق من بعدكم رحـب وأقطار

ليت الغراب الذى نادى بفرقتنا ... عار من الريش لا تحـويه أوكار

بعد النعيم بعدنا عـن منازلنا ... وبعد أحبابنا شـطت بنا الدار

قالت حليمة: فلما وضعته بين يدى على الأتان استقبل بوجهه الكعبة وسجد ثلاث مرات ثم مرت بنا الأتان كالجواد، فقالت النساء: يا حليمة أليس هده أتانك إن لك لشأنًا عجيبًا، فقالت: الأتان أنتن فى غفلة عنى على ظهرى راكب البراق قالت حليمة: فبينما أنا فى أثناء الطريق وإذا أنا بأربعين نصرانيًا يتذكرون محمدًا ومعهم سيوف مسمومة فلما نظر إليه كبيرهم قال: ويحكم دونكم هذا الغلام فاقتلوه فهو المطلوب، فقلت: وامحمداه ففتح عينيه ورمق بطرفه نحو السماء وإذا بنار نزلت من السماء فأحرقتهم عن آخرهم، فقال زوجى: إن لهذا المولود لشأنًا وسوف يعلو أمرهُ فلما دخلنا جئنا أخصب الوادى على كل حاضر وباد وأدر اللّه لنا الضرع وأنبت لنا الزرع وصار محمد ﷺ يكبر فى اليوم كالشهر وفى الشهر كالسنة فلما بلغ عامين، وقيل أكثر قدمت به حليمة على أمه آمنة زائرة فأخبرتها بما رأت من بركاته الظاهرة، فقالت لها: ارجعى به فإنى أخاف عليه من وباء مكة وفى السنة الثالثة ولد أبو بكر الصديق وفى الرابعة قال: يا أماه مالى لا أرى إخوتى فى الحى نهارًا قلت إنهم يرعون الأغنام التى رزقنا اللّه إياها ببركتك فقال: دعينى أخرج معهم إلى المرعى وأقسم على، فلما كان من الغد تحزم وأخذ عصاه وسار معهم، وقيل فى المعنى:

بأغنامه سار الحبيب إلى المرعى فيا حسنه راع فؤادى له ترعى
فما أحسن الأغنام وهو يسوقها لقد آنس الصحرا وقد أوحش الربعا
جميل على معنى محاسن وجهه كأن بدور التم قد طبعت طبعا
أقول له مُذْ سار فى البر ماشيًا وأغنامه من حوله تطلب المرعى
عيونك يا راعى الحمى فتكت بنا فقوم بها قتلى وقوم بها صرعى
وحزت جمالاً حَيَّرَ الخلق وصفه وشرًا خفيا نبت العشب والمرعى
فلولاك يا راعى الحمى ما تشوقت قلوب إلى وادى العقيق ولا الجرعى
حبيبى طبيبى أنت راع قلوبنا فلولاك يا مختار ما ذكر المسعى

قالت حليمة- رضى اللّه عنها-: وغاب عنى رسول اللّه يومه ذلك فلما قرب المساء خرجنا لملاقاته على الطريق، فإذا به قد اقبل والأنوار تسبقه والأغنام تلوذ به وكان فى الغنم شاة رماها أخوه حمزة فكسر ساقها فجعلت تلوذ به كالشاكية إليه فقبض بيده الكريمة على ساقها فكأن الوجع لم يقع ثم قالت لولدها حمزة: كف وجدت أخاك القرشى قال يا أماه ما مر بحجر ولا شجر ولا سهل ولا جبل ولا وحش ولا طير إلا ويقول: السلام عليك يا رسول اللّه، ولا يطأ موضعًا إلا ونبت العشب فيه، قال ابن أبى جمرة فى شرح البخارى حتى موضع دابته التى يركبها يخضر فى الحال وإذا سقينا من بئر فار الماء إلى أعلاه ولقد دخلنا إلى واد الوحوش فيه كثيرة، فإذا نحن بسبع عظيم قد جمع نفسه ليثب علينا فلما نظر إلى أخينا محمد ﷺ تقدم وخضع له ورمى نفسه على الأرض وتكلم بكلام فصيح وقال: السلام عليك يا محمد وتقدم إليه وكلمه فى أذنه والأسد يعدو، فقالت: يا بنى اكتم هذا عن أهلك ثم عطفت الأغنام عليها تشخب لبنًا وهى العرائس وكان محمد يخرج مع إخوته كعادته فما يرجعون إلا وقد رأوا له معجزات وآيات بينات ثم فى بعض الأيام جاء أخوه يشتد عدوًا، وقال يا أماه قد قتل أخى القرشى فخرج القوم وأنا فى أولهم فوجدناه على صخرة يتبسم، فقلت: ما شأنك يا بنى قال: جاءنى ثلاثة نفر فشقوا صدرى وأخرجوا منه حظ الشيطان وختموا بين كتفى بخاتم النبيوة، قال العلائى: مكتوب فى باطن الخاتم اللّه وحده لا شريك له وفى ظاهره توجه حيث شئت فإنك منصور وهو لحم مثل البندقة، وفى صحيح البخارى كبيضة الحمامة وفى جامع الترمذى كالتفاحة، وقالت عائشة: كالبيضة الصغيرة فلما مات ﷺ التمسته فلم أجده.

فائدة: قال السبكى: خلق اللّه فى قلوب البشر علقة قابلة لما يلقيه الشيطان فأزيلت من قلب النبى ﷺ قالت حليمة فاحتملناه وقدمنا به إلى أمه فى السنة الخامسة فقالت ما أقدمك به وقد كنت حريصة على مكثه عندك، فقال: أديت خدمته وكتمت قصته فقالت: أتخوفت عليه الشيطان قالت: نعم قالت: كلا، واللّه ما للشيطان عليه سبيل دعيه عنك وانطلقى راشدة فخرجت حليمة ولسان حالها، يقول:

دعونى على الأحباب أبكى وأندب ففى القلب من نار الفراق تلـهب
ولا تعتبونى إن جـرت أدمعى دمًا فليس لصب فارق الألف معتـب
لقد جـرح التفريق قلبى بنبله فمن دمها دمعى على الخد يسكب
أأحبابنا ما باختيار فـراقكم ولكن قضاء اللَّه ما فيه مـهرب
وما كان ظنى الدهر يفـرق بيننا وسرعة هذا البين ما كنت أحسب
أجول بطرفى بعدكم فـى دياركم فارجـع والنيران فى القلب تلهب

ثم جاءت حليمة بعد النبوة فأكرمها ثم جاءت فى خلافة أبى بكر وخلافة عمر فأكرماها قاله فى الشفاء، وفى السنة السادسة من عمره ماتت أمه آمنة بين مكة والمدينة ودفنت بمكة، وفى ثمان سنين مات جده عبد المطلب وفى اثنتى عشرة سنة رآه بحيرة الراهب لما خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام وفى خمس وعشرين خرج فى تجارة خديجة إلى الشام وتزوج بها، وسيأتى فى مناقبه وفى الأربعين أرسله اللَّه للعالمين رحمة وأطلع فى أفق السعادة نجمه وشرح بالرسالة صدره ورفع فى الشهادتين ذكره ورفعه إلى المحل الأسنى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٩] وكـان ﷺ عظيم الهامة متعدل القامة طيب الريح والشم نظيف البدن والجسم أطيب ريحًا من العنبر وأزكى رائحة من المسك الأزفر يرى الشياطين والملائكة يرى فى النور كما يرى فى الظلمة الحاكلة جوامع كلمه مأثورة وبدائع حكمه منشورة عيون معانيه منسجمة ودرر ألفاظه منتظمة أنزل اللَّه القرآن بلسانه تعظيمًا لأمره وشأنه، يصل من قطعه ويعطى من منعه ويبذل لمن حرمه ويعفو عمن ظلمه لا ينتقم مع القدرة ويصبر على ما يكره أوضح اللَّه له الطريق وأظهره على الحقائق وأودعه الأسرار المكتومة وأطلعه على الغرائب المخزونة وأشهده عجائب سلطانه وملكوته وأفرده بالنظر إلى عظمة كبريائه وجبروته، وشمله بألطافه الخفيفة وأدناه دنوا تنقطع عنه الكيفية وحديث ناقته العضباء وكلامها له مشهور ومبادرة العشب إليها وتجنب الوحش عنها فى الكتب مسطور على أنها بعد وفاته ماتت ولم تأكل ولم تشرب حتى ماتت وأظلته حما مكة يوم فتحها وأزلفت إليه البدن فى بعض الأعياد لذبحها، وأنبت اللَّه له شجرة ليلة الغار ونسج العنكبوت له سترًا من الكفار، وبرك البعير بين يديه ومن الذبح استجار استجارت الظبية من صيدها وسألته إطلاقها لتذهب إلى أولادها فضمن إلى الصياد عودها فاطلقها فرضعتهم وأوفت وعدها فلما عادت إلى الصياد أوثقها ثم من عليها بإذنه فأعتقها وانكسرت يوم الخندق ساق ابن الحكم فتفل عليها فكأنه لم يكن به ألم، واشتكى على فضربه برجله فلم يعد إليه الوجع من أجله وركب فرسًا لأبى طلحة غير لاحق فصار ببركته لا تلحقه السوابق، وقطع أبو جهل يد بعض أصحابه فبصق عليها وألصقها فشفى مما به ومن معجزاته ﷺ ماجاء به القرآن المجيد المنزل عليه من حكيم حميد الذى عقل تأليفه العقول وفاق بالتئام كلمه كل معقول وأخرس بفصاحته بلاغة العرب وبسيفه إعجازه وإيجازه لأعناقهم ضرب وجمع اللَّه له المعارف الوافرة وأطلعه على

مصالح الدنيا والآخرة، فهذه نبذة من معجزاته الواضحة ولمحة من أنواره اللائحة وقطعة من سحائب كرامته الغادية والرائحة فعليه من اللَّه أزكى الصلوات وأطيب السلام وأتم التحيات وعلى آله وأصحابه من الأنصار والمهاجرين إلى يوم الورود عليه فى الدار الآخرة.

باب: فضل الصلاة والتسليم على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٦]، قال فى شرح المهذب يستحب عند قراءة هذه الآية أن يقول ﷺ تسليمًا قال فى الروضة: إذا قال الخطيب ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية فللسامعين أن يرفعوا أصواتهم بالصلاة على محمد، قال فى روض الأفكار: رأيت رجلاً باليمن أعمى أبرص أخرس مقعداً فسألت عنه، فقيل: إنه كان حسن الصوت بالقرآن فقرأ يومًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية فأصابه ذلك قال ابن عباس لا تجوز الصلاة على غير النبى ﷺ وقال سفيان الثورى يكره أن يصلى على غير النبى وقال مالك: أكره الصلاة على غير الأنبياء، وقال الحسن البصرى: من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل: اللهم صلّ على محمد وآله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين، وقال النبى ﷺ: «معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب».

فائدة: رأيت فى الروضة وشرح المهذب أن آله ﷺ بنو هاشم والمطلب، ثم قال فى شرح المهذب وقيل: آله أهل دينه وأتباعه إلى يوم القيامة، قال الأزهرى: وهذا أقرب إلى الصواب، وقيل: عترته المنسوبون إليه وقال القرطبى عن ابن عباس هم أزواجه فقط، وقال فى الشفاء سئل النبى عن آل محمد قال: «كل تقى» اهـ.

مسألتان: الأولى: فإن قيل: ربنا أمرنا بالصلاة على محمد ونحن نقول: اللهم صل عليه فما أتيناه بالمأمور به فكيف نقول.

فالجواب: رأيت فى تنبيه الغافلين يقول: اللهم إنى أشهدك وأشهد حملة عرشك أنى أصلى على محمد، وقال بعضهم: يقول: اللهم صليت على محمد، كما صليت أنت وملائكتك على محمد ورأيت فى عيون المجالس أنه ﷺ طاهر من الدنس ومولانا طاهر فسألنا الطاهر أن نصلى على الطاهر لأنا ملطخون بنجاسة الذنوب فتكون الصلاة من رب طاهر قال مؤلفه وعندى إذا قال العبد: اللهم صل على محمد فقد أتى بالمأمور، لأن الصلاة من الآدميين تضرع ودعاء وهو المقصود من الأمر بالصلاة عليه، والصلاة من اللَّه زيادة له ﷺ لا محالة ولكن الزيادة فى علو درجاته ﷺ ممكنة والتوجه إلى غفران الذنوب مطلوب بأى وجه ولا شك أن سؤالنا مولانا علو الدرجات والزيادة فيها

لنبينا محمد من أعظم الوجوه المحصلة لمغفرة ذنوبنا إن شاء اللّه تعالى. وقوله ﷺ: «**لأصحابه قولوا اللهم صل على محمد**» يقوى ما تقدم من الإتيان بالمأمور، واللّه أعلم.

الثانية: ما الحكمة فى تأكيد السلام عليه بالمصدر فى الآية الشريفة دون الصلاة قال الفكهانى لأن الصلاة تأكدت من اللّه وملائكته أولاً وقال غيره لما قدمت الصلاة حصل لها بالتقدم مزية فحسن التأكيد للسلام بالمصدر وإنما أضيفت الصلاة إلى اللّه تعالى وملائكته دون السلام، لأنه من التسليم والإنقياد ولا يصح ذلك من اللّه ولا ملائكته.

فائدة: فى القول البديع فى الصلاة على الشفيع، قال ابن عباس معنى ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ أى يباركون على النبى، وقيل: إن اللّه يترحم على النبى وملائكته يدعون له، وقيل: الصلاة من اللّه للنبى تشريف وزيادة كرامة ولغير النبى رحمة.

فائدة: رأيت فى القول البديع عن على عن النبى ﷺ «قال من حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزوة كتبت غزوته بأربعمائة حجة» فانكسرت قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد، فأوحى اللّه إليه ما صلى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة، وقال على: خلق اللّه الجنة شجرة ثمرها أكبر من التفاح وأصغر من الرمان وألين من الزبد وأحلى من العسل وأطيب من المسك أغصانها من اللؤلؤ الرطب وجذوعها من الذهب، وورقها من الزبرجد لا يأكل منها إلا من أكثر من الصلاة على محمد ﷺ ورأيت فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب عن جابر بن عبد اللّه قال: جاءوا برجل إلى النبى فشهدوا عليه بسرقة جمل فأمر بقطع يده فولى الرجل وهو يقول: اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شىء فتكلم الجمل، وقال: يا محمد إنه برئ من سرقتى فقال النبى: من يأتينى بالرجل فجاءوا به فقال: يا هذا ما قلت آنفًا؟ فأخبره فقال: لذلك نزلت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحلون بينى وبينك، ثم قال «لتردن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر» وعن النبى ﷺ قال: «**إذا طنت أذن أحدكم فليذكرنى وليصلى على**» وفى رواية «**وليقل ذكر اللّه من ذكرنى بخير**».

حكاية: فى كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم لأبى حامد القزوينى أن رجلاً سافر بولد فمات الأب فى الطريق فتحول رأسه رأس خنزير فبكى ولده وتضرع إلى اللّه فأخذه النوم، فقال له قائل فى نومه كان أبوك يأكل الربا وقد شفع فيه محمد لأنه ما سمع بذكره إلا صلى عليه وقد رددنا صورته الأولى، قال ﷺ: «العدل ميزان اللّه فى الأرض فمن أخذه ساقه إلى الجنة ومن تركه ساقه إلى النار».

لطيفة: محمد أربعة أحرف الميم الأولى ميم المنة كأن اللّه تعالى يقول: أمن على أمتك بعتقهم من النار، والحاء من المحبة اجعل محبتى فى قلوب أمتك، والميم الثانية ميم المغفرة اغفر لأمتك، والدال دوام لا ينزع منهم دين الإسلام.

فائدة: عن ابن عباس عن النبى ﷺ «من عطس فقال الحمد لله على كل حال ما كان على حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته أخرج الله من منخره الأيسر طير أكبر من الذباب وأصغر من الجراد يرفرف حول العرش ويقول: اللهم اغفر لقائلى»، وقال النبى ﷺ: **«يا عمار إن لله ملكًا أعطاه الله أسماع الخلائق كلها وهو قائم على قبرى إذا مت إلى يوم القيامة فليس أحد من أمتى يصلى على صلاة إلا سماه لى باسمه واسم أبيه، وقال يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان كذا فيصلى الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشر»** رواه الطبرانى فى معجمه الكبير، وعن أنس عن النبى ﷺ: «من صلى على يوم الجمعة صلاة واحدة صلى الله عليه وملائكته ألف ألف صلاة، وكتب له ألف ألف حسنة وحط عنه ألف ألف خطيئة ورفع له ألف ألف درجة» ذكره فى روض الأفكار وعن جماعة من الصحابة، قالوا: بينما النبى ﷺ فى المسجد إذ دخل أعرابى فقال: السلام عليك يا أهل العز الشامخ والكرم الباذخ فأجلسه النبى ﷺ بينه وبين أبى بكر الصديق فقال أبو بكر: يا رسول الله تجلسه بينى وبينك ولا أعلم على وجه الأرض أحب إلى منك قال أخبرنى جبريل أنه يصلى على صلاة لم يصلها على أحد قبله، قال: كيف يقول قال: **«يقول: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد فى الأولين والآخرين وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين»** فقال أبو بكر الصديق: أخبرنى عن ثواب هذه الصلاة قال: **«لو كانت البحار مدادًا والأشجار أقلامًا والملائكة كتابًا لفنى المداد وانكسرت الأقلام، ولم تبلغ ثواب هذه الصلاة»** وذكره ابن الملقن أيضًا فى الحقائق إلى أنه قال: اللهم صلّ على محمد عدد من يصلى عليه وصلّ على محمد عدد من لم يصل عليه وصل على محمد كما تجب الصلاة عليه وصل على محمد المختار وصل على محمد الذى من نوره الأنوار أشرق بشعاع وجهه الأقطار وصل على محمد وعلى أهل بيته الأبرار، وقال النبى ﷺ **«من صل علىّ صليت عليه ملائكة الله ومن صلت عليه الملائكة صلى عليه الله ومن صلى الله عليه لم يبق شىء فى السماوات السبع والأرضين السبع والبحار والأشجار والنبات والطيور والسباع والأنعام إلا صلى عليه»**، وعن أبى هريرة- رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: «ما من عبد صلى على محمد مرة واحدة إلا بعث الله ملكًا يبلغ تلك الصلاة أسرع من طرفة عين، ويقول له إن فلان ابن فلان اقرأك الصلاة والسلام فيقول: بلغه عنى عشراً وقل له: لو كانت لك واحدة من هذه العشر لدخلت الجنة معى كالسبابة والوسطى ثم يصعد الملك حتى ينتهى إلى العرش، فيقول: إن فلان ابن فلان صلى على محمد مرة واحدة فيقول الله تعالى: بلغه عنى عشراً وقل له لو كانت لك واحدة من هذه العشر لما مستك النار أبدًا، ثم يقول عظموا صلاة عبد على نبى واجعلوها فى عليين، ثم يخلق الله من كل صلاة بكل حرف ملكًا له ثلثمائة وستون رأسًا فى كل رأس ثلثمائة وستون وجهًا فى كل وجه ثلثمائة وستون فما فى كل فم ثلثمائة وستون لسانًا يسبح الله تعالى ويكتب ثواب ذلك لمن صلى على محمد ﷺ» وقال النبى ﷺ: **«إذا سألتم الله حاجة فابدأوا بالصلاة على، فإن الله تعالى أكرم من يسأل حاجتين فيقضى إحداهما ويرد الأخرى»** وعن البراء بن عازب قال، قال النبى ﷺ: **«كل دعاء**

محجوب عن السماء حتى يصلّ على محمد» وعن العباس بن عبد المطلب قال أحدقت النظر بالنبى ﷺ فقال: «يا عم هل من حاجة؟ قلت: نعم لما أرضعتك حليمة وأنت ابن أربعين يومًا رأيتك تخاطب القمر ويخاطبك بلغة لم أفهمها، قال: يا عم قرصنى القماط فى جانبى الأيمن فأردت أن أبكى فقال لى القمر: لا تبك فلو قطر من دموعك قطرة على الأرض قلب اللَّه الخضراء على الغبراء فصعق العباس، فقال: أزيدك يا عم؟ قال: نعم، قال: قرصنى القماط فى جانبى الأيسر فأردت أن أبكى فقال لى القمر: لا تبك يا حبيب اللَّه فإن وقع من دموعك قطرة على الأرض لم تنشق الأرض عن خضراء إلى يوم القيامة فسكت شفقة على أمتى» فصفق العباس وقال: أكنت تعلم ذلك وأنت ابن أربعين يومًا؟ فقال: «يا عم والذى نفسى بيده لقد كنت أسمع صرير القلم على اللوح المحفوظ وأنا فى ظلمة الأحشاء أفأزيدك يا عم؟ قال: نعم، قال: والذى نفسى بيده إن اللَّه يبعث مائة ألف نبى وأربعة وعشرين ألف نبى ما فيهم نبى علم أنه نبى حتى بلغ رشده وهو أربعين سنة إلا عيسى فإنه لما نزل من جوف أمه قال إنى عبد اللَّه قد أتانى الكتاب، وابن أخيك. أفأزيدك يا عم؟ قال: نعم، قال: لما ولدت ليلة الإثنين خلق اللَّه سبع جبال فى السماوات السبع وملأها من الملائكة ما لا يحصيهم إلا اللَّه تعالى يسبحون اللَّه ويقدسونه إلى يوم القيامة ويجعل ثواب تسبيحهم وتقديسهم لعبد ذكرت بين يديه فصلى فأزعج أعضاء العباس بالصلاة على النبى» ذكره فى شوارد الملح وهو موضوع. قال النبى ﷺ: «من صلّ صلاة وجهر بها شهد له كل حجر ومدر ورطب ويابس» وقال النبى: «إن اللَّه وكل بقبرى ملكين فلا أذكر عند عبد فلا يصلى على إلا قال الملكان لا غفر اللَّه لك ويقول اللَّه وملائكته آمين ولا أذكر عند عبد فيصلى على إلا قال الملكان غفر اللَّه لك ويقول الملائكة آمين».

وعن أبى ذر عن النبى ﷺ: **«قال ألا أخبركم بأبخل الناس! قالوا: بلى يا رسول اللَّه. قال: من ذكرت عنده فلم يصلّ على فذلك أبخل الناس»** ورأيت فى الشفاء عن النبى ﷺ: **«إن البخيل كل البخل من ذكرت عنده فلم يصلّ على»** وقال النبى ﷺ: **«لا يجلس قوم مجلسًا لا يصلون فيه على محمد إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا الجنة لم يروا من الثواب كمن صلى على»** وقال النبى ﷺ: **«من ذكرت عنده فلم يصلّ على فقد أخطأ طريق الجنة»** قال فى الرسالة القشيرية أوحى اللَّه تعالى إلى موسى «إنى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى وأحب ما تكون إلىّ إذا أكثرت الصلاة على محمد ﷺ» وفى غيرها أوحى اللَّه تعالى إلى موسى «أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينيك وأن لا ينالك عطش يوم القيامة، قال فأكثر من الصلاة على محمد» ورأيت فى الملاذ والاعتصام بالصلاة على محمد والسلام أن موسى- عليه السلام- ضرب بعصاه البحر عشر مرات فلم ينفلق البحر فأوحى اللَّه إليه يا موسى صلّ على محمد فصلى على محمد وضربه فانفلق بإذن اللَّه، ورأيت فى تفسير القرطبى فى سورة الأحزاب أن النبى ﷺ قال: «ما منكم من أحد يسلم علىّ إذا أنا مت إلا جاءنى سلامه مع جبريل فيقول: يا محمد هذا فلان ابن فلان يقرأ عليك السلام، فأقول: و عليه

السلام ورحمة اللّٰه وبركاته» وقال فى سورة الرعد قال عثمان: يا رسول اللّٰه كم من ملك موكل مع العبد قال: «ملك عن يمينك وملك عن شمالك وملك بين يديك وملك خلفك وملك على ناصيتك فإذا تواضع رفعه اللّٰه، وإذا تكبر وضعه وإذا تجبر على اللّٰه قصمه، وملكان على شفتيك لا يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد، وملك على فمك لا يدع الحية تدخل فى قلبك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك مع كل آدمى» وتقدم فى باب الزهد زيادة قال جبريل: «يا محمد إن اللّٰه تعالى لما خلقنى مكثت عشرة آلاف سنة لا أدرى ما اسمى ثم نادانى يا جبريل فعرفت اسمى جبريل، فقلت: لبيك اللهم لبيك فقال: قدسنى! فقدسته عشرة آلاف سنة ثم قال: مجدنى فمجدته عشرة آلاف سنة ثم قال احمدنى فحمدته عشرة آلاف سنة ثم كشف لى عن ساق العرش فرأيت سطراً مكتوبًا ففهمنى إياه فإذا هو لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه فقلت: يا رب من محمد رسول اللّٰه فقال: يا جبريل لولا محمد ما خلقتك بل لولاه ما خلقت جنة ولا ناراً ولا شمسًا ولا قمراً يا جبريل صل على محمد فصليت عليه عشرة آلاف سنة».

حكاية: قال بعض الصالحين: خرجت أيام الربيع فقلت: اللهم صلّ على محمد عدد أوراق الأشجار وصلّ على محمد عدد الأزهار والثمار وصلّ على محمد عدد قطر البحار وصلّ على محمد عدد رمل القفار، وصلّ على محمد عدد ما فى البر والبحار فهتف بى هاتف أتعبت الحفظة فى كتابة ثواب ما قلت إلى آخر الدهر والأعمار واستوجبت من الكريم الغفار جنات عدن فنعم عقبى الدار.

فوائد: الأولى: قال مقاتل خلق اللّٰه تعالى ملكًا تحت العرش على رأسه ذؤابة قد أحاطت بالعرش، ما من شعرة إلا مكتوب عليها لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه فإذا صلى العبد على النبى ﷺ لم تبق شعرة إلا استغفرت له.

الثانية: حصل لبعض الصالحين حصر بول فرأى فى منامه الشيخ العارف شهاب الدين بن رسلان فشكا إليه ذلك، فقال: أين أنت من الترياق المجرب؟ قل: اللهم صل وسلم على روح سيدنا محمد فى الأرواح وصلّ وسلم على قلب سيدنا محمد فى القلوب وصل وسلم على جسد سيدنا محمد فى الأجساد وصل وسلم على قبر سيدنا محمد فى القبور، فلما استيقظ أكثر من ذكرها فعافاه اللّٰه تعالى، وقد تقدم فى باب الدعاء أن الفجل مع الحليب ينفع من حصر البول، وتقدم فى باب الكرم أن ورقه ينفع من هذه العلة.

الثالثة: قال بعض العارفين: كنت فى مركب فعصفت علينا الريح فاشرفنا على الغرق فرأيت النبى ﷺ فى منامى فقال: قل لهم يقولون: اللهم صل على محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات وتقضى لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات فاستيقظت فقلناها جميعًا فسكن الريح بإذن اللّٰه تعالى، وقال النبى ﷺ «أكثروا من الصلاة على فإنها تحل العقد

وتفرج» الكرب وعن أبى هريرة- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم الخميس يبعث اللّه ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس صلاة على» وعن ابن عباس، عن النبى ﷺ: «لا تضربوا أطفالكم عن بكائهم سنة فإن بكائهم أربعة أشهر لا إله إلا اللّه وأربعة أشهر صلاة على محمد وأربعة أشهر دعاء لوالديهم» وقال ﷺ: «**أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة، وليلة الجمعة فإن فى سائر الأيام تبلغنى الملائكة صلاتكم إلا ليلة الجمعة ويوم الجمعة فإنى أسمع صلاة من يصلى على بأذنى**» ذكره السمرقندى فى تنبيه الغافلين، وعنه ﷺ: «من قال يوم الجمعة بعد صلاة العصر اللهم صلّ على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ثمانين مرة غفر اللّه له ذنوب ثمانين سنة»، وعن أنس عن النبى ﷺ: «من قال: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وكان قاعداً غفر له قبل أن يقوم، وإن كان قائمًا غفر له قبل أن يقعد» وعن النبى ﷺ: «**يؤمر بأقوام يوم القيامة إلى الجنة فيخطئون الطريق فقيل: يا رسول اللّه ولم ذلك؟ فقال: سمعوا باسمى ولم يصلوا**».

الرابعة: عن النبى ﷺ: «من شم الورد الأحمر ولم يصل على فقد جفانى» وعن أنس عن النبى ﷺ: «خلق اللّه الورد الأحمر من بهائه وجعله ريحًا لأنبيائه، فمن أراد أن ينظر إلى بهاء اللّه ويشم رائحة الأنبياء فلينظر إلى الورد الأحمر».

الخامسة: قال أصحاب الطب: من شم الورد نافع لأصحاب الصفر ويقوى الأعضاء الباطنة ويسكن الحمى والصداع الحار ومن أخذ أربعين وردة وعجنها فى أوقية طحين وبردها فى أوقية من رب الخروب أسهلت إسهالاً معتدلاً وشرب ماء والورد يحسن الصوت ويشد القلب ويقوى المعدة، وقرص الورد يقوى الكبد وينفع من الحمى الطويلة.

لطيفة: رأيت فى كتاب شرعة الإسلام يستحب إكثار الصلاة على النبى عند أكل الأرز لأنه كان جوهراً فى الجنة أودع اللّه فيه نور محمد ﷺ فلما خرج منه النور تفتت فصار حبًا، وعن على عن النبى ﷺ كل شىء أخرجته الأرض داء وشفاء إلا الأرز فإنه شفاء لا داء فيه، وعن على فى قوله تعالى: ﴿**فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا**﴾ [الكهف: ١٩]، إنه الأرز وفى كتاب البركة عن النبى ﷺ كلوا الأرز فإنه بركة.

حكاية: كان رجل كثير المال فى مدينة بلخ وله ابنان فلما مات أخذ كل واحد نصف ماله ووجد فى التركة ثلاث شعرات من شعر النبى ﷺ فأخذ كل واحد شعرة وبقيت شعرة واحدة فقال الكبير: نقطعها وقال الصغير: لا نقطعها تعظيمًا للنبى ﷺ فقال الكبير: هل لك أن تأخذ هذه الشعرات بما تستحقه من الميراث؟ قال: نعم فأخذها وأخذ الكبير جميع المال، ثم بعد مدة ذهب المال كله وصار فقيراً فرأى النبى فى المنام فشكا إليه حاله، فقال: يا محروم زهدت فى الشعرات وآثرت عليها الدنيا، وأما أخوك فإنه أخذها فهو يصلى على إذا رآها فجعله اللّه سعيداً فى الدنيا والآخرة فاستيقظ

وجاء إلى أخيه وصار من جملة عياله، وما كان اسم محمد فى بيت إلا جعل اللَّه فى هذا البيت بركة ومن كانت زوجته حاملاً ونوى أن يسمى محمدًا رزقه اللَّه ذكرًا وقالت حليمة بنت عبد الجليل يا رسول اللَّه إنى امرأة لا يعيش لى ولد فقال اجعلى للَّه عليك أن تسميه محمدًا ففعلت وعاش ولدها وغنم، وقال ﷺ: «إذا سميتم محمدًا فاكرموه وأوسعوا له فى المجالس ولا تقبحو له وجهًا» وعنه ﷺ: «ما اجتمع قوم فى مشورة وفيهم رجل اسمه محمد ولم يدخلوه فى مشورتهم إلا لم يبارك لهم».

حكاية: قال بعض الصالحين: كان لى جار مسرف على نفسه وكنت آمره بالتوبة فلا يفعل، فلما مات رأيته فى الجنة، فقلت له: بم نلت هذه المنزلة قال: حضرت محدثًا فسمعته يقول من رفع صوته بالصلاة على رسول اللَّه ﷺ وجبت له الجنة فرفعت صوتى بالصلاة عليه ورفع القوم أصواتهم فغفر اللَّه لنا أجمعين، ورأيت فى المورد العذب أن النبى ﷺ قال: «من ضج بالصلاة فى الدنيا ضجت الملائكة بالصلاة عليه فى السماوات العلى» ورأيت فى الأذكار للإمام النووى- رضى اللَّه عنه- : يستحب رفع الصوت بالصلاة على محمد نص عليه الخطيب البغدادى وغيره، وقال الشبلى مات رجل من جيرانى فرأيته فى المنام فسألته عن حاله، فقال: أنعقد لسانى عند سؤال الملكين فقلت فى نفسى: ألست مت مسلمًا فبينما أنا كذلك وإذا بشخص قد دخل على وعلمنى الجواب، فقلت له: من أنت قال: أنا ملك خلقت من كثرة صلاتك على محمد ﷺ.

فائدة: قال أبو الدرداء- رضى اللَّه عنه- قال النبى ﷺ: «**من صلى على حين يصبح عشرًا وحين يمسى عشرًا أدركته شفاعتى يوم القيامة**» رواه الطبرانى، وروى أن النبى ﷺ خرج يومًا إلى الصحراء فوجد أعرابيًا قد صاد ظبية فقالت: يا نبى اللَّه اسأله أن يخلى سبيلى حتى أرضع أولادى وأعود إليه، وإن لم أعد إليه أكن شرًا ممن ذكرت عنده فلم يصل عليك، فأرسلها الأعرابى فجاءت إلى أولادها وقصت عليهم الخبر، وإن رسول اللَّه ﷺ ضمنها فقالوا لبنك علينا حرام حتى توفى ضمانة رسول اللَّه فجاءت حتى أدخلت رأسها فى السلسلة فاطلقها الصياد وأسلم، قال بعضهم: كنت يومًا عند قبر النبى ﷺ وإذا بظبية قد أقبلت ودخلت صارت أمام القبر وأشارت برأسها كأنها تسلم عليه ثم رجعت على عجزها ولم تول ظهرها القبر الشريف ولا شك أن هذه الظبية من نسل تلك الظبية، وعن حذيفة- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ أكثروا من الصلاة على يوم السبت فإن اليهود تكثر من سبى فيه، فمن صلى على فيه مائة مرة فقد أعتق نفسه من النار وحلت له الشفاعة فيشفع يوم القيامة فيمن أحب، وعن أبى هريرة- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ «**ما من أحد يسلم على إلا رد اللَّه على روحى حتى أرد - عليه السلام-**» قال الإمام السبكى معناه أنه لما دفن ﷺ رد اللَّه عليه روحه لأجل رد السلام على من يسلم عليه، وسئل الإمام البلقينى عن سجود النبى ﷺ تحت العرش هل يكون بطهارة، فقال: نعم يكون بطهارة، فقال: نعم يكون بطهارة الغسل لأنه حى فى قبره لم تبطل طهارته ﷺ وقدر السجود كجمعة من جمع الدنيا، نص عليه الإمام أحمد فى مسنده.

فائدة: قال الدميرى فى شرح المنهاج: أن بعضهم رأى النبى ﷺ فى المنام فقال: يا رسول اللَّه علمنى أحب الصلاة إليك، قال: قل اللهم صلّ على محمد الذى ملأت عينيه من جمالك وقلبه من جلالك ولسانه من لذيذ خطابك فأصبح فرحًا مسرورًا مؤيدًا منصورًا، وقال أبو بكر الصديق- رضى اللَّه عنه- : الصلاة على رسول اللَّه ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار الحامية، والسلام عليه أفضل عن عتق الرقاب لأن العتق يقابل بالعتق من النار والسلام على النبى يقابلان بالصلاة والسلام من اللَّه.

باب: قوله تعالى

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١].

تقدم أول الكتاب أن النبى ﷺ سئل عن تفسير سبحان اللَّه فقال هو تنزيه اللَّه تعالى عن كل سوء، وأصله التباعد فمعنى سبحان اللَّه بعده عن كل ما لا ينبغى له فهو ذكر اللَّه لا يصلح لغيره، وقال إبراهيم- عليه السلام- : يا رب ما جزاء من سبحك فأوحى اللَّه إليه لا يعلم تأويله إلا رب العالمين وقال النبى ﷺ: «ما صبح يصبح فيه العباد إلا وصارخ يصرخ أيها الناس سبحوا الملك القدوس» وقال ﷺ: «إن بحر من حوله ملائكة من نور على خيل من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول البحر ويقولون سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، فمن قالها فى يوم مرة أو فى شهر مرة أو فى سنة مرة أو فى عمره مرة غفر اللَّه ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» أو مثل رمل عالج أو فر من الزحف.

فائدة: قال الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات: الأصح ضم السين والباء والقاف من سبوح وقدوس، ومعنى سبوح المبرأ عن كل ما لا يليق بالألوهية، والقدوس المطهر، وقيل المبارك وقال الجوهرى: سبوح صفة اللَّه وقال غيره ويقال فيه: سبوحًا وقدوسًا أى أعبد سبوحًا وأذكر سبوحًا، واللَّه أعلم.

وفى الحديث أن موسى- عليه السلام- عبد اللَّه ليلة حتى أصبح فداخله من ذلك عجب فأحب اللَّه أن يريه ذلك فمر على شاطئ البحر وإذا بضفدع، يقول: يا موسى أعجبتك عبادتك البارحة وأنا منذ أربعمائة عام أسبح اللَّه وأقدسه فقال بحق الذى أنطقك ما تسبيحك، قالت: أقول سبحان من يسبح له من فى البحار سبحان من يسبح له من فى الأرض القفار، سبحان من يسبح له من رؤوس الجبال سبحان من يسبح له بكل شفة ولسان، ثم قال النبى ﷺ: «من سبح به فى كل يوم مرة أو فى كل شهر مرة أو فى كل عام مرة كتب اللَّه له كمن أعتق للَّه ألف نسمة من ولد إسماعيل أو حج ألف حجة مبرورة» وعن النبى ﷺ: «لو يعلم الأمير ما فى ذكر اللَّه لترك إمارته ولو يعلم التاجر ما فى ذكر

اللَّه لترك تجارته ولو أن ثواب تسبيحة واحدة قسم على أهل الأرض لأصاب كل واحد عشرة أضعاف الدنيا» وعن النبى ﷺ: «**من سره أن ينسأ له فى عمره وينصر على عدوه ويوضع له فى رزقه ويوقى ميتة السوء فليقل حين يصبح وحين يمسى سبحان اللَّه ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش والحمد اللَّه ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش ولا إله إلا اللَّه ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش واللَّه أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وزنة العرش**» وقال أنس: من قال سبحان اللَّه وبحمده غرس له ألف شجرة أنها تدفع البلاء حال الصدقة.

الثانى: تدفع بلاء العقوبة لا بلاء المثوبة.

فائدة: الصدقة أربعة أحرف صاد تصون صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة، دال تدله على طريق النجاة، وقاف تقربه إلى ربه عز وجل وهاء تهديه إلى الأعمال الصالحات.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت حية فقالت أجرنى أجارك اللَّه فقال: من أنت فقالت: أنا من أهل التوحيد ففتح لها فاه فدخلت جوفه فإذا برجل معه سيف فسأله عنها فلم يجدها فرجع الرجل من حيث جاء فقالت الحية للرجل إن شئت ضربتك فى كبدك أو غيره، قال: ولم؟ قالت لأنك عملت المعروف مع غير أهله فقال لها: امهلينى حتى أحفر لى قبرًا فنزل عليه ملك فأطعمه شيئًا فنزلت الحية قطعًا، فقال من أنت؟ قال: أنا المعروف الذى فعلته مع الحية.

قال عيسى - عليه السلام -: استكثروا من شىء لا تأكله النار، قيل: ما هو؟ قال: المعروف وفى الحديث «أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف» رواه الطبرانى فى الأوسط، قيل معناه أنهم يكونون فى الآخرة أهلاً لمعروف للَّه كما كانوا فى الدنيا أصحاب المعروف لأجل اللَّه وقيل وصفهم بذلك لأنهم تكرموا بأموالهم فى الدنيا والآخرة بحسناتهم للمذنبين من هذه الأمة، قال النبى ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يأتى اللَّه بقوم من أمتى فيدخلهم الجنة بغير حساب ويأتى اللَّه بقوم فيحاسبهم فيقول اللَّه تعالى: يا عبادى من نبيكم فيقولون نبينا محمد ﷺ فيقول هل زيد فى سيئاتكم شىء فيقولون لا فيقول هل نقص من حسناتكم شىء؟ فيقولون لا فيقول يا عبادى على من كان اتكالكم فيقولون على حسن ظننا بك، فيأمر اللَّه رضوان بإخراج الذين أدخلهم الجنة بغير حساب فيدعوهم فيقول هؤلاء إخوانكم من أمة محمد ﷺ قد زادت سيئاتهم على حسناتهم فهبوا لهم من حسناتكم فيهبون لهم فيدخلون الجنة**» فلذلك قال أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف الآخرة، وفى الحديث: إن الأسد يقول اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف.

فائدتان: الأولى: قال ﷺ: «**من استعاذكم باللَّه فأعيذوه ومن سألكم باللَّه فأعطوه ومن استجاركم باللَّه فأجيروه ومن أسدى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن**

قد كافأتموه» رواه أبو داود وفى رواية الطبرانى حتى تعلموا أن قد شكرتم له، فإن اللّه تعالى شاكر يحب الشاكرين، وقال ﷺ: «من لم يحمد الناس لم يحمد اللّه» حكاه الرازى فى الباب الخامس من تفسير الفاتحة، وقال النبى ﷺ: «من لا يشكر اللّه لا يشكر الناس» رواه الترمذى وقال حديث صحيح قال فى الترغيب والترهيب: الهاء، وقيل: هو ليلة المعراج ورأيت فى كتاب الذريعة لابن العماد مسألة أخرى، فإن قيل: كيف أضافهم إليه فى هبوطه بقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم: ٢]، وأضافه إليه بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، قيل: لأنه كان فى عروجه مقصده الحق وفى هبوطه مقصده الخلق، وقيل: حتى لا يتوهم متوهم أن بين العبد وبين ربه مناسبة فتهلك أمته كما هلكت أمة عيسى- عليه السلام.

لطيفة: رأيت فى تفسير الرازى فى سورة الكهف سبح اللّه نفسه عند الإسراء وحمد نفسه عند إنزال الكتاب، لأن الإسراء أول درجات كماله ﷺ وإنزال الكتاب آخر درجات كماله فالإسراء به ﷺ يقتضى حصول الكمال وإنزال الكتاب يقتضى كونه مكملاً لغيره من الأرواح البشرية، ولا شك أن هذا الثانى أكمل لأن أعلى مقامات العبد أن يكون عالمًا معلمًا لغيره فمقام التسبيح بداية ومقام التحميد نهاية أو لأن الإسراء منافعه خاصة به ﷺ ومنافع الكتاب عامة والمنافع العامة أفضل من المنافع الخاصة، وقوله تعالى: ﴿لَيْلاً﴾ مع أن الإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد وهو منصوب على الظرفية ونكره لأن الإسراء فى بعض الليل، وقيل: أسرى به ليلاً دون النهار لأن الإيمان بالغيب أقوى من الإيمان بالشهادة، وقيل: لأن المالك لا يدعو لحضرته ليلاً إلا من هو خاص عنده، وقيل: لأن النبى ﷺ بدر والبدر لا يكون إلا بالليل، وقيل أسرى به بالليل لأنه انكسر خاطره بقوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ١٢]، فجبره اللّه بعروج محمد ﷺ فيه، وقيل: لأن الليل خلق من الجنة والنهار خلق من النار وذلك لما دخل جبريل الجنة وجد فيها لمعة سوداء فأخرجها بإذن اللّه تعالى فخلق منها الليل ثم دخل النار فوجد فيها لمعة بيضاء فأخرجها بإذن اللّه تعالى فخلق منها النهار، وقيل: لأن النهار افتخر على الليل بثلاث صلوات وبساعة الإجابة يوم الجمعة وتقدم بيانها فى بابها وصيام رمضان فقال النهار أيها الليل لك الغفلة والنوم ولى اليقظة ولك السكون ولى الحركة وكم فى الحركة من بركة وفىَّ تطلع الشمس الباهرة فلى عليك المفاخرة، فقال الليل إن افتخرت بشمسك فشمسى فى قلوب أهل الحضرة أهل التهجد والفكرة فأين أنت من شراب المحبين وقت الخلوة والصفا أين أنت من معراج المصطفى أين أنت من قوله تعال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً﴾ [الإسراء: ٧٩]، أين أنت لما خلقنى ربى قبلك أين أنت من ليلة القدر التى فيها المواهب، أين أنت من قوله تعالى كل ليلة: هل من سائل هل من تائب أين أنت من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝﴾ [المزمل: ١،٢]، أين أنت من قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء: ١]، فإن قيل لم سماه اللّه تعالى سراجًا فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦)﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، وما سماه شمسًا ولا قمرًا، قيل: الشمس سماها أيضًا سراجًا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)﴾ [النبأ: ١٣]، فسماه باسم عام لأن كل شيء يستضاء به يسمى سراجًا، وقيل: لأن الشمس بعيدة وهو ﷺ قريب من كل قاصد، وقيل لأن الناظر إذا أحدق نظره للشمس ضعف بصره بخلاف السراج فكان النبي ﷺ إذا أحدق به أحد زاد بصره، وقيل لأن السراج من آلات الفقراء والضعفاء وهو ﷺ لا يتكبر ولا يتجبر ذكر هذه الأجوبة ابن الجوزي.

وقال مؤلفه- رحمه اللَّه- : وأقول إن الشمس عبدت من دون اللَّه بخلاف السراج فإنه لم يقل إن أحدًا سجد له بخصوصه ولم يقل له أحد هذا ربي، بخلاف الشمس فكما طيب اللَّه ذاته الشريفة كذلك طيب أسماءه الحسنى وفي كتاب البركة كان يقول إذا أدخل عليه المصباح: اللهم أتمم لنا نورنا إلى يوم القيامة، وقال ابن العماد السراج خمسة سراج في القلب وهو المعرفة وسراج في الدنيا وهو النار وسراج في السماء وهو الشمس وسراج في الجنة وهو عمر- رضي اللَّه عنه- كما سيأتي في مناقبه وسراج في الدين وهو محمد ﷺ إنما قال سراجًا منيرًا ولم يقل سراجًا مضيئًا لأن الضياء تذهبه الظلمة والنور يذهبها، وإن قلنا بالجواب الأول وهو: أن الشمس سراج ومحمد سراج فيكون وجه التشبيه أنه بوجود الشمس يحرم الطعام على الصائم وبغروبها يحل له ذلك، وبوجود حب النبي ﷺ تحرم النار على المؤمن وبفقد حبه تحل له النار، وقيل: إنما كان المعراج بالليل لأنه أفضل من النهار لقدمه في الخلق عليه قال ابن عباس وغيره لقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]، وقال مجاهد وعكرمة خلق النهار أولاً لأنه ضياء النور مقدم على الظلمة وتقدم في باب الجمعة عن قتادة وخلافه، وقيل: إنما كان المعراج ليلاً ليرد على التنزيه قولهم النهار خلق للخير والليل خلق للشر، فجعل اللَّه كرامة الأحباب ليلاً ليعلم أن الخير والشر بقدرة اللَّه تعالى وقوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]، قال أنس هو الكعبة.

وقيل: من بيت فاختة المشهورة بأم هانئ بنت أبي طالب وقوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ يعني بيت المقدس وسمي أقصى لعبده عن مكة وسمي مقدسًا لأنه مطهر من الأدناس والأصنام ويتطهر فيه من الذنوب، وفي صحيح البخاري أي مسجد وضع أولاً قال ﷺ: «المسجد الحرام» قال أبو ذر- رضي اللَّه عنه- : ثم أي قال: «المسجد الأقصى» قلت كم بينهما، قال: أربعون سنة، فإن قيل: الكعبة أول بيت وضع للناس والأقصى بناه داود- عليه السلام- وبينهما أكثر من أربعين سنة قيل لعله بني ثم خرب ثم جدد عمارته داود- عليه السلام- وبينه وبين إبراهيم أحد عشر جدًا وسبب بنائه لبيت المقدس أن اللَّه تعالى أوحى إلى داود إني واعدت إبراهيم لما أمرته بذبح ولده فصبر أن أكثر ذريته حتى تكون كعدد نجوم السماء، وقد أقسمت أن أبتليهم ببلية يقل فيها عددهم وهي إما القحط ثلاث سنين أو أسلط عليهم عدوهم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فأخبرهم داود- عليه

السلام- بذلك فقال: أما القحط والعدو فلا طاقة لنا به، وأما الموت فلا بد منه فأمرهم أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتكفنوا فمات منهم فى يوم واحد ألوف كثيرة فلما كان فى اليوم الثانى تضرع داود- عليه السلام- وقال: يا إلهى الخل الحامض لى وبنو إسرائيل يضرسون يعنى الذنب منى والعقاب عليهم وذنبه ﷺ أنه عجب بكثرة قومه حتى كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفًا فرفع اللَّه عنهم الطاعون فقال لهم داود: قد رحمكم ربكم فابنوا له مسجداً فكان ينقل الحجارة والجواهر فكره ما يسمعه من صوت النحت فقال انحتوا ولا صوت لها إن استطعتم فقالوا: إن عفريتًا له حيلة فى نحتها بلا صوت فطلبه فلما جاء، قال: يا نبى اللَّه إنى ضحكت فى طريقى من أشياء، رأيت رجلاً على نهر يسقى بغلته ثم ملأ الجرة وأوثق البغلة ورأيت رجلاً عند أسكاف يستعمل خفًا وشارطه أن يبقى أربعين سنة فضحكت من غفلته عن نزول ملك الموت، ورأيت امرأة كاملة تخبر الناس بخبر السماء وتحت فراشها ذهب قد دفنه رجل من مدة فضحكت من جهلها تخبر الناس بخبر السماء ولا تعلم ما تحتها، ورأيت رجلاً أصابته علة فأكل البصل فشفاه اللَّه تعالى فصار طبيبًا يصف لكل عليل أكل البصل وهو من المضرات حتى أن ضرره يصل الدماغ، ورأيت الثوم يباع كيلاً وهو من أنفع الأدوية ورأيت الفلفل يباع وزنًا وهو من السموم القاتلة وقد تقدمت منافعه فى فضل عاشوراء، ورأيت قومًا يذكرون اللَّه تعالى فذهب بعضهم وجاء آخرون فنزلت الرحمة عليهم وأخطأت الذين قبلهم فقال له سليمان: هل لك علم بنحت هذه الحجارة من غير صوت، فقال أعلم حجراً يسهل نحته من غير صوت ولكن لا أعلم معدنه غير أن العقاب يعلم معدنه فاجعل فراخه فى صندوق من حجارة ففعل فغاب العقاب وجاء بحجر له قطيعة ماضية وضعه على الصندوق فثقبه، فأرسل سليمان طائفة من الطير إلى معدن ذلك الحجر فصاروا ينحتون الجواهر والحجارة من غير صوت لها، قال الكلبى- رحمه اللَّه تعالى- : لما فرغ سليمان- عليه السلام- من بناء بيت المقدس أنبت اللَّه له شجرتين إحداهما تنبت الذهب والأخرى تنبت الفضة فكان يأخذ من كل واحدة مائتى رطل كل يوم ففرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة.

فائدة: قال مكحول: من دخل المسجد الأقصى للصلاة فصلى فيه الخمسة المفروضة خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن زار بيت المقدس شوقًا إليه زاره جميع الأنبياء فى الجنة قال كعب الأحبار من مات ببيت المقدس جاز على الصراط كالبرق الخاطف وقال أيضًا: إن للَّه بابًا مفتوحًا من سماء الدنيا إلى بيت المقدس ينزل منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن يأتى بيت المقدس وصلى فيه، وعن النبى ﷺ: «من زار بيت المقدس محتسبًا أعطاه اللَّه ثواب ألف شهيد» وقال مقاتل من قال لأخيه أذهب بنا إلى بيت المقدس غفر اللَّه لهما، وقال كعب الأحبار: اليوم فى بيت المقدس كألف يوم والشهر فيه كألف شهر والسنة فيه كألف سنة والحسنة فيه كألف حسنة والسيئة فيه كألف سيئة من مات فيه فكأنما مات فى السماء ومن مات حوله فكأنما مات فيه، قال عطاء الخراسانى كان ارتفاع قبة الصخرة أربعين ميلاً وتقدم أن الميل أربعة آلاف خطوة وفوق القبة غزال من ذهب فى عينه

جوهرة تغزل نساء البلقاء على ضوئها بالليل. قوله تعالى: ﴿الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، أى بالأنهار والأشجار، وقيل: سماه مباركًا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة وقبلة الأنبياء قبل محمد ﷺ إليه يحشر الخلق يوم القيامة وسمى بيت المقدس مقدسًا: لأنه يطهر فيه من الذنوب لأن الماء العذب ينبع أصله من تحت صخرة بيت المقدس، قال وهب: أوحى اللَّه إلى صخرة المقدس عليك أضع عرشى وإليك أحشر خلقى وفيك جنتى ونارى ولأفجرن أنهارك لبنًا وعسلاً وخمراً طوبى لمن زارك، وقال غيره: أن اللَّه يحول صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء كعرش السماء والأرض ثم يضع عليها عرشه وميزانه، وعن عبادة بن الصامت- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ: «صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وعلى ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران ينظمان حلى أهل الجنة إلى يوم القيامة» ذكره الثعلبى فى العرائس، وقال الحسن البصرى من تصدق فى بيت المقدس بدرهم كان فداءه من النار ومن تصدق فيه برغيف كان كمن تصدق بجبال الأرض ذهبًا.

فائدة: عن جابر- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «قال لى جبريل- عليه السلام- إن اللَّه تعالى يخاطبنى يوم القيامة فيقول يا جبريل ما لى أرى فلانًا فى صفوف أهل النار فأقول يا رب إنا لم نجد له حسنة فيقول اللَّه تعالى إنى سمعته فى دار الدنيا يقول يا حنان يا منان فيسأله فيقول هل من حنان منان غير اللَّه فيأخذ بيده من صفوف أهل النار فيدخله صفوف أهل الجنة» قال على كرم اللَّه وجهه: الحنان هو الذى يقبل على من أعرض عنه، والمنان هو الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال، وقال النبى ﷺ: «ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل، وقال يا محمد قل توكلت على الحى الذى لا يموت الحمد اللَّه الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً، فإنه لم يقلها عبد قط إلا أذهب اللَّه عنه هم الدنيا والآخرة» وكان ﷺ يقول: «إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع اللَّه منها هيبة الإسلام» وقيل إنما أسرى به ﷺ إلى السماء لأن الأرض افتخرت عليها فقالت فىَّ الأنبياء والأولياء فقالت السماء فىَّ الجنة والحور والولدان فقالت الأرض على محمد وهو أفضل الورى فأراد اللَّه تعالى أن يسرى به حتى لا ينفى تفاخر بين السماء والأرض، كما روى أن الجنة تفاخر حللها على جسد المؤمن فيقول الأعلى أنا أنظر إلى وجهه ويقول الأسفل أنا أرى جسده فتنقلب الحلل بإذن اللَّه تعالى فيصير الأسفل أعلى والأعى أسفل حتى لا يبقى بينهم تفاخر. قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١] أى من عجائب قدرتنا قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : رأى النبى ﷺ ليلة المعراج وفى ملكوت اللَّه تعالى رجالاً على خيل بلق شاكين السلاح طول الرجل ألف عام وطول الفرس ألف عام يتبع بعضهم بعضًا لا يرى أولهم من آخرهم ولا آخرهم من أولهم، فقال: يا جبريل من هؤلاء قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] فأنا أهبط وأصعد أراهم هكذا يمرون لا أدرى من أين يجيئون ولا إلى أين يذهبون، قال عبد اللَّه بن

سلام: يا رسول اللّه هل وراء جبل قاف شيء قال: سبعون أرضًا من كافور ووراءها سبعون أرضًا من عنبر ووراءها ألف عالم فى كل عالم ملائكة لا يعلم عددهم إلا اللّه تعالى، لا يعرف آدم- عليه السلام- ولا إبليس عبادتهم لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه.

فائدة: جاء فى الحديث أن النبى ﷺ رأى ليلة المعراج لوحًا تحت العرش من درة ولوحًا من ياقوت، فى أحدهما فاتحة الكتاب والآخر فيه جميع القرآن فقلت ما ثواب من قرأ فاتحة الكتاب قال: تغلق دونه أبواب جهنم السبعة قلت ما جزاء من قرأ القرآن كله قال له بكل حرف شجرة فى الجنة ثم رأيت ثلاثة أنوار فقلت ما هذا قال آية الكرسى ويس و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ فقلت ما ثواب من قرأ آية الكرسى قال هى صفتى من قرأها ينظرنى يوم القيامة من غير حجاب، فقلت: ما ثواب من قرأ يس قال: ثمانون آية من قرأها كل يوم فله ثمانون رحمة عشرون فى حياته وعشرون عند وفاته وعشرون فى قبره وعشرون يوم القيامة، قلت: ما ثواب من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ قال: يشرب من الأنهار الأربعة المذكورة فى القرآن نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من عسل ونهر من خمر.

حكاية: قال وهب: أوحى اللّه تعالى إلى إبراهيم- عليه السلام- سر فى بلادى حتى ترى عجائبى، فسار إلى شاطئ بحر فوجد رجلاً يمشى على وجهه الماء فتعجب منه وسأل ربه أن يمشى معه إلى جزيرة من درة بيضاء فيها محراب من زبرجد أخضر، فقام الرجل فى المحراب وصلى فسقط من السماء كبش ونار فذبحه وأكل هو وإبراهيم لحمه ثم قال: قم بإذن اللّه فقام الكبش كما كان فتعجب إبراهيم وصار معه إلى صخرة فضربها فخر الماء، ثم توضأ وقال لإبراهيم أيها الرجل قم حتى تعبد الذى أرانا قدرته فإنى عبد صائم آكل فى كل سنة مرة واحدة فأعبد ربك منفردًا فإنه من استأنس بالخالق استوحش من المخلوقين، فقال إبراهيم كم لك تعبد ربك، قال: أربعمائة عام وقد بلغنى أن للّه خليلاً اسمه إبراهيم فها أنا أدعو اللّه أن يجمع بينى وبينه حتى أموت بين يديه، فقال له: أنا إبراهيم فمات فى الحال، وعبد إبراهيم ربه بالمكان زمنًا طويلاً حتى ظن أنه عبد اللّه حق عبادته فأوحى اللّه تعالى إليه لأرينك من هو أعبد منك فسار غير بعيد، فإذا هو بصوت يقول أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن إبراهيم خليل اللّه، فدنا منه وسلم عليه فقال وعليك السلام يا خليل الرحمن فقال من أين عرفتنى قال أوحى إلى ربى أن لا يمر بك فى هذا المكان إلا إبراهيم، فقال كم تعبد ربك فى هذا المكان قال خمسمائة عام، قال: فأنت العابد الذى بَشرنى به ربى، قال: لا ولكن تقدم أمامك فتقدم، فإذا هو بضفدع تسبح اللّه تعالى فسلم عليها، فقالت: وعليك السلام يا إبراهيم، فقال من أين علمت أنى إبراهيم قالت: أوحى إلى ربى إنه لا يمر بك فى هذا المكان إلا إبراهيم قال: كم لك فى هذا المكان قالت منذ ألفى عام، قال: فأنت العابد الذى بشرنى ربى به قالت: لا ولكن تقدم أمامك فتقدمت فإذا بشخص عظيم الخلقة فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم،

فقال : من أين عرفت أنى إبراهيم فقال أوحى إلى ربى لا يمر بك فى هذا المكان إلا إبراهيم فقال من الجن أنت أم من الإنس فقال ملك من الملائكة الموكلين بالحجب سبقتنى الملائكة بتسبيحة واحدة فغضب على ربى وسلبنى ريشى وأهبطنى إلى الأرض فأنا أعبده فى هذا المكان ألف عام ولكن ادع اللّه أن يعيدنى مع الملائكة فدعا له فرفعه اللّه تعالى وقال : يا إبراهيم قد استجاب اللّه دعاءك وأمرنى أن أجعل ثواب تسبيحى لك إلى يوم القيامة وأوحى اللّه تعالى إلى إبراهيم أن ارجع من حيث جئت .

لطيفة: رأيت فى كتاب العقائق لما طلع إبراهيم على الملكوت قصده أربع من ذوى الحاجات الحية والهواء والماء والشمس ، فقالت : أنا أسير ليلاً ونهاراً وقال الهواء : أنا فى الجو لا أهدأ وقال الماء : أنا لا أستقر فى مكان فاسأل لنا ربك بالسكون وطلبت الحية جناحًا تطير به فوعدهم بالسؤال لربه فى ذلك فجاءه الخفاش وقال لا تعترض على اللّه فإن من مصلحة العالم فى حركاتهم ، فلو سكنت الشمس لم يعرف الليل من النهار ولولا هبوب الريح لم تنبت الأرض ولولا جريان الماء من مكان إلى مكان لهلك المكان الذى لا ماء فيه ، ولو استقرت الحية بمكان لخرب ولو كان لها جناح لأذت العالم فعملوا بكلام الخفاش فقالت الشمس أنا أحرقه بحرى ، وقالت الريح لأطيرنه فى الأفق وقال الماء إذا وردنى غرقته ، وقالت الحية : لأقتلنه بسمى فاستغلب الخفاش إلى ربه فقال اللّه تعالى : أما الشمس فقد أعطيتك الطيران بعد غروبها وأما الريح فيؤذيك لو كان لك ريش وأنا جعلت لك جناحين من لحم كلما هب عليك الريح زادك قوة ، أما الماء فلا تحتاج إليه فإنى أجعل لك ثديين أحدهما للغذاء والآخر لشرب الماء ، وأما الحية فإنى أجعل بولك سمّا يقتلها فتهرب من أرض أنت فيها .

رأيت فى نزهة النفوس والأفكار إذا علق الخفاش على شجرة فى قرية لم يقربها الجراد .

ورأيت فى النصيحة للإمام الغزالى : من كتب إنا أنزلناه فى ليلة القدر وسقاها زرعه لم يصبه نار ولا آفة ، ومن كتبها وسقاها محمومًا أبرأه اللّه تعالى ومن قرأها على رأس زوجته أو ولده نال خيرًا ، وذكر أيضًا أن الجراد وقع على زرع رابعة العدوية فقالت إلهى قد تكفلت بزرعى ، فإن شئت فاطعم زرعى لأعدائك وإن شئت فاطعمه لأوليائك فطار الجراد بإذن اللّه تعالى .

رأيت فى زاد المسافر - وهو كتاب نافع فى الطب - : أن الاكتحال بدم الخفاش الحار يذهب البياض من العينين وتقدم فى باب الكرم فى هذا زيادة .

[illegible] إن الوطواط إذا طبخ دماغه بدهن الورد ودهن به عرق النساء سكن وجعه بإذن اللّه تعالى .

* *

فصل: فى المعراج

قال النووى- رضى اللَّه عنه- فى الروضة: كان المعراج بمكة ليلة السابع والعشرين من رجب بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر وجزم فى فتاويه بأنه فى ربيع الآخر وفى شرح مسلم إنه فى ربيع الأول والصواب الأول، قال نجم الدين النسفى: كانت ليلة الاثنين، وقيل ليلة السبت.

فائدة: تقدم فى فضل رجب أن من قال هذا الدعاء ليلة السابع والعشرين من رجب قبل اللَّه دعاءه ورفع قدره وأحيا قلبه يوم تموت القلوب وهو اللهم إنى أسألك بمشاهدة أسرار المحبين وبالخلوة التى خصصت بها سيد المرسلين حين أسريت به ليلة السابع والعشرين، وأن ترحم قلبى الحزين وتجيب دعوتى يا أكرم الأكرمين ويصلى قبل ذلك ركعتين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب مرة و﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ۝١ ﴾ إحدى عشرة مرة، ويصلى على النبى ﷺ بعد ذلك عشر مرات وذكر الحناطى من قرأ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ۝١ ﴾ كل يوم من رجب مرة واحدة فكأنما أوقر عشر آلاف من النجائب قراطيس، واجتمع سكان السماوات والأرض بأيديهم أقلام من ذهب يكتبون ثواب قل هو اللَّه أحد فى تلك القراطيس قال العلائى وغيره: كان النبى ﷺ خمس مراكب.

شعر فى مدح سيد الكونين:

محمد أشرف الأعراب والعجم ... محمد خير من يمشى على قدم
محمد تاج رسل اللَّه قاطبة ... محمد صادق الأفعال والكلم
محمد باسط المعروف جامعه ... محمد صاحب الإحسان والكرم
محمد ثابت الميثاق حافظه ... محمد طيب الأخلاق والشيم
محمد جبلت بالنور طينته ... محمد لم يزل نوراً من القدم
محمد خير خلق اللَّه من مضر ... محمد خير رسل اللَّه كلهم
محمد ذكره روح لأنفسنا ... محمد شكره فضل على الأمم
محمد زينة الدنيا وبهجتها ... محمد كاشف الغمات والظلم
محمد سيد طابت مناقبه ... محمد صاغه الرحمن من كرم
محمد شرف البارى مراتبه ... محمد خصه الرحمن بالنعم
محمد صفوة البارى وخيرته ... محمد طاهر من سائر التهم
محمد طابت الدنيا بمبعثه ... محمد جاء بالآيات والحكم
محمد يوم بعث الناس شافعنا ... محمد نوره الهادى من الظلم
محمد قائم للَّه ذو همم ... محمد خاتم للرسل كلهم

المركب الأول البراق من مكة إلى بيت المقدس، وذلك أن اللَّه تعالى خلق جبريل- عليه السلام- ليس بالطويل العالى ولا بالقصير المتدانى عليه ثياب بيض مكفوفة باللؤلؤ والياقوت الأحمر، لونه كالثلج براق الثنايا عليه وشاحان من الدر له ألف وستمائة جناح من الياقوت الأحمر بين كل جناحين خمسمائة عام طويل العنق أحمر القدمين أصفر الساقين ريشه كالزعفران من رأسه إلى قدميه سبعون ألف ريشة من زعفران على كل ريشة قمر وكواكب، وبين عينيه شمس خلقه اللَّه بعد أن خلق ميكائيل بخمسمائة عام ويغتسل كل يوم فى نهر من الجنة فينتفض فتقطر منه سبعون ألف قطرة فيخلق اللَّه من كل قطرة ملكًا فيطوفون بالبيت المعمور ثم لا يعودون إلى يوم القيامة، وقال ابن عباس: يغتسل كل يوم وقت السحر فى نهر من نور عين العرش فيزداد نورًا على نوره وجمالاً على جماله وعظمته، ثم ينتفض فيخرج اللَّه من كل ريشة سبعين ألف قطرة ومن كل قطرة سبعين ألف ملك يدخل منهم إلى البيت المعمور سبعون ألفًا كل يوم، وإلى الكعبة سبعون ألفًا ثم لا يعودون إلى يوم القيامة حكاه القرطبى فى سورة النحل فى قوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [النحل: ٨]، وقال وهب: إنه واقف بين يدى اللَّه تعالى ترعد فرائضه أى رجلاه وركبتاه فيخلق اللَّه من كل رعدة مائة ألف ملك لا يتكلمون إلا بإذن اللَّه، فإذا أذن لهم قالوا لا إله إلا اللَّه ويستغفرون لقائلها فلما أراد اللَّه إكرام محمد ﷺ بكرامة لم يبلغها الأولون والآخرون أوحى اللَّه تعالى إلى جبريل قف على قدم العبودية واعترف بعز الربوبية وامرح فى ميدان شكرى واعلم عظم قدرى، فقد مننت عليك فاستمع لما يوحى إليك فقال يا رب أنت اللطيف وأنا العبد الضعيف، فقال: خذ علم الهداية وبراق العناية وخلعة القبول وطيلسان الرسالة ومنطقة الجلالة وأنزل مع سبعين ألف ملك إلى محمد ﷺ فقم ببابه ولذبحنا به فأنت الليلة صاحب ركابه، ويا ميكائيل خذ علم السؤال وأنزل مع سبعين ألف ملك إلى باب حجرة الرسول ﷺ ويا إسرافيل ويا عزرائيل أفعلاكما فعل جبريل وميكائيل ويا جبريل زد من نور الشمس على نور القمر، أى ضوء القمر ومن القمر على نور الكواكب فقال: يا رب أقرب قيام الساعة قال: لا ولكن لنا الليلة مع تميم أبى طالب سر نريد أن نظهره إليه ونطلعه عليه، قال: يا رب ما هذا السر فقال: يا جبريل أسرار الملوك لا يقف عليها مملوك فنزل جبريل وتقدم وشد وسطه بمنطقة الخدمة وسلم، وقال: قم يا سيد وتأهب وظهر البراق فاركب فإن المملكة قد تزينت لأجلك والموجودات قد شهدت بفضلك فلما ركب واستوى وطار فى الهواء وسارت الملائكة بين يديه وأكثرت من الصلاة عليه ونادوا يا سيد التفت إلينا وأقبل بوجهك علينا، فقال من بلغ هذا المقام الأعلى لم يلتفت إلى غير المولى، فلما صحت عزائم إرادته ولم يلتفت إلى شىء من مخلوقاته أذعن لسان شكره وأثنى فكان قاب قوسين أو أدنى ثم نودى يا محمد أنت الليلة ضيفنا فماذا تريد، قال: كل ما جدت به على الأنبياء قبلى فخلع مستعملة لا أريدها قيل له فبماذا تقتنع وما الذى فيه تطمع، قال: أنت أعلم بالمقصود فإذا الكرم والجود قال: إن كنت تريد خلعة لم تسم إليها همة طامع ولا طرق ذكرها أذن سامع فادخل فى خزائن كرمنا وتحكم فى ملابس فضلنا ونعمنا فكانت خلعة ما زاغ

البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ونقش طرازها ما كذب الفؤاد ما رأى، ثم قال: يا محمد أتعرفنى قال: سبحانك ما عرفناك حق معرفتك قال: يا محمد أتدرى أين أنت قال: أنت أعلم قال: ما وراءك المخلوق مقام ننقلك من عالم ومن معراج إلى معراج حتى لم يبق فى ملكوت الأرض عجيبة إلا وأطلعتك عليها ولولاك ما خلقت الأملاك ولا أدرت الأفلاك، قال فى العقائق، قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : كنت تلك الليلة نائمًا فاستيقظت فرأيت الدنيا بيضاء مثل النهار فأردت أن أصرخ بالناس قامت القيامة فهتف بى هاتف أمسك يا ابن عباس فقد رقى بالمحبوب إلى الحبيب، والهجر قد هجر والوصل قد حصل والأنوار قد حقت والعوازل قد كفت وجيوش البصر قد صفت، فجاء جبريل بأمر الجليل وبالبراق فأدبر البراق نافرًا وتقاعس متأخر أو قرعه جبريل بصوت التأديب وصاح عليه جهارًا فلما ركب تشبث جبريل بركابه وأخذ ميكائيل بزمام براقه فلم يزل يخترق الملكوت إلى أن وصل إلى سرادقات الجبروت، فاخترق حجب النور وجاوز الستور وصار العرش عن يمينه والكرسى عن شماله واللوح والقلم خلف ظهره ووصل إلى مقام لم يصل إليه أحد سواه وأقرب إلى محل لم يقربه عبد إلا إياه، فقيل له تقدم يا خاتم النبيين فقال: تقدمت يا رب العالمين فقال: وعزتى وجلالى لأنشرن ذكرك ولأشرحن صدرك ولأرفعن قدرك ولأشفعنك فى العصاة والمذنبين، ولأصلين على من صلى عليك من المؤمنين، قال البغوى: «**ألم نشرح لك صدرك**»، أى ألم نفتح ونوسع ونلين قلبك للإيمان والنبوة والحكمة والعلم ﷺ ووضعنا عنك وزرك أى وزر أمتك لاشتغال قلبه بذنوب أمته جزاه اللَّه أفضل ما جازى نبيًا عن أمته ﷺ.

هذا هو المختار والبدر الذى	كل البدور خضعن تحت هلاله
أنَّى له فى العالمين مماثل	كلا ولا فى الكون من أشكاله
أسرى به فى ليلة سعدية	وطئ السماوات العلى بنعاله
فالملك والملكوت طوع يمينه	والكون والأكوان تحت شماله
حتى دنا من قاب قوسين العلا	وسعى له المعشوق فى إقباله
ورأى وشاهد ذا الجلال بعينه	ما زاغ منه الطرف عند مآله
كلا ولا كذب الفؤاد وكيف لا	وهو الحبيب دعى لأجل وصاله
هذا الذى قد خط فى العرش اسمه	بصفاته ونعوته وجلاله
هذا الذى رام الكليم مقامه	فاندك منه الطور عند مقاله
هذا الذى جاء المسيح مبشرًا	بقدومه متمسكًا بحباله
هذا الذى سفر اللثام فأطرقت	مقل القلوب مهابة لجماله

هذا الذى فـى الحشر يعقد فـوقه ذاك اللوا والرسل تحـت ظلاله

يا حضـرة القـدس التى هـاموا بها والعارفون تمسـكوا بحباله

صلى عليك اللّه ما ظـهر الدجـا وضحى وهـل مهلل بهـلاله

وقال النسفى فى كتابه زهر الرياض: لما أمر اللّه تعالى جبريل- عليه السلام- أن يأخذ البراق ذهب إلى الجنة فوجد فيها أربعين ألف براق على جباههم لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، ورأى فيهم براقًا باكيًا اعتزل وحده ترك الأكل والشرب فسأله عن ذلك، فقال: سمعت باسم محمد أربعين ألف سنة فمنعنى الشوق إليه الأكل والشرب فأخذه جبريل وهو فوق الحمار ودون البغل ووجهه كوجه الآدمى ضخم العينين لسواد رقيق الأذنين لونه كالطاووس وجبينه كالزهرة وبدنه من الياقوت الأحمر وأظلافه كأظلاف البقرة من زمرد أخضر مرصع بالياقوت والمرجان ورأسه من المسك الأزفر، وهو الذى لا خلط فيه وعنقه من العنبر الأشهب وناصيته من اللؤلؤ الأبيض مزمزم بسلسلة من ذهب مكللة باللؤلؤ والجواهر عليه راحلة الديباج خطوه مد البصر فأسرجه جبريل بسرج من ياقوت أحمر وألجمه بلجام من زبرجد، قال فى روض الأفكار: لما نزل جبريل قرع حلقة الباب وقال: قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم قم يا يتيم أبى طالب فقد هيئت لك المطالب قم يا محمد الليلة ليلتك والدولة دولتك، أنت شمس المعارف أنت بدر اللطائف أنت فى القيامة ملجأ لكل خائف ما مهدت الدار إلا لأجلك ولا روق كأس الحب إلا لوصلك قم فإن الموائد لك ممدودة والأيام للقائك معدودة فسمعه النبى ﷺ فقال: يا جبريل جئتنى بآية رحمة أم بآية عذاب، فقال: إن اللّه تعالى يقرؤك السلام ويدعوك لحضرته لسر بينك وبينه، فقال: يا جبريل، فالكريم يدعونى إليه فما الذى يصنع، قال: ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: هذا لى فما لعيالى قال: ولسوف يعطيك ربك فترضى قال: مهلاً حتى أتوضأ قال: قد جئتك بماء من السلسبيل فى كوز من الجوهر وطست من ياقوت أحمر وحلة من سندس أخضر وعمامة من نور مكتوب عليها أربعة أسطر.

الأول: محمد رسول اللّه.

الثانى: محمد نبى اللّه.

الثالث: محمد حبيب اللّه.

الرابع: محمد خليل اللّه، قد نزل به رضوان ومعه أربعون ألف ملك وكانوا قبل ذلك يصلون على صاحب العمامة قبل السماوات والأرض فلما كانت تلك الليلة أخذ رضوان العمامة من الجنة، فقالت الملائكة: ربنا أنت أمرتنا بالصلاة على صاحب العمامة فشرفنا الليلة بالنظر إليه وائذن لنا فى المسير بين يديه فلما توضأ النبى ﷺ أمر اللّه جبريل أن يدفع ماء وضوئه إلى ميكائيل فدفعه إليه ثم أمر ميكائيل أن يدفعه إلى عزرائيل ثم إلى إسرافيل ثم إلى رضوان ثم إلى جنة الفردوس، فأمر اللّه

الحور العين أن يمسحن به وجوههن ففعلن فازددن نوراً وحسنًا، ثم قدم جبريل البراق فنفر لأن النبى ﷺ لمس الصفا بيده، وقال: إن من يعبد هذا الشقى والصفا كان صنمًا على صورة رجل والمروة كانت صنمًا على صورة امرأة فقال له جبريل: يا براق أما تستحى من محمد فوالذى نفسى بيده ماركب على ظهرك أفضل منه، فقال البراق: هذا النبى العربى قال: نعم قال: هذا صاحب الحوض المورود قال: نعم قال: هذا قائد الغر المحجلين قال: نعم قال: هذا الشفيع فى القيامة، قال: نعم فعند ذلك خضع له قال: اركب يا سيد المرسلين ولكن لى إليك حاجة أن لا تنسانى من شفاعتك يوم القيامة فلما أراد الركوب بكى فسأله جبريل عن ذلك فقال: تذكرت أمتى هل يركبون يوم القيامة، قال: نعم يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا يعنى ركبانًا فعند ذلك أندفع الكرب عن محمد ﷺ فقال: حيوان ضعيف يحمل أثقال محبته وأسرار أمانته التى عجز عن حملها السماوات والأرض والجبال، يا جبريل المركوب يقطع به المسافات والدليل يستدل به على الجهات والجهات إنما هى محل الحادثات وأنا حبيبى تقدس عن الجهات ولا يوصل إليه بالحركات فمن علم المعانى وعرف ما أعانى عرف أن قربى منه، قاب قوسين كقربى منه وأنا فى بيت أم هانئ، وقال جبريل: إنما جىء بى إليك لأكون خادمًا لدولتك وجئتك بالمركوب على عادة الملوك وآداب أهل السلوك لإظهار كرامتك فلما ركب أخذ جبريل بزمام براقه وميكائيل بركابه وإسرافيل يسوى أطراف ثيابه وعلا به البراق على جبل مكة، ثم قال: يا محمد أنزل فَصَلِّ ففعل ذلك فقال: أتدرى أين صليت قال: لا قال: بطيبة وإليها تهاجر إن شاء اللّٰه ثم سار وفى رواية فسرنا ثم قال: أنزل فصل فصليت، فقال: أتدرى أين صليت قلت لا قال: صليت بطور سيناء حيث كلم اللّٰه موسى، ثم سرنا فقال: أنزل فصل فصليت فقال: أتدرى أين صليت قلت: لا، قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى فبينما أنا أسير إذ سمعت نداء عن يمينى على رسلك يا محمد حتى أسألك فلم أعرج إليه ثم سمعت نداء عن يسارى على رسلك يا محمد حتى أسألك فلم أعرج عليه ثم استقبلتنى امرأة عليها من كل زينة، فقالت: على رسلك يا محمد حتى أسألك فلم أعرج عليها فسألت جبريل عن ذلك فقال الداعى الأول: داعى اليهود ولو أجبته لتهودت أمتك، والثانى: داعى النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك، والمرأة هى الدنيا ولو أجبتها لا ختارت أمتك الدنيا على الآخرة.

موعظة: كان بعض العارفين يعظ الناس ويزهدهم فى الدنيا، فقيل له: إن ثيابك ومركوبك يساوى خمسمائة دينار فقال: اجعل الدنيا على ظهرك لا فى بطنك فلو ملكتها وأنت غير محب لها بقلبك فأنت زاهد ولو لم تملك منها شىء وأنت محب لها بقلبك فأنت راغب فيها مذموم، ومن علامة كون الدنيا فى القلب البخل بها لأن إخراج المحبوب من القلب عسر ومن علامة كونها فى اليد فقط بذلها والجود بها، فإن قيل محمد ﷺ أشرف الخلق، فكيف قال: «حبب إلى من الدنيا ثلاث الطيب والنساء جعلت وقرة عينى فى الصلاة» فالجواب: أن هذه الثلاثة وإن كانت فى الدنيا صورة

فليست منها حقيقة لأن المذموم من الدنيا هو الزائد على قدر الكفاية وأما ما لا بدّ منه من مسكن وخادم وزوجة وقوت فليس من الدنيا المذمومة، وجواب آخر أنه ﷺ كان مشرعًا فحبب اللّه إليه هذه الثلاثة لتكون شريعته متبعة يوم القيامة لأن حب الطيب يزيد فى العقل وبقدر العقل يقوم الدين والنساء سبب العفة وكثرة النسل وبكثرة العباد تكثر العبادة وما ذكر اللّه سبحانه وتعالى نبيًا إلا تزوج حتى يحيى- عليه السلام- تزوج أيضًا ولم يأتها لأنه أخبر عنه أنه حصور، وأما عيسى- عليه السلام-: فإنه يتزوج بعد نزوله، وقال الخواص: الزهد ثلاثة أحرف الزاى ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا، قال النبى ﷺ رأيت شابًا حسن ثياب طيب الرائحة فقبلنى بين عينى ثم غاب عنى فسألت جبريل فقال: هذا الدين أبشر فإن أمتك يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين ويدخلون الجنة آمنين ثم أوتيت بثلاثة أقداح قدح من لبن وقدح من ماء وقدح من خمر فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة ولوشربت الماء غرقت أمتك أوالخمر سفهت أمتك فشربت بعض اللبن، فقال جبريل: لو شربت اللبن كله، لم يدخل أحد من أمتك النار فقلت أشربه كله، فقال: هيهات جرى القلم بما حكم ثم أوتيت بثياب بيض وخضر وصفر وسود فاخترت الأبيض، فقال جبريل: الثياب البيض ثياب أهل الإسلام، والخضر ثياب أهل الجنة وجبت لأمتك الجنة والثياب الصفر ثياب أهل الكتاب نجت أمتك من اليهودية والنصرانية والسود ثياب أهل النار نجت أمتك من النار، وفى المصابيح عن النبى ﷺ ألبسوا الثياب البيض فإنها أطيب وأطهر، وقال العلائى: فى تفسير سورة الإسراء قال النبى ﷺ: لما أتيت بيت المقدس ليلة أسرى بى وقفت على باب المسجد فتلقانى ثلاثة بيد كل أحد إناء فيه لبن وإناء فيه خمر وإناء فيه ماء، وقيل لى أشرب فسمعت قائلاً، يقول: إن شرب محمد الماء غرق وغرقت أمته وإن شرب الخمر غوى وغويت أمته وإن شرب اللبن هدى وهديت أمته، فأخذت اللبن فشربته وقال فى العقائق: أن النبى ﷺ جئ له بشيخ وكهل وشاب فقيل له اختر لك واحدًا فاختار الشاب، فقال جبريل: اخترت العافية والشيخ وهو الدولة والكهل هو البخت وهما يتغيران، وقال سعيد بن المسيب- رضى اللّه عنه-: من قرأ قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]، الآية لم يسأل اللّه شيئًا إلا أعطاه اللّه، وقال النبى ﷺ: أمان كل خائف حسبنا اللّه ونعم الوكيل ذكره الغزالى فى النصيحة، قال العلائى قال النبى ﷺ: ثم مررنا على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم، فقلت يا جبريل: من هؤلاء قال: هؤلاء المجاهدون فى سبيل اللّه تضاعف لهم الحسنات إلى سبعمائة ضعف ثم مررنا على قوم ترضخ رؤوسهم بالحجارة كلما رضخت عادت كما كانت، فقلت يا جبريل: من هؤلاء قال: هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة، ثم مررنا على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون إلى الزقوم كما تسرح البهائم إلى الضريع، فقلت يا جبريل من هؤلاء، قال: هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة قال مجاهد وقتادة الضريع فى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ۝﴾ [الغاشية: ٦]، هو نبات لاصق بالأرض له شوك فإذا كان رطبًا ترعاه الإبل وإذا يبس لا يأكله شىء،

اسمه فى أيام الربيع الشبرق وفى أيام الصيف الضريع، ثم مررنا على قوم بين أيديهم لحم طيب ولحم خبيث يأكلون الخبيث ويتركون الطيب، فقلت يا جبريل: من هؤلاء قال: هؤلاء الزناة وقال أبو سعيد الخدرى- رضى اللّه عنه- : الزنا مع المحصنة أعظم عند اللّه سبعين ذنبًا من الكبائر ومن زنى بمحصنة فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين، ثم مررنا على قوم تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض الحديد كلما قرضت عادت كما كانت، فقلت يا جبريل: من هؤلاء قال: هؤلاء الخطباء الذين يقولون: ويفعلون ثم مررنا بحجر صغير يخرج منه ثور كبير فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع، فقلت: ما هذا يا جبريل قال: هذا رجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عيها فيريد أن يردها فلا يستطيع ثم رأيت نساء معلقات من أشفار عيونهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء التى يمنعن أولادهن ضرعهن ويرضعهن أولاد غيرهن، قال العلائى قال رجل يا رسول اللّه: من أبر قال: بر والديك قال مالى والدان قال: بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقّا كذلك لولدك عليك حق وعن النبى ﷺ وقال: ريح الوالد من ريح الجنة وتقدم فى باب الوالدين، وعن النبى ﷺ رضا اللّه من رضا الوالدين وسخط اللّه من سخط الوالدين وفى المورد العذب عن النبى ﷺ بين البار لوالديه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة وبين العاق لوالديه وبين إبليس فى النار درجة واحدة وعن النبى ﷺ بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد أى أفضل من نفل الصلاة وغيرها، وقال رجل يا رسول اللّه: جئت استشيرك فى الجهاد قال: هل لك من أم قال: نعم قال: فألزمها فإن الجنة تحت رجليها، وفى حديث آخر هل لك والدان قال: نعم قال: ألزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما وجاء رجل يشكو أباه بأخذ ماله إلى النبى ﷺ فقال يا رسول اللّه: إنه كان ضعيفًا وأنا قوى وهو فقير وأنا غنى وكنت لا أمنعه شيئًا من مالى واليوم أنا ضعيف وهو قوى وأنا فقير وهو غنى، ويبخل على بماله فبكى النبى ﷺ ما من حجر ولا مدر يسمع بهذا إلا بكى ثم قال: للولد أنت ومالك لأبيك.

فصل

يحرم على الوالد أن يأكل مال ولده بغير طريق شرعى فإذا أكله بغير طريق شرعى لا يحبس الولد الوالد، وعن الحنابلة لا تسمع الدعوى عليه لحق الأبوة واللّه أعلم، قال فى تهذيب الأسماء واللغات شيوخ العلم: آباء فى الدين وصلة بينه وبين رب العالمين وهو مأمور بالدعاء لهم والثناء عليهم ورأيت فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب عن النبى ﷺ من قال: الحمد للّه رب العالمين رب السماوات ورب الأرضين ورب العالمين وله الكبرياء فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم الحمد للّه الملك رب السماوات والأرض رب العالمين وله العظمة فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم مرة واحدة، ثم قال: اللهم اجعل ثوابها لوالدى لم يبق لوالديه عليه حق إلا زداه، وقال على- رضى اللّه عنه- : دخلت على النبى ﷺ وهو يبكى فسألته عن ذلك فقال:

رأيت ليلة أسرى بى نساء من أمتى فى عذاب شديد ورأيت امرأة معلقة بثدييها والقطران يصب فى حلقها وهى التى ترضع أولاد الناس بغير رضا زوجها، ورأيت امرأة معلقة بثدييها والنار توقد تحتها تأكل لحم جسدها وهى التى تتزين لغير زوجها وفى حديث آخر إذا اكتحلت المرأة فى غير وجه زوجها سود اللّه وجهها وجعل قبرها حفرة من حفر النار، قال العلائى قال النبى ﷺ: ثم مررنا على واد فوجدنا ريحًا طيبة مع صوت حسن فقلت: ما هذا يا جبريل قال: هذه الجنة تقول: يا رب ائتنى بما وعدتنى، فقد كثرت غرفى وحريرى وذهبى وفضتى ولؤلؤى ومرجانى وأكوابى وفواكهى وعسلى ولبنى ومائى وخمرى فائتنى بما وعدتنى فقال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن لا يشرك باللّه شيئًا إنى أنا اللّه لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد، فقالت: رضيت ثم مررنا على واد فسمعنا صوتًا منكرًا فقلت يا جبريل: ما هذا قال: هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتنى بما وعدتنى فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسعيرى واشتد حرى، فقال: لك كل مشرك ومشركة ومن لا يؤمن بيوم الحساب، فقالت: رضيت ثم مررنا على رجل قد حزم حزمة عظيمة من الحطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ويريد حملها فقلت: ما هذا يا جبريل قال: هذا مثل رجل من أمتك عليه أمانات للناس لا يقدر على أدائها وهو يزيد عليها ثم مررنا على خشبة فى الطريق لا يمر عليها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته، فقلت: ما هذا يا جبريل قال: قوم من أمتك يقطعون الطريق فلما وصلنا بيت المقدس ربط جبريل البراق ودخلت المسجد الأقصى فوجدت نصفه قد امتلأ من الملائكة ورأيت النبيين صفوفًا، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء إخوانك الأنبياء زعمت قريش أن للّه شريكًا من اليهود والنصارى وأن للّه ولدًا سل هؤلاء المرسلين هل كان له شريك أو ولد فذلك قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥) ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فأقروا كلهم بالوحدانية للّه تعالى ثم أقام جبريل عليه الصلاة والسلام وقال: تقدم يا أكرم الخلق على اللّه، وسئل الإمام النووى- رضى اللّه عنه- فى الفتاوى عن صلاة النبى ﷺ بالأنبياء ليلة المعراج هل هى الصلاة المعهودة أم الدعاء فلما فرغ النبى ﷺ من الصلاة أثنى كل واحد من الأنبياء على ربه فقال آدم: الحمد للّه الذى خلقنى بيده وأسجد لى ملائكته وجعل الأنبياءمن ذريتى، وقال نوح: الحمد للّه الذى أجاب دعوتى ونجانى من الغرق بالسفينة وفضلنى بالنبوة، وقال إبراهيم: الحمد للّه الذى اتخذنى خليلاً وأعطانى ملكًا عظيمًا واصطفانى بالرسالة وأنقذنى من النار وجعلها على بردًا وسلامًا، وقال موسى: الحمد للّه الذى كلمنى تكليمًا واصطفانى على الناس برسالته وأنزل على التوراة وألقى على محبة منه، وقال داود: الحمد للّه الذى أنزل على الزبور وألان لى الحديد، وقال سليمان: الحمد للّه الذى سخر لى الرياح والجن والإنس وعلمنى منطق الطير وأعطانى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى شعر:

يا نفس نلت المنى فاستبشرى رسلى   هذا الحبيب وهذا سيد الرسـل

هذا الذى مـلأت قلبى مـحبـتـه هذا الذى سـهـرت من أجله مُـقَلى
هذا الذى كنت أهواه وفـــزت به يا فرحتى انفصلى يا فرحتى اتصلى
هذا الذى الخلق من أشواقه هجروا الأهل والـصـحب والأبناء والطلل
هذا الذى للهـدى والدين أرشـدنا لملة شـرعـهـا يسـمـو على الملل
هذا الذى انشق إكـرامًـا له قـمـر لمـا أشـار له فى مـحـفل حـفل
هذا الذى ردّ عـينًا بعـدمـا قلعت وريقـه قـد شـفى الإمـام على
هذا الذى إن مـشى فى الرمل لا أثر يرى له ويرى فى الصـخـر والجبل
هذا الذى حن جـذع عند فـرقـتـه له أنين شـبـيـه الوالد الثكل
هذا الذى جـاء بئـرًا وهى مـالحـة ومج فـيـهـا فـعـاد المـاء كـالعـسل
هذا الذى فـار مـاء من أصـابعـه مثل الزلال حكى الأنهار فى السبل
هذا الذى إن دعـا جـاءت له شـجر تجر أصـلاً لهـا سعـيًـا على عـجل
هذا الذى سـبح الحـصى براحـتـه والضب كله جـهـرًا مع الجـمـل
هذا الذى شـد من جـوع به حـجـرًا أكـرم بمـولى غـدا بالزهـد مشـتـم
هذا الذى راودتـه الـشـم مـن ذهـب فـــردها وإلى الدنيـــا فلـم يمل
هذا الذى فى مقام العـرض شافعنا إذا اسـتـغـثنا به من شـدة الوجل
هذا الذى روضـة مـا بين منبـره وقـبـره من رياض الخلد لم تزل
يا سـيـد الخلق يا من حـاز مـرتبـة عليا وقـد جل عن شبـه وعن مثل
يا درة الأنبـيـا يا روضـة العلمـا يا ملجـأ الغـربا يا سـيـد الرسل
العـبـد عـبـد لرحـمن جليل أتى إليك وهو من الأوزار فى خـجـل
يرجـو بمـدحـتـه غـفـران زلتـه مع الرضـا وحلول الخلد والخلل
صلى عليك إله العـرش خـالقنا فى الليل والصبح والأبكار والأصل
واخصص أبا بكر ثم ألحق به عمرا كـذاك عـثـمـان ذا النورين ثم على
والآل والصحب والأتباع أجمعهم أُولى النهى والفخار السادة النجل
والسـابقـين إلى الإسـلام قـاطبـة والتـابعـين بإحـسـان وكل ولى

المركب الثانى فى المعراج من بيت المقدس إلى السماء: قال الأستاذ شرف الدين عيسى السهروردى رحمه اللَّه تعالى: لما علت بهم الأنبياء المراتب وتفاوت تنازلهم فى المناصب تقدم ذكر آدم باصطفائه وإدريس بعليائه ونوح بقبول دعائه وإبراهيم بخلته ووفائه وموسى بخطابه ونداءه وعيسى بإنعاشه للميت وإحيائه خرج شاويش الدولة المحمدية ناطقًا بكريم أوصافه وحسن رعايته وإسعافه وجليل أسمائه وقدره وقد عقدت صناجق عزه بتاج نصر، فلم يكن لأحد منهم فضيلة إلا وأعطى محمد مثلها ولم نذكر مدحه إلا كان محمد أحق بها وأهلها، ثم قال: يا جبريل إئت إلينا بصاحب المحل الأسنى المنعوت بالحسنى حتى يفضل على أهل الكونين بمقام قاب قوسين أو أدنى، وتلطف فى يقظته من المنام فهو نائم فى المسجد الحرام ادعه لمناجاتى بألطف كلام فإن سألك أين المقام فقل له: إلى مقام لا تصله الأوهام ولا تجاوز إليه الأفهام، فجاء جبريل وجلس عند رأس المصطفى حتى أفاق فدعاه للصعود إلى أعلى مراتب السعود فسار المخصوص بالتوفيق وجبريل له خير رفيق، حتى وصل إلى المسجد الأقصى وقد عاين فى طريقه من العجائب ما لا يحصى جمع اللَّه النبيين الكرام فصلى بهم إمامًا عليه أفضل الصلاة والسلام ثم صعد على المعراج العلا كلما مرّ على ملأ من الملائكة رحب به ذلك الملأ، وصف فى السماء الأولى بأجمل صفاته وخلعت عليه خلعة تصلح لكريم ذاته مرقوم على أكمامها ما يشهد برفع درجاته، ﴿**هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾ الآية [الجمعة: ٢]، وخلع عليه فى السماء الثانية خلعة تشرف بها على المرسلين مرقوم عليها ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وخلعت عليه فى السماء الثالثة خلعة نال بها فخرًا كثيرًا مرقوم عليها ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥)**﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وخلعت عليه فى السماء الرابعة خلعة دار بها فى الملكوت مبتهجًا مرقوم عليها ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١)**﴾ [الكهف: ١]، وخلعت عليه فى السماء الخامسة خلعة دار بها على النبيين تعظيمًا مرقوم عليها ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)**﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وخلعت عليه فى السماء السادسة خلعة التكريم مرقوم عليها ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)**﴾ [التوبة: ١٢٨]، وخلعت عليه فى السماء السابعة خلعة جربها على أهل السماء ذيلاً مرقوم عليها ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً**﴾ [الإسراء: ١]، دلى له رفوف النور الأزهر فتقدم وجبريل عنه تأخر ثم زج فى الأنوار ورفعت له الأستار حتى سمع كلام الجبار فقربه وناجاه وآنسه وناداه السلام عليك أيها النبى ورحمة اللَّه.

وقال ابن الجوزى: -رحمه اللَّه- فى كتاب الماجريات فى الأسئلة والجوابات لما اجتهد من حاز السيادة فى أبلغ العبادة واستعظم من فى الملأ الأعلى عقله وعرف من فى الوجود فضله زاد

الكريم تكريمًا وتفضيلاً، وأنزل عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝﴾ [المزمل: ١،٢]، وعزتك لازلت فى خدمتك حتى تلفت فيها مهجتى وتغفر لأمتى فقيل: ألست قمت لنا فى الظلام على أقدام مجاهدتك ففيه ندعوك إلى دار كرامتك سترًا على حالك وغيرة على جلال جمالك لتكون خلوة بخلوة وجلوة بجلوة، نودى بين حجب الجبروت وفى فضاء الملكوت يا جنة عدن تزينى ويا دار النعيم تكونى ويا حلل الإنعام تلونى ويا حور تبخرى ويا سموات افتخرى، فقالت إلهنا ما الخبر فقال الليلة سيقدم لزيارتنا سيد البشر فلما شق جيب الغيب نشر أعلام نصر من اللَّه وفتح قريب على أبواب الدولة المحمدية والرسالة الأحمدية فلما انحاز زخرف النهار وغشى الظلام نور الأبصار جاء جبريل وتقدم ودنا منه وسلم حياء وكرم وبجله واحترام، وقال: أيها السيد قم على أقدام المسرة فقد دعيت إلى الحضرة فركب فى حشمة رسالته ودارت به مواكب كرامته فلما وصل إلى مقام الإجلال كقاب قوسين لدنو الجمال، قال: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ١٨٦]، قيل لمن هذا الاستغفار قال لأمتى قال: تطلب كل الأمة أو بعضها قال: كلهم فى وصف كرمك قيل انظر عن يمينك فنظر فرأى واديًا مملوءًا دخانًا، فقال: يا إلهى ما هذا الدخان قال: سوء أفعالهم وقبيح أعمالهم قال ﷺ: تريد أن توحش قلبى منهم وتنفر فؤادى عنهم ووعدك الحق فى تحقيق كرامتى، فقيل قد وهبتك ثلثهم فقال: وعزتك لا أرضى لهم قال: فالنصف قال: لا أرضى بدون الكل يا إلهى لما أنزلت على ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝﴾ [المزمل: ١، ٢]، نصفه أو انقص منه قليلاً والنصف إذا أنقص منه قليل صار الثلث فعبدك ما رضى فى خدمتك بالثلث أو النصف بل قمت الليل كله فلا أرضى إلا بالأمة كلها، فقيل له قد مننا عليك بأمتك وغفرنا لهم بخدمتك ولأرفعن قدر من صلى عليك ببركتك، قال: فى عاتق العقائق لما وصل النبى ﷺ إلى بيت المقدس صلى بالأنبياء ركعتين على ملة إبراهيم- عليه السلام- قرأ فى الأول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝﴾ [الكافرون: ١]، وفى الثانية الإخلاص وتقدم عن قتادة فى الموكب الأول إنها الصلاة المعهودة ثم أخذ جبريل بيده إلى ناحية الصحراء ونادى يا إسماعيل دل المعراج فجاء به من الفردوس أحد شقيه من ياقوتة حمراء والأخر من زبرجدة خضراء وهو منضود باللؤلؤ من أحسن شىء خلقه اللَّه تعالى، وما من مؤمن إلا ويراه عند موته ألا ترون له يشخص ببصره إلى السماء أصله على الصخرة ورأسه ملتصق بسماء الدنيا مائة درجة من الذهب والفضة والزبرجد والياقوت والمسك والعنبر فلما صعدت على الدرجة الأولى رأيت ملائكة ألوانهم حمر وثيابهم حمر ثم صعدت الثانية، فرأيت ملائكة صفر وثيابهم صفر ثم صعدت الثالثة فرأيت ملائكة ألوانهم خضر وثيابهم خضر ثم صعدت الرابعة ورسول يأتى بعد رسول يقول: يا جبريل عجل بمحمد فرأيت ملائكة تبرق أجسادهم ووجوههم كما تبرق المرآة ثم صعدت الخامسة، فإذا عليها ملائكة أكثر من الجن والإنس وكلامهم لا إله إلا اللَّه، ثم صعدت السادسة فإذا عليها ملك عظيم على كرسى من ذهب معه ملائكة شاخصون بأبصارهم هيبة للَّه تعالى كلامهم ما

شاء اللّٰه كان ثم صعدت السابعة فرأيت عليها ملائكة كاد نور بصرى يذهب من نورهم فاستقبلونى بالتعظيم، ورأيت على الثامنة ملائكة ساجدين للّٰه تعالى ورأيت على التاسعة ملائكة قصر فهمى عن صفتهم ورأيت على العاشرة ملائكة يسبحون اللّٰه تعالى بأنواع اللغات ورأيت على الحادية عشرة ملائكة لا يحصون لكثرتهم ورأيت على الثانية عشرة ملائكة وجوههم كالأقمار، ورأيت على الثالثة عشرة ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس، ويكاد يذهب بالأسماع، ورأيت على الرابعة عشرة إسماعيل ومعه سبعون ألف ملك، زاد العلائى مع كل ملك منهم ألف ملك وظاهر كلامه أنه الذى جاد بالمعراج ورأيت على الخامسة عشرة رقيائيل ومعه ألف ألف ملك حتى بلغت الرابعة والعشرين، فإذا عليها ملك اسمه قلائيل يده اليمنى تحت السماء والأخرى فوقها بين كل أصبعين سبعة آلاف ملك إذا سبحوا اللّٰه تعالى تناثر اللؤلؤ من أفواههم طول اللؤلؤة الواحدة ثمانين ميلاً لها موكلون بها يلتقطونها إلى شاطئ النهر الشرقى، ورأيت ملائكة تسبيحهم سبحان ربى الأعلى، ورأيت سريرًا من ذهب قوائمه من الياقوت له أجنحة من الزبرجد على سعة الدنيا على خمس قوائم مع كل قائمة خمسون ألف ملك كل قائمة تقول شرفنى بقدومك يا محمد، فجمع اللّٰه الكل تحت قدمى ثم طار فى الهواء، ورأيت ملكًا دموعه لؤلؤ وهو ينادى يا غفار الذنوب اغفر لأمة محمد ﷺ قال النبى ﷺ: ثم لم أزل أصعد درجة بعد درجة وجبريل تحت البراق ورسول يأتى من بعد رسول يقول: يا جبريل عجل بمحمد ﷺ حتى كنت فى أعلى درجة فسمعت الملائكة يهللون ويسبحون ويقدسون اللّٰه تعالى فقرع جبريل بابًا من أبواب السماء وهو الباب الخاص بمحمد ﷺ وهكذا فى كل سماء فلذلك استأذن فأقبل إسماعيل على فرس من نور عليه رداء من نور بيده حربة من نور عمل العباد بالنهار بيده اليمنى وعملهم بالليل بيده اليسرى، ومعه ألف موكب من الملائكة فقال: من هذا قال جبريل قال: من معك قال محمد ﷺ قال: قد بعث إليه وفى رواية أرسل إليه قال العلائى: ليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة وإرساله فإن ذلك لا يخفى فى هذه المدة وإنما المراد أرسله إليه إلى السماء تفتح له فصعد إلى سماء الدنيا وهى من موج مكفوف حبسه اللّٰه تعالى فى الهواء، ثم قال: كونى زمردة خضراء فكانت وتسبيح أهلها سبحان ذى الملك والملكوت من قالها: كان له مثل ثوابهم قال النيسابورى: فهم سجود إلى يوم القيامة قال العلائى: رحمه اللّٰه تعالى وجد سماء الدنيا ملكًا على كرسى، فسلم عليه ﷺ فأجابه ولم يقم له فأوحى اللّٰه إليه أيها الملك يسلم عليك حبيبى محمد ﷺ فترد عليه وأنت جالس، وعزتى وجلالى لتقومن إليه على قدم واحدة لتسلمن عليه ثم لا تجلس إلى يوم القيامة، قال العلائى- رضى اللّٰه عنه- عن النبى ﷺ: وإذا برجل كهيئته يوم خلقه اللّٰه تعالى وهو تعرض عليه أرواح ذريته فإذا كانت روح مؤمن قال: روح طيبة اجعلوا كتابه فى عليين قال ابن عباس- رضى اللّٰه عنهما- : أى فى الجنة، وقيل عليين أى فى السماء السابعة وإذا كانت روح كافر قال: روح خبيثة اجعلوا كتابه فى سجين قال مجاهد: سجين صخرة تحت الأرض السابعة، وفى الحديث: «أن أرواح الكفار فى بئر برهوت بأرض اليمن وأرواح المؤمنين ببئر ذروان بطيبة

ومياه بابل بأرض العراق وبئر زمزم بمكة»، قال أبو الفتوح: العجلى الوسيط الأولى أن لا يتطهر بماء زمزم وقال الماوردى: لا يجوز استعماله فى نجاسة قال فى الروضة: هو كغيره أى فيجوز استعماله مطلقًا قال النبى ﷺ: يا جبريل من هذا قال: هذا أبوك آدم فسلمت عليه فرد على السلام وقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح وإذا عن يمينه باب إذا نظر إليه ضحك وعن يساره باب إذا نظر إليه، بكى، فقلت: يا جبريل ما هذان البابان قال: الذى عن يمينه باب الجنة وإذا نظر إليه ضحك سرورًا بمن يدخله من ذريته، قال العلائى- رضى اللَّه عنه- : فإن قيل: أرواح المؤمنين فى السماء وأرواح الكفار تحت الأرض فكيف تكون فى السماء قلنا يحتمل أن تكون أرواح الكفار تعرض عل آدم- عليه السلام- فى السماء فوافق عرضها على آدم- عليه السلام- مرور النبى ﷺ.

المركب الثالث: أجنحة الملائكة من السماء الدنيا إلى السماء السابعة. شعر:

غرامى بمن لم يخلق اللَّه مثله ... وليس حبيب منه أتقى ولا أنقى
هو السؤل طه الهاشمى محمد ... وأحمد من محمود أسمائه اشتقا
له صفة ما حدها قط واصف ... ويكفيك أن البدر من أجله انشقا
ويكفيك أن اللَّه كمل حسنه ... كذلك منه كمل الخلق والخلق
ويكفيك أن اللَّه كمل نوره ... وسماه طه قبل أن يخلق الخلقا
ويكفيك أن الشمس ردت لأجله ... ومن نوره الفياض قد نور الأفقا
ويكفيك أن الجذع حن بأمره ... من النخلة العليا ورد لها العذقا
ويكفيك أن السحب ماجت ... وأمطرت بدعوته لما أشار إذا استسقى
ويكفيك أن الصخر لان لنعله ... وليس على ترب ترى أثره يبقى
ويكفيك أن العين سالت فردها ... فكان الشفا للداء من فمه الريقا
ويكفيك أن اللَّه رقاه للعلا ... فأكرم به مولى له اللَّه قد رقى
ويكفيك لولاه لما كانت السما ... ولا الأرض بل لولاه ما كانتا رتقا
ويكفيك من صلى عليه مرة ... عليه يصلى عشرة ثم لا يشقى

قال النبى ﷺ: ثم حثثنا المسير خمسمائة عام فى الهواء وإذا ليس فى الهواء موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك يسبح اللَّه تعالى حتى انتهينا إلى السماء الثانية، وهى من حديد فقرع جبريل بابًا من أبوابها فأقبل مرجائيل، وقيل: رقيائيل فى ألف موكب من الملائكة ولهم ضجة أشد من ضجة أهل سماء الدنيا، فقال: من هذا قال: جبريل قال: من معك قال: محمد نبى الرحمة ففتح الباب فرأيت ملائكة وجوههم كوجوه البقر على خيل مسومة متقلدين بالسيوف وبأيديهم الحراب، فقلت: يا

جبريل من هؤلاء قال: هؤلاء هم ملائكة خلقهم اللّه لنصرتك على خيل بلق بعمائم صفر، قال النبى ﷺ: ثم نظرت إلى شابين حسنين جالسين على سريرين من ياقوتة حمراء فقلت: يا جبريل من هؤلاء قال: ابنا الخالة يحيى وعيسى- عليهما السلام- فدنوت منهما وسلمت عليهما وعيسى- عليه السلام- أحمر اللون، قال النبى ﷺ: «ثم أتت الملائكة أفواجًا يسلمون علىّ فصليت بهم ركعتين ثم سار بى جبريل فى الهواء خمسمائة عام حتى دنا من السماء الثالثة، فسمعنا أصواتًا أشد من الصواعق بالستبيح والتهليل فقرع جبرل الباب وهو من نحاس، وقيل من فضة ففتح لنا ورأيت ملكًا معه سبعون ألف ملك قد خرقت أقدامه الأرض السابعة وتسبيحهم سبحان الحى الذى لا يموت من قالها كان له مثل ثوابهم، ورأيت فيها شابًا كالقمر فقلت: من هذا قال: يوسف فدنوت منه وسلمت عليه فرد علىّ أحسن تحية» قال عكرمة: فضل يوسف فى الحسن على الناس كفضل القمر ليلة البدر على النجوم، قال ابن إسحاق: ذهب يوسف وأمه بثلث الحسن قيل إنه ورث ذلك من جدته سارة ثم صليت بالأنبياء عليهم السلام ركعتين ثم سرنا فى الهواء خمسمائة عام حتى انتهينا إلى السماء الرابعة وهى من ذهب وتسبيح أهلها سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح من قالها كان له مثل ثوابهم ورأيت فيها ملكًا البحار العذبة فى نقرة إبهامه اليمنى والبحار المالحة فى نقرة إبهامه اليسرى ورأيت فيها ملكًا صورة الطائر فقلت: يا جبريل من هذا قال: هذا ملك قائم على شفير هذا النهر، فإذا قال: العبد لا إله إلا اللّه نشر جناحه فإذا قال: الحمد للّه دخل النهر فإذا قال: سبحان اللّه انغمس فى النهر فإذا قالك اللّه أكبر خرج من النهر، فإذا قال: لا حول ولا قوة إلا باللّه انتفض فسقط من كل ريشة سبعون ألف قطرة فيخلق اللّه من كل قطرة ملكًا يستغفر لقائلها إلى يوم القيامة قال النبى ﷺ: ثم رأيت رجلاً مسندًا ظهره إلى دواوين الخلق التى فيها أمورهم، فقلت: من هذا يا جبريل قال: هذا إدريس فدنوت منه وسلمت عليه فقال: مرحبًا بالأخ الصالح ثم قلت: يا أخى إن اللّه قد رفعك مكانًا عليا ودخلت الجنة قبلى ورأيت نعيمها فقال: يا حبيب اللّه ما دخلت الجنة ولا رأيت نعيمها وإنما دخلت بستانًا خارج الجنة ورأيت على بابها مكتوبًا هذا الباب لا يدخله أحد قبل محمد وأمته، ورأيت فيها مريم بنت عمران لها سبعون قصرًا من لؤلؤ ولأم موسى سبعون قصرًا من الياقوت ولآسية بنت مزاحم سبعون قصرًا من مرجانة حمراء، ولفاطمة بنت النبى ﷺ سبعون قصرًا من زمرد أخضر ثم سرنا حتى علونا السماء الخامسة وهى من ياقوت وتسبيح أهلها سبحان من جمع بين الثلج والنار من قالها كان له مثل ثوابهم ورأيت فيها رجلاً كهلاً فقلت: من هذا يا جبريل قال: هارون فسلم علىّ ورحب بى ودعا لى بخير ثم علونا إلى السماء السادسة وهى من جوهر وتسبيح أهلها سبحان القدوس رب كل شىء وخالق كل شىء من قالها كان له مثل ثوابهم إذ فيها خلق كثير رافعون أصواتهم بالبكاء من خشية اللّه، فقلت: يا جبريل من هؤلاء قال: هؤلاء الكروبيون قال النسفى: خلق ميكائيل بعد إسرافيل بخمسمائة عام من رأسه إلى قدميه وجوه وأجنحة من زعفران فى كل ريشة ألف عين تبكى على المذنبين من أمة محمد فيقطر من كل عين سبعون قطرة فيخلق اللّه من كل قطرة

ملكًا فهم الكربيون فأقبلت عليهم بالسلام فجعلوا يردون علىّ إيماء برؤوسهم لا يتكلمون ولا ينظرون إلى من الخشوع، فقال جبريل: هذا محمد نبى الرحمة الذى أرسله اللّه من العرب وهو خاتم النبيين أفلا تنظرون إليه فأقبلوا علىّ بالتحية وإذا برحل آدم يعنى أسمر اللون كثير الشعر لو كان عليه قميصان لخرج الشعر منهما، فقال: يزعم بنو إسرائيل إنى أكرم الخلق على اللّه وهذا أكرم على اللّه منى فقلت: يا جبريل من هذا قال موسى بن عمران: فسلمت عليه فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح فما جاوزته حتى بكى فقيل ما يبكيك، فقال: غلام يبعث بعدى يدخل الجنةمن أمته أكثر مما يدخلها من أمتى قال الخطابى: لم يبك موسى حسداً للنبى على ما أعطاه اللّه تعالى من الكرامة بل على نقص حظ أمته ونقصان عددهم عن عدد أمة محمد ﷺ وسماه غلامًا لما أعطاه اللّه من عظيم الكرامة من غير عمر طويل أفناه فى طاعة اللّه عزّ وجلّ، شعر:

هذا المقام الذى لاذت به الأمم ... وأذعنت لعلاه العرب والعجم
هذا مقام رسول اللّه أكرم من ... جاءته من ربه الأحكام والحكم
هذا محمد الهادى الذى محيت ... عنا بنور هداه الظلم والظلم
هذا الذى قد سما فوق السماء إلى ... مقام عز فتاهت دونه الأمم
هذا الذى كشف اللّه الحجاب له ... لو رام ذا غيره زلت به القدم
هذا الذى ربنا الرحمن خاطبه ... فقدمت منه أذن قد وعت لهم
هذا نبى الهدى المختار من مضر ... هذا به أنبياء اللّه قد ختموا
هذا الذى نبع الماء الطهور له ... من كفه فسقاه الخلق حين ظموا
هذا الذى انفلق البدر المنير له ... والكل يشهده إلا الذين عموا
هذا الذى أشرقت أنوار غرته ... بنورها قد أضاء الحل والحرم
هذا المراد من الدنيا وساكنها ... لولاه لم تخلق الأشباح والنسم

قال العلائى: قال النبى ﷺ: ثم علونا إلى السماء السابعة وهى من نور وتسبيح أهلها سبحان خالق النور من قالها كان له مثل ثوابهم ورأيت فيها خلقًا لم يؤذن لى أن أحدثكم عنهم ولو أن اللّه قوى بصرى لم أستطع النظر إليهم فسلمت عليهم، فقالوا: حياك اللّه من أخ وخليفة ونعم المجىء جئت ورأيت فيها شيخًا يشبه صاحبكم يعنى نفسه الشريفة ﷺ وهو على سرير من زبرجد أخضر قد أسند ظهره إلى البيت المعمور قلت: من هذا قال: هذا أبوك إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح اقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان غرسها سبحان اللّه والحمد اللّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم.

قال البرماوى: القيعان هو الواسع المستوى من الأرض وقيل الأرض الملساء، قال أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ إذا قال: العبد سبحان اللَّه قال اللَّه تعالى: اكتبوا لعبدى رحمتى كثيرة، وقال النبى ﷺ: من قال: سبحان اللَّه الخ خمس مرات أعطاه اللَّه تعالى خمس مسائل اللهم اغفر لى وارحمنى وارزقنى وارشدنى وعافنى، قال النبى ﷺ: يقول اللَّه تعالى: قل لأمتك تقول: لا حول ولا قوة إلا باللَّه عشرًا عند الصباح وعشرًا عند المساء وعشرًا عند النوم أدفع عنهم عند النوم بلوى الدنيا وعند المساء مكايدة الشيطان وعند الصباح غضبى، وقال النبى ﷺ: «**أكثروا من لا حول ولا قوة إلا باللَّه فإنها كنز من كنوز الجنة ومن أكثر منها نظر اللَّه إليه ومن نظر اللَّه إليه فقد أصاب خير الدنيا والآخرة**»، وتقدم فى الأذكار وباب الدعاء على هذا زيادة، واللَّه أعلم.

المركب الرابع جناح جبريل- عليه السلام- من السماء السابعة إلى سدرة المنتهى: قال العلائى: قال النبى ﷺ: ثم رأيت ذهبًا صامتًا على كواكب اللؤلؤ تحت كل لؤلؤة خمسون ملكًا كل ملك ينادى مرحبًا بك يا محمد وأهلاً، لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال: هؤلاء عباد من السماء السابعة ورأيت ملائكة على رأس كل ملك تاج تسعون ذراعًا بذراع جبريل فى كل تاج أربعمائة لؤلؤة الواحدة تسع الدنيا والياقوتة تدخل فيها أهل الدنيا ورأيت ملكًا عن يمينه ألف ألف ملك، وعن يساره ألف ألف ملك على رؤوسهم تيجان من نور وهم يقرؤن آية الكرسى قلت: يا جبريل من هؤلاء قال: هؤلاء خلقوا من قطرة من نور العرش، فقلت: يا جبريل ما أكثر عجائب ربى فقال: ما رأيت من عجائب ربك إلا ساعة من الليل.

فائدة: قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما-: سأل النبى ﷺ جبريل- عليه السلام- عن ثواب آية الكرسى فقال: لما خلق اللَّه الأرض تحركت فأرسل إليها سبعين ألف ملك ليمسكوها فلم يستطيعوا فأرسل سبعين ألفًا أيضًا فلم يستطيعوا فأرسل سبعين ألفًا أيضًا فلم يستطيعوا، فخلق اللَّه جبل قاف وأحاطه بالدنيا وخلق اللَّه حوله أربعمائة وأربعين جبلاً فلم تستقر فكتب عليها آية الكرسى فاستقرت فمن قرأ آية الكرسى فله من الثواب وزن جبل قاف، ووزن تلك الجبال وله مثل تسبيح أولئك الملائكة ولما خلق اللَّه الشمس والقمر أمر سبعين ألف ملك أن يجروهما فعجزوا ثم أرسل سبعين ألفًا أيضًا فعجزوا ثم أرسل سبعين ألفًا أيضًا فعجزوا فكتب عليهما آية الكرسى فتحركا ودار بقدرة اللَّه تعالى فمن قرأ آية الكرسى من أمتك فله من الثواب بعدد أولئك الملائكة، وبعدد كل شىء طلعت عليه الشمس والقمر.

قال فى العرائس: جعل اللَّه آية الكرسى أمانًا لأهل الإيمان من شر الشيطان.

قال النبى ﷺ: ثم سرنا وجبريل على أثرى حتى وصلنا إلى سدرة المنتهى، فإذا هى شجرة عظيمة ثابتة على تل مسك لها ألف غصن يسير الراكب فى ظل الغصن مائة عام كل غصن له ألف ورقة كل ورقة لو استظل بها الإنس والجن لأظلتهم، على كل ورقة ملك على لون القمر على رأسه

تاج من نور بيده قضيب من نور مكتوب على جبهته نحن سكان سدرة المنتهى سبحان من ليس له انتهاء يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، أى غير متغير وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنها دمن خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى قال البغوى: قال مقاتل: وتحمل الحلى والحل والثمار من جميع الألوان قال: فى العرائس أنها فى السماء السابعة مما يلى الجنة أصلها فى الجنة وفروعها تحت كرسى وأغصانها تحت العرش مقام جبريل فى وسطها يغشاها ملائكة كأنهم فرش من ذهب، ورأيت فى تفسير القشيرى فى قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم: ١٦]، أى أعطى اللَّه نبيه محمدًا ﷺ خواتيم سورة البقرة وغفر لزمته وقال نجم الدين النسفى: غشيتها ملائكة من ذهب على صور الجراد مع كل ملك طبق عليه من اللطائف ما لا يحصى، فنثروه بين يدى النبى ﷺ وقال النيسابورى: قال المحققون: غشيها نور اللَّه تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل ومحمد ﷺ أقوى من موسى- عليه السلام- لأنه لم يصعق والسدرة لم تضطرب قال العلائى: فى أصلها محراب جبريل- عليه السلام- فأذن جبريل فلما قال: اللَّه أكبر اللَّه أكبر قال اللَّه تعالى: صدقت يا عبدى أنا أكبر من كل شىء فلما قال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه قال اللَّه تعالى: صدقت يا عبدى لا إله إلا أنا فلما قال: أشهد أن محمدًا رسول اللَّه قال: صدقت ياعبدى محمد عبدى ورسولى مرحبًا به، فلما قال: حى على الصلاة قال: أفلح من جاء بها فلما قال: حى على الفلاح قال: أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون، فلما فرغ الأذان أقيمت الصلاة واصطفت الملائكة صفوفًا كل صف كما بين المشرق والمغرب فصلى بهم ركعتين ثم أقبلت الملائكة زمرًا زمرًا يسلمون علىّ ثم خرج ملك من الحجاب الذى يلى الرحمن، أى يلى عرشه بدليل رواية السمرقندى فانطلق جبريل إلى الحجاب الأكبر عند سدرة المنتهى فقال النبى ﷺ: من هذا قال: والذى بعثك بالحق ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فأذن الملك لكن لم يخرج له جواب عن قوله: حى على الصلاة حى على الفلاح، ورأيت فى بعض المعاريج عنه ﷺ قال: رأيت طيورًا خضرًا على الشجرة وفيهم المحزون والمسرور عندهم شيخ عجوز فقلت يا جبريل من هذا الشيخ العجوز وهذه العجوز قال إبراهيم وسارة والطيور أرواح أطفال المؤمنين والمحزون من فارق أهله عن قريب والمسرور من فارق أهله من بعيد وسميت سدرة المنتهى، لأن علم الخلائق مما تحتها لا يتجاوزها وعلم من فوقهم لايتجاوزها أى من تحتها لا يعلم من فوقها ومن فوقها لا يعلم من تحتها، وقال على- رضى اللَّه عنه- : سميت سدرة المنتهى لأنه ينتهى إليها من كان على سنة محمد ﷺ وقيل سميت بذلك لأنه من انتهى إليها فقد انتهى فى الكرامة، قال الحسن: غشيتها نور من رب العالمين.

موعظة: عن النبى ﷺ: «من قطع سدرة صوب اللَّه رأسه فى النار» قال: بعضهم يعنى من قطعها فى فلاة يستظل بها المسافر وغيره من غير ضرورة.

فـــائدة: نزل جماعة من أصحابه- رضى اللَّه عنهم- واديًا فأعجبهم ما فيه من شجر السدر، فقالوا: يا ليت لنا مثلها فأنزل اللَّه تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨)﴾ [الواقعة: ٢٨]، أى جعل اللَّه مكان كل شوكة ثمرة فيها اثنان وسبعون لونًا من الطعام، وقيل: المخضود الكثير الحملان والطلح المنضود شجر الموز، والمنضود المتراكم بعضه فوق بعض وسيأتى فى مناقب الجنة منافع الموز قال البغوى: فى قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦)﴾ [النجم: ١٦]، قال: غشيها فراش من ذهب وقال: غيره غشيها أنوار الجلال وأرخيت عليها ستور من اللؤلؤ وياقوت وزبرجد وخصت بهذه الخصال الفضائل لتفردها بثلاثة أشياء: ظل ممدود وطعم لذيذ ورائحة طيبة فشابهت الإيمان الذى يجمع ثلاثة أشياء القول والنية والعمل، فظلها من الإيمان بمنزل العمل لأنه يتجاوز العامل كتجاوز الظل وطعمها بمنزل النية لخفائه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره فلما وصل إليها النبى ﷺ عرفت الملائكة ذلك بهبوط الأنوار عليها كقطر الغمام فاسرعوا للسلام كالجراد المنتشر عندها جنة المأوى، قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : يأوى إليها جبريل- عليه السلام- قال مقاتل والكلبى: يأوى إليها أرواح الشهداء ينتهى إليها ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال النبى ﷺ: «رأيت ديكًا له زغب أخضر وريش أبيض أشد بياضًا ورجلاه من ذهب أحمر فى السماء السابعة وذنبه من لؤلؤ ورأسه من درة تحت العرش وعيناه من ياقوتة وعرفه من عقيق أحمر له جناحان أخضران إذا نشرهما جاوز بهما المشرق والمغرب فإذا مضى ثلث الليل نشر جناحه وخفق بهما»، وقال: سبحان الملك القدوس سبحان اللَّه الكريم فتجاوز به ديوك الأرض ثم إذا كان نصف الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح للَّه تعالى، ويقول: سبحان ربى العظيم سبحان ربى العزيز القهار سبحان رب العرش الرفيع فإذا فعل ذلك سبحت ديوك الأرض، قــال النبى ﷺ: فلم أزل مشتاقًا إلى رؤية ذلك الديك مرة ثانية، وقال العلائى: إنه رآه فى سماء الدنيا وفى الخبر ديك العرش له أجنحة بعدد خلق اللَّه تعالى يقول اللهم اغفر للمذنبين من أمة محمد ﷺ قال النبى ﷺ: «يجىء يوم القيامة على راحلة رجلها من ذهب وزمامها من در وياقوت يتبعه المؤذنون ليدخلهم الجنة حتى أنه ليدخل الجنة من أذن أربعين صباحًا يريد به وجه اللَّه تعالى».

وفى العــرائس: إن اللَّه تعالى أنزل ديكًا إلى آدم فكان إذا سمع الديك تسبيح الملائكة يسبح فيسبح آدم وتقدم فى باب الكرم زيادة على هذا وسيأتى فى مناقب على أن لحم الديك العتيق ينفع للقولنج، قال: فى المدخل حصل لبعضهم قولنج فشكا ذلك للنبى ﷺ فى النوم فأمره أن يأخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ودرهمًا ونصفًا من الزيت المرقى وإحدى وعشرين درهمًا من الشونيز وهى حبة البركة وسيأتى بيان الزيت المرقى ويخلط الجميع ويفطر عليه، وعند النوم وحصل لبعضهم دوخة فى رأسه فرأى النبى ﷺ فى المنام فشكا إليه فقال: خذ من القرفة والزنجبيل والقرنفل والسنبل والجوز الطيب من كل واحد وزن درهم ونصف، ومن الشونيز وزن درهمين يدق الجميع ويطبخ ويعقد بعسل النحل فإذا قرب استواؤه عصر عليه قليلاً من الليمون ففعل الرجل ذلك فعفاه اللَّه تعالى

وحصل لبعضهم مرض الحصبة فشكا ذلك للنبى ﷺ فى النوم فأمره أن يأخذ شيئًا من خل العنب وشيئًا من عسل النحل وشيئًا من الزيت المرقى ثم يخلط الجميع ويدهن به ففعل فبرأ بإذن اللَّه تعالى، ثم قال: فى المدخل والزيت المرقى أن يكون زيتًا طيبًا فى إناء نظيف ثم يحركه بشىء ويقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، إلى آخر السورة ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١]، إلى آخر السورة وسورة الإخلاص والمعوذتين وذكر أن الزيت المرقى ينفع من جميع الأمراض دهنًا فإن كان الوجع شديدًا جلس فى الشمس قليلاً ثم يدهن به الوجع ويضع عليه المصطكى وشيئًا من حبة البركة مدقوقًا، وحصل لبعضهم وجع فى عينه فشكا ذلك إلى النبى ﷺ فى النوم فأمره أن يأخذ حجر الإثمد ويحميه فى النار فإذا حمى أخرجه وأطفأ فى الزيت المرقى ثم يسحقه ويكتحل ثلاثة أيام ففعل فبرأ بإذن اللَّه تعالى، وتقدم فى باب الأمانة منافع طيبة لا بأس بمراجعتها، قال النبى ﷺ: ثم رأيت ملكًا نصفه من ثلج ونصفه من نار وهو ينادى اللهم يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: يا جبريل من هذا قال: هذا ملك يقال له حبيب وكله اللَّه بأكناف السماوات وأطراف الأرضين، وهو من أنصح الملائكة لأهل الأرض من المؤمنين يدعو لهم بما نسمع إلى يوم القيامة رأيت ملكًا على كرسيه والدنيا بين ركبتيه وبيده لوح ينظر فيه لا يلتفت يمينًا ولا شمالاً، قال العلائى: فى مكان آخر إنه رآه فى السماء الرابعة فوقف جبريل على رأسه وقال: يا ملك الموت ألا تسلم على محمد نبى الرحمة حبيب رب العالمين فالتفت إلىّ، وقال: السلام عليك يا محمد أبشر فما رأيت الخير كله إلا فيك وفى أمتك فقر عينًا وطب نفسًا فقلت: له أخبرنى كيف تقبض روح المؤمن فقال: إذا كان آخر ساعة من الدنيا وأولها من الآخرة بعثت إليه أعوانى ومعهم رياحين من الجنة وغصن من أغصانها فيجعلونه بين عينيه ويعالجون روحه بالرفق حتى إذا بلغت نفسه الحلقوم هبطت إليه فأسلم عليه ثم أقبض روحه وأعرج بها إلى السماء فلا تمر بملأ من الملائكة إلا رحب بها وحياها حتى ينتهى بها إلى اللَّه تعالى، فيقول اللَّه: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ألا فاكتبوا لعبدى كتابًا فى عليين وينطلق بروحه إلى الجنة فينظر إلى ما أعد اللَّه له فيها فلما ترد روحه إلى جسده فيرى مغسله ومحنطه وأحبهم إليه الذى يقول: أسرعوا به وأبغضهم إليه الذى يقول: انتظروا به فإذا دخل قبره، قالت الأرض: مرحبًا بك وأهلا قد كنت أحبك وأنت على ظهرى فكيف اليوم وقد صرت فى بطنى فترى ما أصنع فيتسع قبره مد البصر ثم إذا انصرف عنه أهله أتاه منكر ونكير فسأله عن ربه وعن دينه وعن نبيه، فيقول: اللَّه ربى والإسلام دينى ومحمد نبى والقرآن إمامى فينتهرانه انتهارًا شديدًا أو يرددان عليه السؤال، فيقول: أتريدان أن تفتنانى فى دينى ما أعرف إلا هذا فيقولان له: صدقت عليه حييت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتحان له بابًا إلى النار فإذا نظر إليه بكى فيقولان: له لا تحزن فإنها ليست بدارك انظر ماذا صرف اللَّه عنك بعملك الصالح ثم يغلق عنه ذلك الباب ويفتح باب إلى الجنة أما الكافر فإذا كان آخر ساعته

من الدنيا وأولها من الآخرة بعثت إليه أعوانى ومعهم شعر من النار وكلاليب من نار وغصن من أغصان شجرة ذقوم وهى الشجرة الملعونة فى القرآن فيعالجون روحه بالغيظ والشدة حتى إذا بلغت روحه الحلقوم وعرجوا عنه فأهبط إليه وابشره بسخط الله ثم أعرج بروحه إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونه، ولا يراه ملك إلا لعنه فيأتى النداء من قبل الله تعالى لا مرحبًا بالنفس الخبيثة التى كانت فى الجسد الخبيث ثم يكتب له كتابًا فى سجين وتقدم فى الموكب الثانى أن صخرة سينا تحت الأرض السابعة ثم يطلق بها إلى النار فيرى ما أعد الله له فيها من العذاب، ثم ترد روحه إلى جسده فيرى من يغسله ويحنطه فأحبهم إليه من يقول: انتظروا به وأبغضهم إليه من يقول: أسرعوا به فإذا مضوا به نحو قبره نادى ثلاثة أصوات فيسمعها جميع الخلائق سوى الإنس والجن يا أصحاباه ويا جيراناه ويا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتنى ولا يلعب بكم الزمان كما لعب بى فإنه يساق إلى عذاب الله فإذا وضع فى قبره قالت: له الأرض لا مرحبًا بك ولا أهلاً وعزة ربى لقد كنت أبغضك وأنت على ظهرى فكيف وقد صرت فى بطنى فسترى ما أصنع بك فيضيق عليه قبره، فإذا انصرف عنه أهله أتاه منكر ونكير فيسألانه من ربك ومن نبيك وما دينك، فيقول: ما أدرى فيقولان: لا دريت ولا تليت ثم يفتحان له بابًا إلى الجنة فإذا نظر إليه فرح فيقولان: له لا تفرح ليست بدارك انظر إلى ما حرمك الله بكفرك وله رواية ثانية خلاف هذا فى محل آخر، وقال النبى ﷺ: ما من يوم إلا وملك الموت يقف على باب أحدكم خمس مرات، وقال: أيضًا أكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر من ذكر الموت إلا أصلح الله قلبه وهون عليه الموت وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة قالا: قال النبى ﷺ: «من قال عند الموت لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله لم تطعمه النار أبدًا».

المركب الخامس الرفرف إلى قاب قوسين: قال سعيد بن جبير: أى قدر ذراعين قال مجاهد قدر ما بين القوسين والوتر سيأتى زيادة، قال العلائى: قال النبى ﷺ: ثم سرت ساعة فإذا بينى وبين جبريل أمد بعيد فقلت: يا جبريل أين تركتنى وتخلفت عنى فقال: يا محمد أنت فى مقام لا يتجاوزه أحد من خلق الله ولو تجاوزته لاحترقت بالنور، ثم قال: يا محمد جز أنت فإن ربك سيهديك ففارقته وسرت إلى ما شاء الله فإذا أنا بإسرافيل له أربعة أجنحة جناح قد اتزر به وجناح قد ارتدى به وجناح استتر به من النور وجناح قد التقم به الصور، فقلت: هذا مقامك قال: نعم لو جاوزته لاحترقت من النور ولكن جز فهذا الروح أمامك، قال ابن- عباس رضى الله عنهما-: سأل إسرافيل ربه أن يعطيه قوة السماوات والأرض والجبال والرياح وقوة الثقلين فأعطاه من رأسه إلى أقدامه شعورًا ووجوها وألسنة مغطاة بأجنحة لا يعلم عددها إلا الله تعالى يسبح كل لسان بألف ألف لغة ويخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكًا على صورة إسرافيل وهم المقربون ولو صب ماء البحار وماء الأنهار على رأس إسرافيل ما سقط منها قطرة وهو ينظر كل يوم فى جهنم ثلاث مرات فيذوب حتى يصبح كوتر القوس ولو جمع الله دموعه من بكائه على أهل الأرض لصار كطوفان نوح قال النبى ﷺ:

فسرت ما شاء اللّه فرفع لى سبعون ألف حجاب من نور وسبعون ألف حجاب من ضياء فلما قطعتها فإذا أنا بالروح الذى ذكره اللّه فى القرآن بقوله سبحانه وتعالى: يوم يقوم الروح والملائكة صفًا له ألف رأس فى كل رأس مائة ألف وجه فى كل وجه مائة ألف فم فى كل فم مائة ألف لسان كل لسان يسبح اللّه تعالى بثمانين ألف لغة لا يشبه بعضها بعضًا يخلق اللّه من ذلك التسبيح ملائكة يكتبون ثواب تسبيحهم لأمتى إلى يوم القيامة، فقلت: يا أيتها الروح هذا مقامك قال: نعم ولو جاوزته لاحترقت بالنور وفى رواية قال أنس- رضى اللّه عنه- : قال النبى ﷺ: لجبريل- عليه السلام- هل ترى ربك قال: بينى وبينه سبعون حجابًا من نور قيل خلق اللّه تعالى بين جبريل وميكائيل سبعين حجابًا غلظ كل حجاب خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق جبريل من نور ميكائيل، وخلق اللّه بين ميكائيل وإسرافيل سبعين حجابًا ولولا ذلك لاحترق ميكائيل من نور إسرافيل وعن النبى ﷺ احتجب اللّه عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وأنه تعالى ما حل فى شىء ولا غاب عن شىء وإن الملأ الأعلى يطلبون اللّه كما تطلبونه أنتم قال على- رضى اللّه عنه- : سلونى قبل أن تفقدونى وعن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل، قال: إن اللّه علم نبيه محمدًا ليلة المعراج علومًا شتى فمنها علم أمره اللّه بكتمانه وعلم أمره بتبليغه وعلم خيره اللّه فيه فكان مما أسر إلى أنه قال: كنت نوراً فى وجه إبراهيم ودرة فى ظهره فلما عارضه جبريل وهو فى كفة المنجنيق، وقال: يا إبراهيم ألك حاجة، قال: أما إليك فلا فعاد إليه وقال: ألك إلى ربك حاجة قال: يا جبريل من شأن الخليل أن لا يفارق خليله، قال ﷺ: فأنطقنى اللّه أنت قلت: إن بعثنى اللّه واصطفانى بالرسالة لأكافئن جبريل فلما كان ليلة المعراج أتانى جبريل وكان هو السفير بى إلى أن انتهى معى إلى مقام، ثم وقف فقلت يا جبريل فى مثل هذا المقام يفارق الخليل خليله، فقال: نعم إن جاوزته احترقت بالنور فقلت له: هل لك إلى اللّه من حاجة قال: نعم أسأل ربك أن يجعلنى أبسط جناحى لأمتك على الصراط يوم القيامة حتى يجوزوا عليه فقلت بارك اللّه فيك يا جبريل وإذا بالنداء يا جبريل زج محمداً فى النور زجة فزجنى فخرقت سبعين ألف حجاب غلظ كل حجاب خمسمائة عام حتى انتهيت إلى فراش من ذهب، فتقدم بى الملك الموكل بالفراش الذهب إلى حجاب اللؤلؤ فحركه، فقال: الملك من وراء الحجاب من هذا قال: فلان صاحب فراش الذهب وهذا محمد ﷺ معى رسول رب العزة فقال: الملك اللّه أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى ووضعنى بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب حتى جاوزت سبعين ألف حجاب غلظ كل حجاب خمسمائة عام، ثم انتهيت إلى بحر من نور أبيض فإذا أنا بملك على ساحل البحر، لو أن الطير طار مائة عام من منكبه ما بلغ منكبه الآخر ثم زجنى حتى انتهيت إلى بحر من نور أحمر فإذا أنا بملك ساحل البحر لو أذن اللّه له أن يبتلع السماوات والأرض لفعل ثم سار بى إلى الرفرف حتى انتهيت إلى بحر من نور أصفر فإذا أنا بملك على ساحل البحر لو أذن اللّه أن يبتلع السماوات والأرض لفعل ثم سار بى الرفرف إلى بحر من ماء أبيض فجزعت عند ذلك وناديت يا

غياث المستغيثين سكن روعى، قال العلائى: قال النبى ﷺ: ثم سرنا حتى انتهينا إلى بحر من نور يتلألأ كلما نظر إليه حار طرفى حتى ظننت أن كل شىء خلفه قد التهب التهابًا وإذا أنا بجبال من برد ورأيت سبعين ألف صف من الملائكة لا ينظر بعضهم إلى بعض من اشتغالهم بالتسبيح والتهليل، ما رأيت مثل خلقهم ولا مثل شدة أصواتهم ولا مثل ضياء نورهم وهم حافون بالعرش فخالطنى عند ذلك الخوف، فقال: يا محمد ما هذا الخوف كله إنما أنت فى كرامة ربك ثم سار بى الرفرف، فإذا أنا بملك عظيم يكيل الماء بالكيل ويفرقه على السحاب ثم سار بى الرفرف حتى قطعت سبعين ألف صف من الملائكة وهم قيام لا يجلسون إلى يوم القيامة حتى انتهيت إلى إسرافيل قد سد بجناحيه الخافقين ورجلاه تخرم الأرض السابعة قد التقم الصور، وقال الغزالى: دائرته أى الصور كعرض السماء والأرض وبعض الأوقات يتصاغر إسرافيل من عظمة اللّه حتى يصير كالعصفور، واللّه أعلم، قال ﷺ: «ولم يزال الرفرف يخترق بى الحجب حتى بلغت ألف حجاب حتى وصلت إلى حجاب الوحدانية ورأيتنى كالقنديل المعلق فى الهواء ثم دلى رفرف أخضر يغلب ضوؤه ضوء الشمس فالتمع بصرى ووضعت على الرفرف ثم احتلمنى حتى وصلت إلى العرش فأبصرت أمرًا عظيمًا لا تناله الألسن، فسألت إلهى أن يمن علىّ بالثبات فمن اللّه علىّ وقوانى ونزلت قطرة من العرش على لسانى أبرد من الثلج وأحلى من العسل فما ذاق الذائقون شيئًا قط أحلى منها، فأنبأنى اللّه بها علم الأولين والآخرين، وقيل لما بلغ قاب قوسين أجلس على كرسى ورفعه ذلك الكرسى إلى عليين فقطر عليه ثلاث قطرات قطرة على كتفه فأورثته الهيبة وقطرة على قلبه فأورثته المحبة وقطرة على لسانه فأورثته الفصاحة» وفى رواية: «لما رأى العرش استصغر كل شىء رآه».

قال النسفى: خلق اللّه العرش على ثمانية وستين قائمة من دور الدنيا ما بين القائمة والقائمة كخفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام، وخلق اللّه له ألف ألف وستمائة ألف رأس فى كل رأس ألف ألف وستمائة ألف وجه، زاد العلائى فى تفسير سورة براءة فى كل وجه قدر طباق الدنيا ألف ألف وستمائة ألف مرة فى كل وجه ألف ألف وستمائة ألف فم فى كل فم ألف ألف وستمائة ألف لسان كل لسان يسبح اللّه تعالى بألف ألف وستمائة ألف لغة ويكسى العرش كل يوم ألف ألف لون، وقال على- رضى اللّه عنه- : سبعون ألف لون واعلم أن السبعين ألفًا مذكورة مواضع منها عن النبى ﷺ من قرأ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ الآية [آل عمران: ١٨]، خلق اللّه سبعين ألفًا من الملائكة يستغفرون له إلى يوم القيامة ومنها ماتقدم من عاد مريضًا غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى، ومن عاد مريضًا عشية خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، قال ابن عباس: تسبيح ألسنة العرش سبحان القائم الدائم سبحان الدائم القائم سبحان الملك الأعظم سبحان من لا يعلم ما هو إلا هو.

قال فى العقائق: علق فيه مائة ألف قنديل كل قنديل يسع السماوات والأرض فلما خلق اللّه العرش من جوهرة خضراء على هذه الصفة وداخله العجب طوقه اللّه تعالى بحية رأسها من لؤلؤة

بيضاء وعيناها من ياقوتة صفراء وأسنانها من زمردة خضراء وبدنها من ذهب أحمر طولها سبعمائة ألف عالم ولها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان، يخرج من أفواهها من التسبيح بعد قطرات الأمطار وبعدد ورق الأشجار وبعدد أيام الدنيا فلما رآها العرش قال: يا رب لم خلقت هذه قال: حتى تنسى عظمتك وتنظر إلى عظمتي، قال ابن عباس- رضي اللّه عنهما- : حملة العرش أربعة طول كل ملك سبعون ألف عام وطول قدمه ثمانية عشر ألف عام.

الأول: على صورة بني آدم يقول اللهم ارحم بني آدم لا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ.

والثاني: على صورة النسر يقول اللهم ارحم الطيور ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ.

الثالث: على صورة الأسد يقول اللهم ارحم السباع لا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ.

والرابع: على صورة الثور يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ وقال ابن عباس- رضي اللّه عنهما- : إن الأرض الثانية فيها الريح العقيم قد زمت بسبعين ألف زمام كل زمام بيده سبعون ألف ملك بها أهلك اللّه تعالى قوم عاد فنسفت جبالهم ومساكنهم وبها تخرب الأرض قال اللّه تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا** (١٠٥) ﴾ [طه: ١٠٥]، وقال في حادي القلوب الطاهرة أول جبل وضع على الأرض جبل أبي قبيس بمكة المشرفة وكان أول من بنى به رجلاً يقال له أبو قبيس فسمي بذلك وكان اسمه في الجاهلية الأمين لأن الحجر الأسود كان مستودعًا فيه من زمن الطوفان وجواب آخر أراد اللّه أن يطلع محمدًا ﷺ على عجائب ملكوته العلى التي منها أربعة أنهار حول العرش منها نهر من نور يتلألأ ونهر أشد بياضًا من اللبن في أسفله اللؤلؤ والياقوت والزمرد ومنه أخذ أنهار الجنة ونهر من ثلج تلتمع منه الأبصار ونهر من ماء والملائكة في تلك الأنهار يسبحون اللّه تعالى ومنها سبعون ألف ملك يدورون حول العرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف فإذا سمعوا تهليل هؤلاء وتكبير هؤلاء رفعوا أصواتهم، وقالوا سبحانك اللهم وبحمدك أنت الأكبر ومنها أن اللّه تعالى جعل بين هؤلاء وبين العرش سبعين حجابًا من نور وسبعين حجابًا من ظلمة وسبعين حجابًا من ياقوت وسبعين حجابًا من زبرجد وسبعين حجابًا من ثلج وسبعين حجابًا من ماء وسبعين حجابًا من برد فنودي يا محمد ضع قدمك اليمنى على العرش والأخرى على الكرسي وبينهما ألف عام وفي المقام المحمود أقوال:

أحدهما: الشفاعة العامة.

الثانية: إن لواء الحمد بين يديه.

الثالث: إخراج طائفة من النار بشفاعته ﷺ قال جابر بن عبد اللّه هذا هو المقام المحمود.

وذكرنا في صلاح الأرواح: أنه له ﷺ تسع شفاعات:

الأولى: الشفاعة العامة في الفصل بين أهل الموقف.

الثانية: شفاعته في نجاة قوم من الدخول إلى النار.

الثالثة: في إخراج قوم من النار.

الرابعة: في قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

الخامسة: في زيادة درجات قوم في الجنة.

السادسة: في التخفيف عن عمه أبي طالب.

السابعة: فيمن زار قبره ﷺ.

الثامنة: فيمن صلى اللّه عليه.

التاسعة: في أطفال المسلمين اللهم أدخلنا في شفاعته في عافية بلا محنة قال العلائي: قال النبي ﷺ «رأيت عجائب عظيمة وظننت أن كل من في السماوات والأرض قد مات لأني لم أسمع هناك يعني عند العرش شيئًا من أصوات الملائكة وانقطع عني حس كل شيء فلحقني عند ذلك استيحاش فناداني جبريل من خلفي يا محمد إن اللّه تعالى يثني عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه سبحانه وتعالى فبدأت بالثناء على اللّه تعالى وقلت التحيات المباركات الصلوات الطيبات للّه فقال السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته فقلت السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين، فقال جبريل: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمد رسول اللّه» قال في شرح المهذب: التحيات للّه أي العظمة للّه، وقيل الملك للّه، وقيل البقاء الدائم للّه، وقيل: السلامة من الآفات للّه إنما قال التحيات بأجمع لأن لكل واحد من الملكوت تحية فقيل لنا قولوا التحيات للّه أي الألفاظ التي تدل على الملك للّه وحده وقوله المباركات الصلوات الطيبات، قيل: الصلوات هي الصلوات الخمس والطيبات هي الأعمال الصالحة، وقيل الطيبات الكلام الحسن وقوله: السلام عليك أيها النبي قيل معناه اسم اللّه عليك، وقيل سلم اللّه عليك ومن سلم اللّه عليه سلم من الآفات السلام علينا، قال الثوري- رحمه اللّه تعالى- : لم أر لأحدكم كلامًا من الضمير فالمراد الحاضرون من الإمام والمأمومين ثم قال- رحمه اللّه تعالى- في المنهاج: وأقله أي أقل التشهيد التحيات للّه السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين أشهد أن لا إله إلا اللّه

وأشهد أن محمداً رسول اللَّه اللهم صل على محمد فهذا هو الواجب والزيادة على ذلك سنة، وقال ﷺ: من أحيى سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة.

قال فى عيون المجالس: إذا قال العبد التحيات للَّه حياه اللَّه وأهل السماوات والأرض، وإذا قال الصلوات تقبل اللَّه صلاته وإذا قال الطيبات كان بريئًا من الشرك والشك وإذا قال السلام عليك أيها النبى ورحمة اللَّه وبركاته كتب اللَّه له عشر حسنات، وإذا قال السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين كتب اللَّه بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وإذا أتى بالشهادتين كتب اللَّه له براءة من النار.

قال العلائى: قال النبى ﷺ ثم زجى فى النور زجة خرقت سبعين ألف حجاب ليس فيها يشبه الآخر ونادى مناد بلغة أبى بكر قف فإن ربك يصلى عليك فتعجبت من لغة أبى بكر وقلت: هل سبقنى صاحبى أبو بكر وتعجبت من صلاة ربى، فإذا النداء من العلى الأعلى ادن يا خير البرية ادن يا محمد ادن يا أحمد فعلمت أن ربى نادانى فكنت كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩**﴾ [النجم: ٨، ٩]، قيل كقرب ما بين الحاجبين، وقيل كقدر ذراعين.

وسئل: الجنيدى- رضى اللَّه عنه- عن هذا الدنو فقال: دنو القلوب من المحبوب ذهب البين وتلاشى الأين، وقيل: دنا محمد من ربه بالسؤال فتدلى ربه إليه بالعطاء والنوال.

وقال فى عيون المجالس: قال بعضهم: طلبت معنى قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨**﴾ [النجم] ثلاثين سنة من العلماء العارفين حتى رأيت تأويلاً صحيحًا وهوانه ﷺ نظر عن يمينه فرأى ربه ونظر عن يساره فرأى ربه ونظر أمامه فرأى ربه ونظر فوقه فرأى ربه ونظر خلفه فرأى ربه فكره الانصراف من هذا المقام الشريف فعلم اللَّه ذلك منه، فقال: يا محمد أنت رسولى إلى عبادى ولو دمت على المقام ما بلغت رسالتى فانزل إلى الأرض وبلغ رسالتى لعبادى وحيث ما قمت إلى الصلاة أعطيتك هذه الرتبة فلذلك قال وقرة عينى فى الصلاة قال فكان قاب قوسين بروحه أو أدنى بسره يعنى ترك النفس فى السماء وروحه عند سدرة المنتهى وقلبه بقاب قوسين فبقى سره وربه، فقالت النفس أين القلب؟ وقال القلب: أين الروح؟ وقالت الروح: أين السر؟ وقال السر: أين الحبيب؟ فقال اللَّه تعالى: يا نفس لك النعمة والمغفرة يا روح لك الرحمة والكرامة ويا قلب لك المحبة والمودة ويا سر أنا لك وقال القرطبى فى تفسير النبى ﷺ: كيف صلاة اللَّه على عباده، قال: سبوح قدوس، قيل إن سبوح قدوس من كلام اللَّه وهى صلاته على عباده، وقيل من كلام النبى ﷺ حتى لا يتوهم السائل فى صلاة اللَّه على عباده وجهًا لا يليق باللَّه تعالى وأما أمر صاحبك قال موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا له وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى، فاشتغل بذكر العصا على الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبى بكر فإنك خلقت وإياه من طينة واحدة فهو أنيسك فى الدنيا والآخرة يا محمد ما أعظم شأنى وأعز سلطانى يا محمد انظر فى أى مكان رفعتك وفى أى مكان كلمتك يا محمد أين حاجة جبريل

فقلت اللهم أنت أعلم بما أسألك يريد أن يمد جناحه على الصراط يوم القيامة لتمر أمتى فقل قد أجبته فيما سأل ولكن فى طائفة من أمتك فقلت اللهم لمن أحبك، وفى رواية لمن أكثر الصلاة والسلام عليك.

قال العلائى: - رضى اللّه عنه- قال النبى ﷺ: «فرأيت ربى بقلبى» والصحيح أنه رآه بعين رأسه قال القرطبى فى سورة الأنعام: اجتمع ابن عباس وأبى بن كعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول أن محمداً رأى ربه مرتين ثم قال أتعجبون أن الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤيا لمحمد ﷺ فكبر أبى بن كعب تكبيرة حتى جاوبته الجبال، وقال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: أنا أقول بما قاله ابن عباس رآه بعينه رآه بعينه حتى انقطع نفس الإمام أحمد ثم قال النبى ﷺ: «**وكلمنى ربى بما شاء وافترض على خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت إلى ربى**» قال النووى: إلى الموضع الذى ناجاه فيه أولاً فقلت يا رب خفف عن أمتى فحط عنا خمساً وفى رواية عشراً فى رواية بوضع شطرها فقال العلائى: ولا منافاة بين الروايات فإن المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد بالشطر التنصيف، وأما رواية العشر فهى رواية شريك وتقدم أنه زاد ونقص ثم رجعت إلى موسى فقلت حط عنى خمساً فقال أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال فما زلت ارجع بين موسى وبين ربى حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة وفى رواية أمضيت فريضتى على عبادى ما يبدل القول لدى وفى رواية سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم، فإن قيل: هى فى الأول خمس فما الحكمة فى كونها خمسين تلك الليلة.

فالجواب: ليظهر كرم المصطفى بقبول شفاعته فى التخفيف عن أمته، فإن قيل: ما الحكمة فى أن موسى هو الذى أشار على محمد ﷺ أن يراجع ربه دون إبراهيم وهو أعلى مقاماً منه قيل: لأن إبراهيم مقامه مقام التفويض والتسليم ألا نراه لما قال له جبريل ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا قال: سل ربك قال: حسبى من سؤالى علمه بحالى، فإن قيل: مقام إبراهيم فى السماء السابعة وموسى فى السادسة.

فالجواب: مقام إبراهيم فى السماء السابعة لكنه نزل لملاقاة النبى إلى السادسة وموسى فى السادسة لكنه مشى فى خدمته إلى السابعة.

قال العلائى وغيره: قال اللّه تعالى بعد أن خفف الصلوات ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فقلت: بل آمنت بك والمؤمنون ﴿**كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]، قال حمزة: لا يفرق بين أحد من رسله المثناة من تحتها بالبناء للمفعول قراءة شاذة بين أحد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى بين موسى وعيسى، وقالوا سمعنا و أطعنا غفرانك أى

نطلب غفرانك ربنا وإليك المصير أى رجوعنا إليك فقال غفرت لك ولأمتك ثم قال سل تعط فقلت ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال اللّه تعالى: لك ذلك ثم سل تعط فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، أى لا تجعل توبة أمتى بالقتل كغيرهم وهم قوم موسى الذين عبدوا العجل فلما أمرهم موسى بقتل أنفسهم اعتزلوا فجاءهم هارون باثنى عشر ألفًا ما عبدوا العجل بأيديهم السيوف ثم قال: اصبروا لعن اللّه رجلاً قام فى موضعه فضربوا فيهم بالسيف إلى السماء، وكان قد أرسل اللّه عليهم سحابة حتى لا يعرف الوالد ولده فقال موسى وهارون: يا ربنا هلكت بنو إسرائيل البقية فكشف اللّه السحابة وسقطت السيوف من أيديهم فانكشف الحال عن سبعين ألف قتيل فقال اللّه غفرت للقاتل وتبت على المقتول فعلى هذا يكون قوله تعالى لقوم موسى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، أى استسلموا للقتل، وقال اللّه تعالى لمحمد: اجعل توبة أمتك الندامة سل تعط فقلت: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال لك ذلك إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين هذا متعلق بالنصر على الكافرين وإنما دعا بثلاث دعوات لأن اللّه تعالى عذب ثلاث أمم واحدة بالخسف وهو قارون وقومه وواحدة بالمسخ وهم قوم داود وواحدة أمطر عليهم الحجارة وهم قوم لوط فالعفو عن الخسف، قال اللّه تعالى: لا أخسف بأبدان أمتك بل أخسف ذنوبكم حتى لا تراها الملائكة والرحمة عن الحجارة قال اللّه تعالى: مطرى عليهم الرحمة بفضلى دون الحجارة، والمغفرة عن السمخ. قال اللّه تعالى: أمسخ ذنوبهم فاجعل السيئة لأبدانهم.

قالت عائشة: -رضى اللّه عنها- يا نبى اللّه كم جرى بينك وبين اللّه كلمة قال: اثنا عشر ألف كلمة كلها فى شأن أمتى فأجابنى إلى ما سألت. قال ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩﴾ [النجم: ١٠]، قال: يا محمد عبدتنا فى الخلوة فاشفع لأمتك فى الجلوة، وقيل: أوحى إليه أنهم يطيعونى ويعصونى فطاعتهم برضائى ومعصيتهم بقضائى فما كان برضائى أقبله وما كان بقضائى أغفره قال ابن عباس: قال النبى ﷺ: «**اللهم اغفر لى ولمن شهد لى بالبلاغ والرسالة وارحمنى وارحم من شهد لى بالبلاغ ولك بالتوحيد**» ورأيت فى كتاب النصيحة للغزالى- رضى اللّه عنه- ، قال موسى- عليه السلام-: يا رب أرنى وليًا من أوليائك، قال: بينك وبينه أمد بعيد قال: يا رب لا أبالى إذا كنت لى وكل بعيد عليك قريب فخطى موسى ثلاث خطوات فقال اللّه تعالى: يا موسى هذه مائة عام قال: يا رب وأين ذلك الولى؟ قال: فى وسط البحر الأسود أى بحر الظلمات فسار إليه، فإذا هو برجل نائم فى الماء والموج يخرج من بين رجليه وهو يقول يا حنان يا منان أقل عثرتى وارحم غربتى، فقال موسى: السلام عليك يا ولى اللّه فلم يرد عليه فأوحى اللّه إليه يا موسى قلبه عندى فسلم عليه مرة أخرى، فقال: السلام عليك يا ولى اللّه فقال: وعليك السلام يا كليم اللّه قال: من أخبرك بأنى كليم اللّه قال: الذى أخبرك أننى ولى اللّه، قال: كم لك ههنا قال: لى ههنا

أناديه ثمانين عامًا يا حنان يا منان فما رأيت منه جوابًا قال أتريد أن أكون سفيرًا بينك وبينه قال: نعم، قال موسى: يا رب ماذا أرد على عبدك من الجواب قال: يا موسى قل له ويل لك ولجميع الخلق إن لم أتغمدهم برحمتي، وقال النبي ﷺ: «أكثروا من قول لا إله إلا اللّه والاستغفار فإنهما أمان فى الدنيا من الذل وفى الآخرة ستر من النار» وعن النبي ﷺ: «شعار أمتي على الصراط لا إله إلا اللّه» وفى الخبر يقول اللّه تعالى لإسرافيل- عليه السلام- إذا سمعت أحدًا يقول: لا إله إلا اللّه فأخر النفخة إكرامًا لقائلها أربعين سنة وقال ابن عباس سألت النبي ﷺ متى ينفخ فى الصور فقال: «سألت جبريل متى ينفخ فى الصور فقال: إن اللّه تعالى خلق ملكًا يوم خلق السماوات والأرض وأمره أن يقول لا إله إلا اللّه فهو يقولها مادًا بها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها، فإذا أمر إسرافيل أن ينفخ فى الصور وقامت القيامة» وتقدم فضل مد الصوت بها فى أول الكتاب، وقال ابن عباس: إذا قال العبد لا إله إلا اللّه خرجت الحجب حتى تقف بين يدى اللّه وتطلب لقائلها المغفرة، فيقول اللّه تعالى: إنى لم أجرك على لسانه إلا من بعد أن سبقت إرادتى له بالمغفرة.

وقال العلائى - رحمه اللّه- تعالى: قال النبي ﷺ: «قال لى ربى ارجع إلى قومك فبلغهم عنى إذ حال بينى وبينه حجاب من نار يلتهب التهابًا لا يعلم كثافته إلا اللّه تعالى ودلانى الرفرف الأخضر الذى كنت عليه وجعل يخفضنى ويرفعنى فأهوى بى إلى جبريل وارتفع الرفرف الأخضر الذى كنت عليه حتى غاب عنى، قال جبريل: يا محمد أبشر فأنت خيرة اللّه من خلقه وصفوته من البشر ولقد قربك الرحمن من عرشه مكانًا لم يصل إليه أحد من أهل السماوات والأرضين فهناك اللّه بكرامته فحمدت اللّه على ما أكرمنى اللّه به، ثم قال: انطلق يا محمد إلى الجنة حتى أريك مالك فيه فتعرف مالك وإلى ما يكون معادك بعد الموت فتزداد بذلك فى الدنيا زهدًا إلى زهدك ورغبة فى الآخرة إلى رغبتك فسرت معه فسار بى أسرع من السهم حتى وصلنا إلى الجنة بإذن اللّه تعالى فأقبل رضوان خازن الجنان وخلفه رقيائيل مع كل واحد ألف ألف ملك رافعى أجنحتهم ورؤوسهم يشيرون إلى بالأصابع يقولون لقد أكرم اللّه هذا النبي الأمى مرحبًا بك يا جبريل وبمن معك» وفى رواية أقبل رضوان ومعه ملائكة الحجب وجوههم كالقمر ليلة البدر يفوح ريح المسك من ثيابهم مكللون بتيجان من نور، فقلت: ما أحسن هؤلاء فقال: والذى بعثك بالحق إن أمتك إذا تقوا وسلموا من الدنيا كانوا فى الجنة أحسن منهم فلما دخلتها هدأت نفسى وذهب روعى فما تركت فيها مكانًا إلا رأيته فرأيت قصورًا من الدر والياقوت والأشجار من ذهب وقضبانها من اللؤلؤ وعروقها من فضة راسخة فى المسك، ورأيت شجرة ساقها فى كثافة لا يعلمها إلا اللّه تعالى وأغصانها أكثر من نبات الأرض والورقة الواحدة تغطى الدنيا وعليها من أصناف الخير ضروب شتى، فقلت: يا جبريل ما هذه الشجرة؟ قال: لك ولأزواجك وأولادك وكثير من أمتك وتحت هذه الشجرة ملك كبير وعيش عظيم ثم رأيت نهرًا يخرج من أصلها أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل على رضراض در وياقوت ومسك أبيض، فقال: جبريل: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك وهو التسليم يخرج من تحت

العرش إلى دورهم وقصورهم ثم سار بى إلى شجرة أخرى فإذا أوراقها حلل ظرائف من ثياب الجنة وأبيض وأحمر وأخضر وأصفر وثمارها أمثال القلال فى ألوان شتى فقلت يا جبريل ما هذه الشجرة؟ فقال: هذه التى ذكرها اللَّه تعالى فى القرآن بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** (٢٩) ﴾ [الرعد: ٢٩]، وهى لك ولكثير من أمتك ولك فيها حسن مقيل ونعيم طويل ثم طاف بى فى الجنة فإذا بقصر من ياقوتة حمراء فى جوفه سبعون ألف قصر فى كل قصر سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت فى كل بيت سبعون ألف خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فى جوفها سرر من ذهب لذلك شعاع كشعاع الشمس، وهى مكللة بالدر والجوهر وعليها فرش من سندس فوق تلك العرش حلى كثيراً لا أطيق وصفه فى كل قصر ودار ونبت فيها شجر كثير مكللة سوقهن بالذهب وأغصانها بالجوهر وثمرها مثل القلال فى كل خيمة منها الأزواج من الحور العين لو دلت واحدة منهن كفها من السماء لأذهب ضوء كفها ضوء الشمس فكيف بوجهها ولكل واحدة منهن سبعون ألف غلام وهم خدمها سوى خدم زوجها كل ذلك مفرغ منه ينتظر صاحبته ثم خرجت من الجنة فمررنا فى السماوات منحدرين من سماء إلى سماء فرأيت آدم ونوحًا وإبراهيم وعيسى فسلمت عليهم فتلقونى بالتحية، وقالوا: ما صنعت يا نبى الرحمة فأخبرتهم ففرحوا بذلك وحمدوا اللَّه تعالى وسألوه لى المزيد ثم خرجت مع جبريل لا يفوتنى ولا أفوته حتى دلانى فى مكانى من الأرض الذى حملنى منه وأرانى من ذلك عجائب الأرض وما خلق اللَّه فيها وكل ذلك فى ليلة واحدة فأنا سيد ولد آدم ولا فخر فقال الزركشى: معناه ولا فخر أتم من هذا الفخر فأخبرت بذلك قومى فكذبونى غير أبى بكر الصديق- رضى اللَّه عنه- ، قال فى مجمع الأحباب: الذى رآه النبى ﷺ بعين رأسه رآه أبو بكر- رضى اللَّه عنه- بعين قلبه فكان أول من صدق قال شرف الدين عيسى السهروردى- رحمه اللَّه- لما ركب النبى ﷺ الرفـــرف من النور الأزهر، تقدم هو وجبريل تأخر فزج فى الأنوار فرفعت له الأستار وسمع كلام الجبار يا عروس المملكة يا تاج منصة الوجود يا شمس الهداية والسعود أنت أكرم الناس علينا سل ما تريد فمنك السؤال ومنا العطاء وما على عطائنا مزيد فقال النبى ﷺ ما الذى أسأل وقد أسجدت لآدم الملائكة واصطفيته وزوجته حواء وفى الجنة أسكنته فجاء الخطاب يا محمد لولا ما أشرق عليه نورك الذى تقادم ما قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قال: إلهى ما الذى أطلب وقد جعلت إدريس نبيًا ورفعته مكانًا فجاءه الخطاب بالجواب إنما رفع إدريس إلى السماء لينظر إليك ويسير فى هذه الليلة بين يديك، قال: إلهى ما الذى أطلب وقد استجبت دعوة نوح على أهل الطغيان ونجيته فى السفينة من الطوفان فقال لولا أنه أقسم علينا بجاهك ما نجا هو ومن معه من المهالك سل تعط، قال إلهى ما الذى أطلب وقد اصطفيت إبراهيم خليلاً وجعلت النار عليه بردًا وسلامًا وفديت ابنه بذبح عظيم فجاء النداء يا أعز المخلوقات ويا أشرف الموجودات لولا ما أشرق عليهم من نور وجهك الكريم ما نجا إبراهيم من نار النمروذ ولا فدى ابنه بذبح عظيم ادع تجب، قال: يا سدى وما الذى أدعو وقد جعلت موسى

كليمًا وكرمته تكرميًا فجاء النداء يا أكرم من تمنى يا صاحب قاب قوسين أو أدنى موسى هدى فى السير بالنار وخوطب على جبل ذى أحجار وأنت خوطبت على بساط الأنوار فى حضرة الملك الغفار قل نسمع ، قال : إلهى ما الذى أقول وقد ألنت الحديد لدواد وسيرت معه الجبال وأعطيت سليمان ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده فجاءه النداء يا أعلى موجود سأسير معك جبال النصر والرعب فى الوجود وألين لك قلوبًا كالجلمود وأخصك يوم القيامة بالمقام المحمود سل تعط فقال : إلهى ما الذى أسألك وقد أيدت عيسى بروح القدس وأظهرت له المعجزات يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذنك فجاءه النداء أنت أى طبيب بك تداوى أمراض الذنوب وتحيى بك أموات القلوب ، وقال : يارب فاقبل شفاعتى فى عصاة أمتى فجاءه الخطاب يا أعز الأحباب وعزتى وجلالى إن عصونى سترتهم وإن استغفرونى غفرت لهم وإن استنصرونى نصرتهم وإن دعونى أجبتهم ولأسامحنهم بما مضى ولأجودن عليهم بالرضا .

قال العلائى: قال النبى ﷺ: «سألت ربى ليلة المعراج مسألة وددت أنى لم أسأله عنها قلت : يا رب أعطيت آدم الجنة قال أعطيته الجنة ، ثم عزلته عنها وأعطيتك وأمتك الجنة ولا أعزلكم عنها ، قلت : أعطيت لنوح السفينة قال : جعلت لك ولأمتك الأرض مسجدًا وطهورًا قلت : سيرت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم قال : كذلك أجعلها على أمتك قلت : أعطيت إسماعيل زمزم قال : أعطيتك الكوثر قلت : جعلت له الفداء قال جعلت فداء أمتك من النار اليهود والنصارى ، قلت : كلمت موسى على جبل الطور قال : كلمتك على بساط النور قلت : أعطيت المائدة لعيسى قال : جعلت لك مائدة الكرامة يوم القيامة قلت : أعطيت داود الزبور قال : أعطيتك سورة الأنعام ، قلت : نجيت يونس من ظلمات ثلاث قال : كذلك أنجى أمتك من ظلمة القبر وظلمة القيامة وظلمة الصراط» .

فائدة: متّى اسم أبى يونس- عليه السلام- فى جامع الأصول متى اسم أمه أرسله اللَّه إلى أهل الموصل ، قيل كانت نبوته بعد خروجه من بطن الحوت حكاه البرماوى فى شرح البخارى .

قال فى العرائس: لم ينسب نبى إلى أمه غير عيسى ويونس عليهما الصلاة والسلام وفى الصحيح لا ينبغى لعبد أن يقول أنه خير من يونس بن متى وفى حديث آخر لا تفضلونى على يونس ابن متى قيل قاله قبل أن يعلم أنه أفضل منه فقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة بيدى لواء الحمد»** وفى رواية : **«لواء الكرم وما من نبى يومئذ آدم فمن دونه إلا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأناَ أول من يحرك حلق الجنة فيدخلها معى فقراء المهاجرين وأنا أكرم الأولين والآخرين»** وقال أنس- رضى اللَّه عنه- : ما بعث اللَّه نبيًا إلا حسن الوجه وحسن الصوت وكان نبيكم ﷺ أحسنهم وجهًا وأحسنهم صوتًا ، وقيل : قاله تواضعًا فقد كان ﷺ يفلى ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخدم أهله ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت

ويعقل البعير ويعلفه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وتقدم فى باب الأمانة أنـه ﷺ قـال: «صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله»، وقيل: إنما قاله زجراً عن توهم حط رتبة يونس لما فى القرآن ولا تكن كصاحب الحوت فلهذا هو السبب فى ذكره دون غيره من الأنبياء.

قال مؤلفه- رحمه الله- : فى الشفاء لا تخيرونى على موسى فدعوى الاقتصار على ذكر يونس مردود، وقيل للشيخ عبد القادر الجيلانى: إن فلانًا يزعم أنه وصل إلى ما وصل إليه يونس بن متى فضرب وسادته بالأرض وقال: أصبت قلبه فذهبوا إليه فإذا هو قد مات قال النبى ﷺ: «قلت يا رب جعلت للخضر عين الحياة» وسيأتى بيانها فى مناقب الخضر- عليه السلام- فى باب فضل الأمة المرحومة قال: «قد جعلت لك سلسبيلاً قلت أعطيت موسى التوراة قال: قد أعطيتك آية الكرسى من كنز عرشى» قال محمد ابن الحنيفة واسم أمه خولة وأبوه على بن أبى طالب- رضى اللّه عنه- لما نزلت آية الكرسى خر كل صنم على وجهه وسقطت التيجان عن رؤوسها وهربت الشياطين فاجتمعوا إلى إبليس وأخبروه بذلك وقالوا قد حدث أمر فأمرهم أن يبحثوا عن ذلك فأتوا المدينة فبلغهم أن آية الكرسى نزلت وتقدم فى فضائلها زيادة النبى ﷺ قلت يا رب أعطيت عيسى الإنجيل، قال: قد جعلت لك سورة الإخلاص.

فـائدة: عن النبى ﷺ قال: خلق اللّه نوراً قبل السماوات والأرض بألف عام خلق اللّه من النور مسكًا فكتب به سورة يونس وخلق لها خمسين ألف جناح فلم تمر فى سماء إلا خضعت لها سكانها وسجدوا لها فمن تعلم سورة يونس وعرف حقها كان فى الدرجة العليا، وقوله ﷺ: خلق اللّه تعالى لثوابها، وعن أبى بكر الصديق- رضى اللّه عنه- يس تدعى فى التوارة المعمة قيل وما المعمة قال: تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة من قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له ألف ديناراً فى سبيل اللّه ومن كتبها وشربها دخل جوفه ألف دواء ذكره فى تحفة الحبيب وفى تفسير القرطبى من قرأها نهاراً كفى همه ومن قرأها ليلاً غفر ذنبه ومن قرأها نهاراً لم يزل فى فرح حتى يمسى، ومن قرأها ليلاً لم يزل فى فرح حتى يصبح، وعن النبى ﷺ يرفع القرآن عن أهل الجنة فلا يقرؤون شيئًا إلا طه ويس نعم فى الحديث يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد درجة فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه.

وفى كتاب البركة: من قرأ يس أربع مرات متتاليات من غير أن يتكلم بشيء ثم يقول سبحان المنفس على كل مديون سبحان المفرج على كل محزون سبحان من أمره بين الكاف والنون سبحان من إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون يا مفرج الهموم يا حى يا قيوم صل وسلم على سيدنا محمد وآله واقض حاجتى ويسميها فإنها تقضى بإذن اللّه تعالى وهو مجرب ثم قال ﷺ: «وخلق اللّه بعد ذلك درة بيضاء وخلق منها عنبراً أشهب ثم كتب له آية الكرسى فمن تعلمها وعرف حقها دخل من أى أبواب الجنة وله بكل حرف مدينة فى الجنة وكتب له بكل حرف حجة وعمرة وخلق بعد لؤلؤة

خضراء منها كافوراً أبيض ثم كتب به قل هو اللَّه أحد وقال هذا اسمى فلم تمر فى سماء إلا خضعت سكانها فمن تعلمها وعرف حقها كان يوم القيامة فى عداد الأنبياء والشهداء وله بكل حرف أربعون مدينة فى الجنة وله بكل حرف ألف نور» وعن النبى ﷺ: «من قرأ قل هو اللَّه أحد حين يأوى إلى فراشه ثلاث مرات وكل اللَّه به سبعين ألف ملك يحفظونه إلى الصباح» رواه الطبرانى قال النيسابورى: قدم قوم من نجران (بالجيم) على النبى ﷺ قالوا: أيا محمد صف لنا ربك هل هو من زبرجد أو ياقوت فقال: إن ربى ليس من شىء لأنه خلق الأشياء فنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١]، فقالوا: هو واحد وأنت واحد فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، قالوا: زدنا قال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ٢]، قالوا: وما الصمد؟ قال: الذى تصمد إليه الخلق فى طلب حوائجهم قالوا: زدنا قال: لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى- عليه السلام-.

وفى كتاب البركة: عن النبى ﷺ من ولد له مولود فسماه محمداً حبّا لى وتبركًا باسمى كان هو ومولوده فى الجنة وما قعد قوم على طعام حلال فيه رجل اسمه اسمى إلا تضاعفت فيه البركة، وعن أبى بن كعب- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ جميع ما أنزل اللَّه على محمد ﷺ» وعن ابن مسعود عن النبى ﷺ: «استكثروا من المعوذتين ينفعكم اللَّه بهما فى الآخرة المعوذتان ينوران القبر ويطردان الشيطان ويزيدان فى الحسنات ويثقلان الميزان ويدلان صاحبها إلى الجنة».

قال فى العقائق: كانت المسافة من مكة إلى المقام الذى أمر النبى ﷺ فيه بالصلوات الخمس ويوحى اللَّه تعالى إليه فيه ما أوحى ثلثمائة ألف سنة، وقيل: خمسين ألف سنة، وقيل: بل فى ليلة واحدة كهذه الليالى وقيل: أقل منها واللَّه تعالى على ما يشاء قدير فلما رجع النبى ﷺ وجد فراشه لم يبرد من أثر النوم، وقيل: إن غصن شجرة أصابه بعمامته فى ذهابه فلما رجع وجده بعد يتحرك ورأى ركبًا من قريش فى طريقه فلما أخبره قومه بالمعراج سألوه عن الركب فقال: مررت على عير بنى فلان وقد ضل لهم بعير وهم يطلبونه فدللتهم عليه وفى رحلهم قدح فيه ماء فأخذته وشربته ثم وضعته مكانه فسألوهم هل وجدوا الماء ثم قالوا أخبرنا عن عيرنا متى تجىء قال تطلع عليكم عند غروب الشمس فخرجوا ينتظرونها فلما كادت الشمس تغرب حبسها اللَّه تعالى فغربت الشمس مع العير فقال رجل هذه العير، وقال آخر: هذه الشمس ثم سألوه عن بيت المقدس فجلاه اللَّه تعالى له حتى صار ينظر إليه فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به فارتد كثير من الناس فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، ثم ذهب جماعة إلى أبى بكر الصديق- رضى اللَّه عنه- فقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه جاء فى هذه الليلة من مكة إلى بيت المقدس فقال: إنكم تكذبون عليه فقالوا: إنه فى المسجد يحدث الناس فقال واللَّه لئن قال ذلك لقد صدق فواللَّه إنه

ليخبرنى بالخبر يأتى إليه من السماء إلى الأرض فى ساعة واحدة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون به فجاء أبو بكر- رضى اللَّه عنه- فقال: يا رسول اللَّه قال هؤلاء إنك جئت من بيت المقدس هذه الليلة قال: نعم قال: فصفه لى فإنى رأيته فوصفه فقال أبو بكر: صدقت أشهد أنك رسول اللَّه وسيأتى أن الذى رآه النبى ﷺ بعين رأسه رآه أبو بكر بعين قلبه فإن قيل موسى ﷺ تبرقع عند عوده من المناجاة ومحمد ﷺ ما فعل ذلك لما رجع من المعراج فما الحكمة فى ذلك فالجواب من وجوه.

الأول: أن موسى رجع عليه أثر الرد بقوله: لن ترانى قال بعضهم: لما قال موسى رب أرنى أنظر إليك وجد مكتوبًا على صخرة ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن والإشارة فى ذلك الرؤية حق ليتيم أبى طالب وخجل الرد يعمى ومحمد ﷺ رجع وعليه أثر القبول وهو يقوى البصر.

الثانى: كما منعه اللَّه تعالى من النظر إليه كذلك منع قومه من النظر إليه.

الثالث: أن موسى غشى وجهه نور لم يغشه قبل ذلك محمد ﷺ منور فى كل الأحوال قال أبو هريرة- رضى اللَّه عنه- : كانت الشمس فى إحدى وجنتيه والقمر فى الأخرى.

الرابع: نور موسى- عليه السلام- كان على وجه فكل من رآه عمى ونور محمد ﷺ فى قلبه فكل من رآه ينور قلبه اهتدى.

الخامس: أراد اللَّه تعالى أن يعنف أمة موسى لما قالوا أرنا اللَّه جهرة فكأنه قال تعالى: هذا موسى رأى بعض آياتنا فلم تستطيعوا أنتم النظر إليه فكيف تريدون أنتم النظر إلى الخالق وقيل لما رجع موسى من المناجاة رجع والبرقع على وجهه فقالت: له زوجته: اكشف عن وجهك فكشف لها عن وجهه فعميت فدعا لها فرد اللَّه بصرها ثم قالت له اكشف عن وجهك فكشف لها عنه فعميت فدعا لها فرد اللَّه عليها بصرها وكذا سبع مرات وما قالت تبت عن قولى لك اكشف عن وجهك فلما كان بعد السابعة وهبها قوة بصرها فثبت على رؤية نور موسى- عليه السلام- فلما طلب الرؤية من اللَّه تعالى وخر صاعقًا قال تبت، قيل له: ارجع وتعلم صدق الطلب من زوجتك حيث اختارت العمى سبع مرات وهى ترجع وأنت من مرة واحدة تقول تبت إليك.

السادسة: إن اللَّه تعالى تجلى لموسى بالجلال وهو يدهش وتجلى لمحمد ﷺ بالجمال وهو ينعش قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى القواعد إن المحبة الناشئة عن معرفة الجمال أفضل من المحبة الناشئة عن الإنعام وعن الإفضال لأن محبة الجمال نشأت عن جمال اللَّه تعالى ومحبة الإنعام والإفضال نشأت عما صدر من فضله ونعمه والتعظيم والإجلال أفضل من الكل، وقال البلقينى فى الفوائد على القواعد، وهذا يقتضى أن مقام الجلال أفضل من مقام الجمال والذى اختاره شيخنا أن مقام الجمال أفضل لأنه مقام النبى ليلة المعراج ومقام الجلال مقام موسى لما تجلى ربه للجبل ومقام نبينا أفضل، واللَّه أعلم، وقد أجاد القائل:

محمد العربى الهاشمى رسو ... ل اللّه خير البرايا شافع الأمم
الزاهد العابد القَوَّام فى الظلم ... حتى اشتكت قدماه الضر من ورم
هذا الذى أشرقت أنوار غرته ... كأنها فى الدجى من أوفر القسم
بالروح والجسم أسرى فى الظلام به ... وليس ينكر سير البدر فى الظلم
على البراق إلى السبع الطبقات رقى ... وقد رأى اللّه رؤيا غير متهم
من ذا الذى قد دنا من نحو خالقه ... كقاب قوسين أو أدنى ولم يضم
سوى الحبيب الشفيع السيد السـ ... ـند البر الرؤف الحليم العالم العلم
خير الملائكة الأشراف بين يدى ... خير البرية يمشى وهو محتشم
اللّه أرسله للعالمين هدى ... ورحمة وكذا فى يوم حشرهم
فى يوم لا والد يغنى ولا ولد ... وكلهم خائف من زلة القدم
هناك غير رسول اللّه أحمد فى ... مقامه ذلك المحمود لم يقم
يقال يسمع فقل واطلب مناك تنل ... واشفع تشفع وقل ما شئت واحتكم
لولاك ما كان لا عرش ولا فلك ... يا من غدا رحمة للناس كلهم
هذا المقام الذى ما ناله أحد ... سوى محمد المبعوث بالحكم
يا سيد الرسل يا كنز العفاف ويا ... ذخر العصاة غدا يا عالى الهمم
كن منقذى ومغيثى أنت معتمدى ... وغير بابك للحاجات لم يرم
صلى عليك إله العرش ما طلعت ... شمس النهار ولاحت أنجم الظلم

فنسألك اللهم بجاه هذا النبى الكريم وبما كان بينك وبينه ليلة الخلوة والجلوة والتقريب والتعظيم، أن تغفر لنا كل ذنب عظيم وتنظر إلينا بعين رحمتك يا رحيم وارزقنا شفاعته بأدبك وعلمك ورضاك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب: وفاة النبى ﷺ

الحمد للّه ذى العزة والإجلال، والعظمة والبهاء والجمال والهيبة والسلطان والكمال الأزلى، القديم بلا زوال الأبدى الباقى بلا انتقال المقدس عن النظير والشبيه والمثال المنزه عن الفوق والتحت واليمين والشمال، الغالب فى حكمه بلا نزاع ولا جدال القدير الذى قر الأرزاق والآجال العادل فى حكمه بالموت بين الدون والعال والصغير والكبير والسادة والموالى ولو فدى منه أحد

لفدى محمد العالى سوى بين الغنى والفقير والشريف والحقير، على التفصيل والإجمال فالفوز لمن رضى بحكمه وسلم له الفعال والزلفى لمن شكره فى سائر الأحوال، لأن الموت رحلة من دار الهون والأهوال إلى دار السلامة والكرامة والنوال دار عيشها هنئ وطعامها مرئ طيبة الظلال دار صفوها بلا كدر ولا نوم فيها ولا ضجر غرفها عوال دار ترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ والمرجان لا قيل فيها ولا قال دار لا تعب فيها ولا نصب ولا هم ولا غم ولا وصب وبنيانها من فضة وذهب وحورها يرفلن فى حجال أنهارها جارية وثمارها دانية وقصورها عالية، ونعيمها لم يخطر على بال أهلها من مروج الصندل يضحكون وفى رياض العنبر يتبخترون إخوانًا على أرائك الياقوت، اقبال وأفضل ذا وذا كشف الحجاب عن وجه ذى الجلال أخى فلا من الموت تجزع ولا فى البقاء تطمع فلنا أسوة بمن مضى ومثال فما ثم إلا التفويض والتضرع والابتهال أحمده على بره المتوالى وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له شهادة تنجينا جميعًا من الأضلال والأهوال ونستعين بها جميعًا تحت التراب فى الجواب عند السؤال وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ومحو الضلال ﷺ بالغدو والآصال، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤]، قال القشيرى فى تفسيره والسلمى فى حقائقه سقمت البصائر عند وفاة محمد ﷺ إلا رجل واحد وهو أبو بكر الصديق- رضى اللَّه عنه- فإن اللَّه تعالى أيده بقوة السكينة، فقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات فصار الكل مقهورين تحت سلطان ملته لما بسط اللَّه عليه من نور جلالته، كالشمس بطلوعها يندرج فيها شعاع أنوار الكواكب، قال القشيرى: وإنما قال: أفئن مات أو قتل لأنه مات وقتل أيضًا بالسم الذى أكله يوم خيبر من الشاة المسمومة.

قال الرازى: بين اللَّه تعالى آيات كثيرة أن محمدًا ﷺ لا يقتل قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، والمقصود من الآية أن اتباع الرسل المتقدمين ما تغيروا عن دينهم بعد موت أنبيائهم فكذلك كونوا أنتم مثلهم قال اللَّه تعالى وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير أى قتل معه جماعات كثيرة فلما وهنوا لما أصابهم فى سبيل اللَّه أى خافوا وما ضعفوا أى ما ضعفت قلوبهم وما استكانوا أى ما أظهروا البدع والآية نزلت فى غزوة أحد.

قال القرطبى: عرف الناس موت محمد لما قرأ أبو بكر: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤]، ودلت على شجاعته- رضى اللَّه عنه- ولما مات ﷺ أظلم من المدينة كل شىء، ولما دخل على المدينة أضاء منها كل شىء.

قال البغوى فى تفسيره: عن الحسن علم النبى ﷺ اقتراب أجله بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١]، قال قتادة: عاش بعدها عامين قال فى روض الأفكار: ما ضحك فيهما وهذه السورة تسمى سورة التوديع قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- ولما كان قبل موته ﷺ بشهر نعى إلينا نفسه الكريمة ثم جمعنا فى بيت عائشة- رضى اللَّه عنه- فبكى، وقال مرحبًا بكم أراكم اللَّه

هداكم اللّه أوصيكم بتقوى اللّه وأوصى اللّه بكم وأستخلفه عليكم، إنى لكم منه نذير مبين فقددنا الأجل والمنقلب إلى اللّه تعالى وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى، وكان مرضه ﷺ إثنى عشر يومًا أولها يوم الخميس وآخرها يوم الاثنين.

قال القرطبى: فى آل عمران مات يوم الاثنين بلا خلاف فى الساعة التى دخل فيها المدينة حين اشتد الضحى من يوم الاثنين أيضًا وهو يوم الولادة والرسالة أيضًا لكن الرسالة كانت فى رمضان والولادة والوفاة فى ربيع الأول ثم خرج إلى أصحابه وقد عصب رأسه وصعد المنبر، ثم قال: «**من كنت جلدت له ظهراً أو شتمت له عرضًا فهذا ظهرى وعرضى فليقتص منهما ومن أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منه أو يحاللنى فلقيت اللّه وأنا طيب النفس**» وأما قيام عكاشة- رضى اللّه عنه- وطلبه القصاص من رسول اللّه ﷺ بالقضيب المشقوق فصرح ابن الجوزى وغيره بأنه كذب وإنما الذى طلب القصاص يوم بدر سواد بن غزية- رضى اللّه عنه- كما تقدم فى باب فضل العدل ولكن أول مرضه صداعًا فى رأسه وفى أيام صحته قال أعرابى يا نبى اللّه أخبرنى عن الصدع، فقال: «عروق تضرب الإنسان فى رأسه» فقال الرجل: ما وجدت هذا فلما انصرف الرجل قال النبى ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا» رواه الإمام أحمد.

ورأيت فى كتاب البركة: عن كعب الأحبار- رضى اللّه عنه- قال: شكانبى من الأنبياء الصداع إلى ربه عزّ وجل فأمره أن يأكل الدباء باللبن وإذا أخذ من المسك وزن نصف عدسة من مثله من الزعفران وتسعط من صداع بارد نفعه وشم المسك يقطع الرياح من سائر الجسد وتقدم أول الكتاب زيادة فى باب الدعاء.

قال ابن رجب: لطائف كان عنده ﷺ فى مرضه سبعة دنانير فأمرهم بالتصدق بها فاشتغلوا بوجعه فدعا بها وتصدق بها ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقى اللّه وعنده هذا، قال ابن رجب: فكيف حال من يلقى اللّه بدماء المسلمين وأموالهم بغير حق.

ورأيت فى الدر الثمين فى خصائص الصادق الأمين: أن اللّه تعالى كلم موسى- عليه السلام- مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة يقول كل كلمة، وقتلت نفسًا بغير حق مع أنه كان كافراً بخبز عجين فرعون.

قال وهب: أوحى اللّه إليه يا موسى النفس التى قتلتها لو أقرت لى طرفة عين أنى خالق ورازق لأذقتك طعم العذاب وسبب قتله أنه اشترى حطبًا وأمر رجلاً من شيعة موسى أن يحمله إلى مطبخ فرعون فامتنع من ذلك واستغاث بموسى فوكزه وكزة كان فيها أجله ثم قال بن رجب أرسلت عائشة- رضى اللّه عنها- بالمصباح ليلة الاثنين إلى امرأة من الأنصار، فقالت قطرى لنا فيه عكة السمن فإن رسول اللّه ﷺ أمسى فى شدة الموت وكان ﷺ يضع يده الكريمة فى الماء ويمسح وجهه، ويقول لا إله إلا اللّه إن للموت سكرات اللهم هون على محمد سكرات الموت فقالت فاطمة- رضى اللّه

عنها- : واكرباه لكربك يا رسول اللّه، فقال: لا كرب على أبيك بعد اليوم قالت عائشة- رضى اللّه عنها- : فدعوت له بالشفاعة لما أغمى عليه فلما أفاق قال: لا بل أسألى اللّه الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل وإسرافيل ثم قال: إنه ليهون على الموت أنى رأيت بياض كف عائشة فى الجنة قال فى روض الأفكار: هبط جبريل وملك الموت وملك يقال له إسماعيل معه سبعون ألف ملك وذكر غيره أن عزرائيل وقف على الباب، وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أأدخل ولابد من الدخول، فقال رسول اللّه ﷺ: «هذا مفرق الجماعات هذا ملك الموت ثم أذن له فى الدخول فقال: أين تركت أخى جبريل؟ قال: تركته فى سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك وإذا بجبريل قد دخل وسلم وقال: هذا ملك الموعد يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك، ثم قال جبريل: السلام عليك يا رسول اللّه هذا آخر موطئى من الدنيا وإنما كنت حاجتى من الدنيا، نعم جبريل لا ينزل بالوحى إلى الدنيا بعده، وأما بغيره فينزل إلى الدنيا كليلة القدر فقال: جبريل بشرنى قال: أبواب الجنة قد تفتحت بقدرة روحك قال: ليس عن هذا اسأل بشرنى يا جبريل قال: قد اصطفت الملائكة لملاقاة روحك، قال: ليس عن هذا اسأل بشرنى من لقراء القرآن بعدى من لصوام رمضان بعدى، قال: أبشر فإن الجنة حرمت على جميع الأمم حتى تدخلها أنت وأمتك، فقال الآن قد طاب الموت ادن منى يا ملك الموت فعالج روحه الطيبة فولى جبريل بوجهه فقال: يا جبريل ولم تول وجهك عنى، فقال: ومن يستطيع النظر إليك وأنت تعالج سكرات الموت» قالت عائشة- رضى اللّه عنها- : لما خرجت روحه الطيبة ما شممت ريحًا أطيب منها ثم وقعت الظلمة فى المدينة حتى لا يرى بعضهم بعضًا واختلف حال الصحابة فى هذه المصيبة فمنهم من أقعد ومنهم من أخرس لسانه إلى فراغ العزاء حتى تكلم ومنهم من أضنى كالمريض حتى مات، وثبت أبو بكر الصديق- رضى اللّه عنه- كما تقدم ثم بايعه الناس بالخلافة وذلك بتوفيق اللّه وأول من بايعه عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه- وذكر القرطبى فى تفسير آل عمران أن الرافضة انقسمت اثنتى عشرة فرقة، كل فرقة فى السعير فمن أراد أن يرى قبائح هذه الفرق فلينظر فى تفسير القرطبى فى قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ثم بايع الناس أبا بكر الصديق- رضى اللّه عنه- وأخذوا فى تجهيز النبى ﷺ إلى قبره الشريف الذى هو أفضل من العرش والكرسى فغسله على بالماء البارد فى ثوبه ومعه العباس ومعه ولده الفضل وأسامة بن زيد يصب الماء ثم كفنوه فى ثلاثة أثواب بيض، تحت السقف وحول ستر ولم يخرج منه شىء كالأموات فقال على- رضى اللّه عنه- : ما أطيبك حيًا وميتًا يا رسول اللّه ثم دخل الناس وصلوا عليه فرادى بغير إمام بعدهم النساء ثم الصبيان، وقيل: أول من صلى عليه ربه ثم الملائكة ثم الأنبياء ثم ألحده أبو طلحة فى ليلة الأربعاء فى الموضع الذى مات فيه وقيل: ليلة الثلاثاء وعمره ثلاث وستون سنة، قال سفيان الثورى- رضى اللّه عنه- من بلغ ثلاثًا وستين سنة فليستعد للكفن، فلما دفن ﷺ قال أبو بكر- رضى اللّه عنه- هذه الأبيات وحكاها القرطبى عن صفية عمة النبى ﷺ:

ألا يا رسول اللّه كنت رجاءنا ... وكنت بنا برًا ولم تك جافيا

وكنت بنا برًا رحيمًا وهاديًا ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا

لعمرك ما أبكى لخل فقدته ... ولكن لهرج بعده كان آتيا

أفاطم صلى اللّه رب محمد ... على جسد أمسى بيثرب ثاويا

فدىً لرسول اللّه أمى وإخوتى ... وعمى وآبائى ونفسى وخاليا

فلو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

عليك من اللّه السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

قال القرطبى في روض الأفكار:وقال عمر بن الخطاب يرثى النبى ﷺ بعد وفاته :

ما زلت مذ وضع الفراش لجنبه ... وسوى عليه خائفًا أتوقع

شفقًا عليه أن يزول مكانه ... عنا فنبقى بعده نتفجع

ليت السماء تفطرت أكنافها ... وتناثرت منها النجوم اللمع

لما رأيت الناس هد جميعهم ... موت ينادى بالنعىّ فيسمع

والناس حول نبيهم يدعونه ... يبكون أعينهم بماء تدمع

وسمعت صوتًا قبل ذلك هدنى ... عباس ينعاه بصوت يقطع

يبكيه أهل للمدينة كلهم ... والمسلمون بكل خطب يجزع

قال القرطبى فى آل عمران: فإن قيل : فلم أخر دفن النبى ﷺ وهو قد أمر بتعجيل تجهيز الميت؟ .

فالجواب: من وجوه :

الأول: أنهم اختلفوا فى موته ﷺ فمنهم من أنكره، حتى قال عمر- رضى اللّه عنه- : من قال إن محمدًا قد مات ضربت عنقه .

الثانى: أنهم اختلفوا فى دفنه فمنهم من قال : يدفن فى البقيع ومنهم من قال : يحبس حتى يحمل إلى أبيه إبراهيم ومنهم من قال : يدفن فى المسجد فقال الصديق- رضى اللّه عنه- سمعته ﷺ يقول : **«ما دفن نبى إلا حيث يموت»** .

الثالث: أن الأنصار والمهاجرين اختلفوا فى الخلافة فلما وفق الفريقين لتولية أبى بكر- رضى اللّه عنه- وبايعوه، قاموا إلى تجهيزه ﷺ كما تقدم ثم بايع الناس أبا بكر- رضى اللّه عنه- بيعة أخرى

من الغد وكشف اللّه به الكربة من أهل الردة وأقام به الدين والحمد للّه رب العالمين، والبيعتان قبل دفنه ﷺ فنسأل اللّه العظيم بجاهه على ربه أن يجمع بيننا وبينه فى الدار الآخرة فى عافية بلا محنة.

ورأيت فى السبعيات للهمدانى: قال أنس- رضى اللّه عنه- : مررت بباب عائشة- رضى اللّه عنها- فسمعتها تقول فى بكائها: يا من لم يلبس الحرير ويا من لم ينم على فراش وثير ويا من لم يشبع من خبز الشعير، يا من اختار الحصير على السرير يا من لم ينم الليل خوف السعير، ثم حكى عن معاذ- رضى اللّه عنه- أنه قال: كنت ليلة نائمًا باليمن لما وجهنى رسول اللّه ﷺ أعلم أهله الإسلام فرأيت قائلاً يقول يا معاذ أتنام ورسول اللّه ﷺ بين أطباق التراب فاستيقظت مرعوبًا ثم نمت فرأيت كذلك فى آخر الليل كذلك فأخذت المصحف نهاراً فأول سطر قرأته ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ [الزمر: ٣٠]، فبكى معاذ ورحل من اليمن إلى المدينة وهو يقول وامحمداه. أين أنت أفوق الأرض أم تحتها؟ فلما قربت من المدينة سمعت هاتفًا من بعض الأدوية يقول ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فدنا منه معاذ فإذا هو رجل من الأنصار، فقال: يا معاذ إن رسول اللّه ﷺ فارق الدنيا فوقع معاذ مغشيًا عليه فلما أفاق رفع له كتاب أبى بكر الصديق- رضى اللّه عنه- وعليه ختم بخاتم رسول اللّه ﷺ فقبله وبكى فلما دخل المدينة جاء إلى عائشة- رضى اللّه عنها- وفاطمة- رضى اللّه عنها- وقال: السلام عليكم يا أهل البيت فقالت فاطمة: إن رسول اللّه ﷺ قال: يا فاطمة اقرئى معاذ منى السلام وأخبريه أنه يأتى يوم القيامة أمام العلماء، ثم زار قبر النبى ﷺ فقالت فاطمة- رضى اللّه عنها- شعراً:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا

فائدة: رأيت فى لقط المنافع لابن الجوزى فى الباب الثالث عشر فى ذكر الطيب: أن الغالية من مسك وعنبر وكافور يخلط الجميع بدهن البان واللينوفر، وشمها يسكن الصداع البارد وهى نافعة للدماغ البارد وشم المسك والعنبر تقدم أول الكتاب وشم الصندل ينفع من الصداع الحار ويقوى الكبد والمعدة الحارين إذا طلى عليهما من الخارج، وتقدم أن دهن الحواجب قبل الرأس بأى دهن كان ومرور المشط عليها قبل الرأس واللحية أمان من الصداع ويبدأ من اليمين قال فى لفظ المنافع فى الباب الثانى عشر: من ذكر الباب ولبس خفه باليمين ونزعه باليسرى آمن وجع الطحال، واللّه أعلم.

***

باب: مناقب أمهات المؤمنين- رضى الله عنهن

الأولى: خديجة بنت خويلد- رضى اللَّه عنها- كانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة وكانت أكثر قريش مالاً وأعظمهم شرفًا، وكانت تتاجر الرجالة فى مالها وتضاربهم بشىء معلوم قال فى المنهاج: القراض والمضاربة أن يدفع إليه دراهم أو دنانير ليتجر والربح مشترك فلما بلغ خديجة- رضى اللَّه عنها- حديث رسول اللَّه ﷺ وصدقه وأمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه أن يخرج من مالها إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطى غيره مع غلام لها يقال له ميسرة فقبل منها، وخرج فى مالها إلى الشام حتى قدم مدينة بصرة من أرض حوران وكان قد خرج مع عمه أبى طالب إلى بصرة أيضًا و له اثنتا عشرة سنة فى رحلة الصيف وكانت قريش يتاجرون فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام، فكان ذلك لا يشق عليهم ويشق على أنفسهم عبادة رب البيت فلذلك أتى بلام التعجب فقال تعالى: ﴿ **لإِيلافِ قُرَيْشٍ** ① ﴾ [قريش: ١]، أى أعجبوا ﴿ **لإِيلافِ قُرَيْشٍ** ① **إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ② ﴾ [قريش: ١، ٢]، وتركهم العبادة ثم إن اللَّه تعالى يسر لهم الأرزاق فى البر على الإبل وغيرها وفى البحر المراكب وأمرهم بالعبادة، فلما دخل رسول اللَّه ﷺ بصرى مع غلام خديجة رآه بحيرة الراهب، وقيل غيره وإنما رآه بحيرة فى الكرة الأولى فقال الراهب: من هذا؟ قال: غلام من قريش قال: ما ينزل تحت هذه الشجرة إلا نبى فلما رجع ﷺ إلى مكة فباعت خديجة- رضى اللَّه عنها- ما جاء به رسول اللَّه ﷺ من التجار بربح كثير وحدثها ميسرة بقول الراهب وقال ميسرة: كان إذا اشتدت الحرارة نزل عليه ملكان يظللان عليه من الشمس، وهو على بعيره فأرسلت إليه وعرضت نفسها عليه ثم أرسلت إليه شيئًا ليرسله إلى أبيها حتى يرغب فيزوجه بها فذكر ذلك رسول ﷺ لأعمامه فخرج حمزة وأبو طالب، ورؤساء الحرم إلى خويلد بن أسد فخطب أبو طالب وقال الحمد للَّه الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وجعل بيتنا محجوبًا وحرمًا آمنًا وجعلنا سواس حرمه والحكام على الناس ثم إن ابن أخى محمد لا يوزن برجل إلا رجح به فإن كان المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل، وقد خطب خديجة ولها من الصداق ما عاجله وآجله كذا وهو واللَّه بعد هذا له نبأ فزوجه أبوها خويلد وهى بنت أربعين سنة وهو ابن خمس وعشرين، وأصدقها عشرين بكرة ونحر فى وليمتها جزورين.

ورأيت فى كتاب شرف المصطفى: أن أبا طالب قال: يا محمد أنت يتيم فقير وهذه خديجة تستأجر الأجراء فهل لك أن أذهب بك لعلها تستأجرك فتنال منها خيراً، قال: نعم فأقبل به إليها، فقالت: نعم اجعل لكل أجير ناقة وأجعل لمحمد ناقتين فخرج مع غلامها ميسرة، وقالت: لا تعص لمحمد أمراً فلما نزلوا بقرب بحيرة قال: من أنت؟ قال: أنا غلام خديجة فدنا من محمد ﷺ وقبل رأسه وقال آمنت بك ثم قال: يا محمد رأيت منك العلامات كلها إلا واحدة فاكشف لى عن كتفك

فكشف له فنظر إلى خاتم النبوة وتقدم ببابه فى المولد فقبله، وقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً رسول اللَّه مرتين، ثم قال: يا غلام احتفظ عليه من اليهود فإنهم أعداؤه.

ورأيت فى الدر الثمين: أن الراهب اسمه نسطوراً ولم يذكر أنه أسلم وذكر أن بحيرة الراهب كان رآه فى السفرة الأولى مع عمه أبى طالب فربح ميسرة ربحًا لم يربح مثله، قال: يا محمد عجل إلى خديجة وبشرها بالربح الكثير وكانت خديجة- رضى اللَّه عنها- يحملها خدمها إلى سطح دارها فرأت محمداً ﷺ على بعير وعن يمينه ملك شاهر سيفه وعن شماله كذلك والعمامة على رأسه فلما نزل على بابها وثبت إليه فإذا هى بمحمد ﷺ فأخبرنا بالربح، فقالت له: ارجع إلى ميسرة وقل له: عجل وإنما أرادت تأكيد محمد فلما تحققته امتلأ قلبها فرحًا فلما قدم ميسرة، سألته عن رسول اللَّه ﷺ، فقال: أخبرنى بحيرة الراهب أن محمداً نبى هذه الأمة فقالت: يا محمد اذهب إلى عمك أبى طالب وقل له: عجل علينا فظن أبو طالب أنها ترد محمداً عليه فشق ذلك عليه فلما دخل عليها قالت: اذهب إلى عمى وقل له يزوجنى بمحمد ﷺ فقام أبو طالب إليه فوجده سكران فزوجها اياه وتقدم أن السكران إذا شرب الخمر مختاراً عالمًا بالتحريم أن طلاقه وتزويجه وبيعه وسائر تصرفاته القولية والفعلية عليه نافذة صحيحة، ورأيت فى عقائق الحقائق أن النبى ﷺ لما تزوج خديجة كثر كلام الحساد فيها فقالوا إن محمداً ﷺ فقير وتزوج بأغنى النساء فكيف رضيت خديجة بفقره فلما بلغها ذلك أخذتها الغيرة على محمد ﷺ أن يعير بالفقر، فدعت رؤوساء الحرم وأشهدتهم أن جميع ما تملكه لمحمد ﷺ فإن رضى بفقرى فذلك من كرم أصله فتعجب الناس منها وانقلب القول، فقالوا: أن محمداً أمسى من أغنى أهل مكة وخديجة أمست من أفقر أهل مكة فأعجبها ذلك، فقال النبى ﷺ: «بم أكافئ خديجة فجاءه جبريل- عليه السلام- وقال: إن اللَّه تعالى يقرئك السلام ويقول لك: مكافأتها علينا فانتظر النبى ﷺ المكافأة فلما كان المعراج ودخل الجنة وجد فيها قصراً مد البصر فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فقال جبريل: لمن هذا، قال لخديجة فقال: هنيئًا لها فقد أحسن اللَّه مكافأتها».

مسألة: تمليك المجهول باطل قال: ألمحب الطبرى قال الزهرى وقتادة أول من آمن من النساء خديجة- رضى اللَّه عنها- بعث النبى ﷺ يوم الاثنين من شهر رمضان فآمنت به خديجة فى ذلك اليوم، وكان النبى ﷺ يتعبد فى غار حراء فى شهر رمضان فإذا مضى رمضان رجع إلى أهله إلى مكة فطاف بالكعبة سبعًا قبل أن يدخل على خديجة فلما كانت السنة التى أرسله اللَّه فيها وهو فى غار حراء نزل عليه جبريل من عند رب العالمين، ورأيت فى الدر الثمين فى خصائص الصادق الأمين نزل عليه إسرافيل ثلاث سنين بكلمة الوحى، ثم وكل به جبريل بالوحى إليه والوحى على أقسام سبعة قسم فى النوم وقسم فى اليقظة كما فى ليلة الإسراء وقسم ينزل به إسرافيل وقسم ينزل به جبريل وقسم يأتيه مثل صلصلة الجرس وقسم ينفث فى روعه الكلام نَفْثًا وقسم يكلمه اللَّه من وراء

حجاب، ورأيت في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا** ﴾ [الشورى: ٥١]، وهو داود- عليه السلام- أو من وراء حجاب وهو موسى أو يرسل رسولاً وهو جبريل إلى محمد ﷺ، فلما جاء جبريل قالت الأحجار: السلام عليك يا رسول اللَّه وفى رواية فخرجت حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتًا من السماء يا محمد أنت رسول اللَّه وأنا جبريل فرفعت رأسى فإذا جبريل فى صورة رجل فى أفق السماء فلا أنظر إلى ناحية منها إلا رأيته فلا زلت واقفًا لا أتقدم ولا أتأخر حتى بعثت خديجة رسولاً فى طلبى ثم انصرف عنى وانصرفت عنه إلى أهلى، فقالت خديجة: يا أبا القاسم أين كنت فواللَّه لقد بعثت رسولى فى طلبك فحدثتها بالذى رأيت فقال: أبشر واثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة وفى رواية أنها قالت: ألا تستطيع أن تخبرنى بصاحبك إذا جاء قال نعم فجاءه جبريل فقال: يا خديجة هذا جبريل قالت: فاجلس على فخذى الأيسر ففعل، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم فحولته إلى الأيمن ثم قالت: هل تراه؟ قال: نعم فاجلسته فى حجرها وقالت: هل تراه؟ قال: نعم فكشفت عن وجهها فقالت: هل تراه؟ قال: لا فقلت: أبشر فواللَّه إنه ملك ما هو شيطان ثم لبست ثيابها ودخلت على ورقة بن نوفل وهو ابن عمها فأخبرته بذلك، فقال: قدوس قدوس والذى نفسى بيده لئن صدقت يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ثم قام ورقة إلى النبى ﷺ وقبل رأسه قال محمد بن إسحاق: كان النبى ﷺ لا يسمع شيئًا يكرهه من الرد عليه والتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج اللَّه عنه بخديجة إذا رجع إليها فتثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس.

ومن كرامتها أيضًا: أن النبى ﷺ قال: يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام فقالت اللَّه السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وفى رواية قال جبريل: يا محمد ما نزلت من عند سدرة المنتهى إلا ويقول اللَّه تعالى يا جبريل سلم على خديجة، وفى رواية قال جبريل: يا محمد هذه خديجة قد أتتك بالماء فيه طعام أو شراب فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من اللَّه ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والحكمة فى كونه من قصب وهو اللؤلؤ المجوف لأنها حازت قصب السبق إلى الإسلام والصخب رَفْعُ الصياح والنصب التعب وقالت فاطمة- رضى اللَّه عنها- : أى بعد موت أمها واللَّه يا نبى اللَّه لا ينفعنى طعام ولا شراب حتى تسأل جبريل عن أمى فسأله فقال: هى بين سارة ومريم فى الجنة وقال معاذ- رضى اللَّه عنه- قال النبى ﷺ لخديجة- رضى اللَّه عنها- وهى فى سكرات الموت: «**أتكرهين ما قد نزل بك واللَّه لقد جعل اللَّه لك فى السكرة خيراً فإذا قدمت على ضراتك فاقرئهن منى السلام مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثوم أخت موسى - عليه السلام-**» فقالت: على الوفاء يا رسول اللَّه ذكره القرطبى فى تفسير سورة التحريم، وفى العرائس أخت موسى اسمها مريم وأمها اسمها يوحانذ بنت يصهر بن لاوى بن يعقوب وتقدم اسم أبى موسى فى الوفاء، قالت عائشة- رضى اللَّه عنها- كان النبى ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من الثناء عليها

والاستغفار لها فذكرها ذات يوم فقلت قد عوضك اللّه خيرًا من كبيرة السن فرأيته غضب غضبًا شديدًا فندمت، وقلت: اللهم إن أذهبت غيظ رسولك لم أعد إلى ذكرها بسوء أبدًا ثم قال: كيف قلت واللّه لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس وآوتنى إذ رفضنى الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وفى رواية فذكرها يوم فقالت: هل كانت إلا عجوزًا قد أخلفك اللّه خيرًا منها فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال لا واللّه ما أخلف اللّه لى خيرًا منها فقلت فى نفسى لا أذكرها بسوء أبدًا فلذلك رجح جماعة منهم اليمنى فى مختصر الروضة تفضيلها على عائشة ولم يرجح النووى فى الروضة شيئًا، قال النبى ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» ماتت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وهى بنت خمس وستين سنة ودفنت بالحجون، نزل النبى ﷺ فى قبرها ولم تكن يومئذ الجنازة فرضًا وقيل ماتت بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام فطمعت قريش بعد ذلك فى النبى ﷺ وبالغوا فى أذاه قال الطبرى كل أولاده ﷺ منها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية كما سيأتى فى مناقب فاطمة- رضى اللّه عنها-، وتزوجت خديجة قبل النبى ﷺ برجلين أولهما عتيق بن عابد بن عبد اللّه ثم تزوجها بعده أبو هالة، قال القرطبى: كان اسمه أبو زرارة فولدت منه ولدًا فعاش وأدرك الإسلام وكان يقول أنا أكرم الناس أبًا وأمًا وأخًا وأختًا أبى رسول اللّه ﷺ وأمى خديجة وأخى القاسم وأختى فاطمة فلما مات بالبصرة ازدحم الناس على جنازته، وقالوا ربيب رسول اللّه ﷺ قيل: قتل مع على- رضى اللّه عنه- فى موقعة الجمل، واللّه تعالى أعلم.

الثانية عائشة أم المؤمنين- رضى اللّه عنها- : تُكَنَّى بأم عبد اللّه لأنها قالت: يا رسول اللّه كنيت نساءك فكننى؟ قال: تكنى بابن أختك أم عبد اللّه وهى أول امرأة عقد عليها بعد خديجة وأصدقها أربعمائة درهم وأول من خيرها من نسائه لما قال اللّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا**﴾ الآية [الأحزاب: ٢٨]، قال القرطبى عن العلماء: إنما أمر النبى ﷺ عائشة- رضى اللّه عنها- أن تشاور أبويها لأنه كان يحبها فخاف أن يحملها فرط الشباب على أن تختار فراقه وكان النبى يعلم من أبويها أنهما لا يأمرانها بفراقه فلما اختارت عائشة- رضى اللّه عنها- رسوله قالت: لا تخبر نساءك بما قلت فقال: لا تسألنى امرأة منهن إلا خيرتها أن اللّه بعثنى معلمًا ميسرًا فلما قلن له ما قالت عائشة أنزل اللّه تعالى مكافأة لهن لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج كما كان فى الجاهلية يقول الرجل: يا فلان أنزل لى عن زوجتك وأنزل لك عن زوجتى قال الحسن بهذه الآية حرم عليه أن يتزوج عليهن، وقال عكرمة بالجواز حكاه القرطبى فى تفسير سورة الأحزاب.

قال فى الروضة: وله الزيادة على الأصح والتحريم منسوخ بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ**﴾ الآية [الأحزاب: ٥٠]، ليكون له المنة عليهن بترك التزوج قال عطاء بن أبى رباح كانت

عائشة- رضى اللّه عنها- أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس، وعن ابن عمر- رضى اللّه عنهما- عن النبى ﷺ أتانى جبريل، فقال: إن اللّه قد زوجك بابنة أبى بكر ومعه صورة عائشة، قالت: عائشة لا أبالى منذ علمت أنك زوجى فى الجنة.

قال فى الزهر الفاتح: لما ماتت خديجة اغتم النبى ﷺ فجاءه جبريل بورقة منقوش عليها صورة عائشة، وقال يا محمد إن اللّه تعالى يقرئك السلام ويقول: إنى زوجتك البكر التى تشبه هذه الصورة فى السماء فتزوجها أنت فى الأرض فدعا النبى ﷺ الدلالة يعنى الخطابة، وقال: هل تعرفين فى مكة بكرًا تشبه هذه الصورة؟ قالت: نعم بنت أبى بكر تشبهها فدعا النبى ﷺ أبا بكر وقال إن لك بنتًا تشبه هذه الصورة زوجنى اللّه بها وأمرك أن تزوجنى بها فى الأرض قال: إنها صغيرة قال: لو لم تكن صالحة لما زوجنى اللّه بها فعقد النكاح، ورجع أبو بكر إلى منزله وأرسل مع عائشة طبقًا من تمر وقال قولى له: هذ الذى سأل عنه رسول اللّه فلا أدرى أيصلح أم لا؟ فأتت النبى ﷺ واخبرته بذلك فقال يا عائشة: قبلنا ثم قبلنا. قال المحب الطبرى: عقد عليها فى شوال بالمدينة وهى بنت ست، ودخل بها وهى بنت تسع وأقام عندها تسعًا وتقدم فى باب حفظ الأمانة إذا قصد نكاحها فالسنة أن ينظر إليها قبل الخطبة، وإن لم تأذن له وله تكرر نظره فإن لم يتيسر بعث امرأة تصفها له.

قال فى الروضة: لو خطب البكر رجل فامتنع أبوها فزوجته نفسها وزوجها الأب غيره فالأول هو الصحيح إن وطئها وإلا فالثانى إن لم يحكم بالأول حنفى واللّه أعلم، قالت عائشة: قلت: يا رسول اللّه ادع اللّه يغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فرفع يديه حتى رأيت منه أبطيه، ثم قال: اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ولا تكسب بعدها خطيئة ولا اثمًا قال أفرحت يا عائشة قلت أى والذى بعثك بالحق قال: والذى بعثنى بالحق ما خصصتك بها من بين أمتى وأنها لصلاة أمتى فى الليل فيمن مضى منهم ومن يبقى إلى يوم القيامة فأنا أدعو لهم والملائكة يؤمنون على دعاءه ﷺ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، قال النعمان بن بشير: جاء أبو بكر الصديق- رضى اللّه عنه- يستأذن على النبى ﷺ فأذن له فوجد عائشة رافعة صوتها على رسول اللّه ﷺ فقال: يا بنت أم رومان ترفعين صوتك على رسول اللّه وتناولها بالكف فحال بينه وبينها فلما خرج أبو بكر ثانيًا جعل النبى ﷺ يترضاها، ويقول ألا ترين قد أحلت بينك وبين الرجل ثم جاء أبوها ثانيًا فوجد النبى ﷺ يضاحكها فقال: يا رسول اللّه أشركانى فى سلمكما كما أشركتمانى فى حربكما وقالت عائشة- رضى اللّه عنها- : كان بينى وبين النبى ﷺ كلام فقال: أترضين بأبيك؟ قالت: نعم فبعث النبى ﷺ إليه فقال: إن هذه كان أمرها كذا وكذا فقالت: اتق اللّه ولا تقل إلا حقًا فضربها أبو بكر ففار الدم من رأسها ثم قام إلى جريدة فجعل يضربها ففرت هاربة فلصقت بظهر النبى ﷺ فقال له: لم ندعك لهذا أقسمت عليه لما خرجت عنا فلما خرج أبو بكر تنحت عن النبى ﷺ فقال لها: ادن منى فأبت فتبسم النبى ﷺ وقال النسفى قالت عائشة للنبى: ما فى بيتك ما يؤكل فغضب ﷺ

وخرج من البيت فأرادت مصالحته فسبقها فوضعت خدها على الأرض وتضرعت إلى اللّه تعالى بالبكاء فلمـا وضع النبى ﷺ رجله على باب المسجد وأراد الدخول جاءه جبريل، وقال: إن اللّه تعالى يقول لك ارجع وصالح عائشة فرجع وصالحها فقالت يا رسول اعف عنى فنزل جبريل بطبق من الحلوى وقال: إن اللّه تعالى يقول لك: كان الصلح منا وطعام الصلح علينا.

قال فى كتاب العقائق: عن النبى ﷺ زوجنى عائشة ربى فى السماء وأشهد عقدها الملائكة وأغلقت أبواب النيران وفتحت أبواب الجنة أربعين صباحًا مسها مس الحرير وريحها ريح المسك.

وفى كتاب البر عن النبى ﷺ: غسل القدمين بعد الخروج من الحمام أمان من القرب، وكان بعضهم إذا أصابه قرب من الحمام يقول يا رحيم من علينا من عذاب السموم والنوم بعد الحمام فى الصيف كالدواء وإذا دخله فليقل اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار ولا يشرب الماء البارد بعده ويكره شرب الماء إلا لضرورة فإن شربه بالعسل فإنه ينفع من الفولج، وأخف المياه ماء السماء وأنفعه ما نزل ليلا إذ أراد اللّه بقوم خيرًا أمطرهم ليلاً وقال غيره الحجامة فى الحمام شفاء من سبعين علة ويقرأ عند الفصادة الفاتحة وعند الحجامة آية الكرسى وسيأتى فى مناقب على زيادة فى ذكر الحمام لما تزوج سليمان بلقيس أحبها حبّا شديدًا وكان سريرها وهو عرشها مقدمه من ذهب فيه فصوص من الياقوت والزبرجد، ومؤخره من فضة بألوان الجوهر وله أربع قوائم من ياقوت وذهب ودر وزبرجد وألواحه من ذهب فلما علم سليمان به قال أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال: الأكثرون أراد أن يأخذه حلاً قبل إسلامها لأن أخذ مال المسلم حرام فلما تزوجها أقرها على ملكها فكرهت الجن تزويجها وكانوا قبل ذلك وصفوا رجليها برجل حمار فبنى قصرًا من قوارير، أى من زجاج وأجرى تحته الماء وجعل فيه السمك ووضع سريره فى صدره فلما جاءته بلقيس حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فنظر سليمان، فإذا هى من أحسن النساء ساقًا، قال إنه صرح ممرد أى أملس من قوارير أى من زجاج فلما دعا آصف بن برخيا باسم اللّه الأعظم وهو يا حى يا قيوم قال مجاهد أنه قال يا إلهنا وإله كل شيء يا ذا الجلال والإكرام بعث اللّه ملائكة فحملته حتى وضعوه بين يدى سليمان وكانت بلقيس قد جعلته فى بيت له سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فقال نكروا لها عرشها فجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه أراد بذلك التوصل إلى معرفة عقلها لأن الجن قد وصفوها بضعف العقل حتى لا يتزوجها، فلما رأته قالت: كأنه هو قال الحسن: شبهوا عليها فشبهت عليهم فأجابتهم على حسب سؤالهم فعلم سليمان بذلك كمال عقلها.

لطيفة: قالت عائشة - رضى اللّه عنها- قال النبى ﷺ: **«يا عائشة أنت أحب إلى من تمر بزبد فقلت يا نبى اللّه وأنت أحب إلى من زبد بعسل»** ذكره ابن طرخان فى الطب النبوى قال المحب الطبرى عن الإمام بن حنبل أن جابر بن عبد اللّه- رضى اللّه عنه- قال: صنع رجل طعامًا ثم قال للنبى ﷺ: «قد صنعت طعامًا فدعاه إليه فقال: «وهـذه؟» يعنى عائشة فقال: الرجل لا، فقال النبى

ﷺ: «لا»، ثم دعاه ثانيًا فقال: «وهـذه؟» يعنى عائشة فقال الرجل: لا، فقال النبى ﷺ: «لا»، ثـم دعاه ثالثًا، فقال النبى ﷺ: «وهذه؟» يعنى عائشة فقال الرجل: نعم، فقام النبى ﷺ وعائشة إلى منزل الرجل».

قال مؤلفه - رحمه الله -: والعجب من المحب الطبرى كيف رواه عن الإمام أحمد وهو فى صحيح مسلم، قالت عائشة - رضى الله عنها -: سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم أى أكثر لحمها سابقنى فسبقنى وقال هذه بتلك.

فائدة: عن أنس دخل النبى ﷺعلى عائشة وهى توعك فقال مالى أراك هكذا، قالت: من الحمى وسبتها فقال: لا تسبيها فإنها مأمورة وإن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهبها الله عنك قالت: بلى يا رسول الله قال: قولى اللهم ارحم جلدى الرقيق وعظمى الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم إن كنت آمنت بالله العظيم، فلا تصدعى الرأس ولا تغيرى الفهم ولا تأكلى اللحم ولا تشربى الدم وتحولى عنى إلى من اتخذ مع الله إلهًا آخر، قالت: فقلتها فذهبت عنى.

ورأيت فى لفظ المنافع: لابن الجوزى، عن عثمان بن أبى العاص قال أتانى رسول الله ﷺ وبى وجع وكاد يهلكنى، فقال لى: «**امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**» ففعلت ذلك فأذهب الله عنى ما كان بى فلما أزل آمر به أهلى وغيرهم وقدمنا فى باب فضل الرضا زيادات حسنة، وقالت عائشة أعطيت خصالاً لم تعطهن امرأة غيرى صورت لرسول الله قبل أن أصور فى بطن أمى وكنت أحب الناس إليه وأنزل الله تعالى براءتى من السماء ولما قال أهل الإفك فيها ما قالوا قال عمر: أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله تعالى عصمك عن وقع الذباب على جلدك لأنه يقع على النجاسة فكيف لا يعصمك عن صحبة من هو ملطخ بمثل هذه الفاحشة.

قال فى تفسير الثعلبى فى سورة الأحزاب: إن زينب وعائشة تفاخرتا، فقالت زينب: أنا التى نزل تزويجى من السماء، وقالت عائشة: أنا الذى نزل عذرى من السماء حين أركبنى صفوان بن المعطل على الراحلة، فقال زينب: وما قلت حين ركبتها قالت: قلت حسبى الله ونعم والوكيل، قالت: كلمة المؤمن وتقدم أول الكتاب أن قول العبد حسبى الله ونعم الوكيل أحسن من قوله: حسبنا الله ثم قال الثعلبى فى سورة النور: قالت عائشة: لما ركبت وأخذ صفوان الزمام مررنا على المنافقين فقال عبد الله بن أبى بن سلول لعنه الله: من هذه قالوا: عائشة قال: والله ما سلمت منه ولا سلم منها، فشاع الكلام بين الناس فقالت امرأة أبى أيو ب الأنصارى: ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة؟ فقال: لو كنت مكانها أكنت فاعلة ذلك قالت: لا والله، فقال: والله إن عائشة خير منك سبحانك هذا بهتان عظيم.

قال فى الزهر الفاتح: قال بعضهم: سمعت رجلاً يذكر عائشة بسوء فلم أنكر عليه فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: «لا تنكر على من سب زوجتى؟» فقلت: يا رسول الله ما قدرت فقال: «كذبت

وأومأ إلى عينى بالسبابة والوسطى» فاستيقظ وهو أعمى قال القاضى أبو بكر : تعلقت الرافضة لعنهم اللَّه على عائشة بقوله تعالى : وقرن فى بيوتكن بخروجها فى أيام الجمل تقاتل عليًا فى العراق وهو مخالف لأمر اللَّه تعالى، وقال علماؤنا استدلت عائشة لجواز الخروج بقوله تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ﴾ [الحجرات: ٩]، فهذا أمر عام للذكر والأنثى فهى محقة فى الخروج وهم مبطلون فى الإنكار عليها، فإن قيل : كيف رفع اللَّه الحجاب بين إبراهيم وبين سارة وهى أخت لوط وهو ابن عم إبراهيم- عليهما السلام- لما أخذها الجبار حين علم أنه لم يصل إليها وصارت الحيطان كالزجاج حتى اطمأن قلب إبراهيم ومحمد ﷺ لم يرفع الحجاب له لأجل عائشة حين تخلفت عن الرفقة حتى قال المنافقون : ما قالوا؟

فالجواب: لو رفع اللَّه الحجاب لقالوا : إن محمدًا لا يهتك ستر زوجته وبقى الشك فيهم فأزال اللَّه تعالى ذلك بقوله : سبحانك هذا بهتان عظيم أولئك مبرؤون بما يقولون وهذا أبلغ من رفع الحجاب حتى اطمأن قلبه ﷺ إلى عصمتها وعائشة ما استولى عليها ظالم ولا مد إليها يده، فلا معنى لرفع الحجاب واللَّه تعالى أعلم، فإن قيل : كيف كانت براءة يوسف- عليه السلام- عل لسان صبى؟ وهو نبى كريم وعائشة براءتها من اللَّه وليست نبية.

فالجواب: أن يوسف لم يكن عنده فى مصر نبى تأتى براءته من اللَّه تعالى على لسانه ولا يليق به أن يبرئ نفسه بنفسه فكانت براءته على لسان صبى قبل أوان كلامه، وأما عائشة فكانت براءتها على لسان محمد ﷺ.

وجواب آخر: أن باب الوحى كان منسدًا فى أيام يوسف، لأنه لم يكن مرسلاً فى ذلك الوقت، كما كان منسدًا فى أيام مريم فبرأها اللَّه على لسان ابنها وهو صبى وأما فى أيام عائشة فكان باب الوحى مفتوحًا لمحمد ﷺ وتقدم فى باب فضل الصدقة أن عائشة تصدقت برغيف لا تملك غيره وكانت صائمة، وقال فى عيون المجالس : إن عائشة كانت إذا تصدقت بدرهم طيبته فسألها النبى ﷺ عن ذلك فقالت يا نبى اللَّه أحببت أن يكون درهمى مطيبًا لأنه يقع فى يد اللَّه قبل أن يقع فى يد السائل، فقال : لقد وفقك اللَّه يا عائشة.

لطائف: الأولى: ذكر الرازى فى تفسيره : أن النبى ﷺ قال : «يا رب اجعل حساب أمتى إلى» ثم جىء إليه بميت عليه دين دريهمات فامتنع من الصلاة عليه ولما قال أهل الإفك وهو الكذب فى عائشة ما قالوا، أخرجها من بيته أى أذن لها فى الخروج إلى بيت أبويها، فكان اللَّه تعالى يقول : يا محمد لك رحمة واحدة وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين والرحمة الواحدة لا تسع جميع الخلق فدعنى وعبادى فرحمتى لا نهاية لها.

الثانية: قال القشيرى فى تفسيره فى سورة النور : فإن قيل قال النبى ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللَّه وهو أولى بالفراسة فى حق عائشة- رضى اللَّه عنها.

فالجواب: أن اللّه تعالى سد على أوليائه عيون الفراسة كمالاً للبلاء.

قال في نور الملح: ستر اللّه عنه العلم بحالها وهو أكرم الخلق ليبطل قول المنجم والكاهن.

الثالثة: رأيت في بعض المجاميع أن محمداً ﷺ قال: يا جبريل هل تعلم براءة عائشة قال: نعم قال: فكيف لم تخبرني فقال: أردت ذلك فقال اللّه تعالى: يا جبريل لا تفعل فإن الشدة مني والفرج مني.

فـائدة: ولدت عائشة بعد النبوة بأربع سنين وماتت في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين وهي بنت ست وستين سنة، ودفنت بالبقيع وصلى عليها إمامًا أبو هريرة- رضي اللّه عنه- ، قال النووي روت ألف حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث- رضي اللّه عنها.

الثالثة: أم المؤمنين حفصة بنت عمر- رضي اللّه عنها- تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، وأصدقها أربعمائة درهم قال المحب الطبري: خطبها عثمان فرده فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال يا عمر: ألا أدلك على ختن هو خير لك من عثمان وأدل عثمان على ختن خير له منك، قال: نعم يا نبي اللّه قال تزوجني ابنتك وأزوج عثمان ابنتي ثم قال: ويمكن إن عمر عرضها على عثمان قبل ذلك فلم يجبه لأنه سمع النبي ﷺ يذكرها ثم فهم منه تركها فخطبها عثمان بعد ذلك فرده فبلغ النبي ﷺ وجاء عمر ذاكرًا له الحال الأول لشدة تألمه، فقال له النبي ﷺ: **«هذا المقال جبراً له والختن والصهر بمعنى واحد»**.

وفي البخاري: أن عمر عرض حفصة على عثمان فرده ثم على أبي بكر فسكت ثم خطبها النبي ﷺ فاعتذر أبو بكر عن سكوته لعمر بأن النبي ذكرها ولم أكن أفشي سر النبي ﷺ قال عمار بن ياسر: أراد النبي أن يطلق حفصة فقال جبريل: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة، وقال عقبة بن عامر طلق النبي ﷺ حفصة فحثى عمر على رأسه التراب وقال: ما يعبأ اللّه بعمر وابنته بعد اليوم فنزل جبريل من الغد على النبي ﷺ وقال: اللّه تعالى يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر رحمة له. قال الإمام النووي: ولدت حفصة وقريش تبني في البيت الشريف قبل بعث النبي بخمس سنين وروت عن رسول اللّه ستين حديثًا.

قال المحب الطبري: ماتت حفصة سنة إحدى وأربعين وفي مجمع الأحباب، وصفوة الصفوة سنة خمس وأربعين، واللّه أعلم.

الرابعة أم المؤمنين أم سلمة- رضي اللّه عنها- : واسمها هند بنت أبي أمية واسمه سهل بن المغيرة، قالت أم سلمة- رضي اللّه عنها- لما أراد أبو سلمة أن يهاجر إلى المدينة بعد رجوعنا من الحبشة حملني على بعيره ومعي ولدي سلمة فلما رأته رجال بني المغيرة، أي رجال أبيها قاموا عليها وقالوا أما صاحبتنا هذه فلا ندعها تخرج معك فنزعوا خطام بعيري من يدي فقال قوم أبي سلمة: واللّه لا نترك بنتنا ففرقوا بيني وبين زوجي وولدي فكنت أخرج كل يوم إلى الأبطح أبكي إلى الليل

فمر بي رجل من بني عامر فرأى ما بي، فقال: فرقتم بين هذه المسكينة وزوجها وولدها فقالوا: الحقي بزوجك فرد قوم أبي سلمة علي ولدي فوضعته في حجري ثم خرجت وما معي أحد إلا اللّه تعالى فلقيني عثمان بن طلحة عند التنعيم ويعرف الآن بمساجد عائشة، فقال: إلى أين بنت أبي أمية؟ فقلت: إلى زوجي بالمدينة فأخذ بخطام بعيري نحوه قالت: واللّه ما رأيت رجلاً أكرم منه كان إذا دخل إلى منزلي أناخ بي ثم يستأخر، وإذا نزلت عن البعير أخذه واستأخر وإذا أردت الركوب أناخه واستأخر فلما وصلنا إلى المدينة، قال: ادخليها على بركة اللّه تعالى ثم رجع إلى مكة قال أبو سلمة: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يصاب أحد بمصيبة فليسترجع عند ذلك ويقول اللهم عندك احتسب مصيبتي هذه اللهم اخلفني فيها خيراً منها إلا أعطاه اللّه تعالى فلما مات أبو سلمة من جرح أصابه يوم أحد نقض عليه بعد شهر سنة أربع في جمادى الآخر قلت ما قاله رسول اللّه ﷺ فلما انقضت عدتي في شوال خطبني أبو بكر وعمر فأبيت ثم خطبني رسول اللّه ﷺ فقلت مرحبًا برسول اللّه ثم شكوت إليه الغيرة فدعا لي فذهبت عني فكنت في نسائه كالأجنبية وفي رواية خطبني بنفسه، فقلت: يا نبي اللّه إني شديدة الغيرة ولي عيال وقد كبر سني فقال وأنا كبر سني وعيالك عيال اللّه، وأما الغيرة فسوف يذهبها اللّه عنك قالت: وأخذ النبي الحسن والحسين وفاطمة وقال: رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد فبكيت، فقال: ما يبكيك فقلت: خصصتهم وتركتني فقال: إنك وبنيك من أهل البيت أي لأنها بنت عمته عاتكة وتقدم أن أبو سلمة ابن عمته أيضًا وأمه برة بنت عبد المطلب وتقدم في باب الصدقة أن أبا سلمة اسمه عبد اللّه وهو وأخوه الرجلان المذكوران في الكهف والصافات وبيانه في باب الصدقة مذكور ماتت أم سلمة سنة ستين في خلافة يزيد بن معاوية، قال في الدر الثمين في خصائص الصادق الأمين: أن أم سلمة بنت عاتكة بنت عامر ابن ربيعة وهذا مخالف للأول، واللّه تعالى أعلم.

الخامسة أم المؤمنين أم حبيبة - رضي اللّه عنها - : اسمها رملة أخت معاوية وأبوها أبو سفيان واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهي عمة عثمان بن عفان - رضي اللّه عنهما - قال في الدر الثمين قال مؤلفه - رحمه اللّه تعالى - : غير مستقيم فإن عفان بن أبي العاص بن أمية فكيف تكون عمته وكانت قبل النبي ﷺ عند عبيد بن جحش فلما أسلم هاجر إلى الحبشة قالت أم حبيبة: فرأيت في المنام كأن زوجي في أقبح صورة فلما أصبح، قال: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أرى دينًا خيراً من دين النصرانية وكنت قد دنت لها ثم دخلت في دين محمد ثم رجعت إلى النصرانية فقلت واللّه ما هي خيراً، وأخبرته بالرؤيا فركب على الخمر ومات كافراً ثم رأيت في المنام قائلاً يقول يا أم المؤمنين فأولتها برسول اللّه ﷺ فلما انقضت العدة جاءني رسول النجاشي وهي جارية يقال لها أبرهة فقال: إن الملك يقول: إن النبي ﷺ كتب إلى أن أزوجك به فقلت لها: بشرك اللّه بكل خير ثم قالت: ويقول لك الملك: وكيلي من يزوجك فاعطيتها خلخالي وسواري ووكلت خالد بن سعيد فلما قدم الليل أرسل النجاشي إلى من عنده من المسلمين، فحضروا فخطب وقال

الحمد للّه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه ﷺ وزوجته أم حبيبة.

وفي كتاب شرف المصطفى: أن وكيله ﷺ عمر بن أمية وفي الدر الثمين إنما هو رسول إلى النجاشي والوكيل الأول، وقيل عثمان بن عفان وكان أبوها كافراً، وتقدم ذكره في باب الدعاء قالت أم حبيبة: فلما وصل الصداق إلى أرسلت إلى الجارية التي بشرتني خمسين مثقالاً فردت الجميع وقالت قد اتبعت دين محمد ﷺ فأقرئيه مني السلام وقولي له: إني على دينه ثم أمر النجاشي- رضي الله عنه- نساءه أن يبعثن إلى بكل عطر، ثم تجهزنا للخروج إلى المدينة فقالت الجارية: لا تنسى حاجتي من السلام على رسول الله ﷺ فلما قدمت المدينة أخبرت النبي ﷺ بأمر الجارية فتبسم، وقال: عليها السلام ورحمة الله وبركاته، قال الزهري: قدم أبو سفيان المدينة قبل إسلامه فلما دخل على بنته أم حبيبة وأراد الجلوس على فراش النبي ﷺ منعته من ذلك وطوته دونه فسألها عن ذلك فقالت له: لأنك نجس. ماتت- رضي الله عنها- سنة أربع وأربعين وقيل أربعين في خلافة أخيها معاوية- رضي الله عنها- والله أعلم.

السادسة أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس- رضي الله عنها-: تزوجها ابن عمها السكران بن عمر بن شمس ثم مات مسلماً فتزوجها النبي ﷺ بعد موت خديجة وأصدقها أربعمائة درهم ودخل عليها لكنه عقد على عائشة قبلها فلما كبر سنها أراد أن يطلقها، فقالت: يا رسول الله لا تطلقني وأنت في حل من شأني فإني أريد أن أحشر في أزوجك، وقد وهبت يومي لعائشة قالت عائشة: اجتمع أزواج النبي ذات يوم عنده فقلن: يا نبي الله ايتنا أسرع لحوقًا بك قال أطولكن يدًا فأخذن قصبة فذر عنها فكانت سودة أطولهن يداً، قالت فتوفي النبي ﷺ فكانت سودة أسرع لحوقًا به، وكانت امرأة صالحة وكانت تحب الصدقة قال المحب الطبري قال المحققون: هذا الحديث غلط من بعض الرواة بلا شك والعجب من البخاري كيف لم ينبه عليه وإنما هي زينب فإنها كانت أطول يدًا بالعطاء والصدقة توفيت سودة في خلافة عمر، وقيل سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية- رضي اللّه عنهم- والمشهور الأول.

السابعة: أم المؤمنين زينب بنت جحش- رضي اللّه عنها-: وهي بنت عمة النبي ﷺ أمها أميمة بنت عبد المطلب وتقدم أنه لم يسلم من عماته غير صفية قالت زينب خطبني عدة من قريش، فأرسلت أختي حمنة تستشير النبي ﷺ فقال: أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها قالت ومن هو قال: زيد بن حارثة فغضبت حمنة، وقالت تزوج بنت عمتك بعبدك، لأن خديجة اشترته له ثم تبناه أي اتخذه ابنًا فأخبرت زينب بذلك فغضبت كثيرًا فأنزل اللّه تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، فقالت زينب: استغفر اللّه وأطيع اللّه

ورسوله افعل يا رسول اللّه ما رأيت فزوجها بزيد فلما دخل الجنة ليلة المعراج رأى صور نسائه ورأى صورة زينب معهن فلما رجع رآها مع زيد وهى على تلك الصورة فاختلج فى سره كيف تكون من نسائى وهى عند غيرى، ثم قال: يا مثبت القلوب ثبت قلبى قال ذلك من طريق الغيرة فلما جاء زيد أخبرته بذلك، فقال: واللّه إن رسول اللّه ﷺ أحب إلى منك وأحب إليك منى ما نجتمع بعد أبدًا قومى حتى أطلقك عنده فلما جاء إليه قال النبى ﷺ أمسك عليك زوجك فأنزل تعالى: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فقرأها النبى ﷺ والعرق يتقاطر منه فأسلم فى ذلك اليوم خلق كثير من المنافقين، وقالوا لو كان هذا القرآن من عند محمد لأخفى هذه الآية هكذا رأيته فى عقائق الحقائق، فإن قيل المعراج قبل الهجرة وتزوجها من زيد بعدها فكيف يصح القول بأن النبى لما رجع من المعراج رآها مع زيد فيقال لما رجع من المعراج وهاجر رآها مع زيد على الصورة التى رآها فى الجنة قال المحب الطبرى كانت بيضاء جميلة سمينة فأبصرها النبى بعد حين عند زيد فأعجبته، فقال سبحان اللّه مقلب القلوب وكان من خصائصه ﷺ إذا رأى امرأة وأعجبته حرمت على زوجها وحرم على زوجها إمساكها، قال القرطبى: كانت نائمة فسمعت التسبيح فأخبرت زوجها زيد بذلك، فقال: يا رسول اللّه ائذن لى فى طلاقها فقال: أمسك عليك زوجك واتق اللّه فأنزل اللّه تعالى: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب: ٣٧]، بالإسلام ﴿**وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب: ٣٧]، بالعتق ﴿**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]، ومعنى قوله: ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ**﴾ [الأحزاب: ٣٧]، هو أن يقولوا تزوج امرأة ابنه فأنزل اللّه تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، قال النووى- رضى اللّه عنه- فى الروضة كان النبى أبا الرجال والنساء وقيل: لا يجوز أن يقال هو أبو المؤمنين أى فى الحرمة ثم أنزل اللّه تعالى أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللّه أى أعدل عند اللّه فدعى زيد بن حارثة من يومئذ بعد أن كان يدعى زيد بن محمد.

قال القرطبى: قدم عم زيد مكة فلما رآه سأله عن اسمه فقال زيد فسأل عن اسم أبيه فقال حارثة فسأله عن أسم أمه، فقال سعدى: فأرسل عمه إلى أبيه وأهله فلما دخلوا مكة قالوا: يا محمد هذا ولدنا، فقال: إن اختاركم فخذوه فخيروه فاختار محمدًا ﷺ قال النبى ﷺ: «لما انقضت عدتها قال لزيد: اذهب فاذكرنى لها فجاء إليها وجعل ظهره إليها، وقال: يا زينب قد خطبك رسول اللّه ﷺ فقالت: حتى أستأذن ربى فأحرمت بالصلاة فأنزل اللّه تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فدخل عليها النبى ﷺ وهى مكشوفة الرأس فقالت يا رسول اللّه بلا خطبة وبلا شهود فقال اللّه المزوج وجبريل الشاهد».

قال فى الروضة: والأصح أن ينعقد نكاحه ﷺ بلا ولى ولا شهود، وقال فى البخارى كانت زينب تفتخر على نساء النبى وتقول: زوجكن أهاليكن وأنا زوجنى ربى من فوق سبع سموات.

قال فى الدر الثمين فى خصائص الصادق الأمين: قال النبى ﷺ: «ما تزوجت شيئًا من نساء ولا زوجت شيئًا من بناتى إلا بوحى جاءنى به جبريل عن ربى عز وجل، ثم جعل لزينب من الصداق أربعمائة درهم».

قالت عائشة: ما رأيت امرأة أكثر خيرًا وصدقة من زينب كانت تعمل بيدها ووصفها النبى ﷺ بالأواه قال يا رسول اللَّه وما الأواه قال: «الخاشع المتضرع» وهى أول من ماتت بعد النبى ﷺ من أزواجه فى خلافة عمر- رضوان اللَّه عليهم أجمعين.

الثامنة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث- رضى اللَّه عنها- : كان اسمها برة فسماها النبى ﷺ ميمونة وكانت قبله تحت أبى رهم بن عبد العزيز فتزوجها النبى ﷺ بعد خيبر لما توجه إلى مكة معتمرًا سنة سبع.

قال المحب الطبرى: لما خطبها النبى ﷺ جعلت أمرها إلى العباس زوج أختها لبابة الكبرى أم الفضل وأصدقها أربعمائة درهم كالتى قبلها زينب أم المساكين فزوجه إياها وهو محرم فلما رجع دخل عليها قبل وصوله إلى المدينة، وفى صحيح مسلم أنه تزوجها وهو حلال قال المحب الطبرى: فيحتمل قوله: وهو محرم أى داخل الحرم.

قال مؤلفه: وهذا عجيب من الطبرى فإن نكاحه- عليه الصلاة والسلام- ينعقد فى الإحرام.

قال فى الروضة: وهى آخر امرأة تزوجها، قال السهيلى: لما جاءها الخاطب وهى على بعير ألقت نفسها عنه وقالت البعير وما عليه لرسول اللَّه ﷺ وكان لها أخوات من أمها وأبيها لبابة الكبرى أم الفضل ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وعصماء ولها أخوات من أمها زينب بنت خزيمة زوج النبى ﷺ وأسماء تزوجها جعفر بن أبى طالب ثم بعده أبو بكر- رضى اللَّه عنه- ثم بعده على بن أبى طالب- رضى اللَّه عنه- وسلمى تزوجها حمزة.

قال المحب الطبرى: كان يقال أكرم عجوز فى الأرض أم هند بنت عوف أصهارها النبى ﷺ أبو بكر والعباس وحمزة وجعفر وعلى بن أبى طالب ماتت ميمونة بسرف- اسم موضع بين مكة والمدينة، وهو الموضع الذى دخل عليها النبى ﷺ- سنة ست وستين وصلى عليها ابن العباس ودخل قبرها هو وعبد اللَّه بن شداد وكل منهما ابن أختها- رضى اللَّه عنهم أجمعين.

التاسعة أم المؤمنين جويرية بنت الحارث- رضى اللَّه عنها- : كانت من بنى المصطلق فلما غزاهم النبى ﷺ وأخذ سبيهم ووقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبها على نفسها بتسع أواق من الذهب وتقدم بيان الكتابة فى فضل الجوع كانت امرأة جميلة لا يراها أحد إلا أخذت بقلبه.

قالت عائشة- رضى اللَّه عنها- : لما دخلت جويرية على النبى ﷺ تستعينه فى كتابتها كرهت دخولها خوفًا أن يتزوجها، فلما رآها النبى ﷺ قال: أنا أؤدى عنك كتابتك وأتزوج بك قالت: نعم يا

رسول اللَّه فتسامع الناس بذلك فأعتقوا ما فى أيديهم من بنى المصطلق لأنهم صاروا أصهار رسول اللَّه ﷺ فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية، وقيل لما غزى النبى ﷺ بنى المصطلق وأخذ جويرية قال لرجل احتفظ عليها فلما قدم النبى المدينة جاء أبوها الحارث ومعه إبل يفدى بها ابنته فرغب فى بعيرين من الإبل فغيبهما فى شعب من شعاب وادى العقيق، فلما قدم قال يا محمد أخذتم ابنتى وهذا فداؤها فقال أين البعيران اللذان غيبتهما فى وادى العقيق فى شعب كذا فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أنك محمد رسول اللَّه، فواللَّه ما اطلع على ذلك إلا اللَّه تعالى وأسلم معه ابنان وناس من قومه وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبى ﷺ ودفعت إليه ابنته فخطبها النبى ﷺ من أبيها فزوجه إياها وأصدقها أربعمائة درهم وهى بنت عشرين سنة وذلك سنة خمس ماتت- رضى اللَّه عنها- سنة خمسين، واللَّه أعلم.

العاشرة أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب- رضى اللَّه عنها- : وعن خالها رفاعة القرظى لا رفاعة بن سموأل- بفتح السين المهملة، وبعدها ميم مفتوحة- أخى أمها، واسم أمها برة بنت سموأل قتل زوج صفية يوم خيبر فتزوجها النبى ﷺ سنة سبع قال أنس- رضى اللَّه عنه- : لما فتح خيبر وجمع السبى جاءه دحية الكلبى- رضى اللَّه عنه- فقال: يا رسول اللَّه أعطنى جارية من السبى، قال: اذهب فخذ جارية فأخذ صفية فقال رجل يا رسول اللَّه أعطيت دحية صفية وهى سيدة قريظة والنظيرة لا تصلح إلا لك فقال: أدعوه بها فقال: خذ جارية غيرها فأعتقها النبى وتزوجها ولم تبلغ سبع عشرة سنة فلما كان بالطريق جهزتها أم سليم خالة النبى ﷺ من الرضاعة واسمها سهلة وهى أم أنس بن مالك قال جابر بن عبد اللَّه- رضى اللَّه عنه- : جىء يوم خيبر بصفية للنبى ﷺ فقال لبلال خذ بيد صفية فأخذ بيدها ومر بها بين المقتولين، وقد قتل أبوها وأخوها وزوجها فكره النبى ﷺ ذلك وخيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من قومها وبين أن تسلم فيتخذها لنفسه فقالت أختار اللَّه ورسوله، فلما كان عند الروحة خرجت تمشى فثنى لها النبى ﷺ ركبته الشريفة لتطأ على فخذه فتركب فعظمت النبى ﷺ أن تضع قدمها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه فركبت وركب النبى ﷺ وألقى عليها كساه فقال المسلمون حجبها النبى ﷺ فهى من أمهات المؤمنين فلما كان على ستة أميال أراد النبى أن يعرس بها فامتنعت فغضب النبى ﷺ فلما كان بالصهباء، اسم موضع أراد أن يعرس بها، فرضيت فسألها عن امتناعها أولاً فقالت خوفًا عليك من اليهود، قال أنس- رضى اللَّه عنه- : قال النبى ﷺ لصفية لما أخذها: «هل لك أى رغبة فىَّ قالت: يا نبى اللَّه كنت أتمنى ذلك فى الشرك فكيف إذا مكننى اللَّه منك فى الإسلام» قال ابن عمرَ- رضى اللَّه عنه- رأى النبى ﷺ خضرة بعين صفية فقال ما هذا؟ قالت كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق وأنا نائمة فرأيت قمرًا وقع فى حجرى فأخبرته بذلك فلطم وجهى وقال تتمنين ملك يثرب.

قالت صفية: بلغنى عن عائشة وحفصة كلام فدخل النبى ﷺ وأنا أبكى فقلت: يا رسول اللَّه

إنهم قالوا صفية بنت يهودى فقال: هلاً قلت كيف تكونان خيراً منى وزوجى محمد رسول اللّه وأبى هارون وعمى موسى وكان بينها وبين هارون عشرون جدًا على هارون وعلى أخيه موسى وعلى سائر الأنبياء- الصلاة والسلام.

وحج هارون: فلما مرض بالمدينة المشرفة بعد رجوعه من مكة أوصى أن يدفن بجبل أحد، فدفنوه هناك ماتت صفية فى رمضان سنة خمسين وملكت مائة ألف فأوصت بثلثها لابن أختها اليهودى وصرح فى المنهاج بصحة الوصية الذى قال المحب الطبرى فهؤلاء المشهورات من أزواجه ﷺ المتفق عليهن بلا خلاف ستة من قريش خديجة وعائشة وحفصة وأم سلمة وسودة وأربع عربيات زينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحاث وجويرية وواحدة من بنى إسرائيل وهى صفية وسماها القرطبى الهارونية، وله زوجات أخر قال القرطبى جملتهن اثنتا عشرة امرأة.

الأولى: الواهبة نفسها، قيل: اسمها أم شريك الدوسية، وقال القرطبى: الأزدية. قال الأكثرون: لم يدخل بها وما تزوجت بعده.

الثانية: خولة بنت الهزيل ماتت فى الطريق قبل أن تصل إليه.

الثالثة: عمرة طلقها لما تعوذت منه.

الرابعة: اسمها بنت النعمان طلقها لما تعوذت منه، وقيل لامتناعها عن التمكين.

الخامسة: مليكة طلقها لما تعوذت منه.

السادسة: فاطمة بنت الضحاك خيرها لما نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا فطلقها.

السابعة: عالية طلقها بعد الدخول، وقال القرطبى: لم يدخل بواحدة من هؤلاء.

الثامنة: قبيلة مات ﷺ قبل وصولها إليه من حضرموت، وقال القرطبى: زوجه بها الأشعث بن قيس فبلغه موت النبى ﷺ فردها إلى حضرموت فرجعت عن الإسلام فتزوجها عكرمة بن أبى جهل فشق ذلك على أبى بكر فقال عمر- رضى اللّه عنه- واللّه ما هى من أزواجه فقد برأها اللّه منه برجوعها عن الإسلام.

التاسعة: سبأ السلمية مات ﷺ قبل أن يدخل بها.

العاشرة: شراف أخت دحية الكلبى ماتت قبل أن تصل إليه.

الحادية عشرة: ليلى بنت حكيم الأنصارية كانت غيورة فاستقالته فأقالها فأكلها ذئب.

الثانية عشرة: امرأة من غفار رأى بها بياضًا ففارقها وخطب نساء ﷺ لم يدخل بهن ولا عقد عليهن، فمنهن فاختة بنت أبى طالب، وكان ﷺ له سرارى مارية أم إبراهيم أهداها له صاحب مصر، وريحانة بنت شمعون ووقعت فى سبى بنى قريظة فخيرها بين الإسلام وبين دينها فاختارت الإسلام

فأعتقها وتزوجها فأخذتها الغيرة فطلقها ثم راجعها، وقيل كانت موطوءة بملك اليمين قال فى الدر الثمين الأول أرجح عند الواقدى وريحانة أخرى وهبتها له زينب بنت جحش، قال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات: وله ﷺ سريتان مارية وكانت بيضاء جميلة وريحانة لم يذكر غير ذلك، ثم قال: وزوجاته خمس عشرة فدخل بثلاث عشرة وجمع بين إحدى عشرة ومات عن تسع.

مسألة: قال فى الروضة كل امرأة فارقها ﷺ فى حياتها تحرم على غيره ولو قبل الدخول، وفى أمة فارقها بالموت أو غيره بعد الوطء وجهان جزم صاحب الأنوار اليمنى بالتحريم كما اقتضاه الحاوى وصرح به صاحب التعليقة والبازى والله أعلم، فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالى لأزواج النبى ﷺ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣١]، فكيف نقص ثوابهن وزاد فى عقابهن، بقوله تعالى: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

فالجواب: زيادة العقوبة على قدر الفضيلة كما أن حد الحر أكثر من حد الرقيق وقوله تعالى: ﴿نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣١]، لا نقص فيه لأن حسنة غيرهن بعشرة، وحسنتهن بحسنتين كل حسنة بعشرة، والله أعلم.

فضائل: الصحابة- رضى الله عنهم- أجمعين إجمالاً وتفصيلاً

قال الله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: ٥٩]، قال ابن عباس: هم أصحاب محمد ﷺ وعن النبى لأن يلقى عبد بذنوب العباد خير له من أن يبغض رجلاً من أصحابى فإنه ذنب لا يغفر له يوم القيامة، قال ﷺ «إن الله اختار لى أصحابًا فجعل لى منهم وزراء وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وفى الشفاء عنه ﷺ «**الله الله فى أصحابى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذنى، ومن آذنى فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**» قال عبد الرحيم بن زيد أدركت أربعين شيخًا من التابعين كلهم حدثونى عن أصحاب رسول الله أنه قال ﷺ «**من أحب جميع أصحابى وتولاهم واستغفر لهم جعله الله معى يوم القيامة فى الجنة**» وأفضل التابعين عند أهل المدينة سعيد بن المسيب، وعند أهل الكوفة: أويس وعند أهل البصرة الحسن وقيس بن أبى حازم سمع العشرة ولم يشاركه أحد فى ذلك- رضى الله عنهم- قال ابن عباس: قال النبى ﷺ «من أحب أصحابى وأزواجى وأهل بيتى ولم يطعن فى أحد منهن وخرج من الدنيا على محبتهم كان معى فى درجتى يوم القيامة».

فائدة: يطعن بالرمح والإصبع يكون بضم العين وفى العرض بفتحها، قاله البرماوى فى شرح البخارى وقال ﷺ «من مات من أصحابى بأرض قوم كان نورهم وقائدهم يوم القيامة» والصحابى

كل مسلم رأى النبى ﷺ وإن ساعة لم يجالسه هذا مذهب البخارى والمحدثين ولا تنقطع الصحبة بالردة، وقال ابن الصلاح: مات النبى عن مائة ألف صحابى وأربعة عشر ألف صحابى كلهم سمعوا منه رووا عنه- رضى اللَّه عنهم أجمعين.

مناقب أفضل خلق اللَّه على التحقيق أبى بكر الصديق- رضى اللَّه عنه

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، قال الإمام الرازى اشتهرت الرواية عن النبى ﷺ أنه قال: **«ما عرضت الإسلام على أحد إلا وتلعثم فيه، غير أبى بكر الصديق- رضى اللَّه عنه- فإنه قبله ولم يتوقف فيه»** فدل الحديث على أن أبا بكر كان أسبق الناس إسلامًا فكان أولى الناس باسم الصديق، قال على: أبو بكر سماه اللَّه صديقًا على لسان جبريل ولسان محمد ﷺ بل وكان خليفته على الصلاة رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا، قال الإمام النووى: أسلم أبو بكر- رضى اللَّه عنه- وهو ابن عشرين سنة وقيل خمس عشرة سنة وروى مائة حديث واثنين وأربعين حديثًا، قال ابن مسعود- رضى اللَّه عنه- : أول من أظهر الإسلام بسيفه محمد ﷺ وأبو بكر قال الزبير بن العوام: قال النبى: أبا بكر إن اللَّه أعطاك الرضوان الأكبر قال وما الرضوان الأكبر، قال: يتجلى لعباده يوم القيامة عامة ولك خاصة.

قال الرازى: فى قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، نزلت فى أبى بكر، لأنه قاتل المرتدين وقهر مسيلمة الكذاب بعد النبى ﷺ وكان قد كتب من مسيلمة رسول اللَّه إلى محمد رسول اللَّه أما بعد فإن الأرض نصفان نصفها لك ونصفها لى، فكتب إليه النبى من محمد رسول اللَّه إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد: فإن الأرض للَّه يورثها من يشاء من عباده فحاربه أبو بكر بعد ذلك وقتله وحشى قاتل حمزة- رضى اللَّه عنه- وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال الرازى: كان أبو بكر موصوفًا بالرحمة والشفقة على المؤمنين، وبالشدة على الكافرين.

قال فى الرياض النضرة: كان إسلامه شبيهًا بالوحى لأنه كان تاجرًا بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرى الراهب، فقال له بحيرى: ممن أنت؟ فقال: من مكة قال: من أيها؟ قال: من قريش قال: إن صدق اللَّه رؤياك فإنه يبعث اللَّه نبيًا من قومك تكون وزيرًا له فى حياته وخليفة بعد وفاته، فأسرها أبو بكر فى نفسه فلما بعث النبى ﷺ جاءه أبو بكر- رضى اللَّه عنه- فقال: يا محمد ما الدليل على ما تدعى، قال: الرؤيا التى رأيت بالشام فقبله بين عينيه وقال أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أنك محمد رسول اللَّه، وكان إسلامه قبل أن يولد على بن أبى طالب- رضى اللَّه عنه- وبعضهم قال أول من أسلم على وهو ابن عشر سنين، وقال بعضهم: أول من أسلم من النساء خديجة وأول من أسلم من الصبيان على وأول من أسلم من البالغين أبو بكر وأول من أسلم من العبيد زيد بن حارثة، قال

الطبرى: وهذا لا خلاف فيه، وعن النبى ﷺ: «ما صب اللّه فى صدرى شيئًا إلا صببته فى صدر أبى بكر» ولقد سمع الوحى يومًا نزل على النبى ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص: ٥٦]، فوقع أبو بكر مغشيًا عليه حكاه الثعلبى قال على: قال النبى ﷺ: «أعز الناس على وأكرمهم عندى وأحبهم إلى وأكرمهم عندى حالاً أصحابى الذين آمنوا وصدقونى وأعز أصحابى إلى وخيرهم عندى وأكرمهم على وأفضلهم فى الدنيا والآخرة أبى بكر الصديق- رضى اللّه عنه- فإن الناس كذبونى وصدقنى وكفروا بى وآمن بى وأوحشونى وآنسنى وتركونى وصحبنى وأنفوا منى وزوجنى وزهدوا فى ورغب وآثرنى على نفسه وأهله وماله، فاللّه تعالى يجازيه عنى يوم القيامة فمن أحبنى فليحبه ومن أراد كرامتى فليكرمه ومن أراد القرب من اللّه تعالى فليسمع وليطع فهو الخليفة بعدى على أمتى» حكاه فى روض الأفكار.

قال فردوس العارفين: قال على لأبى بكر: بم بلغت هذه المنزلة حتى سبقتنا، قال: بخمسة أشياء:

أولها: وجدت الناس صنفين طالب الدنيا وطالب للآخرة فكنت أنا طالب للمولى.

الثانى: ما شبعت من طعام الدنيا منذ دخلت فى الإسلام، لأن لذة المعرفة شغلتنى عن لذة طعام الدنيا.

الثالث: ما رويت من شراب الدنيا منذ دخلت فى الإسلام لأن محبة اللّه شغلتنى عن لذيذ شراب الدنيا.

الرابع: كلما استقبلنى عملان عمل للدنيا وعمل للآخرة اخترت عمل الآخرة.

الخامس: صحبت النبى فأحسنت صحبته، قال القرطبى: صحبه وهو ابن ثمان عشرة سنة وعن أنس- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «حب أبى بكر واجب على أمتى» وعن عمر- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ قال: «لما كانت الليلة التى ولد فيها أبو بكر تجلى ربكم على جنات عدن، فقال وعزتى وجلالى لا أدخلت فيك إلا من أحب هذا المولود» قال جابر بن عبد اللّه كنا عند النبى ﷺ فقال: «طلع عليكم رجل لم يخلق اللّه بعدى أحدًا خيرًا منه ولا أفضل وله شفاعة كشفاعة النبيين فطلع أبو بكر فقام إليه النبى فقبله» وقال على: قال النبى ﷺ: «ينادى مناد أين السابقون الأولون فيقال من؟ فيقال: أبو بكر فيتجلى اللّه له خاصة وللناس عامة» وقال بعضهم فى قوله ﷺ: ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام وصلاة ولكن بشىء وقر فى صدره هو حب اللّه والنصيحة لخلقه حكاه ابن رجب فى شرح الأربعين، وقال ابن أبى جمرة فى شرح البخارى هو اليقين قال أنس- رضى اللّه عنه- : اجتمع النبى ﷺ بجبريل فى الملأ الأعلى فقال: يا جبريل هل على أمتى حساب قال: نعم، ما خلا أبو بكر يقال له: يا أبا بكر ادخل الجنة فيقول لا أدخلها حتى يدخل معى من أحبنى فى دار الدنيا،

وقال عمر: وددت أني شعرة في صدر أبي بكر وقال: وددت عملي كله من عمل أبي بكر يومًا واحدًا، وقال: وددت أني أنظر إلى منازل أبي بكر في الجنة وعن حذيفة- رضي اللَّه عنه- قال: صلى النبي ﷺ صلاة الغداة فلما انصرف قال أين أبو بكر؟ قال: لبيك يا رسول اللَّه قال ألحقت معي الركعة الأولى، قال: كنت معك في الصف الأول فوسوس لي بشيء في الطهارة فخرجت إلى باب المسجد فهتف بي هاتف يا أبا بكر فإذا بقدس من ذهب فيه ماء أبيض من الثلج وأطيب من الشهد وعليه منديل مكتوب لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه أبو بكر الصديق فتوضأت ثم وضعت المنديل مكانه فقال: يا أبا بكر لما فرغت من القراءة أخذت ركبتي، فلم أقدر على الركوع حتى جئت وأن الذي وضأك جبريل والذي مندلك ميكائيل والذي أخذ بركبتي إسرافيل، قال الجوهري القدس بفتح القاف هو السطل بلغة الحجاز، ورأيت في الحديث أن الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبى فقال ملك وددت أن اللَّه تعالى أعطاني قوة ألف ملك وكساني ريش ألف طير فأطير حول الجنة حتى أبلغ طرفها فأعطاه اللَّه ذلك فطار ألف سنة حتى ذهبت قوته وسقط ريشه ثم أعطاه اللَّه قوة وأجنحة فطار ألف سنة ثانية حتى ذهبت قوته وسقط ريشه ثم أعطاه اللَّه قوة وأجنحة فطار ألف سنة ثالثة حتى ذهبت قوته وسقط ريشه فوقع على باب قصر باكيًا فأشرفت حوراء، فقالت: أيها الملك مالي أراك باكيًا وليست هذه بدار بكاء وحزن وإنما هي دار سرور وفرح فقال لأني عارضت اللَّه في قدرته ثم أعلمها بحديثه، فقالت له لقد خاطرت بنفسك أتدري كم طرت في هذه الثلاثة آلاف سنة، قال: لا، قالت: وعزة ربي ما طرت أكثر من جزء واحد من عشرة آلاف جزء مما أعده اللَّه تعالى لأبي بكر الصديق- رضي اللَّه عنه.

وقال النبي ﷺ: «عرض علي كل شيء ليلة المعراج حتى الشمس فإني سلمت عليه وسألتها عن كسوفها فأنطقها اللَّه تعالى وقالت: لقد جعلني اللَّه تعالى على عجلة تجرني حيث يريد فأنظر إلى نفسي بعين العجب فتنزل بي العجلة فأقع في البحر فأرى شخصين أحدهما يقول أحد أحد، والآخر يقول صدق صدق فأتوسل بهما إلى اللَّه تعالى فينقذني من الكسوف فأقول يا رب من هما فيقول الذي يقول أحد أحد هو حبيبي محمد، والذي يقول صدق صدق هو أبو بكر الصديق- رضي اللَّه عنه-» وفي عيون المجالس عن النبي ﷺ: «يا عائشة ألا أمنحك ألا أحبوك قالت: بلى يا نبي اللَّه، قال: إن اسم أبيك مكتوب على قلب الشمس وإن الشمس لتقابل الكعبة كل يوم فيمتنع من العبور عليها فيزجرها الملك الموكل ويقول بحق من الاسم إلا عبرت فتعبر» وقال ﷺ: «رأيت ليلة الإسراء في كل سماء ملكًا في صورة أبي بكر فقلت: يا رب اعرج بأبي بكر قبلي قال: ولكن من محبتي فيه خلقت في كل سماء ملكًا على صورته» وفي الرياض النضرة في مناقب العشرة: إن أبا بكر نظر في وجهه علي بن أبي طالب ثم تبسم فقال مم تبسم قال سمعت رسول اللَّه يقول لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي بن أبي طالب الجواز، فقال علي: وأنا سمعته يقول ولا يكتب الجواز إلا لمن يحب أبا بكر.

ورأيت: في قوله تعالى: فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس أن ذلك التراب خلق منه جسد أبى بكر – رضى اللّٰه عنه– قال القرطبى: المقدس المطهر والتقديس التطهير، قال أنس بن مالك: خادم النبى ﷺ وابن خالته من الرضاعة وهى أم سليم واسمها سهلة جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول اللّٰه رأيت فى المنام كأن النخلة التى فى دارى قد وقعت وزوجى فى السفر، فقال: يجب عليك الصبر فلن تجتمعى به إلا يوم القيامة فخرجت المرأة باكية فرأت أبا بكر فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول النبى، فقال لها: اذهبى فإنك تجتمعين به فى هذه الليلة فدخلت إلى منزلها وهى متفكرة فى قول النبى وقول أبى بكر فلما كان الليل، وإذا بزوجها قد أتى فذهبت إلى النبى وأخبرته بزوجها فنظر إليها طويلاً جاءه جبريل، وقال: يا محمد الذى قلته هو الحق ولكن لما قال الصديق إنك تجتمعين به فى هذه الليلة استحى اللّٰه منه أن يجرى على لسانه الكذب، لأنه صديق فأحياه كرامة له.

ورأيت: فى مجموع أن هذه الحكاية جرت بين على وأبى بكر فسألها أبو بكر عن عشائها فقالت أكلت زيتًا ونمت على طهارة، فقال أكلت طيبًا ونمت طيبًا وأرجو له من اللّٰه السلامة.

وفى الرياض النضرة: عن النبى عليه الصلاة والسلام أن اللّٰه يكره فى السماء أن يخطى أبو بكر وذكر السنفى أن رجلاً مات بالمدينة فأراد النبى أن يصلى عليه فنزل جبريل وقال يا محمد لا تصل عليه فامتنع فجاء أبو بكر فقال يا نبى اللّٰه صل عليه فما علمت منه إلا خيرًا، فنزل جبريل وقال: يا محمد صل عليه فإن شهادة أبى بكر مقدمة على شهادتى.

وقال جابر بن عبد اللّٰه: قال النبى ﷺ: «تلتقى الملائكة بأبى بكر الصديق فتزفه إلى الجنة» وقال عمر: قال النبى ﷺ: «إن فى الجنة حوار خلقهن اللّٰه من الورد يقال لهن الورديات لا يتزوج منهن إلا نبى أو صديق أو شهيد وإن لأبى بكر منهن أربعمائة» وكان أبو بكر الصديق يقول: اللهم اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتيمه وخير أيامى يوم لقائك، ورأيت فى تفسير الرازى: أن النبى ﷺ دفع خاتمه إلى أبى بكر وقال اكتب عليه لا إله إلا اللّٰه فدفعه أبو بكر إلى النقاش وقال اكتب عليه لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه فكتب عليه فلما جاء به أبو بكر إلى النبى ﷺ وجد عليه لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه أبو بكر الصديق فقال ما هذه الزيادة يا أبا بكر فقال: ما رضيت أن أفرق اسمك عن اسم اللّٰه وأما الباقى فما قلته فنزل جبريل، وقال: إن اللّٰه سبحانه وتعالى يقول: إنى كتبت اسم أبى بكر لأنه ما رضى أن يفرق اسمك عن اسمى، وأنا ما رضيت أن أفرق اسمه عن اسمك.

فـــائدة: يستحب التختم للرجال والنساء لكن تكره الزيادة على خاتمين فى كل يد للرجال ولا يكره اتخاذه من حديد وغيره ويحرم من ذهب لذكر بالغ أو خنثى، وقال ﷺ: «تختموا بالعقيق فإنه ينفى الفقر واليمين أحق بالزينة» قال الشيخ عبد القادر الجيلانى– رضى اللّٰه عنه– : والاختيار أن التختم فى خنصر اليسار أفضل واستشهد بحديث رواه أبو داود وحكاه النووى فى شرح المهذب عن صاحب التتمة وغيره ثم قال والصحيح فى اليمين أفضل وقال ﷺ: «تختموا بالعقيق فإنه لا يصيبكم

غم ما دام عليكم» وفى رواية: فإنه مبارك وفى رواية: من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة وسرور وعنه ﷺ: «من تختم بالعقيق ونقش فصه وما توفيقى إلا باللَّه وفقه اللَّه لكل خير وأحبه الملكان الموكلان به» قال ابن طرخان فى الطب النبوى: من تختم بالعقيق ذهبت عنه حدة الغضب، وهو يقوى القلب وينفع من الوسواس والخفقان وشربه يقطع نزيف الدم وسيأتى فى مناقب على حديث آخر وقال أبو هريرة- رضى اللَّه عنه- : قال النبى ﷺ: «إن للَّه علمًا من نور مكتوب عليه لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه أبو بكر الصديق» وقال النبى أيضًا: يا رب إنك جعلت أبا بكر رفيقى فى الغار فاجعله رفيقى فى الجنة قال فى روض الأفكار صلى أبو بكر الصديق بالناس فى مرض النبى ﷺ الذى مات فيه تسعة أيام وقال النسائى والطبرانى: إن آخر صلاة صلاها النبى خلف أبى بكر وكان- رضى اللَّه عنه- أبيض نحيفًا خفيف العارضين، قال حذيفة- رضى اللَّه عنه- صنع النبى طعامًا ودعا أصحابه فأطعمهم بيده لقمة لقمة، وقال: سيد القوم خادمهم وأطعم أبا بكر ثلاث لقم فسأله العباس عن ذلك فقال لما أطعمته أول لقمة، قال جبريل: هنيئًا لك يا عتيق فلما ألقمته الثانية قال له ميكائيل: هنيئًا لك يا رفيق فلما ألقمته الثالثة قال له رب العزة هنيئًا لك يا صديق، فإن قيل: كيف زاده عند قول جبريل وميكائيل ولما قال له الحق قطع عنه الزيادة؟

فالجواب: أغناه قول الحق عن الزيادة.

قال مؤلفه- رحمه اللَّه- : هذا ما يسره اللَّه تعالى من مناقب معدن الفخار وكنز الوقار أنيس نبيه فى الغار شيخ المهاجرين والأنصار السابق للإجابة الموصوف بالإنابة الصاحب الصديق والمؤيد بالتحقيق الخليفة الشفيق المستخرج من أطيب أصل وعريق الملقب بعتيق المكنى بأبى بكر الصديق- رضى اللَّه تعالى عنه- وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

مناقب سراج أهل الجنة عمر بن الخطاب- رضى الله عنه

قال على- رضى اللَّه عنه: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة، فبلغه ذلك فقال أنت سمعت هذا من رسول اللَّه قال: نعم، قال: اكتب لى خطك فكتب بعد البسملة هذا ما ضمن على بن أبى طالب لعمر بن الخطاب عن النبى ﷺ عن ربه عز وجل أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة فأخذها عمر وقال اجعلوها فى كفنى حتى ألقى بها ربى ففعلوا، قال الطبرانى: معناه أن قريشًا كانت فى ظلمة الشرك فلما أسلم عمر أنقذهم اللَّه من ظلمة الشرك إلى نور الإسلام فإن قيل فائدة السراج ضوؤه فى الظلمة والجنة لا ظلمة فيها فالجواب أنه يزهو ويضىء لأهلها كما يضىء السراج لأهل الدنيا، وينتفعون بهديه كما ينتفعون بالسراج فى الدنيا قال ﷺ: «دخلت الجنة فأتيت على قصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر قالوا: لرجل من العرب» وفى رواية لرجل عربى، قلت: أنا عربى لمن هذا القصر، قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا من قريش لمن هذا القصر، قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد لمن هذا القصر، قالوا: لعمر بن الخطاب، وكان عمر

ابن الخطاب طويلاً خفيف العارضين شديد حمرة العينين، وكان عند الكوفيين أسمر اللون وعند أهل الحجاز أبيض أمهق أى لونه كلون الجص الأدم له ظاهر، وقال ابن عباس: نظر النبى ﷺ إلى عمر ذات يوم فتبسم وقال: يا ابن الخطاب أتدرى لم تبسمت فى وجهك؟ قال اللّه ورسوله أعلم قال: إن اللّه نظر إليك بالشفقة والرحمة ليلة عرفة وجعلك مفتاح الإسلام، وقال أبى بن كعب كان النبى ﷺ يقول: أول من يسلم عليه الحق عمر بن الخطاب- رضى اللّلّه عنه- وأول من يؤخذ بيده فينطلق به إلى باب الجنة عمر بن الخطاب، وعن ابن عباس عن النبى ﷺ ينادى مناد يوم القيامة أين الفاروق فيؤتى بعمر إلى اللّه تعالى فيقال: مرحبًا بك يا أبا حفص هذا كتابك إن شئت فاقرأه وإن شئت فلا فقد غفرت لك، فيقول الإسلام يا رب هذا عمر أعزنى فى دار الدنيا فأعزه فى عرصات القيامة فعند ذلك يحمل على ناقة من نور ثم يكسى حلتين لو نشرت إحداهما لغطت الخلائق ثم يسير بين يديه سبعون ألف ملك، ثم ينادى مناد أهل الموقف هذا عمر بن الخطاب فاعرفوه، وعن أنس عن النبى ﷺ قال: «من أحب عمر عمر قلبه بالإيمان» وقال على: قال النبى ﷺ: «اتقوا غضب عمر فإن اللّه تعالى يغضب إذا غضب عمر» وقال ﷺ: «من أحب عمر فقد أحبنى ومن أبغض عمر فقد أبغضنى» وقال ابن عباس: لما أسلم عمر قال المشركون: انتصف القوم منا وجاء جبريل وقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر، وقالت عائشة: نظرت إلى السماء والنجوم مشتبكة، فقلت: يا رسول اللّه أيكون فى الدنيا أحد له حسنات بعدد نجوم السماء، فقال: نعم قلت من هو قال: عمر بن الخطاب، فقالت كنت أشتهيها لأبى بكر فقال: إن عمر حسنة من حسنات أبى بكر قال بعضهم: دعا النبى ﷺ لعمر وأمن أبو بكر فاستجاب اللّه ذلك فهو حسنة من حسنات أبى بكر وحسنات النبى ﷺ وقال على- رضى اللّه عنه- : رأيت فى المنام كأنى أصلى خلف النبى ﷺ فجاءته جارية برطب فأخذ رطبة فجعلت فى فمى ثم أخذ أخرى كذلك فاستيقظت وفى قلبى الشوق إلى رسول اللّه ﷺ وحلاوة الرطب فى فمى فذهبت إلى المسجد فصليت الصبح خلف عمر، فأردت أن أتكلم بالرؤيا وإذا بجارية على باب المسجد ومعها رطب فوضع بين يدى عمر فأخذ رطبة فجعلها فى فمى ثم أخذ أخرى كذلك ثم فرق على أصحابه وكنت أشتهى منه، يعنى الزيادة فقال: لو زادك رسول اللّه ﷺ البارحة لزدتك فتعجبت من ذلك فقال: يا على المؤمن ينظر بنور اللّه فقال صدقت يا أمير المؤمنين هكذا رأيت وهكذا وجدت طعمه ولذته من يدك كما وجدته من يد رسول اللّه ﷺ.

حكاية: قال عمر- رضى اللّه عنه- : خرجت أتعرض للنبى ﷺ فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة وهى القيامة فتعجبت من تأليف القرآن فقلت هذا شعر، فقرأ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ فقلت هذا كاهن فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥)﴾ [الحاقة: ٤٠- ٤٥]، أى لأخذنا منه بالقوة والقدر ثم لقطعنا منه الوتين وهو عرق معلق به القلب فما منكم من أحد عنه حاجزين فوقع الإسلام فى قلبى، وقال أنس- رضى الله عنه- : خرج عمر يريد قتل النبى ﷺ فلقيه رجل فأخبره، فقال: كيف تأمن من بنى هاشم؟ ثم قال: يا عمر إن أختك وزوجها يعنى سعيد بن زيد أحد العشرة قد أسلما فلما دخل عليهما قال ما هذا الصوت الذى أسمع منكما وكان عندهما رجل يعلمهما سورة طه، قال القرطبى: هو حبيب بن الحارث من المهاجرين فاستخفى حبيب من عمر فقال سعيد: يا عمر أرأيت أن كنا على الحق فضربه ضربًا شديدًا فقامت أخته فاطمة ودفعته عن زوجها فضربها فأدمى وجهها، ثم قال عمر: أعطينى هذه الصحيفة، فقالت: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ [الواقعة: ٧٩]، فقام فتوضأ فأخذها فوجد فيها طه إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾ [طه: ١٤]، فقال دلونى على محمد فلما سمع الصحابى الذى يعلمهم اطمأن وخرج فقال أبشر يا عمر فإنى سمعت النبى ﷺ يقول: «**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام**» يعنى أبا جهل فانطلق عمر إلى دار النبى ﷺ فوجد على الباب حمزة وجماعة فلما رأى حمزة عمر وجل القوم من عمر لما رأوه، فقال حمزة: إن يرد اللّه بعمر خيرًا هداه إلى الإسلام وإن يرد به غير ذلك فقتله علينا هين، فخرج النبى ﷺ فأخذ بمجامع ثوبه وقال أما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل اللّه بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة من الخزى، اللهم اهد عمر اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه فكبر المسلمون تكبيرة سمعها أهل مكة، قال: فتذاكرت أهل مكة لأنهم أشد عداوة للنبى حين أخبروا بإسلامى، فقلت: خالى أبو جهل فانتبه فقال: مرحبًا بك يا ابن أختى ما حاجتك قلت جئتك أخبرك أنى أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه فضرب الباب فى وجهى وقال قبحك وقبح ما جئت به، قالت عائشة: كانت الدعوة من النبى يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس ثم قال يا نبى اللّه لا نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل، فقال إنا قليل فقال والذى بعثك بالحق نبيًا لا يبقى مجلس جلست فيه للكفر إلا جلست فيه للإيمان ثم خرج وطاف بالبيت وهو يظهر بالشهادتين فوثب إليه المشركون فوثب عمر على واحد منهم وجلس على صدره وأدخل أصبعيه فى عينيه فصاح الرجل فَفَرَّ الناس من عمر ثم جاء إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول اللّه لم يبق مجلس إلا وأظهرت فيه الإسلام فخرج من الدار وعمر أمامه وحمزة من خلفه حتى طاف بالبيت وصلى الظهر جهرة قال العلائى فى سورة براءة: كان إسلام عمر بعد إسلام حمزة بيوم وقيل بثلاثة، وعن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- قال: جاء جبريل وقال: يا محمد أقرئ عمر منى السلام وأخبره رضاه عز وغضبه حلم وليبكين الإسلام بعد موتك على موت عمر، قال: يا جبريل أخبرنى عن فضائل عمر وما له عند اللّه تعالى فقال: يا محمد لو جلست معك قدر ما لبث نوح فى قومه لم أستطع أن أخبرك بفضائل عمر وما له عند اللّه تعالى وفى ربيع الأبرار عن ابن عباس أن الملائكة تفرح بذهاب الشتاء

رحمة للفقراء وفى الإحياء أحيى اللَّه إلى داود- عليه السلام- تهيأ لملاقاة عدو، قال: يا رب ما هو قال البردوفى ربيع الأبرار وضوء المؤمن فى الشتاء يعدل عبادة الرهبان كلها وقال محمد بن عبد العزيز البرد عدو الدين، قال على توقوا البرد فى أوله وتلقوه فى آخره فإنه يفعل بالبدن كما يفعل بالشجرة فى أوله يحرق وفى آخره يورق، وقال أنس: استعينوا على برد الشتاء بأكل التمر والزبيب، واستعينوا على الصيف بالحجامة.

حكاية: أرسل عمر بن الخطاب جيشًا إلى مدائن كسرى فلما بلغوا شط الدجلة لم يجد سفينة، فقال سعد بن أبى وقاص وهو أمير السرية وخالد بن الوليد- رضى اللَّه عنهما-- يا بحر إنك تجرى بأمر اللَّه فبحرمة محمدﷺ وعدل عمر إلا ما خليتنا والعبور فعبروا بخليهم ورجالهم فلم تبتل حوافرها ذكره الحسنى فى قمع النفوس.

قال مؤلفه: هذا ما يسر اللَّه به من مناقب من شيد من الدين أركانه وزحزح من الكفر بنيانه وأعلى من الحق مناره وأخمد من الكفر ناره حتى استعز به الإسلام وأغيظت به عبدة الأصنام المتسربل برداء الحياء والغيرة الذى ما سلك فجا إلا سلك الشيطان غيره، الذى أزاح عن الحق دين الباطل ولفظه وحل حبله ونقضه وسل صارم عزمه على جيش الجهالة فأنقضه ورمى الطاعون بسهام الإسلام فارفضه وزوج نبيه بالطاهرة ابنته حفصة ونعته النبىﷺ بالفاروق وخصه القصير الأمل الكثير العمل الذى لا يتدخل فعله زيغ ولا روع، ولا زلل الناطق بالصواب المنصور يوم الأحزاب الملهم فصل الخطاب السابق يوم القيامة بيمينه لأخذ الكتاب أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب وأحاديثه خمسمائة وستة وعشرون فى الصحيحين وفى البخارى وحده أربعة وثلاثون وفى مسلم أحد وعشرون، واللَّه أعلم.

مناقب أبى بكر وعمر جميعاً- رضى اللَّه عنهما

قال الحسن بن على- رضى اللَّه عنهما- نظر النبىﷺ إلى أبى بكر وعمر، فقال: إنى أحبكما ومن أحببته أحبه اللَّه واللَّه أشد حبّا لكما منى وإن الملائكة لتحبكما بحب اللَّه إياكما أحب اللَّه من أحبكما وأبغض من أبغضكما ووصل من وصلكما وقطع من قطعكما، وقال على: رأيت النبىﷺ بعينى هاتين وإلا فعميتا وسمعته أذناى وإلا فصمتا يقول: ما ولد فى الإسلام مولود أزكى وأطهر من أبى بكر وعمر، وقال أنس: دخلت على النبىﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فوضع يمينه على كتف أبى بكر ويساره على كتف عمر وقال: أنتما وزرائى فى الدنيا وأنتما وزرائى فى الآخرة وهكذا تنشق الأرض عنى وعنكما، وهكذا أزور أنا وأنتما رب العالمين، وقال النبىﷺ أبو بكر وعمر: خير أهل السماء وخير أهل الأرض وخير من مضى وخير من بقى إلى يوم القيامة إلا النبيين والمرسلين، وقالﷺ: «خير أمتى من بعدى أبو بكر وعمر زينهما اللَّه بزينة الملائكة وجعل أسماءهما مع أنبيائه ورسله فى ديوان السماء»، قال النبىﷺ تفاخرت الجنة والنار فقالت: النار

للجنة أنا أعظم منك قدرًا لأن فى الفراعنة والجبابرة فأوحى اللّه إلى الجنة أن قولى بل لى الفضل إذ زيننى بأبى بكر وعمر، وعن رسول اللّه ﷺ إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا لا يرفعن أحد كتابه قبل أبى بكر وعمر وقال أبو هريرة- رضى اللّه عنه- : كنا مع النبى ﷺ فى المسجد فدخل أبو بكر وعمر فقام لهما النبى ﷺ فقيل يا رسول اللّه: قد نهيتنا عن القيام بعضنا لبعض إلا لثلاثة للأبوين ولعالم يعمل بعلمه ولسلطان عادل فقال: كان عندى جبريل فلما دخلا قام جبريل فقمت أنا مع جبريل وعن سفينة قال: لما بنى النبى ﷺ المسجد وضع حجرًا ثم قال: ليضع أبو بكر حجرًا إلى جنب حجرى ثم قال: ليضع عمر حجر إلى جنب حجر أبى بكر، ثم قام ليضع عثمان حجر إلى جنب عمر قال: قال ﷺ هؤلاء الخلفاء بعدى ذكره فى الرياض النضرة وقال على- رضى اللّه عنه- يا رسول اللّه من يؤمروا بعدك قال: لإن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينًا زاهدًا فى الدنيا راغبًا فى الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه أمينًا قويًا لا يخاف فى اللّه لومة لائم، وأن تؤمروا عليًا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديًا مهديًا يأخذ بكم الطريق المستقيم، وعن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «ليلة أسرى بى رأيت الشمس تقاد من المشرق إلى المغرب وعلى جبهتها سطران مكتوبا فسألت جبريل عنهما فقال: أول سطر لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه أبو بكر الشفيق والثانى لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه عمر الفاروق» ذكره فى الرياض النضرة وقال فى عيون المجالس عن النبى ﷺ: «دخلت الجنة ليلة أسرى بى فأعطيت سفرجلة فانفلقت عن حوراء فقلت لمن أنت فقالت إن على هذا النهر سبعين ألف شجرة، لكل شجرة سبعين ألف غصن فى كل غصن سبعون ألف ورقة على كل ورقة حوراء مثلى خلقهن اللّه لمحبى أبى بكر»، وعن أنس عن النبى ﷺ: «لما عرج بى رأيت فى السماء خيلاً موقوفة مسرجة ملجمة الا تروث ولا تبول رؤوسها من الياقوت الأحمر وحوافرها من الزبرجد الأخضر وأبدانها من العقبان الأصفر ذوات أجنحة فقلت يا جبريل لمن هذه قال لمحبى أبى بكر وعمر: يزورون اللّه عليها يوم القيامة»، وقال النبى ﷺ: **«إن اللّه تعالى أيدنى من أهل السماء بجبريل وميكائيل ومن أهل الأرض بأبى بكر وعمر»**، وعن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «أبو بكر وعمر فى أمتى كمثل الشمس والقمر فى الكواكب»، وعن أنس عن النبى ﷺ بكل شىء شفاء وشفاء القلوب ذكر اللّه وشفاء ذكر اللّه حب أبى بكر وعمر وعن النبى ﷺ: «إنى لأرجو لأمتى بحب أبى بكر وعمر كما أرجو بقول لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه» وقال رجل لعلى بن أبى طالب من أول الناس دخولاً الجنة بعد النبى ﷺ قال أبو بكر وعمر، فقال: قبلك يا أمير المؤمنين فقال: أى والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنهما ليأكلان من ثمارها ويتكآن على فرشها.

فائدة: فى الترغيب والترهيب، عن النبى ﷺ: «من حفر قبرًا بنى اللّه له بيتًا فى الجنة ومن غسل ميتًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ومن كفن ميتًا كساه اللّه من الجنة ومن عزى حزينًا ألبسه اللّه لباس التقوى وصلى اللّه على روحه فى الأرواح ومن اتبع جنازة حتى يقضى دفنها كتب اللّه له ثلاثة قراريط

كل قيراط منها أعظم من جبل أحد» وقال ﷺ: **«من غسل ميتًا وكفنه وحنطه وحمله وصلى عليه ولم يفش عنه ما رأى خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه»**.

وفى الرياض النضرة: عن النبى ﷺ دخلت الجنة ليلة أسرى بى فاستقبلنى حمزة بن عبد المطلب، فسألته أى الأعمال أفضل وأحب إلى اللّه وأثقل فى الميزان، فقال: الصلاة عليك والترحم على أبى بكر وعمر وفى ربيع الأبرار عن النبى ﷺ: **«يموت عيسى بن مريم بمدينتى فيدفن إلى جانب قبر عمر فطوبى لأبى بكر وعمر فإنهما يحشران بين نبيين»**، وعن النبى ﷺ: «ينادى مناد من تحت العرش من له على اللّه حق فليقم، قال: يا رسول اللّه ومن له على اللّه حق، قال: من أحب أبا بكر وعمر».

حكاية: قال محمد بن السماك: كان لى جار يسب أبا بكر وعمر فوقع بينى وبينه كلام حتى تناولنى وتناولته فانصرفت إلى منزلى مهمومًا، فرأيت النبى ﷺ فى المنام فذكرت له ذلك فقال النبى ﷺ: خذ هذه السكين واذبحه بها فذبحته فاستيقظت وأنا أسمع الصراخ فى داره فلما أصبحت نظرت إليه على المغتسل فرأيت أثر السكين فى عنقه، قال النبى ﷺ: «فى سماء الدنيا ثمانون ألف ملك يستغفرون لمن يحب أبا بكر عمر، وفى السماء الثانية ثمانون ألفًا يلعنون باغضى أبى بكر وعمر».

حكاية: قال بعضهم: كنت مسافرًا مع جماعة فتكلموا فى أبى بكر وعمر فزجرتهم عن ذلك ثم خرج علينا سبع فحملنى من بينهم، فقلت فى نفسى: لقد شمت هؤلاء الروافض ثم طرحنى بين أولاده فدنوا منى ثم هربوا وقالوا بلسان فصيح يا أبانا نجوع ثلاثة أيام ثم تأتينا بمن يحب أبا بكر وعمر، قال ابن المسيب: لما مات النبى ﷺ ارتجت مكة فقال عثمان أبو قحافة وهو والد أبى بكر: ما هذا قالوا مات النبى ﷺ فقال: من تولى على الناس بعده قالوا ابنك أبو بكر قال: أرضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم، قال: لا مانع لما أعطى اللّه ولا معطى لما منع اللّه وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنى عشر ليلة، وقيل: عشرين يومًا وقيل: عشرة أيام ومات ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جماد الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة كان آخر كلامه رب توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين، قال العلائى: لما مات أبو بكر قال: احملونى إلى قبر النبى وقولوا السلام عليك يا رسول اللّه هذا أبو بكر يستأذنك أتأذن له فى الدخول فلما فعلوا ذلك سمعوا هاتفًا يقول ادخلوا الحبيب على الحبيب فدفنوه إلى جانب قبر رسول اللّه ﷺ وألصقوا لحده بلحده، قال الطبرى: لما مات أبو بكر أدخله عليه على فقال: رحمك اللّه كنت ألف رسول اللّه وأنيسه موضع سره وكنت أول القوم إسلامًا وأشهدهم يقينًا وأرفعهم درجة، وكنت من رسول اللّه بمنزلة السمع والبصر فجزاك اللّه عن الإسلام خيرًا.

لطيفة: قال على: أصدق الناس فراسة أربعة.

امرأتان الأولى: بنت شعيب واسمها صفوريًا، قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]، الآية الثانية: خديجة تفرست فى النبى، وقيل: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، حيث قالت: عن موسى قرة عين لى ولك لا تقتلوه.

ورجــلان الأول: عزيز مصر تفرس فى يوسف، قال: أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أى أكرمى نزله ومقامه، قال الرازى: اشتراه العزيز وعمره سبع عشرة سنة وأقام عنده ثلاث عشرة سنة وأعطاه الريان ملك مصر الوزارة وهو ابن ثلاثين سنة وأعطاه اللّٰه الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتولى ملك مصر وهو ابن مائة وعشرين سنة، ومات الريان فى حياة يوسف بعد أن آمن به الرجل الثانى أبو بكر- رضى اللّٰه عنه- تفرس فى عمر فجعله الخليفة بعده.

لطيـفة: قال عمر- رضى اللّٰه عنه- على المنبر: رأيت فى المنام كأن ديكًا نقرنى ثلاث نقرات، وإنى لأراه حضور أجلى فلما طعنه فيروز غلام المغيرة فى المحراب قبل دخوله فى الصلاة يوم الأربعاء سادس ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد عند صاحبيه، أظلمت الأرض فجعل الصبى يقول: يا أماه قامت القيامة تقول: لا بنى ولكن قتل عمر بن الخطاب وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وعشر ليال، وقال أبو بكر الصديق: الظلمات خمس ولكن لكل واحدة سراج فى الذنوب ظلمة وسراجها التوبة والقبر ظلمة وسراجه الصلاة والميزان ظلمة وسراجه لا إله إلا اللّٰه والصراط ظلمة وسراجه اليقين والآخرة ظلمة وسراجها العمل الصالح، قالت عائشة: رأيت فى المنام كأن ثلاثة أقمار سقطن فى بيتى فأخبرت بذلك أبا بكر فقال: يدفن فى بيتك خيار أهل الأرض فلما مات النبى ﷺ قال: يا عائشة هذا خير أقمارك ثم دفن أبو بكر ثم عمر- رضوان اللّٰه عليهم أجمعين-.

باب: مناقب عثمان بن عفان- رضى اللّٰه عنه

وهو أقرب العشرة إلى النبى ﷺ نسبًا بعد على بن أبى طالب، وقد تسمى جماعة من الصحابة بعثمان منهم عثمان بن حنيف صحابى وعثمان بن طلحة صحابى، وهو الذى قتل أباه طلحة يوم أحد كافرًا، وعثمان بن أبى العاص صحابى وعثمان بن عامر ولد أبى بكر صحابى وعثمان بن مظعون صحابى- رضى اللّٰه عنهم أجمعين- قال اللّٰه تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر:٩]، قال ابن عمر هو عثمان بن عفان: وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة قال أسامة- رضى اللّٰه عنه- : بعثنى رسول اللّٰه ﷺ إلى عثمان بقصعة فيها لحم فدخلت عليه وهو جالس مع رقية ما رأيت زوجين أحسن منهما فجعلت أنظر إلى عثمان مرة وإلى رقية مرة فلما رجعت إلى النبى ﷺ قال: هل دخلت عليهما قلت: نعم، قال: هل رأيت زوجين أحسن منهما؟ قلت: لا. لم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عثمان ويكنى بأبى عمرو ويلقب بذى النورين، لأن اللّٰه تعالى

يعطيه يوم القيامة نورين ويعطى كل واحد نوراً، وقيل: لأنه كريم فى الجاهلية والإسلام، وقيل: لأن تزوج بنتى رسول اللّه ﷺ ولم يتفق ذلك لغيره من قبله قال معاذ بن جبل- رضى اللّه عنه- قال النبى ﷺ عثمان بن عفان أشبه الناس بى خلقًا وهو ذو النورين زوجته ابنتى وهو معى فى الجنة كهاتين، وحرك السبابة والوسطى، وقال أبو هريرة- رضى اللّه عنه- قال النبى ﷺ: يا عثمان هذا جبريل يخبرنى عن اللّه عزّ وجلّ أنك نور أهل السماء ومصباح أهل الأرض وأهل الجنة، قالت أسماء بنت أبى بكر- رضى اللّه عنها- : لما هاجر عثمان وزوجته رقية بنت النبى ﷺ قال: والذى نفسى بيده أنه أول من هاجر بعد إبراهيم ولوط- عليهما السلام- قال فى العرائس: سمى لوط بهذا الاسم لأنه حبه لاط بقلب إبراهيم أى التصق به وبهاجر وسارة، ولوط كان مهاجراً من العراق إلى الشام.

قال فى مجمع الأحباب: تزوج عثمان برقية قبل النبوة وماتت عنده بالمدينة فى اليوم الذى جاء البشير بنصرة المؤمنين يوم بدر ثم تزوج أختها أم كلثوم، وقال على- رضى اللّه عنه- : سمعت النبى ﷺ يقول: لو كان عندى أربعون بنتًا وفى رواية غيره مائة بنت لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة، وقال نجم الدين النسفى: أولاد أبى لهب خمسة عتبة وعتيبة وعتاب ومعتب ومعيتب قال النيسابورى قال أبو لهب: يا محمد إن أسلمت فمالى قال: ما للمسلمين قال: أفلا أفضل عليهم، فقال: فبماذا تفضل عليهم فقال: تبًا لدين أنا وغيرى فيه سواء، فجاء النبى ﷺ ليلاً وقال: إن كان يمنعك العار فأجبنى فى هذا الوقت فقال: حتى يؤمن بك هذا الجدى فقال النبى: يا جدى من أنا قال: أنت رسول اللّه وأثنى عليه فقال أبو لهب: تبًا لك أثر فيك سحر محمد قال الجدى: تبًا لك أنت فمزق أبو لهب جلده بالسكين، قال على- رضى اللّه عنه- : على المنبر ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها، قالوا بلى قال أبو بكر الصديق ثم قال: ألا أخبركم بالثانى قالوا بلى، قال عمر: ثم قال: ألا أخبركم بالثالث قالوا: بلى فنزل على وهو يقول عثمان عثمان.

حكاية: قالت عائشة: - رضى اللّه عنها- مكثنا أربعة أيام ما طعمنا شيئًا فدخل علينا رسول اللّه ﷺ فقال: يا عائشة هل أصبتم شيئًا بعدى قلت لا، فتوضأ وخرج يصلى ههنا مرة وههنا مرة يدعو فجاء عثمان آخر النهار فأخبرته الخبر فبكى، ثم قال: أين رسول اللّه فأخبرته بما قال لى فخرج عثمان وبعث لنا دقيقًا وتمرا وغيره، ثم قال: هذا يبطئ عليكم فأرسل خبزاً ولحمًا مشويًا، ثم جاء النبى ﷺ فقال: هل أصبتم شيئًا فأخبرته بما فعل عثمان فلم يجلس حتى خرج إلى المسجد ورفع يده وقال: اللهم إنى رضيت عن عثمان فارض عنه اللهم إنى رضيت عن عثمان فارض عنه، اللهم إنى رضيت عن عثمان فارض عنه، وقال أبو سعيد الخدرى- رضى اللّه عنه- : رأيت النبى ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان، وقال على- رضى اللّه عنه- فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، هو عثمان بن عفان، وعن ابن عباس- رضى اللّه عنهما-

عن النبى ﷺ ليشفعن عثمان فى سبعين ألفًا ممن قد استوجب النار حتى يدخلهم الجنة، قال أنس- رضى اللَّه عنه- عطس عثمان عند النبى ﷺ ثلاث عطسات متواليات فقال ﷺ: يا عثمان ألا أبشرك قال: بلى يا رسول اللَّه، قال: هذا جبريل يخبرنى عن اللَّه تعالى أن من عطس ثلاث عطسات متواليات كان الإيمان ثابتًا فى قلبه.

فائدة: تشميت العاطس سنة على الكفاية عند الشافعى، ويصح نذره وفرض كفاية عند الإمام مالك، إذا قال: الحمد للَّه فلو قال: اللَّه أكبر مثلاً لم يستحق التشميت، قال العبادى: فى طبقات الفقهاء إذا عطس وحده يقول الحمد للَّه يرحمنى اللَّه ويستحب للعاطس أن يقول لمن يشمته يهديكم اللَّه أو يغفر اللَّه لكم قاله فى الروضة: وزاد البرماوى فى شرح البخارى يصلح بالكم أى شأنكم، وعن سعيد بن جبير- رضى اللَّه عنه- من عطس عند أخيه فلم يشمته كانت له عليه دين فيطالبه بها يوم القيامة، وقد تقدم فى فضل رمضان عن النبى ﷺ من عطس وقرأ الفاتحة كانت له شفاء السنة وعنه ﷺ من سبق العاطس بالحمد للَّه أمن من الشوص واللوص والعلوص، رواه ابن ماجه أى من وجع الأذن والضرس والبطن.

لطيفة: عطس النبى ﷺ بحضرة يهودى فقال: يا محمد يرحمك اللَّه فقال: «يهديك اللَّه» فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً رسول اللَّه، وعن أبى هريرة وابن عباس- رضى اللَّه عنهما- أن النبى ﷺ قال لعثمان: أنت ذو النورين قال: يا رسول اللَّه ولم سميتنى بذى النورين قال: لأنك تقتل وأنت تقرأ سورة النور وعن ابن عمر- رضى اللَّه عنهما- قال النبى ﷺ: إذا كان يوم القيامة يؤتى بعثمان أوداجه تشخب دمًا اللون لون الدم والريح ريح السمك ويكسى حلتين من نور وينصب له منبر على الصراط فيجوز المؤمنون بنوره، وليس لمبغضه من نصيب، قال ابن سعد- رضى اللَّه عنه-: وصف لنا رسول اللَّه ﷺ ذات يوم الجنة فقيل: يا رسول اللَّه فى الجنة برق قال: نعم والذى نفسى بيده أن عثمان بن عفان ليتحول من منزل إلى منزل فتفرق له الجنة، قال فى صفوة الصفوة: كان عثمان بن عفان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله قالت امرأته كان يحيى الليل كله فى ركعة يجمع فيها القرآن وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويأكل الخل والزيت، قالت عائشة- رضى اللَّه عنها- قال النبى ﷺ: فى مرضه وددت أن عندى بعض أصحابى، فقلت أبا بكر قال: لا قلت عمر قال: لا قلت عثمان قال: نعم فلما جاء عثمان أشار إليه بيده فتنحيت وهو يساره ووجه عثمان يتغير، فلما حضروا قالوا ألم نقاتل معك، قال النبى ﷺ: عهد إلى عهد فأنا صابر ثم قتل- رضى اللَّه عنه- ظلمًا يوم الجمعة عام خمس وثلاثين وهو ابن تسعين وقيل ثمانين، قال عمر- رضى اللَّه عنه- قال النبى ﷺ: يوم يموت عثمان تصلى عليه ملائكة السماء، قلت: يا رسول اللَّه عثمان خاصة أم الناس عامة قال: عثمان خاصة.

وسئل: على - رضى اللَّه عنه- عن عثمان، فقال: ذلك يدعى فى الملأ الأعلى ذو النورين قال فى ربيع الأبرار: النوران نور نفسه ونور زوجته، ويقال لقتادة بن النعمان الأنصارى: ذو العين لأن عينه قلعت يوم أحد فردها النبى ﷺ فكانت لا تمرض والأخرى تمرض، فقال النبى ﷺ عثمان أحيى أمتى وأكرمها وقال: أشهد أمتى حياء عثمان وقال عثمان- رضى اللَّه عنه- : ما لمست فرجى بيمينى لأنى لمست بها يد رسول اللَّه ﷺ وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهر وأربعة عشر يومًا، وشبهه ﷺ بإبراهيم وفى رواية بهارون فيجمع بين الروايتين بأنه يشبه إبراهيم فى استحياء الملائكة منه أو فى بعض صفاته وهارون فى بعض وروى مائة حديث وستة وأربعين حديثًا منها ثلاثة عشر فى البخارى ومسلم وانفرد البخارى بثمانية ومسلم بخمسة.

قال مؤلفه- رحمه اللَّه تعالى- : فهذا ما يسر اللَّه من مناقب ثالث الخلفاء ذى الصدق والوفاء من أعلى اللَّه فى الفردوس أرائكه واستحييت من جلالته الملائكة سمير الحق وأليفه مزهق الباطل وممزقه مشيد أركان الإيمان، ومرتل القرآن أمير المؤمنين عثمان بن عفان- رضى اللَّه عنه وعن بقية الصحابة أجمعين.

باب: مناقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب- رضى اللَّه عنه-

كان مربوع القامة أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه، كأن وجهه قمر ليلة البدر عظيم البطن أعلاه علم وأسفله طعام وكان كثير شعر اللحية قليل شعر الرأس عنقه أبريق فضة- رضى اللَّه عنه- وعن أمه وأخويه جعفر وعقيل وعميه حمزة والعباس أسلم وهو ابن ثمان سنين، وقيل سبع وضمه رسول اللَّه ﷺ إليه وسبب ذلك أن قريشًا أصابهم قحط وكان أبو طالب كثير العيال فقال النبى ﷺ: لعمه العباس قم بنا حتى نخفف عن أبى طالب من عياله، قال: نعم فأخذ البعاس جعفرًا وأخذ النبى ﷺ عليًا قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : أول من أسلم بعد خديجة على وقال على- رضى اللَّه عنه- عبدت اللَّه خمس سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة.

ورأيت فى الفصول المهمة فى معرفة الأئمة بمكة المشرفة شرفها اللَّه تعالى لأبى الحسن المالكى: أن عليًا ولدته أمه بجوف الكعبة شرفها اللَّه تعالى وهى فضيلة خصه اللَّه تعالى بها، ذلك أن فاطمة بنت أسد- رضى اللَّه عنها- أصابها شدة الطلق فأدخلها أبو طالب إلى الكعبة فطلقت طلقة واحدة ووضعته يوم الجمعة فى رجب سنة ثلاثين من عام الفيل بعد أن تزوج النبى ﷺ خديجة بثلاث سنين، وأما عمرو بن حزم فولدته أمه فى الكعبة اتفاقًا لا قصدًا وأم على أول هاشمية ولدت هاشميًا أسلمت وهاجرت وماتت فى حياة النبى ﷺ ونزل فى قبرها، قال المحب الطبرى: بعث النبى ﷺ: يوم الإثنين فأسلم علىٌّ يوم الثلاثاء، وكان أبوه يقول: يا بنى اتبع ابن عمك فإنه لا يأمر إلا بالخير وأما أنا فلا أفارق دين آبائى، قال النبى ﷺ: لقد صلت الملائكة علىَّ وعلىٍّ لأنا كنا نصلى وليس معنا أحد، وعن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ قال: ما مررت بسماء إلا وأهلها مشتاقون

إلى على بن أبى طالب، وعن أبى ذر- رضى اللَّه عنه- قال: قال النبى ﷺ: لما أسرى بى مررت بملك جالس على سرير من نور إحدى رجليه بالمشرق والأخرى بالمغرب والدنيا كلها بين عينيه وبين يديه لوح فقلت: يا جبريل من هذا قال: عزرائيل تقدم فسلم عليه فسلمت عليه فقال: وعليك السلام يا أحمد ما فعل ابن عمك على، فقلت: هل تعرف ابن عمى عليّا، قال: وكيف لا أعرفه وقد وكلنى ربى بقبض أرواح الخلائق ما خلا روحك وروح ابن عمك، وعنه أيضًا قال: سمعت النبى ﷺ يقول: لعلى أنت الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذى تفرق بين الحق والباطل، وقال على- رضى اللَّه عنه- قال لى النبى ﷺ: يا على إنك أول من يقرع باب الجنة بعدى فتدخلها بغير حساب، وقال أيضًا- رضى اللَّه عنه- قال لى النبى ﷺ: «من مات على حبك بعد موتك ختم اللَّه له بالأمن والإيمان».

وقال فى الزهر الفاتح: كان النبى ﷺ فى أصحابه فجاء علىّ فتزحزح له أبو بكر عن مكانه، وقال: ههنا يا أبا الحسن ففرح النبى ﷺ بذلك، وقال: أهل الفضل أولى بالفضل ولا يعرف الفضل لأهل الفضل، ودخل رجل فتزحزح له النبى ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إن فى المكان سعة فقال النبى ﷺ: إن حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له، وعن النبى ﷺ رحم اللَّه رجلاً تفسح لأخيه ذكرهما نجم الدين النسفى.

حكاية: عن أنس- رضى اللَّه عنه- قال: خرجت مع بلال وعلى بن أبى طالب- رضى اللَّه عنهما- إلى السوق فاشترى بطيخًا وانطلقنا إلى منزله فكسر واحدة فوجدها مرة فأمر بلال برد البطيخ إلى صاحبه، ثم قال: ألا أحدثكم حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ قال: يا أبا الحسن إن اللَّه تعالى أخذ حبك على البشر والشجر فما أجاب على حبك عذب وطاب ومن لم يجب إلى حبك خبث ومرّ، وأظن أن هذا البطيخ ممن لا يحبنى.

مسألة: لو اشترى بطيخًا فوجده مدودًا أو حامضًا يرده ولا أرش، فإن وجده تالفًا لا قيمة لفاسده فأكله بجميع الثمن ولو باعه بشرط براءته من كل عيب فوجد به عيبًا باطنًا صح وله رده هذا فى البطيخ وغيره مما لا روح فيه من الحيوان إذا باعه وشرط براءته من كل عيب فإن لم يبرأ من عيب ظاهر كرفس الدابة يصح البيع وله الخيار فى الرد ويبرأ البائع من عيب باطن بالحيوان كوجع ونحوه مما لا يرى كالبرص بين الإليتين، فإن علم البائع الباطن لم يبرأ لأنه يجب عليه أن يبينه فالبيع صحيح والخيار فى الرد ثابت للمشترى، والخيار على ثلاثة أقسام: خيار المجلس وهو خيار التروى يكون فى البيع والسلم والصرف وهو بيع الذهب بذهب أو فضة أو بيع فضة بفضة ولا يكون فى النكاح، وخيار الشرط يكون فى البيع والنكاح كشرط البكارة فى تزوج الجارية أو بيعها، وخيار النقيصة بأن ظهر به عيب يكون فى البيع والنكاح.

فـائدة: فى كتاب شرعة الإسلام: أكل البطيخ يقتل الديدان ويحد البصر ويطيب النكهة ويسكن الصداع ويسبح فى البطن وهو طعام وشراب وريحان وأشنان فمن أراد شراءه، فليقل عند تقليبها إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء اللّٰه لمهتدون وإن أراد قطعها فليقل ﴿ **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** ﴿٧١﴾ ﴾ [البقرة: ٧١]، فإن اللّٰه تعالى يطيبها.

ورأيت فى **نزهة النفوس والأفكار فى خواص الحيـوان والنبات والأشجار:** أن البطيخ الأصفر يصفى اللون وأن الأخضر أفضل منه وأكله قبل الطعام يغسل البطن غسلاً ويذهب بالداء أصلاً وينفع من الأمراض الحارة والإكثار منه يضر بالمشايخ وأصحاب الأمزجة الباردة، إلا إذا كان بعده سكراً أو عسلاً.

حـكـايـة: كان رجل يخطب ويطعم أهله فخرج فى يوم بارد فوجد شجرة بطيخ وعليها ثلاث بطيخات فأخذ واحدة وجاء إلى أهله فقالوا لا حاجة لنا بها، فخرج إلى السوق ليبيعها فوجد رسول الخليفة يطلب بطيخة وقد أصابه علة فاشتراها ثم فى اليوم الثانى كذلك، ثم فى اليوم الثالث كذلك فحصل الشفاء للخليفة فطلبه وقال: أدخل خزائنى وخذ ما شئت فوجد قارورة فيها ماء ورد فأخذها فقيل له هذا يساوى مالاً قليلاً خذ غيرها، قال: إنى أريد أن أسقى شجرة البطيخ حيث عرفتنى بالخليفة فأحسن عطاءه وأكرمه.

لطيـفة: قال النسفى: إن شجرة البطيخ شكت ثقل حملها إلى ربها فقال: من أعانك على ذلك، قالت: الأرض قال: ألق حملك عليها والإشارة فيه أن العبد أوقعه فى المعصية طمعه فى رحمة اللّٰه تعالى فيقال: وألق المعصية على من أوقعك فيها.

قـال فى ربيع الأبرار: دخل داود- عليه السلام- غاراً فوجد رجلاً ميتًا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان ملكت الدنيا ألف عام وبنيت ألف مدينة وتزوجت ألف امرأة وهزمت ألف جيش ثم صار من أمرى إنى بعثت قفيزاً من الدراهم فى طلب رغيف واحد فلم يوجد ثم بعثت قفيزاً من الذهب، فلم يوجد فسحقت الجواهر واستففتها فمت مكانى فمن أصبح له رغيف وهو يحسب أن أحدًا على الأرض أغنى منه أماته اللّٰه موتى وقوله: قفيز بالزاى المعجمة.

وفـى ربيـع الأبـرار: عـن الـنبـى ﷺ من صبر على القوت صبراً جميلاً أسكنه اللّٰه تعالى من الفردوس حيث يشاء، وفى الحديث عن النبى ﷺ المؤمن القوى أحب إلى اللّٰه من المؤمن الضعيف أراد القوى على الطاعة والضعف عنها والطمع فى عفو اللّٰه من غير تعب فى طاعته محال، وقال النبى ﷺ: «**إن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عمل عليها**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴿٤﴾ **بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا** ﴿٥﴾ ﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]، قال ابن عباس- رضى اللّٰه عنهما- : أوحى اللّٰه تعالى لها أى أذن لها أن تخبر بما عمل عليها وقوله: ﴿ **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴿٢﴾ ﴾ [الزلزلة]،

أى أخرجت ما فيها من الكنوز والأموات والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣﴾ [الزلزلة: ٣]، أى يقول الكافر ما الأرض زلزلت أى تحركت حركة شديدة وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾ [الزلزلة: ٦]، أى يرجع الناس من موقف الحساب متفرقين أهل الإيمان على حدة وغيرهم على حدة نظيره يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون قاله الواحدى: فى البسيط.

فائدة: عن النبى ﷺ: من أحب عليًا بقلبه فله ثواب ثلث هذه الأمة ومن أحبه بقلبه ولسانه فله ثواب ثلثى هذه الأمة ومن أحبه بقلبه ولسانه ويده فله ثواب هذه الأمة ألا وأن جبريل - عليه السلام- أخبرنى أن السعيد كل السعد من أحب عليًا فى حياته وبعد مماته ألا وإن الشقى كل الشقى من أبغض عليًا فى حياته وبعد مماته، قال ابن عباس- رضى الله عنهما- : حب على بن أبى طالب يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب ولو اجتمع الناس على حبه لما خلق الله جهنم، وعن النبى ﷺ من أراد أن يتمسك بقضيب الياقوت الأحمر الذى غرسه الله فى جنات عدن فليتمسك بحب على- رضى الله عنه- وقال النبى ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه وإلى نوح فى فهمه وإلى إبراهيم فى حلمه وإلى موسى فى زهده وإلى محمد فى بهائه فلينظر إلى على بن أبى طالب» ذكره ابن الجوزى وعنه ﷺ مكتوب على باب الجنة محمد رسول الله قبل أن يخلق السموات بألفى عام، وقال ابن عباس- رضى الله عنه- : كنا عند رسول الله ﷺوإذا بطائر فى فمه لوزة خضراء فألقاها فأخذها النبى ﷺ فوجد فيها درة خضراء مكتوب عليها بالأصفر لا إله إلا الله محمد رسول الله نصرته بعلى، فقال النبى: «لعلى إنك سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين» وعن أنس- رضى الله عنه- عن النبى ﷺ ادع لى سيد العرب يعنى عليًا فلما جاء أرسل إلى الأنصار، فقال: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على من إذا تمسكتم به لن تضلوا بعده، قالوا: بلى يا رسول الله هذا علىّ فأحبوه بحبى وأكرموه بكرامتى فإن جبريل أمرنى بالذى قلت: لكم عن الله تعالى، قال على- رضى الله عنه- : من بات تعبان من كسب حلال بات الله راض عنه وعشرة تورث النسيان كثرة الهم والحجامة فى النقرة والبول فى الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكزبرة الخضراء وأكل سؤر الفأر وقراءة ألواح القبور والنظر إلى المصلوب والمشى بين الجملين المقطورين والقاء القملة حية.

مسألة: يكره البول فى الماء الراكد والجارىإذا كان قليلاً والقاء القملة حية فى النار حرام كغيرها من المؤذيات.

حكاية: رأيت فى شوارد الملح قال رجل لعلى: إنى أريد السفر وأخاف من السبع فدفع إليه خاتمه، وقال له: إذا جاءك السبع فقل له هذا خاتم على بن أبى طالب فلما رآه السبع رفع رأسه إلى

السماء وهمهم ثم إلى الأرض كذلك ثم إلى المشرق كذلك، ثم إلى المغرب كذلك ثم ذهب مهرولاً فلما حضرت أخبرت عليًا بذلك، فقال: إنه يقول وحق من رفعها وحق من وضعها وحق من أطلعها وحق من غيبها لا أسكن ببلاد يشكونى فيها لعلى بن أبى طالب ومن كراماته أيضًا أنه كان رضيعًا فى مهده فقصدته حَيَّة فانحدر من مهده لقتلها فتعجبت أمه من ذلك فسمعت هاتفًا يقول: هذا حيدرة انحدر من مهده إلى عدوه فقتله حكاه ابن الجوزى، ونقل عنه أنه قال: (أنا الذى سمتنى أمى حيدرة) ومن كراماته أنه كان يتعرض فى بطن أمه فيمنعها من السجود للصنم إذا أرادت ذلك حكاه النسفى، قالت فاطمة: يا رسول اللَّه إن عليًا ينام ليلة الجمعة وهى فضيلة فقال: إن اللَّه تعالى تصدق عليه بنومه ليلة الجمعة وأنه يخلق من روحه طيرًا أخضر يسرح فى طريق السماء فما فيها موضع شبر إلا وفيه لروح على ركعة وسجدة، قال النسفى: فلذلك قال: سلونى عن طرق السماوات فإنى أعلم بها من طرق الأرض فجاء جبريل فى صورة رجل، فقال: إن كنت صادقًا فأخبرنى أين جبريل فنظر إلى السماء يمينًا وشمالاً ثم إلى الأرض كذلك، فقال: ما وجدته فى السماءو لا فى الأرض ولعله أنت ومن كراماته أيضًا أن اللَّه أعطاه علم البرزخ فلما مات عمر- رضى اللَّه عنه- جلس على قبره ليسمع قوله للملكين: فلما دخلا عليه ارتعد منهما ثم أجاب فقالا له: نم فقال: كيف أنام وقد أصابتنى منكما هذه الرعدة، وقد صحبا النبى ﷺ ولكن أشهد عليكما اللَّه وملائكته أن لا تدخلا على مؤمن إلا فى أحسن صورة ففعلا، فقال له على: نم يا ابن الخطاب فجزاك اللَّه عن المؤمنين خيرًا لقد كنت نفعًا للناس فى حياتك ومماتك.

فائدة: البرزخ هو الحاجز وبرزخ الآخرة الحاجز بين الأحياء والأموات، وتزوج رجل فى زمانه امرأتين فولدتا فى ليلة مظلمة فأتت واحدة بصبى والأخرى بأنثى فاختصمتا فى الصبى إليه، فأمر كل واحدة أن تحلب من لبنها شيئًا ثم وزن اللبنين فرجح أحدهما فحكم لصاحبة الراجح بالصبى، فقيل له من أين أخذت هذا فقال: من قول اللَّه تعالى ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، فإن اللَّه تعالى قد فضل الذكر فى كل شىء حتى فى غذائه، قال على- رضى اللَّه عنه- : كلوا اللحم فإنه جلاء للبصر ويصفى اللون ويحسن الخلق من تركه أربعين يومًا ساء خلقه، وقال غيره: أنه يزيد سبعين قوة وعن النبى ﷺ سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وفى لفظ المنافع عن النبى ﷺ للقلب فرحة عند أكل اللحم وفيه أيضًا أردأ اللحم لحم الخيل والإبل.

وفى نزهة النفوس: لحم الضأن يزيد فى الحفظ ويقوى الذهن وأطيبه لحم الظهر والمطبوخ أنفع وأخف على المعدة من المشوى والمقلى وانفع المشوى من الضأن ما عمره سنة وكذلك الفحل والسمين لأنه من سنة إبراهيم الخليل- عليه السلام- ولحم المعز يورث السوداء والنسيان ويفسد الدم خصوصًا المشايخ ومن طبعه بارد، ولحم البقر كثير الضرر، إلا إذا أكل بالزنجبيل والفلفل الكثير وأجود اللحوم لحم الدجاج.

قال فى لفظ المنافع: لحم الدجاج يحسن اللون ويقوى العقل خصوصًا التى لم تبض ولحم الديك العتيق ينفع من القولج وهو دواء لا غذاء بمعنى أنه لا يكثر منه وأجود الديوك ما لم يصفق بجناحه، وقال: أيضًا يجب على الموسر فى كل أسبوع لزوجته رطلان من اللحم والمعسر رطل والمتوسط رطل ونصف ويسن فى يوم الجمعة فإنه أولى بالتوسعة واختلفوا فى الخبز واللحم أيهما أفضل قال ابن مفلح أن اللحم أفضل لأنه طعام أهل الجنة، فاللحم سيد الإدام والخبز أفضل القوت، ورأيت كتاب رسائل الحاجات للغزالى أن جبريل- عليه السلام- أتى النبى ﷺ فقال: ألا أبشرك يا محمد قال: بلى فأتى به جبل قبيس فإذا على ساجد قد بلت دموعه موضع خديه، وهو يقول: اللهم ارحم ذلى وضراعتى إليك ووحشتى من خلقك وآنسنى بك يا كريم، فقال جبريل: يا محمد إنه لفى حال باهى اللّه به الملائكة ولا يدعو بهذا الدعاء أحد فى سجوده إلا خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها، قال على: من قال: كل يوم ثلاث مرات صلوات اللّه وسلامه على آدم غفر اللّه الذنوب وإن كانت أكثر من زبد البحر وكان رفيق آدم- عليه السلام- فى الجنة، وقال أبو هريرة- رضى اللّه عنه- : من لم يصل على آدم وحواء عند ذكرهما فقد عقهما صلوات اللّه وسلامه عليهما، وقال كعب الأحبار: ما من مؤمن ولا مؤمنة يستغفران لآدم وحواء إلا عرض ذلك عليهما فيفرحان بذلك ويقولان يا رب هذا فلان بن فلان قد استغفر لنا وصلى علينا فصل عليه يا رب وزده برًا وإحسانًا حكاه الكسائى فى قصص الأنبياء.

حكاية: قال أنس- رضى اللّه عنه- : قدمت للنبى ﷺ طعامًا فسمى وأكل لقمة ثم قال: «اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك وإلىّ» فطرق على الباب فقلت: من قال: على فقلت: أن رسول اللّه مشغول فأكل لقمة، ثم قال: «اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك وإلىّ» فطرق على الباب ورفع صوته، فقال ﷺ: «افتح الباب يا أنس» ففتحت فدخل على فلما رآه النبى ﷺ تبسم وقال: «الحمد للّه فإنى أدعو اللّه فى كل لقمة أن يأتى بأحب الخلق إليه وإلىّ» فقال: والذى بعثك بالحق إنى لأضرب الباب ثلاث مرات ويردنى أنس فقال النبى ﷺ: ما حملك على ما صنعت يا أنس قال: رجوت يا رسول اللّه أن يكون رجلاً من الأنصار، فقال: أو فى الأنصار من خير من على وأفضل وقال على- رضى اللّه عنه- : على المنبر ألا إن خير هذه الأمة أبو بكر وعمر، ثم قال: إن اللّه تعالى فتح الخلافة بأبى بكر وثناها بعمر وثلثا بعثمان ثم ختمها بى بختم محمد ﷺ.

قال فى مجمع الأحباب: ولى الخلافة خمس سنين قال: فى شرح المهذب إلا يسيرًا وقتل على فى رمضان ليلة الجمعة سنة أربعين ودفن بالكوفة وأحاديثه عن النبى ﷺ خمسمائة حديث روى عنه من التابعين خلائق مشهورين.

قال مؤلفه: فهذا ما يسر اللّه تعالى به من مناقب بطل الأبطال من تمادى على أهل الزيغ واستطال سيف اللّه المسلول وابن عم الرسول وزوج الطاهرة البتول الطيب المناقب فارس المشارق

والمغارب، والنجم الثاقب أمير المؤمنين أبى الحسنين على بن أبى طالب، وسيأتى ذكر أولاده وبعض مناقبه فى فضل زوجته فاطمة- رضى اللّه عنهم أجمعين.

باب: مناقب هؤلاء الأربعة- رضى الله عنهم إجمالاً

قال اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أى فى محبة أبى بكر ﴿وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أى فى محبة عمر ﴿وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أى فى محبة عثمان ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أى فى محبة على ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، بذلك قال طاوس عن ابن عباس- رضى اللّه عنهما-: فى قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ﴾ [التين: ١]، هو أبو بكر ﴿وَالزَّيْتُونِ (١)﴾ [التين: ١]، هو عمر ﴿وَطُورِ سِينِينَ (٢)﴾ [التين: ٢]، هو عثمان ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣)﴾ [التين: ٣]، هو على- رضى اللّه عنهم أجمعين- وقال أبى بن كعب: قرأت على النبى ﷺ سورة العصر فقلت: يا نبى اللّه ما تفسيرها قال: ﴿وَالْعَصْرِ (١)﴾ [العصر: ١]، قسم من اللّه تعالى بآخر النهار ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾ [العصر: ٢]، أبى جهل ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: ٣]، أبو بكر ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣]، عمر ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]، عثمان ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ٣]، على بن أبى طالب وقال بعضهم فى قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، محمد ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، أبو بكر ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، عمر والقانت: الطائع وقيل هو الذى يصلى بين المغرب والعشاء ﴿وَالْمُنفِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، عثمان ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ (١٧)﴾ [آل عمران: ١٧]، على بن أبى طالب والسحر هو ما بين الفجر الكاذب والصادق، ورأيت فى شرح البخارى لابن أبى جمرة عن النبى ﷺ قال: «أنا مدينة السخاء وأبو بكر بابها، وأنا مدينة الشجاعة وعمر بابها وأنا مدينة الحياء وعثمان بابها وأنا مدينة العلم وعلى بابها» ورأيت فى كتاب الفردوس عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «أبو بكر تاج الإسلام وعمر بن الخطاب حلة الإسلام وعثمان بن عفان إكليل الإسلام، وعلى بن أبى طالب طبيب الإسلام» وفى حديث آخر «أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها، وعثمان سقفها وعلى بابها» وعن أنس عن النبى ﷺ قال: «ما من نبى إلا وله نظير فى أمته» أى يشبهه فى بعض خصاله، فأبو بكر نظير أبى إبراهيم وعمر نظير موسى وعثمان نظير هارون وعلى نظيرى، وفى حديث آخر «من أراد أن ينظر إلى إبراهيم فلينظر إلى أبى بكر الصديق ومن أراد أن إلى نوح فلينظر إلى عمر ومن أراد أن ينظر إلى موسى فلينظر إلى عثمان، ومن أراد أن ينظر إلى هارون فلينظر إلى على» وعن النبى ﷺ قال: «أبو بكر كعينى من رأسى وعمر كلسانى وعثمان ككبدى وعلى كروحى من جسدى» وعن النبى ﷺ: «مثل أبى بكر وأمتى كمثل التكبيرة الأولى من الصلاة، ومثل عمر كمثل القراءة فى

الصلاة، ومثل عثمان كمثل الركوع ومثل على كمثل السجود» وقال رجل: يا نبى اللّه من أحب النساء إليك قال: عائشة قال: ومن الرجال قال: أبوها يرد يوم القيامة على فرس من مسك أزفر يعنى لا خلط فيه، قال: فما تقول فى عمر قال: يرد يوم القيامة على فرس من عنبر أشهب قال: فما تقول فى عثمان قال: يرد يوم القيامة على فرس من كافور أبيض قال: تقول فى على قال: أخى وابن عمى يرد يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة.

حكاية: قال محمد بن رزين: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت: يا نبى اللّه أنا شيخ خفيف البضاعة كثير العيال فعلمنى دعاء أدعو به وأستعين به على أمرى، فقال عليه الصلاة والسلام: عليك بثلاث دعوات فى كل شدة وفى دبر كل صلاة قل يا قديم الإحسان يا من إحسانه فوق كل إحسان يا ملك الدنيا والآخرة، ثم قال: واجتهد أن تموت على الإسلام والسنة وعلى حب هؤلاء الأربعة أبى بكر وهذا عمر وهذا عثمان وهذا على، فإنه لا تمسك النار أبداً.

فائدة: نزل جبريل بطبق تفاح من الجنة وقال: يا محمد أعط من تحب وكان الطبق مستوراً فأدخل يده وأخذ تفاحة على جانبيها بسم اللّه الرحمن الرحيم هذه هدية من اللّه لأبى بكر الصديق وعلى الجانب الآخر من أبغض الصديق فهو زنديق ثم أخذ أخرى على جانبيها بسم اللّه الرحمن الرحيم هذه هدية من اللّه الوهاب لعمر بن الخطاب، وعلى الجانب الآخر من أبغض عمر فهو فى سقر ثم أخذ أخرى وعلى جانبيها بسم اللّه الرحمن الرحيم هذه هدية من اللّه الحنان المنان لعثمان بن عفان وعلى جانبها الآخر من أبغض عثمان فخصمه الرحمن، ثم أخذ أخرى وعلى جانبيها بسم اللّه الرحمن الرحيم هذه هدية من اللّه الغالب، لعلى بن أبى طالب وعلى الجانب الآخر من أبغض عليّا لم يكن للّه وليّا فحمد اللّه محمد واثنى عليه، وعن النبى ﷺ أخبرنى جبريل أن اللّه تعالى لما خلق آدم وادخل الروح فى جسده أمرنى أن آخذ تفاحة من الجنة وأمرنى أن أعصرها فى حلقه فعصرتها فخلقك اللّه يا محمد من القطرة الأولى ومن الثانية أبا بكر ومن الثالثة عمر ومن الرابعة عثمان والخامسة عليّا، فقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أكرمتهم فقال اللّه تعالى خمسة أشياخ من ذريتك وهؤلاء أكرم عندى من جميع خلقى فلما عصى آدم قال: يا رب بحرمة أولئك الأشياخ الخمسة إلا تبت علىّ فتاب اللّه عليه، وقال ابن عباس- رضى اللّه عنهما- : عن النبى ﷺ ينادى مناد تحت العرش أين أصحاب محمد ﷺ فيؤتى بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى، فيقال: لأبى بكر على باب الجنة فأدخل من شئت برحمة اللّه وامنع من شئت بعلم اللّه، ويقال لعمر بن الخطاب قف عند الميزان فثقل من شئت برحمة اللّه وخفف من شئت بعلم اللّه ويكسى عثمان حلتين ويقال له البسهما فإنى خلعتهما عليك وادخرتهما لك حين أنشأت خلق السماوات والأرض ويعطى على بن أبى طالب عصا موسى- عليه السلام- من الشجرة التى غرسها اللّه بيده فى الجنة، فيقال: زد الناس فيذود بها بعض أصحاب محمد ﷺ عن الحوض أى يمنعهم وفى رواية أخرى ينادى مناد ليقم أهل

اللَّه فيقوم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فيقول اللَّه تعالى : لأبى بكر اذهب إلى باب الجنة فأدخل من شئت ، وامنع من شئت ، ويقال : لعمر اذهب إلى الميزان فثقل من شئت وخفف من شئت ويقال : لعثمان اذهب إلى الحوض فاسق من شئت واصرف من شئت ويقال : لعلى اذهب إلى الصراط فاحبس من شئت وجوز من شئت وعن النبى ﷺ : «من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور اللَّه ، ومن أحب عليّا فقد استمسك بالعروة الوثقى» .

فائدة: روى أبو داود والترمذى وابن ماجه ، عن النبى ﷺ من أطعمه اللَّه طعامًا فليقل : اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه ومن سقاه اللَّه لبنًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزودنا منه فإنى لا أعلم ما يجزى عن الطعام والشراب إلا اللبن واعلم أن أجود اللبن حين يحلب ، وهو أنفع المشروبات لبنى آدم ولبن الراعية خير من المعلوفة ، قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : إذا استقر العلف فى الدابة طبخته معدتها فيصير أعلاه دمًا وأوسطه لبنًا سائغًا أى لذيذاً لا يغص به شاربه وأسفله فرثًا فيذهب اللبن إلى الضرع والدم إلى العروق ويبقى الفرث فى الكرش ولبن المرأة السوداء أصح وأنفع من لبن البيضاء ولبن الجارية السوداء ينفع الصداع سعوطًا وشربه بالسكر يحسن اللون ويقطع الحكة عن أبدان المشايخ وبالعسل ينفع من النزلة ووجع العين واللبن من أفضل الأدوية للأخلاط السوداوية ينفع من الوسواس ، ومن شربه لا يأكل شيئًا ثقيلاً بعده ولا ينام سريعًا بل يصبر قليلاً ومن منافع الزبد البقرى أنه يسهل طلوع الأسنان للصغير إذا دلك موضعها به أو بشحم الدجاج ومن شرب من حليب البقر حين حلبه ثلاثة أيام متوالية قلع الصفار من الوجه ، ولبن البقر يخصب البدن ويطلق البطن ، وعن النبى ﷺ قال : «تداوو بألبان البقر» وفى حديث آخر «عليكم بألبان البقر فإنها شفاء والاكتحال بالسمن والزيت يقلع الجرب من العين والأجفان» .

مسألة: لبن المأكول والآدمى طاهر ، ويجوز بيع رطل من حليب بقرى برطلين من حليب الماعز ، بشرط الحلو والتقابض فى المجلس لأن لبن البقر مع لبن الضأن أو الماعز جنسان ولو باع رطل حليب ماعز برطلين من حليب الضأن لا يجز لأنهما جنس واحد كما لا يجوز بيع لبن البقر بلبن الجاموس متفاضلاً لأنهما جنس واحد ، وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍ ﴾ [الأعراف: ٤٣] ، أى من حقد وإذا كان يوم القيامة ينصب كراسى من ياقوت أحمر فيجلس أبو بكر على كرسى وعمر على كرسى وعثمان على كرسى وعلى على كرسى ثم يأمر اللَّه الكراسى فتطير بهم إلى تحت العرش فتسبل عليهم خيمة من ياقوتة بيضاء ثم يأتى بأربع كاسات فأبو بكر يسقى عمر وعمر يسقى عثمان وعثمان يسقى عليّا وعلى يسقى أبا بكر ثم يأمر اللَّه جهنم أن تتمحص بأمواجها فتقذف الروافض على ساحلها فيكشف اللَّه عن أبصارهم فينظرون إلى منازل أصحاب رسول اللَّه ﷺ فيقولون : «هؤلاء الذين أسعدهم اللَّه» وفى رواية فيقولون : «هؤلاء الذين سعد الناس بمتابعتهم

وشقينا نحن بمخالفتهم ثم يردون إلى جهنم بحسرة وندامة» قال: فى الزهر الفاتح من أحب أبا بكر وعمر وعثمان فهو يحب عليًا فهو مع من يدخل الجنة مع الخلفاء الثلاثة، ومن كان محبًا لعلى وحده ومبغضًا للثلاثة فليس له حظ فى الجنة.

حكاية: قال أنس: صعد النبى ﷺ المنبر فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: أين أبو بكر فقال: ها أنا يا رسول اللَّه فقال: ادن منى فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا أبو بكر الصديق شيخ المهاجرين والأنصار هذا صاحبى وصديقى صدقنى حين كذبنى الناس وآوانى حين طردنى الناس وآنسنى حين أوحشنى الناس، هذا الذى أمرنى اللَّه أن أتخذه والدًا فى الدنيا وخليلاً فى الآخرة وواسانى بنفسه وماله واشترى لى بلالاً من ماله فعلى مبغضه لعنة اللَّه واللَّه منه برئ، وأنا منه برئ فمن أحب أن يتبرأ من اللَّه ومنى فليتبرأ من أبى بكر الصديق وليبلغ الشاهد الغائب، ثم قال: أين عمر بن الخطاب فوثب قائمًا، وقال: ها أنا يا رسول اللَّه قال: ادن منى فدنا منه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال: بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا عمر بن الخطاب شيخ المهاجرين والأنصار هذا الذى أنزل اللَّه الحق على قلبه ولسانه هذا الذى يقول الحق وإن كان مرًا فعلى مبغضه لعنة اللَّه واللَّه منه برىء وأنا منه برىء ثم قال: أين عثمان بن عفان فقال: ها أنا يا رسول اللَّه قال: ادن منى فدنا فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال: معاشر المسلمين هذا عثمان شيخ المهاجرين والأنصار وهذا الذى استحيت منه ملائكة السماء هذا الذى أمرنى اللَّه أن أتخذه مسندًا وختنًا على ابنتى ولو كان عندى ثالثة لزوجته إياها فعلى مبغضه لعنة اللَّه ولعنة اللاعنين، ثم قال أين على بن أبى طالب فقال: ها أنا يا رسول اللَّه قال: ادن منى فدنا فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه، وقال بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا على بن أبى طالب شيخ المهاجرين والأنصار هذا أخى وابن عمى وختنى، هذا لحمى ودمى هذا مفرج الكروب عنى هذا أسد اللَّه وسيفه فى أرضه على أعدائه، فعلى مبغضه لعنة اللَّه ولعنة اللاعنين واللَّه منه برىء، فمن أراد أن يتبرأ من اللَّه ومنى فليتبرأ من على ابن أبى طالب.

حكاية: قال قتادة: سُئِلَ أنس بن مالك- رضى اللَّه عنه- عن عرش رب العزة قال أنس: سألت النبى ﷺ عن عرش رب العزَة فقال: سألت جبريل عن عرش رب العزة فقال جبريل: سألت ميكائيل عن عرش رب العزة فقال ميكائيل: سألت إسرافيل عن عرش رب العزة فقال: إسرافيل سألت الرفيع عن عرش رب العزة فقال: الرفيع سألت الروح عن عرش رب العزة فقال: إن العرش ثلثمائة ألف قائمة وستين ألف قائمة كل قائمة من قوائمه قدر طباق الدنيا ستين ألف مرة، وتحت كل قائمة ستون ألف أمة مثل الثقلين الجن والإنس ستين ألف مرة لا يعلمون أن اللَّه خلق آدم ولا النبيين قد ألهمهم اللَّه تعالى أن يستغفروا لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومحبيهم- رضى اللَّه عنهم أجمعين- وعن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ أنه قال: معاشر الناس ألا أدلكم على جنات عدن ونعيم لا

يزول قالوا: نعم يا رسول اللّه قال: عليكم بحب الأربعة شهداء اللّه فى أرضه وأركان جنته أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فإن حبهم كفارة لذنوبكم فمن أحبهم أحبه اللّه وأحبته الملائكة، وقال أنس- رضى اللّه عنه- : قال النبى ﷺ: «أربعة لا تجتمع حبهم فى قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلى».

حكاية: قال بعض الصالحين: كان لى جار كثير المعاصى فانتقلت من جواره فلما مات جاءنى رجل فى الليل طويل القامة فخفت من طوله، فقال: اذهب معى إلى قبر فلان فذهبت ففتحته، فرأيته على سرير فى روضة خضراء فقلت له: بم نلت هذه الكرامة، قال: كنت أقول: عقب كل صلاة اللهم ارض عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وارحمنى بحبهم.

باب: مناقب العشرة- رضى اللّه عنهم-

قالت عائشة- رضى اللّه عنها- : قال النبى ﷺ: «أبوك فى الجنة ورفيقه إبراهيم - عليه السلام- وعمر فى الجنة، ورفيقه نوح وعثمان فى الجنة ورفيقه أنا، وعلى فى الجنة ورفيقه يحيى بن ذكريا وطلحة فى الجنة ورفيقه داود - عليه السلام- والزبير فى الجنة ورفيقه إسماعيل، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ورفيقه سليمان وسعيد بن زيد فى الجنة ورفيقه موسى وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ورفيقه عيسى وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة ورفيقه إدريس، ثم قال: يا عائشة أنا سيد المرسلين وأبوك أفضل الصديقين وأنت أم المؤمنين» وعنه ﷺ قال: «عشرة من قريش فى الجنة وذكر هؤلاء» وعن النبى ﷺ: أرأف أمتى بأمتى أبو بكر وأقواهم فى دين اللّه عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم على، ولكل نبى حوارى وحوارى طلحة والزبير وحيثما كان سعد بن أبى وقاص فالحق معه وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن، وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن، وأمين اللّه أبو عبيدة بن الجراح، ولكل نبى سر وصاحب سرى معاوية فمن أحبهم فقد نجا ومن أبغضهم فقد هلك.

طلحة- رضى اللّه تعالى عنه- : كنيته أبو محمد وأمه صفية أسلم ولقبه النبى ﷺ يوم أحد طلحة الخير، ويوم حنين طلحة الجود وفى غزوة العشيرة طلحة الفياض لأنه تصدق ببئر اشترها ونحر جزورا فأطعمهم وسقاهم، ودعاه النبى ﷺ الفصيح المليح الصبيح، وقال: «أبشر يا طلحة فقد غفر اللّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وقد ثبت اسمك فى ديوان المقربين»، قال طلحة: حضرت سوق بصرى فرأيت راهبًا فقال: هل ظهر أحمد قلت: ومن أحمد قال: ابن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه هو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ويهاجر إلى نخل وسباخ فإياك أن تسبق إليه، قال طلحة: فى قلبى ما قاله فرجعت مسرعًا إلى مكة فأخبرونى أن محمد بن عبد اللّه ادعى النبوة وقد اتبعه ابن قحافة فرأيت أبا بكر فقلت له اَتبعت محمداً، قال: نعم فأخبرته بما قال الراهب فقال: اتبعه

يا طلحة فإنه يدعو إلى الحق فأسلم طلحة قال: ففرح النبى ﷺ بإسلام طلحة وبما قاله الراهب ولم يزل اسمه فى الجاهلية طلحة ويقال له ولأبى بكر: القرينان لأنهما لما أسلما ربطهما نوفل بن خويلد فى حبل واحد ثم نجاهما اللّه تعالى، قال النبى ﷺ: «يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام، ويقول: أنا معك فى أهوال يوم القيامة حتى أنجيك منها» وفى رواية: «هذا جبريل يخبرنى أنه لا يراك يوم القيامة فى هول إلا أنقذك منه، وأما طلحة الطلحات فهو رجل من خزاعة» قال المحب الطبرى قتل طلحة- رضى اللّه عنه- سنة أربع وثلاثين.

الزبير بن العوام- رضى اللّه عنه- : ويكنى بأبى عبد اللّه وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ أسلم وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل ابن ثمان سنين، وأسلم شقيقاه أخوه السائب وأخته أم حبيبة، وأسلم أخواه لأبيه عبد الرحمن وزينب، والزبير أول من سل سيفًا فى الإسلام أى فى سبيل اللّه، وقال النبى ﷺ: الزبير بن العوام ركن من أركان الإسلام وجلس يوم يذب عن وجه النبى ﷺ فاستيقظ وقال: جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك يوم القيامة حتى أذب عن وجهك شرر جهنم، قتل الزبير سنة ثلاث وثلاثين وعمره سبع وستون سنة.

عد الرحمن بن عوف- رضى اللّه عنه- : كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة وقبل عبد الحارث وقيل عبد عمر فسماه النبى ﷺ عبد الرحمن- رضى اللّه عنه- وعن شقيقه الأسود بن عوف وعن أخويه لأبيه عبد اللّه بن عوف وحمنن بن عوف عاش ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الإسلام قال ابن عباس- رضى اللّه عنهما- : وردت قافلة بتجارة من الشام لعبد الرحمن بن عوف، فحملها إلى النبى ﷺ فنزل جبريل، وقال: يا نبى اللّه إن اللّه تعالى يقرئك السلام ويقول: أقرئ عبد الرحمن السلام وبشره بالجنة ومن فضائله أن النبى ﷺ خلفه فى غزوة تبوك، وقال: ما قبض نبى حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته وكان النبى ﷺ قد اشتغل بالوضوء فصلى عبد الرحمن بالناس فى أول الوقت فأدرك النبى ﷺ ركعة معه، وقال النبى ﷺ: عبد الرحمن بن عوف سيد من سادات المسلمين سقى اللّه بن عوف من سلسبيل الجنة، وقال: عبد الرحمن بن عوف أمين فى السماء أمين فى الأرض، وروى خمسة وستين حديثًا.

حكاية: قال عبد الرحمن بن عوف: أغمى علىّ فجاءنى ملكان فظان غليظان فقالا: انطلق نخاصمك إلى العزيز الأمين فلقيهما ملك فقال: إلى أين فقالا: نخاصمه إلى العزيز، فقال: خليا عنه فإنه ممن سبقت له السعادة فى بطن أمه وكان من تواضعه لا يفرق بين عبيده.

وفى صحيح البخارى: إن الصحابةلما توجهوا مع عمر إلى الشام فبلغهم أن الوباء وقع بها فاختلفوا فى الرجوع وعدمه، فقال عبد الرحمن: سمعت النبى ﷺ يقول: **«إذا سمعتم الوباء وقع فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه»**.

فوائد: الأولى: عن النبى ﷺ: «من أمر المشط على حاجبيه عوفى من الوباء».

الثانية: وقع بالقاهرة وباء عظيم فرأ رجل النبى فعلمه هذا الدعاء، اللهم يا لطيفًا لم تزل ألطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل حى قيوم صمد باقى له كنف واق، وقال الشافعى: من أصابه هم أو سقم فليقرأ كل يوم حين يقوم من منامه أربع مرات ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

الثالثة: رأيت فى بعض المصنفات للحنفية من كتب حروف اسمه وهذه الحروف: ح ح ح ددررس ش وجعلها فى رأسه فإنه لا تصيبه آفة ولا عاهة ولا عين بإذن اللَّه تعالى.

حكاية: قال عبد الرحمن بن عوف: من كان من أحصاب بدر فله أربعمائة دينار فتصدق عليهم فى ذلك بمائة وخمسين ألف فلما جن عليه الليل كتب لفلان كذا ولفلان كذا حتى كتب قميصه وعمامته، ولم يترك من ماله شىء إلا كتبه للفقراء فلما صلى الصبح خلف النبى ﷺ نزل جبريل وقال: يا محمد إن اللَّه تعالى يقول: أقرئ عبد الرحمن منى السلام وقل له قد قبل اللَّه صدقتك وهو وكيل اللَّه ورسوله فليصنع فى ماله ما يشاء ولا حساب عليه، وبشره بالجنة وأعتق عبد الرحمن ثلاثين ألف رقبة وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين وبيعت بأربعمائة ألف فأمرته عائشة أن يدفن عند النبى ﷺ فقال: ما كنت لأضيق عليك بيتك وبينى وبين عثمان بن مظعون عهد أن من مات دفن إلى قبر صاحبه فيكون قبره وقبر عثمان فى قبة إبراهيم ابن النبى ﷺ وترك أربع زوجات فورثت كل امرأة ثمانين ألفًا مات سنة إحدى وثمانين وهو ابن خمس وسبعين سنة.

سعد بن أبى وقاص -رضى اللَّه عنه-: ويكنى بأبى إسحاق -رضى اللَّه عنه- وعن أخويه لأبويه عامر وعمير أسلم سعد وهو ابن سبع عشرة سنة، قال ابن عباس -رضى اللَّه عنهما-: قال النبى ﷺ: «يعد سعد بن أبى وقاص بألف فارس» ثم قال: «يا سعد أنت ناصر الدين حيث كنت» مات بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل على أعناق الرجال، وذلك فى سنة خمس وخمسين وله بضع وستون سنة، وهو آخر من مات من العشرة وصلى عليه أزواج النبى ﷺ روى مائتى حديث وسبعين حديثًا.

سعيد بن زيد -رضى اللَّه عنه-: ويكنى بأبى الأعور -رضى اللَّه عنه- وعن أبيه زيد بن نوفل قال الواحدى وغيره، نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [الزمر: ١٧]، أن يعبدوها. نزلت فى سليمان الفارسى وأبى ذر وزيد بن نوفل هداهم بغير كتاب ولا نبى طلب ولده سعد من النبى ﷺ أن يستغفر لأبيه زيد فاستغفر له وقال إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده وبنت عاتكة أخت سعيد كانت جميلة أسلمت فتزوجها عبد اللَّه بن أبى بكر فشغلته عن الجهاد فأمره أبو بكر بطلاقها، فطلقها ثم أنشد أبياتًا فأمره أبوه بمراجعتها وتقدم بيانه فى باب الخوف، مات سعيد بأرض العقيق وحمل إلى المدينة ودفن بها سنة خمسين، وروى ثمانية وأربعين حديثًا.

أبو عبيدة عامر بن الجراح- رضى اللَّه عنه- : لم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عامراً وكنيته أبو عبيدة، قتل أباه كافراً يوم بدر وقبره بقبور بيسان قال لأصحابه بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئة ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرها، وقال عمر- رضى اللَّه عنه- لأصحابه تمنوا، فقال رجل: أتمنى أن هذه الدار ملئت ذهبًا أنفقه فى سبيل اللَّه وقال الآخر: أتمنى أنها مملوءة جواهر ولؤلؤ أنفقه فى سبيل اللَّه، فقال: أتمنى أنها مملوءة رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح مات سنة ثمانى عشرة فى خلافة عمر- رضى اللَّه عنه- وهو ابن ثمانى وخمسين سنة فى طاعون عمواس، قال بعض الصحابة: الطاعون دعوة نبيكم ورحمة ربكم وموت الصالحين قبلكم.

قال أهل العلم: لا يكون الطاعون شهادة إلا لمن صبر عليه أما من فر منه فأصابه لا يكون شهيداً، حكاه المحب الطبرى فى الرياض النضرة فى مناقب العشرة، واللَّه أعلم.

باب: مناقب فاطمة الزهراء- رضى اللَّه عنها-

قال على: يا رسول اللَّه أنا أحب إليك أم فاطمة، قال هى أحب إلىّ منك، وأنت أعزّ على منها، قال الكلاباذى: معناه إنى أرق لها لأن الطبع له فى المحبة أثر والعزة من اللَّه تعالى، فعلى- رضى اللَّه عنه- أجل قدراً منها عند النبى ﷺ وليس للطبع فى العزة أثر، وقال النبى ﷺ: «إن اللَّه تعالى فطم ابنتى فاطمة وولديها ومن أحبهم أعتق من النار» وعن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ: «أنا شجرة وفاطمة حملها وعلى لقاحها والحسن والحسين ثمارها، ومحبوا أهل البيت أوراقها وكلنا فى الجنة حقّا حقّا صدقًا صدقًا وفى آخر من فقد الشمس فليتمسك بالقمر ومن فقد القمر فليتمسك بالزهرة، ومن فقد الزهرة فليتمسك بالفرقدين» فسئل عن ذلك فقال: «أنا الشمس وعلى القمر والزهرة فاطمة والفرقدان الحسن والحسين» ذكره فى العرائس وعن النبى ﷺ: «يا على خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن من أغصانها دخل الجنة» وعن النبى ﷺ قال: «مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها سلم ومن تخلف عنها زج فى النار» وعنه ﷺ: «**قال أصحابى كالنجوم بأيهم أقتديتهم اهتديتم**» شبههم بالنجوم لأن راكب البحر لا يستدل على النجاة إلا بالنجوم كذلك حب الصحابة دليل على النجاة من أهوال القيامة وعنه ﷺ: «من مات على حب آل محمد مات مؤمنًا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنةومن مات على حب آل محمد فتح اللَّه له فى قبره بابًا إلى الجنة، ومن مات على حب آل محمد جعل اللَّه قبره مزاراً لملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيتها، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيام مكتوب بين عينيه آيس من رحمة اللَّه، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا ومن مات على بغض آل

محمد لم يشم رائحة الجنة» حكاه القرطبى فى سورة الشورى وتقدم أن آله أهل دينه وأتباعه إلى يوم القيامة قال الأزهرى وهو أقرب إلى الصواب واختاره غيره وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى فى بعض مجالس وعظه: قيل للنبى ﷺ: من آلك قال كل تقى من آل محمد.

فـــائدة: القنبر طير صغير على رأسه تاج يقول فى صياحه اللهم العن باغض آل محمد، وعن أنس- رضى اللَّه عنه- كـان النبى ﷺ يمر على باب فاطمة إذا خرج لصلاة الفجر ويقول الصلاة يا أهل البيت إنما يريد اللَّه أن يذهب بكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، قال بعضهم: الرجس هو الطمع والبخل والتطهير التخلص من الأدناس.

لطيـفـة: وضع اللَّه تعالى خمسة فى خمسة العز فى القناعة والذل فى المعصية والهيبة فى قيام الليل والحكمة فى بطن جائع والغنى فى ترك الطمع، قال الكلبى وغيره: أهل البيت فاطمة والحسن والحسين، وقال ابن عباس وغيره: هم أزواج النبى ﷺ فقط، قال النسفى وغيره لما دخل النبى ﷺ الجنة ليلة المعراج رأى قصر خديجة المقدم ذكره فى مناقبها أخذ جبريل- عليه السلام- تفاحة من شجر القصر، وقال: يا محمد كل هذه التفاحة، فإن اللَّه تعالى يخلق منها بنتًا تحمل بها خديجة ففعل فلما حملت خديجة بفاطمة- رضى اللَّه عنها وجدت رائحة الجنة تسعة أشهر، فلما وضعتها انتقلت الرائحة إليها فكان النبى ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل فاطمة فلما كبرت، قال رسول اللَّه ﷺ: «يا ترى هذه الحورية لمن؟ فجاءه جبريل - عليه السلام- فى بعض الأيام وقال: إن اللَّه تعالى يقرئك السلام ويقول لك: اليوم كان عقد فاطمة فى موطنها فى قصر أمها فى الجنة الخاطب إسرافيل وجبريل وميكائيل الشهود والولى رب العزة، والزوج على- رضى اللَّه عنه-». قال أنس- رضى اللَّه عنه- بينما النبى ﷺ فى المسجد إذا قال لعلى هذا جبريل أخبرنى بأن اللَّه تعالى قد زوجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثرى عليهم الدر والياقوت والحلى والحلل فنثرت عليهم فابتدرت الحور العين يلتقطن فى الأطباق الدروالياقوت والحلى والحلل فهم يتهادونه إلى يوم القيامة، وفى رواية قال: «أبشر يا أبا الحسن فإن اللَّه تعالى قد زوجك فى السماء قبل أن أزوجك فى الأرض ولقد هبط إلىَّ ملك من السماء قبل أن تأتينى لم أرى قبله فى الملائكة مثله بوجوه شتى وأجنحة شتى، فقال: السلام عليك يا محمد أبشر باجتماع الشمل وطهارة النسل، قلت: وما ذاك قال: يا محمد أنا الملك الموكل بأحد قوائم العرش قد سألت ربى أن يأذن لى ببشارتك وهذا جبريل على أثرى يخبرك عن كرامة ربك لك فما تم كلامه حتى نزل جبريل على أثره وقال: السلام عليك يا رسول اللَّه ثم وضع فى يدى حريرة بيضاء فيها سطران مكتوبان بالنور، فقلت: ما هذه الخطوط، فقال: إن اللَّه تعالى اطلع إلى الأرض فاختارك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع إليها ثانيًا: فاختار لك أخًا وزيراً وصاحبًا فزوجه ابنتك فاطمة فقلت: يا جبريل من هذا الرجل؟ فقال أخوك فى الدارين ابن عمك فى النسب على بن أبى طالب، وإن اللَّه تعالى أوحى إلى

الجنان أن تزخرفى وإلى الحور أن تزينى وإلى شجرة طوبى أن انثرى ما عليك من الحلى والحلل كما تقدم، قال جابر بن عبد اللّٰه- رضى اللّٰه عنهما- : دخلت أم أيمن على النبى ﷺ تبكى فسألها عن ذلك، فقالت: دخل على رجل من الأنصار قد زوج ابنته ونثر عليها الرز والسكر فتذكرت تزويجك فاطمة ولم تنثر عليها شيئًا، فقال: والذى بعثنى بالكرامة وخصنى بالرسالة إن اللّٰه تعالى لما زوج عليّا فاطمة أمر الملائكة المقربين أن يحدقوا بالعرش فيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وأمر الجنان أن تتزخرف والحور العين أن تتزين ثم أمرها أن ترقص فرقصت، ثم أمر الطيور أن تغنى فغنت، ثم أمرشجرة طوبى أن تنثر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الزبرجد الأخضر مع الياقوت الأحمر، وفى رواية كان الزواج عند سدرة المنتهى، ليلة المعراج وأوحى اللّٰه إليها أن انثرى ما عليك فنثرت الدر والمرجان».

فصل: تزويج حواء بآدم عليهما الصلاة والسلام

وفيه نوع تشبيه بتزويج فاطمة بعلى- رضى اللّٰه عنهما- قال الكسائى وغيره لما خلق اللّٰه آدم خلق من ضلعه الأيسر حواء، وهو فى الجنة وأودعها حُسنَ سبعين حوراء فصارت حواء بين الحور العين كالقمر بين الكواكب وكان آدم نائمًا فلما استيقظ مد يده إليها، فقيل له: حتى تؤدى مهرها قال: وما هو؟ قال: أن تصلى على محمد ثلاث مرات، وقيل: حتى تعلمها معالم دينها وكان آدم- عليه السلام- أودعه اللّٰه من الحسن والكمال حتى أن خده الأيمن يغلب شعاع الشمس، وكان نور محمد ﷺ فى خده الأيمن والأيسر يغلب على القمر، وكان يوسف- عليه السلام- فيه فلما نظر آدم فى وجه حواء نظرت حواء فى وجه آدم، قال: يا حواء ما أرى أن اللّٰه تعالى خلق خلقًا أحسن منك ومنى، فأوحى اللّٰه تعالى إلى جبريل خذ بيد حواء وآدم إلى الفردوس الأعلى وافتح لهما قصراً من القصور ففتح باب قصر من الياقوت الأحمر فيه قبة من الكافور على قوائمة الزبرجد فى روضة من زعفران ففتح جبريل باب القبة، فرأى سريراً من الذهب قوائمه من الدر عليه جارية لها نور وشعاع وعلى رأسها تاج من ذهب مرصع بالجواهر لم ير آدم أحسن منه عليه صورة جميلة، فقال آدم: يا رب من هذه الصورة قال: فاطمة بنت نبينا محمد ﷺ قال: يا رب من يكون بعلها فقال اللّٰه تعالى: يا جبريل افتح باب قصر من ياقوت ففتح له فرأى فيه قبة من الكافورفيها سرير من ذهب عليه شاب حسنه كحسن يوسف- عليه السلام-، فقال: هذا بعلها على بن أبى طالب فقال: يا رب هل لهما أولاد؟ فأمر اللّٰه تعالى جبريل - عليه السلام- أن يفتح باب قصر من اللؤلؤ ففتح باب قصر من اللؤلؤ فيه قبة من الزبرجد فيها من العنبر عليه صورة الحسن والحسين- رضى اللّٰه عنهما فرجع آدم إلى موضعه فلما زوجه اللّٰه تعالى بحواء نثرت عليهما الملائكة نثار الجنة فصار نثر اللوز والسكر والزبيب ونحو ذلك حلال، ويجوز التقاطه وتركه أولى إلا إذا عرف أن الناثر لا يؤثر بعضهم على بعض ولم يقدح التقاطه فى مروءته ومن أخذه ملكه وإن وقع فى ثوابه بقصده، ويكره أخذه من الهواء

ثم أمر اللَّه تعالى ناقة من الجوهر فركبها آدم - عليه السلام- وركبت حواء على ناقة من نوق الجنة والملائكة عن أيمانهما وشمائلهما حتى دخلت جنة عدن وإذا بسرير له سبعمائة قائمة من أنواع الجواهر وعلى السرير أربع قباب قبة الرضوان وقبة الغفران وقبة الرحمة وقبة الكرم فنزل آدم وحواء وقد جيء لهما بفواكه من الجنة ثم تحول إلى قبة الرحمة ونادى مناديًا أهل السماوات إنا اللَّه قد زوج آدم بحواء وقد أباح لهما ما فى الجنة إلا هذه الشجرة فلما سبق فى علم اللَّه ما سبق هبط آدم من باب التوبة وحواء من باب الرحمة وإبليس من باب الخوف بزيادة قال فى ربيع الأبرار حملت حواء بهابيل وأخته فى الجنة ووضعتهما بغير وحم ولا ألم قبل الأكل من الشجرة وقابيل وأخته فى الدنيا، واللَّه أعلم.

فائدة: قال المحب الطبرى: فى الرياض النضرة قد ثبت أن النبى ﷺ قال: سألت ربى عز وجل أن لا يدخل النار أحدًا صاهرنى أو صاهرته، قال الطبرى: وأرجو أن تكون ثابتة فيمن صاهره فى أحد من ذريته إلى يوم القيامة فلما كان ليلة الزفاف بفاطمة عَلَى عَلِىّ- رضى اللَّه عنهما- أركبهما النبى ﷺ على بغلته الشهباء وأمر سليمان الفارسى أن يقودها والنبى ﷺ يسوقها ولما كان فى أثناء سيرهما فى الطريق إذ سمع وجبة فإذا جبريل- عليه السلام- بسبعين ألفًا من الملائكة، فقال النبى ﷺ: «ما أهبطتكم قالوا: جئنا نزف فاطمة إلى زوجها فكبر جبريل وميكائيل والملائكة فصار التكبير على العرائس من تلك الليلة» وفى رواية: أن اللَّه تعالى لما أمرنى أن أزوج عليًا فاطمة قال جبريل: إن اللَّه تعالى قد بنى جنة من اللؤلؤ بين كل قصبة وقصبة ياقوتة مشدودة بالذهب، وجعل سقوفها زبرجد أخضر وجعل فيها طاقات مكللة بالياقوت ثم جعل عليهم غرفًا لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد ثم جعل فيها عيونًا تنبع من نواحيها وحفها بالأنهار، وجعل على الأنهار قبابًا من در قد شعبت بسلاسل الذهب وحفها بأنواع الشجر وجعل فى كل قبة أريكة من درة بيضاء، وفرش أرضها بالزعفران لكل قبة مائة باب على كل باب جاريتان وشجرتان مكتوب حول القبب آية الكرسى فقلنا يا جبريل لمن هذه الجنة فقال هذه الجنة بناها اللَّه تعالى لعلى وفاطمة- رضى اللَّه عنهما- وفى رواية قال جبريل- عليه السلام-: إن اللَّه تعالى أمر الملائكة أن تجتمع عند البيت المعمور.

قال النسفى: إن السماء الرابعة أربعة أركان ركن من ياقوت أحمر، وركن من زبرجد أخضر، وركن من فضة، وركن من ذهب.

وفى العرائس: عن النبى ﷺ فى السماء الدنيا بيت يقال له المعمور بإزاء الكعبة فهبطت الملائكة من الرفيق الأعلى وأمر اللَّه تعالى رضوان أن ينصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور، وأمر ملكًا يقال له راحيل أن يصعد على المنبر، فحمد اللَّه وأثنى عليه بما هو أهله فارتجت السماوات فرحًا وسرورًا، وأوحى اللَّه تعالى إليه أن اعقد عقدة النكاح فإنى زوجت عليًا بفاطمة أمتى

بنت محمد ﷺ رسولى فعقدت وأشهدت الملائكة وكتبت شهادتهم فى هذه الحريرة، وأمرنى ربى أن أعرضها عليك وأختمها بخاتم مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان، قال المحب الطبرى: فخطب النبى ﷺ فقال: «الحمد للَّه المحمود بنعمته المعبود بقدرته المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه بحكمته الذى خلق الخلائق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ وملته إن اللَّه تبارك وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببًا لاحقًا وأمرًا مفترضًا وشج به الأرحام وألزم به الأنام، فقال عز من قائل ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: ٥٤]، فأمر اللَّه أن يجرى بقضائه وقضاؤه يجرى بقدرته لكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب، ثم إن اللَّه تعالى أمرنى أن أزوج فاطمة بنت خديجة بعلى بن أبى طالب فاشهدوا أنى قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك، فقال على: رضيت يا رسول اللَّه فقال: جمع شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما الكثير الطيب».

مسألة: قال فى الروضة: يسن أن لا يزاد فى الصداق على صداق أزواج النبى ﷺ وبناته وهو خمسمائة درهم، وتقدم خلافه فى مناقب أزواجه وأقل الصداق وعند الإمامين ما يصح بيعه، وعند ملك ربع دينار وعند أبى حنيفة عشرة دراهم والمراد بالدرهم الدرهم الشرعى كل درهم بأربعة عشر قيراطًا.

قال الرازى - رحمه اللَّه -: قالوا: تجوز المغالاة فى مهور النساء لقوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠]، فلا تأخذوا منه شيئًا ونهى عمر - رضى اللَّه عنه - عن المغالاةفيه على المنبر فقالت امرأة: اللَّه يعطينا وأنت تمنعنا وقرأت الآية فقال - رضى اللَّه عنه -: النساء أفقه من عمر ورجع النهى، قال النسفى: سألت فاطمة - رضى اللَّه عنها - النبى ﷺ أن يكون صداقها شفاعة لأمته يوم القيامة فإذا صارت على الصراط طلبت صداقها، ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، صار النبى ﷺ كالمهموم على أمته فسألوه عن ذلك فلم يجبهم فأخبروا فاطمة بذلك فجاءت إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه ما يبكيك فأخبرها بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فبكت بكاء كثيرًا وتوجهت ألى أبى بكر الصديق - رضى اللَّه عنه - وقالت يا شيخ المهاجرين قد أنزل اللَّه على نبيه محمد ﷺ وإن منكم إلا واردها فهل لك أن تكون فداء لشيوخ أمة محمد ﷺ من النار قال: نعم ثم سألت عليًا أن يكون فداء لشباب أمة محمد، قال: نعم ثم سألت الحسن والحسين أن يكون فداء لأطفال أمة محمد ﷺ من النار، فقالا: نعم ثم جعلت نفسها فداء لنساء أمة محمد ﷺ فنزل جبريل - عليه السلام - وقال يا محمد إن اللَّه يقرئك السلام ويقول لك قل لفاطمة لا تحزنى فإن أفعل بأمتك ما تحبه فاطمة.

لطيفة: رأيت فى الحقائق أن فاطمة - رضى اللَّه عنها - بكت ليلة عرسها، فسألها النبى ﷺ عن ذلك فقالت: تعلم إنى لا أحب الدنيا ولكن نظرت إلى فقرى فى هذه الليلة فخشيت أن يقول على بأى شىء جئت فقال النبى: لك الأمان فإن عليّا لم يزل راضيًا مرضيًا، ثم بعد ذلك تزوجت امرأة من اليهود وكانت كثيرة المال فدعت القسان إلى عرسها فلبسن أفخر ثيابهن ثم قلن نريد أن ننظر إلى بنت محمد وفقرها فدعونها فنزل جبريل بحلة من الجنة فلما لبستها واتزرت بإزارها وجلست بينهن ورفعت الإزار، فلمعت الأنوار، فقالت النساء: من أين هذا يا فاطمة؟ قالت: من أبى فقلن: من أين لأبيك؟ قالت: من جبريل فقلن: من أين لجبريل؟ قالت: من الجنة فقلن: نشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، فمن أسلم زوجها استمرت معه وإلا تزوجت غيره، وذكر ابن الجوزى أن النبى ﷺ صبغ لفاطمة قميصًا خلقًا فأرادت أن تدفع إليه القميص المرقع فتذكرت قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فدفعت إليه الجديد فلما قرب الزفاف نزل جبريل، وقال: يا محمد إن اللَّه يقرئك السلام وأمرنى أن أسلم على فاطمة وقد أرسل لها معى هدية من ثياب الجنة من السندس الأخضر فلما بلغها السلام وألبسها القميص الذى جاء به لفها رسول اللَّه ﷺ بالعباءة ولفها جبريل - عليه السلام - بأجنحة حتى لا يأخذ نور القميص بالأبصار، فلما جلست بين الكافرات ومع كل واحدة شمعة ومع فاطمة سراج رفع جبريل - عليه السلام - جناحه ورفع العباءة وإذا بالأنوار قد أطبقت المشرق والمغرب فلما وقع النور على أبصارالكافرات خرج الكفر من قلوبهن وأظهرن الشهادتين، وعن ابن عباس - رضى اللَّه عنهما - لما زوج النبى ﷺ عليّا بفاطمة قالت: يا رسول زوجتنى برجل فقير، فقال: «**أما ترضين أن اللَّه تعالى اختار من أهل الأرض فجعل رجلين أحدهما أباك والآخر بعلك**».

وفى الإحياء: أن النبى ﷺ دخل على فاطمة، فقال: «**السلام عليك يا ابنتاه كيف أصبحت؟ فقالت: واللَّه قد أصبحت وجعة قد ضرنى الجوع فبكى النبى ﷺ ثم قال: لا تجزعى فواللَّه ما ذقت طعامًا منذ ثلاثة أيام وإنى لأكرم الخلق على اللَّه منك لو سألت اللَّه لأطعمنى، ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده منكبها، وقال أبشرى فواللَّه لقد زوجتك سيدًا فى الدنيا والآخرة فاقنعى بابن عمك فإنك سيدة نساء أهل الجنة، قالت: أين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال: آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك**».

وعن أيوب الأنصارى - رضى اللَّه عنه - : عن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد ﷺ» قيل: حتى لا يراها قاتل الحسين فيتعلق بها فتعفو عنه، وقد قضى اللَّه عليه بالعذاب فتمر ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق اللامع.

مسألة: قال ابن الملقن فى الخصائص: قال القاضى حين قالت فاطمة لعائشة: - رضى اللّه عنهما- : أنا أفضل منك لأنى بضعة من رسول اللّه، فقالت عائشة: أما فى الدنيا فكما تقولين وأما فى الآخرة فأكون من النبى ﷺ فى درجة فانظرى إلى الفصل بين الدرجتين فسكتت فاطمة- رضى اللّه عنهما- عجزًا من الجواب فقامت عائشة وقبلت رأسها قالت يا ليتنى شعرة من رأسك، قال ابن الملقن: وهذا لا يوجب التفضيل، قالت أسماء: أقبلت فاطمة بولدها الحسن فلم أرى لها دمً فقلت: يا نبى اللّه لم أرى لفاطمة دمًا من حيض ولا نفاس فقال: «**أعلمت أن فاطمة طاهرة مطهرة وهى أصغر أولاده ﷺ**».

قال العلائى: أولهم القاسم ولد قبل النبوة وبه يكنى ولا يجوز التكنية لغيره بأبى القاسم ثم زينب فتزوجها ابن خالها ابن الربيع فلما هاجرت تركته على الشرك ثم أسلم فردها إليه النبى ﷺ بالعقد الأول وقيل بعقد جديد ومن أولاده ﷺ عبد المطلب بلقبين الطيب والآخر الطاهر مات صغيرًا بمكة وأم كلثوم ورقية وأمامة وكلهم من خديجة- رضى اللّه عنهم- وإبراهيم من مارية القبطية عاش ثمانية عشر شهرًا قال فى الفصول المهمة ولدت فاطمة- رضى اللّه عنها- قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبنى فى البيت ماتت وهى بنت ثمان وعشرين سنة فى رمضان سنة إحدى عشرة، بعد النبى ﷺ بستة أشهر وصلى عليها أبو بكر إمامًا بأمر على- رضى اللّه عنهم أجمعين- قال النسفى: خرجت فاطمة ليلاً فخاطبتها ناقة النبى ﷺ العصباء التى أصابها من خيبر، فقالت: السلام عليك يا بنت رسول اللّه ألك حاجة إلى أبيك فإنى ذاهبة إليه فبكت فاطمة وجعلت رأسها فى حجرها حتى ماتت فى تلك الساعة، فكفنتها فى عباءة ودفنتها ثم كفوا عنها بعد ثلاثة أيام فلم يجدوا لها أثر فنطقها لها من بعض كرامتها فإنها لم تنطق إلا لها ولأبيها قالت: يا رسول اللّه كنت لرجل اليهود فكنت أخرج أرعى فينادى النبات إلى فإنك لمحمد ﷺ وإذا كان الليل نادى السباع بعضهم بعضًا لا تقربوها فإنها لمحمد ﷺ قال على كرم اللّه وجهه: دخلت يومًا بيتى فرأيت النبى ﷺ والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وفاطمة بين يديه، فقال: «يا حسن يا حسين أنتما كفتا الميزان وفاطمة لسانه ولا تعدل الكفتان إلا باللسان ولا يقوم اللسان إلا على الكفتين، أنتما الإمامان ولإمكما شفاعة» ثم التفت إلى وقال: يا أبا الحسن أنت توفى أجورهم وتقسم الجنة بين أهلها يوم القيامة، قال ابن عباس- رضى اللّه عنهما- بينما أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع عليهم نور فظنوه شمسًا وقالوا إن ربنا يقول لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، فيقول رضوان: هذه فاطمة وعلى ضاحكان فأشرقت الجنان بنور ضحكهما.

فوائد: الأولى: عن النبى ﷺ قال على من أراد حاجة فليبكر فى طلبها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آية الكرسى وآخر آل عمران وإنا أنزلناه فى ليلة القدر والفاتحة فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة.

الثانية: فى صحيح مسلم قال ﷺ: «يا فاطمة قولى اللهم رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر».

الثالثة: قالت فاطمة- رضى اللَّه عنها- رغب النبى فى الجهاد وذكر فضله فسألته الجهاد فقال: «ألا أدلك على شىء يسير وأجره كثير ما من مؤمن ولا مؤمنة يسجد عقب الوتر سجدتين، ويقول فى سجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح خمس مرات لا يرفع رأسه حتى يغفر اللَّه له ذنوبه كلها، وإن مات فى ليلته مات شهيداً» وزاد فى التتار خانية لما ذكر هذا الحديث فى باب صلاة الوتر وأعطاه اللَّه مائة حجة ومائة عمرة ويبعث اللَّه له ألف ملك يكتبون الحسنات، وكأنما أعتق مائة رقبة واستجاب اللَّه دعاءه ويقرأ بين السجدتين آية الكرسى، واللَّه تعالى أعلم.

باب: مناقب الحسن والحسين- رضى الله عنهما-

قال بعض المفسرين: فى قوله تعالى: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ (٢٠)** ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] أى بحر النبوة من فاطمة وبحر الفتوة من على- رضى اللَّه عنه- بينهما حاجز من التقوى، فلا تبغى فاطمة على على ولا يبغى على على فاطمة يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين- رضى اللَّه عنهما- قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما-مرج البحرين أى بحر السماء وبحر الأرض، فإذا وقع ماء بحر السماء على الأرض صارا لؤلؤاً وكان الحسن أول أولاد فاطمة الخمسة والحسن والحسين والمحسن، كان سقطًا وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم ولدت فى حياة النبى ﷺ قال البرماوى فى شرح البخارى خطبها عمر من على- رضى اللَّه عنهما- فقال: أبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجكتها فبعثها أبوها ببرد وقال لها قولى لعمر هذا البرد الذى قيل لك أبى عنه فلما قالت ذلك قال: عمر قولى له رضيت- رضى اللَّه عنك- وعنه ثم وضع يده على ساقها، قالت: تفعل هذا لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم رجعت إلى أبيها، وقالت بعثتنى إلى شيخ سوء فقال: يا بنية إنه زوجك.

قال المحب الطبرى: ولد الحسن فى النصف الثانى من رمضان فى ثلاث من الهجرة، قال على- رضى اللَّه عنه- : لما حضرت ولادة فاطمة قال النبى ﷺ للأسماء بنت عميس وأم سلمة- رضى اللَّه عنهما- : «**أحضراها فإذا وقع ولدها واستهل صارخًا فأذنا فى أذنه اليمنى، وأقيما فى أذنه اليسرى، فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان**» فلما كان اليوم السابع سماه النبى ﷺ حسنًا.

وقال النسفى: لما ولدت فاطمة الحسن قال النبى ﷺ: «لعلى سمه فقال ما يسميه إلا جده،

فقال النبى ﷺ: ما كنت لأسبق تسمية ربى فجاء جبريل، وقال: يا محمد إن اللَّه يهنئك بهذا المولود ويقول لك: سمه باسم ابن هارون سير» ومعناه حسن ولما ولدت الحسين، قال: يا محمد إن اللَّه يهنئك بهذا المولود ويقول لك سمه باسم ابن هارون سبير ومعناه حسين.

موعظة: قال وهب: كان يسرج فى بيت المقدس كل ليلة ألف قنديل وكان يخرج من طور سيناء زيت مثل عنق البعير حتى يقع فى القناديل من غير أن يمسه أحد وكانت تنزل نار بيضاء من السماء فتسرج بها القناديل بيد سير وسبير أولاد هارون وكانا قد أمرا أن لا يشعلا بنار الدنيا فاستعجلا ليلة فاسرجا بنار الدنيا فأحرقهما النار فبلغ موسى ذلك، فقال: يا إلهى قد علمت منزلة أولاد أخى منى فأوحى اللَّه تعالى إليه هكذا أفعل بمن عصانى من أوليائى فكيف أفعل بأعادئى ومن عصانى، وقال أنس- رضى اللَّه عنه- من أسرج من المسجد سراجًا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام ذلك الضوء فى المسجد، قال جعفر الصادق- رضى اللَّه عنه- فى قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، كان آدم وحواء جالسين فجاءهما جبريل وأتى بهما إلى قصر من ذهب وفضة شرفاته من زمرد أخضر فيه سرير من الياقوت أحمر وعلى السرير قبة من نور فيها صورة فاطمة وعلى رأسها تاج وفى أذنيها قرطان من لؤلؤ وفى عنقها طوق من نور فتعجبت حواء من نورها وتعجب ادم من نورها حتى نسى حسن حواء، فقال: ما هذه الصورة؟ قال: فاطمة والتاج أبوها والطوق زوجها والقرطان الحسن والحسين فرفع آدم رأسه إلى القبة فوجد خمسة أسماء مكتوبة من النور أنا المحمود وهذا محمد وأنا الأعلى وهذا على وأنا الفاطر وهذه فاطمة وأنا المحسن وهذا الحسن منى الإحسان وهذا الحسين، فقال جبريل: يا آدم احفظ هذه الأسماء فإنك تحتاج إليها فلما هبط آدم بكى ثلثمائة عام ثم دعا بهذه الأسماء، وقال يا رب بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين يا محمود يا أعلى يا فاطر يا محسن اغفر لى وتقبل توبتى فأوحى اللَّه إليه يا آدم لو سألتنى فى جميع ذريتك لغفرت لهم.

فـائدة: قال الكسائى، عن وهب: الكلمات التى تلقاها آدم من ربه لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملتُ سوء وظلمتُ نفسى فتب على يا خير التوابين من قالها فى سجوده خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وعن النبى ﷺ «حسين منى وأنا من حسين أحب اللَّه من أحب حسينًا» رواه الترمذى. وحسنه وحجب اللَّه اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبى ﷺ ابنى فاطمة- رضى اللَّه عنهم- قال فى الفصول المهمة حملت فاطمة بالحسين بعد ولادة الحسن بخمسين ليلة، وقال غيره لم يكن بينهما إلا طهر واحد.

مسألتان: الأولى: يسن أن يعق عن الغلام بشاتين وإن حصل أصل السنة بواحدة كالجارية ويستحب أن تذبح أول النهار يوم السابع من الولادة ويحسب يوم الولادة من السبعة بالنسبة للختان والفرق تقدم فى المولد الشريف، وأن يقول عند ذبحها بسم اللَّه اللهم منك ولك وإليك عقيقة

فلان، ويستحب أن يسمى المولود يوم السابع بعبد اللَّه أو عبد الرحمن لأنهما أحب الأسماء إلى اللَّه تعالى ولا بأس بالتسمية قبله ويسن أن يحلق رأسه يوم السابع بعد ذبحها ويتصدق بزنته ذهبًا أو فضة ولا تفوت العقيقة بالتأخير عن سبعة ولكن لا تأخر إلى البلوغ و النبى ﷺ عق عن نفسه بعد البلوغ.

موعظة: قال الإمام أحمد: إذا لم يعق الوالد عن ولده لم يشفع له يوم القيامة.

الثانية: يستحب ختانه يوم السابع فى ختانه قبل عشر سنين لأن ألمه فوق ألم الضرب على الصلاة، ولا يضرب عليها إلا بعد عشر سنين وقال مكحول: ختن إبراهيم إسحاق لسبعة أيام وإسماعيل لسبع عشرة سنة والختان واجب عند الإمامين بعد البلوغ وقال أبو حنيفة ومالك: باستحبابه قال: فى الفصول المهمة: لما مات على بن أبى طالب- رضى اللَّه عنه- خطب الحسن فحمد اللَّه وأثنى عليه وصلى جده محمد ﷺ ثم قال: لقد قبض اللَّه تعالى فى هذه الليلة رجلاً لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون كان يجاهد مع النبى ﷺ فيقيه بنفسه وماله وكان يوجهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبكى الناس، ثم قال: أنا ابن البشير النذير أنا ابن السراج المنير أنا أبر الداعى إلى اللَّه بإذنه أنا ابن الذى أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً أنا ابن أهل بيت فرض اللَّه تعالى محبتهم ومودتهم فى كتابه، فقال عز وجل: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ [الشورى: ٢٣]، فقال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : فقال معاشر المسلمين هذا ابن نبيكم فبايعوه فبايعه الناس فبلغ ذلك معاوية فأرسل إلى الكوفة والبصرة ليفسد على الناس الأمر فكان ما كان حتى نفد أمر اللَّه وسقت الحسن زوجته السم وأخذت على ذلك مائة ألف درهم ووعدها يزيد أن يتزوجها، فلما قتل الحسن بالسم نفر منها ولم يرض بتزوجها بعد أن أسلم الأمر إلى معاوية ومات الحسن سنة خمسين وله من العمر سبع وأربعون سنة ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد قال النسفى وغيره وقتل الحسين يوم الجمعة عاشر المحرم عام إحدى وستين وله من العمر ست وخمسون سنة وكسفت الشمس يوم موته فبطل قول المنجمين إن الكسوف لا يكون إلا فى ثامن وعشرين أو تاسع وعشرين.

ورأيت فى ربيع الأبرار: عند هند بنت الحارس، قالت: نزل النبى ﷺ خيمة خالتها أم معبد واسمها عاتكة فغسل يديه ثم تمضمض ومج فى عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحت كأعظم شجرة وجاءت بثمر فى لون الورد ورائحة العنبر ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلا روى ولا سقيم إلا شفى ولا أكل ورقها بعير ولا شاة إلا كثر لبنها فكنا نسميها المباركة فأصبحنا ذات يوم سقط ورقها وصغر ثمرها ففزعنا من ذلك فجاء الخبر بأن النبى قد مات ثم بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها ومن أعلاها وذهبت بهجتها فجاء الخبر بموت على فما أثمرت بعد ذلك فكنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا ذات يوم والدم ينبع من أصلها وسقط ورقها فجاء الخبر ورقها بقتل الحسين- رضى اللَّه عنه- قال النبى لعلى وفاطمة جعل اللَّه منكما الكثير الطيب فواللَّه لقد خرج اللَّه منهما الكثير الطيب.

قال فى مجمع الأحباب: أولاد الحسن خمسة عشر ذكرًا، وثمان بنات، وقال غيره أحد عشر فيهم بنت واحدة وهى أم محمد بن على الباقر، وكان للحسين عشرة أولاد أربع بنات وست ذكور.

لطيفة: تسرى الحسين بجارية من بنات كسرى فولدت عليّا الملقب بزين العابدين والد السيدة نفيسة وذلك أن بنات كسرى الثلاثة جىء بهن إلى عمر فأراد بيعهن فقال على كرم اللَّه وجهه بنات الملوك لا يبعن فقومهن فأعطاه ثمنهن فوهب واحدة لولده الحسين واحدة لمحمد بن أبى بكر فولدت له القاسم وواحدة لعبد اللَّه بن عمر فولدت له سالمًا، وعن النبى ﷺ: «**بئس المال فى آخر الزمان المماليك**» وقال مجاهد إذا كثرت الخدام كثرت الشياطين.

فائدة: قال على- رضى اللَّه عنه- أخذ النبى ﷺ بيد الحسن والحسين، وقال من أحبنى وأحب هذين وأباهما كان معى فى درجتى يوم القيامة.

لطيفة: قال النسفى: كتب الحسن والحسين فى لوحين وقال كل واحد منهما خطى أحسن فتحًا كما إلى أبيهما فرفع الحكم إلى فاطمة فرفعت الحكم إلى جدها، فقال: لا يحكم بينهما إلا جبريل فقال: جبريل لا يحكم بينهما إلا رب العالمين، فقال اللَّه تعالى: يا جبريل خذ تفاحة من الجنة واطرحها على اللوحين فمن وقعت على خطه فهو أحسن فلما ألقاها قال اللَّه تعالى كونى نصفين فوقع نصفها على خط الحسن والنصف الآخر على خط الحسين ونزل جبريل بتفاحة من الجنة وألقاها إلى النبى ﷺ وعنده الحسن والحسين فطلبها كل واحد منهما، فقال جبريل: دعهما يتصارعان فمن غلب أخذها فكان جبريل مع الحسين والنبى مع الحسن فلم يغلب أحدهما الآخر فنزل عليهما بتفاحة أخرى وفى بعض الأيام، قالت فاطمة: يا رسول اللَّه إن الحسن والحسين قد غابا عنى ولا أعلم بموضعهما، فقام النبى إلى ذلك المكان فوجدهما نائمين متعانقين قد جعل الملك أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما فقبلهما النبى فانتبها فجعل النبى أحدهما على عاتقه اليمين والآخر على الأيسر فتلقاه أبو بكر، فقال: يا رسول اللَّه ناولنى أحد الصبيين لأحمله عنك، فقال النبى: نعم المطى مطيتهما ونعم الراكبان فلما دخل المسجد قال: يا معشر المسلمين ألا أدلكم على خير الناس جدًا وجدة قالوا: نعم، قال: الحسن والحسين جدهما رسول اللَّه وجدتهما خديجة ألا أدلكم على خير الناس أبا وأما قالوا: نعم قال: الحسن والحسين أبوهما على وأمهما فاطمة ألا أدلكم على خير الناس عما وعمة قالوا: نعم، قال: الحسن والحسين عمهما جعفر وعمتهما أم هانئ ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة قالوا: نعم، قال: الحسن والحسين خالهما القاسم ابن رسول اللَّه وخالتهما زينب بنت رسول اللَّه ﷺ.

فائدة: رأيت فى مجمع الأحباب عن جابر بن عبد اللَّه عن النبى ﷺ اطلبوا الخير عند حسان الوجوه.

وفى ربيع الأبرار: عن النبى ﷺ أحشر أنا والأنبياء فى صعيد واحد فينادى مناد معاشر الأنبياء تفاخروا فافتخرت أنا بولدى الحسن والحسين وعن النبى ﷺ: «ريح الولد من ريح الجنة».

وفى ربيع الأبرار: عن النبى ﷺ: **«الولد ريحان من الجنة»** وعن النبى ﷺ: **«الولد فى الدنيا سرور وفى الآخرة نور»** وعن النبى ﷺ: «من كان له بنت فهو متعب ومن كان له بنتان فهو مثقل ومن كان له ثلاث بنات فيا عباد الله أعينوه فإنه معى فى الجنة وأشار بأصبعه» قال فى مجمع الأحباب، وعن النبى ﷺ: «أكثروا من تقبيل أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة».

باب: مناقب العباس- رضى الله عنه-

قال النبى ﷺ: «ألا أبشرك يا عم قال: بلى قال: إن الله تعالى بنى لإبراهيم- عليه السلام- قصراً من ياقوتة خضراء، وبنى لى قصراً من ياقوتة بيضاء وبنى لك قصراً من ياقوتة حمراء فأنت بين حبيب وخليل» وقال له ﷺ يومًا: «**يا عم اتبعنى ببنيك فتبعه بهم فغطاهم بشملة وقال: اللهم إن هذا عمى وأهل بيتى وعترتى فاسترهم من النار كما سترتهم بهذه الشملة فما بقى باب ومدر إلا قال آمين آمين آمين**» وقال النبى ﷺ: «**اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم**» وقال النبى ﷺ: «**من آذى عمى فقد آذانى**» قال عمر- رضى الله عنه- على المنبر: أيها الناس إن النبى ﷺ كان يرى العباس كما يرى الولد لوالده ويعظمه ويفخمه فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ فى عمه واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى فيما نزل بكم، قال المحب الطبرى هذا الحديث صحيح مات العباس- رضى الله عنه- سنة اثنتين وثلاثين، وقيل سنة أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة أدرك فى الإسلام اثنتين وثلاثين سنة ودفن بالقيع، قال مؤلفه- رحمه الله تعالى- وقد زرت قبره والحمد لله وفى الصحابة العباس بن مرداس- رضى الله عنهما قبره بالبقيع وقد زرت قبره أيضًا، والله أعلم.

باب: مناقب حمزة- رضى الله عنه-

فهو عم النبى ﷺ وابن بنت عم أمه وأخوه من الرضاعة كما تقدم فى المولد الشريف، وكان له ﷺ اثنى عشر عمّا أدرك الإسلام منهم أربعة أبو طالب مات كافراً وحمزة أسلم، والعباس أسلم وأبو لهب مات كافراً وهو أكبرهم سنّا كناه الله تعالى بذلك لأن اسمه عبد العزى والعزى صنم ولم يصف العبودية فى كتابه لصنم، ولأن الاسم أشرف من الكنية فحطه الله من الأعلى إلى الأدنى وكان أهله يريدون أن يسموه لكثرة جماله بأبى النور أو بأبى الضياء مع اتفاق أبويه على أحد الكنيتين فصرفهما وأجرى على ألسنتهما الكنية الأولى لتطابق المكنى أسلم حمزة فى السنة الثانية من النبوة وسبب إسلامه أنه كان فى الصيد فمر أبو جهل بالصفا فوجد النبى ﷺ فسبه وآذاه فلم يرد عليه النبى ﷺ وهناك جارية تسمع فلما جاء حمزة أخبرته الجارية فغضب وأتى أبا جهل فضرب رأسه بالقوس وشجه، وقال أتسب محمداً وأنا على دينه وأنا كما يقول محمد فرفعت قريش عن محمد بإسلام

حمزة قال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده أنه مكتوب عند اللّه فى السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد اللّه وأسد الرسول» وقال ﷺ: «خير أعمامى حمزة» وقال أبو هريرة- رضى اللّه عنه- لما قتل حمزة ورآه النبى ﷺ قد مثل به بكى بكاء كثيراً وقال: رحمك اللّه يا عم لقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات فو اللّه لأن أظفرنى اللّه بالقوم لأهلن بسبعين منهم فنزل عليه فى مكان ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) ﴾ [النحل: ١٢٦]، فقال النبى ﷺ: «بل أصبر وكفر عن يمينه» وكان مقتله- رضى اللّه عنه- فى غزوة أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وهو ابن تسع وخمسين سنة.

باب: فضائل هذه الأمة المرحومة زادها اللّه شرفاً وإكراماً وذكر بعض من فيها من العلماء والأولياء بأسمائهم وتواريخهم وذكر إبراهيم وموسى وعيسى والخضر وإلياس- عليهم الصلاة والسلام-

قال اللّه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال الرازى فى قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، أخرجت أى خلقت أى صرتم خير أمة لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّه، وقال النبى ﷺ: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر كان خليفة اللّه فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه» وقدم الأمر بالمعروف لأنه أخف من النهى عن المنكر.

فإن قيل: الأمر والنهى فرع والإيمان أصل فكيف قدم الفرع على الأصل.

فالجواب: أن الإيمان اشترك فيه جميع الأمم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من محاسن هذه الأمة.

فإن قيل: قد شاركهم فى ذلك غيرهم.

فالجواب: أنهم يأمرون بالمعروف وهو الإسلام وينهون عن المنكر وهو الكفر بالسيف وغيرهم كان ينهى عن المنكر بلسانه، قال ابن عباس- رضى اللّه عنهما- أعطى اللّه أمة محمد ﷺ تشريفًا بقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ثم قال ابن عباس- رضى اللّه عنهما- : أعندى أشرف من هذا قال اللّه تعالى لموسى- عليه السلام- : ﴿ لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) ﴾ [طه: ٦٨]، وقال لهذه الأمة: ﴿ وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال لإبراهيم- عليه السلام- : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥) ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال لهذه الأمة: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال لموسى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال لهذه

الأمة: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال لعيسى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال لهذه الأمة: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقيل لمحمد ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]، وقال لأمته: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨﴾ [البينة: ٨]، وقال أيضًا: دخل النبى ﷺ على أم هانئ فقام عندها وضحك فى نومه ثلاث مرات فلما استيقظ سألته، فقال: قال لى جبريل إن اللّه تعالى قد وهب لك جميع أمتك فضحكت وسمعت صوتًا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت الجنة تقول كل يوم خمس مرات واشوقاه إلى أمة محمد ﷺ وكونها تقول خمس مرات إشارة إلى الصلوات الخمس وعرضت على الأمم فرأيت أمتى وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقال سعد بن أبى وقاص أحد العشرة خرجنا مع النبى ﷺ من مكة نريد المدينة فلما كنا قريبًا من عزور أنزل ثم رفع يديه ودعا ساعة ثم خرَّ ساجداً ثم قام فرفع يديه ودعا ساعة ثم خر ساجداً ثم قام فرفع يديه ودعا ساعة ثم خر ساجداً فسألناه عن ذلك فقال: سألت ربى وشفعت لأمتى فأعطانى ثلثها فسجدت شكراً لربى ثم سألته فأعطانى ثلثها فسجدت شكراً لربى ثم سألته فأعطانى ثلثها الآخر فسجدت شكراً لربى رواه أبو داود فى الخبر خلق اللّه تعالى للعرش ثلثمائة برج كل برج طوله ألف عام وبين البرج والبرج كذلك وخلق بينهم ملائكة كالجن والإنس يقولون: اللهم اغفر لعصاة أمة محمد ﷺ ورأيت فى النور للطوسى- رضى اللّه عنه- أوحى اللّه تعالى إلى شعيب- عليه السلام-: قل لبنى إسرائيل سميتكم أحبابى فهان عليكم ذلك، وسأوثر بهذا الاسم من يطعنى ويعقل أمرى هم قوم إذا زكت أعمالهم أو كثرت علموا أن ذلك منى وإذا أقسموا لم يقسموا بغيرى أبعث إليهم نبيّا أميّا مختاراً اجعل أمته خير أمة رعاه للشمس، يعنى يراعون بها أوقات الصلاة فيبادرون إلى أدائها، يصلون لى قيامًا وقعوداً يطهرون الوجوه والأطراف ينادى مناديهم من جو السماء لهم دوى كدوى النحل إذا غضبوا هللونى، وإذا فزعوا كبرونى وإذا تنازعوا سبحونى قال الطوسى من رحمة اللّه بهذه الأمة أن جعلهم آخر الزمان وجعل أعمارهم قصيرة وضاعف لهم الثواب ويؤيده قول النبى ﷺ اللهم اعط أمتى ثوابهم وأكثر من طاعتهم فإن أعمارهم قصيرة، فقال اللّه تعالى: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤]، فقال: يا رب زدهم فقال: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، قال: يا رب زدهم قال: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، قال: يا رب زدهم قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر]

لطيفة: رأيت فى كتاب البركة نزل جبريل على النبى ﷺ سبع مرات:

الأولى: يقول اللّه تعالى يا محمد من أطاعنى من أمتك جازيته كما ينبغى.

الثانية: انظر إلى جوارحهم السبعة فمن عصونى بستة وأطاعونى بواحدة وهبت الستة للواحد.

الثالثة: من تاب منهم بالمعصية أخرجته من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

الرابعة: من أصر منهم على ذنب بليته بالأسقام حتى أطهره.

الخامسة: من أذنب ذنبًا ويعلم أنه قد أساء غفرت له ولا أبالى.

السادسة: افتح عليهم الهاوية أربعين يومًا فى الصيف والزمهرير أربعين يومًا فى الشتاء ليكون ذلك حظهم من النار يوم القيامة.

السابعة: إذا قامت القيامة، أُحاسبهم حساب المولى الكريم للعبد الضعيف.

حكاية: قال وهب بن منبه اشتريت جارية أعجمية فأصبحت فصيحة فسألتها عن ذلك فقالت: رأيت فى المنام كأن الدنيا صارت جمرة نار وفيها طريق إلى الجنة، فأقبل موسى - عليه السلام - وخلفه اليهود فالتفت إليهم، وقال أنا أمرتكم أن تتهودوا فسقطوا يمينًا وشمالاً، ثم أقبل عيسى وخلفه النصارى فالتفت إليهم وقال أنا أمرتكم أن تتنصروا فسقطوا يمينًا وشمالاً ثم أقبل محمد ﷺ ومعه أمته فالتفت إليهم وقال: أمرتكم أن تؤمنوا بربكم فآمنتم فلا تخافوا ولا تحزنوا ﴿**وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** (٣٠)﴾ [فصلت: ٣٠]، فمروا خلفه حتى دخلوا الجنة وبقيت أنا مع امرأتين على النار فقال اللَّه تعالى: انظروا هل قرأتما قرآنًا فقال ملك هل قرأتما الفاتحة فانتهيت، وأنا فصيحة ليس بلسانى عجمة فعلمنى يا مولاى الفاتحة قاله فى روض الأفكار.

فائدة: قال أبو هريرة وابن عباس - رضى اللَّه عنهما -: من تولى أذان مسجد من مساجد اللَّه يريد بذلك وجه اللَّه أعطاه اللَّه ثواب أربعين ألف نبى وأربعين ألف صديق وأربعين ألف شهيد، ويدخل فى شفاعته أربعون ألف أمة فى كل أمة أربعون ألف رجل وله فى كل جنة من الجنان أربعون ألف مدينة فى كل مدينة أربعون ألف قصر فى كل قصر أربعون ألف دار فى كل دار أربعون ألف بيت فى كل بيت أربعون سرير على كل سرير زوجة من الحور العين بين يدى كل زوجة أربعون ألف وصيفة فى يد كل وصيفة أربعون ألف مائدة على كل مائدة أربعون ألف قصعة، فى كل قصعة لون من طعام وعليها من الحلى والحلل ما لا يعلم عدده إلا اللَّه تعالى رأيته فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب.

لطيفة: قال النبى ﷺ: «من بلغه عن اللَّه فضيلة فلم يصدقها لم ينلها» وقال جابر بن عبد اللَّه - رضى اللَّه عنهما -: عن النبى ﷺ: «من بلغه عن شيء فيه فضيلة فأخذ به إيمانًا ورجاء ثواب أعطاه اللَّه ذلك وإن لم يكن كذلك» وعن سمرة بن جندب - رضى اللَّه عنه - عن النبى ﷺ: «**من توضأ فأسبغ الوضوء ثم خرج من بيته يريد المسجد فقال حين يخرج بسم اللَّه ﴿الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ** (٧٨)﴾ [الشعراء: ٧٨]، **هداه اللَّه لصواب الأعمال ﴿وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ** (٧٩)﴾ [الشعراء: ٧٩]، **أطعمه اللَّه من طعام الجنة وسقاه من شرابها ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** (٨٠)﴾ [الشعراء: ٨٠]، **جعل اللَّه مرضه كفارة لذنوبه ﴿وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ** (٨١)﴾ [الشعراء: ٨١]، **أحياه اللَّه تعالى حياة السعداء**

وأماته إماتة الشهداء ﴿وَالَّذِى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾ [الشعراء: ٨٢]، غفر اللَّه له خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾ [الشعراء: ٨٣]، وهب اللَّه له حكمًا وألحقه بصالحى من مضى وصالحى من بقى ﴿وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ (٨٤)﴾ [الشعراء: ٨٤]، كتب عند اللَّه صديقًا ﴿وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)﴾ [الشعراء: ٨٥]، جعل اللَّه له المنازل فى الجنة» قال سمرة- رضى اللَّه عنه- لقد سمعته من النبى ﷺ أكثر من عشر مرات وعن النبى ﷺ: «ليس من أعياد أمتى عيد أفضل من يوم الجمعة وركعتان فيه أفضل من ألف ركعة فى غيره وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة فى غيره» وتقدم فى باب الجمعة أن يوم الجمعة خاص بهذه الأمة، وعن النبى ﷺ: «من صام يوم الخميس والجمعة والسبت من الأشهر الحرم كتب اللَّه له عبادة سبعمائة سنة» ذكره فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب، وأما استغفار الملائكة والدعاء لهذه الأمة من الأنبياء وغيرهم فلا يخفى وتقدم أن إبراهيم- عليه السلام- قال: فى عرفة اللهم لا تعذب أحدًا من أمة محمد ﷺ فقال جبريل: اللَّه أكبر فقال إسماعيل لا إله إلا اللَّه و للَّه الحمد، قال النسفى وغيره خالق العرش على ثلثمائة وستين قائمة على قائمة دور الدنيا بين القائمة والقائمة خفقان الطير المسرع ثمانين ألف سنة وخلق اللَّه للعرش ألف ألف وستمائة رأس فى كل رأس ألف ألف وستمائة وجه فى كل وجه ألف ألف وستمائة فم فى كل فم ألف ألف وستمائة لسان فى كل لسان ألف ألف وستمائة لغة، يسبحون للَّه تعالى ويقدسونه لأمة محمد ﷺ. قال ابن مسعود- رضى اللَّه عنه- دخل النبى ﷺ المسجد فوجد رجلاً ساجدًا، وهو يقول: اللهم اعتقنى من النار فإن لم تفعل فاجعلنى فداء لأمة محمد ﷺ فقال النبى ﷺ: «أبشر بالجنة لما بلغ من شفقتك على أمتى» فمات فى الحال فأدخله النبى ﷺ قبره وصار يقول: أنت أنت سبعين مرة ثم خرج من قبره وإزاره مشقوق، فقيل يا رسول اللَّه ما هذا قال: نزل الحور العين فتنازعن فأصلحت بينهن فمن غضب أكثر ممن رضى قال المقداد بن الأسود دخلت على أبى هريرة- رضى اللَّه عنه فسمعته يقول: قال النبى ﷺ: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة» ثم دخلت على ابن عباس فسمعته يقول: قال النبى ﷺ: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة» فدخلت على النبى ﷺ فأخبرته بذلك، فقال: صدقوا ادعهم لى فدعوتهم فسأل أبا هريرة عن تفكره فقال فى خلق السماوات والأرض فقال: تفكرك أفضل من عبادة سنة، نظر النبى ﷺ إلى السماء، وقال تبارك خالقها ورافعها وممددها وطاويها طى السجل ثم نظر إلى الأرض، وقال تبارك خالقها ورافعها وممددها وطاويها وداحيها، وعن النبى ﷺ: «لقد أنزلت على آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر» وفى رواية: ويل له ويل له عشر مرات وهى ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ثم سأل ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن تفكره فقال: فى الموت وأهواله، فقال: تفكرك خير من عبادة سبع سنين وقال أبو هريرة: ما من دعاء أحب إلى اللَّه تعالى من قول العبد: اللهم اغفر لأمة محمد وارحمهم رحمة عامة قال فى البردة:

لعل رحمة ربى حين يقسمها تأتى على حسب العصيان فى القسم

قال فى حقائق العقائق: قال جعفر الصادق: خلق اللَّه ثلاث بسط من نور، سعة كل بساط ألف عام، فسمى الأول بساط القربة والثانى بساط الخدمة والثالث بساط المحبة فأجلس نور محمد ﷺ على كل بساط ألف عام ثم أمره أن يصلى على بساط الخدمة ركعتين فبكى فى تكبيرة الإحرام ألف عام، وفى القيام كذلك وفى الركوع كذلك وفى الاعتدال كذلك وفى السجود كذلك وفى الجلوس بين السجدتين كذلك وفى السجدة الثانية كذلك وهكذا الركعة الثانية وبقى فى السلام على اليمين ألف عام وفى السلام على الشمال كذلك، ثم قال: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، اللهم إنى روح لطيف فاجعلنى فى بدن عزيز وابعثنى إلى خلقك ليؤمنوا بوحدانيتك وادعوهم إلى خدمتك فإن قصروا فأنت الموصوف بالكرم والرحمة من الأزل إلى الأبد، واقبل شفاعتى فيهم فأجابه الحق سبحانه وتعالى أقبل شفاعتك وأجود عليهم بالرحمة، وقيل: إنه ﷺ بكى عند الموت فسأله جبريل عن ذلك فقال: أخاف على أمتى أن يعذبهم اللَّه قال اللَّه تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ**﴾ [الأنفال: ٣٣]، ثم غاب جبريل ثم قال: إن اللَّه يقرئك السلام ويقول لك: كن طيب النفس على أمتك فإن شفقتى عليهم أكثر من شفقتك ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ (٣٣) [الأنفال: ٣٣]، وقال النبى ﷺ: «كتب اللَّه كتابًا قبل أن يخلق الخلق بألف عام فى ورقة آس ثم وضعها على العرش ثم نادى يا أمة محمد إن رحمتى سبقت غضبى أعطيتكم قبل أن تسألونى، وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى» قال النبى ﷺ: **«اللَّه أرحم بأمتى من الوالدة الشفوق بولدها»** وعنه ﷺ: **«ما أمن أمة إلا وبعضها فى النار وبعضها فى الجنة وأمتى كلها فى الجنة»** وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ: **«أمتى مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة عجل عقابها فى الدنيا بالزلازل والفتن، فإذا كان القيامة ودفع إلى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار»**.

فى ذكر إبراهيم- عليه السلام-

ابن آزر وهو تارح بمثناه فوقية وفتح الراء وحاء مهملة، قال العلائى فى قوله تعالى: ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ (٧٩) [الإسراء: ٧٩]، قال النبى ﷺ: **«أما ترضوان أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة أما إبراهيم فيقول أنت دعوتى فاجعلنى من أمتك»** وذكره فى الشفاء أيضًا.

حكاية: رأى إبراهيم فى منامه جنة عرضها السماوات والأرض أشجارها لا إله إلا اللَّه وأغصانها محمد رسول اللَّه وثمارها سبحان اللَّه والحمد للَّه مكتوب على الأبواب أعدت لمحمد وأمته، فلما أصبح قص رؤياه على قومه فقالوا ومن محمد وأمته، قال: لا أعلم فجاء جبريل وقال: إن اللَّه تعالى يقول محمد حبيبى وخيرتى من خلقى لولاه ما خلقت الدنيا ولا الجنة ولا النار وهو آخر نبى فى

الدنيا وأول شافع فى القيامة وأمته أكرم الأمم على الجنة محرمة على الخلق حتى يدخلها محمد وأمته، وقال مقاتل ذكر اللَّه تعالى إبراهيم فى القرآن فى أحد وسبعين موضعًا منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ من قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]، أى صلاحه وهداه من قبل بلوغه قال الكواشى: وقال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- من قبل موسى وسماه اللَّه تعالى شجرة بقوله تعالى: توقد من شجرة مباركة لأن الأنبياء من ذريته كان مولده زمن النمروذ فبينما هو فى داره وإذا بطائرين أبيضين، فقال أحدهما: ويلك يا نمروذ أنا طائر المشرق وهذا طائر المغرب وقد جاءتنا البشارة بظهور إبراهيم فإذا دعاك إلى اللَّه فلا تكذبه فأخبر آزر بذلك فقال من مردة الجن ثم نام تلك الليلة فرأى فى منامه كأن بين عينيه ثورًا عظيمًا ضربه فقلع عينيه فسأل المعبرين عن ذلك فقالوا لعل هذا من أخلاف الأطعمة فلما خرجوا من عنده، قالوا: هذه الرؤيا تدل على زوال ملكه ثم نام فرأى كأن القمر خرج من ظهر آزر واتصل نوره من الأرض إلى السماء وسمع قائلاً يقول جاء فأخبر آزر بذلك فقال: هذا من كثرة عبادتى للأصنام وخدمتى لهم ثم نام النمروذ فى تلك الليلة فرأى كأن سريره قد استدار بالأسرة وإذا برجل على سريره وهو من أحسن الناس وجهًا، فى يده اليمنى الشمس وفى الأخرى القمر، فقال الرجل: اعبد إلهك فقال النمروذ: وهل من إله سواى قال: نعم إله الأرض والسماء ثم قال لسريره: تزلزل بقدرة اللَّه تعالى فتزلزل حتى سقط النمروذ عنه فانتبه النمروذ مرعوبًا فأخبر آزر بذلك، فقال هذا يدل على زيادة الملك ثم نام فرأى النمروذ نورًا ساطعًا من الأرض إلى السماء ورأى رجالاً يصعدون ويهبطون، وإذا برجل جميل قالوا له بك تحيى الأرض بعد موتها فأخبر الكهان بذلك وقال: إن لم تخبرونى بهذه الرؤية وإلا عذبتكم فقالوا أمهلنا ثلاثة أيام فلما خرجوا قالوا لآزر هذه رؤيا تدل على مولود من أقرب الناس إلى النمروذ ينازعه فى ملكه فخذ لنا الأمان حتى نخبره ففعل، فقال: يا آزر أنت أقرب الناس إلى فلان فضرب عنقه، وأعماه اللَّه تعالى عن آزر وكل الذباحين بالحوامل فذبحوا مائة ألف غلام.

وفى العرائس: أنه عزل الرجال عن النساء، فإذا حاضت المرأة تركها مع زوجها حتى تطهر، فإذا طهرت عزلها فدخل آزر على زوجته فواقعها فحملت بإبراهيم فلما كانت ليلة الولادة دخلت بيت الأصنام ليخففوا عنها الألم فرفعت الأصنام عن الأسرة فخرجت مرعوبة، فقال من هذه قالوا امرأة وزيرك آزر ومعناه لأعرج، وقيل: الشيخ الهرم فأراد أن يقول اقبضوا عليها، فقال: اتركوها فوضعته فى مغارة وسدت عليه وكانت تتعاهده فرأته يمص من أحد أصابعه لبنًا والآخر عسلاً قيل: ولدته بين الكوفة والبصرة، وقيل: ولدته بقرية من قرى دمشق يقال لها برزة، قال العلائى: والأشهر من الأقوال أنه ولد بأرض من العراق ولما هاجر إلى الشام تعبد فى المقابر ببرزة فلما بلغ سنة كان أول كلامه أن قال: يا أماه من ربى قالت: أنا قال فمن ربك قالت: أبوك، قال: فمن رب أبى قالت: النمروذ؟ فلطمت وجهه فى العرائس لم يمكث إبراهيم فى السرب الذى أخفته أمه خمسة عشر يومًا

اليوم كالشهر والشهر كالسنة ثم طلب الخروج بعد غروب الشمس فأخرجته واسمها نونًا فنظر إلى الدواب وقال: ما هذا قيل: إبل وبقر وخيل، فقال: لا بد لهامن رب خالق ثم نظر إلى السماء وقال: يا أماه ما هذه القبة الخضراء المستديرة على الأقطار وما هذه الأشجار والجبال والخلائق فيهم الطويل والقصير والقوى والضعيف والغنى والفقير هذا ربى ثم طلعت الشمس فقال: هذا ربى فقالت أمه لأبيه هذا المولود الذى يغير ديننا فبلغ ذلك النمروذ، فقال: يا إبراهيم من تعبد؟ قال: الرب قال: وأى رب قال: رب العالمين فقال النمروذ: أين هو الرب؟ فقال: ﴿الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨)﴾ [الشعراء: ٧٨]، قال فصف لى ربك قال: يحيى ويميت قال: أنا أحى وأميت ثم دعا برجلين وجب عليهما القصاص فقتل أحدهما وترك الآخر فقال إبراهيم: إن اللَّه يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فتحير النمروذ وكان أمام إبراهيم فقال اللَّه تعالى: يا جبريل إن قال: أنا الذى أتيت بها من المشرق فاقلب الفلك وأت بها من المغرب قال أبوه إبراهيم لو خرجت إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان فى أثناء الطريق نظر فى النجوم رأى فيها نجم له من الرأى، وقالت عائشة كان علم النجوم من النبوة ثم بطل، فقال: إنى سقيم لأن كل من يموت يسقم، وقيل: إنه كان محمومًا فى تلك الساعة فرجع إلى بيت الأصنام وأخذ فأسًا فجعلهم جذاذًا أى قطعًا ثم علق الفأس فى عنق الصنم.

مسألة: قال أبو الطيب: الحيلة جائزة واستدل بما فعله إبراهيم- عليه السلام- وبقوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤]، فلو قال لزوجته إن دخلت الدار فأنت طالق ثلاثًا فالحيلة أن يخلعها ثم تدخل الدار ثم يتزوجها فتنحل اليمين وإن تزوجها بعد الخلع وقبل دخلوها الدار فلا يقع الطلاق أيضًا فلو قال لعبده إن دخلت الدار فأنت حُرٌّ فالحيلة أن يبيعه أو يهبه، فإذا دخل الدار فلا يقع العتق ويسترده من الذى اشتراه ببيع أو هبة فلما رجعوا إلى بيت الأصنام قالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه بالفعل أو يشهدون عذابه الذى نعذبه له فلما ظهرت عليهم الحجة بعد أن أجرى اللَّه على ألسنتهم الحق بقوله: إنكم أنتم الظالمون بعبادة من لا ينطق وأدركتهم الشقاوة فرجعوا إلى كفرهم قال اللَّه تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، أى انقلبوا عن تلك الحالة التى أقروا على أنفسهم بالظلم إلى المجادلة بالباطل فقال رجل من الأكراد حرقوه فخسف اللَّه به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، قال القزوينى: قال إبليس لعنه اللَّه أنا مع الأكراد فى راحة فإنهم لا يخالفونه فبنوا حظيرة طولها ثمانون ذراعًا وعرضها أربعون ذراعًا ونادى النمروذ أيها الناس أجمعوا الحطب لنار إبراهيم فكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها لنار إبراهيم فلما جمعوا الحطب أوقدوا النارمن كل جانب سبعة أيام فلما أراد إلقاءه عجزوا، فعلمهم إبليس صنعة المنجنيق وأول من رمى به فى الأسلام نبى اللَّه إبراهيم الخليل- عليه السلام- فقيدوا إبراهيم وجعلوه فى المنجنيق

فضجت السماوات والأرض والملائكة ضجة واحدة وقالوا ربنا خليلك يلقى فى النار وليس فى الأرض من يعبدك غيره فأذن لنا فى نصره فقال هو خليلى وليس لى خليل غيره وأنا اللَّه ليس له إله غيرى فإن استغاث بكم فأغيثوه فإن لم يدع غيرى فأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا إلقاءه فى النار جاء خازن المياه، وقال: إن أردت أخمدت النار عنك بالمياه وجاء خازن الهواء وقال إن شئت طيرت النار عنك فى الهواء قال: لا حاجة إليكم حسبى اللَّه ونعم الوكيل، وعن النبى ﷺ لما قيدوا إبراهيم ليلقوه فى النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، قال العلائى: لما أرادوا إلقاءه فى النار جاءه عشرة رجال فلم يقدروا على وضعه فى المنجنيق فعجزوا فجاءه مائة فعجزوا، فجاءه مائتان فعجزوا فقال إبراهيم: أراكم لا تطيقون إلقائى فى النار فقالوا: نعم فقال: اذكروا اللَّه فقالوا على وجه الاستهزاء بسم اللَّه الرحمن الرحيم فرموه فى النار فعارضه جبريل فى الهواء، فقال: ألك حاجة قال: أما إليك فلا قال: ألا تستعين بربك فى خلاص نفسك قال: النفس معيبة فلا تسأل من رب طاهر قال: تسأل روحك قال: الروح عارية والعارية مردودة قال: تسأل قلبك قال: القلب له يفعل به ما يشاء قال: ألا تخاف النار، قال: من أوقدها قال: النمروذ قال: من حكم لك قال: الجليل قال: فالجليل راض بحكم الجليل، فقال اللَّه تعالى: ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، قال الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات: فبردت النار من المشرق إلى المغرب.

لطيفة: موسى- عليه السلام- خاف من العصا وإبراهيم- عليه السلام- ما خاف من النار، لأن الحية من صنع اللَّه والنبى يخاف صنع الخالق سبحانه وتعالى والنار من صنع النمروذ والنبى لا يخاف إلا من صنع اللَّه، فإن قيل إبراهيم حين ألقى فى النار لم ينزعج وعند ذبح الولد انزعج.

فالجواب: لما ألقى فى النار كان نور محمد في جبينه وعند الذبح كان النور قد انتقل إلى إسماعيل وتقدم فى فضل البسملة سنّه يوم ألقى فيها وكم أقام بها، قال العلائى: بعث اللَّه جبريل إلى إبراهيم - عليهما الصلاة والسلام- بقميص من الجنة وقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول أما علمت أن النار لا تحرق أحبابى فلما رآه النمروذ بالذال المعجمة سأله قال: يا إبراهيم تستطيع أن تخرج منها سالمًا قال: نعم فلما خرج قال: نعم الرب ربك لأذبحن له أربعة آلاف بقرة قربانًا قال: لا يتقبل اللَّه حتى تؤمن به فاستمر على كفره حتى أهلكه اللَّه بالبعوض وقيل إنه سجد لإبراهيم سجدة واحدة فقال اللَّه تعالى: لو كانت هذه السجدة لى لغفرت له.

فائدة: من سنن إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- الختان وتقدم فى مناقب الحسن والحسين وهو أول من اختتن من الرجال أول من اختتنت من النساء هاجر، وأول من ثقب أذنها وقد ولد جماعة من الأنبياء- عليهم السلام- مختونين آدم وشيث وإدريس ونوح ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد ﷺ أى شاء اللَّه لهم الختان فكان، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول

له : كن فيكون ورأيت فى البسيط للواحدى أوحى اللّه إلى إبراهيم تطهر فتمضمض فأوحى اللّه إليه فاستنشق فأوحى اللّه إليه تطهر فاستاك فأوحى اللّه إليه تطهر فقص شاربه فأوحى اللّه إليه تطهر فاستنجى فأوحى اللّه إليه تطهر ففرق رأسه فأوحى اللّه إليه تطهر فحلق عانته فأوحى اللّه إليه تطهر فنتف إبطه فأوحى اللّه إليه تطهر فقلم أظافره فأوحى اللّه إليه تطهر فنظر فى جسده ماذا يصنع فاختتن بعد مائة وعشرين سنة ، وقال غيره : ابن ثمانين سنة فختن نفسه بالقدوم فتألم ألمًا شديدًا ، فقال له جبريل : قد استعجلت يا إبراهيم قبل أن آتيك بآلة الختان فقال : امتثلت أمر ربى فرفع اللّه عنه الألم فى الحال وختن إسماعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة وختن إسحاق وهو ابن سبع عشرة سنة فالختان واجب إلا على الخنثى فيحرم ، والحكمة فى الختان ، لكل عضو عبادة وعبادة الفرج الختان وقيل : سبب الختان ، أن إبراهيم- عليه السلام- وقع بينه وبين العمالقة فجعل الختان لأهل الإسلام وهو أول من ختن وتقدم فى فضل الخضاب والتسريح أن الحناء تنفع من الأورام البلغمية والسوداوية وتقوى الأعضاء المخضوبة وهو بارد يا بس وإذا نقع القرنفل فى الماء وعجنت به الحناء سود الشعر وحسنه وعن النبى ﷺ عليكم بسيد الخضاب الحناء وأول من قص شاربه وقلم أظافره فصار ذلك سنة لأمة محمد ﷺ لأن إبراهيم - عليه السلام- لما ابتلاه اللّه بهذه الأشياء المتقدمة فأتمها ووفى بها وجعله اللّه إمامًا يقتدى به أهل الأديان كلهم يعظمونه ويتشرفون به دينًا ونسبًا ويسن أن يبدأ فى قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط باليمين ويكره تأخيرها عن أربعين يومًا كراهة شديدة قاله فى الروضة ، وقد اعتبر هذا العدد فى مواضع منها خمر اللّه طينة آدم أربعين يومًا قاله فى الروضة ، وأوعد موسى أربعين ليلة للمناجاة والنبوة تكون بعد أربعين سنة وفى قواعد الزركشى عن الحليمى من تمنى أن يكون نبيّا فى زمن من نبى فإن تمنى أن يكون هو النبى فقد كفر ، وكذا لو تمنى بعد نبينا محمد ﷺ والحكمة تظهر بعد أربعين يومًا وغالب النفاس أربعين يومًا والنطفة تتغير من حال فى كل أربعين يومًا والأرض تتغير فى كل أربعين يومًا فلهذا اختار الأنبياء فى كل أربعين يومًا أكله واحدة وكل واحد وكل نبى من الأنبياء أعطاه اللّه قوة أربعين رجلاً ومحمد ﷺ أعطاه قوة أربعين نبيّا والأبدال من هذه الأمة أربعون وإذا مات واحد مؤمن بكى عليه موضع عبادته أربعين يومًا ، ومن شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يومًا وحد الحر فى شرب الخمر أربعون جلدة ومعظم الشتاء أربعون يومًا وبين النفختين أربعون سنة وينزل المطر على الخلق بعد موتهم أربعين يومًا ، حتى تنبت الأجسام والمولود يضحك أربعين يومًا ولا تصح الجمعة عند الشافعى والإمام أحمد إلا بأربعين رجلاً ويونس- عليه السلام- تنعم بسنة اللّه فى بطن الحوت أربعين يومًا ، ومحمد ظهر أمره لما بلغ أصحابه أربعين رجلاً .

فائدة: عن أبى هريرة- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ من قلم أظافره يوم السبت خرج من الداء ودخل فيه الشفاء ، ومن قلم أظافره يوم الأحد خرج منه الفقر ودخل فيه الغنا ومن قلم أظافره يوم الإثنين خرج منه البرص ودخلت فيه الصحة ومن قلم أظافره يوم الثلاثاء خرج منه البرص ودخل فيه

الشفاء ومن قلم أظافره يوم الأربعاء خرج منه الوسواس والخوف، ودخل فيه الأمن ومن قلم أظافره يوم الخميس خرج منه الجذام ودخلت فيه العافية، ومن قلم أظافره يوم الجمعة خرجت منه الذنوب ودخلت فيه الرحمة قال فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب أنه حديث متصل الإسناد، وعن ابن عمر - رضى اللّه عنهما عن النبى ﷺ من أخذ شاربه يوم الجمعة كان له بكل شعرة تسقط منه عشر حسنات، واللّه أعلم.

فصل: ذكر موسى - عليه السلام -

كان بينه وبين إبراهيم - عليه السلام - ألف عام وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين.

قال موسى: يا رب إنى أجد فى التوراة أمة هى خير أمة أخرجت للناس اجعلها أمتى، قال: تلك أمة محمد قال: يا رب إنى أجد فى التوراة أمة يحجون فلا يرجعون إلا وقد غفرت لهم فاجعلها أمتى، قال: تلك أمة محمد. قال: يا رب إنى أجد فى التوراة أمة أناجيلهم فى صدورهم فاجعلها أمتى، قال: تلك أمة محمد قال: يا رب إنى أجد فى التوراة أمة يصومون شهراً واحداً فتغفر لهم ذنوبهم أحد عشر شهراً فاجعلها أمتى قال: تلك أمة محمد قال: يا رب إنى أجد فى التوراة أمة تبدل سيئاتهم حسنات فاجعلها أمتى، قال: تلك أمة محمد قال: يا رب إنى أجد فى التوراة أمة هم آخر الأمم فى الإسلام السابقون إلى الجنة فاجعلها أمتى قال: تلك أمة محمد قال: يا رب فاجعلنى من أمة محمد ﷺ فلهذا قال النبى ﷺ: **«لو كان موسى حيّا ما وسعه إلا أتباعى»**.

قال كعب الأحبار: وجدت فى التوراة أمة محمد ﷺ يمشون على الأرض تستغفر لهم، ووجدت مع كل واحد قضيباً من نور وهو الإسلام ووجدت أحدهم يخر ساجداً فلا يرفع رأسه حتى يغفر اللّه له، ووجدت الجنة تشتاق إليهم كل يوم خمس مرات ووجدتهم يصومون شهراً وهو رمضان فيعطون بكل يوم تباعد خمسمائة عام من جنهم ووجدتهم طوبى لهم وحسن مآب، قال فى روضة العلماء قال موسى: يا رب اغفر لى ولبنى إسرائيل، قال: قد غفرت لمحمد ولأمته وثوابهم عندى كثواب الأنبياء غضبى عليهم بعيد أقبل منهم اليسير وأعطيهم الكثير ولا أحجب عنهم التوبة ما داموا يقولون: لا إله إلا اللّه فخر موسى ساجداً، وقال: يا رب اجعلنى من أمة محمد، فقال: أنت وجميع الأنبياء من أمة محمد ﷺ قال الطوسى فى كتاب نور النور: أمة محمد ﷺ تدعى فى التوراة صفوة الرحمن، وقال النسفى قال وهب: حملت أم موسى به ليلة عاشوراء وهى ليلة الجمعة، وذلك أنه قيل لعمران إذا رأيت نجم كذا يلقى شعاعه على وجهك فانطلق إلى أهلك وأودع الوديعة التى فى ظهرك فكان عمران يراقب النجم وكان لا يفارق فرعون ليلاً ولا نهاراً فلما رأى النجم ألقى النوم على فرعون فذهب عمران إلى زوجته يوحا نذبنت يصهر بن لاوى بن يعقوب وكان فرعون قد جعل حول قصره سباعاً فقالت السباع: يا عمران انطلق فى حفظ اللّه تعالى، قال وهب: لما حملت

أم موسى نطقت كل دابة قالت لفرعون: يا ملعون حملت أم موسى به فأين المهرب فلما ولدته فى تابوت وطرحته فى اليم فلم تبق دابة فى البحر إلا نثرت على التابوت الجواهر كان فى البحر سبعون ألف جاموسة لكل جاموسة سبعون ألف قرن من ذهب بالذال المعجمة فحلمته على قرونها وقالوا: هذا موسى كليم اللَّه، وعلق حول النيل ألف قنديل من قناديل الفردوس ومكث فى البحر ثلاثة أيام، وقيل أربعين يومًا وكان آخر من حمله حوت يونس- عليه السلام- فرجعت أمه إلى بيتها حين ألفته فجاءها الشيطان فى صورة إنسان، وقال: موسى أخذه فرعون وأطعمه لسباع فأخبرها جبريل بالحق فخرجت بنات فرعون يومًا إلى النيل وبهن بلاء فسمعن صوتًا من حمله أعطاه اللَّه العافية فحملنه كلهن فعافاهن اللَّه تعالى فلما نظرت إليه آسية عرفت أنه عدو فرعون فأنطقه اللَّه تعالى وقال يا آسية خذينى فإنى قرة عين لك وبلاء على فرعون أى وهو الوليد بن مصعب، فإن الفراعنة ثلاث فرعون موسى الوليد بن مصعب وسنان فرعون إبراهيم والريان بن الوليد فرعون يوسف، قال العلائى: فى سورة يوسف لما أخذته آسية وبلغ من العمر سنتين حمله فرعون وقبله بين عينيه فقبض لحيته بشماله وضربه بيمينه فدعا بالسيف ليقتله فتعرضت له آسية، فامتحنته بكلب وجمل فقبض على ذنب الكلب فسكن غضبه فلما بلغ أربع سنين صنع فرعون مائدة ونادى مناد أن فرعون يريد أن يأكل مع ولده، فاجتمع الناس وكان فرعون لا يأكل من الطعام إلا لقمة واحدة فقدم له طعام فأكل منه لقمة وأمر برفعه فقبضه موسى فأكل لقمة أخرى وأمر برفعه فقبضه موسى فأكل لقمة أخرى وأمر برفعه فأخذ موسى وصبه عن رأسه فدعا بالسيف ليقتله فتعرضت إليه آسية فامتحنه بتمرة وجمرة فأخذ الجمرة فأحرقت لسانه، فإن قيل كيف أحرقت لسانه دون يديه، فالجواب من وجوه الأول أن الكهنة أخبرت بزوال ملكه على يد مولود لا يضره ماء ولا نار فلما وجده فى البحر سالمًا قال فرعون: هذه العلامة الأولى فأراد أن ينظر إلى العلامة الثانية فامتحنه بجمرة وتمرة فحرقت لسانه سترًا من اللَّه تعالى لحال موسى عن فرعون، الثانى أحرقت لسانه لأنه قال: لفرعون يا أبت وسلمت يده لأنها صكت وجه فرعون، الثالث أحرقت لسانه دون يديه لأنه كان- عليه السلام- لقى فى خلقه حدة وعنده عجلة وسرعة فأراد اللَّه منع لسانه من النطق حتى لا يبوح بسر الرسالة قبل وقتها.

قال مؤلفه- رحمه اللَّه تعالى- وهذا الجواب أحسن من الثانى لأن اللسان أول ما تحرك، بقوله: يا نبى فى كتاب العقائق قالت آسية: لفرعون كيف تقتله وقد صار فى منزلك وبين يديك كذلك العبد إذا قام إلى الصلاة بين يدى ربه يتجاوز عن عقابه ويكرم بإحسانه، قال العلائى: فى سورة القصص: أن كاهنًا قال: يا فرعون يولد مولود فى بنى إسرائيل يكون هلاكك على يديه فأمر بذبح الأطفال وهذا من سخافة عقله وحمقه، فإنه صدق الكاهن ولم ينفعه القتل، قال وهب: قتل سبعين ألف طفل وقال: غيره مائة وأربعين ووكل القوابل بالحوامل فكانت القابلة التى وكلها بأم موسى صديقة لها فلما وضعته دخل حبه فى قلب القابلة، قالت لأمه احفظيه فإنى أظنه عدونًا فلما خرجت القابلة رآها بعض أتباع فرعون فأرادوا الدخول على أم موسى فألقته فى التنور وهو يلتهب

نارًا فلما دخلوا قالوا ما صنعت القابلة قالت: هي صديقة فلما خرجوا لم تعلم مكانه حتى بكاءه من التنور ثم أخرجته من النار وهي دهشة وقد طاش عقلها ثم أوحى اللَّه إلى أمه في المنام، وقيل لها جبريل ذلك فيكون وحي إعلام لا وحي رسالة كما تكلمت الملائكة مع مريم وغيرها ولا يلزم من كلامهم الرسالة أن أرضعيه فأرضعته ثلاثة، وقيل أربعة قال مجاهد: كان الوحي قبل الولادة وقال السدي: بعدها قال القرطبي: الأول أظهر، والثاني يساعده قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ** ﴾ [**القصص**: ٧]، وهو نيل مصر ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك والخوف من شيء لم يقع والحزن من شيء وقع فذهبت إلى نجار فقالت اصنع لي تابوتًا قال: ولم قالت: أخبئ فيه ولدي كرهت الكذب فلما وضعته في التابوت انطلق لسانه فرجع إليهم فانعقد لسانه وأخذ اللَّه ببصره، فقال: في نفسه إن ردّ اللَّه على بصري وأطلق لساني أكن مع هذا الغلام ولا أدل عليه أحدًا فرد اللَّه عليه بصره وأطلق لسانه فخر ساجدًا، وقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله اللَّه عليه فآمن به.

قال الماوردي: وهو مؤمن آل فرعون، وقال القرطبي: هو أيضًا الذي قال لموسى: يا موسى أن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك أي يتشاورون على قتلك واسمه حزقيل وهو ابن عم فرعون، وقيل. اسمه شمعان: قال الدارقطني: ولا يعرف شمعان بالشين المعجمة إلا مؤمن آل فرعون.

فـــائدة: إشارة النطق لغو إلا فيما لو أشار مسلم إلى كافر انحاز من صف الكفار إلى صف المسلمين، وأشار الكافر بالقول إشارة مفهومة قال: كل منهما أردت الأمان كان أمانًا تغليبًا لحقن الدماء وأشار الشيخ في رواية الحديث كنطقه ولو قال: أنت طالق وأشار بأصابعه وقع الطلاق وبعد ما أشار به من أصبعين أو الثلاث إن نوى ذلك إشارة الأخرس كنطقه إلا إذا شهد بالإشارة فلا تقبل أو حلف بالإشارة فلا تنعقد يمينه أو حلف لا يكلم زيدًا، ثم حصل الخرس فكلمه بالإشارة لا يحنث أو خاطب بالإشارة في الصلاة لا تبطل على الأصح والإشارة مقدمة على العبارة في مسائل منها لو قال: أصلي خلف زيد هذا فبان غيره صحت صلاته وكذا لو قال: أصلي خلف هذا الإمام واعتقد زيدًا فبان غيره ولو صلى خلف رجل وعنده أنه زيد فبان غيره رجح النووي الصحة أيضًا، ولو صلى على جنائز ظن أنهم عشرة فلما سلم ظهر أنهم أحد عشر أعاد على الجميع، قال الزركشي: ويحتمل أنه يصلي على من لم يصل عليه أولاً ولو قال لحائض: أنت طالق في هذا الوقت للسنة وقع الطلاق تغليبًا للإشارة واللَّه أعلم، قال ابن العباس- رضي اللَّه عنهما- : كان لفرعون بنت برصاء فجمع الأطباء فقالوا لا تبرأ إلا من البحر في يوم كذا فلما كان ذلك اليوم جلس فرعون على النيل ومعه آسية وبنته تلاعب الجواري وتنضح عليهن الماء وإذا بالتابوت تضربه الأمواج فوضعوه بين يدي فرعون فأرادوا فتحه فعجزوا فرأت آسية النور فيه فإذا هو موسى يمص من أحد أصبيعه فألقى اللَّه محبته في قلب آسية فأخذت بنت فرعون من ريقه وتمسحت به فذهب برصها فقال بعض أتباعه: لعل هذا

المولود الذى يخاف منه فأمر بقتله فقالت آسية: هذا أكبر من سنة وأنت أمرت بذبح أطفال هذه السنة فدعه يكون عندى قرة عين لى، ولك فقال فرعون: قرة عين لك وأما أنا فلا حاجة لى به وعن نبينا- عليه الصلاة والسلام- لو قال: قرة عين لى كما هو لك لهداه اللَّه كما هداها فلما علمت أمه أن فرعون أخذه طاش عقلها وأصبح فؤداها فارغًا من غير ولدها قالت: لأخته مريم وقيل كلثوم قصيه أى اتبعى خبره فلما رأته وصل إلى فرعون ولم يرضع من امرأة غير أمه كما قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢]، أى منعناه من الارتضاع فهو تحريم منع لا تحريم شرع من قبل مجىء أمه فجاءت بها، والصبى على يد فرعون يبكى ويطلب ارتضاع فلما رآها التقم ثديها قال فرعون: إنه لم يرضع إلا منك فقالت: لبن طيب فدفعه إليها وأعطاها كل يوم ديناراً فلم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى لها الجواهر، وإنما جاز لها أخذ الأجرة على ارضاع ولدها لأنه مال حربى فكانت تأخذه على وجه الإباحة، قال الكراشى: فلما فطمته ردته إلى فرعون فلما بلغ أشده وهو أربعون سنة وأتاه اللَّه العلم فى دينه ودين آبائه علم أن فرعون وقومه على الباطل فتكلم بالحق فدعاهم إلى اللَّه تعالى وطلب فرعون منه علامة النبوة فأوحى اللَّه إليه يا موسى ،ألق عصاك، فإذا هى حية تسعى لها صوت تجاوبه الجبال وكانت قبل ذلك كالفرس يركبها وإذا نام تدور حوله وتطرد الذباب عن غنمه وإذا اشتد الحر ارتفعت فيكون فى ظلها وفى الظلام تنور عليه وإذا عطش خرج منها عين ماء فيشرب منها وإذا استقى من ماء بئر تصير شفتاها دلواً وإذا استوحش تؤانسه بالخطاب فأقبل موسى على فرعون وقال: إن اللَّه تعالى أرسلنى إليك وهو يقول: يا عبدى خلقتك ورزقتك وأحسنت إليك وأنعمت عليك ولك أربعمائة عام تبارزنى بالعداوة فهل لك من المصالحة بكلمة واحدة لا إله إلا اللَّه أغفر لك ما قد سلف وأعطيك غرائب التحف وأزيدك أربعمائة أخرى كان فرعون فى قبة طولها ثمانون ذراعًا، وله كرسى فى أعلاها فقال يا موسى: أمهلنا إلى يوم الزينة قيل هو يوم السبت، وقيل هو يوم عيدهم فامهلهم فجمع سبعين ألف ساحر فاختار منهم سبعة آلاف فاجتمع الناس فى ذلك اليوم وفرعون على سريره فى القبة على رأسه تاج بصفائح الذهب وفيه جوهرة عظيمة إذا طلعت الشمس لا يستطيع أحد أن يملأ عينيه من النظر إلى وجهه فألقوا سبعين حبلاً من الحبال والعصى المملوءة من الزئبق قال وهب: كانت الحبال فرسخًا فى فرسخ فلما اشتد الحر تحرك ذلك كله فأقبل موسى- عليه السلام- وعليه جبة صوف وبيده العصى وقد حصل له خوف فقال اللَّه تعالى لا تخف إنك أنت الأعلى وألق عصاك فألقاها فصارت حية أنيابها كالأسنة ففتحت فاها وكانت العصا كلما مرت على صخرة صارت رملة فابتلعت سحرهم، ثم مالت نحو العساكر فحطم بعضهم بعض ونفذت فيه سهام العصا ثم توجهت نحو قبة فرعون فوضعت فكها الأسفل على أسفل القبة والأعلى على أعلاها فنادى يا موسى الأمان فلما رأت السحرة ذلك علموا أنه من قدرة اللَّه تعالى لمالك فخروا ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين.

لطيفة: الباطل له صولة وماله دولة كان للسحرة صولة ،وما كان لسحرهم دولة جاء الأجل وفرعون وهامان عليهم ثياب الخذلان فسبق لهم من ربهم توقيع الأمان فجازاهم بسجدة واحدة قصور الجنان وأنت يا مؤمن تسجد كثير لأجل الرحمن فلك الفوز والأمان.

فائدة: لما توجه موسى صلوات اللّه عليه إلى فرعون لعنة اللّه عليه دعا بهؤلاء الدعوات، لا إله إلا اللّه العلى العظيم سبحان اللّه رب السماوات السبع والأرضين وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين، اللهم إنى أدرأ بك فى نحره وأعوذ بك من شره فاكفنيه وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت فتحول خوفه أمنا.

موعظة: رأيت فى البحر المحيط لأبى حيان كلم اللّه موسى فى ألف مقام وعلى أثر كل مقام يرى النور على وجهه ثلاثة أيام ولم يقرب النساء منذكلم اللّه وفى غير البحر المحيط ناجاه بمائة ألف كلمة وأربعة ألف عشر كلمة فى كل كلمة، يقول: يا موسى قتلت نفسًا بغير نفس، وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ لزوال الدنيا أهون على اللّه من قتل رجل مسلم وروى النسائى والبيهقى عن النبى ﷺ: «قتل المؤمن أعظم عند اللّه من زوال الدنيا»، وقال النبى ﷺ: «ثلاثة من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى باب شاء وزوج من الحور العين كما شاء من أدى دينًا خفيًا وعفا عن قاتله وقرأ كل صلاة مكتوبة قل هو اللّه أحد عشر مرات» فقال أبو بكر الصديق: «أو إحداهن يا رسول اللّه فقال: أو إحداهن» رواه الطبرانى وقوله: دينا خفيًا أى من غير بينة عليه.

حكاية: دخل موسى – عليه السلام – مصر وقت القيلولة، وقيل بين المغرب والعشاء وذلك قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥]، فوجد بها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى بيده فى صدره فقتله، فدفنه فى الرمل والوكز يكون فى الصدر فلما كان فى اليوم الثانى وإذا بالكافر من شيعة موسى قد استغاث به أيضًا على كافر آخر فلما أراد موسى أن يضربه، قال الذى من شيعته – وقد ظن أن موسى يريد ضربه لما قال موسى: إنك لغوى مبين – يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسًا بالأمس فهرب الكافر إلى فرعون فقال: إن الذى قتل فلانًا بالأمس هو موسى ومن المحن التى رفع اللّه بها درجات موسى – عليه السلام – قارون ابن عمه، وقيل ابن خالته وذلك أن اللّه تعالى لما أهلك فرعون أمره أن يكتب التوراة فى ألواح الذهب فقال: يا رب وأين الذهب فأرسل اللّه إليه جبريل فعلمه الكيمياء فعلم موسى أخته زوجة قارون ثلثًا ويوشع ثلثًا وطالوت ثلثًا فتعلم قارون من زوجته ولم يزل يتضرع إلى موسى حتى علمه الجميع فركب فى زينته فى أربعين ألف فارس بالأقبية الحرير المنسوج بالجواهر فلقى موسى – عليه السلام – فى طريقه فقال إنى ركبت لقتلك فقال: وأنا دعوت اللّه لأجلك يا أرض خذيه فلما غابت قوائم فرسه قال: إنما دعوت لأجل مالى ودارى فقال: يا أرض خذى الجميع، وقيل إنه قال: يا موسى خذ المال واعف عنى فقال: يا أرض خذيه فاستغاث بموسى سبعين مرة

فقال اللّه تعالى: وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة واحدة لأغثته، قال القرطبى: فهو يخسف كل يوم قامة فإذا وصل السابعة قامت الساعة ونفخ فى الصور قال فى العقائق: إن اللّه تعالى قال: للحوت لا تجعل يونس فى حساب القوت إنما هو وديعة عندك كما كان موسى فى التابوت وأقام يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام، وقيل: أربعين يومًا فلما سمع يونس تسبيح أهل البحر سبح معهم فسمعه قارون فقال للزبانية: من هذا قالوا يونس قال: دعونى أكلمه فقالوا: لم يؤذن لنا فى ذلك، فجاءهم الإذن فقال: أيها العبد الصالح ما فعل بموسى فأرسل إليه صوته إلى يونس وقال: من أنت قال: أنا قارون الشقى فقال: إن موسى قد مات فتأسف قارون عليه وعلى موت زوجته أخت موسى فقال اللّه للزبانية: ارفعوا عنه العذاب إلى قيام الساعة حيث رحم أهله، واللّه أعلم.

لطيفة: رأيت فى ربيع الأبرار عن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- خلق اللّه تعالى طيرًا فى زمن موسى- عليه السلام- له وجه كوجه الإنسان وأربعة أجنحة من كل جانب، وخلق اللّه له ذكر أمثالها وقال: يا موسى خلقت طيرًا عجيبًا تستأنس به وجعلناه زيادة فى كرامتك على بنى إسرائيل وجعلت رزقها فى الوحوش التى حول بيت المقدس فكثر نسلها فلما مات موسى انتقلت إلى أرض الحجاز وصارت تخطف الصبيان فدعا عليها خالد بن سنان العبسى- عليه السلام- بعد ارتفاع عيسى ابن مريم- عليه السلام- فقطع اللّه نسلها وفى غيره لما قال موسى- عليه السلام-: رب أرنى أنظر إليك قال: ارفع رأسك يا موسى إن أردت أن تسكن ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى فكن لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف يا موسى ارحم ترحم يا موسى كما تدين تدان يا موسى قل لبنى إسرائيل: أنه من لقينى وهو جاحد بمحمد أدخلته النار قال: يا رب ومن محمد قال: وعزتى وجلالى ما خلقت نبيًا أكرم من محمد كتبت اسمه مع اسمى على العرش قبل السماوات والأرض والشمس والقمر بألفى عام وعزتى وجلالى الجنة محرمة على جميع الخلق حتى يدخلها محمد وأمته، قال: يا رب ومن أمة محمد قال: أمته الحمادون على كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون الأطراف صائمون النهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا اللّه، قال: يا رب اجعلنى نبى تلك الأمةقال: نبيها منها قال: يا رب اجعلنى من أمة ذلك النبى قال: يا موسى استقدمت واستأخرت ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال.

قال العلائى: فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦]، قال وهب: قال موسى: يا رب أرنى محمدًا وأمته قال: إنك لن تصل إليه ولكن إن شئت ناديت أمته وأسمعتك أصواتهم، قال: نعم فقال اللّه تعالى: يا أمة محمد فقالوا من أصلاب الآباء وبطون الأمهات لبيك اللهم لبيك، فقال: إن رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم قبل أن تسألونى وأجبتكم قبل أن تدعونى وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى من جاءنى منكم يوم القيامة بشهادة لا إله إلا اللّه وأن محمدًا عبدى ورسولى أدخلته الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر فالحمد للّه على

نعمه التى ذكرنا بها إلهامًا وإعلامًا وقوم موسى أعلمهم وما ألهمهم قال اللّه تعالى لموسى- عليه السلام- : ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[إبراهيم: ٥] ، أى بما أنعم عليهم من هلاك فرعون وسلامتهم وقيل ذكرهم بما فعل اللّه بالأمم الماضية وأما قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾[الجاثية: ١٤] ، هو عمر بن الخطاب، يغفروا للذين لا يرجون أيام اللّه لا يخافون وذلك أن جاهلاً شتم عمر بن الخطاب بمكة . اهـ.

فائدة: قال النبى ﷺ: «ثلاثة من كن فيه حاسبه اللّه حسابًا يسيرًا وأدخله اللّه الجنة برحمته تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك» رواه الطبرانى وقال الحاكم: صحيح الإسناد وقال النبى ﷺ: «اتقوا اللّه وأصلحوا ذات بينكم، فإن اللّه يصلح بين المسلمين» وقال الحاكم: صحيح الإسناد واللّه أعلم.

فصل: فى ذكر عيسى- عليه السلام-

وأمه من بنات سليمان - عليه السلام- بينهما وبينه أربعة وعشرون جدًا، وفى الحديث أنها سألت ربها أن يطعمها لحمًا لا دم له فأطعمها الجراد وأهبط إبليس لعنه اللّه قال: لأ تخذن من عبادك جندًا وهن النساء، فقال اللّه تعالى: لأتخذن من خلقى جندًا وهو الجراد ومكتوب على صدر الجراد جند اللّه الأعظم.

قال الطوسى: فى كتاب نور النور أن أمة محمد تدعى فى الأنجيل الحكماء العلماء.

حكاية: قال محمد بن جرير: خرجنا جماعة فى طلب العلم فنزلنا بمدينة واشتغلنا بالعلم فنفدت نفقتنا فأردنا الرجوع إذا بيهودى فدفع لكل واحد منا ثلاثة دراهم، وهكذا أربعين مرة فسألناه عن ذلك فقال: قرأت فى التوراة فإذا فيها أفضل نفقة فى سبيل اللّه متعلمى العلم فما رأيت أحدًا من اليهود يطلب ما تطلبون فودعنا وقصدنا الحج فرأيته يومًا حول الكعبة فقلت له: ما السبب قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: إن اللّه تعالى قد أكرمك بالإسلام بإنفاقك على أهل العلم فأسلمت على يديه وكان فى دارى سبعة عشر نفسًا ولك واحد منهم رأى مثل ما رأيت فأسلموا جميعًا.

قال فى تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب: عن النبى ﷺ قال فى عيسى: يا رب أخبرنى هذه الأمة المرحومة قال: إنها أمة محمد حكماء وعلماء كأنهم من الحكمة والعلم أنبياء يرضون منى باليسير من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بقول لا إله إلا اللّه وعن أبى ذر عن النبى ﷺ قال اللّه تعالى: يا عيسى إنى باعث من بعدك أمة إذا أصابهم ما يحبون حمدوا اللّه تعالى وإذا أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم قال: يا رب كيف يكون هذا قال: أعطيهم من حلمى وعلمى قاله العلائى فى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾[الإسراء: ٧٩] ، قال النبى ﷺ فى حديث وإن عيسى أخى ليس بينى وبينه نبى وأنا أولى

الناس به قال فى كتاب العرائس: كانت مريم تتعبد فى المسجد الحرام مع رجل من قومها يقال له يوسف ولها قليب يعنى بئر كل واحد منهم يأتى بماء فى يوم من كهف فلما كان فى يوم مريم خرجت إلى الماء فنزعت درعها فى الكهف فجاءها جبريل فى صورة رجل، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ الآية [آل عمران: ٤٥]، فأخذ التراب الذى فضل من تراب آدم ونفخ فى جيب درعها فلما استقت الماء ولبست درعها تحرك الولد فى بطنها فلما جاءها المخاض تحولت إلى أختها من الجامع فأنكر يوسف وقال: يا مريم هل ينبت الزرع من غير بذر قالت: نعم أنبت اللَّه الزرع يوم خلقه من غير بذر فلما تحولت عند أختها امرأة زكريا وكانت حاملاً بيحيى قالت: يا مريم أجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك وتقدم فى باب الزهد فى فضل التوكل أن الحمل والوضع كان فى ساعة واحدة، قال النيسابورى: كان الوضع بعد الزوال قال الرازى فى قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ [آل عمران: ٤٢]، أى رضيها لخدمة المسجد وهى أنثى وما غذتها أمها طرفة عين، وكان رزقها يأتيها من الجنة وقال الأكثرون: كفلها ذكريا فى حال طفولتها، وقيل بعد فطمها وأسمعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لغيرها من النساء وطهرك أى من الحيض فقالوا: إن مريم لم تحض ومن كذب اليهود من كل معصية واصطفاك على نساء العالمين بأن وهب لها عيسى من غير أب وفى حديث: «حسبك من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة» قال الرازى: وهذه الآية تدل على أن مريم أفضل من الجميع أن يكون الاصطفاء الثانى هو الأول لأن التكرار غير لائق، قال البرماوى فى شرح البخارى: حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشر سنة وعاشت بعد رفع عيسى ستة وستين سنة، وماتت ولها مائة واثنتا عشرة سنة وأم يحيى اسمها أيشا بفتح الهمزة وبالمعجمة وأمها حمنة بفتح المهملة وتشديد النون فلما وضعت عيسى وبلغ تسعة أشهر دفعته إلى المكتب، قال الزمخشرى فى ربيع الأبرار: أكيس الصبيان أشدهم بغضًا للكتاب، فقال المعلم: يا عيسى قل بسم اللَّه فقال عيسى: بسم اللَّه الرحمن الرحيم فقال: قل أبجد فقال: أتدرى ما معناها قال: لا قال: الألف هو اللَّه والباء بهاء اللَّه والجيم جلال اللَّه والدال دين هوز الهاء هاوية جهنم والواو ويل لأهل النار والزاى زفير جهنم حطى حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام اللَّه غير مخلوق سعفص أى صاع بصاع قرشت أى تقرشهم أى تحشرهم جميعًا، فقال المعلم: يا مريم خذى ولدك لأن ولدك لا يحتاج إلى معلم وعن النبى ﷺ عيسى أرسلته أمه للكتاب فقال له المعلم: قل بسم اللَّه فقال عيسى: ما معنى بسم اللَّه قال: لا أدرى قال: الباء بهاء اللَّه والسين سناء اللَّه والميم ملك اللَّه قال فى ربيع الأبرار: عن النبى ﷺ: «أمتى يأتون يوم القيامة وهم يقولون بسم اللَّه الرحمن الرحيم، فتنقل حسناتهم فى الميزان فتقول الأمم ما أرجح موازين أمة محمد فتقول الأنبياء كان ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء اللَّه تعالى لو وضعت فى كفة وسيئات الخلائق فى كفة لرجحت حسنات أمة محمد ﷺ».

حكاية: مر عيسى- عليه السلام- وهو صغير مع أمه على مدينة فوجد أهلها مجتمعين على باب ملكهم فسألهم عن ذلك فقالوا: إن زوجته تريد الولادة وقد عسر عليها وهم يسألون الأصنام فى التخفيف عنها، فقال: إن وضعت يدى على بطنها خرج الولد سريعًا فتعجبوا من صغره فادخلوه على ملكهم، فقال: إن أخبرتك بما فى بطنها تؤمن بالله قال نعم، قال: فى بطنها صبى فى خده شامة سوداء وفى ظهره شامة بيضاء ثم قال: أقسمت عليك يا ولدى بالذى خلق الخلق وقسم الرزق أن تخرج فخرج الولد سريعًا وتقدم فى باب الدعاء ما يقال عند الولادة من امرأة غيرها فأرد الملك أن يؤمن فمنعه قومه، وقالوا: إن مريم ساحرة وقد أخرجها قومها من بيت المقدس قال وهب أوله آية عيسى- عليه السلام- أن أمه أضافت به رجلاً من أكابر مصر يأوى إليه المساكين فسرق ماله فتهم به المساكين، فقال عيسى: يا أماه دعيه يجمع المساكين فى داره فلما جمعهم أخذ مقعداً وجعله على عاتق أعمى وقال: قم به فقال الأعمى: أنا ضعيف فقال له عيسى: كيف قويت على ذلك البارحة وكان هو الذى أخذ المال من المقعد ثم أن هذا الرجل اتخذ عرسًا لولده ولم يكن عنده شراب فاغتم لذلك فدخل عيسى بيتًا له وكل إناء وضع يده فيه امتلأ شرابًا، وهو يومئذ ابن اثنى عشرة سنة.

حكاية: قال الكلاباذى: اعترض إبليس لعنه اللّه لعيسى- عليه السلام- بالطريق فى عقبة بقرب بيت المقدس، فقال: من أنت؟ قال: روح اللّه وعبده وابن أمته فقال إبليس لعنه اللّه لا بل ما أنت إلا الأرض لأنك تحيى الموتى وتبرئ المريض والأبرص والأكمه وهو الذى خلق أعمى، فقال عيسى - عليه السلام-: اللّه الذى خلقنى وبإذنه شفيتهم ولو شاء أمرضنى، فقال إبليس: هلم حتى آمر الشياطين بالسجود لك فيراهم بنو آدم فيسجدون لك فتكون إله الأرض فقال عيسى: سبحان اللّه وبحمده وتعالى عما تقول ملء سمائه وأرضه وعدد خلقه ورضاء نفسه ومبلغ علمه ومنتهى كلماته وزنة عرشه، فنزل جبريل وميكائيل وإسرافيل فنفخ ميكائيل على إبليس نحو المشرق فصدم عين الشمس فوقع محترقًا ثم نفخ عليه إسرافيل نحو المغرب فوقع فى عين حمئة التى تغرب فيه الشمس كلما طلع غرقه جبريل حتى قام فيها سبعة أيام فكان بعد ذلك يخاف من عيسى.

حكاية: أن عيسى- عليه السلام- يخبر الصبيان بما يأكله آباؤهم وما يدخرونه فيأتى الولد إلى أبويه فيقول أطعمونى من كذا فيقولون من أخبرك فيقول عيسى فمنعوا صبيانهم من عيسى وجعلوهم فى بيت واسع، فقال عيسى: أين صبيانكم هل هم فى هذا البيت، فقالوا: ما فيه إلا قردة وخنازير، فقال كذلك يكونون ففتحوا الباب فوجدوا أولادهم قردة وخنازير وعن النبى ﷺ: «كيف أمة تهلك وأنا أولها والمسيح فى آخرها»، رأيته فى قوت القلوب لأبى طالب المكى وفى حديث آخر للقرطبى: «ولن يخزى أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها»، واللّه تعالى أعلم.

**

فصل: فى ذكر الخضر وإلياس - عليهما السلام-

قال أنس بن مالك- رضى اللَّه عنه- رأيت شيخًا يقول: اللهم اجعلنى من أمة محمد ﷺ فقلت له: من أنت قال الخضر ورأيت فى تفسير القرطبى فى سورة الصافات، قال أنس كنت فى غزوة مع النبى ﷺ فلما كنا عند الحجر وهو مدائن صالح سمعنا صوتًا، يقول: اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة المغفور لها فقال النبى ﷺ: «يا أنس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فرأيت رجلاً أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فقال: أقرئ محمداً منى السلام وقل له أخوك إلياس يريد الاجتماع بك، فجاءه محمد ﷺ فتأخرت عنهما فتحدثا طويلاً فنزلت عليهما مائدة من السماء فدعونى فأكلت معهما كمثرى ورمانًا وكرفسًا فلما أكلنا جاءت سحابة فأخذت إلياس وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فقلت: يا رسول اللَّه هذا طعام من السماء، قال: نعم قال: ينزل به جبريل فى كل أربعين يومًا مرة، وله فى كل عام شربة من زمزم فالخضر وإلياس يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس» قال ابن مسعود: هذه الأمة تكون يوم القيامة ثلاثة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابًا يسيراً وثلث يأتون بذنوب عظام فيقول اللَّه تعالى وهو أعلم من هؤلاء فتقول الملائكة هؤلاء المذنبون، فيقول اللَّه تعالى: أدخلوهم فى سعة رحمتى قال فى الزهر الفاتح كان لعمر بن الخطاب جارية تسمى زائدة فخرجت يومًا لتأتى بالحطب للعجين فرأت فارسًا لم تر أحسن منه، فقال الفارس: لها يا زائدة إذا رأيت محمداً فقولى له: رضوان خازن الجنان يقرئك السلام وقولى له: إن اللَّه قسم الجنة ثلاثًا لأمتك ثلث يدخلون بغير حساب وثلث يحاسبون حسابًا يسيراً وثلث يشفع فيهم النبى ﷺ قال العلائى فى سورة الكهف: اسم الخضر خضرون بن عاميل بن الهيص بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ قال الثعلى إنه نبى معمر محجوب عن الأبصار.

موعظة: قال موسى للخضر- عليهما السلام-: بم أطلعك اللَّه على الغيب؟ قال: بترك المعاصى، قال: أوصنى قال: يا موسى كن بسامًا ولا تكن غضابًا، كن نفاعًا ولا تكن ضراراً وانزع عن اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك فى غير عجيب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وأبك على خطيئتك يا ابن عمران وروى الإمام أحمد بسنده، عن أبى هريرة- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ:«سمى الخضر خضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز خضراء»، وقال مجاهد الخضر باق إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها قال عمر بن دينار: الخضر وإلياس حيان ما دام القرآن فى الأرض فإذا رفع ماتا قال القرطبى فى سورة الصافات أصاب إلياس مرض شديد فبكى فأوحى اللَّه إليه بكاؤك حرصًا على الدنيا أو خوفًا من الموت أو خوفًا من النار فقال: لا وعزتك إنما جزعى كيف يحمد الحامدون بعدى، ويصوم الصائمون بعدى فقال اللَّه تعالى: لأؤخرنك إلى وقت لا يذكرنى فيه ذاكر يعنى إلى يوم القيامة وقال إبراهيم التيمى رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: «كل ما يحكى عن الخضر حق، وهو عالم أهل الأرض ورأس الإبدال وهو من جنود اللَّه تعالى».

حكـاية: قال الشيخ عثمان الصرفينى: كنت فى بداية أمرى نائمًا على سطح دارى تحت السماء ليلاً فمر بى خمس حمامات فقالت إحداهن بلسان فصيح سبحان من عنده خزائن كل شىء وسمعت الأخرى تقول كل ما فى الدنيا باطل إلا ما كان اللّه ورسوله وسمعت الأخرى تقول: يا أهل الغفلة قوموا إلى رب عظيم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم، قال: فوقعت مغشيًا على، فلما أفقت نزع اللّه من قلبى حب الدنيا فعاهدت اللّه أن أسلم نفسى إلى شيخ يدلنى على اللّه تعالى ثم سافرت لا أدرى أين أتوجه فرأيت شيخًا كثير الهيبة، فقال الشيخ: السلام عليك يا عثمان فقلت له: وعليك السلام من أنت قال: الخضر كنت الساعة عند الشيخ عبد القادر- رضى اللّه عنه- فقال يا أبا العباس قد جذب البارحة رجل من أهل صرفين اسمه عثمان قد نودى من فوق سبع سموات مرحبًا بك يا عثمان يا عبدى وقد عاهد ربه أن يسلم نفسه لشيخ يدله على ربه، فاذهب إليه فإنك تجده فى الطريق فائتنى به قال الخضر: يا عثمان الشيخ عبد القادر الكيلانى- رضى اللّه عنه- سيد العارفين فى عصره فعليك بملازمته فما شعرت بنفسى إلا وأنا عند الشيخ عبد القادر، فقال: مرحبًا بمن جذبه مولاه بألسنة الطير وجمع له كثيراً من الخير ثم البسنى طاقية وأجلسنى فى الخلوة شهراً وأصبت من صحبته خيراً، وتقدم منافع الحمام فى باب الكرم قال العلائى كان الخضر- عليه السلام- ابن خالة ذى القرنين ووزيره ومشيره وذو القرنين من ذرية يونان بن نوح- عليه السلام- ويساعده ما فى العرائس فإنه جعل بين الخضر وبين سام بن نوح أربعة أجداد وكان فى زمان إبراهيم، وقد اجتمع به فى مكة قال مقاتل: كان إبراهيم بفلسطين فسمع صوتًا فقيل ما هذا؟ قال ذو القرنين: فقال الرجل اذهب إليه فأقرئه منى السلام فلما جاءه قال الخليل: ههنا قال: نعم فنزل عن فرسه فقيل لى بينك وبينه مسافة بعيدة فقال ما كنت لأركب بأرض فيها خليل اللّه فقام له إبراهيم وسلم عليه وأهدى له بقراً وغنمًا وجعل له ضيافة وكان الخضر صاحب لوائه الأعظم، وقيل كان ذو القرنين بين موسى وعيسى، وهو أحد الأربعة الذين ملكوا الدنيا وسليمان- عليه السلام- وبختنصر والنمروذ وسيملكها خامس من هذه الأمة وهو المهدى، قال جعفر بن محمد كان لذى القرنين صديق من الملائكة فقال له: اخبرنى عن عبادة الملائكة فى السماء قال: منهم قيام وقعود وسجود إلى يوم القيامة، ثم يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فقال ذو القرنين: إنى أحب أن أعيش حتى أعبد اللّه حق عبادته، فقال الملك إن أردت ذلك فإن فى الأرض عينًا يقال لها عين الحياة من شرب منها لا يموت حتى يسأل ربه الموت لكنها فى ظلمة فجمع العلماء، وقال: هل قرأتم فى كتب اللّه أن فى الأرض عينًا يقال لها عين الحياة فقال واحد منهم نعم عند مطلع الشمس فى ظلمة فسار ذو القرنين على ألف فرس من الخيل الخضر البكر لقوة نظرها، وتقدم الخضر أمامه بألف فارس فقال الخضر كيف يفعل من ضل منا عن صاحبه ونحن فى ظلمة فقال إن ضللت الطريق فالق هذه الخرزة، فإذا هى فى الأرض ودفع إليه خرزة حمراء فإذا صاحت فليرجع إليها الضال، فسار الخضر بين يديه فإذا ارتحل هذا فبينما الخضر يسير إذا عارضه واد فغلب على ظنه أن العين فيه فرمى الخرزة، فأضاءت الظلمة وصاحت

الخرزة فإذا هى على حافة عين ماؤها أبيض من اللبن وأحلى من العسل، فقال لأصحابه: امكثوا ثم نزل فشرب منها واغتسل وسار ذو القرنين وقد أخطأ العين فنزلوا بأرض حمراء فيها ضوء لا يشبه الشمس والقمر وفيها قصر عليه حديدة طويلة عليها طير مزموم أنفه إلى الحديد متعلق بين السماء والأرض فقال الطير يا ذا القرنين ما جاء بك إلى هنا أما كفاك ما وراءك، ثم قال: يا ذا القرنين أخبرنى هل كثر البناء بالجص والآجر قال: نعم فانتفض الطير وانتفخ حتى بلغ ثلث الحديد ثم قال: كثرت شهادة الزور قال: نعم فانتفخ وانتفض حتى ملأ الحديد وسد جدار القصر فخاف ذو القرنين، ثم قال: هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا اللَّه قال: لا فرجع إلى عادته ثم رأى رجلاً فوق سطح القصر، فقال: من أنت قال: صاحب الصور وقد اقتربت الساعة وأنا انتظر أمر ربى ثم أعطاه حجراً، وقال إن شبع شبعت يا ذا القرنين وإن جاع جعت فأخذ الحجر ورجع إلى أصحابه وأخبرهم بالقصر وبما رآه، وجعل الحجر فى كفة الميزان وآخر فى كفة فرجح ذلك الحجر حتى زاد احجاراً كثيرة، وفى كل ذلك يرجع عليهم الحجرة فرضع فى مقابله الحجر كف تراب فاستوى الميزان، فقال الخضر- عليه السلام- : هذا مثل ضربه اللَّه لابن آدم لا يشبع حتى يحشوا عليه التراب ورجع الإسكندر إلى بلده وعمره منارة الأرسكندرية طولها أربعمائة ذراع وخمسون ذراعًا بناها على قناطر من زجاج على سرطان من نحاس فى أعلاها مرآة قبرى منها جيش الروم إذا تجهزوا عليهم للغزو فأرسل ملك الروم يقول أن فيها كنز ذى القرنين، فهدموا منها شىء فبطل طلسم المرآة ولما مات ذو القرنين اجتمع الخضر بموسى- عليهما السلام- وكان من أمرهما ما ذكره اللَّه فى كتابه العزيز حتى دخلا القريةالتى أقام الخضر- عليه السلام- فيها الجدار وهى انطاكية، وقيل: الناصرة وأنطاكية أيضًا هى مدينة الرجل الذى فى يس ومدينة الرجل الذى فى القصص مصر والرجل حزقيل والذى فى يس حبيب النجار آمن بالنبى ﷺ وبينهما ستمائة عام على يد رسل عيسى الثلاثة وهم يحيى ويونس وشمعون قال له قومه: آمنت قال: ومالى لا أعبد الذى فطرنى أى خلقنى، وإليه ترجعون وأضاف الفطرة إليه لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر وأضاف الرجوع إليهم لأنه فيه معنى الزجر وهو بهم أليق قال البغوى إنه فى الجنة حى يرزق، وكان يتصدق بنصف كسبه ويطعم عليه نصفًا ومدائن مصر ومدينة النمل ومدينة صالح وهى الحجر والتسعة الرهط كانوا أشراف قوم صالح فلما أهلكهم اللَّه خرج صالح بالمؤمنين وهم أربعة آلاف إلى مدينة حضر باليمن فلما حضر فيها صالح مات فسميت حضرموت، قال الكلبى فى قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: ٥٩]، قال: هم أمة محمد ﷺ اصطفاهم اللَّه تعالى لمعرفته وطاعته، فلما أقام الخضر الجدار قال موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)﴾ [الكهف: ٧٧].

فإن قيل: كيف كره موسى أكل طعام شعيب حين دعاه للأكل لما سقى الأغنام لبناته منهن صفوريا تزوجها موسى وإليها تنسب بلد المؤلف - رحمه اللَّه تعالى- صفورية ماتت بها أو نزلتها

ولم يكره ذلك مع الخضر، حيث قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)﴾ قيل: لأن أخذ الأجرة على الصدقة لا يجوز وأما الاستئجار فيجوز.

إشارة: الجدار المائل هو العبد العاصى تحته كنزه وهو قلبه فيه التوحيد وأبواب المعاصى أربعة وأبو العبد العاصى إبراهيم قال تعالى ملة أبيكم إبراهيم، فكما أن الخضر أقام الجدار للغلامين اليتيمين لأجل أبيهما الصالح كذلك العبد العاصى يقومه اللَّه تعالى بالتوبة لأجل أبيه إبراهيم ونبيه محمد ﷺ قاله الدامغانى وتقدم غيره.

ونظيره: جوارح المؤمن سفينة والبحر هو الدنيا والتجارة هى الطاعة والملك الظالم هو الشيطان فوسمك ربك بالمعصية حتى لا يرغب الشيطان فى أخذك كما أن السفينة التى عليها الخضر لم يأخذها الملك، وعن النبى ﷺ «والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد منه وهو العجب»، ولما أنكر موسى على الخضر خرق السفينة نودى يا موسى لما ألقتك أمك فى التابوت فى البحر ألست كنت فى حظنا كذلك نحفظ السفينة فلما أنكر عليه قتل الغلام نودى يا موسى أنسيت أنك قتلت نفسًا بغير حق، يا موسى لو أن النفس التى قتلتها أقرت لى بالتوحيد طرفة عين لأصابك العذاب والسفينة كانت لعشرة مساكين أخوة ورثوها من أبيهم خمسة يعملون فى السفينة أحدهم مجذوم والثانى أعور والثالث أعرج والرابع آدر أى إحدى خصيتيه أكبر من الأخرى، والخامس محموم لا تفارقه الحمى، وخمسة لا يطيقون العمل أحدهم مقعد والثانى اصم والثالث أبكم والرابع أعمى والخامس مجنون واللَّه أعلم، قال العلائى، إن الخضر وإلياس يدور فى الجبال يهدى من ضل فيها هذا دأبهما فى النها وفى الليل يجتمعان عند سد يأجوج ومأجوج يحرسانه، قال قتادة: ليس فى ناحية البحر المظلم طريق إلى البر إلا من ناحية السد فى ناحية الشمال فى منقطع بلاد الترك وليس ليأجوج ومأجوج طعام إلا الأفاعى من ذلك البحر يرسل اللَّه تعالى سحابة، فتغرف منه الأفاعى ثم تمطرها عليهم فيأكلها يأجوج ومأجوج.

وسئل: النبى ﷺ عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك، قال: جزت عليهم ليلة المعراج فدعوتهم إلى اللَّه فلم يجيبوا وقد بسطنا الكلام على يأجوج ومأجوج فى صلاح الأرواح، قال على اسم ذى القرنين عبد اللَّه بن الضحاك وقيل مرزبان وسمى بذى القرنين، لأنه ملك المشرق والمغرب، وقيل عاش قرنين وهما مائتا سنة، وقيل غير هذا قوله تعالى: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] قيل حارة وقال الجمهورى أى ذات حمأ وطين أسود قال بعض العلماء: ليس المراد من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٨٦] إنه انتهى إلى حرها ومسها، لأنها تدور مع السماء حول الأرض وهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض كأنها أكبر من الأرض بمائة وستين مرة وإنما المراد أنه انتهى إلى مد العمران من الجهتين فوجدها فى رأى العين تغرب فِى عين حمئة كما تشاهدها فى الأرض المستوية كأنها تدخل تحتها كما أن راكب البحر،

كأنها تغيب في البحر ورأيت في تفسير القرطبي في سورة يس أن الشمس إذا غربت دخلت محرابًا تحت العرش تسبح ربها حتى تصبح وهي مخلوقة من نور العرش والقمر من نور الكرسي وهو أسرع سيرًا منها وهو في غلاف من ماء فكل ليلة يظهر منه شيء من الغلاف حتى يتكامل فيقطع الفلك في ثمانية وعشرين ليلة وذلك عدد المنازل المنقسمة على اثنى عشر برجًا لكل برج منزلتان وثلث، والسنة تدور على أربع فصول ولكل فصل سبعة منازل أول الفصول فصل الربيع وأيامه اثنان وتسعون يومًا أولها خامس عشر من أذار تقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج، وهي الحمل بالحاء المهمل والثور والجوزاء، ثم يدخل فصل الصيف في خمسة عشر يومًا من حزيران وعدد أيامه اثنان وتسعون يومًا وتقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج وهي السرطان والأسد والسنبلة، ثم يدخل فصل الخريف في خمسة عشر يومًا من أيلول وعدد أيامه أحد وتسعون يومًا وتقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج وهي الميزان والعقرب والقوس، ثم يدخل فصل الشتاء في أحد عشرًا يومًا من كانون الأول وعدد أيامه تسعون يومًا وربما تكون أحد وتسعين يومًا وتقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج وهي الجدي والدلو والحوت.

قال مؤلفه- رحمه اللَّه تعالى- : هذا باعتبار زمان القرطبي أما باعتبار زماننا فقد أخبرني من له قوة في علم التقويم أن فصل الربيع يدخل في ثاني عشر أذار وفصل الصيف في ثالث عشر حزيران والخريف في خامس عشر أيلول والشتاء في ثالث عشر من كانون الأول، وأيام كل فصل أحد وتسعون يومًا وثمن يوم ونصف ثمن يوم واللَّه أعلم، ثم أن فصل الربيع معتدل بين الحرارة والبرودة يصلح فيه إخراج الدم بالحجامة والفصادة ولا يمتلئ فيه من الطعام، والصيف حار يابس يصلح فيه الاغتسال بالماء البارد ولبس الكتان وأكل الحوامض كالحصومية والخوخية، والخريف بارد يابس يصلح فيه ترك الجماع والاغتسال بالماء الفاتر للشيوخ بالحقنة والكهول بالاسهال، والشتاء بارد رطب يصلح فيه أكل لحم الضأن دون السمك واللبن وكان النبي ﷺ يحب أن يدخل بيته ليلة الجمعة ويخرج منه إذا جاء الصيف ليلة الجمعة.

تشرين الأول: أحد وثلاثون يومًا فتحرك الشرقية في أوله وفي ثالث عشرين منه يدخل الناس بيوتهم من البرد وإذا قطع الخشب في ثالث عشرة لا يسوس.

فائدة: قال علي بن أبي طالب- رضي اللَّه عنه- رأيت رجلاً متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يشغله شأن أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك، فقلت: يا عبد اللَّه أعد على كلامك فقال: والذي نفس الخضر بيده وكان هو الخضر، لا يقولهن عبد عقب كل فريضة إلا غفرت ذنوبه وإن كانت مثل رمل عالج أو عدد القطر وأوراق الشجر، قال اليافعي في روض الرياحين كنت جالسًا ببيت المقدس بعد عصر الجمعة فرأيت رجلين أحدهما في خلقنا والآخر طويل عرض وجهه ذراع، فقلت: من أنتما قال أنا الخضر وهذا إلياس من صلى العصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة ثم قال: يا اللَّه يا

رحمن حتى تغيب الشمس لم يسأل اللَّه شيئًا إلا أعطاه فقلت للخضر ما طعامك قال: الكرفس والكمثرى وعن النبى ﷺ أن أخوى الخضر وإلياس يحجان فى كل عام ويشربان من زمزم شربة فتكفيهما إلى قابل، وطعامهما الكرفس وكان الخضر- عليه السلام- يقول: اللهم إنى أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت إليه وأستغفرك لما وعدتك من نفسى ثم اخلفتك، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك وأستغفرك للنعم التى أنعمت بها على فتقويت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من كل ذنب أذنبته أو معصية فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملا أو خلاء أو سر أو علانية يا حكيم، قال الأوزاعى من قاله غفرت ذنوبه ولو كانت مثل ورق الشجر وقطر السماء.

لطيفة: تكلم ابن الجوزى فى معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩]، عامين فأعجب بنفسه فوثب إليه رجل من المجلس، فقال: يا ابن الجوزى ما يصنع ربنا فى هذه الساعة فسكت وختم المجلس، ثم قال فى الثانى والثالث فرأى فى تلك الليلة ﷺ فى المنام، فقال: يا ابن الجوزى أتدرى من السائل قلت: لا يا نبى اللَّه قال هو الخضر فإذا سألك فقل له شئون يبديها ولا يبتديها فلما أصبح قال له ما يصنع ربنا فى هذه الساعة قال شئون يبديها ولا يبتديها فلما أصبح قال له ما يصنع ربنا فى هذه الساعة قال شئون يبديها ولا يبتديها، فقال الخضر صلى وسلم على من علمك فى المنام.

فائدة: اعلم جعلنى اللَّه من صالحى الأمة أن أولها نبى اللَّه محمد ﷺ وآخرها نبى اللَّه عيسى بن مريم والسلام ولكن من أمته ﷺ وفيها رجل مختلف فى نبوئه أى وهو الخضر- عليه السلام- وأوسطها الصحابة كل واحد له شفاعة، وقال الشافعى- رحمه اللَّه تعالى- مات النبى ﷺ والمسلمون ستون ألفًا بالمدينة وثلاثون فى غيرها حكاه الذهبى فى التحرير قال فى تفسير ابن عطية فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ [التحريم: ٨]، وعن النبى ﷺ أتضرع فى أمته فأوحى اللَّه إليه إن شئت جعلت حسابهم إليك قال: لا يا رب أنت أرحم بهم منى فقال اللَّه تعالى: إذا لا نخزيك فيهم.

حكاية: قال سالم بن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب- رضى اللَّه عنهم-: رأيت البارحة فى المنام جميع الأنبياء مع كل نبى أربعة مصابيح ومع كل واحد من أصحابه مصباح واحد ورأيت واحدًا قد أضاء له المشرق والمغرب فى كل شعرة من رأسه مصباح ومع كل واحد من أصحابه أربع مصابيح، فقلت من هذا قالوا: هذا محمد ﷺ وكان كعب الأحبار خلفه يسمع، فقال عمر: كيف تروى هذا قال عن رؤيا رأيتها فى المنام فقال: واللَّه لكأنك قرأت التوراة فرأيت هذا فيها وفيها رجل مختلف فى نبوته وهو الخضر- عليه السلام- وأوسطها الصحابة كل واحد منهم له شفاعة، وفى الحديث «أهل الجنة مائة وعشرون صفًا ثمانون من هذه الأمة فتكون هذه الأمة ثلثى أهل الجنة».

فإن قيل: أهل الجنة أكثر أم أهل النار.

فالجواب: من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [البقرة: ٢٧٧]، وقليل ما هم.

الثانى: قوله ﷺ: «من كل ألف واحد والباقى لإبليس» ذكره الرازى فى تفسير سورة النساء.

الثالث: قوله ﷺ: «**أنتم فى الأمم كشعرة بيضاء فى جلد ثور أسود**»، ولا شك أن المؤمنين بالنبى ﷺ أكثر ممن آمن بالأنبياء من أممهم.

فإن قيل: إذا كان أهل جهنم أكثر من أهل الجنة فكيف يقول مولانا عز وجل حكاية عن إبليس لعنه اللَّه لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا والنصيب لا يقتضى الكثرة.

فالجواب: هذا باعتبار البشر أما إذا اعتبرنا الملائكة مع المؤمنين من البشر صار حزب اللَّه أكثر.

وجواب آخر: المؤمنون وإن كانوا قليلين فيهم كثيرون عند اللَّه بالمنزلة والدرجة بخلاف حزب الشيطان.

فصل: فى ذكر ما تيسر من المشهورين بالكنية بأسمائهم وتواريخهم من الصحابة- رضى اللَّه عنهم وغيرهم

أبو بكر الصديق: اسمه عبد اللَّه أسلم أبوه عثمان يوم الفتح وتقدم فى مناقب أبى بكر.

أبو أيوب الأنصارى: اسمه خالد بن زيد قبره ببلاده الروم يستسقون به.

أبو عبيدة بن الجراح: تقدم فى مناقب العشرة.

أبو موسى الأشعرى: اسمه عبد اللَّه بن قيس.

ولده أبو بردة: اسمه الحارث.

عمه أبو بردة: اسمه عامر.

أبو بردة الأسلمى: اسمه فضلة.

أبو جحيفة: اسمه وهب بن عبد اللَّه.

أبو الجعد: عم عائشة من الرضاعة اسمه أفلح.

أبو بكرة: من فضلاء الصحابة بالبصرة اسمه نفيع بن حارث.

أبو الدرداء: اسمه عويمر بن مالك، قال فى شرح المهذب كان أبو الدرداء فقيهًا ولى القضاء بدمشق لعثمان بن عفان، مات سنة اثنتين وثلاثين قبره فى دمشق فى باب القصير.

أبـو ذر: اسمه جندب بن جنادة بن العماد كنى بأبى ذر لأنه خبز خبزاً فطلع عليه الذر فوزنه فلم يزن شيئًا، فقال: انظروا إلى هذا الذر لم يظهر فى ميزان الدنيا وميزان الآخرة يطيش بذرة واحدة أى وهى النملة الصغيرة الحمراء قال فى الروضة يحل قتله دون النمل الأسود.

أبو سعيد الخدرى: اسمه سعد بن مالك وأمه أم سليط قال فى شرح المهذب ومالك أبو سعيد كان صحابيّا أيضًا.

أبو طيبة: حاجم النبىﷺ اسمه دينار، وقيل ميسرة.

أبو طلحة الأنصارى: اسمه زيد بن سهل.

أبو العاص بن الربيع: زوجه النبىﷺ زينب كما تقدم فى مناقب فاطمة وقيل القاسم.

أبو قتادة: اسمه الحارث وقيل النعمان.

أبو كامل: اسمه قيس وقيل عبد اللّه.

أبو واقد الليثى: اسمه الحارث بن مالك.

أبو ليلى: اسمه بلال وقيل: داود شهد بدراً.

أبو هريرة: اسمه عبد الرحمن قال: يا رسول اللّه إن أمى دعوتها إلى الإسلام فأسمعتنى فيك ما أكره، فقال اللهم اهد أم أبى هريرة قال: فخرجت أعدو لأبشرها فرأيت الباب مردودًا فلما أحست بى خرجت وهى تقول أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه، فرجعت وأنا أبكى من الفرح كما كنت أبكى أولاً من الحزن، وقلت: يا نبى اللّه قد استجاب اللّه دعاءك ادع اللّه أن يحببنى وأمى إلى المؤمنين فما من مؤمن ولا مؤمنة إلا ويحبنا، واسم أمه أميمة وقيل آمنة.

أبو أمـامة: اسمه صدى بضم الصاد وفتح الدال وتشديد الياء، روى عن النبىﷺ مائة حديث وخمسين حديثًا.

أبو زرعة الحافظ: اسمه عبد اللّه بن عبد الكريم.

أبو بكر: اسمه دلف.

أبو تراب النخـــشبى: اسمه عسكر مات ببلده وبلده نخشب من وراء النهر مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

أبو سليمان الدارانى: اسمه عبد الرحمن.

أبو يزيد البسطامى: اسمه طيفور بن عيسى مات سنة إحدى وستين ومائتين.

أبو على الروذبادى: اسمه محمد بن أحمد مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وروذباذ قرية من قرى بغداد.

أبو عبد الرحمن السلمى: اسمه حسين بن محمد مات سنة أربعمائة واثنى عشر.

أبو سعيد الخراز: اسمه أحمد بن عيسى مات سنة اثنين وسبعين ومائتين.

الإمام أبو حنيفة – رضى اللَّه عنه – : اسمه النعمان بن ثابت مات ببغداد سنة خمسين ومائة، وهو ابن تسعين سنة ختم القرآن فى الموضع الذى مات فيه ستة آلاف مرة وجاءته امرأته وهو فى الدرس فألقت له تفاحة نصفها أحمر ونصفها أصفر فأخذها وكسرها وأعادها إليها ففهمت المرأة الجواب، فسئل عن ذلك فقال إنها ترى الحمرة والصفرة فمتى تغتسل، فقلت لها: حتى ترى الطهر الأبيض كباطن التفاحة وتقدم بعض محاسنه فى باب التقوى وفى باب فضل العلم.

الإمام مالك – رضى اللَّه عنه – : مات سنة تسعة وتسعين ومائة وكان يمنع من الصلاة بعد العصر فدخل يومًا الجامع، فقال له صبى: قم فاركع ركعتين فقام فصلى فقيل له: كيف خالفت مذهبك فقال خشيت أن أكون من الذين قيل لهم اركعوا لا يركعون.

الإمام الشافعى – رضى اللَّه عنه – : اسمه محمد بن إدريس ولد سنة خمسين ومائة ومات سنة أربع ومائتين، أخبر عنه النبى ﷺ أنه عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا وأوصى قبل موته أن يمروا بجنازته على باب السيدة نفيسه ففعلوا فصلت عليه ثم ماتت بعده بأربع سنين – رضى اللَّه عنهما.

الإمام أحمد بن حنبل – رضى اللَّه عنه – : مات سنة إحدى وأربعين، قال الشافعى – رضى اللَّه عنه – : رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: اكتب إلى أبى عبد اللَّه أحمد بن حنبل وأقرئه منى السلام وقل له إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم فيرفع اللَّه لك علمًا يوم القيامة، قال أحمد بن شمعون: من زار قبر أحمد بن حنبل وبشر الحافى يطالبنى يوم القيامة قال: أحمد بن حنبل قال بعضهم: رأيت النبى ﷺ فى المنام فسألته عن أحمد فقال: اسأل عن موسى فسألته فقال هو من الصديقين وقال بعضهم: رأيت زبيدة فى المنام وكنيتها أم العزيز، وشعرها أبيض فسألتها عن ذلك فقالت لما جردوا الإمام أحمد للضرب زفرت جهنم زفرة فلم يبق أحد فى القبور إلا ابيض شعره ولما ضربه الجلاد أول ضربة بالسوط شق خاصرته فقال: اللهم اعم بصره ثم رآه بعد ذلك وهو أعمى فسأله عن ذلك فقال: حتى تخرج الروح قبل أن تقول القرآن مخلوق فقال الإمام أحمد: اللهم إن كان صادقًا فرد عليه بصره فرد اللَّه عليه بصره، وفى السوط الأول قال: بسم اللَّه وفى الثانى قال: لا حول ولا قوة إلا باللَّه وفى الثالث قال: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، وفى الرابع قال: قل لن يصيبنا إلا ما كتب اللَّه لنا، ثم انقطعت حاشية سراويله فقال: اللهم إنى أسألك باسمك الذى ملأت به العرش إن كنت تعلم أنى على صواب فلا تهتك سترى فرفعت سراويله، قال: معروف الكرخى، رأيت رجلاً فى المنام فقلت له من أنت قال موسى بن عمران قلت موسى بن عمران الذى كلم اللَّه قال: نعم ثم رأيت ثلاثة نزلوا من سقف البيت فقلت من هؤلاء قال: عيسى بن مريم ونبيكم محمد وأحمد بن حنبل وحملة العرش والملائكة يشهدون أن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق.

إمام الحديث أبو عبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري: آية من آيات اللّه يمشى على وجه الأرض، قال النووى سمع البخارى من البخارى أى سمع صحيح البخارى من البخارى سبعون ألف رجل وكان يحضر مجلسه عشرون ألفًا روى الترمذى والنسائى، وقال محمد بن بشار شيخ البخارى: حفاظ الدنيا أربعة مسلم النيسابورى والبخارى ببخار وأبو زرعة بالرى وعبيد بن عبد الرحمن الدارمى بسمر قند.

إمام المحدثين مسلم بن الحجاج: مات سنة إحدى وستين ومائتين.

ابن بنت الشافعى: اسمه أحمد بن محمد وأمه اسمها زينب مات سنة تسع ومائتين.

الأوزاعى: تقدم فى باب المحبة:

القفال الكبير: اسمه محمد بن على مات سنة خمس وستين وثلثمائة والقفال الصغير تقدم فى فضل إكرام المشايخ فى باب العدل.

الروياني: صاحب الحلية اسمه عبد الواحد بن إسماعيل مات سنة اثنين وخمسمائة.

القاضى أبو الطيب: اسمه طاهر بن عبد اللّه مات سنة خمسين وأربعمائة، قال له النبى ﷺ فى المنام يا فقيه فكان يفتخر بذلك ويقول سمانى النبى ﷺ فقيهًا عاش مائة عام وعامين.

الماوردى: اسمه على بن محمد مات سنة أربع وستين وثلثمائة.

أبو منصور البغدادى الأستاذ: اسمه عبد القاهر بن طاهر مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

العبادى: بفتح العين وتشديد الباء اسمه محمد بن أحمد مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

الشيخ أبو حامد: اسمه أحمد بن محمد مات سنة ست وأربعمائة.

الثعلبى: تقدم فى المعراج.

البغوى: اسمه حسين بن مسعود كان يأكل الخبز وحده ثم أكله بالزيت فقد مات سنة عشرة وخمسمائة.

إمام الحرمين: اسمه عبد الملك مات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

والده الشيخ أبو محمد: اسمه عبد اللّه بن يوسف مات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، قال بعضهم: لو جاز أن يبعث اللّه نبيًا بعد محمد لكان الشيخ أبو محمد الجوينى.

القشير: اسمه عبد الكريم مات سنة خمس وستين وأربعمائة.

الشيخ أبو إسحاق الشيرازى: تقدم فى باب فضل العدل.

الخطابى: اسمه حمد بفتح الحاء وسكون الميم مات سنة ثمان وثمانين وثلثمائة.

الحناطي: اسمه حسين بن محمد كان في زمانه يبيع الحنطة مات بعد الأربعمائة.

المحاملي: اسمه أحمد بن محمد مات سنة خمس عشرة وأربعمائة.

المتوالي: اسمه عبد الرحمن مات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

الحاكم: تقدم في باب المولد.

النسائي: اسمه أحمد بن شعيب مات سنة ثلثمائة.

الترمذي: اسمه محمد بن عيسى مات سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ.

أبو داود: اسمه سليمان مات بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين.

ابن يزجة: اسمه محمد بن يزيد القزويني مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

البزار: اسمه أحمد بن عمر مات بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين.

ابن أبي الدنيا: اسمه عبد اللّه بن محمد القرشي مات سنة إحدى وثمانين ومائتين.

الطبراني: منسوب إلى طبرية ببلاد صفد مات سنة ثلاث وثلاثين بأصبهان.

الدارقطني: اسمه على مات ببغداد سنة خمس وثلاثين وثلثمائة.

البيهقي: اسمه أحمد بن حسين وكان جبلاً من جبال العلم مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

الغزالي: اسمه محمد بن محمد بن محمد قال القاضي أبو بكر: أخذت علم التصوف عن الغزالي، فلما رجعت إلى بلادي ركبت البحر فهاجت أمواجه، فقلت: أيها البحر اسكن فإنما عليك بحر مثلك فظهرت لي دابة وقالت: أخبرني عن عدة الممسوخ زوجها فلم أعلم جوابها فرجعت إلى الإمام الغزالي وأخبرته، فقال: إن مسخ حيوانات: تعتد عدة الطلاق لأن الروح باقية، وإن مسخ جماداً فتعتد عدة وفاة لأن الروح فارقت البدن رجعت إلى البحر فطلعت الدابة فأخبرتها بالجواب، فقالت ذاك البحر لا أنت مات سنة خمس وخمسمائة.

المحب الطبري: اسمه أحمد بن عبد اللّه مات سنة ست وسبعين وخمسمائة.

الرافعي: اسمه عبد الكريم بن محمد مات سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

الرازي: اسمه محمد بن عمر وهو شيخ شيوخ النووي مات سنة ست وستمائة.

ابن الصلاح: اسمه عثمان بن عبد الرحمن قال ما فعلت صغيرة في عمري مات سنة ست وأربعين وستمائة.

ابن عبد السلام: اسمه عبد العزيز مات سنة اثنين وثلاثين وستمائة.

النووي: اسمه يحيى مات سنة ست وسبعين وستمائة.

قال مؤلفه - رحمه اللَّه تعالى - : رأيته فى المنام فقرأت عليه الفاتحة فقال : ما يتوفاك اللَّه إلا وهو عنك راض ، ثم نقل عن والده - رحمه اللَّه تعالى - أنه قال رأيت فى المنام كأن السماء كتب عليها بالنور بخطٍّ غليظ فقلت ما هذا قال كلام النووى .

السهروردى صاحب العوارف: اسمه عمر بن محمد مات سنة اثنين وثلاثين وستمائة .

القرطبى: اسمه محمد بن أحمد مات سنة إحدى وسبعين وستمائة .

ابن دقيق العيد: مات سنة اثنين وستمائة .

ابن الرافعة: اسمه أحمد بن محمد مات سنة ستة عشر وأربعمائة .

السبكى: اسمه على الكافى مات سنة ست وخمسين وسبعمائة .

الأذرعى: اسمه أحمد بن أحمد مات سنة اثنين وسبعين وسبعمائة .

الإسنوى: اسمه عبد الرحيم مات سنة اثنين وسبعين وسبعمائة .

النيسابورى: اسمه حسن بن محمد لم أقف على وفاته بل رأيت قطعة من تفسيره بخطه قال : فرغت من تعليقه حادى عشر المحرم عام ثمان وعشرين وسبعمائة .

اليافعى: اسمه عبد اللَّه مات بمكة سنة ثمان وستين وسبعمائة .

البلقينى: اسمه عمر بن رسلان مات سنة ثمان وثمانمائة .

الدميرى: اسمه محمد بن موسى مات سنة ثمان وثمانمائة .

الحصينى: اسمه أبو بكر مات سنة تسع وثمانمائة .

فهذا ما يسر اللَّه تعالى به من ذكر الصحابة والعلماء والأولياء الذين شرفت بهم هذه الأمة وغالبهم مذكور فى كتابى هذا تبركًا ومحبة والمرء مع من أحب إن شاء اللَّه تعالى ، واللَّه أعلم .

باب: ذكر أشياء من فعلها حرمه اللَّه على النار وأعتقه منها

وهى بحمد اللَّه كثيرة وها أنا إن شاء اللَّه تعالى أذكر من الكثير اليسير ، ومن اليسير عن النبى ﷺ: **«ما من عبدين متحابين فى اللَّه يستقبل أحدهما الآخر فيصافحه ويصليان على النبى ﷺ لم يتفرقا حتى يغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر»** رواه ابن السنى وفى البخارى عن النبى ﷺ: **«من أغبرت قدماه فى سبيل اللَّه حرمه اللَّه عن النار»** وعن النبى ﷺ: **«من صلى قبل الظهر أربعًا وبعده أربعًا حرمه اللَّه على النار»** وعن النبى ﷺ: **«من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن، صلى معه سبعون ألف ملك ويستغفرون له حتى الليل»** وفى كتاب البركة عن النبى ﷺ: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية

الكرسى عصمه اللَّه فى أهله وماله ودينه ودنياه» وعن النبى ﷺ: «**لا تزال أمتى يصلون هذه الأربع ركعات قبل العصر حتى يمشى أحدهم، يعنى على الأرض مغفور له مغفرة حتمًا**» رواه الطبرانى قال: فى العوراف يقرأ فى الأربع قبل العصر إذا زلزلت والعاديات والقارعة وألهاكم، وفى رواية ابن عمر رحم اللَّه امرءًا صلى قبل العصر أربعًا، وعن ابن سعد عن النبى ﷺ: «**من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يصلى ركعتى الضحى لا يقول: إلا خيرًا غفر له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر**» وفى رواية الحسن بن على- رضى اللَّه عنهما- : «**لم تمس جلده النار**» وفى رواية عائشة: «**خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» وفى رواية: «**من صلى صلاة الفجر ثم قعد فى مجلسه حتى تطلع الشمس ستره اللَّه من النار**» ذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب الذكر، وعن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- عن النبى ﷺ: «من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه اللَّه فيها جعل اللَّه بينه وبين النار سبع خنادق، ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض».

وفى **طبقات الأتقياء**: عن النبى ﷺ: «من كبر تكبيرة عند غروب الشمس على ساحل البحر رافعًا صوته أعطاه اللَّه من الأجر بعدد كل قطرة فى البحر عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات» رأيته فى كتاب الذريعة لابن العماد بخط مؤلفه وفى كتاب الأبرار عن النبى ﷺ: «استكثروا من الإخوان فإن اللَّه تعالى حى كريم يستحى من عبد أن يعذبه بين إخوانه يوم القيامة».

وفى كتاب البركة: عن جعفر الصادق- رضى اللَّه عنه- أطيلوا الجلوس على المائدة مع الإخوان فإنها ساعة لا تحسب من أعمارهم وورد الأكل مع الإخوان شفاء، وعن النبى ﷺ من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقًا على اللَّه أن يعتقه من النار، وقال النبى ﷺ: «أيما عبد قال: لا إله إلا اللَّه الحليم الكريم سبحان اللَّه رب العرش العظيم الحمد للَّه رب العالمين كان حقًا على اللَّه أن يحرمه على النار» وعن النبى ﷺ: «من قال حين يصبح: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر أعتقه اللَّه من النار» وعن النبى ﷺ: «إذا قال العبد: يا معتق الرقاب، يقول اللَّه تعالى: يا ملائكتى قد علم عبدى أنه لا يعتق الرقاب غيرى أشهدكم يا ملائكتى أنى أعتقه من النار» وعن النبى ﷺ: «إذا قال العبد: فى ركوعه سبحان ربى العظيم أعتق اللَّه ثلث جسده من النار، وإذا قال: ثلاث مرات أعتق اللَّه جسده كله من النار» وتقدم أن النبى ﷺ قال: «من بلغه عن اللَّه فضيلة فلم يصدق بها فلما ينلها» وعن النبى ﷺ: «إذا لعق الرجل القصعة استغفرت له القصعة وتقول: اللهم اعتقه من النار كما أعتقنى من الشيطان» لأن الشيطان يلعقها عند فراغها وعن النبى ﷺ: «من لعق القصعة ولعق أصابعه أشبعه اللَّه فى الدنيا والآخرة» وعن النبى ﷺ: «اغسلوا القصعة واشربوها فمن فعل ذلك كان كمن أعتق أربعين رقبة من ولد إسماعيل» وقال أنس- رضى اللَّه عنه- : أحب الشىء إلى اللَّه تعالى أن يرى عبده المؤمن مع امرأته وولده على مائدة يأكلون، فإذا اجتمعوا عليها نظر اللَّه إليهم بالرحمة ويغفر لهم قبل أن يتفرقوا.

وفى ربيع الأبرار: قال ابن المبارك: من كان فى قلبه مودة لأخيه المسلم ولم يعلمه بها فقد خانه، وقال على- رضى اللّه عنه- : أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان وكان ﷺ يكره الطعام الحار، ويقول: عليكم بالطعام البارد فإنه دواء ألا وإن الحار لا بركة فيه.

وفى العوارف: عن النبى ﷺ: «النفخ فى الطعام يذهب البركة» وقال أنس- رضى اللّه عنه- : قال النبى ﷺ: **«من سأل اللّه الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره منى»**.

لطيفة: قال رجل: يا رسول اللّه أريد منك ناقة أركبها وشاة أحلبها، فقال له: أعجزت أن تكون مثل عجوز بنى إسرائيل قال: إن موسى لما خرج ببنى إسرائيل من مصر أظلم عليهم القمر فقال: ما هذا فقال العلماء: إن يوسف أخذ علينا العهد أن لا نخرج من مصر إلا بجسده فقال موسى: أيكم يعلم قبره قالوا: لا يعلم قبره إلا هذه العجوز، فسألها عن ذلك فقالت: لا أفعل حتى تعطينى حكمى، قال: وما حكمك قالت: أكون معك فى الجنة.

قال مؤلفه - رحمه اللّه تعالى-: آدم- عليه السلام- علم الأسماء فحصل له الشرف عند الملائكة، والهدهد كان يعلم موضع الماء فحصل له الشرف عند الطيور فكان يقول: لسليمان يا نبى اللّه الماء ههنا فينزل فى المكان فإذا حفروا وجدوا الماء، وهذه العجوز أفادها علمها بقبر يوسف أن تكون فى الجنة مع موسى- عليه السلام- كذلك المؤمن إذا استفاد علمًا ظهر شرفه على غيره، قال النبى ﷺ: «من طلب العلم لغير اللّه لم يخرج من الدنيا حتى يأتى قلبه للعلم فيكون للّه ومن طلب العلم، فهو كالصائم نهاره وكالقائم ليله فإن بابًا من العلم يتعلمه الرجل خير من أن يكون له أبو قبيس ذهبًا ينفقه فى سبيل اللّه» وقال على- رضى اللّه عنه- : العلم يقوى الرجل على المرور على الصراط ذكره كله الرازى فى تفسيره وسيأتى على هذا زيادة، وتقدم فى باب فضل العلم قال القرطبى: من أطاع مولاه وخالف هواه كانت الجنة مأواه ومن تمادى عصيانه وأرخى زمام طغيانه واتبع هوى نفسه وشيطانه كانت النار أولى به.

وذكر فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة: عن النبى ﷺ: **«من قال استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب اللّه له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»**.

فائدة نختتم بها الباب: رأيت فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة أن أبى بن كعب قال للبراء ابن مالك-رضى اللّه عنهما- : ما تشتهى قال: سويقًا وتمراً فأطعمه حتى أشبعه، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «إن المرء إذا فعل ذلك بأخيه لوجه اللّه لا يريد بذلك جزاء ولا شكوراً بعث اللّه إلى منزله عشرة من الملائكة يسبحون اللّه ويهللونه ويكبرونه ويستغفرون له حولاً كاملاً فإذا كان الحول كتب اللّه له مثل عبادة أولئك الملائكة» وحق على اللّه يطعمه من طيبات الجنة فى جنة الخلد وملك لا يبلى.

قال مؤلفه: البراء بن مالك- رحمه اللَّه تعالى- لم أره فى تهذيب الأسماء واللغات وإنما ذكر البراء بن عازب وروى ثلثمائة وخمسة أحاديث وهو صحابى، وأبى بن كعب- رضى اللَّه عنه- روى مائة حديث وأربعة وستين حديثًا قالت عائشة- رضى اللَّه عنها- : قال لى النبى ﷺ: «إذا قال العبد: يا رب الأرباب قال اللَّه تعالى: لبيك يا عبدى سل تعط فرحم اللَّه امرءًا قال: يا رب الأرباب اسألك النجاة من النار وهى دار الهوان والعقاب والفوز بالجنة ومحل الرضوان ومجمع الأحباب لى وللمسلمين» ولمؤلف هذا الكتاب من غير عذاب يسبق يا كريم يا وهاب، واللَّه أعلم.

باب: فى ذكر الجنة

قال اللَّه تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، أى بادروا بالطاعة والقرب إلى ربكم، وجنة عرضها السماوات والأرض، قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : تقترن السماوات والأرض بعضهما إلى بعض فذلك عرض الجنة قال الطبرى: لما خلق اللَّه الجنة قال لها امتدى، قالت: يا رب إلى كم امتد قال: امتدى مقدار رحمتى فهى تمتد إلى أبد الآبدين ليس لها طرف كما أن رحمة ليس لها طرف، ورأيت فى تفسير ناصر الدين السمرقندى فى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، أى لو كان البحر مدادًا لما أعد اللَّه تعالى للمؤمنين فى الجنة لنفد البحر قبل أن ينفد ثواب المؤمن، وقال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : أنها تمد من حين خلقها اللَّه تعالى إلى يوم القيامة.

لطيفة: لما خرج يوسف من الجب وضربه إخوته قالت الملائكة: ربنا إنهم يضربون يوسف فقال: هذا فى ملك مصر والتولية على خزائنها قليل كذلك المؤمن إذا وقع فى سكرات الموت، تقول الملائكة: ربنا قد وقع عبدك فى كرب الموت فيقول اللَّه تعالى هذا فى نعيم الجنة قليل وعن النبى ﷺ: «إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار أمر اللَّه تعالى جبريل أن يحضر الأولياء فى مقعد صدق أى فى مجلس حق، فيأتى أهل الجنان والأولياء فى مقاصيرهم فينادى الأولياء فيخرجون من قصورهم فيقول اللَّه تعالى: ما يريدون، فيقولون: نريد وعدك من رؤيتك مع لذيذ كلامك أنت وعدتنا بذلك فيناديهم يا معشر الأولياء والأحباب ها أنا رب الأرباب فإذا شاهدوا وجهه الكريم خروا له سجدًا فيقول: ارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى حبيبكم فليس هذا يوم نصب (أى تعب) أنتم أحبتى وهذه الحبيب ينظرون ثم يقول قائل منهم هو. قد حفت بهم الولدان فهم يأكلون وإلى وجه الحبيب ينظرون ثم يقول قائل منهم هو على بن أبى طالب- رضى اللَّه عنه- مولانا قد كنت وعدتنا فى كتابك أن تسقينا أنت فيقول اللَّه تعالى: صدق ولى اشرب هنيئًا مريئًا فما يشعر إلا والكأس على فمه وتتبادر الكاسات إلى أفواه الأولياء من تحت أذيال العرش بلا واسط ثم يقول اللَّه تعالى: أحبابى ما تحبون منى فيقولون: صوت داود فيقول اللَّه تعالى: يا داود أتل على

الأولياء كلامي فيقول داود: بسم اللّه الرحمن الرحيم إن المتقين فى مكان أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس خضر واستبرق متقابلين، فيطوفون وفى رواية فيطيرون مائتى عام ثم يقول اللّه تعالى: أتحبون كلامى منى فيقولون: نعم جل جلاك فيقول: أنا الرحمن الرحيم علم القرآن فيتيهون فى الملكوت ألف عام»، وتقدم أن سورة الرحمن عروس القرآن عن أنس- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ: «يبعث اللّه جبريل إلى غرفة من غرف الجنة فينادى بأعلى صوته يا أهل السعادة يا أهل الكرامة السلام يقرئكم السلام ويأمركم أن تزوروه فيستوون على الخيل كالبرق وعلى نجائب من ياقوت حتى يلتقوا بالجبار جل جلاله، فيقول: مرحبًا بزوارى ووفدى وجيرانى فى جنتى اسقوهم، فتؤتوا إلى أسفلهم درجة بتسعين ألف إبريق فى كل إبريق مع سبعمائة ألف غلام، ثم يقول الجبار جل جلاله: مرحبًا بزوارى ووفدى اكسوهم فيؤتوا بكسوة أحدهم بين أصبع الملك سبعين حلة ثم مرحبًا بزوارى ووفدى طيبوهم فتفوح رائحة من تحت العرش يقال لها: المنيرة فيهطل عليهم المسك شبه الندى ثم يقول مرحبًا بزوارى ووفدى وعزتى وجلالى ما خلقت الجنة إلا لأجلكم فيكشف الحجاب فينظرون إليه جل جلاله».

ومما رأيته فى نعيم الجنة: إنهم إذا استقروا فى الجنة يرسل اللّه إلى كل واحد تفاحة مع ملك فيأخذها فيرى فيها جارية وكتاب من العزيز الحكيم قد اشتقت إليك فزرنى فيركب الرجال على خيل من ياقوتة حمراء لكل فرس جناحان من فضة وجناحان من ذهب، ويركب النساء على الهوادج فتسير الرجال إلى محمد وتسير النساء إلى فاطمة قد جعلهن اللّه عُربًا أى عاشقات لأزواجهن أترابًا أى على سن واحد ثلاثة وثلاثين سنة كسن عيسى- عليه السلام- فأجلها على سن عيسى وطول آدم وهو ستون ذراعًا فى سبعة أذرع وعلى حسن يوسف وعلى خلق محمد وعلى صوت داود فتنزل النساء فى إيوان من درة بيضاء عند فاطمة والرجال فى ميدان من مسك فيه كراسى من الذهب وبين الرجال والنساء حجاب من نور فيسلم الحق جل جلاله على الرجال واحد بعد واحد ويسلم على النساء كذلك، ويقول: مرحبًا بعبادى وأوليائى فيضيفوهم، ثم يقول: يا ملائكة اطربوهم فتأتيهم الملائكة بمغانى الجنة وهم الحور العين فيتواجدون من الطرب فإذا أفاقوا قالوا: ربنا نحب أن نسمع كلامك، فقال: يا داود أسمعهم كلامى فيرقى على منبره ويقرأ الزبور فيتواجدون من الطرب فإذا أفاقوا قال: يا عبادى هل سمعتم صوتًا أطيب من هذا فيقولون لا يا ربنا فيقول وعزتى وجلالى لأسمعنكم منه يا محمد قم وارق واقرأ سورة طه ويس فيزيد فى صوت محمد فى الحسن على صوت داود سبعين ضعفًا فيتواجدون من الطرب وتهتز الكراسى من تحتهم، فإذا أفاقوا قال: يا عبادى هل سمعتم صوتًا أطيب من هذا فيقولون لا يا ربنا فيقول: وعزتى وجلالى لأسمعنكم أطيب منه فيتكلم سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام فيطرب القوم فتتمايل الأشجار والقصور ويهتز العرش فيكشف الحجاب عن وجهه جل جلاله، ويقول: يا عبادى من أنا فيقولون: أنت ربنا فيقول: أنا السلام وأنتم المسلمون ثم يقول يا ملائكتى قدموا لهم نجائب غير النجب التى قدموا عليها فيركب الرجال على

خيل بلق أجنحتها خضر والنساء على جانب أقتابها من ذهب ثم يدخلون سوق المعرفة فيسأل بعضهم بعضًا أين أنت يا فلان، فيقال: مسكنى الفردوس ويقول الآخر أنا فى جنة عدن، ويقول الآخر: أنا فى جنة الخلد ويقول الآخر: أنا فى جنة المأوى على اختلاف درجتهم.

وأول الجنان: دار الجلال من اللؤلؤ الأبيض.

وثانيها: دار السلام من ياقوت أحمر.

وثالثها: جنة المأوى من زبرجد أخضر.

ورابعها: جنة الخلد من مرجان أصفر.

وخامسها: جنة النعيم من فضة بيضاء.

سادسها: جنة الفردوس من ذهب أحمر.

وسابعها: جنة عدن من در أبيض.

وثامنها: دار القرار.

لطيفة: عن أنس- رضى اللَّه عنه- عن النبى ﷺ خلق اللَّه جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء حيطانها مسك وحشيشها زعفران وحصباؤها اللؤلؤ وترابها العنبر، ثم قال لها: انطقى فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ①﴾ [المؤمنون: ١]، فقال: وعزتى وجلالى لا يجاوزنى فيك بخيل، وقال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما-: وإن فى الجنة شجرة ثمرها كأنه الرمان فإذا أراد ولى اللَّه الكسوة انحدرت من غصنها، فانفلقت عن اثنين وسبعين حلة ألوانًا بعد ألوان ثم تنطبق فترجع كما كانت.

قال فى روضة الحقائق: جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: يا نبى اللَّه أفى الجنة سماع فسكت حتى جاء جبريل فقال: أين السائل؟ فقال: ها أنا يا رسول اللَّه فقال: إن فى الجنة لمدينة لها حافتان من لؤلؤ أحمر يسير الراكب فيها سبعين عامًا، فيها حور أبكار قد علمن القرآن، فإذا أراد أهل الجنة أن يلتذذوا ركبوا دوابهم، الراكب على فرس من ياقوتة حمراء ومنهم الراكب على نجيبة من زمردة خضراء، فإذا أتوا المدينة نزلوا عن دوابهم فتوضع لهم منابر من نور ويصطف الجوارى بين أيديهم يقرؤون القرآن بأصوات لم يسمع السامعون مثلها، فقال الأعرابى: هل أنت مزوجنى واحدة منهن إذا أطعتك قال: على أن أزوجك باثنين وسبعين زوجة، فقال: لا أعصيك أبدًا قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما-: قصور الجنة عدد نجوم السماء وأنهارها عدد نجوم السماء فيها نهر يقال له نهر الرحمة يجرى فى جميع الجنان.

وفى تذكرة القرطبى: يعرفون الصباح برفع الحجاب والمساء بإرخائه وأوقات الصلاة والتهليل

والتكبير ويعرفون يوم الجمعة بالزيارة للَّه تعالى ويعرفون الشهربالهدايا والتحف تأتيهم الملائكة بها من اللَّه تعالى فى رأس كل شهر ويعرفون العام بقول الملائكة لهم إن اللَّه تعالى يدعوكم للطعام فهو لهم عيد من العام للعام، ويزوجون من الحور العين فى ذلك اليوم وذكر القرطبى فى سورة الواقعة عن خالد بن الوليد عن رسول اللَّه ﷺ أن الرجل من أهل الجنة ليمسك التفاحة من تفاح الجنة فتتعلق فى يده فتخرج منها حوراء لو نظرت للشمس لأخجلتها من حسنها ولا تنقص التفاحة، فقال رجل: يا أبا سليمان إن هذا لعجب لا ينقص من التفاحة شىء قال: نعم كالسراج إذا أخذت منه سرج كثيرة لم ينقص منه شىء، وقال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : خلق اللَّه الحوراء من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض وشعرها القرنفل عليها سبعون حلة مثل شقائق النعمان.

وذكر القرطبى فى سورة الرحمن: فى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٨]، أى هن فى صفاء الياقوت وبياض المرجان وقال النبى ﷺ: «**إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة**» قال قتادة فيهن خيرات حسان أى خيرات الأخلاق، حسان الوجوه حور مقصورات أى محبوسات فى الخيام من الدر لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان أى لم يمسسهن أحد قبل أزواجهن وسمى اللَّه الحور العين هذا الاسم لشدة بياض عيونهن وسوادها، قال أبو هريرة: والذى أنزل القرآن على محمد ﷺ أن أهل الجنة ليزدادون حسنًا وجمالاً كما يزداد أهل الدنيا هرمًا وضعفًا، إن الفقير من أهل الجنة ليبلغ ملكه ألف عام.

وذكر القرطبى: فى قوله تعالى: على سرر موضونة أى منسوجة من الذهب مشبكة بالدر والياقوت وفرش مرفوعة ارتفاعها كما بين السماء والأرض يطوف عليهم ولدان مخلدون، قيل هم أطفال المسلمين وقيل هم أطفال المشركين وقيل هم غلمان خلقت فى الجنة، بأكواب وهى كيزان لا عرى لها ولا خراطيم وأباريق سميت بذلك لأن لونها يبرق وعن أنس عن النبى ﷺ: «أقل أهل الجنة درجة منى رجل على رأسه عشرة آلاف خادم وبيد كل خادم صفحتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة، فى كل واحدة لون ليس فى الأخرى مثله يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها يجد لآخرها من اللذة والطيب مثل ما يجد لأولها، ثم يكون بعد ذلك عرقًا كريح المسك الأزفر» يعنى الذى لا خلط فيه لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون إخوانًا على سرر متقابلين، وفى حديث أبى هريرة خمسة عشرة ألف خادم، وفى حديث أبى سعيد الخدرى ثمانون ألف خادم ثم قرأ ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩]، إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه شرفهم الرب جل جلاله فينظرون إلى وجهه، فيقول: يا أهل الجنة هللونى فيجوبون بتهليل الرحمن، وقال رجل: يا نبى اللَّه إذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف يكون المخدوم فقال: بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين أصغر الكواكب، وعن النبى ﷺ: «ما من عبد يصوم يومًا من رمضان إلا زوج

من الحورالعين سبعين فى خيمة من درة مجوفة على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى ويعطى سبعين لونًا من الطيب ليس منها لون على لون الأخرى لكل امرأة منهن سرير من ياقوتة حمراء موشحة بالدر وعلى كل سرير سبعون فراشًا على كل فراش سبعون أريكة والأرائك السرر لكل امرأة سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب يجد لآخر لقمة منها لذة لم يجدها لأولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوتة حمراء عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر هذا بكل يوم يصومه من رمضان وسوى ما عمل من الحسنات» وعن النبى ﷺ فى الجنة شجرة يقال: طوبى يقول اللَّه لها تفتقى لعبدى عما شاء فتتفتق عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء تتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء وقال النبى ﷺ إن أدنى أهل الجنة منزل الذى يركب فى ألف ألف من خدمة من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب وأكرمهم عند اللَّه من ينظر إلى وجهه الكريم بكرة وعشيًا ثم قرأ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

قال فى فردوس العارفين: قال محمد بن الصباح يؤتى بأهل الولاية يوم القيامة فيقسمون ثلاثة أقسام: فيقول اللَّه تعالى لكل واحد من القسم الأول ماذا عملت من الطاعات فيقول يا رب خلقت الجنة ونعيمها فسهرت لها ليلى وظمئت لها نهارى، فيقول: أنت إنما عملت للجنة ومن فضلى عليك أنى أعتقك من النار» ثم يقول لكل واحد من القسم الثانى ماذا عملت من الطاعات فيقول: يا رب خلقت النار وعذابها فسهرت لها ليلى وظمئت لها نهارى، فيقول: إنما عملت خوفًا من النار فقد أعتقتك منها ثم يقول: لكل واحد من القسم الثالث ماذا عملت من الطاعات فيقول حبّالك وشوقًا إلى لقائك، فيقول: أنت عبدى حقًا ارفعوا الحجاب عن عبدى فقد كان شوقه إلى شوقى إليه أشد فيرفعون الحجاب، ثم يقول اللَّه: يا ولى فها أنا أحببتك فوعزتى وجلالى ما خلقت الجنة إلا لأجلك فلك اليوم ما شئت، وعن النبى ﷺ يبعث اللَّه تعالى جبريل إلى أهل الجنة فيأمرهم برؤية اللَّه تعالى فيخرج آدم- عليه السلام- ومعه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتهليل فيمد أهل الجنة أعناقهم فيقولون من هذا الذى لم نر أحسن منه، فيقولون هذا آدم يمضى لزيارة ربه سبحانه وتعالى ثم يخرج إبراهيم فى مثل هيئته وموكبه ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ فى مثل موكب إبراهيم وموسى وعيسى وآدم وجميع مواكب أهل الجنة وحوله تسبيح الملائكة مالا يعلمه إلا اللَّه تعالى مرحبًا بعبادى ووفدى وزوارى وجيرانى وأوليائى يا ملائكتى أكرموهم فيطرحون للأنبياء منابر النور وللشهداء كراسى النور ولسائر الناس كثائب المسك، ثم يقول اللَّه تعالى أطعموهم فيأتون بأنواع الطعام فيوضع بين يدى أسفل أهل الجنة منزلة سبعون ألف صحفة من ذهب كل صحفة ألوان لا يشبه بعضها بعضًا فيأكل ولى اللَّه من تلك الألوان ويجد لآخرها طعمًا لا يجد لأولها ثم يقول اللَّه سبحانه وتعالى: اسقوهم فيأتون بالشراب وإنه ليقوم على رأس أسفل أهل الجنة منزلة سبعون ألف ملك شبه اللؤلؤ بأيديهم أوانى الفضة وأباريق الذهب فيها شربة ليس فيها لون على لون الآخر كلهم يبتدرون

إليه زيهم يأخد الإناء معه، ثم يقول اللّه سبحانه وتعالى: اكسوا عبادى فيستبقون فيؤتون بحلل مطوية مصقولة بنور الرحمن يكسوهم إياها، ثم يقول اللّه تعالى: طيبوا عبادى فتثور عليهم ريح تسمى المثيرة فتنشر عليهم المسك الأزفر ثم يقول اللّه مرحبًا بعبادى وعزتى وجلالى لأرينكم وجهى فيتجلى لهم فيرونه سبحانه من غير تكيف وتتصدع قصور الجنة وتصيح أهلها وما فيها من الثمار والأشجار والأنهار يقولون سبحانك سبحانك فإذا رأوه خروا له سجدًا فيمكثون فى السجود ما شاء اللّه فيقول سبحانه وتعالى: ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم فيرفعون رؤوسهم قد زادهم اللّه بهاء ونورًا وجمالاً ثم تقدم إليهم خليهم فيركبونها ويرجعون إلى قصورهم وقد رضوا عن ربهم ورضى عنهم فيدخلون على أزواجهم، فتقول: لهم أزواجهم وقد أوتوا من الحسن من رؤية مولاهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يا أولياء اللّه قد زينتكم كرامة اللّه فزادتكم نورًا على نوركم وبهاء على بهاءكم، قال جابر بن عبد اللّه- رضى اللّه عنه- عن النبى ﷺ: إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى الدنيا وذلك أنهم يزورون اللّه تعالى كل جمعة فيقول اللّه تعالى: تمنوا على ما شئتم فيلتقون بالعلماء فيقولون ماذا نتمنى، فيقولون: تمنوا عليه كذا وكذا.

وفى تفسير الرازى: عن النبى ﷺ العلماء مفاتيح الجنة وخلفاء الأنبياء، وقال النبى ﷺ: للجنة ثمانية أبواب ما بين المصراعين من كل باب كما بين السماء والأرض وفى رواية كما بين المشرق والمغرب، وفى تذكرة القرطبى لها ثلاثة عشر بابًا باب للكاظمين الغيظ وتقدم فى باب الحلم وفى البخارى ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى ولعل بعض الأبواب أوسع من بعض لاختلاف الروايات وفى الحديث للترمذى من قال عقب وضوئه الحديث المشهور أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فتحت له أبواب الجنة الثمانية وقال مجاهد: الجنة من فضة وترابها من مسك، وقيل: زعفران وأصول شجرها من ذهب و فضة وأغصانها من لؤلؤ وزبرجد وياقوت والتمر تحت الأغصان من أكل قائمًا لم يؤذه وكذلك القاعد والضطجع ثم قرأ ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: ١٤]، ومثله ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، ثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع فهاتان الجنتان لمن يخاف مقام ربه من ذهب ومن دونهما جنتان من فضة لأصحاب اليمين قال اللّه تعالى فى الأولين ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمن: ٥٢]، وفى الأخيرتين ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨]، فالأول أبلغ وقال فى الأولين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن: ٥٠]، وفى الأخيرتين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦]، بالخاء المعجمعة فهو أكثر من النضح بالحاء المهملة والمعين أى فوارتان بالماء والمسك والنضح دون الجرى وقال فى الأولين:

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وجهها من نور جامد وفى الأخيرتين ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، وقيل هو رياض الجنة وقيل هو شىء إذا جلس عليه الرجل طار به والعبقرى هى البسط ولا شك أن الفرس أفضل وقال فى الأولين: فى صفة الحور ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨)﴾ [الرحمن: ٥٨]، وفى الأخيرتين: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠)﴾ [الرحمن: ٧٠]، والصفة بالياقوت والمرجان أفضل وأحسن لأنهن فى الحمرة كالياقوت وفى البياض كالمرجان وهو صغار اللؤلؤ وقال ابن عباس ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨)﴾ [الرحمن: ٤٨]، أى ذواتا ألوان من الفاكهة وفى الأخيرتين: ﴿مُدْهَامَّتَانِ (٦٤)﴾ [الرحمن: ٦٤]، أى خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان وكثرة الأغصان أفضل من الخضرة فالأوليان من خاف مقام ربه والأخيرتان لمن قصر حاله فى الخوف من اللّه تعالى، وقيل: إن الأخيرتين أدنى أى أقرب إلى العرش فتكونان أفضل واللّه أعلم.

فائدة: قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩)﴾ [الواقعة: ٢٩]، قال أكثر المفسرين: إنه شجر الموز منضود أى بعضه فوق بعض ومن منافعه أنه يرطب المعدة اليابسة ويلين البطن وينفع من السعال اليابس وينبغى أكله قبل الطعام قيل إنه متولد من القلقاس أخذ فرعون نواة وجعلها فى قلقاسة وزرعها منها الموز، وعن أنس عن النبى ﷺ يقول اللّه تعالى أنظروا فى ديوان عبدى فمن رأيتموه سألنى الجنة فأدخلوه الجنة ومن استعاذ بى من النار فاصرفوه عنها.

قال مؤلفه: إنما ذكرت باب الجنة عقب باب فضل الأمة لأنهم السابقون إليها، وهم أكثر أهل الجنة قال النبى ﷺ: **«إن أهل الجنة مائة وعشرون صفًا ثمانون من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»** رواه ابن ماجه وقال النبى ﷺ إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة بل ثلث أهل الجنة بل نصف أهل الجنة، ثم تقاسمونهم فى النصف الثانى حكاه القرطبى فى سورة الواقعة.

ونظيره: فى صحيح البخارى قال البرماوى فى شرح البخارى لم يقل ﷺ أولاً نصف أهل الجنة لأن ذلك أوقع فى نفوسهم وأبلغ فى إكرامهم فإن إعطاء السائل مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به وفيه أيضًا حملهم على تجديد الشكر للّه تعالى وقوله فكبرنا فى رواية البخارى أى عظمنا ذلك، وقيل: قالوا اللّه أكبر فرحها بهذه البشارة العظيمة وقال النبى ﷺ: **«وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا»**، فى حديث آخر أن اللّه أعطانى سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، فقال عمر- رضى اللّه عنه- : يا رسول اللّه فهلا استزدته فقال: استزدته فأعطانى هكذا وفتح الراوى يديه وفى رواية يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا بغير حساب فقال عمر: زدنا يا رسول اللّه فقال: مع كل واحد من السبعين ألفًا سبعون ألفًا قال: زدنا يا رسول اللّه قال: وثلاث حيثات من حيثات الرب عزّ وجلّ قال: زدنا يا رسول اللّه فصاح أبو بكر وقال: حسبنا يا عمر حسبنا فقال عمر: يا أبا بكر دع

رسول اللّهﷺ يزدنا من فضل ربنا، فقال أبو بكر: والذى بعثه بالحق نبيًا أن الخلق كله لا يأتى حثية من حثيات ربنا عزّ وجلّ، وذكر فى كتاب العقائق دخل أبو بكر الصديق فى الأيام التى مات فيها رسول اللّهﷺ وبكى عند قبره فغلبه النوم فرآه عمر كأنه يتكلم فى منامه فأيقظه، فقال: يا عمر قطعت منامى كنت الساعة عند رسول اللّهﷺ تحت العرش وهو يقول بإلحاح يا رب أمتى، يا رب أمتى فقلت يا رسول اللّه: دع ربك يقض مراده فخرج النداء وهبناك وهبناك قالها مرتين فأيقظتنى يا عمر فلا أدرى كم وهبه فهتف بهما هاتف من القبر الشريف وهبنى الكل واللّه أعلم، قال أبو حازم- رضى اللّه عنه- : بلغنى أن من قال إذا فرغ المؤذن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له كل شىء هالك إلا وجهه اللهم أنت الذى مننت على بهذه الشهادة وما شهدت بها إلا لك لا يتقبلها غيرك منى فاجعلها لى قربة عندك وحجابًا من نارك واغفر لى ولوالدى ولكل مؤمن ومؤمنة برحمتك يا أرحم الراحمين إنك على كل شىء قدير أدخله اللّه الجنة بغير حساب، واللّه أعلم.

قال مؤلفه - رحمه اللهّ تعالى-: إنما ختمت بهذه الفائدة لقول النبىﷺ من كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه دخل الجنة فكما ختمت كتابى بها أرجو من اللّه تعالى الكريم أن يختم لى وللمسلمين بها، ولقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ⟨٦٠⟩﴾[الرحمن: ٦٠]، قال البغوى أى جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة قال القرطبى عن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- عن النبىﷺ يقول اللّه تعالى: هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتى وتوحيدى إلا أن أسكنه جنتى وحظيرة قدسى برحمتى وفى المورد العذب، إذا قال العبد: لا إله إلا اللّه خرج من فمه عمود من نور فيقف بين يدى اللّه تعالى فيقول اللّه تعالى للنور اذهب إلى عرشى، فيقول لا وعزتك لا أذهب حتى تغفر لقائلى فيقول اللّه تعالى وعزتى وجلالى إنى لم أجرك على لسانه إلا وقد غفرت له وهذه الكلمة تقابل بالنظر إلى وجه اللّه تعالى.

قال الخواص - رضى اللّه عنه-: رأيت رجلاً تحت شجرة قد أشرف على الموت من العطش فقلت: يا إلهى أنهارك فى الأرض جارية وبحارك فى أقطارها طامية وهذا المحب يموت عطشًا ففتح عينيه وقال: يا خواص وعزته لو سقانى بحار المشارق والمغارب ما رويت إلا بالنظر إلى وجهه الكريم، قال على- رضى اللّه عنه- : من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر، فليكن آخر كلامه فى مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين.

*** ** ***

(تم بحمد الله الكريم الوهاب)

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة